مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

أعيان العصر وأعوان النصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي
توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد
الدكتور نبيل أبو عمشة　الدكتور محمد موعد　الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

أعيان العصر وأعوان النصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة   الدكتور محمد موعد   الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الخامس

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

الرقم الاصطلاحي: ١١٥٠,٠١١-٥
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-499-9
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،
د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد
قدم له: مازن عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٦٩٢ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

١٧٠٠ ـ محمد بن عمر بن مكيّ*

ابن عبد الصمد بن عطية بن أحمد ، القرشي الأموي العثماني ، الشيخ الإمام المفسر المحدث[١] الأصولي النحوي الأديب الفاضل المفتن :

علامــة العلمــاء واللّـج الــذي لا ينتهي ولكل بَحْر ســـاحـــلُ

صدر الدين أبو عبد الله الشافعي الأشعري المعروف بابن الوكيل وبابن المرحّل وبابن الخطيب .

أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتفقه بوالده وبالشيخ شرف الدين المقدسي ، وبالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري ، وقرأ الأصولين على الشيخ صفي الدين الهندي ، والنحو على بدر الدين بن مالك .

وكان له عدّةُ محافيظ ، وحفظ (المُفصَّل)[٢] في مئة يوم ، وكتب له عليه الشيخ شرف الدين : قرأه في مئةٍ لا أراني [الله][٣] له يوماً ، وحفظ (ديوان) المتنبي في جُمْعة ، و (المقامات) في خمسين يوماً ، وكان لا يمر بشاهد من كلام العرب إلاّ حفظ القصيدة التي ذلك البيت منها .

وسمع الحديث من القاسم الإربلي ، والمسلّم بن علان . وسمع الكتب الستة على أشياخ عصره .

ولمّا باشر مشيخة دار الحديث روى قطعةً كبيرة من (صحيح) مسلم عن[٤] الأمين

* الوافي : ٢٦٤/٤ ، والبداية والنهاية : ٨٠/١٤ ، والدرر : ١١٥/٤ ، وبدائع الزهور : ٩١٨/١/١ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والدارس : ٢١/١ ، وذيول العبر : ٩٠ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٢/٩ .

(١) (س) : « المحدّث الفقيه » .

(٢) في الأصل : « المحصّل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ومصادر ترجمته ، وفي الوافي : « مئة يوم ويوم » .

(٣) زيادة من (س) والدرر .

(٤) (س) : « من » .

الإربلي[١] والعامري[٢] والمزي[٣] .

وكان ذكياً نظّاراً حافظاً ، يسرد في كل فن أسفاراً ، لا يقوم أحد[٤] لجداله ، ولا يُرى في عصره أحد من رجاله ، مكثراً من جميع الفنون ، يستحضر الأسانيد والمتون . ولم يكن يقوم بمناظرة العلامة تقي الدين بن تيمية سواه ، ولا يعترض كالشجى في حلقه فيما أورده ورواه ، ولما بلغته وفاته قال : « أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين » . وتناظرا يوماً بالكلاّسة خلف العزيزية ، فأخذ الشيخ تقي الدين يستشهد ببعض الحاضرين ، فقال الشيخ صدر الدين :

إن انتصارك بالأجفان من عجب وهل رأى الناس منصوراً بمنكسر

ولم يقم أحدٌ بعده بمناظرته ، ولا قام إلى منافرته .

أمّا التفسير : فابن عطية عنده مُبخَّل ، والواحدي شارك العيّ لفظه فتميّل .

وأمّا الحديث : فلو رآه ابن عساكر لانهزم وانضم في زوايا (تاريخه)[٥] وانجزم ، أو ابن الجوزي لبس من الغيرة غياراً ، وانكسر قلبه لمّا خرج من قُشوره ولم يجد لله عيارا[٦] .

وأما الفقهُ : فلو أبصره المحاملي محا ما تحمل من غرائب فاضَ النقلُ عنه وما نضب ، ورجع عما قال به من استحباب الوضوء من الغيبة وعند الغضب ، أو القَفّال لما فُتح له

(١) في الأصل : « الإبلي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والدرر والدارس ، وهو : أبو القاسم بن أبي بكر (ت ٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٢) محمد بن أبي بكر (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨١/٥ .

(٣) في الأصل : « وللري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٤) في الأصل : « لأحد » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في الأصل : « زوايا ريخه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) في الأصل : « عبارا » ، وما أثبتناه أشبه . والعيار : الوزن أو القيمة .

من الفقه باب ، ولرجع من أوّل الأمر إلى الاعتدال عن الاعتزال وتاب ، أو الروياني لما عبر له رؤيا ، ورأى أن بحره قد صار وشلاً واستحيا :

كم مُقْفَلٍ ضلَّ فيه العَقْلُ فانْفَرجَتْ أرجاؤه لحجاه عَنْ معانيه
يفتي فيروي غليل الدين من حَصَرٍ أدناه نقلاً وقد شطت مراميه
ومونقٍ قد سقاه غيث فطنته مُزناً أيادي رياح الفكر تَمْرِيه

وأما الأصول : فلو رآه ابن فُوْرك[1] لفرك عن طريقته ، وقال بعدم المجاز إلى حقيقته ، وإمامُ الحرمين لتأخر عن مقامه ، ورأى الرجوع عن الإرشاد من كلامه .

وأما النحو : فلو عاصره عنبسة الفيل[2] لكان مثل ابن عصفور ، أو أبو الأسود لكان ظالماً[3] ، وذَنْبُه غير مغفور .

وأما الأدب : فلو رآه الجاحظ لأمسى لهذا[4] الفن وهو جاحد ، أو الثعالبي لراغ عن تصانيفه ، وما اعترف منها بواحد .

وأما الطبُّ : فلو شاهده ابن سينا لما أطرب (قانونه) ، أو ابن النفيس لعاد نفيساً قد ذهب[5] نونه .

وأما الحكمة : فالنَّصير الطوسي عنه مخذول ، والكاتبي دبيران أدبَرَ عنه [وحدّه][6] مفلول .

---

(١) (س) : « فوك » ، سهو ، وهو أحمد بن موسى بن مَرْدويه (ت ٤١٠) السير : ٣٠٨/١٧ .
(٢) من أوائل النحويين ، وهو من تلاميذ أبي الأسود . انظر : البغية : ٢٣٣/٢ .
(٣) يشير إلى اسم أبي الأسود الدؤلي ، وهو : ظالم بن عمرو .
(٤) (س) : « بهذا » .
(٥) (س) : « ذهبت » .
(٦) زيادة من (س) .

وأما الشعر : فلو جاراه ابن سناء الملك فنيتْ ذخيرة مجاراته وحقائقه ، أو ابن الساعاتي ما وصل إلى درجه ، وانتهى[١] إلى دقائقه .

وأما الموشحات : فلو وصل خبره إلى الموصلي لأصبح مقطوع الذَّنب ، أو ابن زهر لما رأى له في السماء نجماً إلا هوى ، ولا برجاً إلا انقلب .

وأما البلاليق : فابن كلفة عنده يتكلّف ، وابن مُدَغليس يغلس للمسعي في ركابه وما يتخلّف .

هذا إلى غير ذلك من معارف وفنون كان لحواصلها عنده مصارف .

وكان رحمه الله تعالى محظوظاً ، وبعين المحبة ملحوظاً ، قلّ أن وقع بينه وبين أحد وما عاد له ولياً ، وأصبح لسامرته نجياً . وقع بينه وبين الأعسر ، وكان[٢] إذا رآه ينسر ، ووقع بينه وبين الأفرم ، ثم أصبح عنده وهو الأعزّ الأكرم ، وغضب السلطان الملك الناصر محمد عليه غضباً لا يقوم له غَيْرُ سفك دمه ، ثم أصبح عند رؤيته وهو لا يمشي إلا على قدمه .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل ابن المرَحّل إلى دار القرار ، وأصبح سيف[٣] لسانه وهو مفلول الغرار[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة نهار الأربعاء رابع عشري ذي الحجة سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودفن بالقرب من الشيخ محمد بن أبي جمْرَة[٥] بتربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش بالقرافة .

(١) (س) : « ولا انتهى » .
(٢) (س) : « ثم كان » .
(٣) (س) : « سيف » .
(٤) غرار السّيف : حدّه .
(٥) في الأصل :« حمزة » تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والدرر والدارس ، وانظر ، الوافي : ١٨١/١١ .

ومولده في شوال سنة خمس وستين وست مئة بدمياط ، وقيل : بأشموم .

ورثاه جماعة من الأفاضل[١] ، وتأسف الناس عليه .

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شمس الدين محمد بن داود ابن الحافظ ناظر جيش صفد[٢] يرثيه :

مـا مـات صَـدْرُ الـدين لكنّـه ... لمّـا غَـدَا جَـوْهَرَةً فـاخره
لم تعرفِ الـدنيـا لـه قيمـةً ... فعجّـل السير إلى الآخره

قلت : وهو مأخوذٌ من قول الأول :

قـد كان صـاحبُ هـذا القبر جـوهرةً ... غرّاء قد صاغها البـاري من النُطَف
عـزّت فلم تعرف الأيّـامُ قيمتهـا ... فردّهـا غيرةً منـه إلى الصّـدف

ونشأ الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى بدمشق ، ونبغ وظهر واشتهرت فضائله ومناظراته ، ودرّس بالمدارس الكبار ، واشتهر صيته . ولَمّا دخل الناس في الجفل أيام[٣] غازان وعلماء الشام كبارهم وصغارهم ، فلم يقعد صدر الدين ثلاثة أيام حتى أعطي تدريس المشهد فيما أظن .

وكانت له وجاهة وتقدّم عند الدولة ، ونادم الأفرم وغيره ، وركب[٤] البريد إلى مصر في أيام الجاشنكير ، واجتمع هو وابن عدلان[٥] وأفتوا بأنّ الملك الناصر محمد لا يصلح للملك ، ورُمي بأنّه نظم قصيدة هجا بها السلطان ، ومن جملتها :

(١) (س) : « من الناس الفضلاء » .
(٢) سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) في الأصل : « إلى مصر أيام » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) (س) : « وركب على » .
(٥) (س) : « وابن عدلان وغيرهما .

مـــا للصبي ومـــا للملـــك يطلبـــه   إن المراد من الصبيـــــان مَعْلُـــوم

وعمل أعداؤه إلى أن أوصلوا القصيدة إلى السلطان ، فكانت في سولفه[١] يخرجها كل يوم ، ويقرؤها ، وأراد الصاحب فخر الدين بن الخليلي القبض عليه تقرّباً إلى الملك الناصر ، فلما أحسّ بذلك هرب هو إلى السلطان ، وجاء إليه وهو على غزّة ، حكى قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، قال : « بينما أنا جالس عند السلطان بغزة فإذا بالأمير سيف الدين بكتمر الحاجب قد دخل ، وقال : يا خوند صدر الدين بن الوكيل فقال : يحضر فلمّا دخل به بكتمر الحاجب قال له : بُس[٢] الأرض ، فقال : مثلي [ما][٣] يبوس الأرض إلا لله تعالى . فقال[٤] : فجمعت ثيابي لئلا تلحقني طراطيش[٥] دمه ، لما نعلمه من أنفاس السلطان فيه ، فقال له : والك ، أنت فقيه تركب على البريد ، وتروح من دمشق إلى مصر لتدخل بين الملوك وتغير الدول وتهجوني ؟ فقال : حاشى لله يا خوند ، وإنما أعدائي وحسّادي نظموا ما أرادوا على لساني ، ولكن هذا الذي قلته أنا ، وأخرج قصيدة تجيء مئة[٦] بيت ، وأنشدها في وزن تلك ورويّها ، فأعجب السلطان وعفا عنه[٧] .

قال جلال الدين : ولما أصبحنا وسارت العساكر والجيوش والسلطان رايح وإلى جانبه صدر الدين بن الوكيل ، فتعجبنا من ذلك ، ولما عاد إلى مصر ، وطلبه[٨] من

(١) كذا في الأصل ، وفي (س) : « سواقه » ، ولم نهتد إلى مراده .

(٢) (س) : « بوس » .

(٣) زيادة من (س) ، وفي الدرر : « لا » .

(٤) (س) : « قال » .

(٥) أي رذاذ عامية .

(٦) (س) ، والدرر : « مئتي » .

(٧) قوله : « فأعجب ...عنه » ليس في (س) .

(٨) (س) : « وطلبه السلطان إلى مصر » .

حلب ، عظّمه السلطان[١] ، كان إذا رآه وعليه الخلعة يقول : الله ! إن هذا صدر الدين إلا[٩] شكل مليح مُجمّل[٢] التشاريف التي يلبسها .

وقد جرى له مع السلطان في قضية البكري[٣] ماجرى ، وخلصه منه بعدما أمر بقطع لسانه . وقد ذكرت ذلك في ترجمة البكري .

وباشر بدمشق مدارسها الكبار ، ودار الحديث الأشرفية والشامية البرّانية والجوانية والعذراوية ، والخطابة بالجامع الأمويّ ، ولكنه لم يُصَلِّ في المحراب إلاّ يومين ، حتى قام الشيخ تقي الدين بن تيمية وغيره من المتعصبين عليه حتى عزل ، وأثبت قاضي القضاة شمس الدين الحريري محضراً بعدم أهليته للخطابة .

وكان الشيخ صدر الدين في القاهرة لما توفي زين الدين الفارقي خطيب الجامع الأموي في تاريخ وفاته على ما يأتي في ترجمته ، وكان الأفرم غائباً في الصيد ، فلما عاد عيّن الشاميّة ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وعيّن الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن ابن الشريشي ، وعيّن الخطابة للشيخ شرف الدين الفزاري ، وأمَرَه بالإمامة والخطابة ، فباشر وخطب جمعتين ، ولازم الإمامة عشرة أيام ، فوصل البريد يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة[٤] ومعه توقيع بجميع جهات الشيخ زين الدين للشيخ صدر الدين بن الوكيل مضافاً إلى ما بيده من المدرستين ، فشق على الناس خروج الشيخ شرف[٥] الدين من الخطابة بعد مباشرته وكماله وصلاحه وجودة قراءته وحُسن أدائه[٦] ، ووصل الشيخ صدر الدين بعد ذلك على البريد ، وسلّم على الأفرم بالقصر ، وحضر إلى الجامع ، ودخل إلى دار الخطابة ، وهنأه

(١) ليست في (س) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) في (س) والدرر : « يجمل » .
(٤) علي بن يعقوب بن جبريل (ت٧٢٤هـ) .
(٥) البداية والنهاية : ٢٨/١٤ .
(٦) في الأصل : « زين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، والبداية والنهاية ٢٨/١٤ .

الناس على العادة ، وصلّى بالناس العصر ، وبقي يومين يباشر الإمامة ، فأظهر جماعة التألم من خطابته ، واجتمعوا بالأفرم ، فمنعهُ من الخطابة ، وأقرّه على المدارس الثلاثة . ثم إنه وصل[١] توقيع بالخطابة للشيخ شرف الدين من القاهرة . ثم إن الشامية البرانية انتُزعت منه أيضاً للشيخ كمال الدين ابن الزملكاني .

وفي أيام قراسنقر ونيابته على[٢] دمشق قام على صدر الدين جماعة من الفقهاء ، ونازعوه في المدارس التي بيده ، وحصل له من قراسنقر أذى كثير[٣] ، وخاف على نفسه منه ، فتوجه إلى قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي ، وطلب منه الحكم بإسلامه ، وحقن دمه ، وإسقاط التعزير عنه ، والحكم بعدالته واستحقاقه المناصب [فحكم له بذلك][٤] ، ثم ورد المرسوم من مصر بعزله من سائر جهاته ، وبقي[٥] بطالاً .

ولَمّا فرغ شهر رمضان سنة عشر توجَّه إلى حلب ، وأقبل عليه أسندمر نائب حلب إقبالاً زائداً ، وطلبه يوماً قبل صلاة الجمعة ، وسأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى ﴾[٦] فقال : الوقت يضيق عن هذا ، لأن هذه الآية يحتمل تفسيرها ثلاثة أيام ، فوهبه نسخة مليحة (بأسد الغاب في ذكر الصحاب) لابن الأثير[٧] ، وأقام بحلب عشرة أشهر فقال : الذي حصل لي من مكارمات الحلبيين في هذه المُدَّة أربعون ألف درهم . ولَمّا جاء أرغون الدوادار إلى حلب كان عنده ربعة مليحة إلى الغاية[٨] فقدّمها له ، فقال أرغون[٩] : يا شيخ هذه ما تصلح إلا للسلطان ، وإذا عدتَ إلى مصر

(١) (س) : « ثم عاد وصل » .
(٢) (س) : « في » .
(٣) في الأصل : « كثيراً » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) زيادة من (س) ، وعبارة الدرر : « ففعل » .
(٥) في (س) زيادة : « بدمشق » .
(٦) النجم : ١/٥٣ .
(٧) في الأصل : « لابن الزبير » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في (س) زيادة : « وهبها له أسندمر » .
(٩) ليست في (س) .

ذكرتُها للسلطان الملك الناصر[١] ، وطلبتك فوفي له بما وعده ، ودرّس بمصر بالمشهد الحسيني وبالزاوية المعروفة بابن الجميزي ، ولمّا قدم مصر [في الجفل][٢] أفهم أمراء الدولة أنّه ليس في مصر مثله ، وادّعى علماً كبيراً[٣] ، وطلب المناظرة ، وحضر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وكان صدر الدين قد رتب شيئاً ، فلما شرع فيه قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد : هذا كلامٌ مُعَبّأ[٤] ، وقال : يقرأ شخص آية فقرأ شخص آية ، وذكر الشيخ سؤالاً ، فشرع صدر الدين يتكلم ، فانتدب له عز الدين النمراوي ، فقال له الشيخ تقي الدين : التزم[٥] هذا يا عزّ ، هذا جيد . وانفصل المجلس ، والشيخ صدر الدين مغلوب .

ولما عاد إلى القاهرة بعد مجيء الناصر من الكرك ولاّه السلطان الملك الناصر تدريس الناصرية بين القصرين ، وهو[٦] أول من درّس بها ، وجهّزه السلطان الملك الناصر رسولاً إلى مهنّا ، فقال : حصل لي في هذه السفرة ثلاثون ألف درهم . وأظنه توجّه إليه مرتين في سنة ثلاث عشرة[٧] ، وجمع كتاب (الأشباه والنظائر)[٨] ومات ولم يحرره ، فلذلك ربما وقعت فيه أغلاط . قال مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي مثل حكايته عن بعض الأئمة وجهين فيما إذا كشف عورته في الخلاء زائداً على القدر المحتاج هل يأثم على كشف الجميع أو على القدر الزائد . وهذا لم نره في كتاب ويشبه أن تكون زلة قلم إلى غير ذلك .

---

(١) قوله : « الملك الناصر » ليس في (س) .

(٢) زيادة من (س) ، وفيها : « الحفل » ، تصحيف ، وقد مرّت .

(٣) في (س) : « كثيراً » .

(٤) أي : مهيّأ ومجّهز .

(٥) (س) : « أكرم » ، والدرر : « الزم » .

(٦) (س) : « فهو » .

(٧) (س) : « وسبع مئة » .

(٨) في الفقه ، كما في الوافي .

وكان شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله تعالى يثني[١] عليه ويقول : فاضل عصره[٢] . قال : دخلت عليه في المرض الذي توفي فيه رحمه الله تعالى ، فقلت له : كيف تجدك ؟ وكيف حالك ؟ فأنشدني :

ورجعت لا أدري الطريق من البكا رجعتْ عداك المبغضون كرجعي[٣]

وكان ذلك آخر عهدي به .

وقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : كان ابن الوكيل عارفاً بالطب[٤] علْماً لا علاجاً ، فاتفق أن شكا إليه الأفرم سوء هضم ، فركّب له سفوفاً ، وأحضره ، فلما استعمله أفرط به الإسهال جداً ، فأمسكه مماليك الأفرم ليقتلوه ، فأُحضر أمين الدين سليمان الحكم لمعالجة الأفرم ، فعالجه باستفراغ بقيّة المواد التي اندفعت ، وحركها الشيخ صدر الدين ، وأعطاه أمراق الفراريج ، ثم أعطاه المُقَبِّضات حتى صلحت حاله . ولما عاد الأفرم إلى وعيه سأل عن الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فأخبره المماليك ما فعلوه به ، فأنكر ذلك عليهم ، وقال : أحضروه ، فلما حضر قال : يا شيخ صدر الدين جئت أروح معك غلطاً[٥] ، وهو يضحك . فقال له سليمان الحكيم : يا صدر الدين اشتغل بفقهك ، ودع الطب فغلَطُ المفتي يُستدرك ، وغلَطُ الطبيب ما يستدرك ، فقال الأفرم : صدقّ لك لا تخاطر . ثم قال لمماليكه : مثلُ صدر الدين ما يُتّهم : والله الذي جرى عليه منكم أصعب من الذي جرَى عليّ ، وما أراد والله إلا الخير . فقبّل يده ، وبعث إليه الأفرم لَمّا انصرف جملة من القماش والدراهم .

(١) (س) : « يعظمه ويثني » .

(٢) قوله : « ويقول ... عصره » ليس في (س) .

(٣) (س) : « ورجعت » ، وفي الأصل : « المبغضين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي الدرر : « المغضبون » .

(٤) (س) والوافي : « بالطبّ والأدوية » .

(٥) عبارة الوافي : « جئت تروحني غلطاً » .

وأخبرني أيضاً قال : كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول عنه : ابن الوكيل ما يرضى[١] لنفسه أن يكون في شيء إلا غاية ، ثم يُعدّد أنواعاً من الخير [والشر][٢] فيقول : كان في كذا غاية ، وفي كذا غاية . انتهى .

قلت[٣] : وكان فيه لعب[٤] ولهو ، ومع ذلك فحكى لي عنه جماعة ممن صحبه ونادمه في خلواته أنهم إذا فرغوا من حالهم قام وتوضأ ولبس قماشاً نظيفاً وصلى وبكى ومرّغ وجهه على الأرض والتراب ، وبكى حتى بلّ[٥] لحيته بدموعه ، واستغفر وسأل الله[٦] التوبة والمغفرة ، حتى قال بعضهم : لقد رأيته قد قام من سجوده ولصق بجدار الدار كأنه أسطوانة ملصقة . وكان إذا مرض غسل ديوانه .

وكان قادراً على النظم من القريض والموشح والزجل والبلّيق والدوبيت والمواليّا والكان وكان ، لا يفوته شيء ولا يعجزه ، وهو في جميع هذه الأنواع مطبوع ، له غوص على المعاني ، ومع ذلك فكان ينتحل أشياء ويدّعيها .

حكى لي شيخنا الحافظ ابن سيد الناس ، أنشدني مرّةً قصيدةً عينيّة منها قوله[٧] :

يارِبَّ جَفني قد هجاه هجوعه ....

....

ومنها :

يارِبَّ بدْرُ الدين غاب عن الحمى فمتى يكون على الخيام طلوعه[٨]

(١) في (س) والوافي : « ما كان يرضى » .
(٢) زيادة من (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « قال » . وأثبتنا ما في (س) وما يتفق مع مصادر ترجمته .
(٤) (س) : « علم » .
(٥) (س) والوافي : « يبلّ » .
(٦) في الوافي : « ويستغفر ... ويسأله » .
(٧) في (س) زيادة : « أولها » .
(٨) (س) : « التم » .

قال : ثم إني اجتمعت بالشهاب العَزازي ، وأنشدته إياها ، فقال : هذه لي ، وأنشدني إياها من أولها إلى آخرها . انتهى .

قلت : ولما عمّر السلطان الملك الناصر محمد القصر الأبلق بقلعة الجبل دخل إليه الشيخ صدر الدين ، وأنشده :

لولاك يا خير من يمشي على قدم　　خاب الرجاء وماتت سُنّةُ الكرم

منها :

بَنَيْتَ قصراً قضى بالسعد طالعه　　قامت لهيبته الدنيا على قَدَم

وهذه القصيدة بجموعها لابن التعاويذي ، وهي في (ديوانه) ، وإنما ابن التعاويذي قال : « بنيت داراً » ، فغيّره ابن الوكيل ، وقال : « بنيت قصراً » .

وشاع عنه أنه كان ينظم الشاهد على ما يدّعيه في الوقت وينشده ، من ذلك قال شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عمّن أخبره قال : ادعى ابن الوكيل يوماً في الطائفة المنسوبة إلى ابن كرّام أنهم الكرامية ـ بتخفيف الراء ـ فقال الحاضرون : المعروف فيهم بتشديد الراء ، فقال : التخفيف ، والدليل عليه قول الشاعر :

الفقه فقهُ أبي حنيفة وحده　　والدين دين محمد بن كرامِ

واستمرت هذه الحكاية في ذهني ، وأنا لا أشك في أنه وضعه ، فما كان بعد مدة[1] ظفرت ببيتين من شعر المتقدمين وأولها :

إن الذين بجهلهم لم يقتدوا　　في الدين بابن كرام غير كرام[2]

(١) (س) : « مدّة مديدة » .
(٢) في الوافي : « لا يعتدوا في الدين » .

فاستغفرت الله تعالى من ذلك الخاطر ، وسألت الله تعالى له المغفرة والرحمة ، وكان ظفري بهذين البيتين في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وما يبعد أنه كان يجازف في النقل وأخذه .

قيل : إنّه دخل إلى الأفرم يوماً ، وقال : ياخُوند أنا أنقل للأسد ثلاثة آلاف اسم .

قلت : وهذا مبالغة عظيمة ، والذي وقفت أنا عليه في مجموع للأسد خمس مئة اسم ، ولولده الشبل ثلاث مئة اسم الجملة ثمان مئة اسم .

والجيِّدُ من شعره طبقة عليا ، على أن شعره يقع فيه اللحن الخفي ، على أنه بلغني عن مجد الدين التونسي أنه قال يوماً : مااجتمعت بالشيخ صدر الدين إلا واستفدت منه فائدة في العربية ، ولَمّا توجه إلى حلب وجد شيخنا علم الدين طلحة[1] مستحضراً للعربية جيداً ، لكنه كان يعرف (الحاجبّية) و (شروحها) ، وهي دائرة ضيقة ، فأخذ الشيخ صدر الدين (شرح السيرافي) (لكتاب سيبويه) ، وأخذ يطالعه وينقل منه ماطمّ طلحة ، وغطاه . وسبب اللحن الخفي الذي كان يقع له إنما اشتغل بالنحو وهو كبير السن ، والنحو علم صغر يحتاج إلى أن يمتزج باللحم والدم ، وأنشدني كثيراً من شعره[2] الشيخ شهاب الدين العسجدي[3] ، وقال : كنت معه . وكانت ليلة عيد ، فوقف له فقير ، وقال : شيء لله ؟ فالتفت إليَّ وقال : إيش معك ؟ فقلت : مئتا درهم . فقال ادفعها إلى هذا الفقير . فقلت له : ياسيدي الليلة العيد ، ومامعنا ماننفقه غداً . فقال لي : امض ا إلى القاضي كريم الدين ، وقل له : الشيخ يهنئك بهذا العيد . فدفع إليّ ألفي درهم ، وقال : هذه للشيخ ، وكأنّه يعوز نفقة في هذا العيد ، ولك أنت

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « شعر » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت٧٥٧هـ) . الشذرات : ٦/١٨٤ .

ثلاث مئة درهم ، فلما حضرت بالدراهم من عند كريم الدين إلى الشيخ ، قال : صدق رسول الله ﷺ ، الحسنة بعشرة ، هذه[١] مئتان بألفين .

وكان هذا شهاب الدين العسجدي والقاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم المستوفي ، وكانا به خصيصين ، وحكيا لي عن مكارمه وعن صدقاته وبره للفقراء والصالحين أمراً عظيماً[٢] ، وحكى لي عن أوائل عشرته أنها تكون في غاية اللطف والإقبال الزائد على صاحبه ، ثم إذا طالت استحال ، ولهذا قال فيه بعضهم :

وداد ابن الوكيل له مثال كلبّا دين جُلّق في المسالك[٣]
فأوّله حليّ ثم طيبٌ وآخره زجاج مع لوالك

وجمع موشحاته ، وسماه (طراز الدار) ، وهذه تسمية بديعة ، قلب فيها [تسمية][٤] موشحات ابن سناء الملك ، لأنه سمي ديوانه (دار الطراز) .

ومن شعره - وهي من غرر قصائده :

ليذهبوا في ملامي أيّةً ذهبوا في الخمر لا فضّةٌ تبقى ولا ذهب
والمال أجمل وجه فيه تصرفه وجهٌ جميل وراحٌ في الدجى لهب[٥]
لا تأسفن على مالٍ تمزّقه أيدي سقاةِ الطلا والخرّد العرُب

---

(١) ليست في (س) والوافي .

(٢) ما وقع في الأصل من قوله : « وكان هذا شهاب .. » حتى ههنا بادي الركاكة واضطراب العبارة . والذي في (س) هو : « وأنشدني كثيراً من شعره الشيخ شهاب الدين العسجدي والقاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم المستوفي ، وكانا به خصيصين ، وحكيا لي عن مكارمه وعن صدقاته وعن برّه للفقراء واعتقاده في الصالحين أمراً عظيماً » ، ووقع كذلك اختلاف بين الأصل و (س) في ترتيب بعض أجزاء النص ههنا .

(٣) (س) والوافي : « له شبيه بلبادين » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) هذا البيت ليس في الوافي .

فما كسَوا راحتي من راحها حللاً ... إلا وَعرّوا فؤادي الهمَّ واستلبوا
راح بها راحتي في راحتي حصلت ... فتمّ عُجْبي لها وازداد لي العجب
أنْ ينبع الدر من حلوٍ مذاقته ... والتبر منسبك في الكأس ينسكب[1]
وليست الكيميا في غيرها وُجدت ... وكل ما قيل في أوصافها كذب[2]
قيراط خمرٍ على القنطار من حزن ... يعود في الحال أفراحاً وينقلب[3]
عناصر أربع في الكأس قد جُليَت ... وفوقها الفلك السيّار والشهبُ[4]
ماءٌ ونار هواءٌ أرضُها قدح ... وطوفها فلك والأنجم الحَبَبُ
ما الكأس عندي بأطراف الأنامل بل ... بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شَجَجْتُ بالماء منها الرأس موضحةً ... فحين أعقلها بالخمس لا عجب

قلت : لو لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر إلا هذا البيت لكان قد أتى بشيء غريب نهاية في البديع ، لقد غاص فيه على المعنى ، ودق تخيّله فيه ، وهذا شعرٌ فقيه .

وما تركت بها الخمس التي وجبت ... وإن رأوا تركها من بعض ما يجب
وإن أقطبّ وجهي حين تبسم لي ... فعند بسط الموالي يحفظ الأدب

قلت : وهذا البيت أيضاً بديع المعنى دقيقه ، وقد اعتذر عن تقطيبه بأحسن عذر ، وأوضحه ، وقد أشار إلى ذلك الشعراء وقبحوا فعله قال ابن أبي الحديد :

بالراح رح فهي المنى ... وعلى جماع الكاس كسْ
لا تلْقَها إلا ببشـ ... ـرِكَ ، فالقطوب من الدَّنس
ما أنصف الصهباء من ... ضحكت إليه وقد عبس

---

(١) في الوافي : « منسكب » .

(٢) في الوافي : « في أبوابها » .

(٣) (س) والوافي : « يعيد ذلك أفراحاً » .

(٤) (س) والوافي : « قد جُمعت » .

وإذا سكرت فغنِّ لي: «ذهب الرّقاد فما يُحَسّ»[1]

وما أحسن قول ابن رشيق :

أحب أخي وإن أعرضت عنه وقلّ على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راضٍ كما قطبتُ في وجه الْمُدام[2]

رجع القول إلى تتمة أبيات ابن الوكيل :

عاطيتها من بنات الترك عاطية لحاظها للأُسُود الغُلْب قد غلبوا
هيفاء جارية للراح ساقية من فوق ساقيةٍ تجري وتنسكب
من وجهها وتَثنّيها وقامتها تُخْشَى الأهلّة والقضبان والكثب
يا قَلْب أردافها مهما مررت بها قف لي عليها، وقل لي هذه الكثب[3]
تريك وجنتها ما في زجاجتها لكنْ مذاقته للريق تنْتسب
تحكي الثنايا الذي أبدته من حَبَبٍ لقد حكيت ولكن فاتك الشنب[4]

قلت : في هذه الأبيات تضمين أعجاز أبيات من القصيدة البائية التي لابن الخيمي ، وأولها :

يا مَطْلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصّي ، وانتهى الطلب[5]

وقد ذكرت القصيدة وما قيل في وزنها ، وواقعتها بين ابن الخيمي وابن إسرائيل في

(١) إشارة إلى مطلع قصيدة للأسود بن يعفر :

نام الخليّ فما أحسّ رقادي والهمّ محتضر لديّ وساري

انظر ، المفضليات : ٢١٦ .

(٢) في الأصل : « رأس المدام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) بعده زيادة في (س) ، والوافي :

وإن مررت بشعر فوق قامتها بالله قل لي كيف البان والعذب

(٤) في الأصل : « التي أبدته » ، وأثبتنا ما في الوافي . والبيت ليس في (س) .

(٥) في الأصل : « التقضي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي في ترجمة ابن الخيمي ، واسمه محمد بن عبد المنعم (ت٦٨٥ هـ) .

ترجمة ابن الخيمي في (تاريخي الكبير)[١] .

ومن شعره صدر الدين رحمه الله تعالى :

سرى وسُتور الهمّ بالكاس تُهتكُ ... وساكن وجدي بالغناء يُحرك
فعاطيته كاساً، فحيّا بفضلها ... ومازج ذاك الفضل ريق مُمَسَّكُ
أرقتُ دم الراووق حِلاً لأنني ... رأيت صليباً فوقه، فهو مشرك
وسالت دموع العين منه وكلّما ... بكى بالدّما مما جرى منه أضْحَك
وزوّجت بنت الكرم بابن غَمامة ... فصحّ على التعليق والشرط أملك[٢]

وهذه القصيدة طويلة ، ولكن هذا أحسنُ ما فيها .

وقال أيضاً :

ياليلة فيها الأمان والمنى ... وكلما أطلبه تهيّا
لا تقصري فالصبح قد شربته ... مدامة عنقودها الثريّا[٣]

وقال أيضاً :

غازلْ وخُذ من نرجسٍ من لحظه ... منشور دمع كلّهنّ نظامُ
واحذر إذا بعث السلام إليك من ... نبت العِذار فإنه نّمامُ

قلت : أخذه من قول الأول :

لافتضاحي في عوارضه ... سببٌ والناس لُوّامُ
كيف يخفى ما أكابده ... والذي أهواه نّمام

(١) الوافي : ٥٠/٤ ومابعدها . وانظر فوات الوفيات : ٤١٣/٣ ـ ٤١٥ .
(٢) في الأصل : « غدامة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « عقودها » ، وأثبتنا ما في (س) .

وقال دوبيت :

كم قـال معـاطفي حكتهـا الأسـلُ ... والبيض سَرَقن مـا حـوتـه المقـل
الآن أوامري عليهـــــا حكمت ... البيض تُحَـدّ والقنـا تُعْتقـل (١)

وقال أيضاً :

عـانقت وبـالعنـاق يُشفَى الـوَجـد ... حتى شُفِي الصبّ ومـات الصَّـدّ
من أخمصــه لثا إلى وجنتــه ... حتى اشتكت القضب وضـجّ الـورد

وقال أيضاً :

بكفّ الثّريا وهي جَـذْمَـا تقـاسُ لي ... شقاق دجًى مُدّت من الشرق للغرب
ولـو ذرعـوهـا بـالـذراع لمـا انتهت ... فـما تنقضي يـاليـل أو ينقضي نحبي

قلت : أخذه من قول الأول :

كأن الثريـا راحـة تشبُر الـدجى ... ليعلم طـال الليـل أم قـد تعرضّـا
فَلَيْـــلٌ تراه بين شرق ومغرب ... يُقـاس بشبرٍ كيف يُرجى لـه انقضـا

وقال :

راحٌ بهـا الأعمى يرى مـع العمى ... وهـاك بُرهـاناً على هـذي المِنَح (٢)
الخمر لـلأقــداح قلب دائمـاً ... والحدَق انظرهـا تجـد قُلْبَ القـدح (٣)

وقال :

كأنمـا البــدر خـلال السما ... من فـوق غيم ليس بــالكاب
طراز تِبْر في قبـــا أزرق ... من تحتــه فروة سنجـــاب

(١) في الوافي ، والنجوم : « عليهم » .
(٢) في الوافي : « للدح » .
(٣) (س) : « دائم » . وقلب أي مقلوب كلمة (قدح) .

وقال :

وعـارضٌ قـد لام في عـارض　　وطـاعنٌ يطعن في سنّـه
وقـائـل قـد كبرت ذقنـه　　فقلت : لا أفكر في ذقنـه[١]

وقال :

شب وجـدي بشـائب　　من سنـا البـدر أَوْجَـهُ
كلّما شـاب ينحني　　بيّض الله وجهـه

وقال في مليح به يَرَقان :

رأيت في طَرفـه اصفراراً　　سَبَى فـؤادي فقلت : مهـلا
أيـا مليـك المـلاح حسنـاً　　العفـو من سيفـك المحَـلا[٢]

قلت : هو مثل قول الوَدَاعي ، وفيه زيادة :

قـال قـوم : قـد شـانـه يرقـان　　قُلْتُ : أخطـأتم وحـاشى وكـلاّ
إنمـا الخـدّ واللـواحـظ منـه　　مصحف مُـذّهب ، وسيف محلّى

ذكرت أنا هنا باليرقان ما قلته ، وقد حصل لي يَرَقـان ، وطوّل في مـدتـه في سنـة خمس وخمسين وسبع مئة :

يـا يرقـانـاً زاد في مكثـه　　أمرضْتَ مني الجسم والنفسـا
أبـدلتني بـالـدال سينـاً ومـا　　أقبـح ورداً قـد غـدا ورسـا[٣]

وقلت أيضاً :

(١) (س) : « قد طلعت » .
(٢) (س) والوافي : « مليك الأنام » .
(٣) في الأصل : « بالدال شيئاً » ، وأثبتنا ما في (س) .

صَفّرني ذا اليرقــــان الـــــذي بمثلــــــه الأسقـــــام لم تظهر
ينفر من يبصرني مُقبـــــــــــلاً حتى كأني من بني الأصفر

وقلت :

تصـــدّق خــلاني عليّ بصحـــــة تسُرّ وأعفـاني زمـانـاً وعــافــاني
ومرّ على غيري سقــــامٌ وصحـــــة ولم يُرقـــان مثـلَ ذا يرقــــاني

وقلت من أبيات :

مــــا ترى علّتي التي قــــد عرتني وبرتني بري المُــدَى القــاطعــات
فصفــــاري هـــــذا وأبيض شيبي نرجس للنفـــــوس غير مــــوات
ثم عنــــدي تشبيـــــه شيبي بتمٍ قـــد غـــدا نـــاظراً بعين البُــزاةِ

ومن شعر الشيخ صدر الدين -وهو عجيب ـ:

وبي مَن قسـا قلبـاً ولان معــاطفـاً إذا قلت أدناني يضـاعف تبعيـدي
أقرّ برقٌ إذ أقــول أنــــا لَــــهُ وكم قـالها أيضاً ولكن لتهـديـدي

قلت : من أعجب مـا مر بي أن البـاخرزي في (دميـة القصر) لما ذكر في ترجمـة الفقير أبي نصر عبد الوهاب المالكي أورد فيها قول الشيخ أبي عامر الجرجاني :

عـــذيري من شـــادن أغضبـوه فجرّد لي مُرهفــــاً فــــاتكا[1]
وقـال أنـا لـك يـا بن الـوكيـل وهـــل لي رجـــاء ســـوى ذلكا

أيها الـواقف أنعم النظر فيا أوردتـه ، وتعجب من هـذا الاتفـاق ، كـون صـدر الدين بن الوكيل أخذ هذا المعنى الـذي لـه من قول الجرجـاني ، والجرجـاني أتى بـالقول الموجب في بيتيه خفيّاً ، لأنـه قـال : « غضب ، وجرّد المرهف » ، وقـال : « أنـا لـك

(١) في الوافي : « باتكا » .

يا بن الوكيل ، وهذا[١] بقرينة تجريد المرهف تهديد[٢] ، فقلب الجرجاني ، وقال بموجبه ، ونقله إلى التمليك ، فأخذه صدر الدين ، وأتى به واضحاً جليّاً صريحاً ظاهراً ، ومحل التعجّب قوله : « أنا لك يابن الوكيل » ، كأنّ هذا المعنى قال : « أنا لك يا بن الوكيل » تنظمني فتجيء أحسن وأبين ، وتكون أنت أحق بي من الجرجاني ، وهذا اتفاق غريب[٣] إلى الغاية ، ما مر بي مثله ، والظاهر أن الشيخ صدر الدين لَمّا وقف على هذا المعنى تنبّه له[٤] [فكان له][٥] ، وهو به أحق ، وهذا المعنى قد ابتكره الجرجاني أبو عامر ، وترك فيه فضلة ، فجاء الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى ، وأخذه وجوّده ، ولم يبق لأحد معه مطمع إلى زيادة ، ولا مطمح[٦] في إفادة ، وما بقي إلاّ الاختصار فقط[٧] ، فلهذا قلت أنا فيه مختصراً :

قال حبّي أنا لَهُ ... ولكم قلتُ سرمدا
أنا للملك قلتها ... وهو للغيظ هدّدا

وقال الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى :

معطّف على مهجة ظاميه ... وتقذفها عَبْرة هاميه
فقد طال سقمي ، فقل لي متى ... تجيء إلى عبدك العافيه
وأرخصتَ دمعي يوم النوى ... لأجل سوالفك الغاليه
فصبراً على ما قضى لم أقل ... فيا « ليتها كانت القاضيه »[٨]

(١) (س) : « وأخذ » .
(٢) في الوافي : « لفظ تهديد » .
(٣) (س) والوافي : « عجيب » .
(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) زيادة من (س) والوافي .
(٦) (س) والوافي : « مطمح ... ولا مطمع » .
(٧) (س) والوافي : « إلاّ اختصار ألفاظه فقط » .
(٨) اقتباس من سورة الحاقة : ٢٧/٦٩ .

ونحن عبيـــــدك ذُنْبنـــا أسىً　فرفقـــاً على رقـــة الحـــاشيـــه
فقـــال: بعيني أقيـــك الردى　فقلت: على عينـــك الـــواقيـــه
فشنَّف سمعي بهـــذا الحـــديـ　ـث فما ذكرت قرطهـا مـاريـه[(١)]
فيـا عـاذلي لـو دعـاك الهـوى　لقـد كنت تسمـع يـاساريـه[(٢)]

واشتهر شعر الشيخ صدر الدين في حياته كثيراً، وتناقله الناس، وتداولوه، وممّا اشتهر له من الموشحات قوله يعارض السرّاج المحّار، وهو:

ما أخجل قدّه غُصُون البانْ　بين الـــورق　إلّا سلب المهـامع الغـزلان　سود الحـدق[(٣)]
قاسوا غلطاً من حاز حُسن البشر
بالبدر يلوح في دياجي الشَّعر
لا كيد ولا كرامة للقمر
الحبّ جمالُه مدى الأزمان　معنـــاه بقي　وازداد سناً وخُصّ بالنقصان　بـــدر الأفـــق
الصحّة والسقام من[(٤)] مقلته
والجنة والجحيم في وجنته
مَنْ شاهده يقول من دهشته:
هذا وأبيـك فرّ من رضوان　تحت الغســق　للأرض يُعيذه من الشيطان　ربُّ الفلـــق
قد أنبته الله نباتاً حسنا[(٥)]

---

(١) مـاريـة بنت الأرقم بن ثعلبة، أو بنت ظالم بن وهب، يضرب المثل بقرطيهـا، يقـال: خـذه ولـو بقرطي مـاريـة، ولا تبعه ولـو بقرطي مـاريـة، انظر: تـاج العروس (قرط)، ومجمع الأمثـال: ٢٢١/١ .

(٢) يشير إلى القول المأثور للخليفة عمر رضي الله عنه: « ياسارية الجبل الجبل » .

(٣) (س) والوافي: « حسن الحدق » .

(٤) في الوافي: « في » .

(٥) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً ﴾ [آل عمران: ٣٧/٣] .

وازداد على المدى سناء وسنا
من جادَلَهُ بروحه ما غُبِنَا

قد زيّن حسنه مع الإحسان حسن الخلق لو رمت لحسنه مليحاً[١] ثاني لم يتَّفِقِ

في نرجس لحظه وزهر الثغر
روض نضر قطافه بالنظر
قد دبّج خده نبات[٢] الشعر

فالورد حماه[٣] ناعم الريحان بالطل[٤] سُقي والقد يميل ميلة الأغصان للمُعْتَنِق

أحيا وأموت في هواه كمدا
من مات جوىً في حبه قد سُعدا
ياعاذلُ لا أترك وجدي أبدا

لا تعذلني فكلما تلحاني زادت حُرقي يستأهل من يهمّ بالسلوان ضرب العنقْ

القدّ وطرفه قناة وحسام
والحاجب واللحاظ قسي[٥] وسهام
والثغر مع الرضاب كاس ومُدام

والدر منظّم مع المرجان في فيه نقي قد رُصّع فوقه عقيق قاني نظم النسق

قلت : لا يخفى على الفطن ما فيه من اللحن الخفي والألفاظ النازلة ، وقد تكررت من لفظة « ثان » . ولمّا وقف الشيخ تقي الدين بن تيمية على هذا الموشح وانتهى إلى قوله : يستأهل من يهم بالسلوان ضرب العنق قال : لا يا شيخ صدر الدين ، يستأهل من يقول بالصبيان .

(١) في الوافي : « شبيهاً » .
(٢) في الوافي : « بنبت » .
(٣) في الوافي : « حواه » .
(٤) في الوافي : « بالظل » .
(٥) في الوافي : « قوس » .

وأما موشحة السراج المحّار فهي :

مُذْ شِمْتُ[١] سنا البروق من نعمان باتت حدقي تذكي[٢] بسيل دمعها الهتان نار الحرق

ما أومض بارق الحمى أو خَفَقا

إلاّ وأهاج لي البُكا والأرقا[٣]

هذا سبب لمحنتي قد خُلقا

أمسي لوميضه بقلبي العان[٤] بادي القلق لا أعرف[٥] في الظلام ما يغشان غير الأرق

أضنى جسدي فراقُ إلفٍ نزحا

أفنى جلدي ودَمْعُ عيني نَزَحا

كم صِحْتُ وزَنْدُ لوعتي قدْ قدحا

لم تُبق[٦] يد السقام من جثماني غير الرمق ما أصنع والسلوّ مني فان والصبر[٧] بقي

أهوى قمراً حلو مذاق القُبل

لا[٨] يُكحل طرفه بغير الكحل

تركيّ اللحظ[٩] بابلي المَقل

زاهي الوجنات زائد الإحسان حلو الخُلق عذْبُ الرشفات ساحرُ الأجفان ساجي[١٠] الحدق

ماحطّ لثامه وأرخى شعرَه

(١) في الأصل : « شممت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الأصل :« تطفي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) (س) والوافي : « إلاّ وأجدّ لي الأسى والحرقا » .
(٤) (س) والوافي : « بقلب عان » .
(٥) (س) والوافي : « لا أعلم » .
(٦) في الوافي : « تُبْدِ » .
(٧) (س) والوافي : « والوجد » .
(٨) في الوافي : « لم » .
(٩) في الوافي : « اللحظات » .
(١٠) (س) : « ساهي » .

أو هزّ معاطفاً رشاقاً نضره
ألا ويقول كلّ راءٍ[١] نظره
هذا قمر بـدا بلا نقصـان   تحت الغسَق   أو شمس ضحى في غُصنٍ فَيْنـان   غض الورق
ما أبدع معنىً لاح في صورته
إيناع عذاره على وَجْنته
لما سُقي الحياة من ريقته
فاعجب لبنات خدّه الرّيحـاني   من حيث سُقي   يضحى ويبيت وهو في النيران   لم يحترق

قلت : « لا يخفى على النـاظم أن هـذا أجزلُ ألفـاظـاً ، وأحكم من مـوشحـة صـدر الدين .

والسرّاجُ المحّار عارض بموشحته موشحة أحمد بن حسن الموصلي صـاحب الموشحـات المشهورة ، وهي :

مُذ غَرّدت الوُرق على الأغصان   بين الورق   أجرت دمعي وفي فؤادي العاني   أذكت حرقي
لّما برزت في الدوح تشدو وتنوح
أضحى دمعي بساحة السفح سفوح
والفكر نديمي في غبُوق وصبوح
قد هيّجت الذي به أضناني   منه قلقي   والقلب له من بعد صبري الفاني[٢]   والوجد بقي
ما لاح بريق رامةٍ أو لمعا
إلا وسحاب عبرتي قد هَمَعا
والجسم على المزمع هجري زَمَعا
بالنازح والنازح عن أوطاني   ضاقت طوقي   مـا أصنع قـد حملتُ من أحزاني   مـا لم أطق
قلبي لهوى ساكنه قدْ خفقا

(١) في الوافي : « رداء » .
(٢) في الأصل : « الغاني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

والوجد حبيسٌ واصطباري طلقا
والصامت من سرِّي بدمعي نطقا
في عشق منعّم من الولدان أصبحت شقي من جفوته ولم يَزُر أجفاني غيْرٌ الأرق
فالورد مع الشقيق مِنْ خَدَّيه
قد صانها النرجس منْ عينيه
والآس هو السياج من صدغيه
واللفظ وريق الأغيد الروحاني عند الحدق حلوان على غصن من المران غضٌّ رشِقِ
الصّاد من المقلة من حقّقه
والنون من الحاجب من عَرّقه
واللام من العارض من علقه
قد سطّره بالقلم الريحاني ربُّ الفلق . بالمسك على الكافور كالعنوان فوق الورق
الملحة لمع الصلت بالإيضاح
والغُرّة بالتبيان كالمصباح
والمنطق نثر الدرّ بالاصلاح
والثغر هو الصحاح كالعقبان كالعقد بقي[1] والرّد مع الخلاف كالسلوان[2] عنه خُلقي
ما أبدع وضع الخال في وجنته
خطّ الشكل الرفيع من نقطته
قد حيّر إقليدس في هيئته
كالعنبر في نار الأسيل القانِ للمنتشق فاعجب لعبير وهو في النّيران لم يحترق

قلت : في هذه الموشحة ألفاظ تحتاج معانيها إلى مشاحّة ، وموشحة الشيخ صدر الدين على كل حال خير منها ، وموشحة الحمّار خير من الاثنين .

---

(١) في الوافي : « نقي » .
(٢) (س) والوافي : « للسلوان » .

وقد خطر لي أنا نظم موشحة في هذه المادة ، وقد زدت الحشوات توشيحاً ، وهي :

ما هزّ قضيب قدّه الرّيان للْمُعْتَنِق إلا استترت معاطف الأغصان بين[1] الورق
أفدي قمراً لم يُبق عندي رَمَقاً لما رَمَقا
قد زاد صبابتي به والحُرَقا شوقاً وشَقَا
لو فوّق سهم جفنه أو رشقا في يوم لُقا
أبطال وغىً تميس في غُدْران نسج الحَلَق أبصرتهم في مَعْرَك الفرسان صرعى الحدق
بدْرٌ منعتهُ قسوةُ الأتراك رُحمىَ الشاكي
من ناظره حبائل الأشراك والإشراك
كم ضلَّ بها قبلي من النُّسَّاك والفتّاك
قاني الوجنات ينْتمي للقانِ صعب الخُلقُ إن قلت أموت في الهوى ناداني هذا يَسَقي[2]
كم جا جبينه الدجا فاقترضا صُبحاً فأضا
كم جرّد جفنُه حساماً ونضى والصبّ قضى
كم أودع ريقه فؤاداً مَرِضاً من جمر غضا
فاعجب لرُضابه شفا الظمآن يذكي حرقي والخدّ به الخال على النيران لم يحترق
يا خجلةَ خدّ الورد في جنته من وجنته
يا كسرة غصن البان في حضرته من خطرته
يا حيرة[3] بدر التمّ من عزّته في طُرّته
لا تعتقد الأقمار بالبهتان وسط الأفق أن تشبهه فليس في الإمكان ما لَمْ تُطِق
ما أسعد مَنْ أصابه بالحَوَر سهم النظر

(١) (س) والوافي : « تحت ».
(٢) أي : هذه شريعتي ، واليسق تعني القانون في المغولية .
(٣) في الوافي : « ياحسرة » ، وفي الوافي و (س) : « بدر الأفق » .

مـــــا أنعم من يصليـــــه نـــــار الفكر طـــــــــول العُمرِ
أو قيّـــــــــده الحب بقيـــــــد الشَّعَر عنـــــــــد السَّحَر
أو طوقه بذلك الثعبـان فوق العنق أو بـات بقفل صُـدغـه الريحـاني تحت الغَلق

قلت : والشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى قد عـارض المحّـار في أكثر موشحـاتـه ، فيَندُر له المطلع أو حشوه ، ثم إنه يسقط من الثريا إلى الثرى كقوله :

قـالـوا : سـلا واستردّ مضنـاه قلبـاً أخـذا لا والـذي لا إلـه إلا هـو مـا كان كـذا
عشقته كوكباً من الصّغر
أأترك الوجد وهو كالقمر
ديباج ديباجته بالشعر
زيدت طرازاً كالرقم بالإبر
لا والـذي زانـه وأعطـاه حسنـاً وشـذىً على البرايـا وإنـه[1] الله مـا كان كـذا
ولو تقاس الكؤوس بالثغر
وبالثنايا الحباب كالدّرر
لفضّل الثغر صحة النظر
والصّرف في مطعم وفي عطر
لو قيس مـا فـاق من حُمَيّـاه أو مـا نُبِـذا إلى رُضـابٍ حـوتـه عينـاه مـا كان كذا
كل دمٍّ الناس فوق وجنته
قد سفكتها سهام مُقْلته
العفو من نبلها وحدّته
لو صبّ بَهْرامُ كل جعبته

(١) (س) : « إنه » .

واختـار من نبلهـا ونقّـاه سهماً نفـذا في الأرض من خَرقِـه رَمَـايـاه مـا كان كـذا

وسُودَها يا حكيم(١) خذ بيدي

أمضى من البيض مع بني أسد

لو قيس ما فكّ مُحكم الزَرَد

من كل ماضي الغروب(٢) غير صَد

إلى حسام نضتـه عينـاه مَـاضٍ شحـذا على مسَنٍّ أبدتـه صـدغـاه مـا كان كـذا

قد سلب الظبي حسن لفتته

كما سبى الغصن حسن(٣) خطرته

والشمس خجلى من نور طلعته

والبدر في حسنه وبهجته

لـو قيس أيضاً إلى محيّـاه في الحسن إذاً حُفت بـه هـالـةً عـذاراه مـا كان كـذا

١٧٠١ ـ محمّد بن عمر بن إلياس*

شمس الدين أبو العز الرّهاوي ، ثم الدمشقي الكاتب .

سمع بمصر (صحيح) مسلم ، بفَوْت من ابن البرهـان ، وسمع من النجيب ، ومن ابن أبي اليسر ، وابن الأوحـد ، وطـائفـة . ودار على الشيـوخ ، وكتب الطباق ، وسمع الكتب وروى عنه شيخنا الذهبي في (المعجم) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وحضر جنازته قاضي القضاة جلال الدين القزويني وغيره من الأعيان .

---

(١) (س) : « يا حليم » .

(٢) (س) : « العروب » .

(٣) (س) : « بحسن » .

* الوافي : ٢٨٨/٤ ، والدرر : ١٠٣/٤ .

١٧٠٢ ـ محمّد بن عمر بن سالم*

العدل الفاضل ناصر الدين بن المشهدي المصري .

سمع من غازي الحلاوي ، وخلق ، وعُني بذلك ، وكتب الطباق ، وبرع في كتابة السجلاّت ، وحصّل منها جملة ، وأقام بدمشق مدة .

قال شيخنا الذهبي : وقد تكلموا في عدالته .

وتوفي رحمه الله تعالى كهلاً سنة بضع وعشرين وسبع مئة[١] .

١٧٠٣ ـ محمّد بن عمر بن محمد**

الشيخ الإمام المفنّن شمس الدين بن الخباز .

قرأ بدمشق قليلاً على الشيخ مجد الدين التونسي ، ثم قرأ على القحفازي وعلى ابن قاضي شهبة . وعلى الشيخ برهان الدين ، ثم توجّه إلى حلب ، وقرأ على الشيخ فخر الدين قاضي القضاة بن خطيب جبرين شيخنا ، وعلى شيخنا علم الدين طلحة ، ثم على الشيخ كال الدين بن الزملكاني ، وحفظ (التنبيه) و (المختصر) و (ألفية ابن مالك) و (الجرجانية) ، وباحث[٢] وناظر ، وأذن له ابن خطيب جبرين في الإفتاء .

كان جيد المناظرة ، فكه المحاضرة ، يستحضر كثيراً من المعقول ، ويورد جملة من المنقول ، وبحوثه مُتقنة محررة ، ونقوله بالأصول رياضها مزهرة .

وكان والده بدمشق خبازاً فسمت همته ، وعلت عَزْمته إلى أن دخل في عداد

* الوافي : ٤/٢٨٨ ، والدرر : ٤/١٠٦ .

(١) في الدرر أنه توفي سنة (٧٢٨ هـ) .

** الدرر : ٤/١١٤ .

(٢) (س) ، (خ) : « وبحث » .

الفضلاء ، وحشر في زمرة النبلاء ، وكانت يده شلاّء ، وعن البطش زلاّء . ولم يزل مصفّراً من أفواه العروق ، ووجهه كأنه الأصيل عند الغروب لا الضحى عند الشروق ، وكانت له قدرة على المحاكاة وقوة على التكيف(١) بمن خاصمه أو شاكاه(٢) .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء سيل المنيّة على أفواه عروقه ، وسدّ منه مجاري خروقه .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثاني عشري ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وكان يُعرف في دمشق بالحلبي ، وفي حلب بالدمشقي ، اجتمعت به غَيْرَ مرّة بدمشق وحلب ، وجرَت بيني وبينه مباحث عديدة ، وهو رفيقي في الاشتغال رحمه الله تعالى .

١٧٠٤ ـ محمّد بن عمر بن محمد بن عمر*

ابن الحسن ، الشيخ الجليل الفاضل الصدر العدل إمام الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شرف الدين أبي حفص بن خواجا إمام ، الفارسي الأصل ، الدمشقي .

سمع من جده وعمّ والده أبي بكر بن عمر ، والرضي بن البرهان التاجر الواسطي ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، وابن أبي اليسر ، وشمس الدين بن أبي عمر ، وجماعة .

(١) في الأصل : « وقدرة على التكلف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « بمن خاصمه أو جادله أو شكاه » .

* الدرر : ٢٠٤/٤ ، وفيه : « محمد بن محمد بن عمر » .

وحدث (بصحيح) مسلم و (موطأ) مالك رواية أبي مصعب عن [ابن][١] البرهان .

وكان معروفاً بالكفاءة والخبرة ، وخدم في عدة جهات ، وكان كثير [التلاوة][٢] .

توفي رحمه الله تعالى في سابع شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٧٠٥ ـ محمّد بن عمر بن عبد العزيز*

ابن ...[٣] .

الصدر النبيل الرئيس قاضي القضاة ناصر الدين ابن قاضي القضاة كمال الدين ابن قاضي القضاة عز الدين بن العديم الحنفي .

كان أولاً بحماة قاضي القضاة ، ثم إنّه نقل إلى حلب ، وتولّى حماة[٤] في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة عوضاً عن جدّه .

وكان صدراً واسع الصدر ، ورئيساً يجلس من سيادته في هالة البدر ، قد وسع الناس بإحسانه ، وملك قلوبهم بلسانه ، يخدم الأكابر والأصاغر ، ولا يزال [فوه][٥] بالشكر لهم يُرى وهو فاغر ، يكارم الزائرين بأنواع القماش والحلوى ، ويغدق

(١) زيادة من (س) .
(٢) زيادة من (س) والدرر .
* الدرر : ١٠٦/٤ ، والذيل التام : ١٢١ ، وذيول العبر : ٢٨٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥١/١٠ .
(٣) كذا بياض في الأصل . وتمّ صاحب الدرر نسبه وفيه : ... ابن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير أبي جرادة العقيلي » . وكذلك في النجوم .
(٤) (س) : قضاء حماة » .
(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

عليهم[١] ، فلا يرون لمنّه سلوى ، وطالت مدته في حلب ، وساق إليه كلّ شاعر نفائس أمداحه وجلب .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل ابن العديم في العدم ، وانهدّ طَوْد حياته وانهدم .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأول من شوال[٢] سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثمانين وست مئة .

وكان قد طلب إلى مصر ليجعل بها قاضي القضاة عندما أُخرج القاضي حسام الدين الغوري ، فوصل إلى دمشق ، ثم إنه جاء المرسوم بعوده إلى حلب على حاله .

وحدّث عن الأبرقوهي وغيره .

وكتب إليه شهاب الدين أحمد بن المهاجر الوادي آشي الحنفي ، ومن خطه نقلت :

فذاك قاضي القضاة عَبْدٌ قريضُه مِثلُه رقيقُ
يكابد البرد في قماش أشبهه بيته العتيقُ
له إذا ما الرياح هبّت عطف كغصن النقا رشيقُ
غزا ابن ماء السماء منه نضواً سوى السلم لا يطيق[٣]
ليس يرد الشتاء عنه بيتٌ مع القبح فيه ضيقُ
والصبر مع أنه بعيدٌ قد سُدّ من دونه الطريق
فانظر إليه بعين مولًى من غُرّ أوصافه الشفيق
واعطف عليه فأنت فرع من دوحةِ غُصْنُها ورَيق[٤]

(١) في (س) ، (خ) زيادة : «بجوده » .
(٢) (س) : « شعبان » .
(٣) المنذر بن امرئ القيس الثالث ابن النعمان ، وماء السماء أمّه . الأعلام : ٢٩٢/٧ .
(٤) (س) : « دوحه » .

لازلت مـــــاعشت في نعيم أنت بـــإنعـــامـــه حقيــق
مجّـلاً مـــذهبـــاً أتـــانـــا منـــك لنُعْيانـــه شقيـــق

١٧٠٦ - محمّد بن عمر*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير ركن الدين البُتْخاصي الصفدي .

كان أميراً بطبلخاناه[(١)] في الديار المصرية ، وله مكارم ومروءة ، وفي طباعه حُريّة . يخدم أصحابه ، ويعرف حق من[(٢)] لازم بابه ، يخدم الوُرّاد ، ويكرم الرّواد ، ويتجمل بين الناس ، ويُرْضي من يُقدم عليه ، ويبسط له الإيناس . تنقل في الممالك ، وصَرَّفَهُ الدهر بين صُبْحِه النيّر ، ودُجَاهُ الحالك ، وقبض وسجن وامتلأ قلب الدهر عليه وشحن ، وهو صابرٌ للأقدار فيما تنوبه ، عالمٌ أن الزمان لا تدوم حرُوبه .

ولم يزل بالديار المصرية في آخر أمره ، إلى أن انصرمت مُدّة عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى بالديار المصرية ، وجاء الخبر بوفاته إلى دمشق في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وعمره ما يقارب الخمسين سنة .

كان الأمير ناصر الدين قد نشأ بصفد في حياة والده ، وكان والده ركن الدين يتصرف في المباشرات السلطانية من الولايات والشد وغير ذلك ، وكان من أعيان أهل صفد ، وفي آخر عمره[(٣)] ولي الحجبة الصغرى بصفد بإمرة عشرة ، فلمّا خرج الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نائب صفد هارباً منها طالباً دمشق تبعه عسكرها وركن الدين معهم ، فناوشهم القتال ، فجاءته طعنة حمل منها إلى صفد ، ومات بها . وتقلّبت

---

* الدرر : ١٢٦/٤ ، وفيه : « الشجاعي » .

(١) في الأصل : « طبلخاناه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « كلّ مَنْ » .

(٣) في (س) ، (خ) : « أمره » .

الأيام بولده هذا الأمير ناصر الدين ، وترقى إلى أن تولى الحجبة بصفد ، ثم إنه أُمسك واعتقل بإسكندريّة ، في[١] واقعة بيبغاروس لما كان صحبة الأمير علاء الدين الطنبغا برناق نائب صفد ، ثم إنه أفرج عنه ، وأخرج إلى طرابلس ، ثم طُلب إلى مصر ، وجُعل حاجباً صغيراً بحلب ، وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخو نيابة ديوانه بحلب ، فاجتهد في خدمته ، وعمّر الخان المليح[٢] والحمّام بجبّ السقّايين[٣] بين المعرة وحماة ، ثم أضيف إليه شد[٤] الخاص وشد الأوقاف بحلب .

ثم إنّه رسم له بإمرة الحجبة الكبرى عوضاً عن الأمير ناصر الدين بن شهري ، وأقام على ذلك إلى أن طُلب إلى مصر صحبة علاء الدين علي البشيري ، فأعطاه السلطان بمصر إمرة طبلخاناه ، وجعله مشدّاً في العمائر[٥] السلطانية بالقاهرة ، ثم إنه جهّزه في سنة إحدى وستين وسبع مئة إلى منفلوط لقبض مغلها ، فقبضه وعاد إلى القاهرة على شد العمائر .

ثم إنه مرض مرضة طويلة في ذلك الوباء العام ، ووصل الخبر إلى دمشق بموته رحمه الله تعالى .

وكان رحمه الله بارّاً بوالدته وإخوته وأخواته ، عفيفاً أميناً في مباشراته ، عارفاً دربا بما يتحدث فيه ، فيه كرم ومروءة زائدة[٦] .

---

(١) في الأصل و (خ) : « وفي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) (س) ، (خ) : « بجبّ السّقا » .
(٤) (س) : « مشدّ » .
(٥) (س) ، (خ) : « مشدّ العمائر » .
(٦) (س) : « ومروءة زائدة وخير ، رحمه الله تعالى » .

١٧٠٧ ـ محمّد بن عمران بن عامر القطناني*

المقرئ الحرّاني البغدادي ، الشيخ الصالح الملّقن[(١)] عند البرادة بالجامع الأموي بدمشق .

كان مقرئاً فاضلاً عارفاً بالتجويد ، حسن الأداء ، حفظ (التيسير)[(٢)] و (الشاطبية) وبعض (المقنع) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة[(٣)] .

١٧٠٨ ـ محمّد بن عنبرجي**

القان المغلي بن النوين عنبرجي المذكور .

كان صبيّاً من أبناء العشرين ، من أهل توريز ، لمّا قتل القان بوسعيد عنبرجي زعمت سرّيته[(٤)] أنها حبلى منه . فولدت محمداً هذا ،فلمّا أقبل النوين الشيخ حسن الكبير من البلاد ، وهزم جمع الملك موسى قان[(٥)] ، وقتل موسى ، عَمَد الشيخ حسن[(٦)] إلى محمد هذا وأقامه في الملك ، وناب له هو وابن جوبان وزوجة جوبان ساطي[(٧)] بك ، وهي ابنة القان خربندا ، وتماسك الأمر أشهراً . ثم أقبل من الروم

* الدرر : ١٠٢/٤ ، وغاية النهاية : ٢٢٢/٢ ، وفيهما : « الوطّائي » .

(١) (س) : « المجيد الملقن » .

(٢) في الأصل : « التفسير » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٣) ذكر في الدرر أنّ وفاته سنة (٧٢٠ هـ) .

** الوافي : ٢٩٣/٤ ، والدرر : ١٢٦/٤ .

(٤) في الوافي : « سريّة » ، وفي الدرر : « سريّة له » .

(٥) موسى بن علي بن بيبدو (ت٧٣٧ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (س) : « حسن الكبير » .

(٧) في الأصل : « شاطي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

ولـدا تمرتـاش ، وأوهمـا أن أبـاهمـا حيّ معهما ، وجعلاه في خركاة ، فهرب الشيخ حسن الكبير إلى خراسان ، ثم أهلـك هـذا محمـد . ومـاج النـاس واشتـد البلاء والظلم والنهب ببلاد أذربيجان وافتقر من الجَوْر جماعة ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

١٧٠٩ ـ محمّد بن عيسى بن مهنّا*

الأمير أخو مهنّا .

كان من أعيان أمراء آل فضل . وكان حسن الشكل ، له معرفة ودُرْبة .

توفي رحمه الله تعـالى بسلميّـة في يوم السبت سـابع شهر رجب سنـة أربع وعشرين وسبع مئة ، وصلّى عليه قاضيها .

ولما كان قراسُنقر قد وصل إلى بيوت أخيه مهنا ، كان محمد هذا غـائبـاً ، فلمـا جـاء وبصربه قال لمهنا : أبشر يا مهنا بالإنعامات والإقطاعات من السلطـان ، ففهم قراسُنقر الغَدر منهم ، فقام إلى كاملة زوج مهنا وشال ذيلها ودخل تحته ، فقالت : يا أبا محمد إن الله قد أجارك[1] وجاءت إلى مهنا . فقالت لـه : إيش يتحـدث عنـك العربـان ؟! إن هؤلاء الملوك جاؤوا إليك ونزلوا عليك ، وإنك غدرت بهم لأجل الـدنيـا ، فقـال : الله الأحد إن الله قد أجارهم فقال محمد لأخيه مهنا : الله بيننا وبينك حرمتنا[2] هواء الشـام وطيبه .

---

* البدايـة والنهـايـة : ١١٦/١٤ ، والـدرر : ١٢١/٤ ، والشـذرات : ٦٦/٦ ، وذيول العبر : ١٣٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦١/٩ .

(١) (س) : « جارك » .

(٢) في الأصل : « أحرمتنا » ، وأثبتنا ما في (س) .

١٧١٠ - محمّد بن عيسى بن عيسى*

ابن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب بن مُشرّف الأسدي الغاضري[١] الريّاني ، القاضي البليغ الناظم الناثر المفوّه شمس الدين ابن القاضي شرف الدين ابن قاضي شهبة .

رجل انقاذ له الكلام ، ونزل على حكم نثاره والنظام ، له النظم المطبوع والنثر[٢] الغزير الينبوع ، كتب الإنشاء وترسَّل ، وتوصل إلى مآربه بذلك وتوسّل ، إلا أن خَطّه كان مرجوفاً ، ولم يُعبه[٣] ذلك لأنه كان يُودعه من إنشائه قلائد وشنوفا[٤] . كتب للسرّ بحمص وغزَّة ، ونال فيها شرفاً وعِزّة ، وتولى الخطابة في غزة ، فصدح على منبرها حمامه ، وأقام بمواعظة المبكيات على الناس القيامة .

ولم يزل على حاله إلى أن توارت شمسه بالحجاب ، ودعا الحركة بعدما سكن فسكت وما أجاب .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة عن ثلاث وخمسين سنة في طاعون غزة .

حرص عليه أهله ، وشغّلوه بالعلم ، فرأى أن رزق الفقهاء ضعيف ، فرجع إلى صناعة الكتابة ، وقال لي : أخذت كتاب (التنبيه) و (العمدة في الأحكام) وكتاباً في النحو وألقيتها في قدر والماء يغلي ، وهجرت الاشتغال بالعلم ، واشتغلت بصناعة الحساب ، وكان موجب ذلك أنّي حضرت العزيزية سنةً فحصل لي منها خمسة دراهم في

---

* الدرر : ١٢٩/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٨٥/١/١ ، وقد خلت (س) من ترجمته .

(١) في الدرر : « الغضاري » .

(٢) في الأصل : « والنظم » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل : « يعنه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) (خ) : « وسيوفا » .

تلك السنة . وباشر في جهات ، ثم إنه تعلّق بالإنشاء ، وكان النظم والنثر فيه طباعاً ، فتوجه إلى مصر ، وسعى في توقيع حمص ، فتولاه من مصر ، وباشره مع نيابة الأمير سيف الدين قلاوون في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً ، وانفصل منها ، وعاد إلى مباشرة الحساب ، فتولى نظر نابلس ، ولمّا توجه الأمير سيف الدين يلبغا نائب الشام إلى القدس خدمهُ هناك ، وبقي أمره على ذهنه ، وحضر إلى دمشق ، وامتدحه وامتدح عز الدين طقطاي الدّوادار ، فقال يلبغا : ما تريد ؟ فقال : ياخوند أكون كاتب إنشاء في دمشق بمعلومي الذي على نظر نابلس ، وتوفر معلوم ناظر نابلس ، فرسم له بذلك .

ولم يزل يكتب بديوان الإنشاء إلى آخر وقت ، ثم إنه جُهّز في سنة إحدى وستين وسبع مئة إلى غزة موقّعاً في أيام الأمير سيف الدين أسندمر الزيني ، عيَّنه لذلك القاضي أمين الدين بن القلانسي كاتب السر بالشام لمّا عزل الشريف كمال الدين موقّع غزة ، ولمّا كتب الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في معنى أولاد رزق الله[1] وعُزِلُوا من صفد ، رُسم بأن يكون كاتب سر بصفد في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فأقام قليلاً ، وأعيد إلى غزة . فأقام على كتابة سرّها والخطابة بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في طاعون غزة في التاريخ المذكور .

وكان قادراً على الهجو المقذع ، وبيني وبينه مكاتبات كثيرة ، وهي مُودعة في (التذكرة) التي لي في أماكنها ، ومنها شيء في كتابي (ألحان السواجع) .

كتب إلي وهو بدمشق قرين جبن صرخدي أهداه لي :

ياشجاع الوجود في العلم والفضـ ـل وشيخ الأنام في كلّ فنّ[2]
قد تجاسرت في الهديّة فاسمح بالتغاضي واستر بحلمك جُبني

---

(١) رزق الله بن عبد الله المصري ، تاج الدين الموقّع ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الدرر : « ياشجاع العلوم والجود والفضل ... وشيخ الوجود » .

فكتبت أنا الجواب إليه :

حـــاش لله أن يُرى منـــك جبن ... ومعـــاليـــك قـــد حَـوَت كَل حُسْن
وكريم الأقـــوام فهـــو شجـــاع ... والبخيـــل الـــــذي تردّى لجبن

وكتبت إلي قرين ماء وردٍ أهداه :

يـــا سيـــداً تجلـــو ثنـــايـــا لفظـــه ... لظـــامئ الأكبـــاد برداً من بَرَدْ[1]
ومَنْ إذا مـــا لَمَست يمينُـــه ... جمر الغضـــا من النـــدى الغمر برد
كان لكم عنـــدي فيا قـــد مضى ... وعـــدٌ بمـــاء الـــورد، لكن مـــا ورد
والآن قـــد وافى فقـــابـــل كسره ... بـــالجبر لا يخجـــل إن جـــاء ورد
وعش مدى الدهر صلاحاً في الورى ... تصلـح من حـــال الأنـــام مـــا فسـد
في نعمـــة وافرة مـــديـــدة ... تكتب فيهـــا بـــالبقـــاء من حســـد
يـــا خير روح للعـــلا طـــاهرةٍ ... كم أنعشت للمكرمـــات من جســـد[2]

وكتب إلي ، وقد نظمت قصيدة في مديح سيدنا رسول الله ﷺ :

يـــا إمـــامـــاً قـــد أتى العـــزُّ إلى ... بـــابـــه ينقـــاد في أرســـانـــه
لـــــو رآك المصطفى في عصره ... مثبتـــاً فُقتِ على حسّـــانـــه
بمـــديـــحٍ فيـــه قـــد جئت بـــه ... بعـــد مـــا جـــاء فتى غسّـــانِـــه
إن دهراً سُـــدت فيـــه سيـــدي ... نـــاظر أنت ضِيـــا إنســـانـــه
عبـــدك الشـــاكر وافى ســـائـــلاً ... كيف مـــولانـــا على إحســـانـــه[3]

وكتب[4] إليّ ملغزاً :

(١) (خ) : « فضْله » .
(٢) في الأصل : « طاهرة للعلا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في الأصل : « فكيف » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) (خ) : « وكتب هو » .

أيها الفاضل الذي هو في الفضـ ـل إمامٌ والناس جمعاً وراء
والبليغ الذي له لطف معنًى عجزت عن مثاله الفصحاء
والإمام الذي له لطف خطّ لم تطق وصف نوره الشعراء[(١)]
ما اسم ثاوٍ في الأرض بين البرايا وله صاحبٌ حوته السماء
وهو عارٍ ومكتسٍ ثوبَ حُسن عنده الصيف والشتاء سواء[(٢)]
لم تحكْ ثوبَهُ يدٌ ولم تَحْـ ـو نظيراً لنسجه صنعاء
قام بالعُرْفِ آمراً وعلى العا دة يجري وليس فيه رياء
فأبنه ياذا الرئيس المفدّى لا نَأتْ عن مفرك النعماء
وابقَ ما غنَّت الصوادح في الصبـ ـح ولاح الضحى وولى المساء

فكتبت أنا الجواب عن ذلك ، وهو في « ديك » :

يا فصيحاً عنت له البلغاء وبليغاً ونَتَ له الفصحاءُ
والبليغ الذي إذا ما بدا البَدْ رُ لديه اعتراه منه حياء[(٣)]
نظمك المستَلذّ في كل سمعٍ هو والدرّ والأغاني سواء
أنت ألغَزْتَ في مسمىً عجيبٍ طائر ما حواه قطّ الهواء
وهو يمشي مثل الملوك بتاجٍ وعلى رأسه يشالُ لواء
ليس تُحصَى أشخاصه وهو يُحصَى فعجيب لما يراه القضاء
وتحاشى من عِكْسِهِ فهو أمر يتبرّا من فعله الكرماء
وإذا ما صحّفته يتبدّى حيواناً وقد حواه المساء[(٤)]
فابق واسْلَم لكل لغز بديع فهو فنّ تحبه الأدباء

(١) (خ) : « نمل خط » ، وهي أشبه .

(٢) في الدرر : « وهو عارٍ ملبّس » .

(٣) (خ) : « والرئيس » .

(٤) يريد : « دُئِل » ، وهو ابن آوى ، والذئب .

وكتب هو إليّ من غزة :

ذكرتــــك والجــوُّ في حُلَّـــةٍ   مكللـــــةٍ بـــــلآلي النجـــوم
وبرق الـــدجى خـــافــقٌ ومَضْـــهُ   كقلبٍ مُعَنّىً عـــــديم الهجـــومِ
وعرفُ الصَّبـــا كــزمـــان الصِّبـــا   رقيـــق الحـــواشي نـــــديّ النسيم
وللبحر أفـــــواج مــــوج حَكَت   تــزاحُمَ خيــل الكفـــاح العقيم(١)
ورمـــل الكثيب بتَمْــويجـــه   يحـــاكي البُرُود حســـان الرقــوم
وكأس المـــدام مـــدام الصفـــا   كــوّدك لــو كنتَ فيهـا نــديمي
فهـــاج لـــذكراك عنـــدي هـوًى   رمى نـــــار حرّ الأسى في صميمي
وأضعف من همّتي قـــــــــوةً   لفقـــدك تُغْـزَى بجيش الهمـوم(٢)
وبــات حـــديثــك لي مُــؤنســاً   يعلّلني بـــالرحيــق القـــديم
فجـــادَك صَــوْبُ ســلام امرئٍ   مقيم على ودّه الْمُستقيم
سقيم إذا شــــافَ ريّـــــاكمُ   رجـــا بـــالعليـل شفــاء السقيم

يقبّـل الأرض ويُنهي مـا لم يَخفَ من(٣) العُلـوم الكريـة من مضـاعفـة شـوقــه ، ومضاعفة أسفه الذي أحاط به من تحتـه وفوقـه ، ومـا يجـده من التـألم لانقطـاع مراسيم مولانا التي تفُلُّ حدَّ الغربة بغَربها ، وتحجب عن الأنفس المكروبة والمحزونة كرّ كربها :

وقـــد غضِبت حتّى كأنّي مـــذنب   أروم الرضا منهـا ويـاليتهـا ترضى

أُنهي ذلك إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

(١) (خ) : « حلت تزاحم » .

(٢) في الأصل و (خ) : « تعزى » ، ولعلّ الوجه ما أثبتناه .

(٣) (خ) : « عن » .

أتـــاني كتـــابُـــك والجـوّ قـــد ... تـوشّـعَ من بـــارقـــات الغُيـوم
فهـــذا يجـود بـــدُرّ الحيـــا ... وهـــذا يجـود بـــدرّ العُلُـــوم
ومـــا الـــدّر كالـــدّر بين الـورى ... ولا الـــزّهرُ فيهم كـــزهر النجـــوم
ويـــا حُسْنــه وافـــداً قـــد غـــدا ... ينفّس عني خنـــاق الهمـــوم
ويـــوقفني اللفـــظ منـــه على ... نـــديم لكلّ سرور مُـــديم
بخـــطٍ ترفّـــع في وَضْعـــه ... أويْتَ إلى كَهْفـــه والرقيم[1]
وولّى الـــوليّ لإقبـــالـــه ... كما ابنُ هـلالٍ غـدا في النجـوم[2]
وأنسْتْ حـلاوتُـــه شُهْـــدةً ... ورقّت حـواشيـه لابن العـديم[3]
أيـــا عربيّ القريض افتحرْ ... فكم في معـانيـك من ابن رومي[4]
ومثلـــك مـــا دار في دارم ... ولا تمّ مـــا قلتـــه في تميم
يهـز نظـــامـــك أعطـــافنـــا ... كأنّ قـــوافيـــك بنت الكروم
وتحكي الريـــاض بـــأسطـــارهـــا ... نسيبـــك فيهـــا نسيب النسيم[5]
وبعـــد فـــإنيّ في وحشـــة ... سميري أذكاري وصبري حميم[6]

يقبـل الأرض وينهي ورود المشرّف الكريم ، فوقف المملوك[7] لوروده ، وقبّل من سطره وطرسه عِذار آسِهِ ووجنة وروده ، ومتع نـاظره من جنته النـاضرة بحدائق

(١) اقتباس قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحَابَ الكَهفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِن آيَاتِنا عَجَباً ، إذ أَوَى الْفِتيَـةُ إلى الكَهْفِ ... ﴾ [الكهف : ٩/١٨ ـ ١٠] .

(٢) في الأصل و (خ) : « التخوم » ولا وجه لها . وابن هلال هو عبد الواحد بن محمد بن المسلم ، أبو المكارم المحدّث (ت٥٦٥ هـ) ، السير : ٤٩٩/٢٠ ، والدارس : ١٣٧/١ . وفيه تورية .

(٣) شهدة بنت أحمد بن فرج ، فخر النساء (ت٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

(٤) كذا ، ولا تستقيم ، وهي في (خ) أقرب إلى رسم : « جنّ » .

(٥) (خ) : بأشطارها » .

(٦) (خ) : « ودمعي » ، وهي أشبه .

(٧) ليست في (خ) .

ذات بهجة ، وفداه لمّا رآه بسواد العين وسُويداء المهجة ، وتحقَّق أن أبا ذرٍ حديثه أصدق لهجة ، فلم يرتب فيما ادّعاه من المحبة ، وقال لا شُبهة في وداد ابن قاضي شهبة :

قلبي لــــديـــــك أظنّـــــهُ ... يُمْلي عليـــــــــك وتكتب

فكتبَ هو الجواب عن ذلك :

ساق الحمــامُ إلى لقـائـك نـائحـاً ... صبٌّ تـذكّر نـازحـاً أوطـانَـه[1]
فـــاهتزّ قلبي بـــاهتزاز أراكــــه ... طربـاً ، وهيـجّ شجـوه أشجـانـه
ودعـا وقـد بـلّ النـدى أذيـالـه ... صُبحـاً ، ورصفت الصّبا أفنـانـه[2]
وشكا كما أشكـو الحمـــام وإنمـــا ... لم يُجْرِ مثلي بـــالبكا أجفـــانـــه
لكنْ أعـان على الجوى وأخـو الهوى ... إن عـاين العـاني الكئيب أعـانَـه
ومع الإعـانـة أذكر العيش الـذي ... مـا زلت أفـدي بـالحيـاة زمـانـه
حتى إذا حَسَر الصبــاحُ قنــاعَــهُ ... وجــد النهــار سـوره وأبــانـــه
غنى وصفّــق طـــــائراً بقــوادم ... تـدنيـه إن أنـأتْ نـوىً جيرانـــه
فبكيت محــزونـــاً ، وقلت تَعَلُّـلاً ... ليت الحمـــام أتم لي إحســـانـــه

يقبّل الأرض وينهي ورود الجواب الكريم عما كان تهجّم المملوك من العبـوديـة ، والأبيات التي بان بتلك المراجعة قصورها ، وتضعضع بتلاوة سور تلك العوذ الصلاحيـة سورها وصُورها[3] ، فقابل العبد ذلك الفضل الخليلي مسلماً إليـه وعليـه ، ووقف سيف ذهنه الكالّ عنده ، فإنه ينفق مستجدياً ، ومولانـا ينفق مما أفـاء الله وأفـاض من سعـة فضله عليه ، يا أُلْفَ مولاي قد تجاسر العبد ، ولكن والله مقتبسـاً من أنوار فضـائلـك ، وتهجمّ ولكن ملتبسـاً من مبـارّ شمائلـك ، ومع هـذا فعين الله على ميم منطقـك ، وحـاء

---

(١) في الأصل : « نائحاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) (خ) : « أعطافه صبحاً ورنحت » .
(٣) في الأصل : « وسورها » ، وأثبتنا ما في (خ) .

حمايته على راء رونقك ، فإنك ، فداك الأعداء ، حُرّ غمر بالجود ، ومولىً بمزيّه[١] مزيدٌ شانه الحسود ، ومازال المملوك من ورود[٢] ذلك المثال العالي يتحلى بألفاظ شهدتة[٣] ، ويتأنّس بمعاينة الوارد عن وحيد العصر . فما يشكو ألم وحدته ، يا مخدومي ، من أين للقائل سواك أن يقول :

وأنست حلاوته شهدةً ورقت حواشيه لابن العديم

وأن يقول :

أيا عربيّ القريض افتخر فكم من معانيك من ابن روميّ

وإنما سبحان من جعل مفاتيح كنوز الأدب بيديك ، وصَرّفك فيما صرفك عن قبول ما أنعم به عليك ، وسؤال المملوك من الصدقات إدامة الجبر الكريم ، فإن المملوك إذا رأى كتاب سيدي شاهد معانيه من مثاله ، وتذكر مواصلة الخيرات الحِسَان بين يديه بالنشر الفائح من طيّ أوصاله .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

وافى قريضك فاستمال أخا الهوى وثنى إلى ذكرى صباه عيانه[٤]
هاجت بلابلُه بلابل صبوتي قِدْماً وذكّرني العقيق وبانَه
فكأن رقم سطوره روضٌ غدت تثني نسيمات الحمى أغصانه
أخملت منه خمائل الشعراء والـ كتّاب لّما عاينوا عنوانه
أما السّراج فما لشعلة نظمه نور وسود في الطروس دخانه
وابن النقيب عصت عصاه فلم تسق جُند القريض وعطّلت ميدانه

(١) كذا ، والمزيّ : الظريف .
(٢) في (خ) : « من يوم ورد » .
(٣) (خ) : « شهديّة » .
(٤) كذا في الأصل و (خ) ، والأشبه : « عنانه » .

وكـــذلـــك الجـزار ليس لشعره شعرٌ وأغلـق في الـورى دكانـــه
والفـاضـل المشهـور أصبـح خـامـلاً في نثره ورأى الـورى نقصـانـه
وكـــذلـــك الجـزري أنبت نثره روضـاً فلم يرض الـورى بستـانـه
وكـــذلـــك ابن الصيرفي لم ينتقـد شيئـاً ، وعطـل بعـدهـا ميزانـه
يـا من قطعتُ بـه زمـانـاً بـالحمى سُقي الحمى ورعى الإلـه زمـانـه
عصرٌ متى أملى النسيم حـديثـه في الروض فتّـح زهرُه آذانـه
سجْـعُ الحمـام يلـذ لي لا سيّما إن حركت أيـدي الصبـا عيـدانـه
فيجـد لي ذكراك في تغريـده وأروح ريـان الحشـا نشـوانـه
يـا حسرتـا ليت الحمـام أعـاد لي إحسـانـه فـأعـارني طيرانـه

يقبّل الأرض ، وينهي ورود الجـواب الكريم على من وَرَد ، الجسيم الفضـل الـذي دخل باب الأعجاز ورَدّ ، العميم الإحسان الذي يروي صـدى من صـدر عنـه أو وَرَد ، فتلقاه بكلتا يديه ، وضمّه وشمّ أنفاسه ، ووضعه على رأسـه لابل أتحف بـالتـاج رأسـه ، وفضه عن فضل نظم رأى ملائكة البلاغة حرّاسـه ، واستجلى من طرسـه يـاسمينـة ومن سطره آسه ، وبهت لرقم طروسه ، إلى أن قاس بالمسك الاذفر[١] أنفاسـه ، ونظره فـإذا[٢] هو قد اختبا له فيه اختباله ، ومااحتمى له احتماله ، وخلـط جسـده بجسـده[٣] ، وعقل لسانه بحبلٍ من مسَدِه ، وصرفني عن معـارضتـه بـالجواب ، وقـال : الاعتراف بـالقصور أولى وأليق بـالصـواب ، فمـا أنت ومكاثرة الغمائم[٤] ومكابرة هـذه السمائم ومنـافحـة هـذه الكمائم ، ومنـاوحـة هـذه الحمـائم ، أُدخل تحت ذيل الاعتراف وقل تبختري يـا ديبـاجـة البحتري ، وفُوقي النظّارة يانضارة المشتري ، واخلبي القلوب يا أقلامه التي نفثت السحر في العُقد ، وصولي على كتّاب هـذا الزمـان فقـد نبّهت من هـذا الفن مـا أغفى ورَقَـد .

(١) مسك أذفر : جيد إلى الغاية .
(٢) في الأصل : « وإذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) الجسد : الزعفران .
(٤) : « هذه الغمائم » .

والمملوك فقد اعترف ، ووقف على الشاطئ ولو أمكنه لاغترف ، ولكنه يدعو ببقاء هذه الفضائل ، ودوام هذه التحف التي أمسى بها فنّ الأقدمين[(١)] وهو متضائل ، إن شاء الله تعالى .

وفي (التذكرة) التي لي في أماكن متفرقة أشياء كثيرة ممّا دار بيني وبينه .

١٧١١ ـ محمّد بن غالب بن سعيد*

الشيخ الإمام الزاهد الصالح البركة المحدث شمس الدين أبو عبد الله الأندلسي الجيّاني .

ارتحل في طلب الحديث ، وسمع من الرضي بن البرهان ، وابن عبد الدائم ، وطبقتهما .

وجاور بمكة ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده بعد العشرين وست مئة[(٢)] .

١٧١٢ ـ محمّد بن أبي الفتح**

ابن أبي الفضل بن بركات ، الإمام المفتي المحدث المتقن النحوي البارع شمس الدين أبو عبد الله شيخ العربية البعلبكي[(٣)] الحنبلي .

سمع من الفقيه محمد اليونيني ، وابن عبد الدائم ، والعز حسن بن المُهَيْر[(٤)] ، وابن أبي

(١) (خ) : « في الأقدمين » .

* الدرر : ١٣٣/٤ .

(٢) في الأصل : « وسبع مئة » ، سهو .

** الوافي : ٣١٦/٤ ، والدرر : ١٤٠/٤ ، والبغية : ٢٠٧/١ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، وذيول العبر : ٤٧ .

(٣) في الوافي وذيول العبر : « البعلي » .

(٤) توفي سنة (٦٦٦ هـ) ، كما في الإعلام للذهبي : ٢٧٨ .

اليسر ، ومن بعدهم . وعني بالرواية ، وحصّل الأصول . وجمع وخرّج ، وأتقن الفقه ، وبرع في العربية ، وصنف شرحاً كبيراً (للجرجانية)[1] ، وجوّده ، وأخذ عن ابن مالك ولازمه .

وحدث بدمشق وطرابلس وبعلبك ، وتخرج به جماعة ، وكان إماماً[2] متواضعاً متزهداً ، ريِّض الأخلاق حَسَن الشمائل على الإطلاق ، جيّد الخبرة بألفاظ الحديث ، مشاركاً في رجاله أهل القديم والحديث .

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى القاهرة ، وانتقل منها إلى الآخرة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمنصورية ليلة السبت ثامن عشر المحرم سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بمقبرة عبد الغني .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

وكان قد توّجه من دمشق إلى القدس ، ومن هناك توجه إلى الديار المصرية ، فمرض[3] أياماً يسيرة ، ومات رحمه الله تعالى .

١٧١٣ - محمّد بن فضل الله*

القاضي بدر الدين الموقع ، أحد الإخوة ، شرف الدين عبد الوهاب ومحيي الدين يحيى .

كان قد أسره التتار في أيّام غازان ، ودخل معهم البلاد ، ومنَّ الله عليه بالخلاص من أسرهم ، ووصل إلى دمشق في يوم الأربعاء ثالث عشري جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة .

(١) وهي كتاب الجمل في النحو ، للإمام عبد القاهر الجرجاني . انظر : الكشف : ٦٠٣/١ .

(٢) (س) والوافي : « إماماً متعبداً » .

(٣) في (س) : « فمرض بها » .

* الوافي : ٣٢٨/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٧ ، والدرر : ١٣٧/٤ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وروى لنا (الأربعين الثقفيّة) عن العراقي بإجازته من السِّلفي ، وسمع أيضاً من فرج الحبشي والشرف الإربلي . وكان ليّن الكلمة ، لطيف الجانب ، من أعيان الكُتّاب المتصرّفين .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع جمادى الأولى سنة ست وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وست مئة بطبريّة .

١٧١٤ ـ محمّد بن فضل الله*

القاضي الكبير الرئيس الشهير فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان عند أستاذه وجيهاً إلى الغاية ، ومكيناً من خاطره إلى النهاية ، لا يمكّن السلطان في الغالب من فعل ما يريد ، ولا يدع أحداً يجتمع به من أهل السّر السرّيد[1] ، ومن اجتمع به بغير علمه راحتْ روحه ، وأثخنت جروحه ، فكان للناس رحمة ، وبه كانت كلُّ بيضاء شحمة[2] ، والناس في أمان على أموالهم وأرواحهم ، وسَمَات القبول والإقبال تهبّ عليهم في غُدوّهم ورواحهم ، نَصَل[3] عنده خضاب ابن حنّا[4] ، والوزيرُ الفائزي مافاز مثله بما تمنّى ، وابن السَلعوس مابلغ وجاهته ، ولارأى طول مدته ولا حصّل تفرّجه ونزاهته :

جمـــال وزارة وشهـــاب دَسْتٍ ... وســائس دولــةٍ وسعيــد قـــال

---

* الوافي : ٢٣٥/٤ ، والبداية والنهاية : ١٥٩/١٤ ، والدرر : ١٣٨/٤ ، وذيول العبر : ١٧٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٥/٩ .

(١) في الأصل : « الشريد » ، وأثبتنا ما في (س) . والسريد : الأشقى .

(٢) يشير إلى المثل : ماكلّ سوداء تمرة ، ولا كلّ بيضاء شحمة .

(٣) نصل ، أي : زال وسقط .

(٤) أحمد بن محمد بن محمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

تحمّـــل للمالـــــك كلَّ عبءٍ فقـــام لـــه قـــدَم الكمـــال[١]
فـأخْصَبَتِ المالـك بعـد جـدبٍ وأُنشطت المالـك من عقـــال[٢]
فـــإن يـــك آخر الـوزراء عصراً فقـــد خُتمت بـــه الرتبُ العـوالي
ومـــا برح الحيـــا قطراً ووبـــلاً أواخرُه تنيف على الأوالي

ولم يزل في نصرة مظلوم وإنالة محروم ، إلى أن حوّمت عليه المنية ، وعَظُمت فيـه الزريّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في نصف شهر رجب [سنـة][٣] اثنتين وثلاثين وسبع مئـة . وكان عمره ثلاثاً وسبعين[٤] سنة .

وكان قد سمع من الأبرقوهي[٥] ، وانتفع [به][٦] خلق كثير في الدولـة النـاصريـة من الأمراء والنوّاب والعلماء والقضاة[٧] والفقراء والأجنـاد وغيرهم من أهل الشـام ومصر لو جاهته عند مخدومه ، وإقدامه عليه ، لم يكن لأحـد من الترك ولا من المتعمّمين مثل إقدامه عليه .

حكى لي القاضي عماد الدين بن القيسراني أنه قـال لـه يوم خـدمـة ونحن جلوس في دار العدل : يافخر الدين تلك القضيـة طلعت فـاشُوْش . فقـال[٨] : مـا قلت لـك إنهـا

(١) في الأصل : « غبّ » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « وأنشطت المكارم » .
(٣) زيادة من (س) .
(٤) في الأصل : « سبعاً وثلاثين » سهو ، وأثبتنـا مـا في (س) وذيـول العبر . وفي الـدرر أنّ ولادتـه سنـة (٦٥٩ هـ) .
(٥) في الأصل : « ابن الأبرقوهي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) زيادة من (س) .
(٧) في (س) : « والقضاة والصلحاء والفقراء » .
(٨) عبارة الوافي : « فقال له » .

عجوز نحس وتكذب . قال عماد الدين : يريد بذلك بنت كوكاي زوج السلطان ، لأنها كانت ادّعت أنها حُبلى .

وأمّا أنا فسمعت السلطان الملك الناصر يقول يوماً في خانقاه سِرياقوس لجندي وقف بين يديه يطلب إقطاعاً : لا تطوّل ، والله لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاضي فخر الدين خبزاً يعمل أكثر من ثلاثة آلاف درهم[١] .

وكان قد غضب عليه في وقت عندما حضر من الكرك في المرة الثانية ، وطلب القاضي قطب الدين ابن شيخ السلامية من الشام ، وولاّه مكانه ، وأخذ منه أربع مئة ألف درهم ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فأفرج عنه ، وأعيد إلى نظر الجيش شريكاً لقطب الدين في جمادى الأولى من السنة المذكورة . ولّما رضي بعد قليل عليه أمر بإعادتها عليه ، قال[٢] : يا خوند أنا خرجت عنها لك ، فابنِ[٣] بها جامعاً ، فبنى بها الجامع الذي في موردة الحَلَفاء[٤] .

وكان في آخر عمره يباشر بلا معلوم ، وأعرض عن الجميع ، وترك الكُماجة الحمراء تحضر إليه من المخابز السلطانية ، ويقول : أتبرّك بها .

وحكي عنه أنه من يوم إسلامه تسمّى[٥] بمحمد ، وأعرض عن النصارى جملة كافية ، فلا يقربه نصراني ولا تحوي داره نصرانياً .

وحكى لي شيخنا الحافظ فتح الدين قال : قال القاضي شرف الدين بن زنبور ـ وكان خال القاضي فخر الدين هذا : ابنُ أختي عمره مُتعبّد متألّه لأننا كنّا[٦] نجتمع على

(١) ذكره في النجوم الزاهرة عن الصفدي .
(٢) (س) : « فقال له » .
(٣) في (س) والوافي : « فابن لك » .
(٤) (س) : « الخلفاء » ، تصحيف .
(٥) (س) : « ومن حين إسلامه تسمّى » .
(٦) في النجوم الزاهرة : « لما كنا » .

الشراب في ذلك الدِّين ، فيتركنا وينصرف ونفتقده إذا طالت غيبتُه ، فنجده واقفاً يصلّي ، ولمّا ألزموه بالإسلام امتنع ، وهمّ بقتل نفسه بالسيف ، وتغيَّب أياماً ، ثم إنه أسلم وحَسُن إسلامه إلى الغاية .

وحجّ غير مرة ، وزار القدس غير مرة ، وفي بعض المرات أحرم من القدس ، وتوجّه إلى مكة مُحرماً من هناك ، وبنى مساجد كثيرة بالديار المصرية وعمّر أحواضاً كثيرة في الطرق ، وبنى بنابلس مدرسة ، وبنى بالرملة بيمارستاناً ، وأكثر[١] من أفعال البر .

وقال لي القاضي شهاب الدين : إنه كان حنفي المذهب .

وكان إذا خدَمه الإنسان في العُمر مرة واحدة كفاه مؤونة أمره ، وصحبه إلى آخر الدهر ، وقضى أشغاله[٢] ، ونقله إلى وظائف أكبر[٣] مما في يده ، فكانت[٤] فيه عصبيّة شديدة لأصحابه . وقيل : إنه كان يتصدق[٥] في كل شهر بثلاثة آلاف درهم .

وكان في أول أمره كاتب المماليك إلى أن توفي القاضي بهاء الدين بن الحلي ، فولاه السلطان مكانه في نظر الجيوش ، وكان الأمير سيف الدين أرغون النائب يكرهه كثيراً ، وإذا قعد للحكم أعرض عنه ، وأدار كتفه إليه ، ولم يزل فخر الدين يعمل عليه إلى أن توجَّه[٦] إلى الحجاز ، فقيل : إنه أتى يوماً بذكره ، وقال له : يا خُوند ، ما يقتل الملوكَ إلا نوّابهم ، هذا بيْدَرا قتل أخاك الأشرف ، ولاجين قُتل بسبب نائبه منكوتمر ، فتخيّل السلطان من أرغون ، ولمّا جاء من الحجاز جهزه إلى حلب نائباً . وهو الذي حسّن

(١) (س) والوافي : « وكثّر » .
(٢) (س) : « شغله » .
(٣) في الأصل : « أكثر » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) (س) والوافي : « وكانت » .
(٥) في (س) والوافي : « .. كان في آخر مرة يتصدق » .
(٦) عبارة الوافي : « إلى أن توجّه أرغون » .

للسلطان أن لا يكون له وزير بعد الجمالي ، ولذلك بقيت أمور المملكة ترجع إليه ، وهي متعلقة به من الجيش والأموال والعزل والولاية .

وسمعت أنا من قرمان[١] شخص كان كاتباً بصفد ، أنه جاء مرة إلى القدس وكتب هناك وتوجه إلى « قمامة »[٢] ، وكنتُ خلفه ، وهو لا يراني ، وهو يمشي وينظر إلى تلك الآثار والمعابد ، ويقول : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعدَ إذْ هَدَيتَنَا ﴾[٣] .

وعلى الجملة فكان للزمان جمال ورونق ، ولمّا قيل للسلطان إنه مات لعنه وسبّه ، وقال : له خمس عشرة سنة ما يدعني أعمل ما أريد . ومن بعده تسلّط السلطان على الناس ، وصادر وعاقب وتجرأ على كل شيء . وأوصى عند موته للسلطان بأربع مئة ألف درهم ، فأخذ منه ما يزيد على الألف ألف درهم .

وكتب إليه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ما أنشدنيه إجازة :

في دعاء الإله في كلّ عام ... لك فخر تسمو به في الأنام
وحجيج البيت المُحرَّم أنّى ... شئته من أسنى المزايا الجسام
كلّ حول تعود عن كعبة اللـ ... ـه نقيّاً من سائر الآثام
عارياً من ملابس الذنب قدما ... رافلاً في حُلى القبول الوشام[٤]
مع ما تبتنيه ثمّ من الطا ... عات ما بين زمزم والمقام
قد ألفْت السّرى فلو رمت في اليقـ ... ـظة مثوىً لسرت في الأحلام[٥]
هويتك المشاعر الزهر تختا ... ل بها في ملابس الإحرام
فهي تشتاقك اشتياقك إيّا ... ها فسيّان أنتما في الغَرام[٦]

(١) في الوافي : « قزمان » .
(٢) هي كنيسة القيامة اليوم في القدس .
(٣) آل عمران : ٣/٨ .
(٤) جمع وشم ، وهو غرز الإبرة في البدن .
(٥) في الأصل : « ألقت » ، وقد طمست في (س) .
(٦) (س) : « اشتياقك معناها » .

لـك وجـدٌ بـالبيت والعروة الـوثـ ـقى ولا وجَـد عُروة بن حـزام
فجـزاك الإلـه عن سعيـك المبـ ـرور خيراً جَمّـاً عن الإسـلام
فلكم قـد سهرت في حَرَم الهـا دي عليـه السلام ليـل التّمـام
في حمى لـو يَسعي إليـه على الرا س لقـدّمتـه على الأقـدام
حيث تُغني عبـارةُ العبرات البـ ـكم في الشـوق عن فصيـح الكـلام
وتُراح الشكـوى ويستمطر البِّرْ ر ويعنى العانية ويُروى الظـامي[1]
وتجـازى عَنْ بـذلـك الرِّفـدَ للـوفـ ـد وإكرامهم جـزاء الكرام
وإذا عـدت عنـه عـدت خفيف الـ ـحـاد إلاّ من الأجـور العظـام
فلـك الله حـافـظٌ ومثيب ومعين في رحلـة ومقـام
ومجـازٍ بـالعـز في دار دنيـا ك وعـز الأخرى بـدار السـلام

١٧١٥ ـ محمد بن فضل الله بن أبي الخير*

ابن غالي ، الوزير الكبير غياث الدين خواجا ابن الوزير رشيد الدولة الهمذاني .

كان من أجمل النـاس صـورة ، وصفـاتُ الخير فيـه محصـورة ، والمحـاسن على ذاتـه مقصُورة ، لم يَنَلْ أحد رتبته في الممالك القانيّة ، ولا وصل إلى محَلّه من قلب مخدومـه في تدبير الأمور السلطانية ، وكان لـه عقلٌ وافر ، وذهنٌ في تـدبير الأمور متضـافر ، وفكرٌ صُبح عقباه إلى النجـاة والنجـاح سـافر ، داهيَـة ذَا غَوْر[2] ، يتطور في بلوغ مقـاصـده طوراً بعد طور ، مع حسن إسلام وكرم يخجل منـه الغمام ، ويسجع[3] بوصفـه الحمـام ، أثَّر الآثار الجميلة ، وخرّب كنائس بغداد ، وجعلهـا دِمنَـة ، والعيون من أهلهـا كليلـة .

---

(١) (س) : « العاني » .

* الوافي : ٣٢٩/٤ ، والدرر : ١٣٥/٤ .

(٢) في الأصل : « ذا وعور » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في الأصل : « وسجع » ، وأثبتنا ما في (س) .

وهو كان السبب في صلح الإسلام مع التتار ، وبه صارت سُنَّة باقية إن شاء الله إلى يوم تُكشف فيه الأستار :

هو العارض الثَّجَّاجُ أخضل جَوْدُه وطارت حواشي برقه فتلهَّبا
إذا ما تلقَّى في الوغى أصعق العدى وإن فاض في أكرومة غمر الرُّبا

ولم يزل على حاله إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى ، فأخذ سعدُهُ ، وما طال بعدَه أمرُه إلى أن سكن لَحْدَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكان هذا الوزير غياث الدين قد وُلد في الإسلام ، ولما نُكب والده وقتل سَلِمَ هو ، وقد تقدم ذكر والده في حرف الفاء مكانه ، واشتغل مُدَّة ، وصحب أهل الخير . ولما توفي الوزير علي شاه[(١)] طلبه السلطان بوسعيد ، وفوَّض إليه الوزارة ، ومكَّنه وردّ الأمور إليه ، وألقى إليه مقاليد الممالك ، وحصل له من الارتقاء والملك ما لم [يبلغه][(٢)] وزيرٌ غيرهُ في هذه الأزمان ، وكانت رتبته من رتبة[(٣)] نظام الملك .

وكان جميل الصورة ، وأمّه تركيّة ، وله عقل ودهاء وغَوْر ، وكان خيراً من والده ، خرّب كنائس بغداد ، وردّ أمر المواريث إلى مذهب أبي حنيفة ، فورّث ذوي الأرحام ، وكان إليه توليّة نيابة الممالك وعزْلهم لا يخالفه القان في ذلك . وخدم السلطان الملك الناصر محمداً صاحب مصر كثيراً ، وراعى مصالحه وحقن دماء الإسلام ، وقرر الصلح ، ومشّى الأمور على أجمل ما يكون .

ولّما توفي القان بوسعيد رحمه الله تعالى نهض الوزير غياث الدين إلى شابّ من

(١) سلفت ترجمته .
(٢) زيادة من (س) والوافي .
(٣) في (س) والوافي : « من نوع رتبة .

بقايا النسل يُقال له : « أربكوون » وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ، فسلطنه ، وأخذ له البيعة على الأمراء واستوسق له الأمر ، فخرج عليهما علي باشا خال بوسعيد وابن بَيدو فانْفَلّ الجمع ، وقُتل أرباكوون والوزير في التاريخ المذكور .

١٧١٦ ـ محمّد بن فضل [الله] بن أبي نصر*

ابن أبي الرضا السديد المعروف بابن كاتب المرج .

قرأ النحو والأدب والأصول على نجم الدين بن الطوفي[١] البغدادي الحنبلي بقوص ، ثم قرأ (التقريب)[٢] على مؤلفه الشيخ[٣] العلامة أثير الدين ، وتأدّب على تاج الدين أبي الفتح محمد بن الدّشناوي ، والأمير مجير الدين عمر بن اللّمطي ، وشرف الدين محمد النصيبي بقوص ، وغيرهم .

أديب كامل ، ولبَيَبٌ لأنواع اللطف شامل ، كأنّما خلق من نسمات السحر ، أو تكوّن من شمائل أغيد إن نطق سلب ، وإن رنا[٤] سحر . حَسن الصورة ، عليه ملامح الجمال مقصورة ، مع فصاحة لسان وسماحة بنان[٥] ، وحسن كتابة ، وكثرة وقوع على الإصابة ، وصدق لهجة ، وسَيْر سيرة سلك فيها[٦] أوضح محجة ، ونظم ما للسراج معه إضاءة ، ولا للجزار به لحاق ، ولو قطع أعضاءه ، ولا للبوصيري ولو صار في سكّر دانه

---

* الوافي : ٣٢٩/٤ ، والطالع السعيد : ٦٠٢ ، والدرر : ١٣٥/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (خ) ، (س) ومصادر ترجمته .

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري (ت٧١٦ هـ) . (ذيول العبر : ٨٨) .

(٢) هو تقريب للمقرّب ، والمقرّب كتاب في النحو لابن عصفور .

(٣) (س) : « شيخنا » كما في الطالع .

(٤) (س) ، (خ) : « أو رنا » .

(٥) في (س) ، (خ) زيادة : « وإحسان » .

(٦) (س) ، (خ) : « منها » .

صِيرا[١] ، ولا للنصير الحمّامي ولو كان ابن النقيب له نصيراً ، وهيهات ، هذا في علوٍّ ورفعة ، يضيء وأين النجم ممّن يحاوله .

ولم يزل في بلاد الصعيد يتنقل ، ويقرع هضبات الولايات ويتوقّل ، إلى أن فُتح سدّ المنايا على ابن السّديد ، وأصبح في الصعيد من تحت الصعيد .

وتوفي رحمه الله تعالى في .....[٢] .

وتقلب في الولايات السلطانية ، وهو في كلها محمود السيرة . وتولى وكالة بيت المال بقوص ، وجلس بالورّاقين بقوص .

وقال الفاضل كمال الدين الأفودي : كان والده قد أعطى في سعة العطاء ما يعزّ الآن وجودُه ، فجازاه الله بما أسلف من خير ، إسلام أبنائه أجمعين ، وهداهم إلى اتّباع سيّد المرسلين ، وانتقلوا من شريعة [عيسى][٣] إلى شريعة محمّد المختار ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[٤] .

وله مشاركة في النحو والأصول والحكمة والطب وغير ذلك ، وجرى على مذهب أهل الآداب في أنهم يستَجْلُون محاسن الشباب ، ويستحلّون التشبب في الشراب[٥] ووصف الحباب . انتهى .

أنشدني من لفظه القاضي صدر الدين سليمان بن داود بن عبد الحق قال : أنشدني من لفظه القاضي سديد الدين ابن كاتب المسرج :

---

(١) الصِّير : الماء .

(٢) كذا بياض في الأصول ، ولم يذكر في الوافي سنة وفاته أيضاً ، ولكن وقع في الدرر ما نصّه : قال الصفدي : مات سنة بضع وأربعين وسبع مئة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في مصادر ترجمته .

(٤) القصص : ٦٨/٢٨ .

(٥) في الأصل : « السبب » ، وفي (خ) : « السراب » . وأثبتنا ما في (س) والطالع .

تحـــاول عيني جهــدَهـــا أن تراكمُ | وكيف وفيهـا للـدموع تراكم؟![1]
أيـــا جيرة الــوادي ولم أدر طيبـــه | أمِنْ شجرات فيـــه أم من شـــذاكم!
فبالمسك مـالي حــاجــة إن أتيتكم | ولا لكم إنْ طيبُ ذكري أتــــاكم[2]
ومـــا بي[2] فقرٌ إن وقفت بـــأرضكم | لأنّ ثرائي وَقْفَـــــــةُ في ثراكم[3]
أسير إليكم والسقـــام مســـايري | فـإمـا حمــامي دونكم أو حمــاكم[4]
وإن فـات تفـديكم من السوء مهجتي | ومـا مهجتي حتى تكـون فـداكم[5]؟!
هـويتكم والنــاس طرّا فمــا الــذي | خُصصت بــــه حتى ولاء هــواكم[6]
وفيم يعـــــاديني الأنـــــام عليكمُ | وكلهم أحبــــــابكم لا عــــــداكم
كفـــاني إليكم أن مـــالي وسيلـــة | ولـــو شئتم أن تحسنـــوا لكفـــاكم
وكان شبــــابي إن غضبتم تجنّبـــاً | شفيعاً إلى مـا أرتضي من رضـاكم[7]
وكنت أظن الشيب ينهى عن الهوى | فلم ينهني عنكم، ولكن نهـــــاكم

قلت : البيت الأول مأخوذ من قول شمس الدين محمد بن العفيف :

في دمـــــــــــع عيني تراكم | لعلهـــــــــــــــا أن تراكم

وبه قال : أنشدني لنفسه :

وقـــالـــوا: لم صحبت شرار قـــوم | ولا مـــوُلي ولـــومهم حمــــاقـــهْ
وكيف أميّـــــــز الشرير منهم | ولم أعرفـــه إلا بـــالصـــداقـــة

(١) في الطالع : « ترى هل لعيني حيلة أن تراكم » .
(٢) في الطالع : « ما لي حيلة » .
(٣) في الأصل و (خ) : « ومالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، والطالع ، وفي الطالع : « إن حللت » .
(٤) في الطالع : « والسقام يقودني » .
(٥) في الطالع : « فإن قلت تفديكم ... فما » .
(٦) في الطالع : « حتى ولا بهواكم » .
(٧) في الطالع : « إلى ما أبتغي » .

قلت : أبو الطيب كان أحكم بقوله[١] :

أخالط نفْسَ المرء من قبلِ جسمه   وأعوفها من فعله والتكلم [٢]

وبه قال : أنشدني لنفسه :

ولي في الهوى العذريّ عذرٌ وإنما   عذار الذي أهواه لي فيه أعذارُ
أيْحسن أن أسلو وخدّاه جنّة   وقد كنتُ لا أسلوهما وهما نارُ

قلت : وقد لهج الناس بهذا المعنى كثيراً ، ومن أحسنه قول ... [٣] وبه قال : أنشدني لنفسه :

أُوْصيكَ يا مُرْتَحلاً   بقَلْب مَن قَدْ وَدَّعَك
إن عاشَ أو ماتَ فلا   تُفِض عَليهِ أدْمُعَك
وارْدُدْه لِيَ مُصَبّراً   فالقلبُ والصَّبرُ مَعَك

ومن شعر ابن كاتب الْمَرج :

إذا حَمَلَتْ طِيْبَ الشَّذا نَسمَةُ الصَّبا   فَذاكَ سَلامي والنَّسيمُ فَمِنْ رُسْلي
وإنْ طَلَعت شمسُ النّهارِ ذَكرتُكُمْ   بصالحَةٍ والشيء يُذكَرُ بالمِثلِ [٤]

قلت يريد : « طيب الشذا » : سَلامَه ، والنسيم نفسه رسولٌ ، فلا يُتَوهَّم أن الاثنين واحد ، والثاني والأول مأخوذ من قول :

إذا طلَعت شَمسُ النَّهارِ فَسَلِّمي   فآيةُ تَسليمي عليكِ طُلوعُها

(١) (س) ، (خ) : « كان أحكم منه لقوله » .
(٢) ديوان المتنبي : ١٣٥/٤ ، وفيه : « أُصادق .. في فِعْله » .
(٣) كذا بياض في الأصول وهو بمقدار بيتين في (س) .
(٤) في الأصل : « وللمثل » ، وكذلك في الطالع . وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وسيأتي ما يؤيد هذه الرواية من قول المؤلف . والبيتان في الطالع السعيد .

وقولُه : « والشيءُ يذكر بالمثل » أصلُ الْمَثَل : والشيء بالشيء يُذكرُ . ولو قال : والمثلُ يُذْكَرُ بالمثل [لكان أحسن][1] .

ومنه :

أقولُ لِجُنحِ الليلِ لا تَحْكِ شَعر مَنْ — هَويت وهذا القولُ من جهَتي نُصْحُ
فقد رامَ ضوءُ الصُّبحِ يَحكي جبينَهُ — مِراراً فَما حاكاهُ وافتَضَحَ الصُّبْحُ[2]

ومنه :

بَرقٌ بَدا مِنْ دارِ عَلْوَهْ — أوْ قَلبُ صَبٍّ صارَ جِذْوَه
فيها قلوبُ العَاشِقِيـ — نَ تَضَرَّمَتْ صَدّاً وجَفْوَه
إنّي اجْتَهدتُ فصرتُ في العُشْـ — ـشَاقِ قُدْوَةَ كلِّ قُدْوَه
لو أنَّ قَيساً مُدْركي — لَمَشى على نَهْجي وعُروَه
لا عَيشَ مِنْ بعدِ الصّبا — يَحْلو سِوَى بجنون صَبوَه
بمُهَفْهَف يسبي العُقو — لَ كأنَّ في جَفنَيْه قَهْوَه
أبَداً قَضيبُ القَدّ منـ — ـه يَميلُ مِنْ لِينٍ ونَشْوَه[3]
قَد أسْكَرَتْ رشَفاتُه — لكِنَّها كالشَّهْدِ حُلْوَه

ومنه :

وَرِد الكاسَ فَهيَ نارٌ إذا كا — نَ وَلا بُدَّ مِن دُخولِ النّارِ[4]
وتَحَدَّ الذينَ لم يَرِدوها — بِضُروبٍ مِن مُعجِزاتِ الكِبارِ[5]

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) في (س) ، (خ) : « وانفضح » . والبيتان في الطالع .
(٣) في الأصل : « البان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، والطالع .
(٤) في الأصل : « إذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .
(٥) في الأصول ما عدا الطالع : « وتحدى » ، والصيغة طلب .

فاجْلُ في اللَّيلِ مِن سَناها شُموساً وأدِرْ في النَّهارِ منها الدَّراري[1]
وأرِ الدّرّ مَنْ يغوصُ عَلَيْهِ عائماً من حبابِها في النُّضارِ[2]
إنَّما لَذَّةُ الْمُدامةِ مِلْكٌ لكَ فاشْرَبْ وما سِواها عَواري

قلت : قوله : « وأدِرْ في النَّهارِ منها الدّراري » استعمل هذا المعنى مجير الدِّين بن تميم[3] أحسن من هذا ، ومن خطِّه نقلت :

أمَولايَ أشْكُو إليكَ الْخُمّار وما فَعَلته كؤوسُ العُقار
وجَوْر السُّقاة التي لم تزل تريني الكواكبَ وسطَ النَّهار

ومن شعر ابن كاتِب الْمَرج :

لِمَنْ أشْتَكي البَرغوثَ يا قَوم إنَّهُ أراق دمي ظُلماً وأرّق أجفاني
ومازال بي كالليث في وَثَباته إلى أن رَماني كالقَتيل وعرّاني
إذا هو آذاني صَبَرْتُ تَجَلُّداً ويَخْرُج عَقْلي حينَ يَدخلُ آذاني[4]

قلت : ذكر أصحاب الخواص [أن البرغوث][5] إذا دخلَ في أذن أحد ووضع الإنسانُ يده على سُرَّته أو أصبعه في سُرّته وقالَ : « سَبَقْتك » فإن البرغوث يخرج منها .

وقال علاء الدِّين الوداعي في البَراغيث ، ومن خطِّه نقلتُ :

بَراغيثُنا فيهم جَراءَة فبالأسْرِ والقَتْلِ لا يَرْجِعُونا

(١) الدراري : جمع الكواكب . وفي الطالع : « واجل » .
(٢) (س) : « في حبابه » .
(٣) في (س) ، (خ) : « محمد بن تميم » ، وهو محمد بن يعقوب بن علي (ت ٦٨٤ هـ) ، الوافي : ٢٢٨/٥ .
(٤) الطالع السعيد .
(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

كَثيرو الأســـــاةِ مـــــعَ أنَّهم قَليـلاً مِنَ اللَّيـلِ مـا يَهْجَعـونـا [١]

ونقلت من خطِّه له مضمِّناً :

بَراغيث تَسري في الظَّـلامِ كأنَّهـــا حَراميّـة مِن بيضِهـا يُسْفَـكُ الـدَّمُ
«قَـوارِضُ تَـأْتيني فَيَحْتَقِرونهـــا وقَــد يَمـلأُ القَطرُ الإنــاءَ فيُفعَمُ»

ونقلتُ منه أيضاً له :

بَراغيث فيهـــا كَثرَة فكأنَّهـــا عَلينـــا مِنَ الآكامِ يَحتَفِرونهـــا [٢]
تَقـولـون لي صِفْهـا فقلتُ أُعينكُم «قَـوارِضُ تَـأْتيني فيحتَقِرونهـــا»

وما أحسن قول الصّاحب جمال الدِّين بن مطروح :

رُبَّ بَرْغـوث ليلـــةٍ بتُّ منـــه وفـــؤادي في قَبضَـــةِ التّسعين
أمكَنتْ قبضـــة الثّـلاثين منـــه فسقتُـــــــــه الحِمامَ في سَبعين

وقال آخر :

للبَراغيث صــــارَ جِسمي مَقيـــلاً ففـــؤادي من شَرِّهم في عَـــــذاب
طَفَـــــحَ السُّكرُ والشَّرابُ عليهم فتَقـــــايَـــوا دَمي على أثـــوابي [٣]

ومن شعر ابن كاتب المرج :

أمـــا وطيبِ عَشيّـــاتٍ وأسحـــارِ مِن بعـــدِهـــا أفَلَتْ شَمسي وأقْماري
بهـــا أذَكِّرُ دَهْري كي يَجـودَ بهـــا فـلا يَجـودُ ولا يَـــأْتي بـــأعـــذار
لـوأنَّ تِلـكَ مِنَ الأيّـامِ عُـدْتَ بهـا أو اللَّيـــالي ولم تَحْتـجْ لِتِـــذْكارِ [٤]

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ كانوا قَليلاً مِنَ اللَّيلِ ما يَهْجَعونَ ﴾ . [الذّاريات : ١٧/٥١] .

(٢) في الأصل : « يحتقرونها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) تقايوا : من القيء .

(٤) في الأصل : « من الآثار ... أو لليالي ... ولا تحتج » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .

لله لَيــلاتهـــا البيض القِصـــار فَكَمْ سَطَـوتُ منهـا على دهري ببتّــار[1]
أنكرتُ إفْشـــاءَ سِرٍّ كُنتُ أكتُمُـــه فيهــــا ولكِنَّني أنكَرتُ إنكاري[2]
يـا للعجـائب ليـل مـا هَجَعْتُ بـهِ لِنُــوره كَيفَ تُخْفَى فيـهِ أسراري[3]
إن الضَّنى عَن جميـع النّـاس مَيَّـزني فكانَ علّـةَ إخفـائي وإظهـاري[4]
فـلا تَقـولـوا إذا اسْتَبطَـأتُم خَبَري أمَـا النَّسيمُ عليـهِ سـائر سـاري
فَلــو يَمرُّ نَسيمٌ بي لَســـارَ إلى مَغنـاكُم بي كما يَسْري بـإخْبـاري

ومن نظم ابن كاتب الْمَرْج موشح كتبَ به إلى كمال الدِّين الأدفوي[5] :

لي[6] مَرْبعٌ قَـد خَـلا مِن أهلِه في السَّبْسَب: عَمْـران
فـإنْ يَكُن أمْحَـلا فَمَـدْمَعي كالسُّحْب: هتّـانُ
سَرَوا فَطِـــابَ النَّسيم[7] وكلّ وادٍ عـــــاطِرُ
ولي فـــــؤادٌ يَهيمْ بـــالعِشْـق وهـو شـاعِرُ
حَكَـوْا ظِبـــاءَ الصَّريمْ[8] لَـوْصِيـد منهم نـافِرُ
حَـــذِرتُ أنْ لا يريمْ فَرامَ مـــا أُحـــاذِرُ
فـــإن سَرى في بَهيمْ[9] ليـل فبَـدرٌ سـافِرُ
وإن يَسْرِ عَجِــلا فـالظَّبيُ عنـدَ الهرب عجـلان

(١) في الأصل : « بنتار » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .
(٢) في الأصل : « إنشاء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (خ) : « بنوره » .
(٤) (خ) : « الصبا » .
(٥) الطالع السعيد : ٦٠٩ .
(٦) (س) والوافي : « بي » .
(٧) (س) والوافي والطالع : « الشميم » .
(٨) الصريم : القطعة من معظم الرمل .
(٩) في الوافي : « فإنَّ سرّي » . وفي الطالع : « فإنْ سَرَى » .

أو حــلَّ وسـط الفـلا فقـومـــه من عَربٍ غـزلان
يقـــولُ خـــلِّ انطِـــلاقْ الـــدَّمـع قَصـــد السُّمْعَـــة
فَمِا لأهــــلِ النَّفــــاقْ ووَجنـــــةٍ كالْجَنَّـــــة
فقلتُ دَمـــــــــعٌ يُراقْ هَـــل ردُّهُ في الحِيلـــــة
كُلِّفْتُ مـــا لا يُطـــاقْ في شِرَعـــةِ الْمَحبَّـــــة
ولا وَعَـــدتُ العنـــاقْ وقَهـــوة الرِّيـــــق التي
من حـاسـديهـا الطَّـلا وحسن نَظمِ الْحَبَب خَجْـلان
لالَغْـوَ فيهـــا ولا[1] يحرسُهـــا من شَنَب[2] رضـوان
لَيست كراحٍ يُطـــــــافْ بهـــا حَرامـــاً لا حَـــلال
تَـــدُقُّ عِنـــدَ اختِطـــافْ عُقـــولَ قـــومٍ كالجِبـــال
كَم أمَّنَتْ مِن[3] يخــــاف إمّـــا بحـــقٍّ أو مُحــــال
وهـــوَّنَتْ مِن تَـــلافِ عِرضٍ ودينٍ بعـــدَ مـــال
فَـــدَع كُـــؤوسَ السُّـــلاّفِ واستَجْـلِ أوصـافَ الكمـــال
فــــإنَّما يُجْتَلى على الكِرامِ النُّجُب إحسـان
مَن عِنـدَه بـــالغَـلا يُستعبَـــد الحرّ الأبي إيـــان
أثنَت علَيــــــه العِـــــدا وعَـــــدَّدت مـــــآثِرَه
مَركَـــز بَـــذل الجَـــدى ومَن سِـــواهُ الـــدائرَه
بـــلا حُروفِ النّــــدا لبَّت لَهـــاهُ[4] الغـــامره
أسلَفَ كـــلاّ[5] يَـــداً حتّى السَّحـــابَ الهـــامِرَه

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطُّور : ٥٢/٢٣] .
(٢) في الأصل : « سبب » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي ،لاالطالع .
(٣) (س) : « ممّن » .
(٤) في الوافي : « لهاة » .
(٥) (س) : « كلّ » .

وقـــــد مَـــلا بــــالنَّـــــدا كلٌّ بِقـــــاع القـــــاهِرَه
حتّى رأينـــا الْمَـــلا لِفَضلـــــــه والأدَب قَـدْ دانوا
إذْ هُم رَعـايـا العُـلا وجَعْفَر بنُ[١] تَغْلِب سلطـان
منــــهُ يُفــــادُ[٢] الكــلامْ فمـــا يقــولُ النّـــاظِمْ
في العلِم حَبْر[٣] إمـــــام وفي السَّخــــاء حـــاتِمْ
فيَـــا أبـــا الفَضـــلِ دامْ لِي ببَقـــاكَ العــــالَمْ
فـــأنتَ عينُ الأنـــامْ يَقْظى وكلٌّ نـــــائمْ
بـــكَ الجـــدودُ الكِرامْ تسَرُّ حتّى آدَم
أنتَ لمن قَـــد تَــلا على صَميمِ النَّسَب عنــوان
يـــا آخِراً وأوّلاً كأنَّـــهُ في الكُتُب قُـرآن
وغــــــادةٌ تَنْجَلي فينجَلي القلبَ الْحَـــزينْ
بهــــا تُحَلَّى الْحُلي ويُسْحَر السِّحر المبينْ
قلتُ لهـــــــا والخلي لم يَــدرِ مــا الــدّاءُ الــدَّفينْ
بـــــالله مَنْ يَنْطَلي عَليـــك أو تـــألَفينْ
ابنَ عَلِي بَعلي قـــالت نعم يـــا مُسْلِمين
لـــولا عَليَّ انطَـــلا ترَكتُ أُمِّي وأبي من شـــانـــو
كفـايـــة الله البــلا[٤] يَبيت سوى ذا[٥] الصَّبيّ في أحضـــانـــو

ومن موشحاته أيضاً :

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « فغاد » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي . وفي الطالع : « يعاد » .
(٣) في الأصل : « خير » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي ، والطالع .
(٤) في الطالع : « كفاه » .
(٥) في الوافي : « وذا » .

أفتِـــكْ بنـــا في السَّقَم والهمّ كلّ فَتْــــــك
بخَمرَة كالعَنْـــــدَم أو مَرشَف بن تُرْكي
فلَـونُهـا لَـوْنُ الــدَّم والرِّيـح ريـحُ المِسْـكِ
كم صَيَّرت[1] ذا أَلَم مِن كَـدَرٍ وضَنْـكِ
والعَيش منـهُ يَصفـو والطَّيش يُسْتَخفُّ وللسّرور زَحْفُ
منـهُ الهُمـوم تهربُ ولـو أتَتْ في أَلْفِ

ومنه في الخرجَة :

يـا مَرحَبـاً بـالغـائبِ إذ جـاءَ في العِـذارِ
يُـزْري بكُـلِّ كاعِبِ تَـزورُ في الإزارِ
فَلَم أكُن بخـائبِ عليـه في انتظـارِ
ولم أقُـلْ كالعـاتِبِ أبْطَـأتَ في مَـزاري
إلاّ التَفتْ لَخَلْفُـو وقـالَ يُشيرُ بكَفّـو وحاجبُو لردفو
هذا الثَّقيل حَقّاً اعتبوا[2] على انقطـاعـو خلفي

١٧١٧ ـ محمد بن أبي القاسم بن جميل*

الشيخ الإمام العالم الفاضل المفتي شمس الدِّين أبو عبد الله الرّبعي المالكي التونسي .

سَمع بدمشق سنة ثلاث وسبعين وست مئة وبعدها من ابن جعوان ، والحارثي ، وغيرهما ، وحدَّث ، وكان من الفضلاء المشهورين . ووليَ القَضاء بالإسكندريّة مدّة .

(١) في الوافي : « صبَّرت » .
(٢) في الطالع سقطت كلمة « حقاً » .
* الدُّرر : ١٤٩/٤ ، وذيول العبر : ٨٤ .

وتـوفّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في حـادي عشري صفر سنـة خمس عشرة وسبـع مئـة بالقاهرة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وكان فـاضلاً في فنون[١] النحو والأصـول ، واللغـة ، ودرَّسَ وأفتى وصَنَّف واختصر (تفسير ابن الْخَطيب)[٢] ، ودرَّسَ بالمنكوتمريّة ، ونابَ في الحكم بالْحُسَينية ، ولم تحمَـد سيرته في الإسكندريّة .

قال كال الدِّين الأدفوي : ذكروا عنه أنه كان يأخـذ الـدراهِمَ في قضـاء الحـاجـات ويقـولُ : أنـا أعرف كيف آخـذ . وتُكلِّم فيـه وصُرِف[٣] ، وكان قبـل القَضـاء يُظنُّ بـه الخير ، وكانت [دروسه][٤] فصيحة في غايَة الجودة ، وكان إماماً بالمدرسة الصّالحيـة في إيوان المالكيّة .

١٧١٨ ـ محمد بن أبي القاسم بن محمد*

ابن يوسُف بن مُحَمَّد بن يوسُف بن محمـد ، بهـاء[٥] الـدِّين أبو الفضـل ابن شيخنـا علم الدِّين البرزالي .

قـال شيخنـا والـده : ختم القرآن العَظيم في السَّنَـة الثـامنـة ، وصَلَّى بـه التّروايح سنتين ، وجَوَّد قراءته ، وقرأ بالسَّبع[٦] ، وحَفـظ (الشّـاطبيـة) و (الرّائيـة) وكتـاب (التنبيـه) في الفقـه و (الجرجـانيّـة) و (مختصر النووي) في علـوم الحـديث . ولازم

(١) (س) : « فنون من » .
(٢) هو الخطيب التبريزي . انظر : الكشف ١/٤٤٦ .
(٣) (س) : « ... وأتكلم فيه ، فصرف » .
(٤) زيادة من (س) والدُّرر .
* الوافي : ٤/٣٥٢ ، والدُّرر : ٤/١٤٢ .
(٥) في الأصل : « ابن بهاء » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .
(٦) (س) : « وقرأه بالروايات السبع » .

زكيّ الدِّين زكَريّا مدَّة سنتين ، وقرأ الفقه عليه ، ولازم كمالَ الدِّين بن قاضي شهبَة مدّة وقرأ عليه في النَّحو ، وجوَّد الخط مُدَّة على الشِّهاب غازي ، ثم بعده على النجم الكاتب . وجاد خطُّه ونَسخ (الشّاطبيّة) وقطْعَةً من أول (تفسير البغوي) إلى قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبولٍ حَسَنٍ ﴾[١] ، و (علوم الحديث) للنووي . وسَمع على خلق كثير عدّتهم تسع مئة شيخ وسَبع من الرِّجال والنِّساء . وزار بيت المقدس ، وحجَّ مع والده سنة عشر وسبع مئة ، وسَمع بالحرمَيْن ، وتزوَّج بعد ذلك .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السَّبت ثامن شهر الله المحرَّم سنة ثلاث عشرة وسَبع مئة ، ودُفِن بتربتهم بمقبرة الباب الشرقي .

ومولده العشرون من المُحرّم سَنة خمس وتسعين وست مئة ، عاش ثماني عشرة سنة .

١٧١٩ ـ محمد بن قايماز بن عبد الله*

الشيخ الصالح المسند شمسُ الدِّين ابن الصّارم .

شيخٌ مبارك قرأ القراءات السَّبعة على السّخاوي ، وسمعَ من ابن الزبيدي ، وابن اللَّتي ، وابن صباح ، والفخر الإربلي ، وغيرهم . وتفرَّد بالسَّماع من ابن ماسويه المقرئ ومُحَمَّد بن نصر بن ناصر بن قوام الرّصافي[٢] ، وحدَّث بـ (صحيح البخاري) كاملاً عن ابن الزُّبيدي بسنده ، قال شيخنا البرزالي : قرأته عليه .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشري ذي الحجّة في أوائل[٣] سنة اثنتين وسبع مئة .

---

(١) سورة آل عمران : ٣٧/٣ .

* الدُّرر : ١٤٣/٤ ، وذيول العبر : ٢٢ ، والشّذرات : ٧/٦ .

(٢) كذا ، وفي الشّذرات ٤٢٠/٥ : « أبو محمد عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ثم الدمشقي ، توفِّي سنة (٦٩٥ هـ) ، وعاش ثمانين سنة » .

(٣) ليست في (س) .

ومولده سنة عشرين وست مئة بدمشق . وكان أبوه طحاناً بدمشق .

١٧٢٠ ـ محمد بن قطلوبك بن قراسُنقر*

الأمير الكبير بدر الدِّين ابن الأمير الكبير سَيف الدِّين المعروف بابن الجاشنكير .

كان شابّاً ظريفاً لطيفاً ، تأمَّر بعد والده وتَقَرَّب بالخدمة إلى الأمير سَيف الدِّين تنكز ، فولاّه ولاية البَرّ في ثامن عشر شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ولبسَ تَشْريفة ، وباشر الوظيفة وكان عنده مكرَّماً معظَّماً .

ثم إنه في أيّام الأمير علاء الدِّين ألطنبغا حَصَّل تَقْدِمَة ، وتوجَّه إلى باب السُّلطان وكاتب بجملة ، وسعى في الحجوبيّة ، فرسَمَ له بها ، وكان في نفسه منها أمر عظيم ، وحضر إلى دمشق مريضاً .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يومَ الأضحى سَنة إحدى وأربعين وسبع مئة ولم يُباشر الوظيفة ، ولعله كان لم يصل إلى الأربعين ، وأظنّه تولّى نيابَة جعبر في أيام الأمير سيف الدِّين تنكز رحمه الله تعالى .

١٧٢١ ـ مُحَمَّد بن قلاوون**

السُّلطان الأعظم الملك الناصِر ناصِر الدِّين ابن السُّلطان الملك المنصور سَيف الدِّين الصَّالحي .

من أعظم ملوك الأتراك ، ومَن دانت [له الأقدار](١) ودارَت بسُعوده الأفلاك ،

---

* الدُّرر : ١٤٣/٤ .

** الوافي : ٣٥٣/٤ ، وفوات الوفيات : ٣٥/٤ ، والبداية والنهاية : ١٩٠/١٤ ، ووفيات رافع : ١٤٧/١ ، والدُّرر : ١٤٤/٤ ، وبدائع الزهور : ٤٨٢/١/١ ، والشذرات : ١٣٤/٦ .

(١) زيادة من (س) .

لم يرَ الناسُ مثل أيّامه ، ولا أسعَدَ من حَرَكاتِه ، في رَحيلِه ومُقامِه ، تجرَّع في مَبادئ أمره كؤوس الصَّبر ، وتجلَّد إلى أن وَارَى أعاديه القبر[١] .

وَلِيَ الملكَ ثلاث مرّات ، وخَرجَ إلى الكرك وعادَ إلى مصرَ كَرّات ، وفي الثالثة صَفا لـهُ الوَقت ، واختصَّ بالمِقَة منْ رَعاياه كما اختصَّ عِداه بالْمَقْت ، فحصَدَ من كان حَسَده ، وأراحَ قلبَهُ وجَسَده ، وخَلَت لـه الأرض من الْمُعارض ، وأكلتهم القوارع والقوارض ، وضَمَّن بعضهم لُحودَ السُّجون ، ووقَعوا من سَطواته في الحدِّ وكانوا يَظُنّون أنه مجنون[٢] ، ولَمّا استوسق له الملك وفاز أولياؤه بالنجاة[٣] ، وحاز أعداؤه الهلك ، صفت لـه الأيام من الكدر وسابق السَّعد مرادَهُ وبَدَرْ ، وضاق بعدوِّه السَّهل والْجَبل ، وحلَّ به من الخذلان ما لم يكن له بهِ قِبَل :

وقَد سارَ في مَسراهُ قبل رسُولِه فَما سارَ إلاّ فوقَ هامٍ مُفلَّقِ
ولَمّا دَنا أخفى علَيه مَكانَهُ شُعاعُ الحديدِ البارقِ الْمُتألِّقِ
وأقبَلَ يَمشي في البِساطِ فَما دَرى إلى البحرِ يَمشي أم إلى البَدْرِ يَرتَقي

واقتصَّ بما اغتصّ ، وانفرد بالملك فيما اختَلَّ عليه فما اختص ، وقالت السعود المخبوءة : خُذ ، وقالت الأقدار : تحصَّن بألطاف الله وعُذْ . ودانت لـه مُلوك الأرض ، وأصبح كلٌّ من مهابته يَرمق العَيش على بَرْض[٤] . وهادنه الفرنج والتَّتار ، وساطَه حتّى زنج الليل ورُوم النَّهار ، وأصبح سيفه[٥] :

على عاتِقِ الملكِ الأغرِّ نجادُهُ وفي يَدِ جَبّارِ السَّمواتِ قائِمُهْ
تُقَبِّلُ أفواهُ الْمُلوكِ بِساطَهُ ويَكبُرُ عنها كُمّه وبُراجُمهْ

(١) في (س) : « في القبر » .
(٢) (س) : « مجون » .
(٣) في الأصل : « النجاة » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) البرض : القليل .
(٥) الأبيات الآتية للمتنبي ، وهي في الديوان على ترتيب يخالف ما ههنا . انظره : ٣٣١/٣ ، وما بعدها .

تحـولُ رمـاحُ الخـطِّ دونَ محلِّـه وتُسْبى لـهُ من كلِّ حيٍّ كَرائِمُـهْ[١]
لـه عَسكرا خَيـلٍ وطَيرٍ إذا رَمى بهـا عَسْكراً لم يَبْـقَ إلاّ جَماجمُـهْ
تُحـارِبُـهُ الأعـداءُ وهِيَ عِبـادُهُ وتُـدَّخَرُ الأمـوالُ وهِيَ غَنـائِمُـهْ
ويَسْتَكْبِرونَ الدَّهْرَ والـدَّهرُ دونَـهُ ويَسْتَعظِمونَ الموتَ والموتُ خـادِمُـهْ

وأصبَح النيـل على إثر النيـل ، والخصب يَسير على إثر الخصبْ [ويسيـل][٢] ، ورُخاء الرَّخاء تهبُّ نسيماً ، ووَجه الأمْنِ قد أسفَر وسيماً ، ومُحَيّا[٣] الدَّعَة والسكون عَليه من الإقبال طلاوة وسِيْما ، والغنى أصبَحَ للناس غناءً ، ولكن زيـد يـاء وميماً ، والإنعـامـات تُفاض فتخجل البحار الزَّخّـارة ، وبـدرهـا إذا فُضَّت استَحيـا منهـا البَـدر ، ولم يخرج عن[٤] الدارة ، أغْرَقَ خَواصّه بالجوائز وعمَّهم بالهبات التي يتحدَّث بشأنها على المغـازل الأبكار[٥] والعجائز . لم نسمع لِمَلِك[٦] بمثل عطـايـاه ، ولا لجواد غيره بما وَهَبَ حتى أثقل جيـاده وكلَّت مَطاياه :

تَمشي خـزائنُـهُ من جـودِ راحَتِـه بَيـداءَ لا ذَهَبٌ فيهـا ولا وَرِقُ
وتَحسَبُ الـوَفْرَ غَيْماً والعُـلا أُفُقـاً إذا انْجَلى الغَيمُ أبْـدَى حُلْيَـهُ الأُفُقُ[٧]

ولم يَزل في سعادَة ملكه وريحُ السعود تجري بها مواخر فُلكـه ، إلى أن هلـك عنـه سلطانه[٨] ، وما أغنى عنه أنصاره ولا أعوانه .

(١) في الديوان : « دون سباءه » .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) في الأصل : « ووجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٤) (س) : « من الدارة » .
(٥) (س) : « الأكابر » .
(٦) في (س) زيادة : « لملك قبله » .
(٧) في الأصل : « غَنْماً » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه ﴾ [سورة الحاقة : ٢٩/٦٩] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسَبع مئة .

ومولده في صفر أو في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وست مئة .

كان والده المنصور إذ ذاك على المرقب[(١)] محاصراً ، ودُفِنَ ليلة الخميس بالمنصوريّة[(٢)] . تولّى دفنه بعد عشاء الآخرة الأمير علم[(٣)] الدِّين الجاولي ، وكان لَمّا قتل أخوه الأشرف خليل في عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مئة وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ من قاتِليه وقَّع الاتفاقُ بعد قتلة بيَدرا على أن يكون الملك الناصر مُحَمَّد أخو الأشرف هو السُّلطان ، وأن يكون زين الدِّين كتبغا نائباً ، وعلم الدِّين الشجاعي وزيره استادار[(٤)] ، واستقر ذلك ووَصل إلى دمشق الأمير سَيف الدِّين ساطلمش والأمير سيف الدِّين بَهادُر التَّتري على البريد في رابع عشري المحرم ومعهما كتابٌ عن الأشرف أننا[(٥)] قد استَنَبْنا أخانا الملك الناصر محمداً وجعلناه ولِيَّ عَهْدِنا ، حتى إذا توجَّهنا للقاء العدوّ يكون لنا من يخلفُنا ، فَحلَف الناس على ذلك وخطب الخطيب به ، ودعا للأشرف ثُم لوليّ عهده الناصر ، وكان ذلك تدبير الشجاعي . وفي[(٦)] ثاني يوم ورد مرسوم بالْحَوْطة على موجودِ بيدَرا ولاجين وقراسُنقر وطُرُنْطاي الساقي وسنقرشاه وبهادر رأس نوبه ، وظهرَ الخبر بقتل الأشرف واتِّفاق الكلمة على أخيه الناصر مُحَمَّد ، واستَقَلَّ[(٧)] كتبغا نائباً والشجاعي مدبِّر الدَّولة ، وقبضَ على جَماعَة من الذين اتَّفقوا على قتل الأشرف وهُم الأمير سَيف الدِّين نوغاي ، وسَيف الدِّين الناق ، وألطنبغا الجمدار ، وآقسنقر مملوك لاجين ، وطرَنطاي السَّاقي ، وآروس ، وذلك في خامس صفر .

(١) المرقب : حصن للمسلمين على ساحل جبلة . (معجم البلدان) .

(٢) في الوافي : « بالمدرسة المنصورية بين القصرين » .

(٣) (س) : « علاء » ، سهو ، وهو : سنجر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) (س) : « وزيراً واستادار » ، وفي الوافي : « وهو الوزير وأستاذ الدار » .

(٥) في الوافي : « من الأشرف ومضمونه أننا » .

(٦) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل : « واستغلّ » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

فأمر السلطان الناصر بقطع أيديهم وتسميرهم أجمع ، وطِيْفَ بهم مع رَأس بيدَرا ثم ماتوا .

ولَمَّا كان في عشري صفر بلغ كتبغا أنَّ الشجاعي قد عامَل جَماعة في الباطن على قَتْله ، ولَمَّا كان في خامس عشري صَفر ركب كتبغا في سوق الخيل [وقتل في سوق الخيل][(١)] أمير يقالُ له البندقداري لأنه جاء إلى كتبغا وقال له : أين حسام الدِّين لاجين أحضِرْه ؟ فقال [ما هو عندي ، فقال][(٢)] : بل هو عندك ، ومَدَّ يَدَه إلى سَيفه ليسلَّه فضربه الأزرق[(٣)] مملوك كتبغا بالسَّيف حلَّ كتفه ، ونزل مَماليك كتبغا فأنزلوه وذبحوه ، ومَالَ العسكر منَ الأمراء والْمُقَدَّمين[(٤)] والتَّتار والأكراد إلى كتبغا ومال البرجيّة[(٥)] وبعض الخاصكيّة إلى الشجاعي ، لأنه أنفق فيهم في يوم ثمانين ألفَ دينار ، وقرَّر أنَّ كلَّ مَنْ أحضَرَ رأس أمير فإقطاعُهُ له ، وحاصر كَتبغا القلعَة وقطع عنها الماء ، فنزلَ البُرجيَّة ثاني يوم من القلعة إلى كتبغا على[(٦)] حميّة وقاتلوه وهزموه إلى بئر البيضاء ، فركبَ الأمير بدر الدِّين بيسَري والأمير بدر الدِّين بكتاش أمير سلاح وبقيّة العسكر نصرةً لكتبغا ورَدُّوهم وكسَروهم إلى أن أدخلوهم القلعَة ، وجدّوا في حِصارها ، فطلعَت الستّ والدة السُّلطان الملك الناصر إلى أعلى السُّور وقالت : إيش المراد ؟ قالوا[(٧)] : مالنا غرض غيرَ الشُّجاعي[(٨)] ، فاتَّفقَتْ مع الأمير حسام الدِّين لاجين الاستادار[(٩)] وأغلقوا بابَ القلّة ، وبقي الشُّجاعي محصوراً في داره . وتسرَّبَ الأمراء

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « بلبان الأزرق » .

(٤) في الأصل : « والمتقدمين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « الرحبة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل : « قالت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٨) في الوافي : « إمساك الشجاعي » .

(٩) في الأصل : « استادار » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

الذين معَه واحِداً بعدَ واحِد ونزلوا إلى كتبغـا ، فطلبَ الشجـاعي الأمـان ، فطلبوه إلى الستّ وإلى لاجين استـادار ليستشيروه فيما يفعلونـه ، فلَمَّـا توجَّـه إليهم ضَرَبـه الآقوش المنصوري بالسَّيف قَطَعَ يـدَه ، ثم ضَرَبَـه أُخرى بَرَى رأسـه ، ونزلوا برأسـه إلى كتبغـا ، وجرَتْ أمور ، وغلِّقت أبوابُ القاهرة خمسَةَ أيام .

ثم طلعَ كتبغـا إلى القلعَـة سـابع عشري صفر ودُقَّت البشـائر وفُتِحت الأبـواب[١] وجُدِّدَت الأيْمان والعهود للسُّلطان الملك الناصِر ، وأُمسك جماعـة من البُرْجيّـة كانوا مع الشّجاعي ، وجـاءت الْحَوطـة إلى دمشق على مـا يتَعلَّق بـه ، وخَطَبَ الْخَطيب في يوم الجمعـة حـادي عشري شهر ربيع الأول للسُّلطـان الملـك النـاصِر استقـلالاً ، وترحَّم على والده الْمَنْصور وأخيه الأشرف .

وفي عشري شهر رجب وَرَد البَريد بالْحَلْفِ للناصر ووليّ عهده كتبَغا .

وفي سَلخ رجب وَرد البريد أنَّ السُّلطان ركبَ في شعار الملك وأبَّهة السَّلطَنة وشَقَّ القـاهرة ، دخل من بـاب النَّصر وخرج من بـاب زويلَـة عـائـداً إلى القلعَـة ، والأمراء وكتبَغا يمشون في ركابه ، وفرحَ الناس بذلك ودُقَّت البشائر .

ولم يزل مستمرّاً في الملـك إلى حـادي عشر الْمُحرّم سنـة أربـع وتسعين وست مئـة ، فتسلطَنَ كتبغـا وتسمَّى بـالعَـادِل ، وحَلَف لـه الأمراء بمصر والشـام ، ودُقَّت البشـائر وزُيِّنت البلاد ، وجعَلَ أتابكَـهُ الأمير حسـام الـدِّين لاجين ، وتولى الوزارة الصّاحب فخر الـدِّين [ابن][٢] الخليلي ، وصَرَف تـاج الـدِّين بن حنّـا ، وحَصَل الغـلاء الـزائـد الْمَفْرِط في أيّامه حتى بلغ الإردبّ بمصر إلى مئة وعشرين ، ورطل اللحم بالـدمشقي إلى سبعة دراهم ، ورطل اللَّبَن بدرهمين ، والبَيض ستّـاً[٣] بـدرهم ، ورطـل الزَّيت بثمانيـة ،

---

(١) في الأصل : « الأيام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) . وفي الوافي : « عمر بن الخليلي » .

(٣) في الأصل : « ستة » .

ولم يكن الشّام[١] مرخصاً ، وتوقفت الأمطار ، وفزع الناس ، وذلك في سنة خمس وتسعين وست مئة . وتبع ذلك وباء عظيم ، وفناء كثير ، ثم إنَّ الغَلاءَ وَقَع بالشام وبلغت الغَرارة مئة وثمانين .

وقدم كتبغا بالعساكر إلى الشامَ في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، ولما عاد إلى مصر من[٢] نوبَة حمصَ في سلخ المُحَرّم سنة ست وتسعين وست مئة ووصل إلى اللُّجون جرى له ما جَرى مِمَّا تَقَدَّم ذكره في ترجَمَة كتبغا ، وهربَ كتبغا إلى دمشق ، ودخل لاجين بالخزائن وتَسَلْطن بالقاهرة وتسمَّى بالمنصور ، ولم يختلف عليه اثنان ، كما تقدم في ترجمة لاجين .

واستناب قراسُنقر بمصر مدة ، ثم إنه قبض عليه واستنابَ منكوتمر مملوكه ، على ما تقدم ، وجعل قبجق نائب دمشق ، وجهز الملك الناصر إلى الكرك ، وقال[٣] : لو عَلمت أنهم يخلون الملك لك والله تركته ، ولكنهم ما يخلونه ، وأنا مملوكك ومملوك والدك ، أحفظ لك الملك ، فأنت[٤] تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتخرَّج وتدرب[٥] الأمور وتعود إلى ملكك ، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حَماة ، فقال له السُّلطان : فاحلف لي إنك[٦] تبقي عليّ نفسي وأنا أروح ، فحلف كلٌّ منهما على ذلك ، وتوجَّه السُّلطان وأقام بالكرك إلى أن قُتِل لاجين ، على ما تَقدم في ترجمته ، في شهر ربيع الأول سَنة ثمان وتسعين وست مئة ، فَحَلَف للسُّلطان الملك الناصر جميعُ الأمراء وأحضروه من الكرك وملَّكوه . وهذه سلطنته الثانية . وجَعَل سلاّر نائباً بمصر ، وحسام الدّين أستادار أتابكاً .

(١) في الأصل : « بالشام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « حمص في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) عبارة الوافي : « وقال له المنصور » .
(٤) (س) والوافي : « وأنت الآن » .
(٥) في الوافي : « وتجرّب » .
(٦) (س) : « على أنك » .

وفي جمادى الأولى من السَّنَة المذكورة[١] ركبَ السُّلطان بأبَّهَة الملك وشعار السَّلطنة والتقليد الحاكمي[٢] أمامَه ، وعُمْرُه يومئذٍ خمس عشرة ، ورُتِّبَ الأفرم نائباً بدمشق .

وفي عَوْد السَّلطنة إلى الملك الناصر قال علاء الدِّين الوداعي ، ومن خطِّه نقلت :

الملكُ الناصرُ قَدْ أقبلَتْ دَولتُه مشرقةَ الشَّمْس
عادَ إلى كُرسيِّه مثلَما عادَ سُلَيمانُ إلى الكُرْسيّ

ولم يزل بمصر إلى أن حضر غازان إلى الشام ، فخرج بالعَساكر في أوائل سَنَة تسع وتسعين وست مئة ، ودخل دمشق في ثامن شهر ربيع الأول بعدما طوّل الإقامة على غَزّة ، وأقام في قلعَة دمشق تسعة أيام ، وعدّى التَّتارُ الفرات ، فخرج السُّلطان وسَاقَ إلى حمص ، ورَكِبَ بكرةَ الأربعاء سابع عشري الشهر المذكور ، وساقَ إلى وادي الْخَزندار ، وكانت الوقعَة ، والتحم الحرب ، واستحرَّ[٣] القتل ، ولاحت أمارات النصر للمسلمين ، وثبتوا إلى العصر ، وثبتَ السُّلطان والخاصكيّة ثباتاً كلِّيّاً ، فانكسَرت مينة المسلمين ، وجاءهم ما لا قِبَل لهم به ، لأن الجيش لم يَكن بكاملٍ يومئذ ، وكان جيش الإسلام بضعة وعشرين ألفاً ، وكان جيشُ التَّتار يقاربُ المئة ألف ، فيما قيل ، وشرع المسلمون في الهزيمة ، وأخذ الأمراءُ السُّلطانَ وتحيَّزوا به ، وحَمَوا ظهورهم وساروا على دَرْب بعلبك والبقاع ، وبعض العَسْكر المكسور دخل إلى دمشق ، واستشهد جماعة من الأمراء ، وخُطبَ بدمشق للملك المظفر غازان محمود ، ورفع في ألقابه ، وتولّى قبجق النيابَة عن التّتار ، وملكَ غازان دمشق خلا القلعَة فإن قبجق في الباطن لاحظ أميرَها مع أرجواش [وأبان أرجواش][٤] عن همَّة عظيمة في حفظها[٥] ، على ما تقدَّم في

(١) ليست في (س) والوافي .
(٢) (س) : « الحاكي » .
(٣) في الأصل : « واستجر » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، واستحرَّ : اشتدّ .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) عبارة الوافي : « خلا القلعة فإن أرجواش قام بحفظها ، وأبان عن حزم عظيم ، وعزم قويم » .

ترجمته ، وجَبى التَّتار الأموال من الدَّماشِقة ، وقيل : إن الذي حُمل إلى خزانة غازان ثلاثة آلاف ألف ألف وست[١] مئة ألف درهم ، والذي أطلَقه لمقدّمي المغل نحو آلات[٢] على الناس بوصولات وأخذوا[٣] أكثر ممّا كُتبَ لهم فهو أكثر من ذلك . وأخذ شيخ الشُّيوخ لنفسه مبلغ ست مئة ألف درهم . وأخذ قبجق أكثر من ذلك ، وأخذ يَحيى وإسماعيل أكثر من ذلك ، وعزم الناس أكثر من ذلك ، وجَبوا على الرؤوس أكثر من ذلك ، وجبوا على البُيوت أكثر من ذلك ، وجَبَوا على الأوقاف أكثر من ذلك ، وأخذوا جميع ما وجدوه[٤] مِن الخيل والبغال والجمال والدّواب[٥] . وأحرقوا جامع التّوبة بالعقيبة ، وجميع[٦] ما حولَ البلد وخيار منتزهاتها[٧] ، وأجود عماراتها مثل الدهشة ، وصُفَّة أبقراط ، وصفّة العافية ، وناصريّة الْجَبل ، وبيمارستان الصّالحيَّة ، وترب كثيرة ، وغالب الْجَواسِق التي بالبَساتين ، وغالب ما حولَ القلعَة . وأمّا شبابيك الصّالحية وما قدِروا عليه من الرخام فإنهم أخَذوه وأفسَدوه . وقتلوا من أهل الصّالحيَّة أربعة آلاف نفس ، وأسَروا ما شاء الله . وأمّا الذي قَتلوه من الضياع البرّانية وأسَروه فشيء لا يعلمُه إلاّ الله تعالى . وكانوا[٨] إذا قرروا على الإنسان عشرة آلاف درهم ينوبه ترسيم لِلْمُغل ألفان[٩] . ولم يزل وجيه الدّين ابن المنجَّا يجبي[١٠] من الناس إلى أن كَمَّل المبلغ وحَمله إلى غازان ، وجُمْلَتُه ما تقدّم ذكره .

(١) في الأصل : « ست مئة » من دون الواو ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) كذا ولم نتبيّن مراده .

(٣) (س) : « وأخذوا هم » .

(٤) في الأصل : « وجده » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في (س) زيادة : « والغلال » .

(٦) في الأصل : « التولعيقية ! » ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي (س) : « وغالب » ، وجامع التّوبة يعرف بجامع العقيبة قرب مقبرة باب الفراديس . انظر : الدارس ٣٢٨/٢ . وهو بهذا الاسم إلى اليوم .

(٧) (س) : « منتزهاتها بها » .

(٨) (س) والوافي : « وكان » .

(٩) في الوافي : « ألقان » .

(١٠) (س) : « يخفي » .

وأقام غازان بالغوطة نازلاً إلى ثاني عشر جمادى الأولى ، ورحَل طالباً بلادَه وخلَّف نائبَه خطلو[١] شاه بالقصير في فرقة منَ المُغْل .

وفي شهر رجب جمعَ قبجق الأعيان والقضاة إلى داره وحَلَّفهم للدّولة الغازانيّة بالنُّصح وعدم المداجاة ، ثم إن قبجق توجَّه هو والصاحب عز الدِّين ابن القلانسي إلى مصرَ في نصف رَجب ، وقام بحفظ المدينة وأمر الناس أرجواش .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة للسلطان الملك الناصر ، وكان مُدّةُ إبطال ذلك مئة يوم .

وأما السلطان الملك الناصِر فإنَّه دخل إلى مصر بعد الكسرة[٢] وتلاحَقَ به الجيش ، وأنفق[٣] في العَساكر ، واشتُرِيَت الخيلُ وآلات السِّلاح بالأثمان الغاليَة .

وفي يوم عاشر شعبان قَدِم الأفرم نائب دمشق بعسكر دمشق ، وقدم أمير سلاح بالميسَرة المصريَّة ، ثم دَخَلَت الميمنة ، ثم دخل القَلْب وفيهم سَلاّر بالجيُوش إلى القاهرة ، وكثرت الأراجيف بمجيء التَّتار ، وانجفل الناس إلى مصر وإلى الْحُصون ، وبلغ أجرة الحمارة إلى مصر خمس مئة درهم ، ثم فترت أخبار التَّتار في شهر ربيع الأول سنة سبع مئة . ثم دخل التَّتار إلى حلبَ وشرع الناس في قراءة البخاري ، وقال الوداعي في ذلك ، ومِنْ خَطِّه نقلتُ :

بَعَثْنا على جيش العَدوِّ كَتائباً بُخاريّةً فيها النَّبيّ مُقدَّمُ
فَرَدّوا إلى الأُرْدو وبِغَيْظٍ وخَيْبَةٍ وأُرْدُوا وجيشُ المسلمينَ مُسَلّمُ
فقولوا لَهُم: عودوا نَعُدْ، ووراءكم إذا ما أتيتُم أو أبيتُم جَهَنَّمُ

ووصل السُّلطان إلى العَريش ووصل التَّتار إلى حَلَب .

(١) في الأصل : « خلطو » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (س) . وانظر ذيول العبر : ١٩ .
(٢) في الأصل : « الكسر » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٣) في الوافي : « ونفق » .

ودَخل شهر جمادى الأولى والنـاس في أمر مَريج ، ووصَل بكتمر السلاح دار بـألف فارس ، وعاد السُّلطان إلى مصر ، فانجفل[١] النـاس غنيُّهم وفقيرهم ، ونُودِي في الأسواق بـالرَّحيل[٢] ، وضجَّ النِّسـاء والأطفـال ، وغُلِّقت أبـواب دمشـق ، واقتسم النـاس قلعـة دمشق بالشبر ، ووقع على غيّـارة التّتـار عَسْكرُ حِمْص فكسروهم وقتلوا منهم نحو مئـة ، وصحَّت[٣] الأخبار برجوع غـازان نحو حلب ، فبلع النـاس ريقهم ، وأطفـأ السُّكون[٤] حريقهم ، وهلـك كثير من التّتـار تحتَ الثلج بحلب ، وعمَّ الغلاء ، وعزَّ اللحم بـدمشـق وبيع الرَّطل بتسعَـة دراهم ، ثم دخل الأفرم والأمراء مِن المرج بعـدمـا أقـاموا بـه أربعَـة أشهر ، واستقرَّ حال الناس بعد ذلك .

وفي شهر شَعبان أُلبِسَ النَّصارى الأزرق واليهود الأصفر والسَّامِرَة الأحمر ، وسبب ذلـك أن مغربيّـاً كان جـالسـاً بـبـاب القَلْعَـة[٥] عنـد سُـلاّر والجـاشنكير ، فحضر بعض الكتّـاب النَّصـارى بعمامَـة بيضـاء ، فقـام لـه المغربيّ يتوهَّم أنَّـه مُسلِم ، ثم ظهر لـه أنَّـه نَصرانيّ ، فدخل إلى السُّلطان وفاوَضه في تغيير زيِّ أهل الذِّمَّة ليَمتـاز الْمُسلمون عنهم . وفي ذلك يقول علاءُ الدِّين الوَداعي ، ومن خَطِّه نقلتُ :

لقـد أُلـزِمَ الكُفّـارُ شـاشـاتِ ذلّـةٍ ... تَـزيـدهُم مِن لَعْنَـةِ اللهِ تَشـويشـا
فقُلتُ لَهُم : مـــا أَلْبَســوكُم عَمائمـاً ... ولكنَّهم قـد أَلْبَسـوكُم بَراطيشـا[٦]

ونقلت منه له :

غَيَّروا زَيَّهُم بِما غَيَّروهُ ... مِنْ صِفـــاتِ النَّبِيِّ ربِّ الْمَكارِمْ

(١) في (س) والوافي : « وانجفل » .
(٢) في (س) والوافي زيادة : « إلى مصر » .
(٣) (س) : « وضجَّت » تصحيف .
(٤) في (س) زيادة : « والفرار » .
(٥) في الوافي : « القلّة » .
(٦) في الوافي : « قد ألزموكم » .

فَعَلَيهم كما تَرَوْنَ بَراطيـ ـشُ ولكنَّهـا تُسَمّى عَمائِمْ

ونقلتُ منه له :

لقـد ألبَسـوا أهـلَ الكِتـابَيْنِ ذِلَّـةً لِيَظْهَر مِهم كُـلُّ مَن كانَ كامِنـا
فقلتُ لهم مـا ألبَسـوكُم عَمائِمـاً ولكِنَّهم قَـد أَلْبَسـوكُم لَعـائنـا

وفي ذلك يقول شمس الدِّين الطيّبي :

تَعَجَّبـوا للنَّصـارى واليَهـودَ مَعـاً والسَّـامِريِّين لَمّـا عُمِّمـوا الْخِرَقـا
كأنَّما بـاتَ بـالأصبـاغِ مُنْسَهِـلاً نَسرُ السَّماء فـأضحى فـوقَهُم ذَرِقـا

وفي جمادى الأولى سنة إحـدى وسَبع [مئـة][1] توفي أمير المؤمنين الحـاكم بـأمر الله أبو العبّاس أحمدَ ودُفِنَ عنـد السَّيِّـدة نفيسَـة ، كما تقـدَّم في ذكره ، وتولَّى الخلافـة ولـدُه أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سُلَيان ، وقرئ تقليده بولاية العَهد بعد العَزاء .

وفي[2] سنـة اثنتين وسَبع مئـة فتحت جزيرة أرواد وهي بقرب انطرسوس[3] وقُتل بها عدّة من الفرنج ، ودخل الأسرى إلى دمشق وهم قريبٌ من المئة وخمسين[4] .

وفي شعبان من السَّنة عدَّى التَّتارُ الفرات وانجَفل الناس ، وخَرَج السُّلطان بجُيوشه من مصر . وفي عاشر شعبان كان للمصـاف بين المسلمين والتَّتـار بعُرْض[5] ، كان المسلمون ألفاً وخَمس مئة ، وعليهم أسنـدمر وأغرلو العـادلي وبهـادر آص ، وكان التَّتـار نحواً من أربعة آلاف ، فانكسرَ التَّتار ، وأسر مقدّمُهُم وقُتِل منهم خلق كثير . ثمَّ دخل دمشق من

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « في » من دون واو ، وأثبتنا مافي (س) .
(٣) في الأصـل : « انطرطـوش » ، وأثبتنـا مـافي (س) والـوافي . انظر : معجم البلـدان ٢٧٠/١ . وتعرف اليوم بطرطوس .
(٤) عبارة الوافي : « وهم ما يقارب الخمسين » .
(٥) بُليد في بريّة الشام يدخل في أعمال حلب ، وهو بين تدمر والرصافة . (معجم البلدان) .

جيش مصر خمسُ تقادم وعليهم الجاشنكير والْحُسام أستاذ الدار ، ثم دخل بعدهم ثلاثة آلاف مقدمهم أمير سلاح وبعقوبا وأيبك الخزاندار ، ثم أتى عسكر حلب وحَماة متقهقراً من التَّتار ، وتجمَّعت العَساكر إلى الْجُسورة بدمشق ، واختبط الناس ، واختنق في أبواب دمشق من الزحام غيرُ واحد ، وهرَبَ الناس ﴿ وبَلَغَتِ القُلوبُ الْحَناجرَ ﴾[1] ، ووصل السلطان إلى الغَوْر ، وغُلِّقت أبواب دمشق ، وضجَّ الخلق إلى الله تعالى ، ويئس الناس من الحياة . ودخل شهر رَمضان ، وتعلَّقت آمال الناس ببركاته ، ووَصل التَّتار إلى المرج ، وساروا إلى جهَة الكسوَة ، وبَعَدوا عن[2] دمشق بكرة السبت ثاني شهر رمضان المعظّم ، وصعد النِّساء والأطفال إلى الأسطحة[3] وكَشفوا رؤوسهم وضجّوا وجأروا إلى الله تعالى ، ووقع مطر عظيم ، ووقّعت الظهر بطاقة بوُصول السُّلطان واجتماع العَساكر الْمُحَمَّدية بمرج الصُّفّر ، ثم وقعت بعدها بطاقة تتضمَّن طلبَ الدعاء وحفظ أسوار البلد ، وبعد الظهر وَقع المصاف والتَحم الحرب ، فحمَل التَّتار على الميمنة من المسلمين فكسَروها ، وقُتِل مقدّمُها الْحُسام أستادار[4] ومعه جماعة من الأمراء المقدّمين ، وثبت السُّلطان ذلكَ اليَوم ثباتاً زائداً عن الحدّ ، واستمرَّ القتال من العصر إلى الليل ، ورُدَّ التَّتار من حملتهم على الميمنة بغَلَس[5] وقد كَلَّ حدّهم فتعلَّقوا بالجبل المانع .

وطلع الضوء بكرة يومَ الأحد والمسلمون مُحْدِقون بالتَّتار ، فلم يكن ضحوة من النهار إلاّ وقد ركن التَّتار إلى الفَرار وولّوا الأدبار ، ونزلَ النَّصر ، ودُقَّت البشائر ، وزُيِّن البلد ، وكان التَّتار نحواً من خمسين ألفاً وعليهم خطلو[6] شاه نائب غازان ،

(١) سورة الأحزاب : ١٠/٣٣ .
(٢) (س) : « من » .
(٣) (س) والوافي : « السطوح » .
(٤) (س) والوافي : « استاد الدار » .
(٥) (س) : « بعكس » ، تحريف . والغلس : الليل .
(٦) في الأصل : « خلطو » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ورَجَع غازان من حلَب ضيِّقَ الصَّـدر من كسر[١] أصحـابـه يوم عُرْض ، وبهـذه الكسرة سَقطت قواه ؛ لأنَّه لم يعـد[٢] إليـه من أصحـابـه غير الثلث ، وتخطَّفهم أهل الْحُصون ، وساقَ سلاّر وقبجق وراء المنهزمين إلى القريتين ، ولم ينكسر التَّتار مثل هذه المرّة .

حكى لي جَماعـة من دير[٣] بشير أنهم كانـوا يـأتـون إلينـا عشرين عشرين وأكثر وأقل[٤] ، ويطلبون أن نعدِّي بهم الفرات في الزواريق إلى ذلك البر ، فما نعـدّي بمركب إلاّ ونقتل كلَّ من كان[٥] فيـه ، حتى إن النِّسـاء كنَّ يضربن بـالفؤوس ونحن نـذبحهم في إثر ذلك ، فما تركنا أحداً منهم يعيش .

وهذه الواقعة إلى الآن في قلوبهم ، وكان قد جاء كتاب غازان يقول فيه : ما جئنـا هذه المرَّة إلاّ للفُرجَة في الشام ، فقال علاء الدِّين الوداعي في ذلكَ ، ومن خطِّه نقلت :

قـولـوا لغـازان بـأنَّ جُيـوشَـهُ ... جـاؤوا فَفَرَّجْنـاهم بـالشّـام
في سَرحَـةِ الْمَرجِ الَّتي هـامـاتُهم ... منشـورُهـا وشَقـائـق الأجسـام
مـا كانَ أشـأمَهـا عليهم فُرْجَـةً ... غَمّت وأبركهـا على الإسـلام

وقال لَمّا انهزم :

أتى غـازان عَـدْواً في جُنـودٍ ... على أخْـذِ البِـلادِ غَـدَوا حِراصـا
فَما كَسَبـوا سِـوى قتـلٍ وأسرٍ ... وأعْطَـوْهُ بحِصَّتـه حُصـاصـا[٦]

---

(١) (س) والوافي : « كسرة » .
(٢) (س) : « سقطت قواه ولم يعد » .
(٣) في (س) : « من أهل دير » ، وفي الوافي : « دير يسير » ، وأشـار صاحب معجم البلدان إلى جبل سمّاه (البشر) يمتد من عُرْض إلى الفرات .
(٤) في الوافي : « أو أقل » .
(٥) ليست في (س) والوافي .
(٦) حصاص : من معانيها الهرب .

وقد نظم الناس في هذه الواقعة كثيراً ، ومِنْ أحسَن ما وقفتُ عليه قولُ شَمسُ الدِّين الطيّبي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يقارب[١] المئة بيت ، وهذا الذي وقع لي منها وهو :

بَرقُ الصّوارمِ للأبْصارِ يَختطِفُ ... والنَّقعُ يَحكي سَحاباً بالدِّما يَكِفُ
أحْلَى وأعلَى وأغلَى قيمَةً وسَنا ... من رِيقِ ثغر الغَواني حينَ يُرتَشَفُ
وفي قُدودِ القَنا معنىً شُغِفْتُ بهِ ... لا بالقُدودِ الَّتي قَدْ زانَها الهَيَفُ
ومَن غَدا بالْخُدودِ الْحُمرِ ذا كَلَف ... فإنَّني بخُدودِ البيضِ لي كَلَفُ
ولامَةُ الحرب في عينيَّ أحسَنُ من ... لامِ العِذارِ التي في الخدِّ تنعَطِفُ[٢]
كِلاهُما زَرَدٌ هذا يُفيد وذا ... يُردي فشأنهما في الفعل يختَلِفُ[٣]
والخيلُ في طَلَبِ الأوتارِ صاهِلَةً ... ألَذُّ لَحناً مِن الأوتارِ تأتَلِفُ
ما مَجلسُ الشّربِ والأرطالِ دائرَةٌ ... كموقفِ الحربِ والأبطالِ تَزدَلِفُ[٤]
والرِّزقُ من تحتِ ظلِّ الرّمحِ مُقْتَرِنٌ ... بالعزِّ، والذُّلُّ يَأْباهُ الفَتى الصَّلِفُ[٥]
لا عيشَ إلاّ لفتيانٍ إذا انتُدِبوا ... ثاروا وإن نَهَضوا في غُمّةٍ كشَفوا
يَقي بِهِم مِلَّةَ الإسلامِ ناصِرُها ... كما يَقي الدُّرّةَ المكنونَةَ الصَّدفُ
قاموا لقوّةِ دينِ اللهِ ما وَهَنوا ... لِمَا أصابَهُم فيهِ ولا ضَعُفُوا
وجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ فانتَصَروا ... مِن بعدِ ظُلْمٍ ومِمّا ساءَهُم أنِفُوا
لَمّا أتَتْهُم جُيوشُ الكُفْرِ يَقْدُمهم ... رأسُ الضَّلالِ الذي في عَقلِهِ جَنَفُ[٦]
جاؤوا وكلّ مَقامٍ ظَلَّ مُضطَرِباً ... مِنهُم وكلّ مَقامٍ باتَ يَرتَجِفُ

---

(١) (س) والوافي : « وهي تقارب » .
(٢) اللامة : الدرع ، والألف مخففة عن الهمزة . وفي الوافي : « الذي في ... ينعطف » .
(٣) في الأصل : « يقيد » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٤) في الأصل : « والأوتار دائرة » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي ، وهو أشبه . وفي (س) : « لموقف » .
(٥) في الأصل : « الغنى » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٦) في الوافي : « جموع الكفر » . والجنف : الميل والجور .

فَشاهَدوا عَلَمَ الإسلامِ مُرْتَفِعاً ... بالعَدْلِ فاسْتَيْقَنوا أنْ ليسَ يَنصَرِفُ
لاقاهُمُ الفَيْلَقُ الجَرّارُ فانكَسَروا ... خَوْفَ العَوامِلِ بالتّأنيثِ فانصَرَفوا[1]
يا مَرجَ صُفّرٍ بيَّضْتَ الوُجوهَ كما ... فَعَلْتَ مِن قَبلُ بالإسلامِ يُؤتَنَفُ
أزَهْرُ رَوْضِكَ أزْهى عِندَ نَفْحَتِهِ ... أم يانِعاتُ رُؤوسٍ فيكَ تُقْتَطَفُ
غدرانُ أرضِكَ قَد أضحَتْ لوارِدِها ... مَمْزوجَةً بدِماءِ المَغْلِ تُرْتَشَفُ[2]
زَلَّت على كَتفِ المصريّ أرجُلُهُم ... فليسَ يَدْرونَ أنَّى تُؤكَلُ الكَتِفُ
أوَوْا إلى جَبَلٍ لو كانَ يَعصِمُهُم ... مِن موجِ فوجِ المَنايا حينَ يختطِفُ[3]
دارَت عليهم مِن الشُّجْعانِ دائرَةٌ ... فما نَجا سالِمٌ مِنهُم وقد زَحَفوا
ونَكَّسوا منهُم الأعلامَ فانْهَزَموا ... ونَكَصُوهُم على الأعقابِ فانقَصَفوا
ففي جَماجِمِهم بيضُ الظُّبي زُبَرٌ ... وفي كُلاكِلِهِم سُمْرُ القَنا قِصَفُ[4]
فَرّوا منَ السَّيفِ مَلْعونينَ حيثُ سَرَوا ... وقُتِّلوا في البَراري حَيثُما ثُقِفوا
فما اسْتَقامَ لَهُم في أعوَجٍ نَهَجٌ ... ولا أجارَ لَهُم مِن مانعٍ كَتِفُ[5]
ومَلَّتِ الأرضُ قَتلاهُم بما قَذَفَتْ ... مِنهُم وقد ضاقَ منها المهمَهُ القذفُ[6]
والطَّيرِ والوَحشِ قد عافَت لُحومَهُم ... ففي مِزاجِ الضَّواري منهم قَرَفُ
رُدّوا فكلّ طريقٍ نحو أرضهمُ ... تَدُلُّ جاهِلَها الأشلاءُ والجِيَفُ[7]
وأدْبَروا فَتَولّى قطْعَ دابِرِهِم ... والحَمْدُ للهِ قومٌ للوَغى ألِفوا
ساقوهُم فَسَقَوا شَطَّ الفراتِ دَماً ... وطَمَّهُم بعُبابِ السَّيلِ فانجَرَفوا
وأصبَحوا بَعْدُ لا عَينٌ ولا أثَرٌ ... غيرَ القِلاعِ عليها منهُم شَعَفُ

(١) في الأصل : « حرف » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي البيتين تورية بمصطلحات النحو .

(٢) (س) والوافي : « تغترف » .

(٣) في الوافي : « فرج المنايا » .

(٤) في الأصل : « ففي جماعتهم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الوافي : « ولا أجارهم » .

(٦) المهمه القذف : الفلاة الواسعة البعيدة .

(٧) في الأصل : « الأعلاء » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

يـــا بَرقُ بلِّـغ إلى غـــازانَ قِصَّتَهُم وصِفْ فقِصَّتهم من فـوق مـا تَصِفُ
بَشِّرْ بِهَلكهم ملـــــكَ العِراقِ لكي تُعطيـكَ حلـوانَهـا حُلـوانُ وَالنَّجَفُ
وإن تُسَـل عنهُم قُـل قــد تركتهُم كالنَّخلِ صَرعى فلا تَمْرٌ ولا سَعَفُ [١]
مـا أنتَ كَفوَّ عروسِ الشّامِ تَخطبُهـا جَهْـلاً وأنتَ إليهـا الهـائمُ الـدَّنِفُ
قــد مـاتَ قبلـكَ آبـاءً بِحَسْرتِهـا وكلّهم مُغْرَمٌ مُغْرىً بهـــــا كَلِفُ
إنَّ الـذي في جحيمِ النّـارِ مسكنـهُ لا تُستبــاحُ لــهُ الجنّــاتُ والغُرَفُ
وإن تَعـودوا تُعـد أسيـافُنـا لكُم ضَربـاً إذا قـابلتَهـا رُضَّت الْحَجَفُ [٢]
ذوقــوا وَبــالَ تَعَـــدِّيكُم وبَغيكُم في أمْرِكُم وِلكأسِ الْخِزْيِ فارْتَشِفوا [٣]
فـالْحَمـدُ للهِ مُعْطي النّصرِ نـاصِرَهُ وكاشِفُ الضُّرَّ حيثُ الحـال يَنْكَشِفُ

وفي ذي الحجة من السَّنَـة المـذكورة كانت الزَّلزَلـة العُظْمى ، بمصر والشـام ، وكانَ تأثيرها بالإسكندرية أعظَم ، ذَهَبَ تحتَ الرَّدْمِ عَدَدٌ كثير ، وطَلَع البحر إلى نصف البلَد وأخَذ الجِمالَ والرِّجال وغرقَت [٤] المراكب وسَقطت بمصر دُورٌ لا تحصى ، وهُـدمت جَوامع ومَآذن وانتدبَ [٥] سَلّار والجاشنكير وغيرهُما من الأمراء ، وأخذ كلٌّ واحـد منها جـامعاً وعمَّره وجَدَّد له وُقوفاً [٦] .

وفي سَنَــة ثـلاث وسَبـع مئــة تـوجَّـه أمير سـلاح وعسكر من دمشـق وقبجـق في عسكر [٧] من حَماة وأسَندَمُر في عسكر السَّاحل وقراسُنقر في عسكر حلب ، ونـازلوا تل

(١) في الوافي : « يسل » .
(٢) الحجف : الترس إذا كان خالياً من الخشب .
(٣) في الوافي : « وبغيتكم » .
(٤) في الأصل : « وعرقت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الوافي : « فانتَدبَ » .
(٦) انظر النجوم الزاهرة : ٨/٢٠١ .
(٧) ليست في (س) والوافي .

حَمْـدون وأخـذوه[١] ، ودخل بعض العسكر الـدربنـد وأغـاروا ونهبـوا وأسَروا خلقـاً ، ودقت البشائر .

وفي[٢] هذه السَّنة توفي غازان ملك التتار[٣] ، وملك بعده أخوه الملقب خربندا .

وفي سَنَــة خمس وسَبـع مئــة نــازلَ الأفرم بعَســاكر دمشـق جبـل الْجُرْد ، وكسر الكسروانيين لأنهم كانوا روافض ، وكانوا قـد آذَوا المسلمين وقتلوا المنهـزمين من العسـاكر المصريّة في نوبَة غازان الأولى الكائنة في سنة تسع وتسعين وست مئة .

وفي سنـة ثمـا ن وسَبع مئـة في سـادس عشري شهر رمضـان توجَّـه السُّلطـان الملـك الناصر إلى الحجاز وأقام بالكرك متبرِّماً من سلاّر والجاشنكير وحَجْرهما عليه ومنعهما[٤] له من التَّصرُّف ، قيل : إنه طَلَبَ يوماً خروفـاً رميسـاً[٥] فمنع منـه ، أو قيل : يجيء[٦] كريم الـدِّين ، لأنـه كاتب الجـاشنكير ، وأمر نـائبَ الكرك بـالتَّحوُّل إلى مصر ، وعنـد دخوله القلعة انكسر بـه الجسر فوقع نحو خمسين مملوكاً ، ومـات منهم أربعَـة وتَهَشَّم منهم جماعة وأعرض السُّلطان عن أمر مصر ، فوثبَ للسَّلطَنة بعد أيّام الجـاشنكير وتَسلطَن ، وخُطبَ له ، ورَكبَ بخلعة الخلافة ، وذلك عندَما جاءتهم[٧] كتبُ السُّلطان من الكرك باجتماع الكلمة فإنه ترك لهم الملك .

وفي سَنَة تسع وسَبع مئة في شهر رَجب خرج السُّلطان من الكَرك قاصـداً دمشق ، وكان قد ساقَ إليـه من مصر مئة وسبعون[٨] فـارسـاً فيهم أمراء وأبطـال ، وجـاءَ مملوك

(١) في الوافي : « وأخذوها » .
(٢) في (س) والوافي زيادة : « وفي شوال من » .
(٣) النجوم الزاهرة : ٢١٢/٨ .
(٤) في الوافي : « وحجرهم ... ومنعهم » .
(٥) الرَّمس : النَّتن .
(٦) عبارة الوافي : « قيل له : حتى يجيء » .
(٧) (س) : « بعدما جاء » .
(٨) (س) : « وسبعين » ، وساق هنا بمعنى قصَدَه ومشى إليه .

السُّلطان إلى الأفرم يخبرُه بأن السُّلطان وَصَل إلى الخان[١] ، فتوجَّه إلى السلطـان بيبرس المجنون وبيبرس العلائي ، ثم ذَهَب بهادر آص لكشف القضيّة ، فوجَـد السُّلطـان قـد رُدَّ إلى الكرك ، ثم بعد أيام ركِبَ السلطان وقصَد دمشق بعدَما ذهب إليه قطلوبك الكبير والحاج بهادر ، وقفَزَ سائر الأمراء إليه ، فقلق الأفرم لذلـك ونزح[٢] من دمشق بمماليكـه مع الأمير علاء الدِّين بن صُبح [إلى الشقيف][٣] ، فبادر بيبرسَ العلائي وآقجبا الُمشد وأمير علم في إصلاح الجتر[٤] والعصـائب وأبّهـة الملـك ، ودخل السُّلطـان قبل الظهر إلى دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان سَنة تسع وسَبع مئة ، وفتح لـه بـاب القلعَـة بـاب السّرّ ، ونزل نـائبهـا قبَّل[٥] الأرض ، فلوى هنـاك فرسه إلى القصر[٦] ونزل بـه . ثم إن الأفرم حضر إليه بعد أربعة أيام فأكرمَه واستمرَّ به في نيابة الشام[٧] ، وبعد يومين وصل قبجق نائب حَماة وأسندمر نائب طَرابلس وتلقاهـا السُّلطـان . وفي ثـامن عشري الشهر وصل قراسُنقر نائب حلب .

ثمَّ إنَّ السُّلطان خرج لمصرَ في تاسع شهر رمضان ومعه العَساكر والنُّواب والقضاة ، ووصَل غـزّة ، وجـاءَه الخبر بنزول الجـاشنكير عن الملـك وأنـه طلَب مكانـاً يـأوي إليـه وهربَ من مصر مغرِّباً وهرب معه[٨] سلاّر مشرِّقاً ، فلما كان بالرِّيدانية ليلةَ العيـد اتفق الأمراء عليه وهمّوا بقتله ، فجاء إليـه بهـاء الـدِّين أرسَلان دوادار سَلاَّر وقـالَ : قُم الآن

(١) في الوافي : « الخمان » .

(٢) في الأصل : « وترفَّع » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) زيادة من (س) ، وفي الوافي : « إلى شقيف أرنون » .

(٤) الجتر : مما يختصّ السلطان ، وهو مظلّة من الحرير الأصفر مزركشة بـالـذهب ، على أعلاها طـائر من فضَّة مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان ، وهي من بقايا الدولة الفاطميـة . معجم الألفـاظ التاريخية : ٥١ .

(٥) في (س) : « وقبل » .

(٦) (س) : « إلى جهة القصر » ، وفي الوافي : « إلى جهة القصر الأبلق » .

(٧) (س) والوافي : « دمشق » .

(٨) ليست في (س) والوافي .

واخرج مِن جانب الدهليز واطلع إلى القلعَة ، فرعاها له ، ولم يشعر النـاس بـالسُّلطـان إلاّ وقد خرجَ راكباً فتلاحقوا به وركبوا في خدمتـه وصعـد القلعَـة ، وكان الاتفـاق قـد حَصَـل أنَّ قراسُنقر يكـون نـائبـاً بمصر وقطلـوبـك الكبير نـائب دمشـق ، فلَمّـا استقرَّ جلوسُ السُّلطـان بقلعـة الْجَبَل ، وهـذه المرّة الثـالثـة مِنْ عَوْده إلى الملـك قبضَ في يوم واحد على اثنين وثلاثين أميراً من السِّماط ، ولم ينْتَطح [فيهـا][1] عنزان ، ورسّم للأفرم بصرخد ولقراسُنقر بالشام[2] ، وجعل قبجق نـائبَ حلبَ والحـاج بهـادر نـائب طرابلس وقطلوبك الكبير نائب صفد ، وجعل بكتمر الْجُوكَندار نائب مصر .

وفي سنة عشر وسَبع مئة وصَل أسندمُر إلى دمشق متوجِّهاً إلى حَماة [نـائبـاً][3] ، ومنهـا عـزلَ القـاضي بـدر الـدِّين ابن جَماعـة ، ووليَ القضـاء جَمال الـدِّين الـزرعي[4] عِوَضَه ، وصَرَف السُّروجي عن قضاء الحنفيّة ، وطَلَبَ شمس الـدِّين بن الحريري وولاَّه مكانـه . وبعـد أيـام قلائل توفِّي الحـاج بهـادر نـائب طرابلس ، ومـاتَ بحلَب نـائبُهـا قبجق ، فرسم للأفرم بنيابَـة طرابلس ، وأمَرَه أن لا يـدخل بـدمشق ، على مـا تَقـدَّم في ترجمته ، ورسَّم لأسَندَمر بنيابة حلب .

وفي هذه السَّنة أمَرَ لعماد الدِّين إسماعيل بن الأفضل علي بحماة .

وفي سَنة إحـدى عشرة وسَبع مئـة نقل قراسُنقر من نيـابـة دمشق إلى نيـابـة حلَب بعدَما أمسك أسندمر وتولّى كراي نيابة دمشق . وفي شهر ربيع الآخر أعـاد ابنَ جَماعـة إلى مكانـه ، وتقرَّر القـاضي جَمال الـدِّين [الـزرعي][5] في قَضـاء العسكر مـع مَـدارس أُخَر .

---

(١) زيادة من (س) والوافي ، والعبارة من الأمثال .

(٢) (س) : « بدمشق » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) (س) : « ابن الزرعي » .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

وفي جمادى الأولى أُمسك كراي نائب دمشق وقيِّد وجُهِّز إلى الباب بعدما أُمسكَ الْجُوكندار نائبُ مصر ، وأُمسكَ قطلوبَك الكبير بصَفد وحُبِسَ[١] هو وكراي بالكرك وجاء الأمير جَمال الدِّين آقوش نائبَ الكرك إلى دمشق نائباً .

وفي سَنة اثنتي عشرة وسَبع مئة تسحَّب الأمير عز الدِّين الزردكاش والأفرم وتوجَّها إلى قراسُنقر ، وساق الْجَميعُ إلى عند مهنّا فأجارهم ، وعدّوا الفرات وطلبوا خربندا ، على ما تقدَّم في تراجمهم .

وفي شهر ربيع الأول طُلِب نائب دمشق الأمير جَمال الدِّين آقوش نائبَ الكرك إلى مصر ، وفيها أمسك العلائي بيبرس نائب حمص ، وبيبرس الْمَجنون ، وبيبرس التاجي ، وكجلي ، والبرواني ، وحُبِسوا في الكرك ، وأمسك بمصر جماعة أيضاً .

وفي ربيع الأول[٢] قَدم الأمير سَيف الدِّين تنكِز إلى دمشق نائباً ، على ما تَقدَّم في ترجمته ، وسودي إلى حلبَ نائباً على ما تقدَّم . وفي أوائل شهر رَمضان قويت الأراجيف بمجيء خربندا ومنازلته الرحبَة ، على ما تقدم ، ثم إنه رحل عنها ، على ما تقدم في ترجمته . وعَيّد السُّلطان بمصر وخرج إلى الشَّام ، ووصلَ في ثالث عشري شوّال وصلّى بالجامع الأمَوي ، وعمل دار عدل ، وتوجَّه من دمشق إلى الحجاز ، وعاد إلى دمشق ، ثم توجَّه إلى مصر .

وفي صَفر سَنة أربع عشرة توفِّي سُودي نائب [حلب][٣] وجاء عوضَهُ نائباً الأمير علاءُ الدِّين ألطنبغا .

وفي سَنة خمس عشرة وسَبع مئة توجَّه الأمير سيف الدِّين تنكز بعَساكر الشّام

---

(١) في الأصل : « وجلس » .

(٢) في الوافي : « الآخر » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

وستة آلاف من الجيش المصري إلى ملطيّة ففتحها وسَبَى ونهبَ وألقى النارَ في جوانبها ، وقتل جَماعة من النّصارى .

وفي سنة ست عشرة توفّي خربندا ملك التّتار ، وتولّى بعده ولده بوسَعيد على ما تقدم .

وفي سنة إحدى وعشرين وسَبع مئة وقع الحريق بمصر واحترق دور كثيرة للأمراء وغيرهم ، ثمَّ ظهر أن ذلك من كيد النَّصارى ، لأنه وُجد مع بعضهم آلات الإحراق من النفط وغيره ، وقتل منهم جَماعة وأسلَم عدّة ، ورَجَمَ العامّةُ والْحَرافيش كريم الدِّين الكبير ، فأنكر السُّلطان ذلك وقطعَ أيدي أربعة وقيَّد[1] جَماعة .

وفيها جرى الصلح بين السُّلطان وبين بوسعيد ، سعى في ذلك مجد الدِّين السلاميّ مع النوين جوبان ومع الوزير غياث الدِّين مُحَمَّد بن الرشيد .

وفي جَمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة أمَرَ السُّلطان بحفر الخليج من رأس الخور إلى أن ينتهي إلى سرياقوس ، تولى ذلك الأمير علاء الدِّين مغلطاي الْجَمالي ، وفرغ في أقرَب مدة ، ودام العَمل إلى آخر شَعبان من السَّنة المذكورة ، وما يَعْلَمُ ما أنفق فيه من الأموال إلاّ الله تعالى .

وفي سَنة خمس وعشرين وسبع مئة جهز[2] السُّلطان من عسكر مصر ألفي فارس نجدةً لصاحب اليَمن ، وقَدَّم عليهم الأمير ركن الدِّين بيبرس الحاجب والأمير سَيف الدِّين طينال ، فَدَخلوا زَبيد ، وألبسوا الملك المجاهد خلع السَّلطنة وعادوا . وبلغ السلطانَ أمورٌ نقمها ، فاعتقل بيبرس الحاجب . وفي هذه السَّنة فتحت الخانقاه التي أنشأها بسِرْياقوش ، وكان يوماً عظيماً ، وحضر القضاة والعلماء ووجوه الدَّولة ، وخلع على القضاة وعلى المشايخ ، وفرّق قريباً من ثلاثين ألف درهم .

(١) في الأصل : « وقتل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « وجهز » ، وأثبتنا ما في (س) .

وفي سَنة ست وعشرين حجَّ الأمير سَيف الدِّين أرغون النائب ، ولَمّا حضر أمسكه وجهَّزه إلى حَلب نائباً ، على ما تقدَّم .

وفي سَنة سبع وعشرين وسبع مئة طُلِبَ أمير حسين بن جندر من دمشق[١] إلى مصر ليقيم بها أميراً ، وطلب قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، وجعَله قاضي القضاة بمصر ، على ما تقدَّم ، وفيها كان عُرْس ابنة السُّلطان على الأمير سيف الدِّين قوصون ، وكان عرساً عظيماً على ما تقدم ، وفيها كانت الكائنة بإسكندريّة ، وتوجَّه الْجَمالي الوزير إليها وصادر الكارم والحاكم[٢] ، وضربَ القاضي ، ووضع الزنجير في رقبته ، وجعل قاضيَها شافعيّاً ، وكانت واقعَةً فظيعَة .

وفي سَنة اثنتين وثلاثين وسَبع مئة دخل ابن السُّلطان آنوك على بنت بكتمر السَّاقي وكان عُرْساً عظيماً حضَرَه تنكز وطينال ، على ما تقدَّم في ترجمته .

وفيها حجَّ[٣] السُّلطان واحتفل بأمر الحجاز ، وفي العَوْدِ ماتَ سَيفُ الدِّين بكتمر السَّاقي وولده أحَمد قبله ، على ما تقدَّم . وفيها أمسك الصاحب شمسُ الدِّين غبريال وأخذ خطّه بألفي ألف درهم ، على ما تقدَّم .

وفي سنة ثلاث وثلاثين عَمَّر الأمير سيف الدِّين تنكز ثغر جعبر وصارت من ثغور المسلمين .

وفي سَنة خمس وثلاثين وسبع مئة جُهِّز[٤] مهنا وداسَ بِساطَ السُّلطان بعد عناءٍ عظيم وتسويف[٥] كثير فأقبل عليه وأعطاه شيئاً كثيراً ، على ما سَيأتي في ترجمته . وفيها أخرجَ من السِّجن ثلاثة عشر أميراً منهم تمر السَّاقي وبيبرس الحاجب .

(١) في الأصل : « ومن صفد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « والحاكة » .

(٣) في الأصل : « وفيها كانت الكائنة حجّ » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) (س) والوافي : « حضر » .

(٥) (س) : « وتشويش » .

وفي سَنة ست وثلاثين وسبع مئة توفِّي القان بوسَعيد ، على ما تقدَّم .

وفي سنة أربعين أمسَك السُّلطان الأميرَ سَيف الدِّين تنكز في ثالث عشري ذي الحجة ، على ما تقدَّم .

وفي سَنة إحدى وأربعين وسبع مئة توفِّي ابن السُّلطان آنوك .

وفيها توفِّي الملك الناصر رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور . وقامَ في الملك بعده ولده المنصور أبو بكر على ما تقدَّم في ترجمته .

وكان الملك الناصِر رحمه الله تعالى مَلكاً عَظيماً مُطاعاً محظوظاً مهيباً ذا بَطْشٍ ودهاءٍ ، وأيْد وكَيْد ، وحزم وحلم ، قلَّما حاوَل أمراً ، فانجذمَ عليه فيه شيء يحاوله ، لأنه كان يأخذ نفسَه فيه بالحزم البعيد والاحتياط ، أمسَك إلى أن مات مئة وخمسين أميراً ، وكان يلبس الناس [على][1] علاّتهم ، ويَصْبر الدَّهر الطويل على الإنسان وهو يكرهه . تحدَّث مع أرغون النائب في إمساك كريم الدِّين الكبير قبل إمساكه بأربع سنين ، وهَمَّ بإمساك تنكز في سنة ثلاث وثلاثين وسَبع مئة بعد بكتمر[2] السَّاقي ثم أمهله[3] ثماني سنين . وكان الملوك الكبار[4] يهادونه ويراسلونه ، وكانت ترد إليه رسل ملك الهند ، ورسل القان أزبك[5] ، وتزوَّج ابنته ، وملوك الحبشة ، وملوك الفرنج ، وملوك الغَرْب ، وبلاد الأشكري ، وصاحب اليَمن ، وأمّا بوسعيد ملك التَّتار فكانت الرُّسل لا تنقطع بينَهما[6] ، وكل منهما يسمي الآخر أخاً ، وصارت الكلمتان[7] واحدة ،

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في (س) والوافي : « بعد موت بكتمر » .

(٣) في (س) والوافي : « ثم إنه أمهله » .

(٤) (س) والوافي : « ملوك البلاد » .

(٥) عبارة الوافي : « رسل صاحب الهند ، وبلاد أزبك » .

(٦) في الأصل : « بينهما الرسل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل و (س) : « الكلمتين » ، وأثبتنا ما في الوافي .

والملكتان[1] واحدة ، ومَراسيم السُّلطان تُنفَّذ في بلاد بوسعيد ، ورسله تدخل البلاد بالأطلاب والطبلخانات والأعلام المنشورة ، وكلّما بعد الإنسان عن مملكته وجدَ ذكره وعظمته ومهابته أعظم ، ومكانَته في القلوب أوقع[2] .

وكانَ سمحاً جواداً على مَنْ يقرِّبه ويؤثره ، لا يبخل عليه بشيء كائناً ما كان . سألت أنا القاضي شَرَف الدِّين النشو ناظر الخاص قلت : هل أطْلَق السُّلطان يوماً ألف ألف درهم ؟ قالَ : نعم . كثير . وفي يوم واحد ، أنْعَمَ على الأمير سَيف الدِّين بشتاك بألف ألف درهم في ثمن قرية يُبْنَى التي بها[3] قبر أبي هُرَيرة رضيَ الله عنه صاحب رسول الله ﷺ ، وأنعم على موسى بن مهنّا بألف ألف درهم في ثمن القريتين ، وأراني القاضي شرفَ الدِّين[4] أوراقاً فيها ما ابتاعه فيها من الرَّقيق ، وكان ذلك لمدة[5] أوّلها شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسَبع مئة [إلى سنة سبع وثلاثين][6] ، وكان جملته أربع مئة ألف وسَبعين ألف دينار . كذا قال .

وكان ينعم على الأمير سَيف الدِّين تنكز في كل سنة يتوجَّه إليه بما يزيد على الألف ألف درهم ، وأنعم [يوماً][7] على الأمير سيف الدِّين قوصون بزردخاه بكتمر الساقي ، قال[8] المهذّب كاتب بكتمر : فيها شيء بمبلغ ست مئة ألف دينار ، وأخذ السُّلطان من الجميع سَرجاً واحداً[9] ، ولَمّا تزوَّج قوصون بابنته حَمَل الأمراء إليه شيئاً

---

(١) (س) : « والملكتين » .

(٢) (س) : « أرفع » .

(٣) في الأصل : « ويبنى التي في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في (س) : « شرف الدِّين المذكور » .

(٥) (س) : « بعدّة » .

(٦) زيادة من (س) والوافي .

(٧) زيادة من (س) .

(٨) في (س) : « قال لي » .

(٩) زاد في (س) : « وسيفاً واحداً » .

كثيراً ، ثم بعد ذلك زوّج ابنته الأخرى الأمير[١] سيف الدِّين طغاي تمر ، وقال السُّلطان ما نعمَل له عرساً ، لأن الأمراء يقولون : هذه مصادرة بحسن عبارة ، ونظر إلى طغاي تمر فرآهُ قد تغيَّر ، فقال للقاضي تاج الدِّين إسحاق ناظِر الخاص : يا قاضي اعمل لي ورقة بمكارمة[٢] الأمراء في عرس قوصون ، فعمل ورقة وأحضَرَها ، فقال : كم الْجُملة ؟ فقال : خمسون ألف دينار ، فقال : أعطِ نظيرها من الخزانة لطغاي تمر ، وهذا خارجاً عمّا دخل مع الزوجة من الجهاز .

وحَكَى لي الحاج حسين أستادار الأمير سَيف الدِّين يلبُغا اليحيوي قال : جَرَى يوماً بين يَدَي السُّلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال الأمير : والله ياخوند أنا عُمري ما رأيت عشرين ألف دينار ، فلَمّا راح من عنده طلبَ النّشو وقال : احمل السَّاعة إلى يلبغا خمسَة وعشرين ألف دينار ، وجَهِّزْها مع الخزنداريّة ، وجهِّز خمسَة تشاريف أطلس أحمَر بكلوتات زركش ، وطرز زركش ، وحوائص ذهَب ، ليخلع ذلك عليهم .

وأما عطاؤه العُربانَ[٣] فأمرٌ مشهور زائد عن الحد ، وكان راتب مطبَخِهِ ورواتب الأمراء الكبار والكتاب الذينَ هم على مطبخه في كل يوم بالمصري ستَّة وثلاثين ألف رطل لحماً ، وأما النفقات في العَمائر فكان الرّواتب لها في كل يوم شيئاً كثيراً ، أظنه في كل يوم ألفي درهم ، غير ما يطرأ ممّا يستدعي به . وبالغ في مشترى الْخُيول بالأثمان العظيمة ، فاشترى بنت الكردا بمئتي ألف درهم ، وبالغ أخيراً في مشترى الْمَماليك فاشترى الأمير سَيف الدِّين صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم غير تشريف أستاذه ، وغيرما كتبَ له من المسامَحَة . وأمّا العشرة والعشرون والثلاثون ألفاً فكثير ، وغلا الْجَوهر في

(١) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (س) : « بالأمير » .
(٢) (س) : « عكارم » .
(٣) (س) : « للعربان » .

أيامه واللؤلؤ وما رأى الناس مثل سعادة ملكه ومسالمة الأيام لـه وسكون الأعـادي من بعد شقحب وإلى أن مات لم يتحرك عليه عدوّ في البرّ[١] ولا في البَحْر .

وخلّف من الأولاد جماعةً ، منهم البنون والبنات ، فأمّـا البَنون : فمـات لـه ولـده عَلاء الـدّين علي بعـد حضوره من الكرك في المرة الأخيرة ، ومنهم النـاصر أحمـد وقتـل بالكرك ، وإبراهيم وتوفّي أميراً في حياة أبيه ، والمنصور أبو بكر وقُتل في قوص بعدمـا خلع ، والأشرف كجـك وقَتَلـه أخـوه الكامـل شَعبـان والله أعلم . وآنـوك وَهـوَ [ابن] الخـونـدة[٢] طغـاي ، مـات في حَيـاة أبيـه ، ولم يكن في الأتراك أحسَنَ شكـلاً منـــه ، والصّالح إسماعيل وتوفّي بعـد ملكـه مصر والشـام ثلاثـة أعوام ، والكامل شعبـان وخلعَ وقُتل ، والمظفر حـاجّي وخلع وقتل ، ويوسف ، ورمَضـان ، وتـوفَيـا في حيـاة أخيهما الصّالح إسماعيل ، والنّاصر حَسَن وخُلِعَ أوّلاً ثم أعيـد ثـانيـاً ثم خُلِعَ وقُتِلَ في سَنَـة اثنتين وستين وسَبع مئة ، والصّالح صالح وخُلِع ، وحسين .

نوابه بمصر جماعة ، وهم :

زين الدّين كتبغا العادل ، والأمير سَيف الدّين سَلار ، الأمير سَيف الـدّين بكتمر الجوكندار ، الأمير ركن الـدّين بيبرس الـدوادار ، الأمير سيف الـدّين أرغون الـدوادار مملوكه ، ولم يكن له بعده نائب .

نوابه بدمشق :

الأمير عـز الـــدّين أيبــك الْحَمَـوي ، الأمير جَمال الـــدّين آقــوش الأفرم ، الأمير شمس الـدّين قراسُنقر ، الأمير سَيف الـدّين كراي ، الأمير جَمال الـدّين آقـوش نـائب الكرك الأشرفي ، الأمير سيف الدّين تنكز ، الأمير علاء الدّين ألطنبغا نائب حلب .

وزراؤه مِن أرباب السيوفِ والأقلام :

(١) في (س) : « لا في البر » .

(٢) في الأصل : « وهو الخوند طغاي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

الأمير علم الدِّين سنجر الشجاعي ، الصاحب تاج الدِّين بن حنّا ، الصّاحب فخر الدِّين بن الخليلي مرتين ، الأمير شمسُ الدِّين سُنقر الأعسَر ، الأمير سَيف الدِّين البغدادي ، الأمير ناصر الدِّين الشيخي ، أيبك الأشقر وسمّي (المدبر) ، ابن عَطايا ، القاضي ضياء الدِّين بن النشّائي ابن التركماني وسمّي (مدبراً) ، الصاحب أمين الدِّين أمين الملك ثلاث مرّات ، الأمير سَيف الدِّين بكتمر الحاجب ، الأمير علاء الدِّين مغلطاي الْجَمالي ، ولم يكن له بعده وزير .

قضاة الشافعية بمصر :

الشيخ تقيّ الدِّين بن دقيق العيد ، القاضي بدر الدِّين بن جَماعة ثلاث مَرّات[1] ، القاضي جلال الدِّين القزويني ، القاضي عز الدِّين بن جَماعة .

قضاة الشافعية بدمشق :

القاضي إمام الدِّين القزويني ، القاضي بدر الدِّين بن جماعة مرتين ، القاضي ابن صصرى ، القاضي جَمال الدِّين الزرعي ، القاضي جلال الدِّين القزويني مرتين ، الشيخ علاء الدِّين القونوي ، القاضي عَلم الدِّين الأخنائي ، القاضي جَمال الدِّين بن جَملة ، القاضي شهابَ الدِّين بن الْمَجد عبدَ الله ، القاضي تقي الدِّين السُّبكي .

كُتّاب سرّه بمصر :

القاضي شرف الدِّين بن فضل الله ، القاضي علاء الدِّين بن الأثير ، القاضي محيي الدِّين بن فضل الله ، القاضي شرف الدِّين بن الشهاب مَحمود ، القاضي محيي الدِّين بن فضل الله ، القاضي علاء الدِّين بن فضل الله .

كتّاب سرّه بدمشق :

القاضي محيي الدِّين بن فضل الله ، أخوه القاضي شرف الدِّين بن فضل الله ،

(١) في الوافي : « مرّتين » ، وأضاف بعده : « القاضي جمال الدِّين الزرعي » .

القاضي شهابُ الدِّين محمود ، ولده[١] القاضي شمس الدِّين مُحَمَّد ، القاضي محيي الدِّين بن فضل الله ، القاضي شَرفَ الدِّين بن الشهاب محمود ، القاضي جمال[٢] الدين بن الأثير ، القاضي علم الدِّين بن القطب ، القاضي شهابَ الدِّين يحيى بن القيسَراني ، القاضي شهابَ الدِّين أحمد بن فضل الله .

دواداريّته :

الأمير عزّ الدِّين أيدمر مملوكه ، الأمير بهاء الدِّين أرسَلان ، الأمير سَيف الدِّين ألجاي مملوكه ، الأمير صلاح الدِّين يوسف بن أسعَد ، الأمير سَيف الدِّين بغا ، ولم يؤمَّر طبلخاناه ، الأمير سيف الدِّين طاجار الدوادار[٣] الماردانى .

نُظّار جيشه بمصر : القاضي بهاء الدِّين بن الحلّي ، القاضي فخر الدِّين ، مرتين ، القاضي قطب الدِّين بن شيخ السلاميّة[٤] ، القاضي شمسُ الدِّين موسى بن التاج إسحاق ، القاضي مَكين الدِّين بن قروينة ، القاضي جمال الدِّين جمال الكفاة .

نظار خاصّه ، هذه وظيفة أحدثها القاضي كريم الدِّين الكبير :

القاضي تاج الدِّين إسحاق ، القاضي شمس الدِّين ولده ، القاضي شرف الدِّين النشو ، القاضي جَمال الدِّين جَمال الكُفاة .

الذين دَرَجوا بالوَفاة في أيامه من الْخُلَفاء :

الحاكم بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ، ولده المستكفي بالله أبو الربيع سُلَيمان .

---

(١) في الوافي : « وولده » .

(٢) في الأصل : « جلال » وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والبداية والنهاية : ١٧٠/١٤ ، وفيه : « جمال الدِّين مُحَمَّد بن عماد الدِّين بن الأثير » . وانظر الدّارس : ١٢٥/٢ .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « العلامية » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ومن الملوك : كيختُو بن هُولاكو ، المستنصر بالله محيي الدِّين بن[١] عبد الواحد صاحب إفريقيّة ، المظفَّر يوسُف صاحب اليَمن ، السَّعيد إيلغازي[٢] صاحب ماردين ، المظفر تقيّ الدِّين محمود صاحب حَماة ، المنصور حسام الدِّين لاجين ، أبو عبد الله بن الأحمر محمد بن محمد بن يوسف صاحب الأندلُس ، أبو نميّ[٣] صاحب مَكة ، العادل زين الدِّين كتبغا المنصوري ، غازان محمود بن أرغون مَلك التَّتار ، أبو يعقوب المريني صاحب الغرب ، المظفر ركن الدِّين بيبرس الجاشنكير ، أبو عصيدة صاحب تونس ، المنصور[٤] غازي صاحب ماردين ، طقطاي صاحب القبجاق ، دوباج صاحب جيلان ، علاء الدِّين محمود صاحب الهند ، خربندا بن أرغون ملك التَّتار ، دون بطرو الفرنجي ، حميضة صاحبُ مَكَّة ، المؤيَّد داود صاحب اليَمن ، ابن الأحمر أبو الجيوش نصر بن مُحَمَّد اللَّحياني صاحب تونس ، منصور بن جمّاز صاحب المدينة ، الغالبُ بالله إسماعيل صاحب الأندلس ، أبو سعيد [عثمان][٥] صاحب فاس وغيرها ، المؤيَّد صاحبُ حَماة ، ابن الأحمر مُحَمَّد بن أبي الوليد صاحب الأندلس ، تَرْمشين صاحب[٦] بلخ وسَمَرقند وبخارى ومَرو ، بُوسَعيد مَلك التَّتار ، أربكوون ملك التَّتار ، صاحب تلمسان عبد الرَّحمن أبو تاشفين ، موسى مَلك التَّتار ، مهنّا بن عيسى .

ولما كنتُ بالقاهِرة سَنة سَبع وعشرين وسَبع مئة قال لي الأمير شرف الدِّين حسين بن جندر بك رحمه الله تعالى : لو نظمت أبياتاً مديحاً في السُّلطان لقدمتُها أنا مِن يدي ، وكان يحصل لك ما تريده ، فنظمت أبياتاً ، وكتبتها بالذهب وزمَّكتها ، وتوفي الأمير شرف الدِّين رحمه الله تعالى وما اتفق وصولها ، وهي :

(١) (س) والوافي : « المستنصر بالله يحيى بن عبد الواحد » .
(٢) (س) : « المغازي » ، تحريف ، وانظر في ترجمته الوافي : ٢٧/١٠ .
(٣) ليست في (س) .
(٤) في الأصل : « المنصوري » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) زيادة من (س) والوافي .
(٦) (س) والوافي : « سلطان » .

بعِـزِّ نَصرِكَ أضحَى الـدَّهرُ يَبتَسِمُ ... وعن رَعـايـاكَ ولَّى الظُّلْمُ والظُّلَمُ
يـا نـاصِرَ الـدِّين والـدُّنيا ويـا ملكاً ... ذَلَّت لِعـزَّتِـه في أرضِهـا الأُمَمُ
أصبَحْتَ سُلطانَ أهلِ الأرضِ قاطِبَةً ... سـارَت بـأنبـائِـكَ الوَخّـادَةُ الرُّسُمُ[(١)]
تَخـافُ بَـأْسَـكَ أمـلاكُ الأنـامِ فَما ... تَسعى لَهُم في سِوَى طاعاتِكَ القَدَمُ
يُبـادِرونَ إلى مـا كُنتَ تَـأْمُرُهم ... كأنَّهم عنـدَمـا تختـارُهُ خَـدَمُ
متى يَخَفْ مَلِـكٌ منهم فليسَ لَـهُ ... إلاَّ ظِـلالُـكَ في هـذا الـوَرى حَرَمُ
فـالأُسْـدُ تَخْشـاكَ في سِرٍّ وفي عَلَنٍ ... فليسَ يعصِمُهـا غـابٌ ولا أجَمُ
تَغـزو سَرايـاكَ أمـلاكَ البِـلادِ فَما ... يَحمي العِـدا منهُم قـاعٌ ولا أكَمُ[(٢)]
ويبلغـونَ الأمـاني مِن عَـدُوِّهم ... لأنَّهم بـاسمِـكَ المنصور قد قَـدِموا
فـإن تَصُـل في جُيـوشِ الكُفْرِ وَغًى ... وأبحُرُ الحربِ بـالأبطـالِ تَـزدَحِمُ[(٣)]
تُفَرِّجُ الضِّيـقَ في يـومِ الكريهَـةِ إذْ ... أضحَت سُيوفُكَ من أغمادِها القِمَمُ
ومـا هِباتُـك في يـومِ النَّـوالِ نَـدًى ... لكنَّهـا سُحُبٌ تَهْمي وتَنسَجِمُ
تَجـودُ بـالصَّدَقـاتِ الـوافِراتِ فَكَمْ ... أحْيَت عَطاياكَ مَن أودى بـهِ العَدَمُ
وفضـلُ حِلْمِـكَ مَشهـورٌ لِطـالِبِـه ... ونَفحَـةُ المِسْـكِ فينـا كيف تَنكَتِمُ
مَناقِبٌ شَرُفَتْ قَـدْراً فقَـد رَجَحَت ... دَرّاً على جِهَـةِ الأيّـامِ تَنْتَظِمُ
فـاللهُ يَجْعَـل هـذا المُلـكَ مُتَّصِـلاً ... بالسَّعْدِ ما ابتَسَمَت عن صُبْحِها الظُّلَمُ[(٤)]
ولا بَرَحْتَ على الأعـداءِ مُنتَصِراً ... مـؤيَّـداً مـا جَرى في مُهَرق قَلَمُ[(٥)]

---

(١) الوخادة : الإبل . الرسم : المؤثرة في الأرض .
(٢) (س) : « أطراف البلاد » .
(٣) (س) : « تلتطم » ، وهي أشبه .
(٤) في الأصل : « ما اتصلت » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) (س) : « من مهرق قدم » .

١٧٢٢ ـ محمد بن كجكن*

الأمير شمس الدِّين ابن الأمير الكبير سَيف الدِّين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، تقدم ذكر والده في مكانه .

كان الأمير ناصر الدِّين[1] أمير شكار السَّلطنة بدمشق يُربِّي الغزلان وغيرها ، وله حوش في بلاد حوران ، وفي كل سَنة يجهز من ذلك تقدمَة إلى باب السُّلطان ، ويُحْضَر له من مصر تشريف يجهزه الأمير سَيف الدِّين أيتمش نائب الشام إلى ولاية الولاة بعد الأمير سَيف الدِّين ساطلمش الجلالي ، وذلك في أواخر سنة اثنتين وخمسين[2] وسَبع مئة أو أوائلها ، فأقام بها مدّة إلى أن طَلَبَ الإقالَة من الأمير علاء الدِّين أمير علي المارديني نائب الشام ، فأعفاه منها في أوائل قدومه سَنة أربع وخمسين وسَبع مئة ، ثمَّ إنه ولأّه نيابَة حمص فتوجَّه إليها بعد وفاة الأمير سَيف الدِّين [تلك][3] في ذي القعدة سَنة أربع وخَمسين وسَبع مئة .

ولم يزل بها مُقيماً إلى أن توفِّي رحِمَهُ الله تعالى في العشرين من شهر رجب الفرد سَنة خَمس وخمسين وسَبع مئة وهو من أبناء السِّتين ، ونقل تابوته من حمص إلى دمشق ودُفِنَ بتربة والده بالصّالحية .

وكان وقوراً محتشماً يخدم الناس ويرعاهم ويعرف حقوقهم .

---

* الدُّرر : ١٥١/٤ ، وفيه : « كجكي ، ناصر الدِّين » .

(١) كذا في الأصول ، وهذا يخالف ما قدّمه من قوله : « شمس الدِّين » ، وقد سلفت الإشارة إلى أن صاحب الدُّرر سمّاه : « ناصر الدِّين » .

(٢) في الأصل : « وثلاثين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

١٧٢٣ ـ محمد بن كشتغدي*

الأمير ناصر الدِّين العِزِّي[١] المصريّ الصَّيْرَفي .

سَمع من النَّجيب والْمُعين الدمشقي .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومَولده سَنة إحدى وستين وست مئة[٢] .

١٧٢٤ ـ مُحَمَّد بن كوندك**

ناصر الدِّين دوادار الأمير سَيف الدِّين تنكز نائبَ الشام رحمه الله تعالى .

ما رأى الناسُ مثله دَواداراً ، ولا بلغ عظمَته في أيامه كسرى ولا دارا . بلغ الغاية القصوى مِن الوَجاهَة ، وتفرَّد مع ذلكَ بالعفَّة عن أموال الرَّعايا والنزاهَة ، يتطفل نوابُ الشام على مكاتباته ، ويَفْرَحون إذا ظفروا بما يَرِدُ عليهم من جَواباتِه ، لأنه كان قد تمكن من أستاذِه ، وملك أمره باشتماله عَليه واستحواذه ، لا يَقْدر أحَد من القضاة ولا الحاجب ولا أرباب المباشرات من المتولي والصّاحب[٣] ، ولا ناظِر الْجَيوش ولا كاتب الأسرار ، ولا مَنْ له حديثٌ في هذه[٤] الدَّولَة من الأخيار والأشرار أن يَنْفرد بأمرٍ في عزلٍ ولا وَلايَةٍ ولا حكمٍ ولا عناية دون أن يكون ذلكَ بأمرِه ، أو موافقاً لما في

---

* الوافي : ٣٧٧/٤ ، والدُّرر : ١٥١/٤ .

(١) في الوافي : « الغزّي » ، وفي الدُّرر : « المغري » ، وترجم صاحب الدُّرر لوالده ٢٦٨/٢ ، وفيه أيضاً : « المعزّي » .

(٢) وفي الدُّرر أنه « مات في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٧٢٩ هـ » .

** البداية والنهاية : ٢٧٠/١٤ ، والدُّرر : ١٥٢/٤ ، ووقع في الأصل : « كويدك » ، تصحيف .

(٣) (س) ، (خ) : « من القضاة ولا الصاحب ... من المتولّي أو الحاجب » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) .

باطنه وسِرّه . فمشت الأمور وأصلح[١] الْجُمهور ، وساسَ فأحسَنَ السِّياسَة . وبالَغ في العظَمَة والرِّياسَة ، وكأنَّ الأمر مردودٌ إلى أمرِه ، وأمْرُهُ لَيسَ له رَدٌّ .

وكان في وقت يوقِّع على القِصص ويَتجرَّع الموقعون وغيرهم من ذلك الغُصَص ، ودام على ذلك مدَّة مديدة[٢] . ثم بَطلَ ذلك ولا فُلَّ حَدّه ولا نقص عديده ، إلى أن أولع به حَمزة التركاني فخرَّبَ ديارَه ، ونقَّص عيارَه ، [ونفضَ غُباره][٣] ، وكسَفَ بَدْره التَّمام ، ونكَّسَ قامَة غصنه حتى ناح علَيه الْحَمام ، فتغيَّر عليه أستاذه تَغيُّراً شديداً ، وحوَّلَ عنه رأْياً كان فيه رَشيداً[٤] ، فضربَه بين يديه بالسِّياط ، ولم يَعمل فيه[٥] بالاحتياط ، وأخذَ منه جُملة من الدَّنانير ، ورُدّ[٦] بعد تلك المنعة والقوة يَتَجَشّأ بينَ التَّنانير[٧] . فأصبَحَ تحتَ الثَّرى بعد أن كان عَلى الثُّريّا ، ووَلاَّه الزَّمانُ قَفاه بعدَما كان قابله بالمحيّا . فذَلَّ من بعد تلك العزّة ، وسَلَبه الدهر ما قَلَّده وبزَّه ، وراحَ بعد علوّ المرتَبة ، وهوَ من ذوي المتربَة :

وكَم حـالِمٍ سَرَّهُ حِلْمُـهُ وأدْرَكَـه الرّوعُ لَمَّـا انْتَبَـه[٨]

ولم يزل على الحال المذكور إلى أن استجنَّ ضريحَه ، وأسمعَه الفناء صريخَه ، وعَلَّم منه ضريحه .

(١) في (س) ، (خ) : « وانصلح » .
(٢) (س) : « مدّة من السنين مديدة » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) (س) ، (خ) : « سديدا » .
(٥) (س) ، (خ) : « في أمره » .
(٦) (س) : « وردّه » .
(٧) يشير إلى قول حسّان :

ألا طعان ألا فرسان عادية إلاّ تجشّؤكم حول التنانير

والتَّجشؤ : تنفُّس المعدة عند الامتلاء ، والبيت في الهجاء .
(٨) (س) : « حالم » .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في عشري شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسَبع مئة .

وكان قد وردَ مع أستاذه من مصر هو وناصر الدِّين الخزندار ، وضبطا بابَه على أحسَن ما يكون . أمّا هذا ناصر الدِّين فكان أمره خارجاً عن الحدّ ، وكان عنده خبرة ومعرفَة وتنفيذ للمهمات وما يتعلَّق بالدولة والمباشرات والوظائف وغيرها .

عَرَفَ خُلُق أستاذه ومشى عليه ، فلم يكن يجتمع على أحد[١] في بيته إلاّ بأناس قلائل من الصوفيّة وغيرهم ، ولا يعرف أحدٌ بابه ولا يَقْرِبُه ، فإن[٢] كان له شغل اجتمع به في دار السعادة ، ولم يُشْبِع أحداً[٣] منه كلاماً ، وأنشأ جماعة من الأمراء والقضاة والكتّاب والدواوين والأجناد وغيرهم من سائر الطوائف ، ولم يَأخذ على أحد من ذلك شيئاً . ولما غضبَ عليه أستاذه ضربه قدّامه بالمقارع ، وأخذ منه للسُّلطان ثمانية عشر ألف دينار ، وأخذ منه لنفسه مثلَها وأكثر[٤] منها ، وباع موجوده وغالبَ أملاكه ، ومع ذلك لم يشْكُ أحدٌ عليه ، ولا قالَ أحد إنه أخذ منه درهماً فما زاد عليه .

ولما أُفرِجَ عنه كان يُلْزِمه بالركوب والنزول في أيام المواكب ، وكان يقول : قصدي بذلك حتى يَرَى مكانه وما كان فيه من العظمة[٥] أوّلاً وكيف أصبح الآن ، ثم إنه جهَّزه إلى القدس فأقام[٦] هناك مُدَّةً ، ثم إنه[٧] أحضره إلى دمشق . ولم يزل غَضباناً[٨] عليه من سَنة أربع وثلاثين إلى أواخر سنة أربعين وسبع مئة ، فأحضره ورضيَ عليه وخلَع

(١) في (س) ، (خ) : « بأحد » .

(٢) (س) ، (خ) : « وإن » .

(٣) (س) ، (خ) : « أحدٌ » .

(٤) (خ) : « أو أكثر » .

(٥) (س) : « حتى يرى ما فيه من العظمة » . وفي (خ) : « حتى يرى ما كان فيه من العظمة » .

(٦) (س) : « فما أقام » .

(٧) ليست في (س) ، (خ) .

(٨) كذا بالتنوين خلافاً للقاعدة .

[عليه][(١)] ، وكان يَرْكَبُ معه في غير المواكب ويُسايره ويحادثُه . ولم نَرَ هذا الحال حصلَ لغيره ، لأنَّه ما غضبَ على أحد قطّ ورضِيَ عنه ، وكان هذا الحال في حق الدّوادار مُضِرّاً له ، لأن السُّلطان لَمّا أمسك الأمير سَيف الدِّين تنكز رحمه الله تعالى شَمَل غضبُه كلَّ مَن كانَ من جهته ، واستخدم كلّ من كان بطالاً ، وقد غضبَ عليه فناله بهذا أذًى ، وأراد السُّلطان أن يعطيه إمرة عشرة فلم يقبل خوفاً من أستاذه .

وكان يتوجَّه في كل سَنة مرتين أو ثلاثاً على قدر ما يتفق له إلى باب السُّلطان في[(٢)] البريد ، فيعامله السُّلطان بالإكرام الزائد والتعظيم .

وكان بيده في حلقة الشام إقطاع يعمَل أربعين ألف درهم ، وأربعة[(٣)] إقطاعات أو خمسَة جياد بأيدي أولاده ومَماليكه ، وكان له على أستاذه مرتب خبز ولحم وعَليق ، ويعطيه وينعم عليه في كلٍّ قليل ، فأقام على هذا الحال من سنة اثنتي عشرة وسبع مئة إلى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكلّ ماله في عظمة ووجاهة ، وكان إذا توجَّه إلى مصر وعادَ يتعذر على الأمير سيف الدِّين قطلوبغا الفخري وأمثاله السَّلامُ عليه في بيته ، بل يقفون له في الطريق إذا تَوَجَّه إلى دار السَّعادة ويسلِّمون عليه .

وعلى الْجُملة ما رأيت أنا ولا غيري عظمَةً نالَها هذا ناصر الدِّين في دواداريته لا من قبله ولا من بعده ، وبعد هذا[(٤)] كنت أراه يشتري اللحم ويربطه خَلْفَه على الفرس ويتوجَّه به إلى بيته ، فما كنت أقضّي العجب من أمره ، سُبحان مَن بيده تصاريفُ الأمور لا إله إلاّ هو ، وكنتُ أرى ذلك لأنه[(٥)] غَيرُ بارٍّ بأبيه ، وكان يُؤْثِر إيحاش الأكابر ويشتهي[(٦)] إذْلالَهُم .

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (س) : « على » .
(٣) « س) : « وأربع » .
(٤) (س) : « هذا كلّه » .
(٥) (س) : « أنّه » .
(٦) (س) : « ويريد » .

١٧٢٥ - محمد بن ليث العِدى*

الحاج شمس الدِّين ابن الحاج زين الدين التاجر بمدينة سَيدنا الخليل عليه السَّلام .

توفِّي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في الطاعون ، ووصَّى بأن يُصرف من تركته لعَمارة مكة[(١)] وحرم النبي ﷺ وحرم القدس وحرم الخليل عليه السَّلام ، لكل مكان منها مبلغ ثماني مئة دينار ، فقال له شهابُ الدِّين أبو العباس أحمد خطيبُ الحرم : إن هذه الوصيّة إنما تنفذ من الثلث . فقال : أعرفُ ذلكَ ، فإن النَّبي ﷺ قالَ لسَعد : « الثُّلث ، والثُّلُث كثير »[(٢)] ، وثلث مالي يزيد على ذلكَ ، وكُتِبَ محضر[(٣)] ، وجهز إلى دمشق في أيام أرغون شاه .

١٧٢٦ - محمد بن مجاهد بن أبي الفوارس**

القاضي الصدر [الكبير][(٤)] بدر الدِّين النابلسي .

لبسَ خلعة نظر الدواوين شريكاً للشريف أمين الدِّين بن عدنان في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسَبع مئة ، وأقام على ذلك إلى أن تولَّى الصّاحب شمسُ الدِّين غبريال نظر الدَّواوين عِوضاً عن ابن أبي الفَوارس وعن الشريف أمين الدِّين في سادس عشر المحرَّم سنة ثلاث عشرة وسَبع مئة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ثاني[(٥)] عشر شوال سنة تسع عشرة وسَبع مئة .

---

* الدُّرر : ١٥٢/٤ ، وفيه : « ابن الليث البغدادي » .

(١) في (س) : « حرم مكة » .

(٢) انظر : صحيح البخاري ٢٥٤/٣ (٥٥ كتاب الوصايا ، باب ٢ ، رقم الحديث ٢٧٤٢) .

(٣) في (س) : « وكتب بذلك محضر » .

** تالي وفيات الأعيان : ١٨٦ ، والدُّرر : ١٥٢/٤ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) (س) : « ثامن » .

ولَمّا عزل من نظر الدواوين بدمشق بقي بَطّالاً خاملاً إلى أن مات رحمة الله تعالى .

١٧٢٧ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن علي*

ابن محمد بن الْحَسَن بن عبد الله بن أحَمد بن الْمَيمون .

الشيخ الإمام أمين الدِّين أبو الْمَعالي ابن الشيخ قطب الدِّين أبي بَكر بن القسطلانيّ المكّي ، شيخ الحديث بالْحَرَم .

كان من بيت صلاح وله فضيلة .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : قرأت عليه أحاديث من (الثقفيات) عن ابن الْجُمّيزي وهو مريض بالإسهال ، ولم يمكنه حضور الموقف ، واستمرّ مرَضه بعدما رَحَلنا أياماً .

ومات في مستهل المحرم سَنة أربع وسَبع مئة .

١٧٢٨ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بَهرام**

العالِم العَلاّمَة قاضي القضاة بحلب وخطيبها ، شمس الدِّين أبو عبد الله الشافعي الدمشقيّ .

ولِيَها مدّة طويلة ، وكان قد تفقّه بمصر على الشيخ عزّ الدِّين بن عبد السَّلام ، وبرع في المذهب وتصَدّر ، وتخرَّج به الأصحاب[١] .

* الدُّرر : ١٦٩/٤ .

** الوافي : ٢٠٩/١ ، والدُّرر : ١٧١/٤ ، والشذرات : ١٣/٦ ، وفيها : « الكوراني » . وذيول العبر : ٣١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٠/٨ .

(١) (س) : « وخرّج به » . وفي الوافي : « وخرّج له » .

وكان محمود الأحكام على ضيق خُلُقه ، وكان يخالف قراسُنقر نائب حلب كثيراً في أغراضه ، وعُزل[(١)] بالقاضي زين الدِّين ابن قاضي الخليل ، وقد تقدم ذكره .

وتوفِّي القاضي شمس الدِّين في العشر الأول من جمادى الأولى سنة خمس وسَبع مئة .

ومولده سَنة خمس وثلاثين وست مئة ظنّاً .

ولَمَّا عُزِلَ عن قضاء حلب ولِيَ الخطابَة بها وبقيَ مدَّة[(٢)] مفتي البَلد وشيخ الجماعة والناس يقرؤون عليه الفقه والأصول . وتولَّى خطابة حلَب بعده بدرَ الدِّين بن الحدّاد .

١٧٢٩ ـ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسَين*

ابن أحمد بن علي بن محمَّد الْخَطيب جَمال الدِّين بن تقي الدِّين أبي الطّاهر بن مجد الدِّين أبي علي ابن الشيخ تاج الدِّين أبي الْحَسَن بن القسطلاني ، إمام جامع مصر وخطيبَ القِلعَة .

سَمع من ابن خطيب المِزّة ، وصحِبَ الشيخ المرجاني[(٣)] وحجَّ معه ولازَمهُ وانتفع به ، وخطبَ بجامع مصر مدّة . ولما نُقِل إلى خطابة القلعة خطب مكانه أخوه تاج الدِّين بجامع مصر .

وتوفِّي رحِمَهُ الله تعالى في مستهل ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسَبعين وست مئة تقريباً .

---

(١) في الأصل و (س) : « وولي » ، وعبارة الدُّرر : « عزل ... وبقيت معه الخطابة » .

(٢) ليست في (س) .

* الدُّرر : ١٧٣/٤ .

(٣) عبد الله المرجاني (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٨/٥ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : ووالد جَمال الدِّين المذكور سبط الشيخ مجد الدِّين الإخميي خطيب مصر .

١٧٣٠ ـ محمد بن محمد بن علي*

ابن مُحَمَّد بن سليم ، الصّاحب تاج الدِّين أبو عبد الله ابن الصّاحب فخر الدِّين ابن الوزير بهاء الدِّين ابن حنّا .

سمع من سبط السّلفي (جزء الذهلي) ، ومن الشرف[(١)] الْمُرْسي . وبدمشق من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر ، وحدّث بدمشق وبمصر .

رأى من العز والوَجاهة ما لا رآه جدُّه ، وساعَدَهُ على الرئاسة حَظه وجَدّه .

كان ذا تصوّن ورياسَة[(٢)] وسيادة ، وتفنُّنٍ في المكارم بلغ[(٣)] من العَلياء ما أراده ، وانتهَت إليه رياسَة مِصْرِهِ في عَصْرِه ، وسيادة دهره في سِرِّه وجَهْره .

وكان شكله حَسَناً ، وبزَّته إذا رآها الناظر لم يذق معها وسَنا ، لأنه تفنَّنَ في مطعمِهِ ومَلبَسِه ، ومَركوبه ومَجْلِسه ، وراحة قلبه وبدنه ، وسَكَنه ومَسْكَنه ، مع كثرة صَدقاته على الفقراء ، ومَبرّاته للأمراء ، وتواضعه الذي مَلك به قلوبَ الأصاغِر والعظماء .

وزاده زينة والبَدرُ أحسَنُ ما تَراهُ في طَرف السَّماء ، وعزم تلاه[(٤)] الْحَزم ، ولم يَدخل عليه منَ العَوامِل إلا ذوات[(٥)] الجزم .

* الوافي : ٢١٧/١ ، وفوات الوفيات : ٢٥٥/٢ ، والدُّرر : ٢٠١/٤ ، والشَّذرات : ١٤/٦ ، وذيول العبر : ٣٨ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٢٨/٨ .

(١) في الأصل : « الفخر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « بلغ ذلك » .

(٤) (س) : « تراه العين في ذيل السماء وعزم تلاوة ... » .

(٥) في (س) : « أدوات » .

مستبــــدّ بهمَّــــةٍ جَعَلَتْــــه   في عُلُــوِّ الْمَرمى شريــكَ النُّجُــومِ
وخِــلال لــو استردّت إليهــا   مثلُهـا مـا وجَـدْتَها في الغُيُــومِ

وكان ممدَّحاً معظَّماً ، يختار الشعراء لأمداحِه الدرّ الكبار مُنَظَّماً .

وولي الوزارة مرتين ، وتجمَّلت به كَرَّتين . ثم إن الوزراء بعده كانوا لـه غلمانـاً ، ولأوامره كفلاء وضُمّاناً .

ولم يزل على حاله إلى أن سَكَن ابن حنّا زوايا ضريحه ، وخرج فقده من مُعَمّاهُ إلى صريحه .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ليلة السَّبت خامس جمادى الآخرة سَنَة سَبع وسبع مئة .

ومَولدُه في يوم الْخَميس سابع شَعبان سنة أربعين وستّ مئة .

وهوَ الذي اشترى الآثار النبويّة على ما قيل بمبلغ ستين ألف درهم ، وجَعَلها في مكانه بالمعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بمصر ، وقد زرت هذه الآثار ورأيتها مرَّتين ، وهي قطعة من العنزة[١] ومِرْوَد[٢] ومِخْصَف وملقط وقطعَة من القصعَة ، وكَحَّلْتُ [ناظريّ][٣] برؤيتها ، وقلْتُ أنا :

أكرِمْ بــآثــارِ النَّبيِّ مُحَمَّــدٍ   مَنْ زارَهـا اسْتَوفى السُّعُودَ مَـزارَهُ
يـا عين دونَـكِ فـالْحَظي وتَمَتَّعي   إنْ لم تَرَيْــهِ فَهَــذِهِ آثــارُهُ

وحَكى لي الإمام العلامَة شيخنا شهابُ الدِّين أبو الثَّناء محمود وغيرُ واحد أن الصاحب فخر الدِّين بن الخليلي لَمّا لبس تشريف الوزارة وتوجَّه[٤] إلى القلعة بالخلعَة

(١) العنزة : العصا .
(٢) في الوافي : « مِزْوَد » .
(٣) زيادة من (س) والوافي .
(٤) في الوافي : « توجَّه » .

إلى عند الصّاحب تاج الدِّين ، وجلسَ بين يديه وقبَّل يَدَه ، فأراد الصّاحب تاج الدِّين أن يُجْبره ويعظِّم قَدْره ، فالتفت إلى بعض غلمانه الواقفين أو عبيده وطلبَ منه توقيعاً بمرتب يختص بذلك الشخص ، فأخذه وقال : مولانا يعلّم على هذا التوقيع ، فأخذه وقبّلَه وعلَّم عليه قدّامه .

وكانَ شيخنا الحافظ فتح الدِّين إذا حكى ذلك يقول : هذه الحالة من الصّاحب تاج الدِّين بمنزلة الإجازة[١] والإمضاء لوزارة ابن الخليلي .

ومن أحسَن حَركةٍ اعتَمدها ما حكاه لي القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله قال : اجتزت بتربة[٢] فرأيت في داخِلَها مكتباً للأيتام ، وهم يكتبون القرآن في ألواحهم ، فإذا أرادوا مسحَها غَسلوا الألواح وقلبوا الماء على قبره ، فسألتُ عن ذلك فقيل لي : هذا شرطٌ في هذا الوقف ، وهذا مقصَدٌ حَسَنٌ وعقيدةٌ صحيحة .

وكان جدُّه الصّاحب بهاء الدِّين يؤثره على أولاده لصُلبه ويعظِّمهُ عليهم . أخبرني القاضي شهابُ [الدِّين][٣] بن فضل الله قال : أخبرني قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني رحمه الله تعالى ، قال : وقَفْتُ على إقرار الصّاحب بهاء الدِّين بأنه في ذمّته للصاحب تاج الدِّين ولأخيه [مبلغ][٤] ستين ألف دينار مصريّة .

ومن وَجاهته وعظمته في النفوس أنّه لَمّا نُكِبَ على يَد الشُّجاعي جرَّدَه من قماشه وضربَهُ مقرعةً واحدةً من فوق قميصه ، ولم يدعه الناس يصل إلى أكثر من ذلك مع جَبروت الشجاعيّ وعتوِّه وتمكُّنه من السُّلطان .

وكان قد رُتِّب في الوزارة بعد ابن السَّلعُوس وقَتْل الأشرف في أول دولة الناصر

(١) في الأصل : « الإجارة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « بتربته » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

مُحَمَّد بن المنصور وقتل الشّجاعي ، وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وستّ مئة إلى أن عُزِلَ بابن الخليلي فخر الدِّين في جمادى الأولى سَنة أربع وتسعين وست مئة .

وكان الصاحب يتعاطى الفروسية ويحضرُ الغزوات ويتصيَّد بالْجَوارح والْجَوامي ، ولَمَّا قدم من غزوة حمص امتدحه الحكيم شمس الدِّين مُحَمَّد بن دانيال وذلك في سَنة ثمانينَ وست مئة ، وأوّل القصيدة[1] :

تَذَكَّرتَ سُعدى أم أتاكَ خَيالُها ... أم الرِّيحُ قَد هَبَّت إليكَ شَمالُها

منها :

لقَد أقبَلَ الصَّدر الوزيرُ مُحَمَّد ... فأقبلَتِ الدُّنيا وسُرَّ وِصالُها[2]

منها :

بَغَى أبغا لَمّا تَصرَّعَ أهلُه ... بدارِ هَوانٍ قَد عَراهُم نَكالُها[3]
وألقوا عنِ الأفراسِ حيثُ رؤوسَهُم ... أكاليلُها فوقَ التُّرابِ نِعالُها
وكانَ لها تِلكَ الذّوائبُ في الثَّرى ... شكالاً وثيقاً حينَ حلَّ وثالُها[4]
فأمْسَوا فراشاً والأسنَّة شُرَّعٌ ... ذِبالٌ إلى أنْ أحرَقَتهُم ذِبالُها

وأنشدني إجازة لنفسه شيخُنا العَلاَمَة أبو الثناء يمدَحَهُ بقصيدة تزيد على الثمانين بيتاً أولُها :

أَعَليَّ في ذكْرِ الدّيارِ مَلامُ ... أم هَل تَذَكُّرُها عَليَّ حَرامُ
أمْ هَل أُذَمُّ إذا ذَكَرتُ مَنازِلاً ... فارَقْتُها ولَها عَليَّ ذِمامُ

---

(١) المختار من شعر ابن دانيال : ٦٤ .

(٢) في المختار : الصلد الوزير » .

(٣) في المختار : « زكالها » .

(٤) في المختار : « وكانت » . في الوافي والمختار : « حلّ شكالها » . والوَثَل : الحبل .

دار الأحِبَّــــةِ والهَــوى وشَبيبـــــةٌ ذَهَبَت وجيرانٌ عَليَّ كِرامُ(١)
فــارقتُهُم فــأرِقْتُ من وَجْـــدي بِهِم أفَهَــــل لهم أوْ لِلكَرى إلمـــــامُ
كانــوا حَيــــاتي وابتُليتُ بفقــــدِهِم فَعلى الْحَيـــاةِ تَحِيَّــــةٌ وسَـــلامُ
أشتـــاقُهـــا شـــوقَ الغريبِ مَـــزارَهُ سَفهــــاً وإلاّ أينَ منِّي الشّـــــامُ
وتَروقني خِـدَعُ الْمُنى منهـــا وقَـــد بَعُـــدَ الْمَـــدى وتَمادَتِ الأيّـــامُ
وتَلَـــذُّ لي سُنّـــةُ الكَرى لا رَغبَـــةً في النَّــومِ بــل لتعيــدَهــا الأحــلامُ
وتَمَثّــلُ الأوهـــامُ لي أنِّي بِهــــا ثــــاوٍ ولـــذّاتُ الهَــوى أوهـــامُ
وكأنَّ دَمــعَ تشــوُّفي وخَيــــالَهــــا دِمَنٌ أَلَمَّ بِهـــا فقـــــالَ سَـــلامُ

منها :

ولَـــهُ بظِـــلِّ مُحَمَّـــدِ بن مُحَمَّـــدٍ حَرَمٌ يُطـــافُ بِرُكْنِــــهِ ومَقـــامُ
الصّاحبُ الْمَولى الـوزيرُ ومَن بــهِ بُعِثَتْ عِظـامُ الْمَجـدِ وهي رِمـامُ
مُتفَرِّدٌ دونَ الــوَرى بِمَنــــاقِبٍ أمسى لَهــا بينَ النُّجــومِ مَقـــامُ
خُلُــقٌ كَنَشرِ الرّوضِ حَــلَّ لِنَــورِهِ بِيَــدِ الصَّبـا عنــدَ الصَّبـاحِ لِثـامُ
وبــديهـــةٌ أسرى وأسرَعُ مِن سَنـا بَرقٍ بَـــدا فَكأنَّهـــا إلهـــامُ
مِن خـــاطِرٍ كالنّـــارِ يَجْري مـــاؤُهُ عـــذبـاً وهَــل تُجري الميـــاهَ ضِرامُ
مِنْ كلِّ مغنى لــو تَمَثَّـــل جَـــوْهَراً فَرْداً أقَرَّ لَــــهُ بِهـــا النّظـــامُ
وشَجــاعَــةٌ مــا عــامِرٌ فيهـــا لَـــهُ قَـــدَمٌ ولا عَمْرٌو لَـــهُ إقـــدامُ(٢)
ثَبْتَ الجنــانِ إذا الفَـوارِسُ أحْجَمَتْ خَــوْفَ الرَّدى لم يُثْنِــهِ إحجـــامُ
وبِكفِّـــهِ في جَحْفَـــلٍ أو مَحفَـــلٍ تُـــزجى الرِّمـاحُ السُّمرُ والأقـلامُ(٣)

(١) يشير إلى قول الفرزدق :

فكيفَ إذا مررتُ بـــدارِ قـــومٍ وجيران لنـــا كانـــوا كِرامُ

ديوانه : ٢/٢٩٠ .

(٢) هما عامر بن الطفيل ، وعمرو بن معديكرب ، من أبطال العرب .

(٣) في الوافي : « تزهى » .

وهذه قصيدة غَرّاء طنانة ، وقد أثبتها بكمالها في الجزء التاسع عشر من (التَّذكرة) التي لي .

وحَكَى لي عنه سيادةً كثيرةً شاهدَها منه ، من ذلك أنه قالَ : دخلتُ يوماً إليه ، فلقيني إنسان من الشعراء ـ أُنسيت أنا اسمه ـ ومَعَه قصيدَة قد امتدحه بها ، فقال : يامولانا لي مُدَّة ولم يتفق لي إلى الصاحب وصول ، فأخذتُها منه ودخلت بها إليه وقلتُ : بالباب شاعرٌ وقد مَدح مولانا ، فقال : يَدخل . فأعطاه القصيدة ، ولم يمتنع مِن إسماعها[١] كما يَفعله بعض النّاس ، فلما فرغت أخذَها منه ، ووضعَها إلى جانبه ، ولم يتكلَّم ولا أشار . فحضرَ خادم ومعَه مَبلغ مئتي درهم وتفصيلة ، فدفعَها لذلك الشاعر .

قلتُ : وهذه غاية في السِّيادة والرِّئاسة من سَماعِها وعدم[٢] قوله : أعطوه كذا ، أوْ إشارة إلى من يحضر فيشير[٣] إليه .

وقيل عنهُ : إنه كانت أحواله كلُّها كذا لا يشير بشيء ولا يتكلم به في بيته ، وكلّ ماتَدْعو الحاجة إليه يقع على وفق المراد ، وحَكَى لي أنه أضاف[٤] جدّه يوماً ووسَّع فيه ، فلما عادَ إلى بيته أخذ الناس يعجَبون منه ومن همَّته وكرم نَفسِه ، فقال الصاحب بهاء الدِّين : ليسَ ماذكرتموه بعجيب ، لأنَّ نَفْسَه كريمة ومُكْنَتُهُ متَّسعَة ، والعَجبُ العَجَب[٥] كونه طول هذا النَّهار وما حضر فيه من المأكول والمشروب والطعام[٦] والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف أنواعه ، ماقام من مكانه ، ولا دعا خادماً فأسَرَّ إليه بشيء ، ولا أشارَ بطرفه ولا بيَده ، ولم يجئ إليه أحد من خدمه ولا أشار إليه . وقيل : إنَّ الناس تعجَّبوا من كثرتهم وتشربهم الماء البارد في كيزان عامَّة

(١) في الوافي : « سماعها » .

(٢) (س) : « أو عدم » .

(٣) في الوافي : « فيسرّ » .

(٤) (س) : « أضاق » .

(٥) في الوافي : « العجيب » .

(٦) في (س) والوافي : « الطعام » بلا واو .

النهار[١] ، فسُئل عن ذلكَ فيا بعد ، فقال : اشتَرينا خمس مئة كوز ، وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً ، برّدوا ذلك في الباذهنجات[٢] التي لهم .

ولا شكَّ في أنه كان عاليَ الهمَّة ممجَّداً مسوّداً ، ولكن لم يكن له سَعادة جدِّه ولا دربته في تنفيذ الوزارة ، فإنَّه وَلِيَها مرَّتين وما أنجبَ فيها ، وكان له إنسان مرّتب معه حمام كحمام البَطايق مدرَّب ، إذا خرج مِن باب القرافة أطلق ما مَعه من الْحَمام ، فيروح إلى الدار التي له فيعلم أهله أنَّه قد خرج من القَلعة ، فيرمون الطُّطماح[٣] والملوخيّة وغير ذلك من أنواع الطعام ومن المطجَّن وما شابَهه ، حتى إذا جاء وَجد الطعام حاصلاً والسماط[٤] مَمدوداً .

وله (ديوان شعر) لطيف سمعه منه ابن شامَه وابن الصّابوني .

أخبرَني شيخنا العلاّمَة أثير الدِّين قال : اجتمعت به وسَمعت عليه شيئاً من الحديث ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

ولقد أتيتُ على أغرّ أدهمٍ ... عبل الشَّوى كاللَّيلِ إذْ هُو مُظْلِمُ[٥]
وبكَفِيَ اليُمنى قَناةٌ لَدْنَةٌ ... كالأُفعُوان سنانها مِنهُ الفَمُ
مُتَقَلِّداً عَضباً كأنَّ مُتونَهُ ... بَرقٌ تَلألأ أو حَريقٌ مُضْرَمُ[٦]
وعليَّ سابغَةُ الذُّيولِ كأنَّها ... سَلْخٌ كسانيهِ الشُّجاعُ الأرقَمُ
وعلى المفارقِ بيضَةٌ عاديَّةٌ ... كالنَّجْمِ لاحَ وأينَ منها الأنجُمُ
فالرَّعْدُ من تصهالِ خَيلي والسَّنا ... بَرقُ الأسِنَّةِ والرَّذاذُ هو الدَّمُ[٧]

(١) (س) والوافي : « ذلك النهار » .
(٢) فارسية ، وهي نوافذ تستعمل للتهوية والتبريد .
(٣) (س) : « الططماح له » .
(٤) في الأصل : « والطعام » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٥) (س) والوافي : « أبيت » . والشوى : الأطراف .
(٦) في الأصل : « مظلم » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٧) (س) والوافي : « برق الأشعّة » .

وكان قد اشترى فَرَساً من العَرب ، فأقامت عنده مدة في الحاضرة[1] ، ثم إنَّه عَبر بها على بيوت العَرب ، فجفِلت به ، فقال :

نَسيتِ بيوتَ الشَّعْرِ يافَرَسي وقَد ربيتِ بهـا والْحُرُّ للعَهْـدِ ذاكِرُ
ولكِن رأيتيهـا بنَجـدٍ وأهلُهـا على صِفـةٍ أُخرى فعُـذْرُكِ ظـاهِرُ

قلت : أثبتَ الياء في قوله : « رأيتِها » وإنما هي بكسر التاء ، فأشبَعَ ، فنشأت[2] ياء .

قال شيخنا أثير الدِّين : ونظمتُ أنا هذا المعنى فقلتُ :

عَجبتُ لِمهري إذْ رأى العُرْبَ نُكّبـا كأنْ لم يكُنْ بينَ الأعاريب قَد رَبا
أجَـلْ لَيسَ نكراً للفَريـقِ وإنَّما تخـوّفَ عُتْبـاً منهم فَتَجَنَّبـا

وقد سمع منه شيخنا الذهبيّ وجالَسَه ، وأنشده من شعره ، واعتكف مرة في مئذنة عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام ، فقال السِّراج الورّاق ، ونقلت ذلك من خطه :

ثـلاثـة أيّـامٍ قَطعْتَ كَطـولِهـا ثلاث شـديـدات مِنَ السَّنـواتِ[3]
حَجَبْنَ مُحَيّا الصّاحب بن مُحَمَّـد لِيَجْمَـعَ بينَ الْحُسْنِ والْحَسَنـاتِ
ومـا كادَ قَلبي أَن يقرَّ قَرارهُ لأنّي بمصرٍ وهُـو في عَرَفـاتِ

ولَمّا عمَّر الصّاحب تاج الدِّين جامع دير الطين قال السّراج الورّاق ، ومن خطه نقلت :

بَنَيْتُم على تَقوىً مِنَ اللهِ مَسْجِـداً وخَيرُ مَباني العابِدينَ مَساجِـدُ[4]

---

(١) في الأصل : « الحاضر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) (س) : « وإنما هي كسرة فأشبع الكسرة فنشأت » .
(٣) في (س) والوافي : « لطولها » .
(٤) في الوافي : « المساجد » .

وأعلَنَ داعيـــهِ الأذانُ فبـــادَرَت		إجـابتـهُ الصُّمُّ الجِبـالُ الْجَـلامِـدُ
ونـالَتْ نـواقيسَ الـدِّيـارات وجْمَـةٌ		وخَـوْفٌ فَلم يَمْـدُد إليهِنَّ سـاعِـدُ
تَبكي عليهنَّ البَطـاريـقُ في الـدُّجى		وهُنَّ لـديهم مُلْقَيـاتٌ كَـواسِـدُ[1]
بـذا قَضَتِ الأيّـامُ مـا بينَ أهلِهـا		مَصـائِبُ قَـومٍ عِنـدَ قَـومٍ فَـوائـدُ

قلتُ : البيتان الأخيران لأبي الطَّيِّب الْمُتَنَبي من قصيدة مشهورة[2] .

وأهدى إليه الصّاحبُ تاج الدِّين عَسَلاً مسعودِيّاً فقال ، ومن خطه نقلتُ :

مِنَ الظّرفِ رَدُّ الطَّرْف مُمْتَلِئاً حَمْدا		كَما جاءَ مِن نِعْماكَ مُمْتَلِئاً رَفْدا[3]
وكُنتُ لَسيعـاً مِن زَمـاني وصَرْفِـه		فبَـدَّلَني من سَمِّـهِ القـاتِلِ الشَّهَـدا

منها :

أتـاني مَسعـودٌ بـهِ لـون عِرْضِـه		بَياضاً جَلا من حالِكِ الحالِ ما اسودّا
فـأدْنَيْتُ مَن أبعـدتُها لا قِلًى لَهـا		ولكن مِنَ الأشْياءِ مـا يوجِبُ البُعـدا
فـإن رَفَـعَ الـدّاعي يَـدَيـهِ فَهَـذِهِ		بـأربَعِها تَـدْعـو فَتَسْتَفْرِغُ الْجُهْـدا

وأرسلَ إلَيهِ الصّاحبُ يوماً ديوكاً مخصيّـة ، فـاستبقـاهنّ ، فـأرسَل إليـه دجـاجـةً كبيرَة ، ومن خطِّه نقلتُ ماقاله في ذلك :

فَـدَيتُ الـدُّيـوكَ بِـذِبـحٍ عَظيمٍ		وَانْقَـذْتُهـا من عَـذابٍ أليمْ[4]
فَنـاري لَهُم مثـلُ نـارِ الخليـ		ـل ونـارُكَ لي مثـل نـارِ الكَليمْ
وذو العُرفِ بـاللهِ في جَنَّـةٍ		فَكُن واثِقـاً بـالأمـانِ العَظيم

---

(١) في الأصل : « فتبكي » ، وأثبتنا ما في الوافي وديوان المتنبي .
(٢) ديوانه : ٢٧٦/١ .
(٣) في الأصل : « الطرف » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ [الصافات : ٢٧/٣٧] .

لَقَــــــــد أنِسَتْ لِيَ دارٌ بِهِم | ومِن قَبلِهــــا أصبَحَت كالصَّرِيمِ[(١)]
مَشَــوْا كالطَّــواويسِ فِي مَلْبَسٍ | بَهِيِّ البُرودِ بَهِيــجِ الرّقــومِ[(٢)]
كأنّي أشــاهِــدُهُم كالقُضــاة | بِسَمتٍ عَليهِم كَسَمْتِ الْحَلِيمِ
وإلاّ أزمّـــة دارٍ غَـــدَت | بهم حَرَمــاً آمنــاً كالْحَرِيمِ
ولا فَرْقَ بيني وبينَ الْخَصِيّ | فَلِمَ لا أراهُم بِعَينِ الْحَمِيمِ
ونِعمَ الفِــداءُ لَهُم قَــد بَعَثْت | مِنَ الفــاتِنــاتِ ذَواتِ الشُّحــومِ[(٣)]
أعَــدتَ الشَّبــابَ إلى مَطْبَخي | وقَــد كانَ شــابَ بِحمــلِ الْهُمــومِ
وعــادَت قُــدوريَ زِنجِيّــةً | فــأعْجِبْ بِـزِنْجِيّــة عِنْــدَ رومي
وطــالَ لســانٌ لِنــاري بِــهِ | خَصَمتُ خُطوباً غَـدَت مِن خصومي
وأمسَيتُ ضيفَـــكَ في مَنزِلي | ومَن فيــهِ ضيفٌ لضيفِ الكَريمِ

قلتُ : قوله : « زنجيّة عند رومي » ظرَّف فيه إلى الغايـة ، لأن السّراج رحمـه الله تعالى كانَ أشقرَ أزرق ، ولذلك قال ، ومن خطه نقلت :

ومَن رَآني والحمــــار مَركبي | وزُرْقَتي للرّوم عِرْقٌ قَــد ضَرَبْ
قــالَ وقَــد أبْصَرَ وَجْهي مُقْبِـلاً | لا فـارِسَ الخيـلِ ولا وَجـهَ العَرَبْ

ونقلتُ من خطِّ السِّراج الورّاق قصيدةً مَدح بها الصّاحب تاج الدّين أولُها :

أتَرومُ صَبري دونَ ذاكَ الرِّيمِ | هَيهــاتَ لمتُ عليــهِ غَير مَلــومِ
لـو شـاهَـدَت عَينـاكَ مـا شـاهـدتُـه | لَرَجَعْتَ في أمري إلى التَّسليمِ
مُخضَرُّ آسٍ واحْمِرارُ شَقــائــقٍ | أنـــا منهُما في جنَّـــةٍ وجَحيمِ[(٤)]

---

(١) في الوافي : « قبلهم » . وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَطافَ عَليها طائِفٌ مِن رَبِّكَ وهُم نائمونَ ☆ فَأَصْبَحَتْ كالصَّريمِ ﴾ [سورة القلم : ٦٨/١٩ ـ ٢٠] .

(٢) في الأصل : « رقيم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « القانتات » .

(٤) في الوافي : « ونعيم » .

ومَعــــــاطِفٌ مِن دونِهنَّ روادِفٌ أنـــــا منها في مقعَــــــدٍ ومُقيم
سَلْ طرفَهُ عَن شِعْرِهِ الـدّاجي فلَنْ يُخْبِركَ عَن طولِ الدُّجى كسَقيمِ[(١)]
يـا غُصْن قـامتـهُ إليـكَ تَحيّتي مَـع كلِّ مـــاطِرَةٍ وكلِّ نَسيمِ
إنَّ الْجَمالَ لــــهُ بغيرِ مُنـــازعٍ والـوَجْـــدُ لي فيــهِ بِغَيرِ قَسيمِ
وكَـذا العُـلا لمحمَّـدِ بن مُحَمَّـدِ بـ ـن عليٍّ بن مُحَمَّــــدِ بن سَليمِ
نَسَبٌ كمطَّرِدِ الكُعـوبِ فـلا تَرى إلاّ كَريـــــاً يَنتَمي لِكَريمِ

منها :

وشَيبَـــة حَرسَ التُّقى أطرافَهـــا فلَهـــا مَحــلّ الشَّيبِ في التَّعظيمِ
وإذا تَحَرَّمَتِ الْمَسـائلُ بـاسْمِـهِ جَلَّى عَنِ التَّحليـــلِ والتَّحريمِ
إنْ قــالَ لا يَخْلـو فَما مِن علّـةٍ تَبقى لصِحَّـــةِ ذلــكَ التَّقسيمِ
أمّـا إذا جـارَى أخــاهُ أحمَــداً شـاهـدتَ بَحْرَي نـائلٍ وعُلـومِ
بَحْرانِ إنْ شئتَ النَّـدى، نَجْمانِ إن شئتَ الهُـدى، غَـوْثـانِ في الإقليمِ

وكَتب الصّاحب تاج الدّين إلى الورّاق يعزّيه في حمار له سَقط في بئر فنفق :

يَفْـديكَ جَحْشُكَ إذْ مَضى مُتَردِّيـاً وبتـالـدٍ يُفـدى الأديبُ وطـارفِ
عَـدِمَ الشَّعيرَ فـلا رَآهُ ولا يَرى تِبنـاً وراحَ مِنَ الظَّما كالتّـالفِ[(٢)]
ورَأى البُـوَيرةَ غَير خـافٍ مـاؤهـا فَرأى حُشـاشـةَ نَفسـهِ لمخـاوفِ[(٣)]
فَهُـو الشَّهيـدُ لَكُم بـوافرِ فَضلُكُم هـذي الْمَكارِمُ لا حَمامـة خـاطِفِ
قَـومٌ يَمـوتُ حِمارُهُم عَطَشـاً لَقـد أزْرَوْا بحـاتمٍ في الـزَّمـانِ السّـالفِ

قلت : قوله : « لا حَمامة خاطف » يشير فيها إلى أبيات ابن عنين التي مَدَح بها

---

(١) كذا في الأصل و (س) ، وفي الوافي : « ولم يخبرك » .
(٢) في الوافي : « فلم يجده ولا رأى » .
(٣) في الوافي : « جاف » .

الإمام فخر الدِّين الرازي وهو على المنبر فجاءت إليه حَمامة وراءَها جارح ، فقال ابن عنين أبياتاً منها :

جاءَتْ سُليمانَ الزَّمانِ حَمامَةٌ والْموتُ يَلْمَعُ مِن جَناحَيْ خاطِفِ
مَنْ أعْلَمَ الوَرْقاءَ أنَّ مَحَلَّكُم حَرَمٌ وأنَّكَ مَلْجأُ للخائفِ

وأجاب الورّاق للصّاحب تاج الدِّين بقصيدة طويلة ، ومن خطِّه نقلتُ :

أذنَتْ قُطوفُ ثِمارِها للقاطِفِ وثَنَتْ بأنْفاسِ النَّسيمِ مَعاطِفي

منها ، فيما يتعلّق بالحمار :

ولَكَمْ بَكَيتُ عليهِ عَهدِ مَرابِعٍ ومَراتِعٍ رُشَّت بِدَمْعي الذّارِفِ[1]
يُمسي على يُسْري وعُسْري صابراً بِمَعارِفٍ تلْهيهِ دونَ مَعالِفِ[2]
وقَد استَمَرَّ عَلى القناعَةِ يَقْتَدي بي وهي في ذا الوَقتِ جلّ وَظائفي
ودَعاهُ للبئرِ الصَّدى فَأجابَهُ واعْتاقَهُ صَرْفُ الحِمامِ الآزِفِ
وهُوَ الْمُدِلُّ بِأُلْفَةٍ طالَت وما أنسى حُقوقَ مَرابعي ومَآلِفي
ومُوافقي في كلِّ ما حاولتُهُ في الدَّهرِ غيرَ مُواقفي ومخالفي
دَورانُ طاحونٍ لِساقيةٍ لِنَقْـ ـلِ الماءِ في شاتٍ ويومٍ صائفِ[3]
لكِنْ بِماءِ البِئرِ راحَ بِنَقْلةٍ فَثَلاثُ شاماتٍ بِموتٍ جارِفِ[4]

ونظم الصاحب يوماً بيتاً وهو :

توفي الْجَمالُ الفائزيّ وإنَّه لَخَيرُ صديقٍ كانَ في زَمنِ العُسْرِ[5]

(١) في الوافي : « عند مرابع » .

(٢) في الأصل : « يمشي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي : « يمسي » . وفي الأصل : « معاطف » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) (س) والوافي : « دوران ساقيه لطاحون » .

(٤) كذا في الأصل و (س) ، وفي الوافي : « قتلته شامات » .

(٥) في الوافي : « توافى » .

وأمر الورّاق بإجازته فقال :

فيا رُبَّ عامِلْهُ بألطافِكَ الّتي ... يَكونُ بها في الفائزينَ لَدى الْحَشْرِ

وممّا ينسَبُ إلى الصاحب تاج الدِّين :

تَوهَّم واشِينا بليلٍ مَزارَنا ... فجاءَ لِيَسْعى بَيْنَنا بالتَّباعُدِ
فَعانَقْتُهُ حتّى اتَّحَدْنا تَلازُماً ... فلَم يَرَ واشينا سِوى فَرد واحِدِ

قلتُ : هو مأخوذ من قول الأول :

كأنّني عانَقْتُ ريحانَةً ... تَنَفَّسَتْ في لَيلِها البارِدِ
فَلَو تَرانا في قَميصِ الدُّجى ... حَسِبْتَنا في جَسَدٍ واحِدِ

وقلتُ أنا وقد كنا ببرج الغسّولَة في يوم منَ الربيع ، فورَد علينا برد[١] شديد إلى الغايَة :

أتانا فَجْأَةً بَرْدٌ شَديدٌ ... أنا لِلْمَدحِ فيه غيرُ جاحِدْ
لأنِّي كنتُ عن إلْفي بَعيداً ... فَصَيَّرَني ومَن أهْواهُ واحِدْ

وكَتَبَ شيخنا العلامَة شهابُ الدِّين أبو الثناء محمود إلى الصّاحب تاج الدِّين مع رأس فانوس أهداه وفيه صورَة الفلك :

أيا مولىً أعوذ مَجْـ ... ـدَه بالرُّوحِ والْمُلْكِ
ومَن بِسَنا مَفاخِرِهِ ... تُضيء غَياهِبُ الْحلكِ
بُعِثْتَ بِما أبَوْه إذا ... يصحّفُ من كُنى مَلِكِ[٢]
يُريكَ الشَّمس في جُنحِ الـ ... ـدُّجا في قبّةِ الفَلَكِ

(١) (س) : « في الربيع فورد علينا في يومٍ بردٌ » .
(٢) (س) : « أتوه » .

فَكَتَبَ الصاحب تاج الدّين الجواب :

أتَتْني من الْحَبْرِ الكريمِ هـديّـةٌ ... بها مِنَ أبي فانوسَ نَسَبةَ ناسِبْ
وما أبْعَدَ الفانوسَ إلا لِرِيبَةٍ ... مَطالِبُها مَرْجُوّةٌ في الغَياهِبْ
شَياطينُها تَرْجو انْقِضاضَ شِهابِها ... وتأْمَلُ مِنهُ أن تفوزَ بثاقِبْ

وكان شيخنا العلامة شهاب الدّين محمود رحمه الله تعالى في يوم عند الصّاحب تاج الدّين ، فقام إلى الصلاة ، ورمَى إليه بخاتم فضّة فَصُّهُ زَبَرجد ، ولَمّا انفتَل من الصّلاة أنشده الشيخ شهابَ الدّين محمود لنفسه :

يا سَيِّدَ الوُزراءِ يا مَن كفُّه ... أرْبى نَداهُ على سَماحَةِ حاتِمِ
أشْبَهْتَ في الْخُلقِ الوَصِيَّ وفِعلُهُ ... لَمَّا تَصَدَّقَ في الصَّلاةِ بِخاتِمِ

ومن شعر الصّاحب تاج الدّين مُلغِزاً في الوَرْد :

ومَعرَكَةٍ أبطالُها قد تَخَضَّبَت ... أكُفُّهُم مِن شِدَّةِ الضَّربِ عنْدَما
لهم عندَها ثَأْرٌ وللنّارِ عَنبَرٌ ... تَأَجَّجَ حتّى يتركَ الوَرْدَ أدْهَما

ومنه يمدَح الشيخ خضر المكّاري :

وجُزتَ بِمَيدانِ العبادةِ غايةً ... تُذكرني يومَ السِّباقِ ابنَ أدهَما

ونظم يوماً بيتاً وهو :

ألا قاتَلَ اللهُ الْحَمامَةَ إنَّها ... أذابَتْ فُؤادَ الصَّبِّ لَمّا تغَنَّت

وقالَ للورّاق : أجزه . فقال قصيدة أولُها :

أطارحُها شَكوى الغَرامِ وبَثَّه ... فَما صَدَحَتْ إلاّ أجَبتُ بأنَّةِ

ومِمّا ينسَبُ إلى الصّاحب تاج الدّين هذه الموشّحة وقد التزم فيها الحاء قبل اللاّم وهي :

قد أنحَل الجسمَ أسْمَرُ أكْحَلْ وأوْحَلْ القلبُ فيه مُذْ حَلْ
يميلُ وعنهُ لا أميلُ
يَحولُ وعنهُ لا أحولُ
أقولُ إذْ زادَ بي[١] النُّحولُ
أمَا حَلَّ عِقْدَ الصُّدودِ يَنحلّ ويرحَلْ عن جسمي[٢] الْمُزَحّلْ
برَغمي كم[٣] يَستبيحُ ظُلْمي
ويَرمي بحَربِهِ لِسلمي
وجِسمي معَ التزامِ سُقَمي
مُنَحّلْ وقد غَدا مُرَحَّلْ[٤] فكَمْ[٥] حَل سَفكَ دَمي وما حَلْ
مُتَوَّجْ بالْحُسْنِ هذا الأبْهَجْ
مُدَبّجْ عِذارهُ البَنَفسجْ
مُفَلّجْ يَرْنو بطَرْفٍ أدْعَجْ
مُكَحّلْ وريقُهُ الْمُنَحّلْ مُفَحّلْ بالعَنْبَرِ الْمُحَلْحَلْ[٦]
كَم أبعَدْ وكَم أبيتُ مُكْمَدْ
ويَعْمَدْ بهَجْرِهِ لا يفقَدْ
ويَجْهَدْ في ارْتِضاءِ مَنْ قَدْ
تَمَحّلْ والحاسِدونَ وحّلْ[٧] ومحّل والوَعد منهُ أمْحَلْ

(١) في الأصل : « زاني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « نجمي » .
(٣) في الأصل : « حتى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في الوافي : « مزحّل » .
(٥) (س) والوافي : « فلِمْ » .
(٦) في الأصل : « للفحّل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الوافي : « ذحل » .

قَــــلاني　　واشتَـطَّ هـذا الجـاني[١]
رَمـــاني　　في عُشْقِـــهِ زَمـــاني
خَلاّني[٢]　　أشْكُـــــو لِمَنْ يَراني
قـــد أنْحَــلَ　الجسمَ أسمَرْ أكْحَــلْ　وأوحَــلْ　القلبُ منــهُ مُــذْ حَــلْ

١٧٣١ ـ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله*

القاضي نجم الدين بن جمال الدين بن محب الدين الطبري الآمُلي الشّافعي ، قـاضي مكة .

كان فقيهاً جيّداً ، كريم سيّدا ، سديـداً[٣] في أحكامـه أيِّـدا . فيـه لُطْفُ أخلاق ، وحُسْن صحبةٍ ودّ في يوميّ الفراقِ والتلاق . له نظمٌ يتأرَّج به الرّوض ، ويتـدرج بـه الماء العَذْب في الحوض .

لم يزل على حاله إلى أن [غاب][٤] نجمه في الثرى وعدمته أمّ القرى .

وتوفّي رحمه الله تعـالى سنـة ثلاثين وسبع مئـة ، في أول جمعـة من جمـادى الآخرة بمكة شرّفها الله تعالى .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وكان قـد سمع من عمٍّ جـدّه يعقـوب بن أبي بكر الطبري[٥] (جـامـع) الترمـذي .

---

(١) في الوافي : « الحاني » .

(٢) في الوافي : « حلاني » .

* الوافي : ٢٢٨/١ ، والفوات : ٢٣٩/٣ ، والدرر : ١٦٢/٤ ، وذيول العبر : ١٦٥ .

(٣) (س) : « شديداً » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) أشار إليه ابن رافع في وفياته : ٩٨/١ .

وسمع من جدّه محب الدين[١] ، ومن الفاروثي[٢] - ولـه إجـازة من الحـافـظ أبي بكر بن مُسْدي[٣] ، وأخذ عنه شيخنا البرزالي وجمال الدين الغانمي ، والواني ، وآخرون .

وما خلف بمكة مثله ، وكان بارعاً في الفقه ، وولي بعده ابنه الإمام شهـاب الـدين أحمد[٤] .

قال لي الشيخ تـاج الـدين اليمني قـال : أنشـدتـه قصيـدة في سنـة عشر وسبع مئـة امتدحته[٥] بها عند منصرفي من دمشق قاصداً اليمن ، منها :

جـــادَ عِهَـــادُ المطرِ عهـــدَ مِنًى والمشعَرِ[٦]
ولا عـــدا ربـــوعهـــا سـحٌّ السحـــاب الممطر
منـــازلٌ كم لي بهـــا من ليـــل وصـــل مُقمر
والبَيْنُ في بينـــونـــةٍ بـــوصلنـــا لَمْ يَشْعُرِ

قال : فلمّا فرغتُ من إنشادها أنشدني بديها :

أقسمتُ حقـاً بـالصّفـا يـــا ابن الكرام الغُرَرِ
شِعْرُك هـــذا فـــائـق أشعـــار أهـــل الحَضَرِ
مـــا نـــالـــه حبيبُـــه ولا الـــوليـــد البحتري[٧]

---

(١) (ت ٦٩٤هـ) ، العبر : ٣٨٢/٥ .

(٢) في الأصـل : « الفـاروقي » ، وأثبتنـا مـا في (س) والـوافي . وهـو عـز الـدين أحمـد بن إبراهيم (ت ٦٩٤هـ) . العبر : ٣٨١/٥ .

(٣) أبو بكر محمد بن يوسف (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٤/٥ ، والشذرات : ٣١٣/٥ .

(٤) (ت ٧٦٠ هـ) ، الدرر : ٢٩٧/١ .

(٥) (س) والوافي : « أمتدحه » .

(٦) في الوافي : « عَهدي » .

(٧) يشير إلى أبي تمام والبحتري .

قال : وأنشدني القاضي نجم الدين المذكور قصيدة يمدح بها الملك المظفر عند قدومه [من][(١)] اليمن أوّلها :

إن لم أَرَوِّ الرَّبــع من أجفـــاني بعـد البعـادِ دمـاً فـما أجفـاني

وأنشدني من لفظه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة الشيخ محبّ[(٢)] الدين أبو عبد الله محمّد بن الصّائغ المغربي الأموي[(٣)] ، قال : أنشدني القاضي نجم الدين الطبري لنفسه :

أشبيهـة البـدر المنير إذا بـدا حُسناً وليسَ البَدْرُ من أشباهك[(٤)]
مـأسور حُسْنك إن يكن متشفِّعاً فإليك في الحسن البديع بجاهك[(٥)]
أشفى أسىً أعيا الأساة رواؤه وشفاهُ يحصُل بارتِشاف شفاهك[(٦)]
فصليه واغتنمي بقاء حياته لا تقطَعيه جفاً بحق إلاهك

قال : فنظمت قصيدة في هذا الوزن واللزوم والرّويّ ، وقد ذكرتها في ترجمة محب الدين المذكور آنفاً .

١٧٣٢ ـ محمد بن محمد بن أبي بكر*

قاضي القضاة تاج الدين المالكي بالديار المصرية ابن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي[(٧)] ، تقدَّم ذِكْرُ والده علم الدين في مكانه من هذا التاريخ .

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « مجير » ، سهو .
(٣) هو محمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٤) (س) والوافي : « البدر المتمام » .
(٥) (س) والوافي : « حبك » .
(٦) في الأصل : « داؤه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
* وفيات ابن رافع : ٢٧٣/١ ، والبداية والنهاية : ٢٩١/١٤ ، والدرر : ٢٤٥/٤ ، والبدائع : ٥٩١/١/١ ، الذيل التام ١٩١ ، وذيول العبر : ٣٤٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٤/١١ .
(٧) في (س) ، (خ) : « ابن الأخنائي » .

كان من بيت كلهم قضاه ، وبيتٍ كلُّه رياحين ، إذا كان غيره عِضاه[(١)] . باشر القضاء بمصر بعد عمّه ، وطلع في منصبه كالبدر ليلة تمّه .

ولم يزل إلى أن « أخنى عليه الذي أخنى على لبد »[(٢)] ولم يترك له في الحياة من سبد ولا لبد[(٣)] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[(٤)] ورد الخبر إلى دمشق بوفاته في أواخر ربيع الأول سنة ثلاث وستين[(٥)] وسبع مئة .

ومولده في ...[(٦)] .

وكان قد ولي القضاء بعد عمّه قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وتولّى بعد تاج الدين المذكور قضاء المالكية بالديار المصرية أخوه قاضي القضاة بُرهان الدين إبراهيم[(٧)] ، وسمع الحجّار ووزيرة[(٨)] ، فيما أظن ، بالديار المصرية ، وأظنه حدّث بالبخاري عنه في مكة أو المدينة .

(١) العضاه : شجر يَعْظُم وله شوك .

(٢) عجز بيت للنابغة من معلقته وصدره :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا

انظر : الأغاني ٣١/١١ ، وديوان النابغة .

(٣) في الأصل : « سيد ولا ليد » ، تصحيف ، وهذان أقوال العرب : يريدون : ماله ذو وبرٍ ولا صوف ، ويكنى بها عن الإبل والغنم ، وقيل : غير ذلك .

(٤) كذا بياض في الأصول ، وفي مصادر ترجمته أنّ وفاته في « صفر » .

(٥) في الأصل و (خ) : « وثلاثين » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٦) كذا بياض في الأصول .

(٧) (ت٧٧٧ هـ) ، الدرر : ٥٨/١ .

(٨) وزيرة بنت عمر بن أسعد التنوخية ست الوزراء ، تقدّمت ترجمتها في حرف السين .

١٧٣٣ - محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن*

الكنجي الدمشقي .

سمع كثيراً ، ونسخ وكتب الطباق ، وعلّق أشياء جيده واقتنى كتباً مليحة وأصولا .

قال شيخنا الذهبي : وله عمل قليل في هذا الفن ، وهو قانع متعففّ ، لا بأس به إن شاء الله تعالى . سمع من ابن القوّاس وطبقته ، وسمع قبلنا من الشيخ تاج الدين ، قال : وسمعنا من أبيه .

وتوفي صاحب هذه الترجمة في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

ونَسبَه الذهبي إلى خِفّة وعدم رزانة .

١٧٣٤ - محمد بن محمد**

القاضي الإمام العالم الفاضل أقضى القضاة شمسُ الدين أبو عبد الله بن الشيخ شرف الدين أبي البركات بن الشيخ عز الدين أبي العزّ صالح بن أبي العز بن وهيبة بن عطاء بن حسن[1] بن جابر بن وهب[2] الأذرعي الحنفي .

كان فاضلاً فقيهاً بصيراً بالأحكام ، حكم بدمشق نيابةً عشرين سنة ، وخطب بجامع الأفرم مدّة ، ودرّس بالظاهريّة والقليجيّة مدة ، وأفتى وأذِن في الفتيا ، وقام

---

* الوافي : ٢٣٠/١ ، والدرر : ٢٤٤/٤ .

** البداية والنهاية : ١٠٣/١٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ .

(١) ليست في (س) ، وتُرِكَ مكانها بمقدار كلمة . وفي البداية : « جبير » .

(٢) في البداية : « أبن أبي العزّ بن وهيب ... بن وهيب » .

بكثير من المناصب الدينية ، وكان ديّناً يتلو القرآن كثيراً ، وحج ثلاث مرات ، وكانت جنازته حافلة ، وأصيب به أبوه وأولاده وأقاربه وأصحابه .

وتوفي رحمه الله تعالى سلخ[(١)] المحرم سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وست مئة .

وكان قد سمع (الغيلانيات) بقراءة ابن جعوان ، وحدّث في حجاته الثلاث ، وباشر الظاهرية عوضاً عنه نجم الدين القحفازي[(٢)] ، وباشر نيابة الحكم عوضاً عنه القاضي عماد الدين الطرسوسي .

١٧٣٥ ـ محمد بن محمد بن الحسين*

ابن عتيق بن رشيق ، القاضي الإمام المفتي زين الدين أبو القاسم ابن الإمام علم الدين المصري المالكي ، قاضي الإسكندرية .

بقي في القضاء بها اثنتي عشرة سنة ثم عُزل ، وقد عَيَّنه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق .

وكان شيخاً وقوراً ديّناً فقيهاً معمراً ، روى للجماعة[(٣)] عن أبي الحسن بن الجُمَّيزي .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة حادي عشر المحرم سنة عشرين وسبع مئة . ومولده بمصر سنة ثمان وعشرين وست مئة .

قال كمال الدين الأدفوي : نُقِلَتْ عنه أحكامٌ أخطأ فيها ، وعزل عن القضاء ، ثم لمّا

(١) في (س) : « في سلخ » .

(٢) في الأصل : « وباشر الظاهرية عند نجم الدين عنه نجم الدين القفحازي » ، وهي مختلة ، وأثبتنا ما في (س) ، ولكن وقع فيها : « عن » موضع « عنه » ، ولا يستقيم . وعبارة البداية : « ودرّس بعده في الظاهرية نجم الدين القفحازي » .

* الوافي : ٢٣١/١ ، والدرر : ١٧٤/٤ ، وذيول العبر : ١١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/٩ .

(٣) (س) والوافي : « الجماعة » .

صرف السلطان الملك الناصر محمد قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف[١] عن القضاء استناب قاضي القضاة بدرُ الدين بن جماعة ابن رشيق هذا في القاهرة مدة إلى أن أعيد ابن مخلوف إلى القضاء ، وكان يكتب في الإجازات ، من نظمه :

أجَـزْتُ لَهُم أبقـاهمُ الله كل مـا ... رويتُ عن الأشياخ في سالف الدهر
ومـا سمعت أذنـاي عن كل عـالم ... وما جاد من نظمي وما راق من نثري[٢]
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم ... بريء من التصحيف عـار من النكر
وبـالله تـوفيقي عليـه تـوكّلي ... له الحمد في الحالين : في العسر واليسر

١٧٣٦ ـ محمد بن محمد بن علي*

الفقيه المحدّث مجد الدين الأنصاري الدمشقي الشافعي المعروف بابن الصَّيْرفي ، سبط المحتسب ابن الحبّوبي[٣] .

كان شاباً متواضعاً ساكناً ، نسخ للناس ولنفسه وعمل المعجم ، وجلس مع الشهود ، وحدّث عن محمد بن النشّبي[٤] ، والتقي بن أبي اليُسر ، وأحمد بن أبي الخير[٥] ، وابن مالك ، وابن البخاري ، وحضر المدارس ، وعاش أبوه بعد موته نحواً من عشر سنين وكان لمجد الدين نظمٌ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[٦] سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة[٧] .

(١) سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « وماجمعت » ، وأثبتنا ما في (س) .
* الوافي : ٢٣١/١ ، والدرر : ١٩٨/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .
(٣) في الأصل : « الجوبي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وسلفت الإشارة إليه .
(٤) في الأصل : « السني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وفي ذيول العبر : « النشي » . وسلفت الإشارة إليه .
(٥) في الدرر : « يحيى بن أبي الخير ، سهو ، وأحمد هنا توفي سنة (٦٧٨ هـ) وسلفت الإشارة إليه .
(٦) كذا بياض في الأصل و (س) ، وفي الدرر وذيول العبر أنه توفي في رمضان .
(٧) ومولده سنة (٦٦١ هـ) كما في الوافي والدرر .

١٧٣٧ ـ محمد بن محمد بن أحمد أبي القاسم*

المرتضى العلويّ الشريف المعروف بالقُمّي بضم القاف وتشديد الميم .

داخل التتار لما أتى غازان إلى دمشق وتوجّه إليهم وعاد إلى دمشق ومعه أربعة من التتار ، وكسر أقفال باب توما ، ونزلوا بالباذرائيّة في يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة . وشرع يَدلُّ التتار على عورات المسلمين إلى أن أمسك وحمل إلى القلعة في يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الأولى ، وبعد ذلك كُحِّل الحاج مَنْدَوه وقطع لسانه . وفي ليلة الرابع من شوّال سُمّر الشريف القُمّي هو وابن العُوفي والبردار وابن خُطليشي المزّي على الجمال ، وشنق اثنان : كاتب مصطبة الوالي وآخر يهوديّ ، وقُطِع لسان ابن طاعن وقطعت يد الدَّلْدرمي ورجله وكُحل الشجاع همّام[١] .

١٧٣٨ ـ محمد بن محمد بن علي**

ابن إبراهيم ابن حُريث القُرشي العَبْدَريّ البلنْسي ثم السّبتي المالكي المقرئ .

حدّث (بالموطأ) عن أبي الحسين ابن أبي الربيع[٢] ، عن ابن بقي . وتفنّن في العلوم والقراءات والعربيّة ، وولي خطابة سبتة مدة ، وأقرأ الفقه مدة ثلاثين عاماً ، ثم إنه تزهّد ، ووقف كتباً[٣] بألف دينار ، ووقف عقاره وحج وجاور بالحرمين ، وحدّث بمكة .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) أشار إلى هذه الحادثة ابن كثير ١٤/٢ بإيجاز .

** الوافي : ٢٣٢/١ ، والدرر : ١٩٩/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .

(٢) عبيد الله بن أحمد (ت٦٨٨ هـ) البغية : ١٢٥/٢ .

(٣) في الوافي والدرر : « كتبه » .

وبها توفي رحمه الله تعالى في ....[١] سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة[٢] .

١٧٣٩ ـ محمد بن محمد بن عبد القاهر*

ابن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف ، الصدر ضياء الدين أبو المعالي النصيبي الحلبي .

كان رئيساً كبيراً فاضلاً ، حسن الكتابة . وزر بحماة ، وولي المناصب ، ودرّس بعصرونيّة حلب ، وحدّث بالكثير .

سمع من ابن شدّاد ، والموفق عبد اللطيف ، والكاشغري ، وابن روزبة ، وابن اللّتي ، وابن خليل ، وقرأ بنفسه على المشايخ .

سمع منه شيخنا علم الدين البرزالي بحلب سبعة أجزاء منها (المئة السريجيّة) و (ثلاثيات البخاري) ، والأول من (مسند عمار بن ياسر) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة بحلب .

ومولده بها في صفر سنة ثماني عشرة وست مئة .

١٧٤٠ ـ محمد بن محمد بن محمود بن مكّي**

ابن عيسى بن دمُرتاش ، الدمشقي ، العدل ، شهاب الدين أبو عبد الله .

كان أديباً ، فطناً لبيباً ، إذا دعا المعنى الغامض كان له مجيباً ، [وإذا نظمه كان

(١) كذا بياض في الأصل و (س) . وفي الدرر أنه توفي في جمادى الآخرة .

(٢) ومولده سنة (٦٤١ هـ) كما في الوافي .

* الشذرات : ٥/٤٣٧ .

** الوافي : ١/٢٣٢ ، والدرر : ٤/٢٣٨ .

عجيباً][١] ، له غوْصٌ على المعاني ، وألفاظه أطربُ من المثالث والمثاني ، له مقاطيعُ أعْذَبُ مِنْ أيّام الوِصال ، وأشهى من حبيب كَرُمَت منه الخصال .

لم يزل بدمشق على حاله إلى أن نعق غراب بينه ، ونزل بحيّه وافد حَيْنه .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة السبت خامس صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده في ...[٢] .

كان أوّلاً في شبيبته جُنْديّاً بحماة ، وخدم بها صاحبها الملك المنصور ، صحب بها مجير الدين محمد بن تميم الحموي الشاعر ، وأقام معه بحماة ، وبسببه دخل في الجُندية ، وكان يثني على مكارمه . وأقام بحماة مدة عشرين سنة ، ولما أسنّ وكبر بطّل الجندية ودخل في زيّ العدول ، وجلس بمركز الرواحية ، ورأيته في سنة ثماني عشرة وسبع مئة وفيما بعد ذلك ، وأظنه كان مخلاً بإحدى[٣] عينيه .

أنشدني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : أنشدنا ظهير الدين البارزي قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أقول لِمسواكِ الحبيب لك الهنا ... برشْف فمٍ ما ناله ثَغْرُ عاشق
فقال وفي أحشائه حُرقة الجوى ... مقالة صبّ للديار مُفارقِ[٤]
تذكرت أوطاني فقلبي كما ترى ... أعلِّله بين العُذَيب وبارق

قلتُ : وما أحلى قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

وعود أراكة يجلُو الثَّنايا ... مِنَ البيض الدُمى جَلْي المرايا

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) كذا في الأصل و (س) ، وفي الدرر أنه ولد سنة (٦٣٨ هـ) .

(٣) في الوافي : « من إحدى » .

(٤) في الوافي : « النوى » ، وفي (س) : « حرق الجوى » .

يقولُ مُسَاجِلُ الأغصانِ فَخْرا «أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا»(١)

وقول محيي الدين بن قرناص :

سألتك يا عُود الأراكة أنْ تعُدْ إلى ثغر مَنْ أهوى فَقَبِّلْه مُشْفِقا
وَرِدْ مِنْ ثنيّات العُذيب مُنَيْهلاً تَسَلْسَل ما بين الأبيرق والنقا

وقال : أنشدني المذكور لنفسه :

ولما التقينا بَعْدَ بيْن وفي الحشا لواعجُ شوقٍ في الفؤاد يُخَيِّمُ(٢)
أراد اختباري بالحديث فما رأى سوى نظرٍ فيه الجوى يتكلمُ

وأنشدني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أنشدني لنفسه :

ومُهَفْهَفِ الأعطاف معسول اللَّمى كالغصن يَعْطفه النسيم إذا سرى
قال اسقني فأتيته بزجاجة ملئت قراحاً وهو لاهٍ لا يرى(٣)
وتأرّجت برضابه وأمَدَّها مِنْ نار وجنته شعاعاً أحمرا
ثم انثنى ثملا وقد أسكرتُهُ برضابه وبوجنتيه وما درى

قلت : هو مولّدٌ من قول الملك الأمجد ، وفيه زيادة :

طلبتُ لماءٍ في إناء فجاءني غلام بها صرفاً فأوسعته زجرا
فقال هي الماء القراح وإنما تجلّى لها خدّي فأوهمك الخمرا

ومن شعره ، وهو ممّا نقلته من خطه :

---

(١) صدر بيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، عجزه :

متى أضع العمامة تعرفوني

(٢) (س) والوافي : « تخيّم » .

(٣) في الأصل : « ملاه » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

حتــام لا تصــل الْمُــدام فقــد أتت ... لــــك في النسيم من الحبيب وُعــودُ
والنهر مِن طرب يصفّــق فرحـــــة ... والغُصْنُ يرقُص والريــاض تميـــدُ

وأنشدني الشيخ الإمام العالم نجم الدين القحفاري قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قـال لي ساحر اللواحـظ صف لي ... هَيَفي قلت: يـا مليـح القـوام[1]
لـــك قـــدٌّ لـولا جـوارح عينيــ ... ــك لغنت عليــه وُرْق الحمـام[2]

قلت : قد اشتهر هذا المعنى بين شعراء العصر وأولعوا به ، ومما نظمته أنا فيه :

ذو قـــامـــــة من لينهـــا ... بيـــــد النسيم يكاد يُعْقَـــــدْ
لـــولا جـــوارح لحظـــــه ... غنى الحمـــــام بهـــــا وغرد

ونقلت له من خَطّه :

قــد صنتُ سرَّ هـواكِ ضنـاً بـــه ... إنّ المتيم بـــــالهـــــوى لضنين
فـوشت بـــه عيني ولم أك عـــالمـاً ... من قبلهـــا أنّ الـوشـــاة عيـــون

ونقلت منه له :

روى دمع عيني عن غرامي فـأشكـلا ... ولكنــه ورّى الحـديث فـــأشكـلا
وأسنـــده عن واقـــديّ أضـــالعي ... فـأضحى صحيحـاً بـالغرام مُعَلّلا

ونقلت منه له :

وافى النسيم وقـــــد تحمـــل منكم ... لُطفـــا يُقصِّرُ فَهْمـــهُ عن عِلمـــه
وشكا السقـام ومـادرى مـا قـد جرى ... وأنـا أحـقّ من الرسـول بسقمـه[3]

(١) في الوافي : « يارشيق » .
(٢) في الوافي : « جفنيك تغنّت » .
(٣) في الوافي : « قد حوى » .

ونقلت منه له :

إن طـــال ليلي بعـــدكم فلطـــولـــه عُـــذرٌ وذاك لمـــا أقـــاسي منكم
لم تَسْرِ فيـــه نجـــومُـــه لكنهـــا وَقَفَت لتسمـــع مـــا أُحـــدِّثُ عنكم

ونقلت منه له :

عجبـــاً لمشغـــوف يَفُـــوه بـــذكركم مـــاذا يقـــول ومـــا عسـاه يمـدحُ[(١)]
والكـــون إمّـــا صـــامت فمعظمٌ حرمـــاتكم أو نـــاطـــق فُمسَبِّـحُ

ونقلت منه له :

مَن لأسير أمست قرينتـــــــه في الـــدوح عن حـــالـــه تســـائلـــهُ
فهـــو يغني مَبْـــدا الحـــزين لهـــا وهي بـــأوراقهـــا تراسلـــهُ

قلت : ما أعرف هذا المعنى في أحسن من قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي[(٢)] :

قـامت على سـاقٍ تُطـارِحُني الهوى مـا بين صَحْبي في الـدّجى ورفـاقي
ورْقـاءُ قـد أخـذت فنونَ الحـزن عن يعقـوب والألحـان عن إسحـاق
أنّى تبـــاريني أسىً وكآبـــة وصبـــابـــة وجـوى وفيض مـآقي
وأنـا الـذي أملي الهوى عن خـاطري وهي التي تملي عن الأوراق

وقلت أنا في هذه المادة مع اعترافي بالتقصير عنها :

لا تقيســوا إلى الحمـــامـــة حـــزني أنـــا فضلي تَـــدْري بـــه العشـــاق
أنـــــا أملي الغرام عن ظهر قلب وهي تملي وحـــولهـــا الأوراق

---

(١) في الوافي : « يمدحكم » .

(٢) من كبار شعراء الدولة الناصرية ، ومن الأدباء الظرّاف (ت ٦٨٠هـ) الشذرات : ٣٦٩/٥ ، والأعلام : ٢٤٦/٨ .

ونقلت من خط ابن دمرتاش له :

حتّى إذا رقَّ جلبابُ الدجى وسرتْ من تحتِ أذيالـه مِسكيّة النفس
تبسّم الصبح إعجاباً بخلْوَتِنا ووصْلِنا الطاهر الخالي من الدنس

ونقلت منه له :

بالروح أفدي منطقياً علا برتبة النحو على نَشْوِه
منطقه العَذْب الشهي الذي قد جذب القلب إلى نحوه

ونقلت منه له :

جيادك يا من طبّق الأرض عَدْلُه وحاز بأعلى الجدّ أعلى المناصب[1]
إذا سابقتها في المهامه غِرّةً رياح الصّبا عادت لها كالجنائب
ولو لم تكن في ظهرها كعبة المنى لما شبهت آثارها بالمحارب

ونقلت منه له :

يا سيّدي أوْحَشْتَ قوماً مالهم عن حسن منظرك الجميل بديلُ
وتعللت شمس النهار فمالها من بَعد بُعدك بكرةٌ وأصيلُ
وبكى السحابُ مساعداً لتفجعي من طول هجرك والنسيم عليلُ

ومن شعره :

انظر إلى الأزهار تلق رؤوسها شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها وغدا بأذيال الصبا متمسكا

ومنه :

(١) في الوافي : « الحدّ » ، وفي (س) : « بأعلى للناصب » .

ولما أشارت بالبنان وودّعت وقد أظهرت للكاشحين تَشهُّدا[١]
طفِقْنا نبوسُ الأرض نوهم أنّنا نُصلّي الضحى خوفاً عليها من العدا

ومما نقلته من خطه له :

يقولون شبهت الغزال بأهْيفٍ وهذا دليل في المحبة واضحُ
ولَوْلَم يكن لحظ الغزال كلحظه احـ ـوراراً لما تاقت إليه الجوارحُ

قلت : يشبه قول ابن دانيال :

بي من أمير شكار وَجْدٌ يذيب الجوانح
لّما حكى الظبي جيداً حنت إليه الجوارح[٢]

ونقلت منه له :

يقول لي الدولابُ راض حبيبك الـ ـملول بما يهوى من الخير والنفع[٣]
فإني من عود خُلِقْتُ وها أنا إذا مال عني الغصن أسقيه من دمعي

ومن شعره دوبيت :

الصبُّ بك المتعوبُ والمعتوب والقلب بك الملسوب والمسلوب[٤]
يا من طلبت لحاظُه سَفك دمي مَهْلاً ضَعُفَ الطالب والمطلوب

قيل : إن الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى كان يقول : وددتُ لو أنه كان يأخذ مني جميع شعري ويعطيني هذين البيتين .

---

(١) في الأصل : « تسهّدا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) (س) : « الجوانح » .
(٣) في الوافي : « المملول » .
(٤) لسبته الحيّة : لدغته .

١٧٤١ ـ محمد بن محمد بن أحمد*

ابن عبد الواحد ، عماد الدين بن شرف الدين بن الزّملكاني ، وهو ابن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني .

كان شكلاً حسناً طوالاً ، وكان خطّه حسناً ، وكان ينظم إلا أنه قليل .

كان قد سعى بالقاهرة على أن يكون كاتب إنشاء بدمشق ، وقام بأمره الأمير سيف الدين بغا الدوادار في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فوقف القاضي شهاب الدين بن فضل الله في طريقه وأبطل ما كان قُرّر من أمْره . وكان أخيراً ناظر السُّبع الكبير وغيره .

ومولده [فيما أظن][1] سنة إحدى وتسعين[2] وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة بدمشق .

١٧٤٢ ـ محمد بن محمد بن سهل**

الوزير العالم الزاهد الأزدي الغرناطي .

سمع من ابن الرضي الطبري ، وقدِم دمشق ، وقرأ (الصحيح) على الحجّار ، و (صحيح مسلم) على ابن العسقلاني ، وقرأ بالسبع في صغره على ابن بشر[3] وابن أبي الأحوص[4] .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٧٠/١ ، والدرر : ١٦٤/٤ ، وذيول العبر : ٣٤٧ .

(١) زيادة من (س) ، و (خ) .

(٢) في وفيات ابن رافع والدرر : « اثنتين وتسعين » .

** الوافي : ٢٣٦/١ ، والدرر : ١٧٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٤/٩ ، وزاد في (س) والوافي والدرر : « ابن محمد بن سهل » .

(٣) كذا وقع في الأصل و (س) والوافي . والذي في الدرر أنه قرأ على أبي جعفر بن الزبير ، وقد أشار إلى ذلك صاحب غاية النهاية في ترجمة أبي جعفر : ٣٢/١ .

(٤) حسين بن عبد العزيز (ت ٦٨٠هـ) . غاية النهاية : ٢٤٢/١ .

وبرع في معرفة الاسطرلاب .

كان في بلده وافر الجلالة ، غامر الإنالة ، سافر الإيالة[١] ، تزهّد وحضر إلى الديار المصريـة ، وأعرض عن المنـاصب العصريـة ، فما كاد يلحقـه ابن أدهم[٢] زُهـداً ، ولاأشهب[٣] علماً ورفداً . وكان يَبرّ النـاس ويتحيَّلُ على كتمان أمره ، ويفرّق الـذهب وهـو يتّقـد في جمره ، « والشمس لا تخفى بكل مكان » والحرف لا تُعْـدَمُ مـاهيّتـه بين التحريك والإسكان :

سروا ونجـوم الليـل زُهرٌ طـوالـعٌ فنمَّ عليهم في الظـلام التنسم

ولم يـزل على حـالـه إلى أن نـزلت شـدة الموت بـابن سهـل ، وبكاه حتى الحـزن والسهل .

وتوفي رحمه الله تعـالى في ليلـة الأربعـاء ثـاني عُشري المحرم سنـة ثلاثين وسبع مئـة قافلاً من الحج .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

قال الشيخ تاج الدين أحمد بن [مكتوم][٤] النحوي يرثيه :

مـات ابن سهـل فمـاتت من بعـده المكرمـاتُ
ولم يُخَلِّف مثيـلاً أمثـالـه الصِّيـدُ مـاتـوا

وقلت[٥] : أنا فيه لَمّا سمعتُ بموته :

---

(١) في الأصل : « الإبالة » ، وماأثبتناه أشبه ، والإيالة : هي السياسة والإصلاح .

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور ، زاهد مشهور (ت ١٦١هـ) ، البداية والنهاية : ١٣٥/١٠ .

(٣) أبـو عمرو أشهب بن عبـد العزيـز بن داود ، تفقّـه على الإمـام مـالـك ، وإليـه انتهت الريـاسـة بمصر (ت ٢٠٤هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٣٨/١ .

(٤) زيادة من (س) والوافي . وقد سلفت ترجمته .

(٥) قوله : « وقلت » إلى آخر ما في هذا النص من شعر ليس في (س) .

مـات ابنُ سهـل ومنّـا قلّت الحِيَـلُ ... وللعفـاة فضـاق السهـل والجبـلُ
مـات الوزير الـذي كان الملوك بـه ... في غبطـة ولـديـه العلم والعمـلُ
الزاهـد العـابـد السـامي الرفيع ذُرى ... العـالم العـامـل المستـأمن البطـلُ
عليـه مني سـلام الله مـا صـدحت ... ورق لهـا في حـواشي دَوْحهـا زجـلُ

وقلت أرثيه :

مـوت ابن سهـل قـد كان صعبـاً ... لكل عـاف وكلِّ طـالب
يحـق والله أن يُرثّى ... مَنْ قـد حـوى هـذه المنـاقب

توفي أبوه سنـة سبعين ، وجـدّه سنـة سبع وثلاثين . وحج هـو سنـة سبـع وثمـانين وعاد ، ثم إنه قدم مصر سنة عشرين وسبع مئة ، وحجَّ وجاور سنتين .

وكان في بلده يرجعون إليه وإلى رأيه وحُرمةِ عقله فمِن يولونه المملكـة ويلقبونـه الوزير ، وكان فيه ورعٌ شديد ، وتعفّف وصيانة وديانة وكرم ومُروّة وحلم وعلم .

وأخـذ عنـه الشيخ قطب الـدين عبـد الكريم[1] ، وكان شيخـاً وقوراً حسن الهيئـة مليح الشيبة لا يتعمم ويتطيلس على طاقية .

ورأيته عند شيخنا العلاّمة أثير الـدين ، وأخبرني هو وغيره عنـه أنـه يتصـدق سرّاً من ماله الذي يحمل إليه من أملاكه من الغرب ، وعرفه الناس ، وصـاروا يقصـدونـه ، فإذا طلب منه أحد شيئاً أنكر ذلك ، وقال : ليس ما قيل لك صحيحـاً ، ثم إنـه يتركـه بعـد يوم أو أكثر ويـأتي إليـه وهو غـافـل ويلقي في حجره كاغـداً[2] فيـه ذهب ، ويمرُّ

(١) في الأصل : « ابن عبـد الكريم » ، سهـو ، وأثبتنـا مـا في (س) والـوافي ، وهـو عبـد الكريم بن عبد النور ، وسلفت ترجمته في موضعها .
(٢) الكاغد : الورق .

ولا يقف له ، ويتصدّق من الستين ديناراً فما دونها ، واستنسخ (البحر المحيط) تفسير القرآن لشيخنا أثير الدين ، و (شَرْح التسهيل) له وغير ذلك وجهزه إلى الغرب[1] .

١٧٤٣ - محمد بن محمّد بن المفضّل*

ابن عبد المنعم بن حسين بن حمزة بن حسين بن أحمد بن علي بن طاهر[2] بن حبيش ، القاضي الإمام المفتي الخطيب موفّق الدين ابن القاضي عز الدين أبي اليسر[3] ابن القاضي نجم الدين أبي المكارم ابن القاضي مهذب الدين أبي عدي ابن القاضي تاج الدين أبي سالم ابن القاضي أمين الدين أبي القاسم حسين بن حمزة ، البهراني القضاعي الحموي الشافعي ، المعروف بابن حبيش .

تفقّه بحماة ، وحصّل وشارك في الفضائل ، وسمع من ابن رواحة ، والكمال بن طلحة ، وجماعة . وروى لشيخنا الذهبي وغيره بالإجازة عن جده لأمه أبي المشكور مدرك بن أحمد بن مدرك بن حسين بن حمزة القضاعي .

وكان إماماً جليل القدر ، وافر الحرمة ، ظاهر الحشمة ، ولي خطابة[4] حماة ، ثم خرج عنها لتهديد السلطان له لمّا أنكر وأراق الخمور . وقدم دمشق في ... وولي[5] خطابتها سنة ثلاث وتسعين وست مئة ، وقيل : سنة إحدى وتسعين عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروثي[6] ، وعزّ عليه وعلى الناس ذلك ، وحضر السلطان الملك الأشرف ، فلما رآه السلاح داريّة أخذوه وأجلسوه إلى جانب الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب

---

(١) في الأصل : « للمغرب » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

* العبر : ٤٠٤/٥ ، والبداية والنهاية : ١٣/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، والشذرات : ٤٥٣/٥ .

(٢) (س) : « ظاهر » .

(٣) (س) : « المبشر » .

(٤) في الأصل : « الخطابة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) (س) : « وقدم دمشق وولي » .

(٦) البداية والنهاية : ٣٣٠/١٣ .

الشام ، فسأل السلطان عنه ، فأخبر أنه قد عُزل ، وتوهم الشيخ[(١)] أنّ الوزير ابن السلعوس هو الذي عزله ، فاعتذر السلطان إليه وقال[(٢)] : بلغنا أنك ضعيف . فقال : من صلّى مئة ركعة بألف ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يعجز عن صلاة الفرض ؟ يعني صلاة النصف[(٣)] ، فلم يلتفتوا إليه وانكسر قلْبُه .

ثم في هذه الجمعة هرب حسام الدين لاجين فاغتمّ السلطان لذلك ، وتوجه هو والأمراء والعسكر يفتشون عليه ، وكانوا قد أطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر ، فصلى موفق الدين بالعوام[(٤)] ، والسلطان والعساكر مُهجَّجون في طلب حسام الدين لاجين ، ثم إن السلطان عاد بالعساكر بعد العصر يوم العيد ، فقال بعض الشعراء في ذلك :

خطب الموفق إذ تولى خطبة ... شق العصا بين الملوك وفرّقا
وأظنّه إن قال ثانية غدا ... دينُ الأنام وشملُه متفرِّقا

وقال آخر :

إن الموفق لمّا ... في خطبة قد ترفَّق
في جمعة العيد شمل الـ ... ـملوك كالخطب فرّق
وكان مع ذا وهذا ... في الحال غير مُوَفّق

وكان هذا الخطيب موفق الدين رجلاً صالحاً ديّناً خيراً ، ولكن لم يرزق سعادة في هذه الحركة .

ثم إن الموفق طلب إلى حماة بكتاب من صاحبها في ذي القعدة سنة سبع وتسعين

(١) يعني عز الدين الفاروثي .
(٢) وقع في الأصل بعد هذه الكلمة مانصّه : « أعني ابن الفاروثي » ، ولا معنى لها ههنا ، وقد خلت منها (س) ، ولو وقعت بعد قوله : « وتوهم الشيخ » لاستقامت .
(٣) عبارة ابن كثير : « فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مئة ركعة بمئة قل هو الله أحد » . والمراد ليلة النصف من شعبان .
(٤) البداية والنهاية : ١٢/٣٣٠ .

وست مئة من بعد وفاة قاضي القضاة جمال الـدين بن واصل رحمـه الله تعـالى ، فتوجـه من دمشق إلى حماة ، وولي بها القضاء مدة .

ثم إنـه قـدم من دمشق جـافلاً من التتـار . فتوفي رحمـه الله تعـالى بـدرب القـاضي الفـاضل في يوم السبت سـادس عشري جمـادى الآخرة سنـة تسـع وتسعين وست مئـة ، ودفن برًّا باب الفراديس ظاهر دمشق .

ومولده في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

وكان من أهل الدين والخير والصلاح ، رحمه الله تعالى .

١٧٤٤ ـ محمد بن محمد بن هبة الله*

ابن يحيى بن بندار بن مميل ، القاضي الرئيس الكبير الصدر تـاج الـدين أبو الفضل ابن القاضي شمس الدين بن نصر الشيرازي .

كان من أعيان الدماشقـة ، ولي وكالـة بيت المـال والحسبـة ونظر الـدواوين ونظر ديوان الخزندار ، وتنقل في المناصب ، وباشر الوظائف الكبار ، ورأسَ .

قال شيخنا علم الـدين البرزالي رحمـه الله تعـالى : روى لنـا عن ابن عبـد الـدائم ، وسمع من والده وعمّه وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى بـالمزة في بستـانـه في رابع شهر رجب الفرد سنـة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وخمسين وست مئة ، رحمه الله .

وجرى بينـه وبين شمس الـدين محّـد ابن الشيخ عفيف الـدين التلمسـاني منـافسـة بسبب شخص مشهور ، وعمل شمس الدين مقامة بسبب ذلـك . وكان هـذا تـاج الـدين

* ذيول العبر : ١٣١ ، والشذرات : ٦٢/٦ .

من الرؤساء الفضلاء النبلاء فلم يسمع عنه بسبب ذلك كلمة واحدة ، ولا أعاد ولا أبـدأ ، لحشمته ورياسته وفضله ومروّته .

١٧٤٥ ـ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف*

الشيخ الإمام العـالم العلاّمـة المفنّن[١] المحقق المـدقق جـامع أشتـات الفضـائل ركن الدين أبو عبد الله بن القَوْبع ، بالقاف والواو الساكنة وبعدها باء موحدة مفتوحة وعين مهملة[٢] ، الجعفري التونسي المالكي .

فـاضـلٌ إذا قلت فـاضـل ، [ونظّـار لم يثبت لـه منـاظر ولا منـاضـل ، قـد جمـع الفضائل][٣] وأتقن ما لمفرداتها من البراهين والدلائل .

إن فَسَّرَ القرآن العظيم خضع له وأذعن ابن مُقاتل وفتح على السُّديّ باباً لا يخـاتر[٤] فيه ولا يخاتل .

وإن ذُكِرَ الحديث (فنهايةُ) ابن الأثير له بداية ، وصاحب (الغريبين) معروف بأنّه لا يصل إلى هذه الغاية[٥] .

وإنْ ذكر أسماء الرجـال فـا يـذكر مع بَحْره الـزاخر ابن نقطـة ولا ابن عبـد البرّ في (استيعابه) مما يوافق شرطه .

---

* الـوافي : ٢٣٨/١ ، ووفيـات ابن رافـع : ٦٢/١ ، والبـدايـة والنهـايــة : ١٨٣/١٤ ، والــدرر : ١٨١/٤ ، والبغية : ٢٢٦/١ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٥/٩ .

(١) (س) : « المفتن » .

(٢) قـال صـاحب الـدرر : « والقوبع على الألسنة بضمّ القـاف ، ونقل ابن رافع عنـه أنـه قـال : إنـه بفتح القاف ، وذُكر عن بعض المغاربة أن القوبع طائر » .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) الختر : الغدر .

(٥) في الأصل : « النهاية » ، وأثبتنا ما في (س) .

وإنْ ذكر الفقه فدونه [صاحب][١] (المدوّنة) ، وابن أبي زيد نقص قدره عنه[٢] وهوَّنه .

وإن ذكر الأصول فالغَزَّالي ليس من هذا البزّ ، والحُلَيْمي سَفِه رأيه واغْتَر بما اعتز .

وإن ذكر النحو فالشلوبين شِلْوٌ بين ماضغيه ، وابن عصفور يطير وما يقع إلا بين يديه .

وإن ذكرت اللغة فصاحب (المحكم) تشابهت أقواله ، والقزاز[٣] سَدَى وألحم[٤] وما أفادته أحواله .

وإن ذكر العروض فالخليل ضاقت معه دائرته ، والجوهري غامَ جو جواه وما آفادته مغامرته .

وإن ذكر التاريخ فالخطيب لا يرقى درجته ، وابن عساكر يبذل في اعترافه له مهجته .

وإن ذكر الطب فجالينوس ما تجالس أنْسَه ، وابن زُهر كسف نورهذا من ذاك شمسه . هذا إلى غير هذه المعارف ، وسوى هذه النقود التي لا تبهرجها الصيارف :

إليه انتمت فينا الفضائل كُلّها فدعوى سواه للفضائل زور[٥]

---

(١) زيادة من (س) . والمدونة في فروع المالكية لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي (ت ١٩١هـ) ، وهي من أجلّ الكتب في مذهب مالك . الكشف : ١٦٤٤/٢ .

(٢) في الاصل : « وإنّ أبي » ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي (س) : « قدره عنده » .

(٣) القزاز القيراواني ، محمد بن جعفر ، له : ما يجوز للشاعر في الضرورة ، والحروف ، والجامع في اللغة (٤٠٢ هـ) . البغية : ٧١/١ .

(٤) أي : نسج ، وفي المثل : ألحم ما أسديت ، أي : تم ما ابتدأته من الإحسان .

(٥) (س) : « الفضائل » .

إليـــه كأن الفضــل في كلِّ ليلـــة بكف الثريـــــا في السماء يشير
يقـول كــــذا فليسمُ للعلم من سما ويفخر بـــإدراك العـلاء فخـور

وكان يتودد إلى الناس ويتعهد الأكابر بالبشر والإيناس من غير حاجة [١] إلى رب جاه أو صاحب وظيفة يترجاه ، لأنه كان في غُنْيَةٍ من ديناه ، ورفعة من ذاته في علياه .

وولي نيابة الحكم بالقاهرة مُدّةً فملأ المنصب عدلاً وإنصافاً ، ومال على المظالم وإن صادق وإن صافى ، ثم إنه سأل الإعفاء ، ورجع إلى العطلة وفاء .

ولم يزل في رياسة علمه وفضائله الباهرة وسيادته الباطنة والظاهرة إلى أن تولّى العلم بركنه ، وطال من القبر على إنسانه إغماض [٢] جفْنِه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين في سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده بتونس سنة أربع وستين وست مئة .

وسمع الحديث من أبي إسحاق إبراهيم بن علي الواسطي ، وأبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، وأبي العباس أحمد بن محسن بن ملّي [٣] ، وأبي القاسم الخضر بن عبد الرحمن الدمشقي ، وأبي عبد الله محمد بن حمزة بن أبي عمر المقدسي ، وجماعة كثيرة . وكتب على سورة « ق » مجلدة جيّدة ، وعلى آيات من القرآن تفاسير جيّدة .

ولمّا تولى إعادة الناصرية علق على قوله تعالى : ﴿ إنَّ أولَ بيتٍ وُضع للناسِ للَّذي ببكّة ﴾ [٤] الآية . وكتب على بعض (ديوان المتنبي) كلاماً جيداً ، واختصر (أفعال)

---

(١) (س) : « حاجة به » .
(٢) (س) : « إغماص » .
(٣) (س) : « مكي » .
(٤) آل عمران : ٩٦/٣ .

ابن الحاج[١] . وتولّى الإعادة في الفقه بالمدرسة الناصرية والجامع الطولوني . ودرس بالمدرسة المنكوتمرية ، وكان طبيباً بالبيمارستان ، ويلقي الدرس فيه نيابة عن رئيس الطب .

وكان قد تأدّب بابن حبيش ، وقرأ المعقول على ابن الدارس .

وكان يستحضر جملة من شعر العرب والمولدين والمتأخرين ، ويعرف خطوط الأشياخ ، لا سيما أهل الغرب .

وكان نقده جيّداً ، وذهنه يتوقد ذكاءً ، قد مهر في كل ذلك ، إذا تحدث في شيء من هذه العلوم تكلم على دقائقه وغوامضه ونكته حتى يقول القائل : إنما أفنى عمره في هذا الفن .

وكان قد قرأ النحو على يحيي بن الفرج[٢] بن الزيتون ، والأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس ، وقدم مصر عام تسعين وست مئة .

قال لي شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقيّ الدين السبكيّ رحمه الله تعالى وهو ما هو : أنا ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين[٣] ، وقد رأى من رآه [من][٤] الفضلاء .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال : قدم إلى الديار المصرية وهو شاب فحضر سوق الكتب والشيخ بهاء الدين بن النحاس حاضر ، ومع المنادي (ديوان ابن هانئ) ، فأخذه الشيخ ركن الدين وأخذ يترنّم بقول ابن هانئ :

فتكاتِ لحظـك أم سيـوف أبيـكِ ... وكـؤوس خمرك أم مراشفَ فيـك

(١) أحمد بن محمّد بن أحمد الأزدي (ت٦٤٧ هـ) . البغية : ٣٥٩/١ .

(٢) (س) : « محيي الدين بن أبي الفرج » .

(٣) زاد في الوافي : « أو كما قال » .

(٤) زيادة من (س) .

وكسر التاء وفتح الفاء والسين والفاء ، فالتفت إليه الشيخ بهاء الدين وقال : يا مولانا ذا نصب كثير . فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدة المعروفة منه والنفرة : أنا ما أعرف الذي تريده أنت من رفع هذه الأشياء[١] على أنها أخبار لمبتدآت مُقدَّرة ، أي : أهذه[٢] فتكات لحظك أم كذا أم كذا ، وأنا الذي أريده أغزلٌ وأمدحٌ ، وتقديره : أأقاسي فتكات لحظك أم أقاسي سيوف أبيك ، وأرشف كؤوس خمرك أم مراشف فيك . فأخجل الشيخ بهاء الدين وقال له : يا مولانا فلأيّ شيء ما تتصدر[٣] وتشغل الناس . فقال استخفافاً بالنحو واحتقاراً له : وأيش النحو في الدنيا ، النحو علم يذكر[٤] ؟! أو كما قال .

وأخبرني أيضاً قال : كنت أنا وشمس الدين [بن][٥] الأكفاني نأخذ عليه في (المباحث المشرقية)[٦] فأبيت ليلتي أفكّر في الدرس الذي نصبح نأخذه عليه وأجهد قريحتي وأعمل تعقُّلي وفهمي إلى أن يظهر لي شيء أجزم بأنّ المراد به هذا ، فإذا تكلّم الشيخ ركن الدين كنت أنا في واد في بارحتي وهو في واد . أو كما قال .

وأخبرني الشيخ تاج الدين المراكشي قال : قال لي الشيخ ركن الدين : لمّا أوقفني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس على (السيرة) التي عملها علّمت فيها على مئة وأربعين موضعاً أو مئة وعشرين موضعاً ـ السهو مني ـ أو كما قال .

---

(١) عبارة الدرر : « أنا أعرف الذي تريد من رفعها » .

(٢) في الأصل : « هذه » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والمعنى على الاستفهام .

(٣) في الأصل : « تتصدق » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

(٤) قوله : « النحو علم يذكر » ، ليس في الوافي ، والذي في الدرر : فقال : « وإيش هو النحو في الدنيا حتى يذكر » .

(٥) زيادة من (س) والوافي والدرر .

(٦) المباحث المشرقية في العلم الإلهي والطبيعي للرازي ، محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ) ، الكشف ٢/١٥٧٧ .

ولقد رأيته [أنا][١] مرات يواقف[٢] الشيخ فتح الدين في أسماء رجال ويكشف عليها فيظهر الصواب مع ركن الدين .

وكنت يوماً أنا وهو عند الشيخ فتح الدين فقال : قال الشيخ تقي الدين بن تيميّة : عمل ابن الخطيب أصولاً في الدين أصول الدين[٣] أعوذ بالله من الشيطان[٤] الرجيم - بسم الله الرحمن الرحيم - ﴿ قل هو الله أحد ☆ الله الصمد ☆ لم يلد ☆ ولم يولد ☆ ولم يكن له كفواً أحد ﴾[٥] فنفر الشيخ ركن الدين وقام وقال : قل له يا عُرَّة ، عمل الناس وصنفوا وما أفكروا فيك ، ونفر مغضباً .

وأخبرني الشيخ فتح الدين قال : جاء إليه إنسان يصحح عليه في (أمالي) القالي ، فأخذ الشيخ ركن الدين يُسابقه إلى ألفاظ الكتاب ، فبهت ذلك الرجل فقال[٦] له : لي عشرون[٧] سنة ، ما كررت عليها .

وكان إذا أنشده أحد شيئاً في أيّ معنى كان أنشد فيه جملة للمتقدمين والمتأخرين ، كأن الجميع كان يكرّر عليه البارحة .

وتولى نيابة الحكم بالقاهرة لقاضي القضاة المالكي مُدّة ، ثم إنه تركها تديّنا منه وقال يتعذر فيها براءة الذمة ، وكانت سيرته فيها حميدة[٨] ، لم يُسْمع عنه أنه ارتشى في حكومة ولا حابى أحداً .

---

(١) زيادة من (س) ، ومن الدرر عن الصفدي ههنا .
(٢) في الأصل : « يوافق » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) في الوافي : « في الدين الأصول » .
(٤) في الأصل : « الشيخ » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) الإخلاص : ١١٢ .
(٦) أي : ابن القويع .
(٧) في الأصل : « عشرين » ، سهو .
(٨) (س) : « جميلة » ، وفي الوافي : « حسنة » .

وكان كثير التلاوة وكان ينام أول الليل ثم يستفيق وقد أخذ راحة ، وأخذ كتاب (الشفاء) لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخل بذلك .

قال لي الشيخ فتح الدين : قلتُ له يوماً : يا شيخ ركن الدين إلى متى تنظر في هذا الكتاب ؟ فقال : أريد أن أهتدي .

وكان فيه سأمٌ وضجر حتى في لعب الشطرنج ، يكون في وسط الدست وقد نفضه وقطع لذة صاحبه ويقول : سئمت سئمت . وكذلك في بعض الأوقات يكون في بحث وقد حرّر لك[1] المسألة وكادت تنضج وتتضح فيترك الكلام ويمضي .

وكان حسن الودّ ، جميلَ الصحبة ، يتردد إلى الناس ويُهنّيهم بالشهور والمواسم من غير حاجة لأحد ، لأنَّه كان معه مالٌ له صورة ما يقارب الخمسين ألف درهم ، وكان يتصدقّ سراً على أناس مخصوصين ، وكان مع هذه العلوم لثغته بالراء قبيحة يجعلها همزة ، وكنت أنا وهو قد طلعنا إلى القلعة فجاء في الطريق ذكر الراء واللثغة بها ، فأخذ يسرد عليّ ما يمكن من اللثغة بها وعدّ أنها تُغير لغالب حروف المعجم ، وأخذ يذكر أمثلة ذلك .

وكان إذا رأى أحداً يضرب كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره ويقولُ له : ليس تقفل هذا[2] أمَا هو شريكك في الحيوانية ؟

وكان خطه مغربياً وليس بجيد ، وكنت كثيراً ما أجتمع به وآخذ من فوائده الغامضة ، وكتبت له استدعاء في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ونسخته :

« المسؤول من إحسان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلامة جامع شتات الفضائل ، وارث علوم الأوئل ، حجة المناظرين سيف المتكلمين :

---

(١) (س) : « تلك » .

(٢) (س) : « به هذا » .

سبّـاق غـايـات الـورى في بحثـهِ فـالبرقُ يسري في السحـاب بحثّـه
ويهبّ منـه بـالصـواب صبـا لهـا بردٌ على الأكبـاد سـاعـة نفثـه[١]
ويضوع من تلـك المبـاحث مـا يُرى أشهى من المسـك السحيـق وبثـه[٢]

المتكلم الـذي ذهلت بصـائر أولي المنطق نحوه ، وأنتجت مقـدمـاتـه المطلوب عنوة ووقف السيف عند حَـدّه فمـا للآمـدي في مـداه خطوه ، وحـاز رتب النهـايـة فمـا لأبي المعالي بعدهـا خطوه ، فهو الرازي على الرازي ، لأن قطب علومـه من مصره ومحصولـه ذهب قبل دخول أوانه وعصره ، والفقيه الـذي رفع لصـاحب (الموطـأ) أعلام مَـذهبـه مُذهبة ، فمالكٌ عنـه رضوان ، وأسفر وجوه اختيـاره خـاليـة من كلف التكلف حـاليـة بالدليل والبرهان ، وأبرزها في حلاوة عبارته فهو جلاّب الجُلاّب[٣] ، وأظهر الأدلـة مِنْ مكامن أماكنها ، وطالما جمحت تلك الأوابد على الطُلاّب .

والنحـوي الـذي تركت (لُمعـةُ) الخليـل أخفش ، وأعرت الكسـائي ثـوب فخره الذي بهر به سيبويه وأدهش ، فأبعد ابن عصفور حتى ضار عن (مُقَرّبه) ، وأمات ابن يعيش لمّا أخلق مُذْهب مَذْهبه .

والأديب الّذي هو رَوْضٌ جَمَع زهر الآداب وحَبْرٌ قلّد العِقْد أجيـاد فنّـه الـذي هو لُبُّ الألباب ، وكامل أخذ عنـه كُتّـاب الأدب (أدب الكُتـاب)[٤] ، فـإذا نظم قلت : هذه الـدّراري[٥] في أبراجهـا تتّسق ، أو خِلْتَ الـدُّرَر تتنضـدّ في ازدواجهـا وتنتسق ، أو

(١) في الوافي : « ضباً » .
(٢) في الأصل : « ويصوع » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) الجلاب : ماء الورد ، معرّبة .
(٤) فيه تورية ، وأدب الكتاب هو أدب الكاتب لابن قتيبة .
(٥) في الأصل والوافي : « الذراري » ، والدراري : النجوم .

نثر فالزهر يتطلع من كامه غبَّ غمامه ، والألفات[١] غصون ترنحّ معاطفها بحمائم[٢] همزِه التي هي كهمز حمامه .

والطبيب الذي تحلى منه أبقراط[٣] وسقط عن درجته سُقراط ، فالفارابي ألفاه رابياً ، وابن مسكويه أمسك عنه مُحَاشياً[٤] لا محابياً ، وابن سينا انطبق (قانونه) على جميع جزئياته و (كليّاته) ، وطلب (الشفاء) والنجاة من (إشاراته) و (تنبيهاته) ، فلو عالج نسيم الصبا لما اعتلّ في سحره ، أو الجفنَ المريض لزانه وزاده من حَوَره ، ركن الدين أبي[٥] عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري المالكي :

لا زال روض العِلْم مِن فضله ... في كُلّ وقت طيّب النَّشْر
وكلّ ما يبدعُه للوَرَى ... تطويه في الأحشاء للنشر
وتزدهي الدنيا بما حازَهُ ... حتى تُرى دائمة البشر

إجازة[٦] كاتب هذه الأحرف ماله مِنْ مَقُول منظوم أو منثور ، وَضَع أو تأليف ، جمع أو تصنيف ، إلى غير ذلك على اختلاف الأوضاع وتباين الأجناس والأنواع » .

وذكرت أشياء مذكورة في الاستدعاء .

فأجاب بخطه رحمه الله تعالى :

يقول العبد الفقير إلى رحمه ربه وعَفْوِه عمّا تعاظم من ذنبه محمد بن عبد الرحمن القُرشي الجعفري المعروف بابن القُوبع : بعد حمد الله ذي المجد والسَّناء والعظمة

---

(١) في الوافي : « وألفات » .
(٢) في الوافي : « لحائم » .
(٣) (س) والوافي : « بقراط » .
(٤) في الأصل : « محاسباً » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) مردودة على قوله : « من إحسان سيدنا » .
(٦) خبرٌ لقوله : « المسؤول » .

والكبرياء ، الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، خالق الأرض والسماء ، وجاعل الإصباح والإمساء ، والشكر له على ما مَنَّ به من تضاعُفِ الآلاء وترادفِ النعماء ، نحمده ونذكره ، ونعبده ونشكره لتفرده باستحقاق ذلك وتوفر ما يستغرق الحمد والشكر هنالك ، مع ما خصَّنا به من العلم[١] وأضاء به بضيائها من نور الفهم .

ونصلي على نبيه محمد سيّد العُرْب والعُجم ، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا من كل فضل بعظمِ الحظ ووفور القُسْم[٢] ، أجزت لفلان وذكرني :

جمّاع أشتات الفضائل والذي سبق السّراع ببطئه وبمكثه
فكأنهم يتعثّرون بجدولٍ ويسير في سهل الطريق وبرثه[٣]
أزرى بسحب بيانهم في هطلها فيما يبين بطلّه وبدثّه[٤]

جميع ما يجوز لي [أن][٥] أرويه مما رويته من أَصْنَاف المرويات أو قلته نظماً أو نثراً ، أو اخترعته من مسألة علميّة مُفتتحاً ، أو اخترته من أقوال العلماء واستنبطت الدليل عليه مرجّحاً مما لم أضعه[٦] في تصنيف ولا أجمعه في تأليف على مشرط ذلك عند أهل الأثر :

وفّقَهُ الله لما يرتضي في القول والفعل وما يدري
وزاده فضلاً إلى فَضْلِهِ بما به يأمن في الحشر
فهذه الدار بما تحتوي دارُ أذىً ملأى من الشرّ
ذلّت بينهم بغرور فهم في عَمَهٍ عنه وفي سكر[٧]

(١) في الأصل : « الحلم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) القسم : من القسامة وهي الجمال والحسن .
(٣) الأرض السهلة .
(٤) في الأصل : « بنانهم » ، وأثبتنا ما في الوافي . وفي الوافي أيضاً : « أذرى » . والدثّ : المطر الضعيف .
(٥) زيادة من الوافي .
(٦) في الوافي : « أصنعه » .
(٧) في الوافي : « دلّت » . وأشار محقق الوافي إلى أنه في بعض نسخ الأعيان : « بنيها » .

قَــدْ خَــدَعَتْهُم بــزخــاريفهــا | معقبــة للغــدر بـــالغــــدر
تريهم بشراً ويـــــــاوَيحهم | كم تحت ذاك البشر من مَكْرِ
بينـــا ترى مبتهجـــاً نـــاعمـــاً | ذا فرج بـــــــالنهي والأمر
آمن مـــــــا كان وأقصى مُنَىً | فـــاجـــأه قـــاصمـــة الظهر
فعــدِّ عنهــا واشتغـل بـالــذي | يُــوْليـــك خيراً آخر الـــدَّهر
فـــإنمـــا الخير خصيصٌ بـــا | تلقـــاه بعـــد المـوت والنشر
هـــذا إذا مَنَّ الـــذي ترتجي | رحمـــاه بـــالصفـح وبـــالغفر
وزاد رضـــوانـــاً فهـــذا الـــذي | يُـــدعى بـــه لأطـول العمر

ويؤيد هذا ما أخبرناه الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع المُسند تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الواسطي ، قراءة عليه ونحن نسمع بدمشق في شوال سنة [إحدى][١] وتسعين وست مئة ، قيل لي[٢] : أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي قراءة عليه بدمشق ، وأبو الفرج الفتح بن عبد الله بن عبد السلام البغدادي قراءة عليه ببغداد قالا : أخبرنا الخطيب[٣] أبو منصور أنوشتكين[٤] بن عبد الله الرضواني ، قراءة عليه : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد البُسْري[٥] . (ح) وأخبرنا ابن ملاعب وأبو عليّ الحسن بن إسحاق ابن الجواليقي[٦] ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله [بن] الزاغوني[٧] ، أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي

---

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « له » .

(٣) (س) والوافي : « الحاجب » .

(٤) في الأصل : « وأبو شيكين » ، تحريف . وهو مولى أبي الفرج محمد بن أحمد بن عبد الله بن رضوان البغدادي (ت٥٤٦ هـ) ، الوافي : ٤٢٦/٩ .

(٥) (ت٤٧٤ هـ) ، السير : ٤٠٢/١٨ .

(٦) في الوافي زيادة : « ببغداد » . والجواليقي هو صاحب كتاب المعرّب (ت٥٢٦ هـ) ، السير ٢٧٨/٢٢ .

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ومصادر ترجمته ، (ت٥٥٢ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٠ .

الزينبي[١] ، قالا : أخبرنا أبو الطاهر محمد بن عبد الرحمن المخلّص الذهبي[٢] ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي[٣] حدثنا خلف بن هشام البزاز[٤] سنة ست وعشرين ومئتين حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم[٥] ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد[٦] ، قال : قال النبي ﷺ ونحن نحفر الخندق ، وننقل التراب على أكتافنا : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة »[٧] مختصر .

وهذا الحديث من أعلى ما أَرْويه ، نسأل الله حالاً يرضاها ونرضاها[٨] ، إنه سميع الدعاء ، فعّالٌ لما يشاء ، وله الحمد والمنّة . كتبه محمد القويع ليلة التاسع والعشرين من رجب سنة ذك ج[٩] .

وأنشدني لنفسه إجازة ، ومن خطه نقلت :

جوى يتلظّى في الفؤاد استعارُهُ ... ودَمْعٌ هتونٌ لا يكفّ انهماره
يحاولُ هذا بَرْدَ ذاك بصوبه ... وليس بماء العين تطفأ ناره[١٠]
وُلوعاً بمن حاز الجمال بأسره ... فحاز الفؤاد المستهام إسارُه[١١]
كَلِفْتُ به بَدْرِيّ ما فوق طوقه ... ودعصيّ ما يثني عليه إزاره[١٢]

---

(١) (ت٤٧٩ هـ) ، السير : ١٨/٤٤٣ .

(٢) (ت٣٩٣ هـ) ، السير : ١٦/٤٧٨ .

(٣) (ت٣١٧) ، السير : ١٤/٤٤١ .

(٤) في الوافي : « البزاز » ، تصحيف ، (ت٢٢٩ هـ) ، السير : ١٠/٥٧٦ .

(٥) (ت١٨٤ هـ) ، السير : ٨/٣٢١ .

(٦) الخزرجي ، (ت٩١ هـ) ، السير : ٣/٤٢٢ .

(٧) انظر : صحيح البخاري ٥/٥٤ (٦٤ كتاب المغازي ، باب (٣١) ، رقم الحديث : ٤٠٩٨ .

(٨) في الوافي : « ورضاها » .

(٩) في الوافي : « ذل ح » . وبحساب الجمل تقابل سنة (٧٢٣ هـ) .

(١٠) في الأصل : « بضوئه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(١١) في الأصل : « ولوغاً » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(١٢) الدعص : القطعة من الرمل ، والكثيب ، وتشبه به أرداف النساء .

غـزال لـه صـدري كنـاسٌ ومرتـع ... ومن حب قلبي شيحـه وعراره
من السُمر عُـدمي الصبر أحمر خـده ... إذا مـا بـدا يـاقـوتـه ونضـاره [1]
جرى سـابحاً مـاء الشبـاب بروضـه ... فـأزهر فيـه وردُه وبهـارُه [2]
يشبّ ضرامـاً في حشـاي نعيمـه ... فيبـدو بـأنفـاس الصعـاد شراره
وينثر دمعي منـه نظم مـؤشر ... كنـور الأقـاحي حَفّـه جُلّنـاره [3]
يُعَـلّ بَعَـذْبٍ من برود رضـابـه ... تفـاوح منـه مسكـه وعقـاره [4]
وسهـد أجفـاني بـوسنـان أدعـجٍ ... يحيّر فكري غنجـه واحـوراره [5]
حكاني ضعفـاً أو حكى منـه موثقـاً ... وخصراً نحيلاً عال صبري اختصاره [6]
معنىً بردف لا ينـوء بثقلـه ... فيـاشـدّ مـا يلقى من الجـار جـارُه
على أنّ ذا مُثرٍ وذلـك معسِرٌ ... ومن محنتي إعسـاره ويسـاره [7]
تـألّف منْ هـذا وذا غُصنُ بـانـة ... تـوافت بـه أزهـاره وثمـاره
تجَمَّـع فيـه كلُّ حُسْن مُفَرّق ... فصـار لـه قطبـاً عليـه مـداره
زلال ولكنْ أيْن مني وروده ... وكـدْنٌ ولكن أين مني اهتصـاره
وسَلسَـال راحٍ صـدّعني كأسـه ... وغـودر عنـدي سكْرُه وخمـاره
وبـدر تمـام مشرق الضـوء بـاهرٌ ... لأفقي منـه مَحْقُـه وسراره
دنـا ونـأى فـالـدارُ غيرُ بعيـدة ... ولكنّ بُعْـداً صَـدُّه ونفـاره
وحين درى إن شـد أسري حبُّـه ... أحـلّ بي البلـوى وسـاء اقتـداره

---

(١) في الوافي : « من السحر يبدي عرمي الصبر خدّه » .
(٢) (س) : « ونهاره » .
(٣) في الأصل : « مؤثر » ، وأثبتنا ما في الوافي . والمؤشّر : المرقق .
(٤) (س) : « فيه مسكه » .
(٥) في الوافي : « ويسهر » .
(٦) في الوافي : « غال » .
(٧) في الوافي : « وإيساره » .

[ومنها][1] :

حكت ليلتي من فقـدي النوم يومهـا ... كما قـد حكى ليلي ظـلامـاً نهـاره[2]
كتمت الهـوى لكنْ بـدمعي وزفرتي ... وسقمي تســاوى سرُّه وجهـــاره
ثــلاث سجــلات عليَّ بـــأنني ... أمـام غرام قـلّ فيـك استتـاره[3]
أورِّي بنظمي في العــذار وتـــارةً ... بمن إنْ تفنَّى القرط أصفى ســواره
وجَـلَّ الـذي أهـوى عن الحلي زينـة ... ولّمـا يقــارب أن يـدب عــذاره
أراحــةَ نفسي كيف صرت عـذابهـا ... وجنــة قلبي كيف منـك استعـــاره

ونقلت منه يمدح الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

ولـو غيرُ الـزمـــان يكـون قرني ... لــــلاقى الحتف من ليثٍ جريّ
تحـــامـــاه الكمـــاة إذا ادلهمّت ... دُجى الهبـوات في ضنـــك حميّ[4]
وطَبّقتِ الفضـــاء فـلا ضيـــاء ... ســوى لمعـــان أبيض مشرفيّ
وأرمــــدتِ العيــونَ وكلّ طرف ... عمٍ إلا لأسمر سمهري
بحيثُ عبـــابُ بحر المـوت يَرْمي ... بمـوج من بنـــات الأعـــوجي
عليهـــــا كلّ أروع هبرزيّ ... يغـــــالب كل أغلب شمّري[5]
تراه يرى الظُّبى ثغراً شنيبـــــاً ... من الإفرنـــــد في ظَلْم شهيّ[6]
ويعتقــد الرمـــاح قــدود هَيْفٍ ... فينحهــا معـــانقــة الهــديّ[7]

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « نومها » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٣) في (س) والوافي : « فكيف استتاره » .
(٤) في الأصل : « تحاكاه » ، وأثبتنا ما في الوافي . وفي (س) : «تجافاه » .
(٥) الهبرزي : هو الجيّد الرمي بالسهام ، أو الحسن الثبات على ظهر الفرس ، ويطلق على الأسد أيضاً . والأغلب : الغليظ الرقبة ، ويطلق على السادة والأسود ، والشمري : الماضي في الأمور .
(٦) الشنب : رقةٌ وعذوبة في الأسنان .
(٧) في الوافي : « فيمتحها » . والهدي : الأسير .

هنـــــاك ترى الفتى القرشي يحمي ... حمـــــاة المجـــــد والحسب السنيّ
وتعلم أنّ أصــــلاً هـــــاشميـــــاً ... تفرع بــــــالنضـــــار الجعفريّ
ولـــو أن الجعـــــافرة استبـــــدّت ... بــــه يمنى الهُمَـــــام القـــوبعي

منها في المديح :

إلى صـــدر الأئمــة بـــاتّفـــاق ... وقـــــــــــــــدوةِ كلّ حَبْر ألمعيّ
ومَن بـــالاجتهـــاد غـــدا فريـــداً ... وحـــاز الفضـــل بـــالقـــدح العليّ
ومـــا هـــو والقـــداح وذاك تخت ... وهـــذا نـــال بـــالسقي الرضيّ[1]
صَبـــا للعلم صبّـــاً في صبـــاه ... فـــأعْـــلِ بهمّـــة الصبّ الصبي
فـــأتقن والشبـــابُ لـــه لبـــاسٌ ... أدِلـــة مـــالـــكٍ والشـــافعي

منها :

ونـــور جـــلالـــة يرتـــدّ عنـــه ... رسـول الطرف بـــالحسن العيي[2]
ومن كثرت صـــلاة الليـــل منـــه ... سيحسن وجهـــه قـــول النبي

منها :

بعَـــدْلٍ عَمَّ أصنـــاف البرايـــا ... تســـاوى فيـــه دان بـــالقصيّ
ضممتَ نـــدىً وجـــوداً حـــاتميـــاً ... إلى رأي وحلم أحنفيّ
لـــديـــك دعـــائم المجـــد استقرت ... فحـــط بنـــو الرضى ملقى العصيّ[3]
بحيث طـــوامـــح الآمـــــال مهما ... رمت لم تُخـــطِ شـــاكلـــة الرميّ
أيـــا قمر الفهـــوم إذا ادْلهمّت ... دُجى الإشكال في غـــوص خفيّ

---

(١) في الأصل : « نخت » ، وفي الوافي : « وتلك بخت » .

(٢) في الوافي : « الحيي » .

(٣) يقال : ألقى عصاه : إذا استقرّ وأقام على الشيء .

وسحبان المقالة حين يلفى | بليغ القول كالفَهّة العيّ[(١)]
لكم أبديت من معنىً بديع | يروق بحلية اللفظ البهيّ
فأقسم ما الرياض حنا عليها | ملثّ القطر هطّال الجيّ[(٢)]
فألبسها المزخرف والموشّى | حيا الوسْميّ منه أو الوليّ
وأضحك نبتها ثغر الأقاحي | فما نظم الجمان اللؤلؤي
وعطّر جوّها بشذى أريج | من المسك الفتيق التُبتّي[(٣)]
فلاحت كالخرائد يزدهيها | حليّ الحسن أو حسن الحليّ
بأبهج من كلامك حين تفتي | سؤالاً بالبديه أو الرويّ

وأنشدني لنفسه إجازة :

تأمّل صحيفات الوجود فإنها | من الجانب السامي إليك رسائلُ[(٤)]
وقد خُط فيها إن تأملت خطها | «ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ»[(٥)]

١٧٤٦ ـ محمد بن محمد بن علي*

ابن وهب بن مطيع ، كمال الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد القشيري ، تقدَّم ذِكْرُ والده وجماعةٌ من إخوته .

كان يحفظ القرآن ويتلوه كثيراً ، وكرَّر على (مختصر مسلم) للمنذري ، وربّما

(١) في الأصل : « يلقى » ، وأثبتنا ما في الوافي . وسحبان وائل يضرب بفصاحته المثل ، والفهه : العيّ .
(٢) في الأصل : « ملث » ، وأثبتنا ما في الوافي وفيه « ملث الودق » ، والإلثاث : دوام المطر .
(٣) في الوافي : « النبتي » ، تصحيف ، والتبتي : نسبة إلى تُبَّت بلاد بالمشرق ينسب إليها المسك الأذفر .
(٤) في الأصل : « صفحات » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .
(٥) من قصيدة لبيد المشهورة ، وعجز البيت :
وكل نعيم لا محاله زائل

* الوافي : ٢٤٧/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٣ ، الدرر : ٢٠٣/٤

قيل : إنه حفظه . وسمع من المنذري ، ومن النجيب عبد اللطيف والعز الحرانيّين ، وجماعة .

قال كال الدين الأدفوي : أخبرت أنه كرر على (الوجيز) ، وجلس بالورّاقين بالقاهرة ، ودرّس بالمدرسة النجيبيّة بقوص ، إلا أنه خالط أهل السفه ، والخلطة لها تأثير ، فخرج عن حدّه ، وترك طرائق[١] أبيه وجده . ولما ولي أبوه القضاء أقامه من السوق وألحقه بأهل الفسوق ، قال : هكذا أخبرني جماعة من أهله وغيرهم .

وكان قوي النفس ، بلغني أنّ[٢] وكيل بيت المال مجد الدين عيسى بن الخشاب[٣] رسم للشهود أن يكتبوا شيئاً يتعلق ببيت المال إلا بإذنه ، فجاءته ورقة فيها خط كال الدين ابن الشيخ ، فطلبه ، فقال له : ما سمعت ما رسمت به ؟ فقال : نعم ، فقال : كيف كتبت ؟ قال : جاء مرسوم أقوى من مرسومك وأشدّ . قال : السلطان ؟ قال : لا . قال : فمن رسم ؟ قال : جاء مرسوم الفقراء ، أصبحت فقيراً ما أملك شيئاً ، وجاءتني ورقة أخذت فيها خمسة عشر درهماً فتبسم . وقال : لا تَعُد .

قال : وحكى لي بعض أصحابنا قال : حضرنا وهو معنا عند الشيخ عبد الغفار بن نوح[٤] ، وكان الشيخ عبد الغفار كبير الصورة بقوص ، يأتي إليه الولاة والقضاة والأعيان ، وكان يمد رجليه في بعض الأوقات ويدّعي احتياجاً لذلك . فمد رجله ذلك اليوم فأخذ الكمال مروحة وضربه على رجله وقال : ضمّها بلا قلة أدب .

وكان كثير الصدقة مع الفاقة .

---

(١) في الوافي : « طريق » ، وفي الطالع السعيد : « طريقة » .

(٢) في الأصل : « أنه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع ، والكلام ما زال للأدفوي .

(٣) عيسى بن عمر بن خالد ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « فتوح » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، والطالع ، وهو عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد (ت ٧٠٨ هـ) ، سلفت ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثماني[1] عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

١٧٤٧ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك*

الشيخ شمس الدين ابن العلاّمة الشيخ جمال الدين بن مالك الجيّاني .

كان شيخاً حسناً ، بهيَّ المنظر ، أحمر الوجه ، منوّر الشيبة ، كثير التلاوة والتلقين ، لازم الجامع الأموي أكثر من أربعين سنة ، وله خزانة وبيت بالمئذنة الشرقية .

سمع (جزء) الأنصاري بقراءة ابن جعوان على بعض الشيوخ ، ولم يحدث .

رأيته غير مرة بالجامع ، وكان يسأل الطلبة ، فإذا قال له أحدهم : قرأت (ألفية ابن مالك) ، يقول : (ألفيّة) والدي ، ويفرح .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة .

١٧٤٨ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك**

الشيخ جمال الدين[2] ابن العلاّمة [ابن][3] مالك ، أخو شمس الدين المذكور أوّلاً[4] .

كان مقيماً بالقاهرة . سمع من ابن البخاري الجزء الذي كتبه له عمّه الحافظ ضياء الدين من (المسند) و (الغيلانيات)[5] ولم يحدث .

(١) (س) : « سبع » ، وفي الطالع : « بعد العشرين وسبع مئة أو قريباً من ذلك .

* الدرر : ٤/١٩١ .

** الدرر : ٤/١٩٢ .

(٢) كذا ذكر المؤلف ، والمعروف أنّ جمال الدين هو لقب بن مالك نفسه .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) (س) : « المذكور ، كان أوّلاً » .

(٥) في الأصل : « الغيلانيات » بلا واو ، وأثبتنا ما في (س) .

وله نظم . وكان حسن الأخلاق جميل الهيئة ، باشر بعض الجهات ولّما تُوفي خلّف جملة .

وتوفي بالقاهرة عاشر شعبان[١] سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١٧٤٩ ـ محمد بن محمد بن عبد الرحمن*

البليغ الفصيح الصدر الرئيس بدر الدين أبو عبد الله[٢] الخطيب بالجامع الأموي بدمشق ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني .

كان وافر الحشمة ، ظاهر النعمة ، جميل البزة ، نبيل الوجاهة والعزة ، كثير التجمل ، غزير التحمل ، سافِر الوضاءة ، غامر[٣] الوجه بالإضاءة ، إذا رقا منبره أو توقل صهوته وأظهر من وجهه مضره قال الناس : « أترى ضمّ خطيباً أم ترى ضمّخ طيباً » ، وكان يؤدي الخطبة فصيحاً ، ويوردها إيراداً مليحاً .

وكان في كل عام يتوجه إلى الديار المصرية يزور والده ويكيد بذلك ضدهُ وحاسده ، فيقيم هناك مدة ، ويقضي له وللناس أشغالاً عدّة ، ويلبس هناك تشريفاً ، وفي دمشق إذا عاد مَثْله ، ويسرُّ بذلك قبيلة وأهله :

وأسعدُ الناس من لاقى بلا تعبٍ مبدا السعادة في مبدا شبيبته[٤]

ولم يزل بدرُه في مطالع سعوده ومعارج صعوده إلى أن خُسِف في تمامه ، وتجرع كؤوس حِمَامه .

(١) في الدرر : « مات في شوّال » .

* الوافي : ١/٢٤٨ ، والدرر : ٤/١٨٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٠/٧٧ .

(٢) (خ) : « أبو عبد الله محمد » .

(٣) في الأصل : « عامر » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (خ) .

(٤) (خ) : « بلا نصب » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وسبع مئة ، ودفن في مقابر الصّوفيّة ، وقد كمّل الأربعين أو تجاوزها قليلاً .

وكان قد خطب في حياة والده قبل أن يلي القضاء وفي[1] حياة المشايخ الكبار مثل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني والشيخ برهان الدين بن تاج الدين[2] والشيخ تقي الدين بن تيميّة . ولما طُلب والده إلى مصر وتولى قضاء القضاة بالشام استقل هو بالخطابة فيما أظن ، ولمّا طُلِب والده ثانياً لقضاء الديار المصرية بقي هو في الوظيفة . وكان في كل سنة يتوجه على البريد إلى مصر ويحضر عند السلطان ويلبس تشريفاً ويقيم عند والده مدة ثم يعود إلى دمشق على البريد ، وكانت له بذلك وجاهة زائدة وصيت بعيد ، وقضى سعادة وافرة .

ولما عاد والده إلى قضاء الشام ناب والده في الحكم ، وكان قد أتقن الخطابة وانصقلت عبارته وتلفظ بها فصيحاً ، وقرأ في المحراب قراءة حسنة طيّبة النغم .

ولمّا توفي والده توهّم أن يلي المنصب فما اتفق له ذلك [وانعكست آماله] ونقض[3] حبل سعده وتعكّس ، وكلما حاول أمراً أدبر ولم ينجب فيه .

وطُلب إلى مصر بوساطة الفخري ونزل عنده في[4] القلعة ، وأقام تقدير أربعة أشهر [وعاد][5] وقد أكمده الحزن ، فأقام أياماً قليلة ، ومات رحمه الله تعالى .

---

(١) (خ) : « في » بلا واو .

(٢) قوله : « ابن تاج » ، ليس في (خ) والوافي ، وبرهان الدين هو إبراهيم ابن عبد الرحمن الفزاري ، وقد سلفت ترجمته ، وترجمة أبيه في مكانيهما .

(٣) في (خ) : « وانتقض » . والزيادة من (خ) ، وقد وقع مكانها في الأصل و (ط) تكرار قوله : « وقرأ في المحراب .. النغم » ، وعبارة الوافي : « وعكس الدهر آماله » .

(٤) في الأصل و (ط) : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

ولما توجه إلى مصر بعد وفاة والده رحمها الله تعالى كتبت أنا له توقيعاً بأن يستنيب في وظائفه من يراه إلى أن يعود ، ونسخته :

« أما بعد حَمْدِ الله الذي سيَّر البدر في منازل سعوده ، وأثمر رجاه الذي أنجب لصدق باطنه وظاهره عند غرس عُوده ، ورقّاه إلى درجات الكمال من إنجاز وعوده ، وبلّغه أمانيه التي جاءت بها الأقدار على وفق غرضه[١] واقتراح مقصوده . وصلاته على سيدنا محمد الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ،ونوّله من الكرامات ما لا يحصر لفضله ولا يحصى[٢] ، وعلى آله وصحبه الذين لم يَرَ عدوّ الدين في كمالهم نقصا ، ولم يكن فيهم من يخالف له مفهوم أمر ولا نصّا[٣] ، صلاةً يتألق برقها في سماء الرحمة ، ويترقرق وَدْقُها في غماء النعمة ما نسخت آية النور آية الظلمة ، وأضرم الشفق جمرته من الغسق في فحمة ، وسلامه إلى يوم الدين .

فإنه لما كان الجناب الكريم العالي البدري له على الأبواب الشريفة في كل حين وفادة ، وفاز من حسن النظر الشريف في كل أوان من الإنعام بإفاءة وإفادة ، وخطر في برود الوقار بين أغصان السيادة ، وتجمّل بملابس العلم الشريف مطرَّزةً برقوم السعادة ، واتّصف بمكارم ارتجال معانيها لا يبادى ولا يباده[٤] ، واقتفى سنن والده ، وكان[٥] أفضل من سَعَى ومن برّ ، ورقى بأهبة الخطابة دَرَج منبره فكان بدراً بدا في سحابة عنبر ، وأسال الدموع[٦] بمواعظة الصادقة الصادعة ، وأذاب القلوب بحكمة النافذة النافعة ، وناب في الأحكام وفصل القضايا المعضلة ، وألقى الدروس ، فجلا[٧] دياجي المسائل المشكلة ، وجلس في المحافل فكانت تفاصيل الرياسة فيه مُجْمَلة .

(١) في الأصل : « عرضه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .

(٢) (خ) : « الكرامات ما لا تحصى » .

(٣) قوله : « ولم يكن .. » حتى ههنا ليس في (خ) .

(٤) في الأصل : « لا يبارى » ، وأثبتنا ما في (خ) . والمباداة والمبادهة : المفاجأة والمباغتة .

(٥) في (خ) : « فكان ».

(٦) (س) ، (خ) : « المدامع » .

(٧) في الأصل : « وجلا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وتصدَّر في المجالس فما شك أحدٌ في أن هذا البدر أولى بهذه المنزلة ، وطَلب الآن إلى الأبواب الشريفة خلَّدَ الله سلطانها ، فأعمل [إلى الأبواب الشريفة][1] ركابه وأحمدَ غُدوَّه إليها وإيابه ، وسيكون قدومه عليها مقروناً بالنجح المبين ، ومقول سعادته ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إن شَاء اللهُ آمِنِين ﴾[2] . وكان لابدّ لوظائفه المباركة من يسدُّ فيها غيبته ، ويقوم فيها[3] إلغ أن يقدر الله أوبته .

فلذلك رسم بالأمر العالي أن يستنيب عنه في الخطابة الشريفة وغيرها مما هو به معذوق ومنوط بمباشرته من يراه أهلاً لذلك ، ويعتقد أنه في هذه الجادة خير سالك إلى أن يعود بدراً منيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، والله تعالى يقدّر له السعود حيثما توجّه ، ويجعل النجح قرينه في كل سبيل سلك فجّه ، والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجّة بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

١٧٥٠ ـ محمد بن محمد*

الأمير الفاضل سيف الدين أبو بكر بن صلاح الدين أبي الحسن ابن الملك الأمجد مجد الدين الحسن ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

كان فقيهاً فاضلاً ، وله شعر ، مدح الخليفة والسلطان وقاضي القضاة ابن صصرى والشيخ كال الدين بن الزملكاني ، وأجابه عنها ابن الزملكاني ، وأقام بحماة مدة ، وحضر المدارس معيداً ، ثم إنه عاد إلى دمشق وأقام بها . وسمع على الفاروثي وغيره .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) يوسف : ٩٩/١٢ .

(٣) في (س) ، (خ) : « بها » .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠١/٤ .

١٧٥١ ـ محمد بن محمد بن عبد المنعم*

القاضي البليغ الكاتب الناظم الناثر تاج الدين أبو سعد السعدي المعروف بابن البارنباري .

كان كاتباً مطيعاً ومترسّلاً منطقياً[١] ، خطه أنهج[٢] من الروضة الغنّاء وأخلب للقلب من الحدقة الوَسنا . كتب الرقاع والتوقيعات والثُلث من أحسن ما يكون ، وكان لبقاً في كتابته وفي الحركات[٣] والسكون ، وكان خبيراً بمصطلح الديوان وبما يكتبه إلى الملوك من صاحب التخت والإيوان ، وكان يكتب من رأس القلم ، ويأتي في كتبه وتواقيعه بما ينسي نسمات الضال والسلم :

جرى معه الجارون حتى إذا انتهوا   إلى الغاية القصوى جرى وأقاموا
فليس لشمسٍ مذ أنار إنارة   وليس لبدر حيث تمّ تمامُ

فهو كان أحد الكتاب الكملة الذين رأيتهم وبعتهم في الاختيار وشريتهم ، وخبرتهم وذخرتهم وقرأتهم ، وإلى مآدب هذه الصناعة دعوتهم وقريتهم .

ولم يزل إلى أن توجه إلى القدس ليزور ويستنتج أمّ الحظ ـ وهي مِقلاتٌ نزور[٤] ـ . فهناك وافاه حمامه ، وبكاه من الفضل غمامه ، وناح عليه حمامُه .

* الوافي : ٢٤٩/١ ، ووفيات ابن رافع ٢٣٠/١ ، والدرر ١٩٥/٤ ، وذيول العبر : ٣٠٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٠/١٠ .

(١) في الأصل : « مطبقاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « أبهج » ، والنهج : الوضوح .

(٣) (خ) : « الحركة » .

(٤) يشير إلى بيت كثير :

بغاث الطير أكثرها فراخاً   وأمّ الصقر مقلاتٌ نزور

والمقلات : هي التي لا تلد إلا واحداً ، أو التي لا يعيش ولدها .

والنزور أيضاً : قليلة الولد .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل ربيع[(١)] الأول سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وست مئة .

وكتب الإنشاء في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة في شهر رجب الفرد سنة ثلاث عشرة وسبع مئة . ولم يزل من أعيان كتاب الإنشاء ، وكان القاضي علاء الدين بن الأثير يستكتبه في البريد ، ولم يزل في القاهرة في جملة كتاب الإنشاء إلى أن توفي القاضي بهاء الدين أبو بكر بن غانم صاحب ديوان المكاتبات بطرابلس ، فرسم[(٢)] له السلطان الملك الناصر محمد بأن يتوجّه مكانه ، فتوجه إلى طرابلس ونائبها يومئذ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، فرأس هناك ، وعمل الوظيفة هناك على القالب الجائر[(٣)] ، وداخل النوّاب ، وصار[(٤)] هو عبارة عن الدولة .

وفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة كان في الشتاء نائماً هو وأولاده ، فجاء سيل عظيم ، وكانت داره على النهر ، وكان للسيل ضجة من الناس وضوضاء ، فقام من فراشه ليعلم ما الخبر وعاد فلم يجد داراً ولا سكاناً ، وراح [البيت][(٥)] وولداه ، وأحدهما موقع والآخر ناظر الجيش ، وجميع ما في البيت إلى البحر . وانتبه الناس لهذه المصيبة العظمى ، وركب النائب وتوجهوا إلى البحر إلى أن طلع الضوء وقذف الموج ولديه وهما ميتان ، فأخذوهما وعمّر لهما تربة عظيمة هناك . وصدعت واقعته قلوب الناس في الشام ومصر . وأمّا هو فإنه داخله هلعٌ عظيم واختلط عقله ، وبعث إلى مصر يسأل الإعفاء والإقالة ، وكنت إذ ذاك بالديار المصرية ، فكتبت لولده شرف الدين عبد الوهاب توقيعاً ، ونسخته :

---

(١) في (س) ، (خ) : « شهر ربيع » .

(٢) في الأصل : « رسم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) الذي في الوافي : « فرأس هناك ، وأحسن إلى الناس ، وسار سيرة مرضية » .

(٤) في الأصل : « صار » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

« رسم بـالأمر الشريف[١] العـالي المولوي السلطـاني الملكي الصـالحي ، لا زال يجبرُ بفضله مَنْ أُصيب ، ويغمر بإحسانه مَن فقـد الـدار والحبيب ، ويعمر برفـده من مُني من خطب الأيام بأوفر نصيب أن يرتِّب المجلس السامي القاضي شرف الـدين في كـذا جبراً لأبيه المصاب في غُصْنيه اليانعين ، وحصنيه المانعين ، وبدريه الطـالعين ونسريـه الطائرين بجناح حياته ، فأصبحا في حبائل الردى واقعين ، وسرّيه المخبوءين في سواد عينه ، وإن كانا بالثناء ضائعين .

فليباشر ذلك مباشرة أُلفت من بيتـه ، وأجرت فـارسَ بلاغتهم من طرسـه ونقسـه على أشهبه وكميته ، مقتدياً بطريق[٢] أبيه ، فهي طريقـة مثلى ، وحقيقـة تُـدرس أمـاليهـا وتُملى ، وحديقة غرائس بنانها[٣] تجلّى محـاسنهـا وتجلى ، وعريقـة في فن الكتـابـة التي يُفرغ عليهـا كيس الثنـاء حين يُملى ، لأنـه درة تـاجـه ، وقرَّةٌ تخلف على أبيـه مـاضي سروره وابتهاجه ، وغرّة يُزان[٤] بها الفجر عند انصـداعـه وانبلاجـه ، مجتهـداً في تحـريـر ما يكتبه وتقرير ما يرْقمه ويهذّبه ، حتى تكون روضات الطروس مدبّجة بأزهار كلماتـه وتسجيعه ، وترى وجنات هوامش القصص مطرزة بغدار توقيعـه ، والوصـايـا كثيرة ، وتقوى الله تعالى ملاك ما نأمره باتّباعه ، وأسلاك الدرر[٥] التي يؤم غيثها في انتجاعـه ، فلا يألف إلاّ حماها ، ولا يرشف إلا لماها ، والخـط الكريم أعلاه الله وشرّفـه أعلاه حجـةً في ثبوت العمل بما اقتضاه إن شاء الله تعالى » .

وكان القاضي تاج الدين قد أقام بعد ذلك بطرابلس على حـالـه إلى أن تولى نيـابـة طرابلس الأمير سيف الدين بيدمر البدري في أوائل سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فعُزِل من كتابة سرِّ طرابلس ، وطالبه الناس بحقوق ، فأقام هنـاك إلى أن خرج منهـا وحضر

(١) ليست في (س) .
(٢) (خ) : « بطرائق » .
(٣) (خ) : « نباتها » .
(٤) في الأصل : « يصان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « الدرر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

إلى دمشق في أواخر السنة المذكورة ، وأقام بدمشق مُدّة ، ثم توجّه إلى القاهرة وأقام بها مدة ، إلى أن رُتّب موقّعاً في الدست بدمشق ، فحضر إليها في شهر رجب ، فيما أظن سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى القدس ، وتوفي في يومين في التاريخ[١] .

وكنت أنا قد كتبت إليه بعد خروجي من مصر متوجهاً إلى الرحبة كاتب الدرّج :

لما أتيت دِمشقاً بعد مصر وفي ... عطفيَّ منك بقايا الفضل للراجي[٢]
عُظِّمْتُ من أجل مولانا وصحبته ... وقيل هذا بمصر صاحبُ التاج

وينهي بعد رفع الدعاء[٣] ، وحمل لواء الولاء ، وإشادة بناء الثناء ، أن المملوك سطّرها وشوقُه قد ضاقت به الرحبة ، وأغار على مثاقيل الصّبر فما ترك عند[٤] حبّة القلب حبة ، وذكّره الأيام السالفة ، حتى عاد نسيبه بها أعظم نسبه :

كأني لم أكن في مِصْرَ يوماً ... قطعْتُ به الوصال مع الأحبه
ونلتُ القرب من سادات دَسْتٍ ... محِلُّهم علا كيوانَ رُتْبه
إذا عانيت في الإنشا حُلاهم ... تراهم بالنجوم الزهر أشبه
وإن سابقتهم علماً وفضلاً ... فأنت إذا نطقت سُكَيْتَ حلبه[٥]
فما ابن الصيرفي إذا أتاهم ... يُساوي عندهم في الفضل حبّه
خصوصاً تاجهم سقي الغوادي ... محلٌّ ضَمّه واخضلَّ تُرْبه
إذا أخذ اليراع فليس بين الـ ... ـطروس وبين زهر الروض نسبه
وإن نطق استبان المرءُ منه ... محاسن تستبي في الحال لُبَّه

---

(١) (س) : « في التاريخ المذكور » .

(٢) في الأصل : « للداجي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « الرياء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في (س) ، (خ) والوافي : « منها عند » .

(٥) السكيت : آخر خيل السباق في الحلبة .

وليس الملـــك محتـــاجـــاً إلى أن يُعـــدّ كتـــائبـــاً إن عـــدّ كتبـــه
لـــــه الفَضْـــــلان في نظم ونثر إذا مـــا جـــال في شعر وخطبـــه
أيـــا مـــولاي عفـــواً عن محبٍّ تهجّم فـــالبعـــاد أذاب قلبـــه
بعثتُ بهـــا إليـــك عسى تراهـــا على بعـــد من الملـــوك قربـــه

فكتب هو الجواب :

شكراً لغرس بروض الفضل قد نبتـا ووده في صميم القلب قـــد ثبتـــا
أهـدى إليَّ كتـابـاً كنت أرْقُبُــه أزال عني من عيش النوى العَنَتـا[1]
مبـاركاً جاء بـالحسنى فـأحْسنَ لي وكيف لا وهـو من عنـد الخليـل أتى

لا زالت ألفـاظـه حليـة الممالـك ، ووده في النفوس ثـابتـاً وللقلوب خير مـالـك ، ومنزله من فضل الله رحيب الساحات معموراً بـالسماحـات في رحبـة مـالـك ، وينهي ورُود مشرّف سمح ببيانه ، ونفح بعرفانه ، وجنح إلى عوائد إحسانـه ولمح أشرف المعـاني بإنسانه ، وربح إذا بدا بفصل خطابه وفضل بنانـه ، أبى الله إلا أن يكون لـه الفضل في ابتدائه ، والفوز بسبق تحيته[2] وإنشائه ، فقبّله المملوك تقبيلاً ، وفضّه فإذا البيان جاء معه كله قَبيلا ، ورأى أدَباً غضاً ، ونظماً ونثراً فاقـا مَنْ سَلفَ عصرَه وتَقَضّى . ولقـد ذكّر مولانا بأوقات قُرْبـه ، على أن المملوك مـا زال يـذكرهـا ، وأقرّ عينـاً مـا برحت تشهـد محاسنه وتنظرها :

أبلـغ أخـــانـــا أدام الله نِعمتَـــهُ أنّي وإن كنتُ لا ألقـــاه ألقـــاه[3]
الله يعلـم أنّي لســـــتُ أذكـرهُ وكيف يـــذكره من ليس ينســـاه

(١) في الأصل : « غيث » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والعيث : الفساد ، وفي (خ) : « عتب » .
(٢) في الأصل : « تحينه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وفي (س) : « بحسّه » .
(٣) قوله : « وإن » ليس في الوافي .

ولقد تجمّلت[١] بمولانا جهة تَصَدَّرُ أخبارُها بأقلامه ، وتَصْدُر مهمّاتها[٢] بمتين كلامه ، ويبدو صَلاحُها بألفاظه التي هي كالزُّلال في رقته والدُرّ في نظامه ، فبسط الله ظلال مَنْ أمتع هذه المملكة بمولانا ، وسيَّر ركابه إليها ، وطالما أولاه الخير وأولانا ، قد شمل البعيد والقريب بفضله ، وعمّر مصر بسؤدده ، وغمر[٣] الشام بفضله :

كالبحر يقذف للقريب جواهراً ... كرماً ويبعث للبعيد سحائبا

ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكنت في القلب حُبَّه ، وأرضت بالودّ مملوكه وتِربه ، وشيّدت له [في][٤] الأفئدة أعظم رتبة :

أتتنا من ودادك خيرُ هبّه ... فنعّمَ طيبها عيش الأحبه
وزارتنا على نأيٍ فأهدت ... لنا أنساً به أنسي تنبّه
تذكّرني بزورتها ائتلافاً ... ووقتاً طالما مُتّعت قربه
نأى عن[٥] مصر من مولاي أُنسٌ ... فألْفَى بعدها رحباً ورَحْبَه
لِلفظك في الطروس عُقودُ معنى ... بها دُرُّ الترائب قد تشبّه
وخطك لم يزل دُرّاً ثميناً ... له بالجوهر الشفّاف نسبه
بنانكَ منبر يرقى عليه ... يراعٌ كمْ لها في الطرس خطبه
خطبت من المعاني كلَّ بكر ... فلبّت بالإجابة خير خطبه
كأنك قدْ رقيت الأفق عفْوا ... فأعطى طرسُك الميمون شُهبه
فدُمت مُعظّماً في كل أرضٍ ... تنال من السعود أجلَّ رُتْبه

(١) في الوافي : « تحمّلت » .
(٢) في الأصل : « مهماته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « وعمّر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) زيادة من (خ) والوافي .
(٥) في الأصل : « نأى من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

وكتب هو إليّ ونحن بالمخيّم السُلطاني على طَنَان[1] ملغزاً :

يـــا مبـــدعـــاً في النظم والنثر ... وفـــاضـــلاً في عِلْمـــه يُثْري
ومُـودعـــاً مُهرقـــهُ كلّ مـــا ... يُزري بحسن الـــــدرّ والتبر[2]
إن أُحكمت ألفـــاظُـــه أصبحت ... قـــواطعـــاً تربي على البُتْر
مـا صـامتٌ تنطـق أفضـالُـه ... وكاتِمٌ للسرّ في الصـــــدر
تصلحُـــه الراحـــةُ لكنّـــه ... يُتعب في الطيّ وفي النشر
قـــد أشبـــه البيض ولكنّـــه ... يحتـــاج يـــاذا الفضـــل للسمر
تفرّق الليـل بـــأرجـــائـــه ... كأنّـــه وصـــلٌ على هجر
يسير عن أوطـــانـــه دائمـــاً ... للنفـــع في البرّ وفي البحر
إذا كان يـومـاً ضيف قـومٍ غـدا ... يقري وخير النـــاس من يقرى
فهـــات لي عنـــه جـوابـــاً كا ... عـوّدتني يـــا عـــالي القـــدر[3]

فحللته في « كتاب » وكتبت الجواب :

أروضـــــةٌ تبسم عن زهر ... أم أكـــؤسٌ دارت من الخمر
أم نظم مـولانـا فـإنّي الـذي ... أعـــدّه مِنْ جُملـــة السِّحر
إذ كلُّ حرف منـــك شمسٌ وإنْ ... سـامَحْتَ قُلْتَ الكـوكبُ الـدرّي
يـا فـاضـلاً مـا مُشتهى نظمـه ... في النـــاس إلاّ قطـعُ الـزهر[4]
وكاتبـاً أصبـح من خطـه ... يغني عن الخطيّـــــة السُّمر
حَلَلْتُ مـا ألغـزتـه في الـذي ... تجلـــــوه لي في حبر الحِبْرِ

---

(١) في الأصل : « طغان » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وطَنَان : قريبة قريبة من الفسطاط (معجم البلدان) .

(٢) المُهْرَق : الصحيفة البيضاء ، فارسيّة .

(٣) في الأصل : « ياغالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في الأصل : « ما يشتهي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . وفي الوافي : » يا مشتهي » .

مــــا فـــــاه بــــالنطــق ولكنّـــــهُ ... لـــــــــه فنـــــــون النظم والنثر
يُخبِرُنـــــــــا عمّـــــــا مضى وانقضى ... ومـــــا جرى في ســـــالف الـــــدَّهر
لا يكــــذبُ القــول إذا مــــا ورى ... فقـــــــد حكى صـــــــدق أبي ذرّ
وعنـــــده للحسن ديبـــــاجـــــــةٌ ... سبيهـــــــةٌ بــــــالليــــل والفجر
ذُرَّتْ على كافـــــوره مِسْكَـــــــــةٌ ... ليس لهـــــــا نشرٌ مــــــع النشر
كم أقسم البــــــاري بـــــــه مَرّةً ... مَرَّت لنـــــــا في محكم الـــــذكر
يا حسن ما [قـد] قلت يقري وهل ... تعرف في الأيـــــــام من يقري[1]
ومـــــا قراه غير سمـــع الــــذي ... يَبُثُّـــــــه بـــــــاللبّ والفكر
هـــــذا جــوابٌ إن تكن راضيــــاً ... بـــه فيـــا عــزّي ويـــا فخري
وإنْ أكن أخطــــأت في حَلّـــــه ... فـابسـط على مـا اعتـدتـه عُـذري
لا زلْتَ ترقى صـــاعـــداً في العُـلا ... إلى محـــــلّ الأنجم الـــــزهر

وكتبتُ أنا إليه عقيب ذلك :

بلّغـــك الله الأمـــــاني فقـــــد ... أطربني لغــــــزك لّمـــــا أتى
يحلُـــو إذا كرّرت إنشـــــــاده ... وكيف لا يحلــو وفيـــه كتـــا

وكتب إليّ أيضاً ونحن بالمخيم على المنوفيّة :

طرُق الصواب بـك استبـان سبيلهـا ... وبــك استقـام على السواء دليلهـا
كم خلّـــــةٍ محمـــودة أوتيتَهـــــا ... في المكرمــات وأنت أنت خَليلُهـا
مـا مُلغَـزٌ الفـاءُ منـه كـلامـه ... وحُروفـه مـا شـانهن قليلهـا[2]
لا شيء تحجبـــه وكم من دونـــه ... من حـاجب فَعُـلاه ثم أثيلُهـا[3]

(١) الزيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الوافي : « ما شأنهن » .
(٣) في الوافي : « تمّ » .

إن طال مُلّ وخيره يا صاح ما ... قد طال والنعماء طاب طويلها[1]
وإذا أهلَّ الوفد من ميقاتهم ... طُويت غمامته وزال طليلها
كم أوضحوا مزقاً فأخفاه ومع ... هذا إبانته دنا تعجيلها
ومحلّه كمحلّ مولانا غدَا ... يسمو فرفعته رسا تأصيلها
فاحلله لا برحت يراعك كالظبي ... فصريرها منه يمدّ صليلها

فحللته في « شاش » وكتبت الجواب :

جاءت تُدار على النفوس شمولها ... وتُجَرُّ من فوق الرياض ذيولها
أبياتك الغُرّ التي أبدعتها ... تُطوى على جُمَل الجمال فُصُولها[2]
ويسير في الآفاق ذكرك لي بها ... وتهبّ بالإقبال منك قبولها
قد ألغزت لي في مسمّى واحد ... وله مقادير تفاوَتَ طولها
كغمامة ترخى على ليل الشبا ... ب الغَضّ أو صبح المشيب فضولها
لا يستحيل إذا قَلَبْتَ حروفه ... بالعكس بل يبقى لها مدلولها
وحروفه بيتٌ وباقي لفظه ... آس على التصحيف رُحت أقولها
هذا الجواب وغاية الفضل التي ... قد نلتها في النظم لست أطولها[3]
فلك النجوم تسير في فلك العلا ... ما شانها بعد الطلوع أفولها

وكتب هو إليَّ عقيب ذلك :

المسك منك ختام ... وراحتاك غمام
الخَطّ روض نديم ... واللفظ حلو مدام
والسحرُ قولك لكنْ ... السحر أمرٌ حرام

(١) في الأصل : « قد طاب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « أودعتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) (خ) : « الذي » .

أَجبتني عَنْ معمّىً ... بسرعـــــــــة لا تُرام
في القلب حُبُّـــك ثـــاو ... لـــــه أقـــــام غرام
فـــأنت حقـــاً خليـــلٌ ... على الخليـــل الســـلام

فكتبت أنا الجواب إليه :

أجـــــوهرٌ أم كـــــلام ... وقهـــوة أم نظـــــام
أم البـــــــدورُ تجلّت ... فـــانجـاب عنهـــا الظـــلام
أم الحـــــدائـــق وشّي ... منهـــا البرود غمـــام
غُصـــونُهـــا ألفـــاتٌ ... والهمـــز فيهـــا حمـــام
أشبّـــه السطر كاســـاً ... فيهـــا المعـــالي مُـــدام
أو أعينـــاً فـــاتنـــات ... يصبـــو لهـــا المستهـــام[1]
وحشـــوهـــا السحر بـــادٍ ... ولا أقـــول السقـــــام
أقـــلامـــك الحمر فيهـــا ... للنـــائبـــات سهـــام
كم قـــد أصـــابت لمرمى ... ولم يَفُتْهـــــا مرام
أثنت عليـــك المعـــاني ... والكاتبـــــون الكرام
وقلّـــدتـــك المعـــالي ... إذ أنت فينـــا إمـــام
فـــأنت أشرف تـــاج ... في فضلـــــه لا يرام
لــــــه على كل رأسٍ ... فـــاءٌ وصـــادٌ ولام

فكتب هو الجواب أيضاً :

ألفـــاظـــك الغرّ أضحت ... بُرُوقهنّ تشــــــــام
لأجـــل ذلـــك سَحّت ... من سحبهن ركام[2]

---

(١) (خ) : « بها » .
(٢) الركام : الضخم .

فــاحبس سيــولــك إن الــ ـــبيــوت هـــذي الخيـــام
مِصْرٌ بهـــا قـــــد تحلّت كما تحلّى الشـــــــــآم
عنهـــــــــا يقصر قسٌ والســــالفــون الكرام[1]
أمثـــالهـــا ســـائرات ومــــــالهن مقــــــام
بـــدورهـــا طـــالعـــاتٌ لهـــــا التمام لـــــزام
وفي العشيّ أتتني منهـــا وجـوه وســـام
تُعْـــزى إلى العُرْب لمـــا يُرْعَى لـديهـا الـذمـام
لهـــا العيـــون عيـــونٌ والنـون فيهـــا لثـــام
فكنَّ خير سمير حتى تجلّى الظـــــلام[2]
وكلّما دار دَوْرٌ مِنْ خمرهـــا حـــاء جـــام
هـــذا جـــوابٌ جـــوابٍ قــد كلَّ منــه الكــلام[3]
فــاستر لـــه كل عـــاب إذ أنت فينـــا إمـــام

١٧٥٢ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير*

ناصر الدين ، الطبيب المصري .

قرأ الطبّ والحكمة على والده ، والأدب على الشيخ علاء الدين القونوي .

كان فيه ظرف الأدباء ، ولطف الحكماء ، وخلاعة أهل مصر ، وبضاعة تُنْفَق عند أهل كل عصر ، لا يطبّ إلا أصحابه ، أو بَيْتَ السلطان وأربابه . وهو من بيتٍ كلّهم أطبّاء ، وفضلاء ألبّاء .

---

(١) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) (س) (خ) والوافي : « حتى تقضّى » .

(٣) في الوافي : « فيه » .

* الوافي : ٢٥٨/١ ، والدرر : ١٩٠/٤ .

وكان ظريف العِشرة ، دمث الأخلاق ، ولا ينصبُّ إلا إلى المجون وفيه بَشره ، وكان يلعبُ بالعود لأناس يختص بهم ، ويتوفر على قربهم .

ولم يزل على حاله إلى أن لم تجد حيلة البرء[١] فيه حيلة ، وراح والأبصار على فقده كليلة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وسألته عن مولده فقال لي : في سنة إحدى وتسعين وست مئة .

وكان من أطباء السلطان ، وتوجه معه إلى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وحضر من القاهرة إلى دمشق متوجهاً على البريد لمداواة الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني نائب حلب فما لحقه إلا وقد تمكّنَ منه المرض ، فعاد ناصر الدين المذكور إلى دمشق وقد تغيّر مزاجه من حماة . فأقام في دمشق يُمَرَّض[٢] في مدرسة الدنيسري[٣] قريباً من خمسين يوماً .

وكان رحمه الله تعالى رزقه قليل ، لمتُه يوماً وقلت له : يا مولى ناصر الدين ، لو جلست في دكان عطار وعالجت الناس لدخلك كل يوم أربعون خمسون درهماً . فقال : يا مولانا هؤلاء نساء القاهرة إن لم يكن الطبيب يهوديّاً شيخاً مائل الرقبة ، سائل اللعاب وإلا فما لهنّ إقبال عليه .

قلت : يريد بذلك السديد الدمياطي لأنه بهذه[٤] الصفة .

(١) في الأصل و (س) و (خ) :« البرّ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (خ) : « يمرض نفسه » .

(٣) غربي باب البيمارستان النوري والصلاحية ، أنشأها عماد الدين أبو عبد الله محمد بن العباس الربعي الطبيب (ت ٦٨٦ هـ) . الدارس : ٢/١٠٤ ، وانظر الوافي : ٣/٢٠٠ .

(٤) في (خ) : « كان بهذه » .

أخبرني من لفظه القاضي الفاضل فخر الدين [عبد الوهاب][1] كاتبُ الدرج ، قال : دخل يوماً ناصر الدين بن صغير إلى الطهارة ، فعلق برجله شيء من القاذورات ، فكتبت إليه والشيء بالشيء يذكر : توجّه سيدي بالأمس مخضّب القدم[2] من هَيُولاه ، ذا مّا من محله المعمور لما منه يولاه ، وما كان في حقه في أمسه[3] تكدير نفسه ، ولكل شيء آفة من جنسه ، هذه مسألة علكها أكبر لحيين[4] ، واشتغل بها اشتغال ذات النحيين[5] ، وأظنه قبل قدمه ، فخرج على تلك الصورة أو بعض أجزائه ، خلع صورة ولبس[6] صورة :

فتى غير محجوب الندى عن صديقه ... ولا يُظهر الشكوى إذا النعْل زلّت

على أنه أكثر منه محافظة وودّاً ، وأرعى ذمّة وعهدا . كم أحرقته نار وجد من أوطانه وأزعجته من مكانه ، وهُو لا يضمر إلا حُبّاً ، ولا يطلب منك إلا قُرباً :

لاشك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينةٍ واحده[7]

وأخبرني قال : كتبت إليه ونحن بسريا قوس في أيام الطاعون بمصر :

أظن الناس بالآثام باؤوا ... وكان جزاؤهم هذا الوباء
أسيّد من له قانون علم ... بحيلة برئه يرجى الشفاء
أآجال الورى متقاربات ... بهذا الفضل أم فسد الهواء[8]

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في الأصل : « العرم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وفي (س) : « وهو مخضب » .

(٣) (خ) : « من حقه » ، وفي (س) : « من أمسه » .

(٤) في (س) ، (خ) : « منه لحيين » .

(٥) يشير إلى المثل المشهور : (أشغل من ذات النحيين) ، وقد سلفت .

(٦) في الأصل : « ليست » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٧) في الدرر : « إذ أبو كما » .

(٨) في الأصل : « الفصل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

أم الأفــــلاك أوجبت اتصـــــالاً ... بــه في النــاس قــد عــاث الفنــاء
أم استعــداد أمــزجــه جفــاهــا ... جميــل الطب واختلف الغـــناء
أم اقتربت على مـــا تقتضيـــه ... عقيـــدتنـــا فللـزمن انتهـــاء
أفِـــدنــا مــا حقيقـــة مـــا تراه ... فمـــا الأذهـــان أحرفهـــا ســواء
وقــلْ مــا صــحّ عنــدك من يقين ... بحــقٍّ لا يعــارضُــه ريـــاء[1]
فــــــــإني غير مفش سرَّ حَبرٍ ... من الْمُتَشرّعين بــــه حيـــاء
ولا تخلى الأحبّــــة من دعــــاء ... فمنــك اليــوم يلتمسُ الـــدعـــاءً

١٧٥٣ ـ محمد بن محمد بن علي بن أبي طاهر*

القاضي شمس الدين بن جلال الدين الموسوي الحسيني المعروف بقاضي ملطيّة .

كان خطيباً بملطيّة مدة ، ثم جمع له بين القضاء والخطابة بملطيّة مدّة أخرى . ولما حضر إلى دمشق بعد فتح ملطية ولي تدريس الخاتونية ظاهر دمشق . واستمرّ بها إلى أن مات في حادي عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعمره ستون سنة .

وحجّ من دمشق ، وكان قاضي الركب .

وكان عنده حظٌّ من الأدب ، وفيه مشاركة وله شعرٌ ، وتولى مكانه القاضي بدر الدين محمد بن الفويرة .

١٧٥٤ ـ محمد بن محمد بن عثمان**

ابن عبد الخالق بن حسن ، القاضي الفقيه الإمام العالم المقرئ المحدّث الأديب ، فخر الدين أبو عبد الله القرشي المصري الشافعي المعروف بابن المعلم .

(١) (س) ، (خ) : « عن » .
* تالي وفيات الأعيان : ١٨٥ ، والدرر : ٤/٢٠٤ .
** الدرر : ٤/١٩٧ .

سمع من ابن علان ، وابن[(١)] عبد الهادي القيسي ، وجماعة .

وحدّث ، وقرأ القراءات ، وحفظ المقامات .

وكان فاضلاً ، له نظمٌ ونثرٌ . كان يشهد بمصر على باب الجامع ، ثم تولّى[(٢)] قضاء بلد الخليل عليه السلام . ولي قضاء أذرعات ، ثم صرف عنها .

وولي إعادة الباذرائيّة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستين وست مئة .

وفيه سخاء وكرم ، وله مصنفات .

محمد بن محمد بن عيسى بن نخّام*

ابن نجدة بن معتوق الشيباني النصيبي ثم القوصي ، الأديب الشاعر الفاضل المحدّث .

سمع العز الحرّاني ، ومحمد بن الحسين الخليلي ، وإسماعيل بن علي بن هبة[(٣)] الله بن علي [بن] المليجي[(٤)] وغيرهم .

وحدث بالبخاري بقوص .

وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبديع والعروض والقوافي . كثير

(١) ليست في (س) .

(٢) (س) : « ولي » .

* الوافي : ٢٥٩/١ ، والطالع السعيد : ٦١٣ ، والترجمة مأخوذة منه بتصرف يسير ، والدرر : ٢٠٧/٤ .

(٣) في الأصل و (س) : « إسماعيل بن علي بن هبة » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من (س) والوافي . وتوفي إسماعيل هذا سنة ٦٨١ . الوافي : ٢٣٥/٩ ، وطبقات القراء : ١٦٩/١ .

المروّة ، ظاهر الفتوة ، طريفاً لطيفاً خفيفاً ، لـه قُـدرةٌ على ارتجـال الحكايـة المطوّلـة والشعر ، سريع النادرة ، قال كمال الدين جعفر الأدفوي : (شعره) في ثلاث مجلّدات ، وكان رزقه منه ، يمدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار . قال : لمّا جئت إلى قوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشناوي فتردّدت إليهما ، فقال لي كل منهما كلاماً انتفعت به ، فأما الشيخ تقي الدين فقال لي : أنتَ رجلٌ فاضل ، والسعيد من تموت سيئاته بموته ، فلا تهج أحداً . وأما الشيخ جلال الدين فقال لي : أنت رجل فاضل ، ومن أهل الحديث ، ومع ذلك فأشاهد عليك شيئاً ، ما هو ببعيد[1] أن يكون في عقيدتك شيء . وكنتُ متشيّعاً ، فتبتُ من ذلك .

وقال : كنتُ مرَّة عند ابن البصراوي[2] الحاجب بقوص ، فحضر الشيخ علي الحريري ، وحكى أنه رأى دُرّة[3] تقرأ سورة (يس) فقلت : وكان غرابٌ يقرأ سورة « السجدة » ، فإذا جاء عند آية السجدة سجد ، وقال : سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة سبع وسبع مئة . ومن شعره :

إذا ابتسمت من الغَور البروقُ ... تأوّه مُغْرَم وبكى مشوقُ
تذكّرني العقيق وأيّ صبٍّ ... له صبرٌ إذا ذكر العقيق[4]

قلتُ : في هذا الثاني نظرٌ لا يخفى على مَنْ له ذوق .

ومنه :

تذكَّر بالسَّفح باناً وطلا ... فأجرى المدامع وبْلاً وطلا

---

(١) (س) : « شيئاً ما يبعد » .

(٢) في الوافي : « عند عز الدين البصراوي » . وانظر الطالع .

(٣) الدرة هنا : طائر ، مثل الببغاء ، غير عربية .

(٤) الطالع السعيد .

يُرجّي زمـــانـــاً تـولّى يعـود وليس يعـــود زمـــانٌ تـــولّى
كئيبٌ تحمّــل مــــا لا يطيـــقُ لـــــه الصخر من ألمِ البين حمــلا
يبيت يكابـــــــد الآمـــــــهُ وأسقـــامــــه وكما بـــات ظـلّا
وضيّـــع أوقـــاتــــه في عسى ومــــاذا تفيـــــد عسى أو لعــلّا
ويشرب من مـــاء أجفـــانِـــهِ على الظمأ البرْح نهــلا وعـــلّا(١)

ومنه :

نَعَم هي دار من نهـوى يقينـــــا ومـا نخشـاه سـاكنهـا يقينـا(٢)
أنيخـوا في معـالمهـا المطـايـــا فـــديتكم لنشكـو مـــا لقينـــا
ذكرنـــا حُلْـوَ عيشٍ مَرّ فيهــــا ومـا كنـا لـه يـومـاً نسينـا(٣)
وكاســــــــــات المسرّة دائرات تحيينـــــا شمالاً أو يمينـــــا

١٧٥٥ ـ محمد بن محمد بن أحمد*

جلال الدين الكندي بن تاج الخطباء القوصي .

قال كمال الدين الأدفوّي : سمع من الشيخ تقي الدين القشيري . وكان فقيهاً فاضلاً أديباً ، له نظمٌ ونثرٌ وخطبٌ ، وكان أمين الحُكم بقوص ، وعاقد الأنكحة وفارضاً(٤) بين الزوجين ، وكان يكتب خطّاً حسناً لا يماثله أحدٌ بقوص .

اجتمعت به كثيراً بقوص ، ثم إنه أقام بغرب قُمولا ، وتوفي بها سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وأورد له من شعره :

(١) الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها صاحب الطالع السعيد .
(٢) في الطالع : « تهوى » بالتاء .
(٣) في الطالع : « مرّ غضا » .
* الوافي : ٢٦٠/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٢ ، والدرر : ١٦٩/٤ .
(٤) في الطالع : « فاصلاً » .

يـا غـايـة منيتي ويـا مقصـودي قـد صرتُ من السقـام كالمفقـود
إنْ كان بَـدَتْ مني ذنـوبٌ سلفت هبهـا لكريم عفـوك المعهـود

وأورد له أيضاً :

هـل إلى وصـل عَـزَّة من سبيـل وإلى رشف ريقهـا السلسبيـل[1]
غـادةٌ جرَّدت حسـام المنـايـا مُصْلتـاً من جفـون طرف كحيـل
قـد أصـابت مقـاتلي بسهـام فـوّقتهـا من جفنهـا المسبـول
أبرزت مبـدعـاً من الحسنُ يفـدى بنفـوس الـورى بـوجـهٍ جميـل

وأورد له أيضاً :

دعوى سـلامـة قلبي في الهـوى عجبٌ وكيف يسلم من أودى بـه الـوَصَبُ
أضحت سـلامتـه منكم على خطر لا تسلمـوه ففي إسـلامـه نَصَبُ[2]
شربت حبّكم صرفـاً على ظمأً وكُنْت غرّاً بما تـأتي بـه النـوبُ
لا يمنعنّكمُ مـا قـال حـاسـدُنـا عن الـدنـوّ فـأقـوال العِـدا كـذبُ

١٧٥٦ ـ محمد بن محمد*

المعروف بابن الجَبَلي القَرْجُوطي .

كان لـه مشـاركـة في الفقـه والفرائض ، ولـه معرفـةٌ بـالقراءات ، ولـه أدبٌ وشعرٌ ومعرفة . يحل الألغاز والأحاجي .

وكان ذكيـاً ، جيّـد الإدراك خفيف الروح ، حسن الأخـلاق ، كفّ بصره في آخر عمره .

(١) في الطالع : « أو إلى » .
(٢) في الطالع : « فيكم » .
* الوافي : ٢٦١/١ ، ونكت الهميان : ١٧٠ ، والطالع السعيد : ٦٣٠ .

قال كمال الدين الأدفوي : اجتمعت به كثيراً ، وأنشدني من شعره وألغازه .

وتوفي رحمه الله تعالى بفرجوط في المحرّم سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

وأورد له :

وشـــاعر يـــزعم من غرّةٍ وفَرْط جهـــل أنـــه يشعر
يصنف الشعر ولكنـــــه يحـــدّث من فيـــه ولا يشعر

وأورد له في النبق :

انظر إلى النبـق في الأغصـان منتظماً والشمس قد أخذت تجلوه في القُضُب
كأن صفرتـــه للنـــاظرين غَـــدَت تحكي خلاخل قد صيغت من الـذهب[1]

١٧٥٧ ـ محمد بن محمد*

الصـــدر الأصيـل العَـدل الرّضي شرف الـدين أبـو عبـد الله ابن العـدل الرضي شرف الـدين أبي عبـد الله بن أبي الفتـح نصر الله بن المظفر بن أسعـد بن حمـزة بن أسد بن علي بن محمد التيمي الدمشقي ابن القلانسي .

سمع (صحيح) مسلم من الرضي بن البرهـان ، وروى منـه أربعين حـديثـاً ، ولـه إجازة من عثمان ابن خطيب القرافة وعبد الله بن الخشوعي وجماعة .

وكان من أعيان دمشق وأكابرها ، وباشر وكالة السلطـان[2] مـدة . وكانت حرمتـه وافرة وأخلاقه حسنة ، وشهد في القيم مدة مع الأكابر ، ثم إنه تركها مُدّة .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

(١) (س) والوافي والطالع : « جلاجل » .

* البداية والنهاية : ١٤/٧٤ ، والدرر : ٤/٢٤١ .

(٢) عبارة الدرر : « وكالة السلطانية » .

ومولده سابع عشري صفر سنة ست وأربعين وست مئة بدمشق .

وكتب شيخنا العلاّمة شهاب الدين محمود إلى أولاده القاضي جمال الدين والقاضي علاء الدين ومحيي الدين يعزيهم بما أنشدنيه لنفسه إجازة :

لو سالم الدهر ذا مَجدٍ لسؤدده ... ثنى عن الشرف العالي سُطَا يده
ولو تحامى الردى ذا مفخر وتقى ... ونائل كفّ كفّاً عن مُحَمَّده
لكنه طالبٌ لا حصن منه فمن ... أرجاه في يومه فاجاه في غده
ومنهل ما لحيٍّ في الورى صَدرٌ ... إلاّ عن الريّ من إتناء مَوْرده
كم فضَّ جمعاً وكم أخلى حمى شرف ... برغم أهليه من آثار سيّده
فلا علوّ أخي فضل بعاصمه ... منه ولا مجد ذي مجد بمخلده
فحقٌّ من كان هذا الموت غايته ... بدء العزاء به من يوم مولده
لله طودُ حجىً زانت خلائقه ... نجاده وأبانت طيب محتده
حرٌّ تقيٌّ نقيّ طاهر ورع ... قد آمنَ الناسَ من فيه ومن يده
عفّ السريرة لا يطوي على دخل ... مَغيب من غاب عنه مثل مشهده
سيّان ظاهره صفوٌ وباطنه ... بل ودُّه المحض أجلى من تودّده
مُغْضٍ عن الناس لا يعنيه عيبهم ... مغرىً بمنزله فيهم ومسجده
لله عهد مضى أيام تجمعنا ... عصر الصبا نَسقاً في سلك معهده
وكلنا حافظٌ عهد الصفاء له ... شاء الوفاء يراعي حفظ موعده(١)
ففرّق الدهر سَهم البُعد ثم بَدا ... بخَيْرنَا فرمَاه عن تَعَمُّدِه
قضَى وَلمْ أَقضِ من توديعه وطراً ... ولم أكنْ حَاضراً ما بينَ عُوَّدِه
فَبات يخذِلني صَبري وَينجدني ... دَمْعي ومَا خاذلٌ صبّاً كمنجده
أخشى علَى ناظري دمعي فيكحِلني ... تَسهّدي من دجى ليلي بأثمده
مضى وهَا أنا أقفو إثْرَهُ وإلى ... كم يبطئ المرء أمسَى دون مقصده

(١) (ط) : « عهد الصفاء كما » .

وَمَا مضى من رَقَتْ أبناؤهُ رتَباً — لم يَرْقَها وَعَلَوْا عَنْ أفقِ مصْعدهِ
وسَادَ منها عليّ مَا وهَى وَعلا — مَحْمود في كلّ مجد فوقَ فرقدِهِ
ثَلاثة نظمُوا عقد العُلاَ فغَدَا — يختال في مجدِهِم لا في زَبرجدهِ
أوْصَيتهم باصطبَار لم أجده ففي — حسن التّصبّر تَمهيد لمرقدهِ
فَجادَه صَوب رِضْوان يَسحُّ إذا — سَحَّ العِهاد عَليه في تغمّدهِ
ولا خلا أُفقُ هَذا البَيتِ من شرفٍ — تَثني مَفاخِره أبصارَ حُسّدهِ

يقبّل اليد العالية المولويّة القضائيّة الجماليّة ، لا زالت جزيلة الثّواب ، جميلة المآب ، غنيّة بما منحها الله من العلم عن[1] الدلالة على الصّواب ، آمنة بحلاوة التّلقي لأمر الله بالعدول[2] عن مراجعة التجرّع لصَاب المصاب ، وينهي [أنه][3] اتّصَلَ به مَا قدّره الله من وَفاة المولى السّيد الوالد تعمّده الله برضوانه وبوّأه فسيح جنانه ، فأجرَى دمُوعَه ، ونفى هجوعه ، وصدع قلبه ، وأطار لبّه ، وأطال ألمه ، وَأطابَ عَدمَه ، وألزم الحصر لسانه ، وألقى قلمه ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، امتثالاً لأمره ، وصبراً على حلو القضاء ومُرّه ، مات والله الصاحب الذي كان للمملوك يعقد عَلى محبته[4] الخناصِر ، ويستند من أخوّته إلى نسبةِ صفاءٍ ثابتةِ الأواصِر ، ويأنس ببقائه ، ويعلّل نفسَه بلقائه ، فاجْتُثّ بوفاته أصلُ الوَفَا ، وتكدّر بذهابه وِرْد الصّفا ، وذهب الودّ إلاّ باللسَان ، وتنكّرت بين المعارف وجوه الإحسَان الحِسَان ، وعدمت الرّياسةُ راسَها وفي الرَياسَة[5] أكثَرُها ، وفقدت المعالي عينها[6] فلم يبقَ إلاّ أثَرُها ، فلله تلك النّفس مَا كان لتقاها ، وتلك الشيَم ما كان أطهرها وأنقاها ، وذلك اللّسان ما كان أقدره على

(١) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٢) في (س) : « بالقبول » .
(٣) زيادة من (س) ، (ط) .
(٤) (س) : « مودّته » .
(٥) (س) : « الرأس » .
(٦) في الأصل و (ط) : « عنها » ، وأثبتنا ما في (س) .

ملكة نطقه ، وألهجه[(١)] في المقال بحقّ صِدْقِه ، وذلك النّظر[(٢)] ما كان أغضّه عن المحارم وأبصرَه بالمكارم ، وأغضاه عن النقائص والمعايب ، وأشبهه بسَمعِه عن الإصغاء إلى المذامّ والمثالب ، نضّر الله ذلك الوجه الكريم ولقّاه نُضْرَة النَعيم[(٣)] وتقبّل أعمالَه ، وبلّغه عند القدوم عليه من عَفوه سولَهُ ، ومن رضاه آمَالَه . والْمَملوك فقد تأهّب المحاق بإخوانه ، ولم يخادع نفسه الحداد عند أوانه ، وإذا تقدّم الرّفاق لم[(٤)] يبق إلا الرحيل على آثارهم ، والاستقرار للنّزول معهم في دارهم . فالله يجمعنا في مستقرّ رحمته ، ويجعلنا ممّن جعل الثّبات عند المَمات من فواتح فضله عليه ونِعْمَته ، على أنّه مَا فُقِد من جَمال بيته باق ببنيه في الوُجود ، ولا عدم من علاوة راقٍ بأولاده إلى رتب القعود[(٥)] ، ولا ذهبَ مَنْ لم تخل معاليه من[(٦)] ذي مقام مَحمُود ، فعمله الصّالح ببقائهم متصل المواد ، وثناؤه السائر[(٧)] بدَوام ارتقائهم آخذ في الازدياد ، والمملوك يقبّل اليد العَلائيّة واليد المحيويّة ، ويكتفي بهذه الخدمة عن تجديد تعزيتهمَا بما يهيج الأسى والأسف ويعتذر للدّهر ببقاء الموالي ، فعفا الله عمّا سلف ، وعمّن سلف بمَنّه وكرمهِ .

١٧٥٨ ـ محمّد بن محمد*

الشيخ الإمَام والعالم الفاضل شمس الدين السَفاقسي .

تقدّم ذكر أخيه إبراهيم في الأباره ، وكانا فقيهين مَالكيين .

(١) في الأصل : « وأبهجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) (س) : « النظم » .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ولقّاهم نضرة وسرورا ﴾ الإنسان ١١/٧٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ المطففين : ٢٤/٨٣ .

(٤) في (س) ، (ط) : « فلم » .

(٥) في (س) : « الصعود » . وفي (ط) : « إلى أقصى رتب القعود » .

(٦) في (س) : « بدايته من ... » .

(٧) في الأصل و (ط) : « الثائر » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الدرر : ١٥٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٧ ، والوافي : ٢٧٠/١ .

حضر شمس الدين هذا إلى دمشق وأنا بها رأيته ، وكان شكلاً حسناً مليح الوجه أظنه لم يبلغ الأربعين . وأقام بدمشق بعض سنة أو أكثر ، وأقرأ الناس بالجامع الأموي ، ثمّ[1] توجّه إلى حلب فحظي هناك ، وتصدر وأفاد ، ووَلي وظائف .

ولم تطل مدّته حتى توفّي رحمه الله في حلب ليلة الاثنين ثاني شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

سألت شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي رحمه الله تعالى فأثنى عليه ثناء كثيراً ، وقال : له على (مختصر ابن الحاجب) بعض شرح ، و (شرح قصيدة ابن الحاجب في العروض) .

١٧٥٩ ـ محمّد بن محمّد بن الحسن*

ابن أبي الحسين بن صالح بن عليّ بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباته . الشيخ شمس الدين الفارقي الأصل ، المصري المولد ، والد الشاعر جمال الدين محمد بن نباته .

كان الشيخ شمس الدين هذا من أشياخ الحديث بدمشق ، وكان ساكناً خيراً قليل الكلام ، منجمعاً عن الناس . وكان يباشر شهادة الخاص بداريّا ودومَة . وكان كل ما يحصّله ينفقه على أحفاده[2] أولاد وَلده .

وتولّى دار الحديث النورية بدمشق بعد الشيخ زين الدين بن المزي[3] ، وَكان في الديار المصريّة شاهداً بديوان الجاشنكير .

---

(١) (خ) : « ثم إنّه » .

* الوافي : ٢٧٠/١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٧/١ ، والدرر : ١٧٢/٤ .

(٦) في الأصل : « أحفاد » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) عبد الرحمن بن يوسف ، سلفت ترجمته .

وسمع من العزّ الحرّاني ، وابن خطيب المزّة ، وغازي الحلاوي ، وأبي بكر بن إسماعيل الأنماطي وغيرهم ، وكان له بدمشق سكن بالظاهريّة ، سمعت عليه بعض أجزاء بدمشق ، وأجاز لي بخطّه سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة ست وستين وست مئة .

١٧٦٠ ـ محمد بن محمد بن مينا*

بميم مكسورة وياء آخر الحروف سَاكنة وبعدها نونٌ وألف ممدودة ، الشيخ الإمام الفاضل العالم شمس الدين البعلبكي الشافعي .

سمع من القاسم بن عساكر ، ومن عيسى المطعِّم وغيرهما .

وكان فقيهاً فاضلاً ، عارفاً بالجدال مناضلاً ، قرأ الفقه وبَرع ، وبلغ غايةً قصّر عنها من شرد حظه لمّا شرع ، وكان على ذهنه إشكالات في المذهب ، وإيرادات[1] مَن ناظره فيها سبقه ولو كان أشهب . وعنده شكوك في غير الفقه عَقِدة ، ومؤاخذات يتعب بها منتقيه[2] ومنتقده ، إلاّ أنّه ينحرف كثيراً[3] ، ويهدم بذلك له مجداً أثيرا .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّت المنايا بابن مينا ، ولم ينفعه طبّ ابنِ سينا .

وتوفي رحمه الله في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق وهو في حدود الخمسين .

اجتمعت به غير مرّة ، وكتب عني شيئاً ، وكان يعجبني ذهنه وحديثه ، وكان

* الوافي : ٢٧١/١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٩/١ ، والدرر : ٢٤٠/٤ .

(١) في الأصل : « إبرادات » ، وأثبتنا مافي (س) .

(٢) في الأصل : « منتقبة » ، وأثبتنا مافي (س) .

(٣) ليست في (س) .

الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يثني على ذهنه ، وكان قد توجَّه إلى بغداد بعدما أفتى وناظر وأعاد بالنظاميّة وعاد إلى دمشق ، وسَكنَ الرَّواحيّة . وما كان يخلو من تعبّد ، وتولى قضاء الإقليم بدمشق ، وخلّف لمّا مات دنيا صالحة ، ووصّى بأن يصرف ثلث ماله على فقراء الفقهاء ، كلّ إنسان عشرة دراهم .

١٧٦١ ـ محمد بن محمد بن يعقوب*

القاضي عماد الدين الأنصاري المصريّ المعروف بابن النويري ، بالنون والواو والياء آخر الحروف [والراء][١] .

كان من أجود الناس طباعاً ، ويحفظ الكتاب العزيز ويتلوه كثيراً ، ويصوم الخميس دائماً ، وله عقيدة في الفقراء وخدم في الأنظار الكبار بمصر والشام . تولى نظر المرج والغوطة والإقليم ، ونقل من ذلك إلى صحابة الديوان بدمشق وإلى نظر صفد ، باشره غَيْرَ مرّة ، وإلى نظر الكرك مدة طويلة ، وأعيد بعده إلى صفد ، وآخر وقت ولي ديوان طرابلس .

وتوفّي رحمه الله تعالى في عشر الثمانين ، ورأيته بصفد غير مرة ، وكانت وفاته في طرابلس في حادي عشر شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٧٦٢ ـ محمد بن محمد بن عطايا**

الوزير سعد الدين .

كان أولاً ناظر البيوت بالقاهرة ، ورسم له بالوزارة في ثاني عشر شهر رمضان سنة

---

* الدرر : ٤/٢٤٢ .

(١) زيادة من (ط) . وفي (س) : « الراء » .

** الدرر : ٤/١٨٧ ، وفيه : « محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عطايا » .

أربع وسبع مئة ، وأقام في الوزارة إلى أن عُزل عنها بضياء الدين النشائي في أوائل سنة ست وسبع مئة[(١)] .

١٧٦٣ - محمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي القاسم ، الشيخ الإمام المعمّر المسند صدر الدين أبو الفتح الْمَيْدومي ، بفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف والدال المهملة والواو الساكنة وبعدها ميم ، خاتم أصحاب النجيب عبد اللطيف .

توفي عن تسعين سنة في سنة أربع وخمسين وسبع مئة . انتخب عليه خلق من عواليه .

١٧٦٤ - محمد بن محمد بن الحارث**

ابن مسكين ، القاضي الإمام فخر الدين القُرشيّ الزّهريّ نائب الحاكم بمصر والقاهرة .

حدّث عن الشّهاب القرافي ببعض تصانيفه ، وعن عبد السلام الدميري وغيرهما ، وأجاز له جماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى وستين وسبع مئة .

وكان قد أجاز لي رحمه الله تعالى بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٧٦٥ - محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله***

ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مميل[(٢)] الفارسيّ الشيرازي

---

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة ٧٣٠ هـ .

* وفيات ابن رافع : ٣١٥/١ ، والدرر : ١٥٧/٤ ، وذيول العبر : ٢٩٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩١/١٠

** وفيات ابن رافع : ٢٦٣/١ ، والدرر : ٢١٦/٤ ، وذيول العبر : ٣٣٧ .

*** تالي وفيات الأعيان : ١٤٩ ، والدرر : ٢٣٣/٤ ، وذيول العبر : ١٣١ ، وشذرات الذهب : ٦٢/٦ .

(٢) في الأصل و (ط) : « يميل » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

الأصل ، الدمشقيّ ثمّ المزّي ، الرئيس شمس الدين أبو نصر بن عماد الدين الكاتب ابن أقضى القضاة شمس الدين أبي نصر .

سَمع من جدّه حضوراً ، ثمّ سماعاً ، ومن عمّه تاج الدين ، ومن علم الدين السّخاوي ، والعَلم ابن الصّابوني ، والمؤتمن بن قميرة ، وأبي إسحاق بن الخشوعي ، وبهاء الدين بن الجُميزي ، وجَماعة . وأجاز له الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وبهاء الدين بن شداد ، وإسماعيل بن باتكين ، وابن روزبة ، وخلق كثير . وتفرّد بأجزاء وعوالي ، وازدحم الطلبة عليه ، وألحق الصغّار بالكبار . وانتقى له الشيخ صَلاح الدين العلائيّ والبرزالي والواني وشمس الدين الذهبي .

وكان ساكناً وقوراً متواضعاً ، نزر الحديث منجمعاً عن الحديث الناس ، له ملكٌ يعيش منه . وكان بارعاً في تذهيب المصاحف ، وظهرت فيه مبادئ اختلاط في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

١٧٦٦ ـ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

القاضي زين الدين أبو حامد بن تقي الدين العثماني الشريشي القنائي الشافعي .

اشتغل بالفقه على الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي وأجازه بالفتوى ، وسمع منه .

---

* الوافي : ١/٢٨٧ ، والطالع السعيد : ٦٢٦ ، والدرر : ٤/٢١٥ .

وكانت لـه مشـاركـة في الأصـول والنحـو والأدب . وخَطُّـه حَسَن ، ولـه يـد في الوراقة .

وتولى القضاء بأدفو وأسوان وتولى قفط ، وقنـا ، وهُوْ[١] ، وعيـذاب ، وكان حسن السِّيرة ، مرضيّ الطريقة ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة خمس وسبع مئة بقنا .

وأورد له كمال الدين الأدفوي أبياتاً من جملة صداق كتبه وهي :

أَطِـلْ نَظراً فِيـه فَلَسْتَ بِنـاظِرِ ... نَظيْراً لَـه كـلاً وَلَست بـواجِـدِ
وَفُـزْ مِنْ مُحَيّـاهُ بلمحـةِ نَـاظِرٍ ... تَنَـلْ مَـا تَرجي مِن سَنِيّ الْمَقَـاصِـدِ
فَكلٌّ سَـديـدٍ منهم وَمُسَـدَّدٍ ... وَكلّ تَقيّ عِنـدهمْ ثُمّ مَـاجِـدِ[٢]
إذا مَـا اغْتَـدى سَمْعي بذِكرِ صِفـاتِهمْ ... تُخـامِرُ قلبي سَكْرةُ الْمُتَـوَاجِـدِ

١٧٦٧ ـ محمد بن محمد بن محمد*

ابن عبد القـادر بن عبـد الخـالق بن خليل بن مقلّـد ، الشيخ الإمـام الْمُفْتي بركـة والده[٣] بدر الدين أبو اليسر ابن قاضي القضاة عزّ الدّين أبي المفاخر الدمشقيّ الشافعي المعروف ابن الصّايغ مدرس الدماغيّة وأخو[٤] القاضي نور الدين قاضي قضاة حلب .

---

(١) هو بضمّ الهـاء وسكون الواو ، وتعرف بـ هُو الحمراء ؛ على تلّ بـالصعيـد بـالجـانب الغربي دون قـوص . (معجم البلدان) .

(٢) في الطالع : « فيهم » .

* الـوافي : ٣٣٢/١ ، وفـوات الـوفيـات : ٢٩٣/٣ ، ووفيـات ابن رافـع : ٧٩/١ ، والـدرر : ٢٢٦/٤ ، والشذرات : ١٢٣/٦ ، والدارس : ١٧٨/١ .

(٣) في الوافي : « بركةالوقت » .

(٤) في (س) والوافي : « والعمادية أخو القاضي » .

سمع كثيراً من أبيه ، وابن شيبَان ، والفخر علي ، وبنت مَكّيّ ، وعدة . وحضر ابن علاّن . وحدث بـ (صحيح البخاري) عن اليُونيني ، وسمع حضوراً من فاطمة بنت عسَاكر ، وحفظ (التنبيه) ، ولازم حلقة الشيخ برهان الدين .

وكان دينهُ متيناً ، وتصوّنه مبيناً . طُلب لقضاء القضاة بدمشق فامتنع ، وظهرت عَليه أمارات الزَّمع[١] ، فعظم قدره ، ولزم الناس حمده وشكره .

وكان مقتصداً في لباسه وفي أموره بين أناسه ، ودَرّس وهو أمرَد ، ولم يبال بمن يناظره أنقضّ عليه أم ردّ ، وحجَّ غَيْرَ مرّة ، وفعل في طريقه كل مبرّة[٢] :

وَكانَ غَريباً في جَميع أُموره ... لهُ بركاتٌ في الوَرى وَصَلاحُ
إذا مَا ادْلَهمّ اللّيل قام لرَبِّه ... وَناجى إلى أن يَسْتنير صَباحُ[٣]

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أبو اليسر من الحياة مُعْسِرا ، ومكّن الحِمامُ منه مخلباً ومَنْسِراً .

وتوفّي رحمه الله تعالى في يوم الجمعَة ، جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن عند قبر والده بسَفح قاسيُون ، وشَيّعه الخلائق وحملوه على أكتافهم[٤] ، وكانت وفاته بعد قاضي القضاة جلال الدين القزويني بليالٍ يسيرة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة .

وكان تنكز قَدْ عظّمه واعتقد فيه لمّا امتنع من ولاية قضاء[٥] القضاة ، فإنّه حُمِلَ

(١) (س) : « إثارات الزمع » . والزمع : المضاء في الأمر والعزم عليه . والزميع : الشجاع المقدام . ورجل رفيع الرأي : جيّده .

(٢) (س) : « مسرّة » .

(٣) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٤) (س) : « رؤوسهم » ، وفي الوافي : « على الرؤوس » .

(٥) (س) : « قاضي » .

إليه تقليده وتشريفه بالقضاء بعد القاضي جلال الدين القزويني في نصف شهر شوّال[١] سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وحضر إليه الأمراء والناس ، فامتنع وتغيَّر مزاجه . ثمّ إنّ أرباب الدّولة عادوا إليه ثانياً ، وأُدِّيَت إليه رسالة الأمير تنكز ، فأصرّ على الامتناع ، فأعيد التقليد إلى مصر ، وزادت عظمته عند نائب الشّام ، فولاّه خطابة القدس مُدَيدَة ، ثم إنّه تركها ، ولمّا كان بالقدس طلبه الْمَقَادِسَة ، ودخلوا عليه بسماع الحديث وخَرَجُوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمَين ، فشفع لهم وأكثر من ذلك ، فثقل أمره على النّاظر ، وشكا في الباطن إلى تنكز وقال : هذا يُدْخِلُ روحه في غير الخطابة ، ويتكلّم في الولاية والعزل ، فنقص بذلك قدره عند تنكز ثمّ إنه فيما بعد زار القدس فتعلّل هناك ، ونُقل إلى دمشق ضعيفاً ، فأقام أياماً يسيرة[٢] ، وتوفي رحمه الله في التاريخ المذكور .

١٧٦٨ ـ محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر*

قاضي القضاة نور الدين بن الصّائغ ، تَقَدَّمَ تَمام نسبه في ترجَمة ابن عمّ أبي اليسر آنفاً .

كان خيّراً ساكناً وقوراً ، سمع من أحمد بن هبة الله بن عساكر .

ولاّه الفخري في نوبة الناصر أحمد قضاء العساكر بدمشق ، وتوجّه مع العسكر إلى القاهرة ، ثمّ إنّه عُزِلَ بعد ذلك ، وبقيَ على تدريس الدّمَاغيّة إلى أن تولّى قضاء القضاة بحلب بعد القاضي بدر الدين بن الخشّاب[٣] سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ولم يزل بحلب إلى أن توفي رحمه الله في شوّال سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

---

(١) (س) : « شهر شوّال » .

(٢) (س) : « يسيرة بدمشق » .

* الوافي : ٢٣٢/١ ، والدرر : ٢٢٦/٤ ، وذيول العبر : ٢٧٢ .

(٣) محمد بن يحيى بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

ومَولده سنة ست وسبعين وست مئة[١] .

وباشرَ القضاء بحلب جيداً وأحبّه أهلها لحسْن سيرته .

١٧٦٩ ـ محمد بن محمد بن محمد*

الإمام المحدّث صدر الدين الورّاق البغدادي المصري .

قدم دمشق طالب حديث سنة أربع عشرة وسَبع مئة ، وسَمع من القاضي والصّدر ابن مكتومٍ وطائفة .

وكان ذا حظ حُلْو وخُلُق حسن .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده بعد التسعين وست مئة .

١٧٧٠ ـ محمد بن محمد بن محمد بن محمود**

المحدّث تقيّ الدين البخاري الدمشقي الحنفي ابن خطيب الزنجيليّة جلال الدين .

حفظ القرآن واشتغل في النافع ، وسمع كثيراً ونسخ أجزاءً وكتاب (الكاشف)[٢] . وكتب الطباق وَسَمع ابن سَعد والبهاء بن عساكر وعدّة ، وأخَذ عن شيخنا الذهبي .

---

(١) في الأصل : « وسبع مئة » ، سهو .

* الوافي : ٢٨٩/١ ، والدرر : ٢٣٦/٤ .

** الدرر : ٢٣١/٤ .

(٢) الكاشف في أسماء الرجال للذهبي ، وهو مختصر في رجال الكتب الستّة الصحيحين ، والسنن الأربع . الكشف : ١٣٦٨/٢ .

وتوفّي رحمه الله تعالى في أواخر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومَولده سَنَة ست وسبع مئة .

١٧٧١ ـ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

ابن عبد الله بن محمد بن يحيي ، الشيخ سَعد الدين أبو سَعد ، ابن الفقيه أبي عمرو بن الحافظ أبي بكر بن سيّد النّاس اليعمري أخو الحافظ فتح الدين .

سَمع من ابن الأنماطي ، ومن العزّ الحرّاني ، وابن خطيب المزّة ، وغازي الحلاوي ، وشامية بنت البكري ، وجَماعة .

وحدّث . وكان له نظمٌ . وجلس مع الشهود .

توفي رحمه الله تعالى في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سَنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة سبعين وست مئة .

١٧٧٢ ـ محمد بن محمد بن محمد**

ابن أحمد بن عبد الله بن محمّد بن يحي بن سيّد النّاس ، الشيخ الإمام ، العالم ، العلاّمة ، الحافظ ، البارع ، الأوحد ، مجموع الفضائل ، الكاتب ، الناظم ، الناثر ، الأديب فتح الدين أبو الفتح ابن الإمام الفقيه أبي عمر وابن الإمام الحافظ الخطيب أبي بكر اليَعمري الأندلسي الإشبيلي ثمّ المصري .

أجاز له في سنة مولده النّجيب عبد اللّطيف الحرّاني ، وحضر على الشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، وطلبَ بنفسه في سنة خمس وثمانين ، وقرأ على الشّيوخ ، فسمع من قطب الدين بن القَسْطلاني ، وغازي الحلاوي ، وابن الأنماطي ،

* الدرر : ٢١٣/٤ ، والبدائع : ٤٦٩/١/١ ، والشذرات : ١٠٨/٦ .

** الوافي : ٢٨٩/١ ، وفوات الوفيات : ٢٨٧/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٩/١٤ ، والدرر : ٢٠٨/٤ .

وابن خطيب المـزّة ، وابن ترجم[١] ، وابن الخيمي ، وابن الفـارض ، والعـزّ الحرّاني ، وشاميّة بنت البكري ، والفخر بن المَليجي[٢] وغيرهم .

ورحل إلى الإسكندرية وسمع من شيوخهـا ، ورحل إلى دمشق سنـة تسعين وست مئة وسمع من بعض أصحاب الكندي وابن الحرستاني وابن ملاعب .

نقلت من خط شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وتَنَزّل في الأخذ إلى أصحاب سبـط السّلفي ، ثمّ[٣] أصحاب الرشيد العطار قال : وكاد يدرك الفخر بن البخـاري[٤] ففـاتـه بليلتين ، ولعلّ مشيخته يقـاربون الألف ونسخ بخطـه ، واختـار وانتقى شيئـاً كثيراً ، ولازمَ الشهادة مدّة ، قال : جالسته مرّات و [بت][٥] معه ليلة ، وسمعت بقراءتـه على الرضي النحوي[٦] . وكان طيّبَ الأخلاق بسّاماً ، صاحب دعابة ولعب ، وكان صـدوقـاً في الحديث ، حجـةً فيما ينقلـه ، لَـهُ بَصَرٌ نـافـذٌ في الفنّ ، وخبرة بـالرّجـال وطبقـاتهم ، ومعرفةٌ في الاختلاف ، ويدٌ طولى في [علم][٧] اللسان ، ومحاسنةُ جمّة . انتهى .

ونقلت من خط شيخنا البرزالي قال : كان أحدَ الأعيَان معرفـةً وإتقـانـاً وحِفْظـاً وضبطاً للحديث وتفهماً في عِلَله وأسانيده ، عالمـاً بصحيحـه وسَقيمـه ، مستحضراً للسيرة النبويّـة ، لـه حـظّ من العربيـة ، جيّـدَ الضبـط حَسَنَ التصنيف ، صحيـحَ العقيـدة ، صحيح القراءة ، مع الشُّرعـة التّـامـة ، حَسَن الأخلاق ، جميل الهيئـة ، كثير التّواضع ،

---

(١) محمد بن إبراهيم بن ترجم المازني المصري (ت ٦٩٢ هـ) ، العبر : ٣٧٧/٥ .

(٢) إسماعيل بن هبة الله بن علي (ت ٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٣/٥ .

(٣) (س) : « ثمّ إلى » .

(٤) في الوافي : « الفخاري » ، تحريف .

(٥) زيادة من (س) ، (ط) ، والوافي ، والدرر .

(٦) في الأصل و (ط) : « البرهان » ، ولا يصحّ ، وأثبتنا مـا في (س) والوافي . والرضي هـذا هو الرضي الشاطبي ، محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٨٤ هـ) . غاية النهاية : ٢١٣/٢ .

(٧) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

طارحاً للتكلّف ، طيّب المجالسَة ، حلوَ المعاشَرة ، خفيفَ الرّوح ، ظريفاً كيّساً متودّداً إلى النـاس ، لـه الشعر الرائـق والنثر[١] الفـائـق وَالتَرسُّـل البـديـع . وكان محبّاً لطلبـة الحـديث ، وصنّف سيرةً نبـويّـة لخّصَ فيهـا (سيرة ابن هشـام) وشرع في شرح (الترمذيّ) ، عمل منه إلى الصّلاة ، جمع فيه فأوعى ، وله القصائد النبويّـة الفـائقـة ، ولم يخلف في مجموعه مثله ، انتهى .

وقال كمال الدين الأدفويّ في تـاريخـه (البـدر السّـافر) : ولازم الإمـام أبـا الفتح محمّد بن عليّ بن وهب القشيري ، وتخرّج بـه[٢] ، وقرأ عليـه في أصول الفقـه وحفـظ (التنبيه) في مـذهب الشّـافعي ، وقرأ (المفصّل) في النحو على الشيخ بهاء الـدين بن النحاس ، وبرع في الحديث والأدب ، وكتب الخَطّ الحسن بالمغربي والمصري ، وحدّث ، وسمع منـه جمـع كثير من الشـاميين والمصريين وغيرهم ، وصنّف في السّير كتـابـه المسمّى (عيون الأثر) وهو كتاب جيّد في بابه ، وشرع بشرح (الترمـذي) وَلو اقتصر فيـه على فن الحَديث من الكلام على الأسانيد لكمُل تصنيفه وتمّ ترصيفه وكان يفيد ، ولكنّه قصد أن يتّبع شيخه الإمام ابن دقيق العيد ، فوقف دون ما يريد . انتهى .

قلتُ :

وعـاجـوا فـأثنـوا بـالـذي أنت أهْلُـه ... ولـو سكتـوا أثنت عليـك الحقـائـب

كان شيخنا المذكور حافظاً بارعاً ، متوقّلاً هضبات الأدَب فارعاً ، متفنّناً بليغاً في إنشائه ، ناظماً ناثراً مترسّلاً ، لم يضمّ الزّمان مثله في أحشـائـه ، خَطُّـه أبهج من حـدائق الأزهَار ، وأنَقُ من صفحات الخدود المطرّزِ وَرْدها بآسِ العذار ، حسن المحـاورة مـأمون المجاوَرَة ، لطيف العبَارة ، طريف الشارَة والإشارة ، فصيح الألفاظ ، نسي الناس ذكرَ قسّ سـوق عكاظ ، كامـل الأدوات ، جيّـد الفكرة في الغـوص على درر المعـاني

(١) (س) : « والنظم » ، ولا تستقيم .
(٢) (س) : « عليه » .

والأدبيّات ، صحيح الذهن ، يشرق نورُه ، مَليح الفهم ، كأنّه الصبح إذا ملأ الأفق سُفُورُه ، لا تُمَلُّ محاضرتُه ولا تُذَمّ مُعَاشرته ، أَدَبُه غضّ ، والإمتاع بأنسه نضٌّ ، كريم الأخلاق ، زكي الأعراق ، كثير الحياء والاحتمال ، قَلَّما جُرح من إنسَان إلاّ وكان سريع الاندمَال .

إن كتبَ فما ابن مقلة عنده إنسَان ، ولا ابن البوّاب إلاّ واقف على بابه بعصا القلم يَسْأَلُهُ الإحسَان ، ولا ابن العديم إلاّ له وزير ، ولا الوليّ العجميّ إلاّ وليٌّ له ونصير .

وإن نثر فالعمَاد مائل عن طريقه ، وابن الأثير لا يضرب المثل إلاّ في تحقيقِه وتحريره .

وإن نظمَ فابنُ النبيه خامل ، وابن الذَّرَوي[(١)] في الحضيض هامل ، والجزار مَا حَلَت قِيَمُه حَلا قِيَمِه ، ولا جوّد تعاطي تقاطيفه[(٢)] ، والسّراج مَا نوَّر بل نوّص في شعره وسوّد حائط تواليفه .

صحبته مدّة فلم أرَ معه من الزمان[(٣)] شدة ونمت معه ليالي ، وخالطته أيّاماً ، ورعيت من حسن ودّه أراكاً وبريراً وبَشَاماً[(٤)] :

لــه هَــزَّةٌ منْ أريحيّــةِ نَفْسِــهِ   تكاد لهـا الأرض الجـديبـةُ تُعْشِبُ
تجـاوزَ غـايـاتِ العقـول مـواهبـا   تكاد لَهـا لـولاَ العَيـان تكـذّب[(٥)]
خـلائـق لـو يلقى زيسادٌ مثـالَهَـا   إذاً لم يقل: «أيّ الرجال المهذّبُ»[(٦)]

(١) علي بن يحيى ، شاعر مجيد ، (ت ٥٧٧ هـ) ، فوات الوفيات : ١١٣/٣ .
(٢) هي مختارات شعر الجزار التي صنعها المؤلف .
(٣) في الأصل : « الرمان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٤) البرير : هو الأوّل من ثمر الأراك . والبشام : شجرٌ عطر الرائحة ورقُه يسوّد الشعر ، ويستاك بقضبه .
(٥) في الوافي : « مواهب » .
(٦) البيت بتمامه :

فلست بمستبق أخـاً لا تلمُّـه   على شعثٍ أي الرجـال المهـذب

=

عجبت لـه لم يَـزْهُ تيهـاً بنفسـه ونحن بـه نختـال تِيهـاً ونعجب[١]

ولم يزل عَلى حالـه إلى أن انضم على[٢] فتح الـدين قبره وعُـدم من كل أحـد عليـه صَبْره .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم السبت حادي عشر شهر شعبـان[٣] سَنـة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن يوم الأحد بالقرافة جوار ابن أبي جَمْرَة وابن عطا قبالةَ خانقاه بكتمر السّاقي ، وشَيَّعَهُ خلقٌ كثير من القضاة والأمراء والفقهاء والجند والعَوام ، وتقـدّم للصلاة عليه قاضي القضاة جلال الـدين القزويني . وتَعَجَّب السلطـان الملـك النـاصر محمـد من جنازته الحَفلة ، وسأل عنه فعُرِّف بحاله ، فقال : هـذا رجل جليل[٤] القـدر مـا نعطي وظائفه إلاّ لمن يكون مِثْلَه .

ومولده في العشر الأوّل من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وست مئة .

وكان من بيت رئاسة وعلم ، كان ابن عَمّه أخيراً في زمانه قائداً حاجباً بـإشبيليـة . وكان عنـد الشيخ فتح الـدين رحمـه الله تعـالى كتبٌ كثيرة وأصـول جيـدة (كمصنّف) [ابن أبي شيبـة ، و (مسنـده) ، و (جـامـع) عبـد الرزاق ، و (المحلى) ، و (التمهيـد) ، و (الاستيعـاب) ، و (الاستـذكار) ، و (تـاريخ)][٥] الخطيب ،

= وهو للنابغة ، وقد عناه المصنّف في قوله : « زياد » .
انظر : ديوان النابغة الذبياني : ٥٣ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي : ١٢٥/٢ .

(١) في الأصل : « إن يزه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الأصل و (ط) : « من » ، واثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « شوال » سهو .

(٤) (س) : « كبير » .

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

و (التاريخ المظفّري) ، و (تاريخ ابن أبي خيثمة) و (مسند البزار)[(١)] و (معاجم)[(٢)] الطبراني . وكان قد تفرّد في وقته بالحديث في الديار المصريّة .

أخبرني من لفظه القاضي الرئيس عماد الدين بن القيسَراني قال : كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد إذا حضرنا دَرْسَه وجاء ذكر أحد من الصحابة أو أحد من رجال الحديث قال : أيش ترجَمة هذا ياأبا الفتح ، فيأخذ فتح الدين في الكلام ويسرد والناس[(٣)] سكوت ، والشيخ مُصْغٍ إلى ما يقوله . انتهى .

وكان صحيح القراءة سريعها ، لم أسمع أفصحَ منه ولا أسرع . وأما خطّه فكان يكتب المصحف في جمعة واحدة ، ويكتب (سيرته) وهي مجلدان كبيران في عشرين يوماً ، وأظنّه قال لي : لم أكتب على أحد ، ولم يرَ أحدٌ أحلى من خطه ولا أظرف . وقال لي : لم يكن لي في العروض شيخ ، ونظرت فيه جمعَة فوضعت فيه مصنّفاً ، ورأيت أنا هذا المصنّف .

وصنّف (عيون الأثر[(٤)] في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر) سمعت بعضه من لفظه ، واختصَر ذلك وسمّاه (نور العيون)[(٥)] وهو عندي بخطّه ، وَسَمعته من لفظه ، و (تحصيل الإصابة في تفضيل الصّحابة) وسمعته من لفظه وملكته بخطّه ، (والنفح الشذيّ في شرح الترمذي) ، ولم يَكْمُل ، وكان قد سمّاه (العَرْف الشذيّ) ، فلما اجتمعت به قلت له : سمّه (النفح الشذي) ليقابل الشرح بالنفح ، فسمّاه بذلك ، وكتاب (بشرى اللبيب بذكرى[(٦)] الحبيب) وقرأته عليه بلفظه مشروحاً ، و (منح

(١) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢ هـ) . الكشف : ١٦٨٢/٢ .

(٢) في الأصل و (ط) : « و معجم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . ومعاجم الطبراني ثلاثة مشهورة .

(٣) (س) والوافي : « والناس كلّهم » .

(٤) (س) والوافي : « عيون الستر » ، وما أثبتناه يوافق ما في الكشف : ١١٨٣/٢ ، وهو مطبوع .

(٥) تمامه : في تلخيص سيرة الأمين المأمون . انظر : الكشف : ١١٨٣/٢ .

(٦) في الأصل : « بذكر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

المِدَح) . وسمعته من[١] لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزّبعرى ، و (المقامات العليّة في كرامات الصّحابة)[٢] ، وسمعت قصيدتها الميميّة من لفظه .

وكان بيده من الوظائف مشيخة الظاهريّة ومدرسة أبي حليقة على بركة الفيل ، ومسجد الرصد ، وخطابة جامع الخندق ، وكانت له رِزَقٌ في الديار المصريّة ، وَرَاتبه[٣] في صفد ، وما رأيت أحداً محظوظاً مثله ، ما رآه أحد إلاّ أحبّه وعظّمه . كان الأمير علمُ الدين الدواداري يحبّه ويلازمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده ، ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد امتدحه بقصيدة ، وقال : أحضرت[٤] لك هذا وهو كبير من أهل العلم ، فلم يَدعْهُ السلطان يبوسُ الأرض ، وأجلسه معه على الطّراحة ، وهل قام له أوّلا ، أنا[٥] في شك من ذلك ، ولمّا رأى خَطّه وسمع لفظه قال : هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء ، فرتّبه في ديوان[٦] الموقعيّن ، فرأى الشيخ فتح الدين الملازَمة ولُبْسَ الخفّ والمهماز صَعباً عليه ، فسأل الإعفاء من ذلك ، فقال السلطان : إذا كان لا بدّ من ذلك فيكون هذا المعلوم يتناوله على سبيل الراتب ، فرّتب له إلى أن مَات رحمه الله تعالى .

وكان الكمالي ينام معه في قرظيّة النوم ، وكان كريم الدين الكبير يميل إليه كثيراً ويودّه ، ويقضي أشغال الناس عنده ، وهو الذي ساعده على عمل المحضر وإثباته بعداوة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

---

(١) في الأصل : « وسمعت ومن » ، وأثبتنا ما في (س) و (ط) والوافي ، وهو الأولى .

(٢) اسمه كما في الكشف والدرر : « المقامات العلية في الكرامات الجلية » . انظر : الكشف : ١٧٨٦/٢ .

(٣) في الأصل : « ورأيته » ، تحريف . وفي (س) و (ط) والوافي : « وراتب » .

(٤) (س) : « قد أحضرت » .

(٥) (س) : « وأنا » .

(٦) في (س) والوافي : « في جملة » .

سَمع[١] (صحيح البخاري) بقراءته على الحَجّار ، وتعصّب لـه الأمير سيف الـدين أرغـون النـائب وخَلّص لـه مشيخـة الحـديث بـالظـاهريّـة ، ولم أعرف أحـداً من أمراء الدولة[٢] إلاّ وهو يحبّه ويصحبـه ويميل إليـه ويجتمع بـه ، وإنّما كان الأمير سيف الـدين ألجاي الدوادار والقاضي فخر الدين ناظر الجيش منحرفين عنه قليلاً ، وكذلـك القـاضي شهاب الدين أحمد بن فضل [الله][٣] كان منحرفاً عنه .

وأقمت عنده بالظاهريّة قريباً من سنتين فكنت أراه في كثير من الأوقات يصلّي في كلّ صَلاة مرّات كثيرة ، وسألتـه يومـاً عن ذلـك فقـال لي : إنّـه خطر لي يومـاً أن أصلّي كلّ صلاة مرتين ففعلت ذلك زمـانـاً فخف عليّ ، فخطر لي[٤] أن أصلي كلّ صلاة ثلاث مرات ففعلت ذلـك زمـانـاً وخفّ عليّ ، فخطر لي أن أصليّ كلّ صلاة أربع مرّات ففعلت ذلك زماناً وخفّ علي ، وأنسيت هل قالَ لي : خمس مرّات أو لاَ .

وكان صحيح العقيدة ، جيّد الـذّهن ، يفهم بـه النكت العقليّـة ويسـارع إليهـا ، ولكنه جَمَّدَ ذهنه لاقتصاره به على النّقل ، ولو كان اشتغاله على قدر ذهنـه بلغ الغـايـة القصوى ، ولكن كان عنده لعبٌ ، على أنّه ما خلّف مثله . وكان النّظم عليه بلا كُلْفة ، يكاد لا يتكلّم إلاّ بالوزن . وفيه قلت أنا :

لي صَـاحبٌ يَتمنّى لي الرّضَـا أَبـداً ... كأنّما يختشي صَـدّي وهِجْرَاني
ويَغْلب النّظم ألفـاظـاً يَفـوهُ بِهـا ... فما يُكلّمني إلاّ بِمْيزَانِ

وكتبت له استدعاء بإجازته لي ، ونسختُه بعد الْحَمْدَلَة والصّلاة .

« المسؤولُ من إحسَان سيّدنـا الشيخ الإمـام العـالم العلاّمـة المتْقن الحـافـظ رحلـة

(١) في (س) ، والوافي : « وسمع » .
(٢) في الأصل الظاهرية ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٣) زيادة من (س) والوافي .
(٤) عبارة (س) والوافي : « ذلك زماناً ثم خطر لي » .

المحدثين ، قبلةِ المتأدبين ، جامع أشتات الفضائل ، حاوي محاسن الأوائل والأواخر :

حَافِظ السنَّة حِفْظاً لاَ تَرى مَعَهُ أنْ يُعمِل النّاسُ الأَسنّه
مَركزُ الدائِر مِنْ أَهْلِ النُّهى فَإلى مَا قَدْ حَوى تُثْنَى الأَعنّه

بديع زَمانه ، نادِرَة أوَانه ، ضابط الأنساب على اختلافها ، فهو السيل المتحدّر لا ابنُ نقطة ، ناقل العلم الشريف عن سَلَفِه الذي وافق على المراد شَرْطَه ، سَاحب ذيل الفخر الذي لو بلغَ السَمعاني[1] جعله في الحُليَة قرطَه ، صاحب النقل الذي إذا[2] أتى رأيت البحر بأمواجه منه يلتطم ، والعبَارة تستبق في مضمار لَهَواتِه فتزداد وتزدحم ، الذي إذا[3] ترسَّل نقصَت عنده ألفاظ الفاضل ، وعجز عن مفاوضته ومعارضته كلُّ مناظر ومناضل ، أو نظم ثبت الجوهر الفرد خلافاً للنّظام فيما زَعم ، وَتخطّى بما بيديه فرق الفرقدين ، وتَرْضى النجوم بما حكم ، أَوْ أورَد ممّا قد سمع واقعة مات التاريخ في جِلْده ، وَوقف سيفُ حاكٍ[4] عند حدّه ، أو استمدّ قلماً كف بصره عنه ابن مقْلَه ، وَوَقَفَ ابن البّواب بخدمته يطلب من فَضْلِه فُضْلَهُ[5] ، فهو الّذي تطير أقلامُه إلى اقتناص شوارد المَعَاني فتكون من أنامله ﴿ أُوْلِي أجنحةٍ مَثْنَى وثلاث ﴾[6] ، وتَنْبَعث فكرته في طلب[7] السُّنَّةِ النبويّة وما يكره الله هذا الانبعاث ، وتَبرزُ مخبّآت المعاني بنظمه ومن السّحر إظهارُ الخَبايَا ، وَيعقِد الألسنة عن معارضتهِ ، وعَقْدُ الّلسان لا يكون بغير السّحر في البرايَا ، وَيستنزل كواكب الفصاحة من سمائِها بغير رَصَد ، ويأتي بألفاظه العذبَةِ ، وَنورها للشمس وفُحُولتها للأَسَد ، ويحلّ من بيت سيادته بيتاً

(١) عبد الكريم بن محمد صاحب كتاب الأنساب (ت ٥٦٢ هـ) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) (س) والوافي : « إنّ » .
(٤) في الأصل و (س) و (ط) : « حال » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٥) في الأصل : « فصلة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٦) اقتباس من سورة النساء : ٣/٤ .
(٧) (س) والوافي : « خدمة » .

عمودُه الصّبح وَطُنُبه[١] الْمَجرّة ، ويتوقّل هَضَبات المنابر ، ويَسْتَجِنّ حَشَا الْمَحاريب ويَطأ بطونَ الأسِرّة ، فتح الدين محمّد بن سيّد النّاس :

لا زَال رَوضُ العِلمِ مِنْ فَضْلِهِ ... أَنْفَاسُه طيِّبةُ النَّفْحِ
وكابداً نظماً إلى نَظْمِه ... أبدى سَحاباً دائمَ السحِّ[٢]
وَكيفما حَاوَلَهُ طَالبٌ ... في الْعِلْمِ لاَ يَنْفَكُّ ذَا نُجْحِ
وَإنْ غَدا بابُ النُّهى مُقْفَلاً ... في النَّاس نَادَوا يَا أَبَا الْفَتْحِ

إجازة[٣] كاتِبُ هذه الأحرف جميع ما رَوَاهُ من أنواع العلوم ، وَمَا حملهُ من تفسير لكتاب الله أو سُنّة عن رسول الله ﷺ ، أو أثر عن الصّحابة والتّابعين رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم إلى عصرنا هذا بسماعٍ من شيوخه أو بقراءة من لفظه ، أو سماع بقراءة غيره ، أو بطريق الإجازة خاصة كانت أو عامة أو بإذنٍ أو مُناوَلة أو وصيّة كيفَما تَأَدّى ذلك إليه ، إلى غير ذلك من كتب الأدب وغيرها ، وإجازةُ ما له من مقولٍ نظماً ونثراً وَتأليفاً وجمعاً في سائر العلوم ، وإثبات ذلك بأجمعه[٤] إلى هذا التاريخ بخطّه إجازةً خاصّة ، وإجازةُ ما لَعلّه يتّفق له بعد ذلك من هذه الأنواع ، فإنّ الرياض لا ينقطعُ زَهْرُها والبحارَ لا تنفد دررها إجازة عامة على أحد الرأيين عند من يجوّزه .

وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

فكتب هو الجواب رحمه الله تعالى :

« بعد حمدِ الله المجيب مَن دَعَاه ، القريبِ ممّن نادى نَداه ، الذي ابْتَعثَ محمّداً بأنواره السّاطعة وهداهُ ، وَأيّدَه بصحبهِ الذين حَمَوْا حماه ، ونَصروه على مَنْ عاداه ،

(١) في الأصل و (س) و (ط) : « وطينه » ، وأثبتنا ما في الوافي . والطنب : الحبال للخيمة .
(٢) في الأصل و (ط) : « سجايا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) خبر للمبتدأ « المسؤول » في أوّل الاستدعاء .
(٤) (س) : « ذلك جميعه » .

وحزبَه الذين رَوَوْا سُنَّته وَرَوَّوْا أسنتهم من عِداه ، وشَفَوا بإيراد مناهلـه مَنْ كانَ يشكو صَداهُ ، وأجابوه لّما دعاهم لِمَا يُحْييهم إجابَـة الصّارخ صَـداه ، صلى الله عليـه وعلى آلـه وصحبه صلاة تُبَلّغهم من الشرف الرّفيع غاية مَداه ، وسلَّم عليـه وعليهم تسليماً يُسَوّغهم مشرع الرضوان عذباً ريّه[١] ، سهْلاً منتداه .

فلمّا كتبت أيّها الصّدر الذي يشرح الصّدور شفـاء ، والبـدر الـذي يَبْهَر العقول[٢] سنـاً وسنـاءً ، والحبر الـذي غـدا في التماس أزهـار الأدب راغبـاً ، ولاقتبـاس أنـوار العلم طالباً ، فحصل على اقتناء فرائِدها واقتناص شَوارِدهَا ، وأُلفي[٣] عقْلُه عقالَ أوابـدهـا ، ومجال مَصَائدها ، ومطار مطارِدهَا ، بما أَوْدَعت الألمعيّـة من المعَـاني الْمُبْتـدعَـة ذهنـه ، واستعادته[٤] على لسَان قلمه وقد ألبسته[٥] الفصاحة من حسن تلك الفطنة :

زَهَرُ الآدابِ مِنْـــــــــــه يُجْتَنى ... حَسَنُ الإبْــداعِ مَـا أبْـدَعَ حُسْنَـــه
بـــــــــارعٌ في كِـــــــلّ فَنٍّ فَمَتَى ... قَالَ: قَـالَ النّـاس: مَـا أَبْدَعَ فَنَّـه[٦]
وَمَتى مَــا فَــاهَ فَــاضَ السِّحْرُ عَنْ ... غَــامِضِ الأفْكارِ مِنْـــهُ المرجَحنّـــه

فالآداب ، حرسه الله تعـالى ، ريـاضٌ هو مجتني غروسهـا وسماءٌ هو مجتلي أقمـارهـا وشموسها ، وبحر استقرت لديه جواهره[٧] وسحر حلال لم تنفث في عصره إلا[٨] عن قلمـه سواحرُه ، فَلَـهُ في فنّي النظم والنثر حَمْلُ الرايتين وسَبْقُ الغـايتين ، وحـوز البراعتين ،

---

(١) في الأصل : « رديّه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) في الوافي : « البدور » .
(٣) في الأصل و (ط) : « وألقى » ، وفي الوافي : « وألفى » .
(٤) في الأصل و (ط) : « واستفادته » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في الأصل : « ألبسه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٦) (س) ، (ط) والوافي : « ما أبرع » .
(٧) في الأصل : « جوهرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٨) ليست في (س) .

وسرّ الصناعتين ، وهو مَجْمع البحرين ، فما طلٌّ الغمامة ؟، وله النظر[١] الثاقب في دقائقها ، فَمَنْ زَرْقاء اليمامة ، إن سام نظماً فَمَنْ شاعر تِهامَه ؟، وإن شاء إنشاء فله التقدّم على قُدامَه[٢] ، فإن وشّى طِرساً فما ابن هلالٍ إلاّ كالقُلامَة = أن أجيز لك ما عندي فكأنّما ألزمتني أن أتجاوز حَدّي ، لولا أنّ الإقرار بأنّ الرّواية عن الأقران نهج مَهْيَعْ ، والاعتراف بأن للكبير من بحر الصغير الاعتراف وإن لم يكن مَشْرَعه ذلك الْمَشْرَع . فنَعَم قد أجزت لك ما رويتُه من أنواع العلوم ومَا حملتُهُ على الشرط المعروف والعُرف الْمَعْلوم ، وَمَا تضمنّه الاستدعاء الرقيم بخطّك الكريم مما اقتدحه زندي الشَّحَاح[٣] وجادت به لي السجايا الشِّحاح من فنون الأدب التي باعُكَ فيهَا من باعي أَمَدّ ، وسَهْمك في مَراميهَا مِنْ سَهمي أسَدّ . وأذنت لك في إصلاح مَا تَعْثُر عليه من الزّلل والوهم وَالخَلل الصادر عن غَفْلة اعترت النقل ، أَوْ وَهلة اعترضت الفَهْم ، فيما صدر عن قريحتي القريحَة من النثر والنّظم ، وفيما تراه من استبدال لفظ بغيره مّما لعله أنجى من المرهوب ، أَوْ أَنْجَع في نيل المطْلُوب ؛ أو أجرى في سَنَن الفصاحة عَلى الأسلوب ، وقد أجزتُ لك إجازة خاصة ، يرى جَوَازهَا بعضُ مَنْ لا يرى جواز الإجَازة العامّة ، أن تروي عنّي مَا ليَ مِن تصنيف أبقيته [في أي معنىً انتقيته][٤] فمن ذلك ... وذكر رحَمه الله تعالى ههنا مَالَهُ من التّصَانيف ، وقد ذكرتها آنفاً . وقد أجزت لك أيّدك الله جَميع ذلك بشرط التّحري فيمَا هنَالك ، تبركاً بالدّخول في هذه الْحَلْبَة ، وتمسّكاً باقتفاء السَّلف في ارتقاءِ هذه الرُّتْبَة ، وإقبالاً من نشر السُّنَّة على مَا هوَ أُمنية المتمنّي ، وامتثالاً لقوله عليه أفضل الصّلاة والسّلام : « بلّغوا عنّي »[٥] فقد أخبرنا أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم بن عليّ الحرّاني رَحمه الله تعالى بقراءة وَالدي عليه وأنا أسمع

(١) (س) : « النظم » .
(٢) قدامة بن جعفر ، صاحب كتاب نقد الشعر .
(٣) زند شحاح : لا يوري .
(٤) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .
(٥) انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٢٦/١ .

سَنَة ست وسَبعين وست مئـة ، قـال : أخبرنـا أبو علي بن [أبي] القـاسم البغـدادي[(١)] قراءةً عليـه وأنـا أسمع منـه[(٢)] سَنـة ست مئـة[(٣)] ، وقَبْل ذلـك سَنـة تسع وتسعين وخمس مئـة ، وأنـا محضر في الخـامسَـة ، قـال : أخبرنــا القــاضي أبـو بكر الأنصــاري قــاضي المارستان[(٤)] سماعاً عليه سنة أربع وعشرين وخمس مئة : قال : أخبرنا الحـافـظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب[(٥)] في سنة ست وأربعين وأربع مئة[(٦)] ، أخبرنا أبو محمّد الْحَسَن بن علي بن أحمـد بن يَسَـار[(٧)] السَـابوري بـالبصرة ، حـدثنـا أبو بكر محمـد بن أحمـد بن محمـويــه العسكري حــدثنــا محمّــد بن إبراهيم بن كثير الصـوري ، حــدثنــا الفريابي[(٨)] ، عن ابن ثوبان[(٩)] ، عن حسّان بن عطيّة[(١٠)] ، عن أبي كبشـة السَلولي ، عن عبد الله بن عمرو بن العـاص ، قـال : قـال رسُول الله ﷺ : « بلّغوا عني ولو آيـة وحَدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومَنْ كَذَبَ عليّ متَعمِّداً فليتبوأ مَقْعَدَهُ من النار » .

أبو كبشة[(١١)] تابعيّ ثقة ، والصّحيح أنّه لا يُعْرَفُ اسمُه .

ومولدي في رابع عشر ذي القعدة سنة إحـدى وسَبعين وست مئـة بـالقـاهرة ، وفي

---

(١) أحمـد بن علي بن الحُرَيْف البغـدادي ، ضيــاء بن أبي القــاسم (ت ٦٠٢ هـ) ، العبر : ٥/٥ ، ومــا بين حاصرتين زيادة من الوافي والعبر .

(٢) ليست في (س) ، (ط) والوافي .

(٣) في الأصل : « سنة ست وسبعين وست مئة » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٤) محمد بن عبد الباقي بن محمّد (ت ٥٣٥ هـ) السير : ٢٣/٢٠ .

(٥) (ت ٤٦٣ هـ) ، السير : ٢٧٠/١٨ .

(٦) في الوافي : زيادة : « قال » .

(٧) (س) ، (ط) والوافي : « بشار » .

(٨) في الأصل : « الفرياني » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو محمّد بن يوسف بن واقـد (ت ٢١٢ هـ) . السير : ١١٤/١٠ .

(٩) محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان العامري . الوافي : ٢٢١/٣ .

(١٠) حسان بن عطية الدمشقي (ت نحو ١٣٠ هـ) ، الوافي : ٣٦٣/١١ .

(١١) في (س) ، (ط) زيادة : « السلولي » .

هذه السنة أجاز لي الشيخ الْمُسْنَد نجيب الدين أبو الْفَرج عبد اللّطيف بن عبد المنعم الْحَرَّاني ، وكانَ أبي رحمه الله يخبرني أنه كَنَاني ، وأجلسني في حجره ، وكان يسأله عني بَعد ذلك . وأجاز لي بعده جماعةٌ .

ثمّ في سَنة خمس وسَبعين حَضرت مجلس سماع الحديث عِنْدَ جماعة من الأعيَان ، منهم الحبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي ، وأثبت اسمي في الطباق حاضراً في الرابعة .

ثمّ في سنة خمس وثمانين كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني رحمه الله بخطّي ، وقرأتُ عليه بلفْظي ، وعلى الشيوخ من أصحاب المسنِد أبي حفص بن طبرزد والعلاّمة أبي اليُمن الكِنْدي والقاضي أبي القاسم الحرستاني والصّوفي أبي عبد الله بن البنّا وأبي الْحَسَن بن البنّا ، وغيرهم بمصر والإسكندرية والشام والحجاز وغَير ذلك .

وأجاز لي جماعة من الرّواة بالحجاز والعراق والشّام وإفريقيّة والأندلس وغيرهم يطول ذكرهم .

وحبّذا ، أيّدك الله ، اختيارك من طلب الحديث الدرجة العالية ، وإيثارك أنْ تكون مع الفرقة الناجية ، لا الفرقة التاويَة[1] ، فقد أخبرنا الشيخان أبو محمد عبد اللطيف وعبد العزيز ابنا الشيخ أبي محّمد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن الصَّيْقل الحرّاني ، الأول إجازة ، والثاني سماعاً قالا : أخبرنا ضياء بن الْخُرَيف ، محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو بكر الخطيب ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطير[2] اللّخمي ، حدثنا محّمد بن

(١) أي : الهالكة .

(٢) في الأصل : « مطر » ، تحريف ، ووفاته سنة (٣٦٠ هـ) ، السير : ١١٩/١٦ .

أحمد بن هاشم البعلبكي ، حدثنا عبد الملك بن الإصبع البعلبكي : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بني إسرائيل افْتَرقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كُلّها في النار إلا واحدة ، وهي الْجمَاعة[(١)] » .

وبالإسناد إلى الخطيب[(٢)] : حدثنا عبد الله بن أحمَد بن علي السوذرجاني بأصبَهان قال : سمعت عبد الله بن القاسم يقول : سمعت أحمد بن محمد بن رُوَّه يقول حدثنا إبراهيم بن محمد بن الْحَسَن قال : حُدّثت عن أحمد بن حنبل ، وذكر حديث النبي ﷺ « تفترق الأمة على نيّف وسَبعين فرقة كلّهَا في النار إلاّ فرقة واحدة[(٣)] » فقال : إن لم يكونوا أصحابَ الحديث فلا أدري مَنْ هُم .

وبه إلى أبي بكر الخطيب قال : حَدّثني محمّد بن أبي الْحَسَن قال : أخبرني أبو القاسم بن سَختويه قال : سمعت أبَا العباس أحمد بن منصور الحافظ بصُور يقول : سمعت أبا الحسن محّمد بن عبد الله بن بشر نفسا يقول : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله : مَنْ الفرقة النّاجية من ثلاث وسبعين فرقة ؟ قالَ : أنتم يا أصحاب الحديث .

وبه إلى الخطيب قال : أخبرني محّمد بن عليّ الأصبهَاني حدثنا الحسين بن محّمد بن الوليد التّستري بها . حدثنا أبو العباس أحَمد بن محّمد بن يوسف بن مسعدة إملاءً ، قال : سمعت عبد الله بن محّمد[(٤)] بن سَلاّم يقول : أنشدني عبدة بن زياد الأصبَهاني[(٥)] من قوله :

---

(١) انظر : الجامع الصغير ٤٨/١ ، وجامع الأصول .

(٢) في الوافي ، زيادة : « قال » .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) ليست في (س) .

دِيْنُ النّبي محمّـــــدٍ أَخْبــــــارُ   نِعْمَ المطيَّــــــةُ للفَتَى الآثـــــارُ
لا تُخْــدعنَّ عَنْ الحــديثِ وَأَهلــهِ   فَــالرّأيُ ليــلٌ وَالحــديثُ نَهــارُ
وَلربّما غَلَــط الفتى سُبُــلَ الهــدى   وَالشّمسُ بــازغــةٌ لهـــا أنــوارُ

وأنشدني وَالدي أبو عمرو محّد ، قـال : أنشـدني والـدي أبو بكر محّـد بن أحمـد بن عبد الله بن محّد بن يحي بن سيّـد النـاس رحمَها الله تعـالى قـال : أنشـدني الحـافـظ أبو العباس أحمـد بن محّـد بن مفرج النبـاتيّ[١] قـال : أنشـدني أبو الوليـد سَعـد السّعود بن أحمد بن هشام[٢] قال : أنشدني الحافظ أبو العبّاس أحمد بن عبـد الملـك قـال : أنشـدنـا أبو أُسَامَة يعقوب ، قال : أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم[٣] لنفسه :

مَنْ عَــذيْري مِنْ أُنـــاسٍ جَهِلــوا   ثُمّ ظَنُّــــوا أَنَّهُمْ أَهْــــلُ النَّظَرْ
رَكِبـــوا الرّأيَ عِنـــــاداً فَسَروا   في ظــلامٍ تَـــاهَ فيــــهِ مَنْ غَبَرْ
وَطَريــقُ الرّشْـــدِ نَهــجٌ مَهْيــعٌ   مِثْلَما أبصرتُ في الأُفْـــــقِ القَمَرْ
وَهُــوَ الإجمـــاع وَالنّص الّـــذي   لَيْسَ إلاّ في كِتَـــــــابٍ أَوْ أَثَرْ

والله المسؤول أن يلهمنا رشداً يدلّنا عليه ، ودلالة تهدينـا إلى مـا يُزلِفُنـا لَـدَيْـه ، وهداية يسعى نُورها بين أيدينا[٤] إذا وقفنا يوم العَرْض بين يديه بمنّـه وكرمـه إن شـاء الله تعالى .

وكنت بصفد لّما بلغتني وفاته رحمه الله تعالى :

فَلَقَــد أَلِمْتُ فَما الحِمَــامُ بِصــادحٍ   أَسَفــاً وَلا أَغْصَــانُهــا بِمَــوائسِ[٥]

(١) في الأصل : « البناتي » ، تصحيف ، وأثبتنـا مـا في (س) والوافي ، وترجم لـه المؤلف في الأحمـدين من الوافي : ٤٥/٨ ، وفيه أنه يعرف بالعشّاب ، وهو أندلسي (ت ٦٣٧ هـ) .

(٢) ويعرف بابن عفير ، فقيه ظاهري أندلسي (ت ٥٨٨ هـ) ، الوافي : ١٨٣/١٥ .

(٣) في الوافي : « خزم » ، تصحيف .

(٤) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ الحديد : ١٢/٥٧ .

(٥) (س) : « بمؤانس » ، تحريف .

قلت أرثيه رحمه الله تعالى :

مَـا بَعْـدَ فَقْـدكَ لي أُنس أُرجّيـه ... وَلا سُرورٌ مِنَ الـدُّنيَـا أُقَضّيْـه
إِنْ متُّ بَعْدَكَ مِنْ وَجْدٍ ومِنْ حَزَنٍ ... فَحقٌّ فَضْلِـكَ عِنـديْ مَنْ يُـوفّيْـه
وَمن يُعلِّمُ فيـكَ الـوُرْقَ إنْ جَهلَتْ ... نُـواحَهـا أَوْ تَنـاسَتْـهُ فَتُمْليْـه
أَمَّـا لَطَـافَـةُ أنفـاسِ النَّسيْمِ فَقَـدْ ... نَسيْتُهـا غَيْرَ لُطْفٍ كُنْتَ تُبْـديْـه
وَإِنْ تَرشّفْتُ عَـذْبَ المـاءِ أَذْكَرَني ... زُلالُـهُ خُلُقـاً قَـدْ كُنْتَ تَحْـويْـه
يَـا راحلاً فَوْقَ أَعْنـاقِ الرّجـال وَأَجْـ ... ـفَانُ الملائـك تَحتَ الْعَرشِ تَبْكيْـه
وَذاهبـاً سَـارَ لاَ يَلْويْ عَلَى أَحَـدٍ ... وَالـذّكْرُ يَنْشرهُ وَاللَّحْـدُ يَطـويْـه
ومَـاضيـاً غَفَرَ اللهُ الكَريمُ لَـهُ ... بـالُّلطْفِ حَـاضِرَهُ منـه وَبَـاديْـه
وَبـاتَ بـالْحُورِ وَالـولـدان مُشْتَغلاً ... إذا أَقبلَتْ تَتَهـادى في تَلَقّيْـه
حَتّى غَدا فِيْ جِنَانِ الْخُلْدِ مُبْتَهجاً ... وَالقَلْبُ بـالْحُزْنِ يَفْنَى في تلظّيْـه
لَهفي علَى ذَلكَ الشّخصِ الكَريمِ وَقَدْ ... دَعـاهُ نَحـوَ البلى في التّرب دَاعيْـه
وحَيْرتي فيـه لا تَقضي عليَّ وَلاَ ... تُقْضَى لَـواعِجُهـا حَتّى أَوَفّيْـه(١)
أَجزَى الأَسَى عَبَراتي كَـالْعَقيقِ وَقَـدْ ... أَصَمَّ سَمْعي وَأَصْمى القلبَ نـاعيْـه(٢)
يَا وَحْشَةَ الـدَّهْرِ في عينِ الأنـامِ فَقَـدْ ... خَلَتْ وُجـوهُ اللّيـالِيْ مِنْ مَعـانيْـه
ووَحشَةَ الـدرسِ إنْ تُنشرْ مُلاَءتُـهُ ... وَلَمْ تُطَرّزْ حَـواشِيهـا أَمَـاليْـه(٣)
يَا حَـافِظـاً ضَـاعَ نَشْرُ العِلْمِ مِنْهُ إلى ... أَنْ كَـاد يَعْرِفُـهُ مَنْ لا يُسَمّيْـه
صَانَ الرّوَايـةَ بـالإسْنـادِ فَـامْتَنَعَتْ ... ثُغورُهَا حِيْن حَـاطَتْهـا عَواليْـه
وَاسْتَضْعَفت بـارِقـاتُ الجـوِّ أَنْفُسَهـا ... فِي فَهْمِ مُشْكِلَـةٍ عَنْ أَنْ تُجـاريْـه
حَفِظْتَ سُنَّـةَ خيرِ المرسَلِيْنَ فَمَـا ... أَراكَ تُمسِيْ مُضَاعَـاً عِنْـدَ بَـاريْـه(٤)

(١) (س) ، (ط) والوافي : « أوافيه » .

(٢) في الوافي : « جرى » ، وفي (س) : « أسرى » .

(٣) في الوافي : « الدهر إن تنثر » .

(٤) في الأصل : « أراك تمشي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

لله دَرُّكَ مِنْ حَبْرٍ تبحَّر فِيْ ... عِلْمِ الحَديْثِ فَما خَابَتْ مَسَاعَيْه[١]

وَهَلْ يخيبُ مَعَاذَ اللهِ سعْيُ فَتىً ... في سُنَّةِ الْمُصْطَفَى أَفْنَى لَيالِيْه

يَكْفيه ما خَطَّهُ في الصّحْفِ مِنْ مَدْحِ النـ ... ـبيِّ يَكفيهِ هَذا الْقَدرُ يَكفيه

عِزِّ البُخاري فيْما قَدْ أُصيْبَ بهِ ... مَاتَ الّذي كانَ بينَ الناسِ يَدْريْه

كأنَّهُ مَا تحلّى سَمْعُ حَاضِرِهِ ... بلَفْظِهِ عندما يَروي لآليْه

روايةٍ زانها مِنْه بمِعْرفَةٍ ... مَا كلّ مَنْ قَامَ بيْنَ النّاسِ يَرْوِيْه

يا رحمَتَاهُ لِشَرْحِ التِّرْمِذيّ فَمَنْ ... يَضمُّ غُرْبَتَهُ فيْنَا وَيُؤْوِيْه

لَوْ كَانَ أَمْهَلَهُ داعي المنونِ إلى ... أَنْ تنتهي في أَمَاليْهِ أَمَانِيْه

لَكانَ أَهْداه رَوْضَاً كُلُّه زَهْرٌ ... أَنامِلُ الْفِكْرِ في مَغْنَاهُ تَجنيْه

مَنْ لِلْقَريْضِ فَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ أَحَداً ... سِواهُ رَقَّتْ بهِ فيْنَا حَوَاشِيْه

مَا كانَ ذَاكَ الّذيْ تَلْقَاهُ يَنظمُهُ ... شِعْراً وَلكِنَّهُ سِحْرٌ يُعَانِيْه

يَهزّ سَامِعَهُ حَتّى يخيّلُ لي ... كَأسِ الْحُمَيّا أَدَارَتْها قَوافِيْه[٢]

ومَنْ يُمِرُّ عَلى القِرْطاسِ رَاحَتَهُ ... فَيُنْبِتُ الزُهْرَ غَضّاً في نَواحِيْه

مَا كُلّ مَنْ خَطَّ في طِرْسٍ وَسَوَّدَهُ ... بالْحِبْرِ تَغْدُو بهِ بيْضَاً لَيالِيْه

وَلا تخَلْ كُلّ مَنْ في كفّهِ قَلَمٌ ... إِذا دَعَاهُ إلى مَعنىً يُلَبّيْه

هَيهَاتَ مَا كانَ فَتْحُ الدّين حينَ مَضى ... واللهِ إلاّ فَريداً في مَعَاليْه

كَم حازَ فَضْلاً يقولُ القائلونَ لَهُ ... لَوْ جَازَكَ اللّيْلُ لاَبْيضّتْ لياليه[٣]

لا تَسْأَلِ النّاسَ سَلْني عَنْ خَلائقِهِ ... لتأْخُذَ الماءَ عنّي مِنْ مَجاريْه

مَاذا أقولُ وَمَا للنّاسِ مِنْ صِفَةٍ ... محْمودةٍ قَطُّ إلاّ رُكّبَتْ فيْه

كالشّمسِ كلُّ الوَرى تَدْري مَحاسِنَها ... وَالكافُ زائدةٌ لاَ كَافُ تَشبيْه

سَقى الْغَمامُ ضَريحاً قَدْ تَضَمَّنَهُ ... صَوْباً إذا انْهَلّ لاَ تَرْقَا غَواديْه

(١) (س) ، (ط) والوافي : « لله سَعْيُك » .

(٢) في الأصل : « الحيا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٣) في (س) ، (ط) والوافي : « دياجيه » .

وَبـاكَرَتْـهُ تَحِيّـاتٌ نَـوافِحُهَـا   مِنْ الجِنـانِ تُحيِّيْـهِ فَتُحْيِيْـهِ

وكتبت إليه لمّا قدمْت إلى دمشق من القاهرة :

كَـانَ سَمْعي في [مصر] بـالْشّيْخِ فَتْـحِ الـدّين يَجني الآدَابَ وَهِيَ شَهِيَّـهْ[١]
يَـالهـا غُرْبـةً بـأرضِ دِمَشْـقٍ   أعـوَزَتْنِيْ الْفَـواكِـهَ الفَتْحِيَّـهْ

وكتبت إليه :

يَـا حَـافِظَـاً كَمْ لِرِوَايَـاتِـهِ   مِنْ جَنَّـةٍ فِي بَطْنِ قِرْطَـاسِ
وَكَم شَـذىً مِن سُنّـةِ الْمُصطَفَى   قَـدْ ضَاعَ مِنْ حِفْظِـكَ لِلنَّـاسِ

وكتبت على كتابه (بشرى اللبيب) :

بُشْرى اللّبيب لِبُـابُ النّظْمِ لِلبَشَرِ   فِيْ مَـدْحِ سَيِّـدَنـا المختـارِ مِنْ مُضَرِ
لَمّا بَدا الشّيْخُ فتحُ الدّين ينظمَـهُ   تَـأرّجَتْ نَسْمَـةُ الآصَـالِ وَالبُكَرِ
بحرٌ وَلكنّـهُ أَهْـدى الـدَّراري والـ   ـبحورُ مِنْ شَأْنِها الإتيـانُ بـالـدُّرَرِ
تَجْلـو عَلَيْـكَ مَعـانيـهِ العرائِسَ في   بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ لاَ بَيْتٍ مِنَ الْشَعَرِ

وبيني وبينه رحمه الله تعالى مكاتبات كثيرة . كتبت[٢] إليه من الرحبة وهو :

سَلُـوْا نَسْمَـةَ الـواديْ إذا هيَ هبَّت   سُحَيْراً وَهـزَّتْ في الرّبَـا كلَّ أيْكَـةِ
فَكَمْ لي في أثْنـائِهـا مِنْ رِسَـالَـةٍ   أُضَمِّنُهـا شَـوْقِي إِلَيْكُمْ وَوَحْشَتِي[٣]
وَمـا طـابَ ريـاهـا إلى أنْ تَضمّنتْ   ثَنـائِيْ عَلى عَلَيَـائِكُمْ وَتحيتِيْ
إِذَا عَانَقَتْ فِي الرّوضِ أَغْصانَ بَـانِـهِ   حَكَتْ خطراتِ الغيـدِ لَمّـا تَثَنَّت
وَإِنْ نَبهَتْ وُرْقَ الحمَـائِمِ أَعْلَنَتْ   وَأَغْنَتْ عَنِ الأوْتـارِ لَمّـا تَغَنّت

(١) الزيادة من (س) ، (ط) والوافي .
(٢) (س) : « منها ما كتبت » .
(٣) (س) : « من أثنائها » .

وَإِنْ سَحبتْ ذَيلاً بِمنْعَرجِ اللّوَى ... تَحلّ عُرى أَزْهَارِهِ حيث حَلَّت[1]
وَإِنْ صَافحتْ وَجهَ الرّياضِ فَإنّما ... تُقبّلُ مِنْ أَوْطانكُمْ كلَّ تُربَةِ
فَمنّوا بِإهداءِ السّلامِ عَلى فتىً ... تَردَّدَ مِنْهُ الرّوحُ في جِسْمِ ميّت[2]
يُقبّلُ مِنْ فَرطِ الْجَوى عَتباتِكُمْ ... وَذلكَ فرضٌ عِندَه غيرُ سُنَّةِ
وَينْشُرُ مِنْ طِيبِ الثّناءِ عَليكمُ ... محاسِنَ ينْسي نَشْرُها كلَّ رَوْضَةِ
وَيَبْكِي إذا مَا اسْتخبرَ البَرقَ عَنكمُ ... وَقَدْ بَسمتْ مِنْه ثُغورُ الدُّجُنَّةِ
وَإِنْ رَتّلَ الذّكرى تَداعَتْ صَبابَةً ... لَهُ الوُرقُ فارتَاحَتْ وَنَاحتْ وحَنّت
وَلمّا رأتْ رِيحُ الصَّبَا مَا تُكنّهُ ... أضَالِعهُ اعتلَّتْ لِذاكَ وَأنّت
رَعَى اللهُ أيّاماً تقضتْ بقُربكمْ ... وَحيّا مَحّلاً كُنتُم فِيْهِ جيْرَتِيْ
وَلا شَكَرَ الرّحمنُ أيّامَ بَيْننا ... فَليسَتْ سَواءً وَالتّيْ قَبْلُ وَلَّت
وَلَوْ أَنْصَفَ الدّهرَ الخؤونُ الّذيْ قضت ... صُروفُ لياليْهِ ببَيْني وَفرْقَتِيْ
لَما سِرْتُ عَنْ ذَاكَ الجنابِ الّذي حَوَى ... مِنَ الْفَضْلِ وَالْعَلْيَاءِ كُلّ عَظيْمَةِ
وَلَو كَانَ [يُشْرى] الْقُرْبُ بالنّفسِ مَا غَلاَ ... وَمَنْ لِي لَوْ نِلْتُ الْمُنَى بِالْمَنيَّةِ[3]
عَسَى الدّهْرُ أَنْ يُدْنِي إلى ظِلّ قُربِكُمْ ... مُحبّاً رَأى في الْبُعْدِ كلّ مَشَقّةِ
وَوَاللهِ مَا حَالتْ عَنِ الْعَهدِ مُهْجَتِي ... وَكَمْ مُرهفاتٍ لَوْ تَسَلَّتْ لَسُلَّت
وَمَا ضَرّكُمْ لَوْ زَارَ طَيْفُ خَيالِكُمْ ... فَخَفّفَ من وَجْدِي وَنَفّسَ كُرْبَتِي
وَكَيْفَ يَخوضُ الطَّيْفُ لُجَّ مَدامِعيْ ... وَمِنْ بَعْدِكُمْ تَعرفِ النَّومَ مُقْلَتِي

فكتب هو الجواب عن ذلك :

---

(١) في الأصل : « حين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) أفاد من بيت المتنبي :

روحٌ تردّدُ في مثلِ الخلالِ إذا ... أطارت الريحُ عنه الثوب لم يَبِنِ

ديوانه ٤/١٨٦ .

(٣) زيادة من (س) ، (ط) .

مَنَنْتَ بِنُعْمى بَلّغَتْ كلَّ مُنْيَـةٍ وَنِلْتَ بِهـا المـأْمُـولَ قَبْـلَ مَنِيَّتِي
وَأَهـدَتْ إلى قَلْبيَ الجريْـحِ قَرارَهُ وَجَـادتْ عَلى طَرفي القَريـحِ بِقُرَّةِ
مُشَرِّفـةٌ لَم يـأتِ عصرٌ بِمثْلِهَـا سَقَتْ دارَ مُهْـديْهـا سَـوافِحُ عِبْرتي
وَصَلْتَ بِهـا عَهْـدَ المسرَّةِ مُحسنـاً وَأَنْعمتَ لي مِنْهـا بـأحسَنِ وُصْلتي
وَشَرّفتَ مِن ذكري وَشَنَّفْتَ مَسْمَعي وَأَغْلَيتَ مِنْ قَـدري وَأَغْلَيت قِيْمَتي
فَهَـا أَنـا مِنْهـا في صُعـودٍ كَـأَنَّما أُحَـاوِلُ مَـا بينَ الكـواكبِ ثَـوْرَتي[(١)]
وَأَهَـدَيْتها عَـذراء بـالحسنِ أفرَدتْ وَمَـا بينَ أغصـانِ اليَراعِ تَثَنَّت
جَلَتْ كلَّ مَعنىً مِن بَـديعِـكَ بَـاهرٍ وَأَبْـدَتْ فُنـونـاً مِنْ عُلـومِـكَ جَلَّت
وَنَـادَت فَلبَّتْهـا المعـاني مُجْيبَـةً وَلَـوْ غَيرُها نَـادى الْمَعَـافي لنَـدَّت
حَوَتْ قَصبـاتِ السَّبقِ في كلِّ غـايـةٍ فَلَمْ تَـكُ فيهـا كَـالتّي قَبـلُ كَلَّت
فَمِنْ دُرِّ نَظْمٍ لاَ يُسَـامُ لِمفْلسٍ وَمِنْ نَثْرِ دُرٍ لا يُسَـامى بنثرة
وَمِنْ وَشْيِ خَـطٍ فيـهِ نُزِّهت نـاظري وَمِنْ سِحْرِ مَعنىً فيـه أنشـأتُ نَشْـأتي
إليـكَ صَلاحَ الـدّينِ أَشكـو صبَـابَتي وَأَرْفَـعُ فِيمَـا رَابني منـكَ قِصَّتي
أَقُـول بـأنّ القَلْبَ مَثْـواكَ دائِماً وَأَشْكو إليـكَ الشَّوقَ في كلِّ لَحْظَـةِ
وَأَشْكُر أيّـامـاً تقضَّتْ بِقُرْبِكُمْ وَقـلّ لهـا شُكري وَإنْ هي حَلّت
وَأَشْكـو لـكَ الأيّـامَ تِلْـكَ بِعَيْنهـا فَـأَعْجَبُ مِنْ شُكري لَهَـا وَشكيتي
تَصـدَّتْ لَنـا بـالـوصْلِ تُطْمِعُنـا بِـهِ فَلمَّـا أَجْبَنَـاهَـا تَجنَّت وَصَـدّت[(٢)]
وَلَـوْ أَنّهـا مَنّتْ بِطـولِ بَقَـائِهـا جَنَيْنَـا ثِمارَ الْـوَصْـلِ مِنْ حَيْثُ مَنّت
لَعَمْرِيَ أَشْـوَاقِي إِلَيْـكَ شَـديْـدَةٌ فَهَـلْ تُفْرِجُ الأَيّـامُ بِـالْقُربِ كُرْبَتي
وَإِني لَمّـا سِرْتَ عَنّي وَلَمْ أَكُنْ بِـداري لِبُعـدي عَنْـكَ فِي دَارِ غُرْبَتِي
تَنـاءَيْتَ عَنْ طَرْفي وَأَنْتَ بِمُهْجَتي فَهـا بَصَري يَشْكُـو إِلَيْـكَ بَصيْرَتي

(١) (س) : « أنا مني » .
(٢) (س) : « تصدّت وجنت » .

يقبّل كذا وينهي ورود المشرف فأكرِم به وارداً ، وأعزِزْ علي به وافداً ، يجلو على الأبصار ما شاء من زَيْن ، ويَجلي عن البصائر ما شاء من رين ، حائزاً من نظمه ونثره ربح الصّناعتين ، فائزاً من سحر[1] بيانه ودرّ بنانه بأمَدِّ الشرّفين ، والسّبق في الطرفين ، والاستيلاء على الأمدين[2] ، والاستعلاء على الصّدفين[3] ، فمدّ الملوك إليه راحته ، واستمدّ منه راحته ، وأدار منه راحَةً ، وألفى[4] لديه انشراحَه ، ونال به على الدّهر اقتراحَه ، بعدمَا وَجَدَ من فراق من به وَجَد ، وقد أضرمَ بقلبه من نار الخليل لفقد الخليل مَا وَقَد ، فراح كليم اشتياق في أليم احتراق ، ينادي بلسان الأشواق :

قد لَسَعت حيَّة النّوى كَبدي ولا طبيب لَها وَلا رَاقِ

[فوافته وقد شطت الدار ، وتنادى عنه المزار ، تحية باهى بلطفها الصبا][5] وباهر في حسنها شمس الضحى ، وبعَرْفها زهر الرُّبَا ، فقال يا بشرايَ بعهدها الوفيّ وجمالها اليوسفيّ ، أصَدَرَت عن بَشَرٍ أم مَلَكْ[6] ، أم عن ملك البلاغة الذي ملك من درّ القول مَا مَلك ، وترك لغيرِه من مخشلبه ما ترك ، و أمّا فَقْده ، حرسه الله تعالى[7] ، وهو بدمشق الفواكه الفتحيّة ، فقد وقف المملوك على ما تضمّنته تلك التحيّة ، وهزّت منه عِطفاً لتلك الأريحيّة ، وإنّما يجتني كما قال المقرّ الشهابي حرسَهُ الله تعالى من غرسٍ بَدَا صَلاحُه ، ورُوِّضَ فلاحُه ، وتفتح زهره فراق اختتامه بالمسك وَافتتاحه ، المملوك يلتمس التشريف بخَدمه ومَراسيه وَمهمّاته ، والله يحرسُه في حركاته وسكناته ، إن شاء الله تعالى .

(١) (س) : « بسحر » .

(٢) الأمدان : ابتداء خلق الإنسان وانتهاؤه .

(٣) الصدفان : ناحيتا الجبل ، وقيل : جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج .

(٤) (س) ، (ط) : « وألقى » .

(٥) زيادة من (س) .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في صفة (يوسف) عليه السّلام : ﴿ ما هذا إلاّ بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم ﴾ يوسف ٣١/١٢ .

(٧) قوله : « حرسه الله تعالى » ، ليس في (س) .

فكتبت أنا الجوابَ إليه عن ذلك :

أَهْـلاً بِهـا مِنْ تحيَّـةٍ صَـدرَتْ / عَن رَاحَـةٍ بـالفَضَـائِـلِ اشْتَهَرَتْ
يَـا حُسْنَ مَـا سَطرتْ أنـامِلُهـا / وَلُطفَ مَـا نَظَمَتْ وَمَـا نَثَرَتْ
فَضَضْنَ عَنْهـا ختـامَهـا فَـإِذا / بـالشّمسِ في حَضْرتي وَقَـد سَفَرَتْ
فَشرَّفَتْني وَشَنَّفَتْ أُذني / بـدرّ ألفـاظِهـا الّتي بَهَرَتْ
أَسْتغفرُ الله لَـو تُقـابُلها النُّـ / ـجـومُ خَرَّت لـلأرْض وَانْكـدَرَتْ
وَلَـوْ دَرَتْ نَسمـةٌ برقَّتِهـا / جَفَّت غُصـون الرُّبـا إذا خَطَرَتْ
فَلَيْسَ لِلْمُقْلَـةِ الْكَحيْلَـةِ مَـا / تَفْعَـلُ أَلْفَـاظُهـا الّتي سَحَرَتْ
وَلا لِكَـأْسِ الْمُـدامِ نَشْـوَتُهـا / في أَنْفسٍ منْ سُـلافِهـا سَكِرَتْ
لـلأدبِ الغَضّ في حَـديقتِهـا / أزاهِر مِن نـداك قَـدْ مُطِرَتْ
بَـالَغتَ في سِحرِكَ الحـلالِ فَكَمْ / نَظَمت زَهرَ الـدّجى ومَـا شَعَرتْ
وَزِدْتَ لُطفـاً فهَـل بَعثت بِهـا / نَفحـةَ روضٍ مـعَ الصَّبـاحِ سَرت
سُبحـانَ مُعْطيـكَ فطرةَ غلبتْ / عَلى بـديـعِ الكـلامِ واقتـدَرتْ
وَراحـةَ مـا انطـوتْ على قلمٍ / إلاّ وَوشَّتْ مَطـارفـاً نُشرَتْ
مَنْ ذَا الـذي في العُـلا يُطَـاوِلُهـا / وَهيَ عَلَى ذيْ الْمحـاسن اقْتَصَرَتْ
لا مُتِّعَتْ مُقلتي برؤيَتِهـا / إنْ نَظَرت مِثْلهـا أَوْ انْتظَرَتْ
مُـذْ بَرّدَتْ حُرقَتي تحيّتُهـا / تَلَتْ شِفـاهي الـدُّعـا وَمـا فَتَرَتْ
وَأصبحتْ أدمـعُ أَكُفْكِفُهـا / يَـا جيرة كالفرات جَرَتْ
وَالنَّفس لَم تَسْتَعر مَحبّتكم / لَكنّهـا بـالصّبـابَـةِ اسْتعرَتْ
يـا سيّـد النـاسِ وابنَ سيّـدهمْ / ديـارُ مصرَ بفَضْلِـكَ افْتَخرَتْ
إذ أنْتَ في رَبْعهـا تقـوم بحفْـ / ـظِ سُنَّـةِ الْمُصطَفَى إذا ذُكرَتْ
هُنِّيْتَهـا رُتبـةً ظَفِرْتَ بِهـا / خُطـا بني العِلم دُوْنَهـا قَصُرَتْ

يقبّل الأرض الّتي مجالس العلم بهَا مشهودة ، وبركاتها مشهُورَة ، وكتب السُّنَّة الشريفة منصوصة ، وكتائبها منصورة ، ونفائس الآداب بها مسرودة ، ونفوس أهلها مسرورة :

فَهيَ أَرضٌ تُطَاولُ الأُفْقَ فَخْراً إِذْ عَلَيْهَا مَسْعَاك دُوْنَ البقَاعِ

والقدم الذي إذا خطت يكاد يسعى إليها المنبر ، ويوطئها قَدْرُها العليّ خَدّ من فسد ومَنْ بَر ، ويمسح أخمصها إذا سعت في المعالي عن برّ عنبر :

قَدَمٌ تستَقِلُّ نَعْلَ الثُريَّا مُذْ تَرَقَّتْ فِي سَامِيَاتِ الْمَسَاعِيْ

واليد التي لو أرادت لنالت الكواكب ، وأخجلت بجُودها الغيوث الهوامع والسحب السواكب ، وحملت رايات فخارها التي تزدحم تحت ظلها في السيادة مناكبُ الكواكب :

رَاحَةٌ تُشْرِفُ الشِّفَاهُ إذا مَا قَبَّلَتْهَا لِلْفَضْلِ بِالإجْمَاعِ

تقبيلَ محب ظفر بوصل[1] حبيبه ، وأمكنته الفرصة بغفلةِ كاشحِهِ وغيبَة رقيبه ، فهو يصل القبلة بالقبلة ، ويشفَع النهلة بالعلّة :

ويَسْتَمرُّ على وَلائِهِ [الذي] :

« يَراهُ على طولِ الْمَدى خَيرَ صَاحِبِ »

ويَحافظُ علَى دعائِهِ الذي :

« بِهِ تُعَرف العشّاقُ عندَ الحَبَائِبِ »

وَيبثُّ مِنْ ثَنائِهِ الذي :

« يَضوعُ شَذَاه فِيْ الصَّبَا وَالجَنَائبِ »

---

(١) (س) : « بوصال » .

ويصف أشواقَه التي[1] لا يعلم قرارها إلا الذي أوجبَها وقررّها ، ولا يدري قدرها إلاّ الذي حكمَ بها وقدّرها ، ولا يعرف ألمها إلاّ القلبُ الذي لَمَّهَا ، ولا يجبر ضيمها إلاّ الفؤاد الذي ضمَّها ، فهي الأشواق التي استعارت الجحيمُ استعارَها ، ونَفَتْ عن الجفون قرّتها وعن الجوانح قرارها ، وأعدمت النفس في الصّباح صَلاَحَها وفي المساء مسَارّها .

وَحنيني إذا تَصـدَّى لِنَفْسِي ... صَـدّ لَهْوِيَ عَن ارتياد ارْتِياحي
عَلَّم الـوُرْقَ حُـزْنَهـا في الأو ... راقِ تَتْلُـوهُ في نـواحِي النّـواحِي
لا يَردّ الجـوى اغْتبـاطُ اغْتِبـاقٍ ... مِنْ حَنَيْني وَلاَ اصْطِبَارُ اصْطِبَاحِي
يَـا لَهـا هَفْـوةً مَسْيري عَنْكُمُ ... قَـذفَتْ بي إلى اطّرادِ اطّراحي
وَدَرَتْ أنني لي الـذّنبُ في البُعْـ ... ـدِ فَجَارَت علَى اجْتِراءِ اجْتِراحي[2]

فآهاً على الديار المصريّة وأوقاتها ، وَسَقياً لمعَاهد أُنْسِها لنفسها ولذاتِّها لذاتها ، ورعياً لتلك المنازل التي لا تخرج الأقمار عن هالاتها ، وحفظاً لتلك الوجوه التي :

« للشمس أضواءٌ على جَبَهاتِهَا » .

وشكراً لتلك النفوس التي :

« المجد يغلبُها على عِلاّتها » .

ذُكر الأنـام لنـا فكن قصيـدة ... أنت البـديع الفرد من أبياتِهـا[3]

وما أقول بل ما أنتظر إلاّ نظرة[4] شهابيّة ، ولا أترقب إلاّ همّة عدويّة عمريّة ، تُنْقذني من نار هذه الغربَه ، وتعيدني إلى خير عالم وألطف تربه ، وتتعطّف عَلَى من غدرت به أيامه ولياليه ، وأتى كما حكمت عليه الأقدار بذنب عقابه فيه :

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (ط) : « فحازت » .
(٣) (س) : « لنا فكنت » .
(٤) (س) : « قطرة » .

وَكَأَنِّي بِهَــا كَمَــا عَــوَّدَتْنِي عَطَفَتْهَـا عَلَيَّ تِلْـكَ الْمَعَـاطِفْ[(١)]
ثُمَّ قَـالَتْ دَعُـوهُ يَحْظَى بِـوَصْـلٍ إِذْ لَــهُ مُــدَّةً عَلَى البَــابِ وَاقِفْ

فلله عزمَاتها التي لو شاءت جَمَعت بين الضبّ والنّون[(٢)] ، وأبدلت بالمنى موارد المنون ، وما ذلك عليها بمشيئة الله تعالى بعزيز ولا عتيد ، وما هي إلاّ كلمة تدخل بالمملوك إلى دار السّعادة كما عوّدت من بَاب البَريد .

وأمّا المثال العالي أعلاه الله تعالى وجعل القلوب في عَلِيّ قدره تتوالى ، فأعود إلى وصفه نثراً وأستعير[(٣)] من كلماته في تقريظه درّا ، فأقول : إنّه اشتمل على الْمَحاسن وغدا أنموذج الجنّة الّتي خمرها مغتال ومـاؤها غير آسن ، تقطر البلاغة من كَلِمه ، وتشفّ الفصاحة من وراء ما سطّر بقلمه ، وتغني رياضه الناضرة عن أراك الحمى وعن سَلَمِه ، ويهز الواقف على مَعانيه بالطرب من قرنه[(٤)] إلى قَدَمِهِ ، يتحيّر الناظر فيه لتردّده بين روض[(٥)] وأفق ، ويتخيّر الماهر من لفظه تاجاً لفرقٍ أو قلادةً لعنق :

قُـلْ فَكَمْ مِنْ جَـواهِرٍ بِنِظَــامِ وُدُّهَــا أَنَّهَــا بِفِيْــكَ كَــلاَمَ

وأمّا عبوديّة المملوك التي تقدّمت فوالله ما توهّم المملوك أن سيّدي ، حرسه الله تعالى ، يتكلّف لها جَواباً ، ولا يفتح من بيوت نظمه الْمَصُون لهذه الطّارقة باباً . ولو تحقّق هذا الأمر لأعطاها[(٦)] حيلَةَ وحَيْلَه وشدّ على شنّ الإغارة على المعاني الجامحة خَيله ، وأعمل فكرة في تهذيب مَا يهديه حتّى يقال : هذا كتاب ليلة وألف ليلة .

ولمّا كان هذا مقام افتراض ، واقتناء لجواهر كَلِم سيّدي واقتناص بعث هذه

(١) في الأصل : « عودتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) النون : الحوت .
(٣) (ط) : « وأستعبر » .
(٤) (س) : « فرقه » .
(٥) (س) : « رياض » .
(٦) (س) : « أعطاه » وفي (ط) : « أعطاها » .

العبودية طمعاً في الجواب الثّاني ، وعوّذها من الشّآم بعَطف مَولاَنا الذي لا يثنيه عن الخير ولا الجَبر ثان ، ولله المعرّي حيث قال :

قَـدْ أَجَبْنَـا قَـوْلَ الشَّرِيْفِ بِقَـوْلٍ ... فَـأَبنَـا الْحَصَى عَلى الْمَرْجَـانِ[1]

والله يمتّع الأنام بحياته الّتي هي جملة الأماني ، ويديم فضائله الّتي لا توجد إلاّ في « العقد » ولا تؤخذ إلا من « الأغاني » ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتب هو الجواب عن ذلك :

حَيَّت فَـأَحيَتْ عِنْـدَ مـا حَسَرتْ ... خِمارَهَـا كلَّ مُهْجَـةٍ سَحَرتْ[2]
يَـا خَجْلَـةَ الشّمسِ عنْـدَ مَـا سَفَرَتْ ... وَغَصَّـةَ الغُصْنِ عِنْـدَمـا خَطَرَتْ[3]
وَفِتْنَـةَ الظَّبْي عِنْـدَ لَفْتَتِهَـا ... وَحَيْرَةَ الظّبي كَلَّما نَظَرَتْ
مَـا [كنت] أسْلُـو جَمالَهَـا أَبَـداً ... لَـوْلاَ الّتي بـالْجَمَـال قَـد بَهرتْ[4]
عَقيلَـةٌ تَسلبُ العُقـولَ فَهـا ... أَلبـابُنَـا من بـديْعِهـا سَكِرَتْ
جَـاءَت فجـادَتْ بكلِّ مُطربَـةٍ ... يُطـوى لَهَـا البيْـدُ كلّما نَشَرَتْ
سَماء مجـدٍ سَمت ببَهْجَتِهـا ... عَن صدرِ أَهْل الزَّمَـان قَـدْ صَدَرَتْ
مُحْمرَة الْحُسنِ في حُلَى شَفَـقٍ ... تخضرٌ فِي حُسْنِهـا وقَـدْ حَضَرَتْ
أبيَـاتهـا مِنْ عُقـودِهـا نُظِمَتْ ... وَنَثْرُهَـا لِلْكـواكِب انْتَثَرَتْ
لابْنِ جَـلا مَـا جَلَتْـهُ مِنْ دُرَرٍ ... وَابْن هـلال بـديـعُ مَـا سَطَرَتْ
يـا حبَّـذا لِلصـلاحِ نِسْبَتُهـا ... خَليلُهـا مَنْ بِـهِ العُـلاَ افْتَخَرَتْ
يـا رَوْض فَضْـل غُصـونُـه زَهرَتْ ... وَحِبْر عِلْمٍ بِحـارُهُ زَخَرَتْ

---

(١) في الأصل : « فأثبنا » .

(٢) (س) : « فعندما » .

(٣) (س) ، (ط) : « كلّما خطرت » .

(٤) الزيادة من (س) ، (ط) .

سَرَتْ فعين السُّرور مَـــا نَظَرَتْ ... في دَوْحَـةِ الأُنْسِ أَغْصُنــاً نضرت[(١)]
وَلا نَسيْمَ الصَّبَـــا سَرَتْ سِحْرَاً ... إلاّ كَـــدَأْبِ الْهَجِيْرِ إِذَ هَجَرَتْ[(٢)]
وَلاَ تَغنّت في الأَيْــكِ سَــاجِعــةٌ ... فَــأَطْلَقَتْ مُـوْنعــاً وَلاَ أَسَرَتْ
وَلا تثنّى للرّاح غَـــانيـــةٌ ... أَوْتَـارُهـا وَاللّحـاظ كَمْ وَتَرَتْ
وَلاَ سَمَتْ مُقلـــةُ الْمَشُـوقِ إلى ... لُقيـاك نحْـوَ الْمَقـام مُـذْ سَمَرَتْ
يـا عَجباً مِنْ بِحـار عبرتِـهِ ... مَـا أُخمـدت نَـارَةَ الَّتي اسْتَعرتْ
كـدَّرتْ مُـذْ غِبْتِ عَنْـهُ عيْشَتـهُ ... فَيـا لأُنْسٍ نُجـومُـهُ انْكَـدَرَتْ
علَى هـواكَ القلـوبُ قَـدْ فُطِرَتْ ... لَـولا تمنّي لِقـائِـك انْفَطَرَتْ
يـا مُقلـةً مُـذْ غِبْتُمُ سَخِنَتْ ... هَـلْ عيْشـةٌ إنْ حَضَرتُمُ حَضَرَتْ
وَيَـا حَيـاةً صَفَتْ بِقُرْبِكُمُ ... هَـلْ يُرْتَجى عَـوْدُهَا وَمَـا كَـدَرَتْ

يقبّل اليد العالية الصلاحيّة ، لا زالت صالحة الشيَمَ ، سافحة الديَم بل الباسطة الكريمة ، لا برحت واسطة عقد الكرم ، بل الأرض المنيفة بحلوله لا فتئت مواطن النّعم ، ومواطئ أولي الهِمَم :

تَقبيـل مـلآنِ الجنـا ... نِ بحبّـه دُونَ الأُمَمْ[(٣)]
متنـدّم لفراقــه ... لـوْ كَـانَ يَنفعُـهُ النَّـدَمْ[(٤)]
لَـوْ كَـان يطرقُـهُ الكَرى ... لكنّــه لَمّـا يَنَمْ
لَهْفِي عَلى عَصْرٍ بِــهِ ... وَلّى حَميـداً لَمْ يُـذَمْ
شَـوقي لَـهُ شَـوقُ العليـ ... ـل لمـا شَفَـاهُ مِنَ السَّقَمْ
شُكري لَـهُ شُكرُ الرّيـا ... ض السُّحبَ جـادَتْ بِـالـدّيَمْ

(١) (ط) : « بعين » ، وفي (س) : « لعين » .
(٢) في الأصل و (ط) : « لذات » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « بودّه » .
(٤) في (س) : « يشتاق من تلقائه » .

ذِكرى لأيّـــــامٍ بِـــــهِ   مَرَّتْ كَــــــا مَر لحُلُمْ
وَحَلتْ كَمَــــا مَرَّتْ لَيــــا   لِيّ الشَّريْفِ بِــــذِيْ سَلَمْ[١]

وينهي ورود المشرّفة العالية قدراً ، الحاليّة من البدائع الروائع درّاً ، المؤتّقة في رياض الفصاحة زهراً ، المُطْلِعَة في سماء البلاغة زهراً ، وكلف[٢] بها كلف عمرو بعَرارِه[٣] ، والفرزدق بنواره[٤] ، وأقسم من طِرسها بحمرة الشّفق ، ومن نِقْسها[٥] بالليل وما وسَق ، ومن غرر معانيها السّامية على غير مُعانيها بالقمر إذا اتَّسَقْ لتليت[٦] أهل البلاغة ، فظلّت أعناقهم لَهَا خاضعين ، وجليت على أرباب اليراعة وألباب البراعة فقالتا : أتينا طائعين ، انقياداً لطفيل[٧] أعنّتها ، وتبرّياً من مطاعنة أبي براءٍ ملاعب أسنّتها[٨] ، كلّ يلمحها بطرف كليل[٩] وشخص ضئيل ، ويرجع عن مجاراتها بأمل حسير وقلب كَسير ، فلا يُجري في ميدانها خَيل طرادهِ ولو قام مقام قسٍّ في إيادهِ ، وَأين[١٠] حَميِّه من حمياها أم أيْنَ سهيله من ثريّاها ، لشدما ارتفعت منها المطالع وانقطعت دونها الْمَطامع ، فما الظنّ بوحيد يحتاج إلى الذمَام وربيط في الرّغام لا عهد له في السّرايا ولا أنس له بالدخول في القتامِ أن يجول في حلبة الرهان أو يَطول إلى مقاتل

(١) يريد : الشريف الرضي ، وقد اشتهر في شعره بذكر مواضع الحجاز .
(٢) (س) : « فكلف » .
(٣) هو عرار بن عمرو بن شأس الأسدي وفيه يقول أبوه عمرو :
وإنّ عراراً إن يكن غير واضـــحٍ   فإني أحبّ الجون ذا المنكب العمم
(٤) هي زوج الفرزدق ، وابنة عمّه . وفيها يقول الفرزدق :
نـــدمت نـــدامـــة الكسعي لمّـــا   غـــدت مني مطلقـــة نـــوار
(٥) النّقس : المداد .
(٦) كذا في الأصول .
(٧) هو طفيل بن عوف بن كعب الغنوي من أوصف شعراء الجاهلية للخيل .
(٨) هو عامر بن مالك بن جعفر العامري اشتهر بـ ملاعب الأسنّة (ت ١٠ هـ) .
(٩) في الأصل : « كحيل » ، وأثبتنا ما في (س) .
(١٠) في الأصل (وابن) ، وأثبتنا ما في (س) .

الفرسـان أو يُسـابق بسُكّيتـه مجلّيَ الميـدان ، أو ينـاطق ببـاقل[1] من سحَبَ ذيلاً على سَحْبـان ، وهل تستفـادُ تلـك المواد من غير ذلـك الْمُوَاد ، وهل استولى على أمـد تلـك الجواد غير ذلـك الجـواد ، وأن يكاثر البحـار الـزواخر مَنْ ورده الثّماد[2] ، وأن يطـاول الأنجم الزواهر مَنْ قرارتـه الوهـاد ، فما تفوّه السّليم الصّدق إلاّ بـالتسليم لـذلـك السَبق والتعظيم لذلك الحقّ اعترافاً بما قد حواه رافع ذلك المنار وجامع تلك المبّار .

وأمّا أمره بالمسارعـة إلى المراجعَـة والمعـاجلـة إلى[3] المسَاجلـة ومـا غـادر لغيره من متردّم[4] ، ولو شنّ على الآداب إغارة ربيعة بن مكـدّم[5] ، فلم يرجع المملوك إلى جواب ينجده وخطاب يسعفه بالمراد ويسعده إلاّ التمثّل بقول القائل :

وَأَخَــذْتَ أَطْرافَ الكَـلامِ فَلَمْ تَـدَعْ ... قَـوْلاً يُقَـالُ وَلاَ بَـدِيْعَـاً يُــدَّعَى

وأمّا تمثيله ببيت أبي العلاء مـا هو فيـه من علوّ المكان لإنـابتـه ابنَ عمّـه الحصى عن الْمُرجـانِ فما مكاثره بـالأدب ، وعيـوبـه تَنْسـل إليـه من كلّ حَـدَبٍ إلاّ المكاثر بيـاءَي (أنيسيَـانِ)[6] بـل لعلّـه حرسـه الله تعـالى عنّ لـه المرور بـبلاد ابن عنين « بـلاد بهـا الحصباء درّ » أو ثنى عنَانَه إلى منزل ابن اللبّانة :

نــزَلْنَـــا بِكافــورٍ وَتِبْرٍ وَجَــوْهَرٍ ... يُقـالُ لَـهُ الْحَصْبَـاءُ وَالرَّمـلُ وَالتُّرْبُ

---

(١) في الأصل و (ط) : « بنـاقل » ، تصحيف ، وأثبتنـا مـا في (س) ، وفي المثل : « أعيـا من بـاقل » . انظر مجمع الأمثال : ٤٣/٢ .

(٢) الثماد : الماء القليل .

(٣) (س) ، (ط) : « على » .

(٤) إشارة إلى مطلع معلقة عنترة :

هــل غـــادر الشعراء من متردم ... أم هـل عرفت الـدار بعـد تـوهم

(٥) أحد فرسان الجاهلية المعدودين ، يقال : إنه حمى الظعن حياً وميتاً .

(٦) تصغير « إنسان » ، وللنحويين خلاف مشهور في أصل هذه اللفظة .

أو أجتاز بنهر أخي مَنَاز[1] وحَصاهُ تروع حاليَة العَذارى ، فورده وأمواجه تطرّد ؛ إما يَرد أو يَبْتَرِد ، لكنّه عاكَسَهم في التّشبيه ، ونافسهم في التمويه ، فاستعبدَ كلامَهم كلامُه الْحُرّ ، وكان مَا جَاء به من الحَصَى أنفس ممّا جاؤوا به من الدرّ ، فتأخّروا وإن تقدّموا ، وتَقدَّم وإن تأخرّ ، وكانت بدائهه لبدائِهِ سواه تسحَر ، وبدائعه من بديع سواه تسخَر .

وأمّا تشبّثه بالهمّة الشهابيّة وتشوّفه إلى الهمة[2] العَدَويّة فلا بدّ بمشيئة الله تعالى أن تعدَى العَدويّة قربَه على بعاده ، وتعمر العُمَريّة أرجاء رجائه بعوده إلى مَعاده ، والقَطر يسبق الدّيَم السَوَاجم ، والزهر يعبق ومَا انشقّت عنه الكمائم :

وَإِنّ رَجَاءً كَامِلاً فِيْ جَمِيْلَةٍ ... لَكَالْمَالِ في الأكْيَاسِ تَحتَ الْخَوَاتِمِ

والله يعمر ببقائه أنداءَه ، ويسرّ بلقائه أودّاءَه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكتبت أنا إليه من دِمشق في سُنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

يَا عَذولاً في لَومِهِ قَد تفصَّح ... وَيَرى أنَّه بِذَاكَ تَنَصَّحْ
ليسَ عِندي مِنَ الْجَوَى بي جَوابٌ ... هَذِهِ أدْمُعي تَقُولُ وتَشْرَحْ
قِفْ عَلَى غَيْرِ مَسْمَعي وَاسْأَلِ الصّبْـ ... ـرَ فَمَا عِنْدهُ سِوَى الله يَفْتَحْ
كَمْ يُنَادِي السُّلُو بِالحربِ أوْلَى ... وَيَنَادِي الغَرامُ بَالصُّلح أصْلَحْ
قِسْتُ بيْن السُّلو وَالوَجْدِ حَتّى ... صَحّ أنّ الغَرامَ أرْجى وَأَرْجَحْ
كَيْفَ صَبْري عَنْ أرضِ مِصرٍ وَفَيْهَا ... لِي قَوْمٌ أسْمى الأنَامَ وأَسْمَحْ

---

(١) يشير إلى الوزير أبي نصر المنازي الذي تنسب إليه الأبيات المشهورة :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... سقاه مضاعف الغيث العميم

ومنها :

تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

(٢) في (س) ، (ط) : « العزمة » .

لَوْ تُعاطي الجبَالُ كَأْسَ حَديثٍ عَنْهُمُ مَالَ عِطْفُهَا وَتَرَنَّحْ
هَاتِ قُلْ لِيْ مِنْ [أين] تَلْقى لِفَتْحِ الد ينِ مَثْلاً إنْ كُنْتَ لِلحقِّ تَجْنَحْ[1]
خادِمٌ سُنَّةَ النَّبي وَهذَا الـ فَضل أنجى يومَ الحسَابِ وَأَنْجَحْ
كُلّمَا خَطّ بِالْيَراعِ حَدِيْثاً كبّر اللهُ في الطّروسِ وسَبَّحْ
إنْ تَقسْ خَطّه بِرَوْضٍ نَديٍّ صَحَّ هذا وجَفّ ذَاكَ وَصَوّحْ
كُلّ عَيْنٍ كَأَنَّها طَرفُ حِبٍّ مَا تَوقَّى الفُؤادَ لَمّا تَوقَّعْ
أيُّ قلبٍ بالحزن والهَمِّ يصدا وَحمام الأَسْجاعِ فِيْهِ يَصْدَحْ
بِنظَامٍ كَالدُّرِ لَمّا تنقى وَمَعانٍ كالسِّحر لَمَّا تُنَقَّحْ
لَوْ يُجاري بَرْقَ الدُّجَى مَا تَنَحّى أَوْ يُباريْ قِسّ النُّهى مَا تَنَحْنَحْ
لاَ أُكَفّر قَوْلي إذ قُلْتُ دَهْري قَدْ تَوشَّى مِنْ فَضْلِهِ وَتَوَشَّحْ
ما رِياضُ قَضيبها قد تلوّى فيهِ زَهْرٌ يُزْهى بلوْنٍ تَلَوّحْ
جَادَ قَطْرُ النَّدى بها وَتَفتّى وغَدا وَرْدُ نَصْبُها قَدْ تَفَتّحْ
مِثْلُ أخْلاقِهِ الّتي قَدْ حَوَاها بَلْ أَرَاها بالْحُسْنِ أَمْلَى وَأَمْلَحْ
قُوْبِلَتْ نُسْخَةُ المَعَاليْ عَلَيْها وَأَجَازَ الْجمَالُ ذَاكَ وَصَحَّحْ[2]
آه وَا وَحْشَتا لِذَاكَ الْمُحيَّا وَالسَّجَايَا الّتي أَبَرُّ وَأَوْضَحْ
لاَ أَرَى في الزَّمانِ أَسْعَدَ مِمَّنْ قَدْ تمسى بِوجْهِهِ وَتَصَبَّحْ

فكتب الجواب عن ذلك :

صَادِحاتُ الْحَمامِ في الدَّوْحِ تَصْدَحْ بِغرامي فَالْعَيْنُ لِلْبَيْنِ تَسْفَحْ
رَجَّعتْ شَدْوَها فَبَرّحَ بي شَوْ قٌ مُقيمٌ لظَاعِنٍ لَيْسَ يَبْرَحْ
فَرّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللّيالي فَهَلِ الدَّهْرُ بِالتَّواصُلِ يَسْمَحْ

---

(١) زيادة من (س) ، (ط) .

(٢) (س) ، (ط) : « الكمال » .

فَتَنـــادي بـــك الْمنى مِنْ قَريْبٍ بَعْـدَ قَفرٍ مِنَ التّبــاعُــدِ أَقْبَـحْ[1]
إنّ لي مَطْمَعـاً بِقربِـكَ يَـأْسُـو مَـا غَـدا النّـاس بـالتَّبـاعُـدِيَجْرَحْ
كلَّما شــام بَــارقُ الشّــام طَرْفي قُلْتُ شَوْقـاً لِـوَصْلِـكَ: اللّهُ يَفْتَـحْ
وَلِقَلْبِي منْــهُ خُفُـوقٌ ونَــارٌ وَلِطَرْفي منْــهُ سَحَــائِبُ سُيَّــحْ
يَاصَلاح الـدّيْنِ الّـذي فَـاقَ أَهْلَ الْـ ـعَصْرِ حُلْماً عَنْـهُ الرّواسِي تَـزَحْـزَحْ
وَبَلِيْغَــاً مَــا رَامَ يَــأْتِيْـهِ عَفْـواً وفَصِيْحـاً مـا احْتَـاجَ أَنْ يَتَفَصَّـحْ
لَـــوْ رَآهُ غَيْـــلانُ قَصّرَ عَنْ قَصـ ـصدِ بِلالٍ وَصـدّ عَنْ زَجْرِ صَيْـدَحْ[2]
وَفّر النَّفْسَ عَنْ مُنى كلّ وَفرٍ وَرأَى العِلْمَ مِنْــهُ أَرْجَى وأَرْجَـحْ
وَغِـــذاءُ الأَرْوَاحِ أَشْرَفُ مِمّــا تَغْتَـذيْـهِ الأَجْسَـامُ قَـدْرَاً وأصلح
سَبَّــحَ اللّهُ مَنْ رَآكَ إمَــامَــاً كَمْ لَـهُ في بِحَـارِ علمـك مَسْبَـحْ
حَـائِـزَاً مِنْ بَـدائـعِ بَني هِـلاَلٍ سِحْرَ نَثْرٍ بِــدُرٍّ خَــطٍّ مُـوشَّـحْ
كَعلي وَضْعـــاً ورِقَّـــةِ إبْرا هِيمَ طَبْعـاً بَـلْ أَنتَ أَسْمى وأَسْمَـحْ
يَـا خليـلَ الآدابِ مَـا اخْتَـلّ مِنْهـا فَـالصَّحيـحُ الَّـذيْ عَلَيْـكَ يُصَحَّـحْ
كَمْ عَلى الـدَّهْرِ مِنْ حُـلاهـا جَمالٌ مَـا لمسرى مُـؤمِّـلٍ فِيْــهِ مُسَرَحْ
سِمْطُهــا فَــائِـزٌ بِــدُرٍّ مَعَــانٍ سَقْطُهـا مِنْ زِنَـادِ فِكْرِكَ يَقْــدَحْ
كُـــلَّ عـــذراء تَسْبِي كلَّ لُبٍّ بِسَنَـا عَنْ سَنَـاءِ عِلْمِـكَ يُلْمَـحْ
زَارَت الصَبَّ في لَيـــالِ مِنَ البُعْـ ـدِ فَلَمّـا دَنَتْ رَأى الصُّبْحَ أَصْبَحْ
قَلَـدتَ بـالعِقيــانِ سِحرَ بيــانٍ لَيْسَ فِيْـهِ لِلْفَتْحِ بَعْـدَكْ مَطْمَحْ[3]

(١) (س) ، (ط) : « أفيح » .

(٢) يشير إلى بيت ذي الرمة المشهور في مدح بلال بن أبي بردة :

رأيت النـــاس ينتجعـون غيثــاً فقلت لصيــــدح انتجعي بـــلالا

وصيدح : ناقته . انظر : اللسان « صدح » وديوانه .

(٣) في الأصل : « بالعقبـان سحر بنـان » . وأثبتنـا مـا في (س) ، (ط) . وهو يورّي بكتـاب « قلائـد العقيان » للفتح .

خَتَمَ النَّظْمُ مِنْــــــكَ بحرِ قَرِيْضٍ ... مَــا أراهُ مِنْ بَعْـدِ خَتْمِـكَ يُفْتَـحْ

وكتب هو إليّ رحمه الله تعالى وأنا بصفد في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة :

سُرِرْتُمْ فَـإنّي بَعْـدَكُمْ غَيْرُ مَسْرُور ... وكَمْ لي عَلَى الأَطْلالِ وقْفَـة مَهْجـورِ[(١)]

وَلا حِسَّ إلاّ حِسُّ صَائِحةِ الصَّدى ... وَلا أُنْسَ إلاّ أُنْسَ عِيْسٍ وَيَعْفُـوْرِ[(٢)]

فَيـا وَحـدةَ الـدّاعي صَدَاهُ جَـوابُـهُ ... وَيَا وَحْشَـةَ السَّـاعي إلى غَيْرِ مَعْمُورِ

إذا قُلتُ سِيري قـال سيريْ مُحـاكيـاً ... وَإنْ قُلْتُ زُوْري قَالَ لي مِثْلَهـا زُوْري

وَمَـا سَرَّني بِـالْقُرْبِ أَنّي اسْتَـزَرْتُهـا ... وَلا سَـاءَني بـالبُعْـدِ قَـوْلي لَهَـا سِيْري

فَيَـا وَيْـحَ قَلْبي كَمْ يُعَلِّلُـهُ الْمُنَى ... عُلاَلَـةَ دُنْيـا اسْتَعْبَـدَتْ كُـلَّ مغْروْرِ

تُواصِلُ وَصْلَ الطّيْفِ في سِنَةِ الْكَرى ... وَلَسْتَ إذا اسْتَيْقظتَ مِنْـهُ بِمَحْبُـورِ

وتَــدنُـو دَنُـوّ الآلِ لا يَنْقَـعُ الصَّـدى ... وتخلبُ آمَـــالاً بِخُلّبِهَـــا الـزُّوْرِ

تُنيـلُ الْمُنَى من سَالَمَتْـهُ خَـديعـةً ... وتُعقب من نَيْلِ الْمُنَى كُـلَّ مَحْـذُورِ

فَـدَعْهـا وَثِـقْ بـالله فَـالله كَـافِـلٌ ... برِزْقِـكَ مَـا أبْقَـاكَ وَارضَ بِمَقْـدُوْرِ

وكُنْ شَـاكِراً يسْراً وبـالعُسْرِ رَاضِيـاً ... فَأَجْرُ الرِّضـا والشُّكْرِ أفْضَلَ مَـذْخُورِ

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

هَلِ الْبَرْقُ قَدْ وَشّى مَطـارِفَ دَيْجُورِ ... أَوِ الصُّبْحُ قَدْ غَشّى دُجَى الأُفْقِ بِـالنُّوْرِ

وَهَلْ نَسْمـةُ الأَسْحـارِ جُرَّتْ ذُيُـولُهـا ... عَلى زَهْرِ رَوْضٍ طَيِّبِ النَّشْرِ مَمْطُوْرِ

وَهَيْهَـاتَ بَـلْ جَـاءَتْ تَحيَّـةُ جِيْرَةٍ ... إلى مُغْرَمٍ في قَبْضَـةِ الْبُعْـدِ مَـأْسُـورِ

أَتَتْـهُ وَمَـا فيْـهِ لَعَـائِــدِ سُقْمِــهِ ... سَـوَى أَنّـةٍ تنبثّ مِنْ قَلْبِ مَصْـدُوْرِ

فَلَمّـا تَهَـادَتْ في حُلِيٍّ فَصَـاحَــةٍ ... مِنَ النَّظْمِ عَنْ سِحْرِ الْبَلاغَـةِ مَـأْثُـورِ

أكبَّ عَلى تَقْبيلهَـا بَعْــدَ ضَمِّهَــا ... إلى خَـاطِرٍ مِنْ لَوْعَـةِ الْبَيْنِ مَكْسُـورِ

(١) في الوافي : « على الإطلاق » .

(٢) في الوافي : « داعية الصدى » . واليعفور : الظبي .

وَأَجْرَى لَهَا دَمعَ المآقي وَلَمْ يَكُنْ ... يُقابِلُ مَنْظُوماً سواه بِمَنْثُورِ[(١)]
فَأَرْشَفَهُ كَأْسَ السُّلافَ خِطابُها ... وَغَازَلَهُ مِنْ لَحْظِها أَعْيُنُ الْحُورِ
فَكَمْ حِكْمَةٍ فِيْها لَها الْحُكْمُ في النُّهى ... وَكَمْ مَثَلٍ في غايةِ الْحُسْنِ مَشْهُوْرِ
يَرى كُلَّ سَطْرٍ في مَحاسِنِ وَضْعِهِ ... كَمِسْكِ عِذارٍ فَوْقَ وَجْنَةِ كافُوْرِ
فَلا أَلِفٌ إلاّ حَكَتْ غُصْنَ بانَةٍ ... وَهَمْزَتُها مِنْ فَوْقِها مِثْلُ شُحْرُوْرِ
فَأَصْبَح لا يَثْني إلى الأَرْضِ جِيدَهُ ... غَراماً وَلَمْ يَعْدِلْ بها وَرْدَةَ الْجَوْرِي[(٢)]
وَقَدْ كانَتْ الأَطْماعُ نامَتْ لِياسِها ... فَلَمّا أَتَتْ قالَ الغَرامُ لَها ثُوْرِي[(٣)]
وَزادتْ جُفُوْنَ الْعَيْنِ سُهْداً كَأَنَّما ... حَبَتْها بِكُحْلٍ مِنْهُ في الجَفْنِ مَذْرُوْرِي
وَكان الدُّجَى كَالْعامِ فَاحتقرتْ بِهِ ... وَقالتْ لَهُ ميعادُكَ النَّفْخُ في الصُّوْرِ
وَلا تَرْضَ مِنْ نارِ الحَشا باتِّقادِها ... فَقَدْ قَذَفَتْ في كُلِّ عُضْوٍ بِتَنُّوْرِ[(٤)]
وَما شَكَرَتْ عَيْني عَلى سَفْحِ عَبْرَتي ... عَلى أَنَّ مَحْصُوْلَ الْبُكى غَيْرُ مَحْصُوْرِ
وَقالَتْ أَما نَحيا الدُّموع لِشِدَّةٍ ... فَدَعْها تَفِضْ مِنْ زاخِرِ اللُّجِّ مَسْجُوْرِ
وَلَوْ كُنْتُ أَلْقى في الْبُكا فَرَجاً لَما ... مَضى الْيَوْمُ حَتَّى كُنْتُ أَوَّلَ مَغْرُورِ[(٥)]
وَلَوْ كُنْتُ أَلْقى الصبرَ هانَتْ مُصيبَتي ... وَلَكِنَّهُ لِلْحَظِّ في غَيْرِ مَقْدُوْرِ
فَإِنْ تَبْعَثُوا لي مِنْ زَكاةِ اصْطِبارِكُمْ ... فَإِنّي لِما تُهْدُوْنَهُ جِدُّ مَضْرُوْرِ
سَلُوا اللَّيلَ هَلْ آنستُ فيهِ بِرَقْدَةٍ ... فَما هُوَ مِمن راح يَشْهَدُ بِالزُّوْرِ[(٦)]
فَكَمْ لِيَ فيهِ صَعْقَةٌ مُوسَوِيَّةٌ ... وَلِلْقَلبِ مِنْ تَذْكارِكُمْ دَكَّةُ الطُّورِ[(٧)]

---

(١) في الأصل : « منه بمنثور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٢) (س) ، (ط) والوافي : « الروض » .
(٣) (س) : « لناسها » .
(٤) في الوافي : « ولم مَرِض » .
(٥) (ط) : « حنا اليوم » . وفي (س) والوافي : « مسرور » .
(٦) في الأصل : « منه برقدة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(٧) في الوافي : « ذكراكم » .

تَشَفَّعتُ لِلْبَيْنِ المشتِّ بكم عَسى — يَعودُ هَـزِيمُ القُرْبِ عَـوْدةَ مَنْصُـور[١]
عَلى أنّ جَـاه الحـظّ أكرمُ شَـافِـعٍ — وَلَوْلاهُ لَم يُحْتَـجْ إلى بنْت مَنْظُـور[٢]
وَمَـا هُـوَ إلاّ الحـظّ يَعْترِضُ الْمُنَى — وَلَوْلاَهُ كانَ الـدّهْرُ أطْوَعَ مَـأْمُـوْرِ[٣]
فَكَمْ في الْبَرايَـا بَيْنَ عـانٍ وَمُطْلَقٍ — وَسـالٍ وَمَحْـزُوْنٍ وَدَانٍ وَمَهْجُـوْرِ
وليس سـوى التسليم لله والرضـا — بقلب منيبٍ طـائـعٍ غير مقهـور
وحـاش لعـلاّم الخفيّـات في الـورى — على ما ابتلاني أن أُرى غير مأجور[٤]

فكتب هو رحمه الله الجواب :

وردت المشرّفة السّامية بحُلاها ، الزاهية بعلاها ، المشتملة على الأبيـات الأبيّـات ، الصّادرة عن السَجيّات السّخيّات ، التي فاقت الكِنْديَّيْن[٥] ، وطوت ذكر الطّـائيين[٦] ، ماشئت من بدائع إيدَاع وروائع إبداع ، تَقِفُ الفَصاحةُ عندَها وتَقْفو البلاغة حـدّهـا ، فـالله ذلـك الفضل الوافي ، بل السحر الحلال الشـافي ، بل تلـك القُوى في القوافي ، بـل تلك المقاصد الّتي أقصدت المنى في المنافي ، بل تلك المعاني التي حيّرت الْمُعَـاني ، وفَعَلت في الألبـاب مالا تفعله الثالث والمثـاني ، بل تلـك الأوضـاع الّتي حـاك الرّبيع وَشيَهـا ، وامتثل[٧] القلم أمرها ونهيها ، فهو يصرفها كيف يشاء مرسوماً ، ثقـة أنهـا لا تخـالف لـه

(١) في الأصل : « بالبين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الوافي : « ولو صح » . وابنـة منظور هي خولـة بنت منظور بن زبـان الفـزاري زوج عبـد الله بن الزبير ، وكانت النوار زوج الفرزدق قد لجأت إليها ، وشفعت لها ، فقال الفرزدق :

أمـا بنـوه فلم تنجـح شفـاعتهم — وشفعت بنت منظـور بن زبـانـا
ليس الشفيع الـذي يـأتيـك متزراً — مثل الشفيع الذي يأتيـك عريـانـا

انظر : وفيات الأعيان ٦/٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) وقع صدر البيت السـابق عجزاً لهذا البيت في الوافي ، وكذا وقع فيه صدر هذا البيت عجزاً لذاك .

(٤) في الأصل : « مهجور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٥) هما امرؤُ القيس ، والمقنع الكندي .

(٦) هما أبو تمام والبحتري .

(٧) (س) : « وأمسك » .

مرسوماً . لقد آل فضل الكتاب إليها وآلى فصل الخطاب لا وقف [إلا][١] بين يديها ، لقد صدرت عن رياض الأدب فجنَت زهرهُ اليَانع ، لقد أخذت بآفاق سماء البلاغة[٢] فلها قمراها والنجوم الطّوالع[٣] ، لقد أفحمت قائلة :

مَنْ يُسَاجِلُني يُسَاجِلْ مَاجِداً ... يَمْلأُ مِنْ آدابِهِ كُلَّ ذَنُوْب[٤]
لَقَدْ حَسُنَتْ حَتّى كَأَنَّ مَحاسِناً ... تَقَسَّمَها هَذا الأَنامُ عُيُوْبُ[٥]
هيَ الشَّمسُ تَدْنُو وَهي ناءٍ مَحَلُّهَا ... وَمَا كُلُّ دَانٍ لِلأَنَامِ قَرِيْبُ[٦]
تَخَطَّتْ إلى الْخُضْرِ الجِيَادَ نَباهةً ... وَهَيْهاتَ مِنْ ذَاكَ الجَنَابِ جَنِيْبُ
وَحيَّتْ فَأَحيت بِالأَماني مُتَيَّماً ... حَبِيْبٌ إِلَيْهِ أَنْ يَلِمّ حَبِيْبُ
يُذكّرني ذاكَ الجَمَالِ جَمالها ... فَلَيْلي كَمَا شَاءَ الغَرامُ رَحِيْبُ
وَمالي إلاّ أَنّةٌ بَعدَ أَنَّةٍ ... وَمالي إلاّ زَفْرَةٌ وَنَحِيُبُ
حَنيناً لِعَهْدٍ غَادرَ القَلْبَ رَهْنَه ... وَعَلّمَ دَمْعَ العَيْنِ كَيفَ يَصُوبُ
وَذِكرى خَليلٍ لَمْ يَغبْ غَيرُ شَخْصِهِ ... وَفِي كلِّ قَلْبٍ مِنْ هَواهُ نَصِيْبُ
وَلَوْلا حَديثُ النَّفْس عنْهُ بِعَوْدِه ... وَأنَّ المُنَى تَدْعُو بِهِ فَيجيبُ[٧]

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) (س) والوافي : « الشرف » ، ولعلّها أشبه .

(٣) يشير إلى بيت الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٤) كذا في الأصول والوافي ، ولا يخفى ما في البيت من خلل في وزنه ، وفيه إشارة واضحة إلى قول الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

مَنْ يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ الدلو إلى عقد الكَرَبْ

ووقع صدر البيت في الأصل هكذا :

مَنْ يساجلني يساجلني

وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي .

(٥) (س) : « محاسنها » .

(٦) (س) : « للعيان » ، وفي الوافي : « للعيون » .

(٧) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

لِمَـا اسْتَعْـذَبَ المـاء الـزلال لأنَّـهُ إذا مَـــازجَ المـــاءَ الـزّلالَ يَطيْبُ

فبادرها الملوك لبنائها مُتعرفاً ، وبأرحبها متعرفاً ، وبولائها متمسّكاً وبثنائها متمسّكاً ، شوقاً إليها لا يبيد ولو عمّر عمر لبيد ، واقفاً على آمال اللّقاء وقوفَ غيلان بدَار ميّة ، عاكفاً على أرجاء الرّجاء عكوف توبة على حب ليلى[1] الأخيليّة ، والله يتولاّه في حالتيه ظاعناً ومقيماً ، ويجعل السّعدَ لَهُ حيث حلّ خديناً والنُّجْحَ خَديماً ، بمَنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

تنـوحُ حمـامـاتُ اللّـوَى فَـأُجيْبُ ويَحضُرُ عِنْـدي عَـائِـدي فَـأغيْبُ
وَقـد مَلّ فرشُ السّقْمِ طـولَ تَقلّقي عَليْــــه بجنبي إذْ تَهبُّ جَنُـــوبُ[2]
وَلَمّـــا بَكَتْ عَيني نَـــواكَ تَعلّمتْ دَمـوعُ السّحــابِ الغرّ كيفَ تَصوْبُ
أيـا برْقُ إنْ حَـاكَيْتَ قَلبي فَلَمْ يَكُنْ لنَـارِكَ مَـعْ هَـذا الخفُـوقِ لَهيْبُ
ويَـا غَيْثُ إنْ سَاجَلْتَ دَمْعي فَإنّه يَفـوْتُـــك مَـعْ ذا أَنّـــةٌ وَنَحيْبُ
وَيا غُصْنُ إنْ هَزّتْ مَعاطِفَكَ الصّبا فَما لـــكَ قَلْبٌ بِـــالغَرَامِ يَــــذُوْبُ
إذا جَفّ جَفْني ذَابَ قَلْبيَ أدْمُعـــاً فَللــــهِ قَلبٌ عــــادَ وَهـــوَ قَليْبُ
أَبيتُ بجفْنٍ ليْسَ يَعْرِفُ مَـا الكرى وَأيُّ حَيـــاةٍ بـــالسُّهـــادِ تَطيْبُ
وَقَلبٍ إذا مـا قرّ عَـادَتْـهُ لَـوْعَـةٌ فَيَعْرُوْهُ من بَعْـــدِ الْقَرارِ وَجيْبُ
أَلاَ إنَّ دَهْراً قَــدْ رَمــاني بِصَرْفِـهِ لَـــدَهْرٌ إذا فكَرّتَ فيْـــه عَجيْبُ
ويَكْفي أَني بَيْنَ أَهْلي ومَعْشَري وَصَحْبي لبُعْدِي عَنْ حِمَاكَ غَريْبُ[3]

(١) ليست في (س) .
(٢) « عليه » ليست في (س) .
(٣) في الوافي : « ويكفي بأني » .

يقبّل الأرض[١] وينهي ورود المثال الذي تصدّق به مَولانا[٢] مَنْعاً ، وأهداه خميلةً فكم شفى زهرُها المنعّم من عمى ، وبعثه قلادة فكَمْ أزال درّها المنّظم مِن ظمأ وأقامَهُ حجّة ، على أن مُرسله[٣] يكون في الإحسَان والآداب[٤] مالكاً ومُتَمِّماً[٥] ، فَبَلَلْتُ برؤيته غلة الظمأ البَرْح ، وعاينت ما شاده من بنيَان البيَان ، فقلت لبلقيس عيني ادخلي الصّرح ، وقمت من حقوقه الواجبَة عليّ بما[٦] يطول فيه الشّرح ، وتلقّيته بالضمّ إلى قلب لا يَجبر منه الكسر غير الفتح ، وأسمَت ناظري من طِرسه في روضه[٧] الأُنُفِ ، وقسمت حليّه على أعضائي فللجيد القلائد وللفرق التيجان وللأذن الشُنُف ، ووردت منهله الصّافي والتحفت بظله[٨] الضّافي ، واجتليت[٩] مِنْ وجهه بشراً قابله الشُكر[١٠] بالقلم الحافي ، وعكفت منه على كعبة الفضل فلله ما نشر في استلامي وطوى في طوافي ، وكلّفت[١١] قلبي الطّائر جواباً فلم تقوَ القوادم وظهر الخواء في الخوافي ، وقلت هذا الفنّ[١٢] الّذي ماله ضريب ، وهذا وصل الحبيب البعيد ، قد نلته برغم الرقيب القريب :

فَيـا عَيْنَيّ بِيْتَـا في اعْتِنَـاقٍ ... وَيَا نَومي قَدِمْتَ على السَّلامَهْ

(١) قوله : « يقبّل الأرض » ليست في الوافي .
(٢) ليست في الوافي .
(٣) في الوافي : مَنْ أرسله » .
(٤) ليست في الوافي .
(٥) ابنا نويرة التميان . وقد اشتهرت مراثي متم في أخيه مالك .
(٦) في الأصل : و (ط) : « ما » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الوافي : « الروض » .
(٨) في الوافي : « ظلّه » .
(٩) في الأصل : « وأجليت » ، وأثبتنا ما في (س)، (ط) والوافي .
(١٠) في الأصل : « بالشكر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(١١) في الأصل : « طواي وكلف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
(١٢) في (س) ، (ط) والوافي : « الفن الفذ » .

وأقسم أن البيَان ما نكّب عمّا دبّجه مولانا ونكّت ، ولا أجراه الله على لسَانه إلاّ لّما سكّت البلغاء وبكّت ، ولا آتاه هذه النّقود المطبوعة إلاّ وقد خلّصت القلوب من رقّ غيره وفكّت ، ولا وهَبَه الله هذه الكلم الْجَوامع إلاّ أن الأوائل أحسّوا بطول رسائلهم فقطّعوها من حيث رقّت ، والصحيح من حيث[1] ركّت ، فما كلٌّ كاتب يَدُهُ فم ولسانه فيه قلم ، ولا كلٌّ متكلّم حُسْن بيانه تأتّم الهداة به كأنّه عَلَمْ[2] ، ولا كلّ بليغ[3] إذا خاطب الوليّ كلاّ أوْ كلّم العدوّ كَلَمْ ، لأنّ مولانا حرسه الله تعالى لا يتكلّف إذا أنشا ، ولا يتخلّف إذا وشّى ، والسّجع أهون عنده من النفس الذي يردده أو أخفّ[4] ، والدرّ الذي يقذفه من رأس قلمه أكبر من الدرّ الذي في قعر البحر وأشفّ ، وإذا راضَ قَلمه روّض الطّروسِ من وقته ، وإذا أفاض كَلِمَهُ فوّض البيان أمْرَ مقته وَمقته ، ومَا كَلِمُه إلاّ بحرٌ ، والقوافي أموَاج ، وما قَلَمه إلاّ ملك البلاغة[5] فإذا امتطى يده ركضت به من الطّروس على حلل الدّيباج ، فلهذا أخملت رسائلُه الخَمائل ، وتعلّمت منها[6] الصّبا لطف الشّمائل ، وأخذت بآفاق البلاغة فلها قمرها الطّوالع ولغيرها نجومها الأوافل ، وانتقت أعالي الفضائل ، وتركت للناس فضالة[7] الأسافل :

وَهــذا الحــقّ لَيْسَ بــهِ خفــاءٌ　　　فَــدَعْني مِنْ بُنَيّــاتِ الطّريْــقِ

فأمّا درّه الذي خرطه الجناس في ذلك[8] السلك فما أحقّه وأولاه بقول ابن سناء الملك :

---

(١) قوله : « من حيث » ، ليس في الوافي .

(٢) يشير إلى بيت الخنساء المشهور :

وإنّ صخراً لتـأتم الهـداة بـه　　　كأنـه علم في رأسـه نـارُ

(٣) (س) : « وليّ » .

(٤) في (س) ، (ط) والوافي : « وأخف » .

(٥) (س) : « البرايا » .

(٦) في الوافي : « منه » .

(٧) في الوافي : « فضالات » .

(٨) عبارة الوافي : « الذي خلطه الجناس وخرطه » .

فَذَا السَّجعُ سجعٌ لَيسَ في النَّثرِ مِثْلُهُ   وَهنا جِنَاسٌ لَيْسَ يُحْسِنُهُ الشعر[١]

فلو رأى الميكالي نمطه العالي[٢] وتنسّم شذى غـاليتـهِ العزيز الغَـالي لِقـال عطّلت هـذه الْمَحاسن حـالي الحـالي وكنت من قبلهـا مـا أظن اللآلئ إلاّ لي ، ولو ظفر الحظيري[٣] بتلك الـدّرر حلّى بهـا[٤] تصنيفـه[٥] ، ولو بَلغ العمَـاد الكاتب هـذه النكت رفعهـا على عرشه وعوّذها بآية الكرسي ، ودخل دار صمته وأغلق بـاب الفتح القُـدْسي[٦] ، فعينُ الله على هذه الكلم الّتي نفَثت في العُقَد ، وأيقظت جدّ هذا الفن الّـذي كان قَـدْ رَقـد ، فقـد أصَاب الناسُ بالسّهام ، وأَصَبْتَ أنت بالقرطاس ، وجـاؤوا في كلامهم بـالـذاوي الـذابل وجئت أنت بـالغضّ اليـانـع الغِراس ، وأبعـدت أنتَ[٧] في مَرمى هـذا الفنّ فقـاربـوا ، ولكن أين النّاس من هـذا الجنـاس ، وسبقت إلى الغـايـة ، ولو وقفت « مـا في وقوفـك ساعةً من باس »[٨] ، وقد قيل : بُدئ الشّعر بـأمير وخُتِمَ بـأمير ، يريـدون امرأ القيس وأبـا فراس ، وكـذا أقول بُـدئ بـالبُسْتي وخُتم بمولانـا ، وكلا كما [أبو الفتـح][٩] فَصـحَّ القياس .

وقد أثنيت على تلك الرّوضة ولو وُفّقْتُ[١٠] لانثنيت ومَا أثنيت ، ووقفتُ[١١] عند

(١) في الأصل : « الشعرا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الأصل : « الغالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٣) سعـد بن علي بن القـاسم ، شـاعر بغـدادي ومؤلف ، لـه : زينـة الـدهر ، ولُمح الملح (ت ٥٦٨ هـ) . وفيات الأعيان : ٣٦٦/٢ .

(٤) في الوافي : « بها » .

(٥) في (س) ، (ط) ، والوافي زيادة : « وعلم أن أرباب الجناس لو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهبا مـا بلغ مدّ مولانا ولا تصنيفه » .

(٦) هو الفتح القسي في الفتح القدسي ، للعماد الكاتب محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) والكتاب مطبوع .

(٧) ليست في الوافي .

(٨) صدر بيت لأبي تمام عجزه : « تقضي حقوق الأربع الأدراس » وهو مطلع قصيدة .

(٩) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

(١٠) (س) : « وقفت » .

(١١) في الأصل : « وقفت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

قدري فما أَجَبت ، ولكن اتّقحت[١] وما استحيَيْت ، على أنّي لو وجدت لساناً قائلاً لقلت ، فإنّي قد وجدت أوّل البيْت وقد شغل وصف مثال مولانا عن شكوى حال المملوك[٢] الشّاقّة ، وأرجو أنّني أُوْصيها شفاهاً إمّا في الدُّنيا وإما في يوم الحَاقّة :

إنْ نَعِشْ نَلتَقِي وَإلاّ فَما أَشْغل مَنْ مَاتَ [عن] جَميعُ الأَنَامْ[٣]

قلت : كأنّ هذه الخاتمة كانت مني فألاً عليه ، فإنّا لم نلتق ، وحالت المنيّة بينه وبين الجواب ، والمرجوّ من الحليم الكريم أن يجمعنا في دار كرامته ورحمته .

وأنشدني رحمه الله تعالى من لفظه لنفسه ما كتبه[٤] إلى ابن عمّه :

تَمنّاهَا وَمَا عَقَدَ التَّمَائِمْ وشَابَ وَحُبُّهَا في الْقَلْب دَائِمْ
وَحَكّم لَحْظَهَا فَقَضَى عَلَيْه فَأَيْنَ مُجيرُهُ مِنْ جُوْرِ حَاكِمْ
وَطَارَحَها الْغَرامَ بِهِ فَقَالَتْ عَلِمتُ فَقَالَ مَاذا فعْلُ عَالِمْ[٥]
مُعلّلَةُ الْمُتَيَّمُ وَالْغَوَاني حِبالُ وُعودِهَا أَبداً رَمائِمْ
أَمَا لي في وِصَالِكِ مَنْ نَصيْب وَلا لَكِ في عَذابي مِنْ مُسَاهِمْ
وَلا لي مَلجأ في الْخَطْب إلاّ سَليلُ الملك ذُو المِنَنِ الجَسَائِمْ[٦]
إلى ابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْحُسْنُ يُعْزَى وَثَغْرِ الجُوْدُ عَنْ جَدْوَاه بَاسِمْ
هُمامٌ بِالحروبِ لَهُ اهْتِمامٌ بِفَتْكٍ في العِدا لا في الغنائِمْ
فَيُعْمِل رأيَهُ الماضي شباه إذا نَبَتِ الأَسنَّةُ واللّهاذِمْ
وَيَثْبُتُ حَيْث مُشْتَجر الغَوالي وَيَمْضي حَيْثُ لا تَمْضي الصَّوارِمْ

---

(١) من القحة ، مصدر : وقح الرجل .
(٢) في الوافي : « عن شكوى حالي » .
(٣) الزيادة من (س) ، (ط) والوافي .
(٤) (س) ، (ط) : « ما كتب به » .
(٥) (س) : « بها » .
(٦) في (س) : « سليل العم » .

وَيَـــأمَنْ عِنْـــدَهُ الـلاّجي إليْـــهِ   وَلَـــوْ حَفَّتْ بِمُهجَتِـــــهِ الضَّراغِمْ
وَيقْصِـــدُهُ السَّليمُ فَـلا يُبـــالي   بِما أعْيـــــاه مِنْ مِنْ سُمّ الأَرَاقِمْ

وَهِيَ طويلة ، وهذا القدر منها كافٍ .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير مرّة :

فَقْري لِمَعْرُوفِـكَ الْمَعْرُوْفِ يُغْنيني   يــا مَنْ أُرَجِّيْــهِ وَالتَّقْصيْرُ يُرجيْني
إنْ أَوْبَقَتْني الْخَطَايَا عَنْ مَدى شَرَفٍ   نجَـا بِإدرَاكِـهِ النَّـاجُوْنَ مِنْ دُوْني[1]
أَوْ غَضَّ مِنْ أَمَلي مَـا شَـاءَ مِنْ عَمَلي   فَـإنَّ لي حُسْنَ ظَنٍّ فيْـكَ يَكْفيْني

وأنشدني من لفظه لنفسه :

صَرَفْتُ النَّـــــاسَ عَنْ بَـــــالي   فَحَبْـــــلُ وِدَادِهِمْ بَـــــالي
وَحَبْـــــــــلُ اللهِ مُعْتَصَمي   بِـــــهِ عَلّقْتُ آمَـــــالي
وَمَنْ يســـــلِ الـــــوَرى طُرّاً   فَـــــإنّي عَنْهُمُ سَـــــالي
فَـــلا وَجْهي لِـــــذي جَـــاهٍ   وَلا مَيْلي لِـــــذي مَـــــالِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

عـذيْري مِنْ دَهرٍ تَصَـدَّى مُعَـاتِبـاً   لِمُسْتَمْنِـحِ العُتْبى فـأَقصَـدَ مَنْ قَصَـدْ
رَجَـوْتَ بـهِ وَصْـلَ الحبيبِ فَعِنْـدَما   تَبدَّى لَـهُ الْمَعْشُوْقُ قَـابَلَـهُ الرَّصَـدْ[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزاً في « قراقوش » :

ظَبيٌ مِنَ التُّركِ هَضيْم الحَشَـــــــا   مُهَفْهَفُ الْقَـــــدِّ رَشيْـــقُ الْقَـــوَامْ
لِلطّرفِ مِنْ تَـــــــــذْكارهِ عَبْرَةٌ   وَالقَلْبُ شَـــوْقٌ أَرَقَ المسْتَهَـــــامْ

(١) في الوافي : « المطايا » .
(٢) في الوافي : « لي » .

وأنشدني إجازة ، ومن خطه نُقلت :

إن غَضّ مِنْ فقرنـا قَـومٌ غِنى مُنحـوا　　وكلّ حِـزْبٍ بِمـا أُوْتُـوهُ قَـدْ فَرِحُـوا[1]
إنْ هُمْ أَضَـاعوا لِحِفْـظِ المـال دِيْنَهُمُ　　فـإِنَّهُمْ خَسِرُوا أَضْعَـافَ مَـا رَبِحُـوا

وأنشدني في لفظه لنفسه :

يـا بَـديـعَ الجمـال شُكْرُ جَمالِـكْ　　أَنْ تُـوافي عُشَّـاقَـهُ بِـوصَـالِـكْ
لِنْتَ عطْفَـاً لَهُمْ وَقَلْبُـكَ قـاسٍ　　فَهم يَـأْخُـذُوْنَ مِنْ ذَا لِـذَلِـكْ
غَيْرَ أَنّ الجَمَـالَ أَوْلى بِـذَا الْحُسْـ　　ـنِ ومَنْ لِلْبـدُوْرِ مِثْـل كَمَـالِـكْ[2]
قَـابلتْ وجْهَـكَ السَّماءُ فشكل الـ　　ـبـدْر مَـا في مِرآتِهـا مِنْ مِثَـالِـكْ
مَثَّلَتْـه لَكنْ رسُـوْمُ صَـداهـا　　كَلّفَتْـهُ فَقصَّرَتْ عَنْ مِثَـالِـكْ

١٧٧٣ ـ محمد بن محمد بن يوسف*

ابن نصر ، صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله بن الأحمر الخزرجي .

كان ملكاً جميلاً نبيهاً نبيلاً حسن السّياسة[3] ظاهر الرياسة ، عاقلاً وقوراً ، فاضلاً يرسل من ذهنه على صيد المعاني صقوراً ، متظاهراً[4] بالدّين متجاهراً بقمع الملحدين ، له نظم أرق من هبَّة نسيم سَحَرْ ، وأخلب من لحظ غادةٍ إذا رمق وسَحَر[5] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ الروم ٣٢/٣٠ . ووقع في (س) ، (ط) والوافي : « فكل » .

(٢) (س) ، (ط) والوافي : « الكمال » . وفي الوافي : « مثل خيالك » .

* الوافي : ٢٠٦/١ ، والدرر : ٢٤٢/٤ ، ووقع في (س) : « محمد بن محمد بن محمد » سهو .

(٣) في الأصل : « السيادة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « متظاهر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في (س) : « سحر » ، بلا واو .

وكان قد قرأ العربيّة على الأستاذ أبي الحسن الأُبَّذي[١] وراح وهو على طريقه يَحْتذي .

ولم يزل على حاله إلى أن خانَه زمانه ، وغدر به سُلطانه ، فَخُلعَ ثمَّ غُرِّق ، وَوزِّع سَعْدُه وفُرّق ، وذلك في سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكان قد بويع السّلطان أبو عبد الله بعد والده سنة إحدى وسبعين وست مئة ، فتملك ثمانية أعوام ، ثمّ إنّه وثب عليه أخوه أبو الجيوش نصر[٢] ، وظفر به وسجنه مدّة ، ثمّ جهزّه إلى بلده شلوبينيّة[٣] ، فحبسه بها إلى أن تحرّك على نصر[٤] ابنُ أخته الغالب بالله وطلب نصر أخاه المخلوع إلى غرناطة فجعله عنده بالْحَمراء في بيت أخته ، ومرض أبو الجيوش نصر ، فأغمي عليه ثلاثة أيّام ، فأحضر الكبراء أخاه ليملّكوه ، فلمّا عوفي[٥] أبو الجيوش تعجّب من مجيئه وأُخبر فغرَّقه خوفاً من شهامته ، وكان خَلْعُه وتغريقه في السَّنَةِ المذكورة .

أخبرني من لفظه شيخنا الإمام العلاّمة أثير الدين[٦] قال : رأيته بغرناطة مراراً بالمصلّى ، وأنشدته قصيدةً امتدحته[٧] بهَا ، وحضرت عنده إنشاد الشعراء في بعض أعياده ، ويُذكر أن له نظماً ، وقد اشتهر عنه وهو قوله يخاطب وزيره أبا سلطان عزيز بن علي الداني :

---

(١) علي بن محمد بن محمد (ت ٦٨٠ هـ) . بغية الوعاة : ٩٩/٢ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « سلبونيّة » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي . وشلوبينيّة : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة . (معجم البلدان) .

(٤) (س) : « أبو نصر » .

(٥) في الأصل : « توفي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) (س) : « أثير الدين أبو حيان » .

(٧) في الوافي : « أمدحه » .

تَـــذَكَّرْ عَـزِيـز لَيــــالِيّنــــا وَأُنْســاً نُعَــاطي عَلى الفرقَــدَيْنْ
وَنحنُ نُـــــدبِّرُ في مُلْكِنَــــا وَنُعْطى النُّضَــارَ بِكُلْتَــا اليَــدَيْنْ
وَقَـــد طلبَ الصُّلح منَّـــا اللّعيـ ـن فما فَـــــــاز إلا بِخُفّيْ حُنَيْنْ
إذا مـــــا تُكاثِر إرْسَــــــالُـــــهُ يَكُــون الجـوابُ شَبَـــا المرهَفَيْنْ
فلِمْ لاَتشمِّر عَن ســــــاعِـــــدِ وَتضربُ بـــــــاَلسَّيْفِ في المغْرِبَيْنْ
وَقَــدْ خَــدمَتْنــا ملـوكُ الــزّمــا نِ وَقَــدْ قَصَـدَتْنَــا منَ العَــدْوَتَيْنْ
فَنسْـــأَلُ منْ ربِّنَـــا عَـوْنَـــهُ عَلى مَــا نَـويْنَــا مِنَ الْجَـــانِبَيْنْ

وممّا ذكر عنه قوله :

أَيَـا رَبَّـة الْحُسْنِ الَّتي أَذْهَبَتْ نُسْكِي عَلى كُلّ حَالٍ أَنْتِ لا بُـدَّ لي مِنْـكِ[1]
فَـإمّـا بِــذُلٍّ وَهُـوَ أَلْيَـقُ بِـالْهَـوى وَإمّــا بِعِـزٍّ وَهُـوَ أَلْيَـقُ بِـالْمُلْـكِ

انتهى .

قلت : وقد نظمت جوابه كأني حاضُره في وزنه ورويّه :

مَتى لاقَ بــالعُشّـاق عــزٌّ وَسَطْـوَةٌ كَـأَنّــكَ مِنْ ذُلِّ المحبّـــة في شَـــكٍّ
تَلْـقَ الهوى مَـعْ مَــا مَلَكْتَ بِـذِلَّــةٍ لِتُنْظَمَ مَـعْ أَهْـلِ المحبَّــةِ في سِلْــكِ

ولكنّه ظرَّف في كونه قدّم لفظ الذّل على العزّ .

١٧٧٤ ـ محمد بن محمد بن محمد*

ابن محمّد بن عبد القادر ، الإمام المفتي المدرّس ناصر الدين بن الصّايغ الدّمشقي .

كان من أعيـان الفقهـاء وسمِع كثيراً ونظر في الرّجـال ، وعنيَ بـالمتون ، وسَمـع من

(١) (س) : « أيّ حال » .
* الوافي : ٢٨٨/١ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

القاضي ، والمطعّم ، وعدّة . وكتب عن شيخنا الذّهبيّ . وقال شيخنا عنه : له عبادة وإنابة وتَسَنّن .

وتوفّي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق سَنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وسبع مئة .

كان[1] مدرّس العماديّة .

١٧٧٥ ـ محمد بن محمد بن محمد*

الشيخ الفقيه القاضي فخر الدين أبو عبد الله الشافعي المعروف بابن الصّقلّي .

ناب في الحكم بالحكر ظاهر القاهرة إلى حين وفاته ، وصنّف كتاب (التنجيز في تصحيح التّعجيز)[2] وَوَلي قضاء دِمياط .

توفّي رحمه الله تعالى في أواخر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وقد قارب السّبعين .

١٧٧٦ ـ محمد بن محمد بن محمد**

ابن خليفة بن نصر [الله] القاضي الرئيس الفاضل الكاتب أمين الدين ابن القاضي نجيب الدين [بن القاضي كمال الدين][3] بن النحاس .

أتقن القَلَمَيْن إنشاءً وحساباً ، وتجاوَزَ غاية الفنّين ، فإذا دعاهما أجابَا ، وكان فيه رئاسة تشرَّبها قَلْبُه قديماً ، وصحب الناس على اختلاف حالتيه خادماً وخديماً .

(١) في (س) ، (ط) : « وكان » .

* الدرر : ٢٣٦/٤ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٤/١ ، والشذرات : ٧٩/٦ .

(٢) كشف الظنون : ٤٩٤/١ .

** الدرر : ٢٢٤/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول والدرر .

(٣) زيادة من (خ) .

ولّما كان في ديوان الأمير سيف الدين تنكز رأى من العز والوجاهة والصدارة والنباهة ما فاق به أبناء جنسه ، وجنى ثمر غرسه ، ونفخ في ضرم الكرَم ، وأبقى من الثناء ما لا انصرف ذكرهُ ولا انصرم . ثم إن الدهر قلب له المجنّ ، وأسدف ليلُ خموله وجنّ ، وانحرف عليه مخدومه ، وغابت من إقباله نجومُه ، ثم إنّه حنّ عليه بعض حُنُوّ وأسمى قدْرَهُ بعض سمو .

ولم يزل في عمالة الخزانة معروفاً بالضبط والأمانة إلى أن نحّى النحاس عن الحياة أجلُه ، ولم ينفعه ريثه ولا عجله .

وتوفي رحمه الله تعالى فجأة يوم الخميس سابع شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

ومولده في غالب الظن في[1] سنة إحدى وثمانين .

بات ليلة الخميس وأصبح بكرة نهاره ، فحكى لبعض أصحابه ، قال : رأيت في بارحتي كأني دخلت الحمام ومتّ ، وفي البارحة الأولى رأيت مِثْل ذلك ، ثم إنه اشترى لأهله حلوى ، لأنه كان ليلة الرغائب ، وجهّزها مع أهله إلى تربة ولده بالمزّة ، وقال : أنا العصر عندكم ، ثم إنه دخل الحمّام وخرج منه ، فمات فجأة ، وما أذّن العصر إلا وهو عند أهله كما قال ، ولكن على النعش .

وكان أوّل أمْره قد توجه مع الأمير سيف الدين طقطاي الجمدار إلى نيابة الكرك ، ثم إنه عاد واستخدمه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى صاحب ديوانه عوضاً عن القاضي محيي الدين ، فصال وجال ، وكان [له][2] ذكرٌ في دمشق وصيت وسمعة إلى أن تغيّر عليه بعد مدّة[3] فعزله ، وأخذ منه بعض شيء ، واستمر[4] في إحدى وظيفتيه

(١) ليست في (س) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .
(٣) في (خ) : « تغير عليه مخدومه فعزله » .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « به » .

بديوان الإنشاء ، ثم إنَّه بعد مُدَيدَة لزم بيته ، وأقام على ذلك مدة . ثم إنه حَنّ عليه واستخدمه في نظر دار الطراز ، فباشرها مدّة ، ثم إنه تناقل هو وابن السابق[١] من عمالة الخزانة إلى نظر دار الطراز ، فاستمر[٢] أمين الدين في عمالة الخزانة بقلعة دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

ولما كان[٣] الأمير علاء الدين الطنبغا بدمشق تحدث له القاضي شهاب الدين بن فضل الله في أن يكون في جملة كُتّاب الإنشاء ، فرسم له بذلك ، وكتب بذلك توقيعه ، وعلّم عليه ، وطُلب ليباشر فاستعفى من ذلك .

وكان له نظم ونثر لا بأس بهما ، من ذلك ما نظمه وكتبه على (حسن التوسّل)[٤] وهو :

.... فأدركته منها بحسن التوسل

ونقلت من خَطّه صورة قصة كتبها على لسان قلعة الكرك تسأل أن يكون بها مُوقّعا وهي :

المملوكة الْمُملكة الكركيّة الشاكي على[٥] لسان حالها أكبر مصيبة[٦] وأعظم بليّة :

تقبل الأرض لدى مالك ساس الأقاليم برأي مصيب
وتشتكي جَوْرَ الزمان الذي قد خصها دون الورى بالصليب

(١) علي بن عبد الواحد ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) (خ) : « فباشر » .
(٣) في الأصل : « ولمّا توفي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) حسن التوسل في صناعة الترسل للشهاب محمود ، وهو من أشهر كتب الإنشاء .
(٥) في (س) ، (خ) : « إلى » .
(٦) (س) : « الأكبر بعصيبة » ، وفي (خ) : « كبر مصيبة » .

وتنهي أنها من أعز الممالك وأصعب المسالك ، قلعتها منيعة ، وهضبتها رفيعة ، وبقعتها وسيعة ، وذروتها باسقة وقُلّتها شاهقة ة ، وقد اتخذت لها الغمام لثاماً ، وزرقة السماء وشاما ، يكاد ساكنها يردُ من المجرة نهرها ويجالس[1] من النجوم زهرها ، وهي دار السلطنة الشريفة ، ومحلّ الأمن من الخيفة ، قد جمعت بين قرب الأرض المقدسة والشام ومجاورة الأنبياء والبلد الحرام ، ومع ذلك كلّه لسان إنشائها أقلف ، وقلم توقيعها من الحجارة أجلف ، ووليّه نصرانيّ الدين ، وفي ذلك إجحاف بالإسلام والمسلمين ، وكانت صابرة على البلوى ومحتسبة عند الله ما تقاسيه من هذه الشكوى ، لعدم مَن تنهي [إليه][2] حالها وتبث مقالها ، إلى أن أعزها الله بعز الدين ، ومنحها[3] منه بالرأي الصائب والفتح[4] المبين :

أمير له حزم وعزم وفطنة ورأي يجيد العقد والحل صائبه
تردّى بثوب العدل والباس والندى كما قال من قد أحكمته تجاربه :
« بصير بأعقاب الأمور كأنما تغازله من كل أمر عواقبه »

فلمّا حل ساحتها ، وأعاد لها بعد التعب راحتها ، وأزال عنها كل بوس وأضحك وجوه[5] أملها العبوس ، حضر لديه منشئ هذه القصة ومزيل ـ إن شاء الله ـ هذه الغصّة عَبْد الأبواب الشريفة محمد بن محمد بن خليفة ممن غذي بالإسلام ، ونسب إلى أنصار النبي عليه السلام ، وهي تسأل توليته ديوان إنشائها ، وإن لم يكن لذلك أهلاً ، لكنه أحق من هذا[6] الأقلف وأولى ، لتكون المملوكة في ذلك كمن اتخذ سداداً من عوز أو تقلّدٍ لعدم الدرّ الخرز :

(١) في الأصل : « وجالس »، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) زيادة من (خ) .
(٣) (خ) : « الذي منحها » .
(٤) (خ) : « والنصر » .
(٥) (خ) ، (ط) : « وجه » .
(٦) (خ) : « ذلك » .

فــإن اقتضت آراءُ مــولى قـــد سما بمفــــاخر ومـــــآثر وبســـؤدد
أن يسعف الشـــاكي إليـــه برأفـــة تـــدنيـــه من آمـــالـــه والمقصـــد
فليصرفن هـــــــذا اللعين ويغتنم إبـــدالَـــهُ لي بطُرُســـاً بمحمـــد[1]

ويشرف هذا القلم[2] الذي لا يبارى ، وليعمل بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى ﴾[3] ويسلك هذه الصناعة أحسن مسلك ، معتمداً على قوله عز وجل : ﴿ وَلَعَبدٌ مُؤمِنٌ خَيْرٌ مِن مشْرِكٍ ﴾[4] وينزهها من ذلك كأمثالها من الحصون ، آخذاً بقوله جلَّ اسمه : ﴿ لاَتَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادُّون ﴾[5] .

وقد أرسلت المملوكة هذه القصة والسيل بالغ الزبا وخفيف بلله قد عمّ أعالي الربا ، فإن أُجيبت فاللومُ عداكم ، وإلا أنشدت : « فعلى علاكم » أنهت ذلك إن شاء الله تعالى .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنظر دار الطراز ثالث[6] عشري صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهو :

رسم بالأمر العالي ـ لا زال يصطفي من كان أميناً ويكتفي بمن تتقلد الأيام من محاسنه عقداً ثميناً ، ويحتفي بمن يصبح نور كفايته على مرّ الليالي مُبيناً ـ أن يرتب المجلس السامي[7] القضائي في كذا .. ركوناً إلى كفايته التي يزيد جمالها ويزين ،

(١) (خ) : « هذا الخبيث » . وفي الأصل : « بطرس محمّد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) المائدة : ٥/٥١ .
(٤) البقرة : ٢/٢٢١ .
(٥) المجادلة : ٥٨/٢٢ .
(٦) (خ) : « في ثالث » .
(٧) (خ) : « العالي » .

ويعيد جلالها ويعين ، ويبيد كل فضل[١] سواها ويبين ، ويستحق بمكانتها أن يقال له ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[٢] إذْ هو الخبير الذي إذا قام في أمر سدّه ، وتمنى بَـدْرُ التمام لو نال بعض كماله ووده ، والفاضل الذي مر الزمان على محاسنه وهي لا تزيد[٣] إلا جدّة وجدّة ، وأعيا تعدادُ فضله أنامل الحُسّاب فما أمسكوا إلا على عدة وعدّة ، والكاتب الذي وشّى المهارق ، عَوّذ قلمه وطرسه بالقضيب والبُرْدة ، ورقم[٤] ابن مقلة تحت رقم خطّه ، وشهدت له بالحلاوة شَهده ، والبليغ الذي إذا قال قال الذي عنده ، وأعجلت رويّته القلم فلم تدعه يبلغ ريقه ولا يستريح في مُدّة مدّه .

فليباشر ذلك مباشرة هي في كفالة معرفته وكفاية خبرته ناظراً فيما يوشي ويوشع ، ويلم شمل الحسن في رقمه ويُلمع ، متطلباً أعمال الصناعة بإتقانها ، وإقامة الحجة في النظر على صحة رقمهم بأدلتها وبرهانها[٥] ، متطلعاً إلى ضبط ما يصرف ، وعرفان ما يمكن أن يتوصل إلى كيفية إحسانه وكميّة أوزانه ويعرف ، حتى تكون هذه المباشرة حقيقةً في صحة النظر دون مجازِهِ ، وينسى ابن سناء الملك لمحاسنها طراز داره ودار طرازه ، فإنه من هذه الوظيفة المباركة قد تسوّغ العذب النَّمير ، وفُوِّض إليه النظر في جمال المأمور والأمير وزينة الكبير ، ولا حَظَّ فيها للصغير ، فيقال : والصغير ، ينعم نظره منها في نعيم وملك كبير ، ويتفاءل منها بسعادة الآخرة فإنه بها في الدنيا في جنّة وحرير .

وتقوى الله ملاكُ الأمور فليكن طراز بروده وواسطة عقوده المتحلّي بها في صعود سعوده ، وليقابل هذه النعمة بشكر يوجب[٦] مزيد الخير المستمر والحمد الذي

---

(١) في الأصل : « فصل » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) يوسف : ٥٤/١٢ .
(٣) (خ) : « لا تزداد » .
(٤) قوله : « والكاتب .. » إلى ههنا ليس في (خ) .
(٥) (خ) : « على صحة برهانها » .
(٦) في (س) ، (خ) : « يوجب له » .

يستقل بالأيادي الجزيلة ويستقر ، والله يزيده فضلاً من عنده ويوفقه إلى ما[1] يرشده إلى مظان سَعده ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٧٧٧ ـ محمد بن محمود*

ابن شمس الدين بن الكويك ، التاجر التكرتي .

أقام بدمشق مدة طويلة ، ورحل وأقام بالإسكندرية ، وصار من تجّار الكارم ، وكانت له في الإسكندرية صورة مشهورة[2] ومعروف وبرّ .

توفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٧٧٨ ـ محمد بن محمود بن محمد**

ابن بندار ، الشيخ بدر الدين التبريزي الشافعي .

كان رجلاً مباركاً معروفاً بالصّلاح ، ولي القضاء في أماكن متعدّدة ، منها القدس وبعلبك ، ثم إنه نُقل من القدس إلى بلد الخليل عليه السلام خطيباً ، فأقام أشهراً يسيرة .

ومات رحمه الله تعالى في عاشر شوال سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٧٧٩ ـ محمد بن محمود بن ناصر***

ابن إبراهيم ، الشيخ الفقيه المقرئ المجوّد شمس الدين ابن الشيخ نجم الدين الزُّرعي الدمشقي المعروف بابن البصال .

---

(١) (خ) : « لما » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٣٧ ، والدرر : ٢٥٢/٤ .

(٢) ليست في (س) .

** الدرر : ٢٥٢/٤ .

*** الدرر : ٢٥٢/٤ .

كان مُقرئاً جيداً عارفاً بالقراءات ، حسن الصوت ، مليح الأداء ، أمّ بدار الحديث الأشرفيّة مُدّة ، وكان الناس يقصدون الصلاة خَلْفَهُ في التراويح فيمتلئ المكان ويزدحم .

وكان صيّنا ديّنا متواضعاً ظاهر الخير ، وتصدَّر للإقراء مُدّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة[١] وقد تجاوز الأربعين من عمره .

١٧٨٠ ـ محمد بن محمود بن سلمان*

ابن فهد ، القاضي شمس الدين صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، وابن شيخنا العلاّمة شهاب الدين محمود صاحب ديوان الإنشاء بدمشق .

كان ساكناً وادعاً ، رادّاً عن الظلم رادعاً ، ليس من الشر في شيء وإن هان[٢] ، ولا عنده كبرٌ ولا له في الملق وجهان . وكان خطّه كالقلائد على اللبّاب ، والأزهار إذا كان للنسيم فيها[٣] هبات . جمع من إنشاء والده مجاميع ، وعلّق أشياء مطابيع :

كأنها من حسنها روضةٌ تسرح فيها مُقلةُ الناظر

ولم يزل على حاله إلى أن صرعته المنايا ، وصدعت شمل حياته الرزايا .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

---

(١) (س) : « ثمانية عشرة » . وفي الدرر : « ثمانون وثلاثين وسبع مئة » .

* الوافي : ١٢/٥ ، والدرر : ٢٥١/٤ ، والشذرات : ٨/٦ .

(٢) يشير إلى قول الحماسي :

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا

(٣) في (س) : « عليها » .

ومولده ثامن[١] شوال سنة تسع وستين وست مئة .

وكان يكتب خطاً نقشاً نغشاً مليحاً[٢] إلى الغاية ، وكان كثير التواضع لم يغيره المنصب ، وكان الأمير سيف الذي يحبه ويعزه ويكرمه ، ولمّا جاء والده رحمه الله تعالى إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء كان هو حَوْلَ والده يكتب المطالعة ، هو والقاضي شرف الدين أبو بكر ولده ، وقد تقدم ذكره ، وكان إذا سافر الأمير سيف الدين تنكز إلى الصيود يسافر القاضي شمس الدين معه ، وتوجّه معه إلى الحجاز لعجز الشيخ شهاب الدين والده عن حركة السفر . ولمّا توفي والده رحمه الله في شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة كتب فيه تنكز إلى السلطان فولاّه صحابة ديوان الإنشاء بدمشق على عادة والده ، ووصل توقيعه ...[٣] .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، فما طالت المدة .

ولما مات رحمه الله تعالى رثاه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة بقصيدة أولها :[٤]

أطلق دموعك إنّ القلب مَعْذورُ ... وإنّه بيد الأحزان مأسورُ
وخلّ عينيك يهمي مِنْ مدامعها ... درٌّ على كاتب الإنشاء منثورُ
يسوءني ويسوء الناس أجمع يا ... بيت البلاغة أنّ البيت مكسور
في كل يوم برغمي من منازلكم ... ينأى ويذهب محمود ومشكور[٥]
خبا الشهاب فقلنا الشمس فاعترضت ... أيدي الردى فزمان الأنس ديجور
آهاً لمنظر شمسٍ لا يُذَمّ لها ... بالسعي في فَلَك العلياء تسيير[٦]

(١) (س) : « في ثامن » .
(٢) ليست في (س) .
(٣) كذا بياض في الأصول .
(٤) ديوانه : ٢٢١ .
(٥) في الديوان : « عن منازلكم » .
(٦) في الديوان : « لا يدوم لها ... تيسير » .

منها :

لهفي عليـــه لأخـــلاق مهـــذبـــة ... سعى الثنـــاء بهـــا والأجر مبرور[١]
تـواضـعٌ لاسمـهِ منـه ازديـاد عُـلا ... وفي التكبّر لـــلأسماء تصغير
وهمّـــة بين خُـــدّام العـــلا نشـــأت ... فـاللفـظ والعَرْض ريحـان وكافـور
لا عيب فيـه سـوى فكر عـوائـده ... للحمـــد رقّ ولـلألفـــاظ تحرير
حتى إذا لاح مرفـوع مـــدائـــده ... وراح ذيـــلُ عـــلاه وهـــو مجرور
تخيَّرتــه أكفُّ المـوت عـــارفـــةً ... بنقـــده وتَنَقّتـــه المقـــادير

منها :

والمرء في الأصـل فخّـار ولا عجب ... أنْ راح وهـو بكف الـدهر مكسـور
جادت ضريحك شمس الدين سارية ... يمسي صداك لديها وهو مسرور[٢]

١٧٨١ ـ محمد بن محمود بن معبد*

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، وهو أخو الأمير علاء الدين ، وقد تقدم ذكره في حرف العين ، وأصلها من بعلبك .

أخذ الأمير بدر الدين هذا العشرة ، ثم الطبلخاناه ، وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى قد تغير عليه لما تغير على[٣] ناصر الدين دواداره ، ثم رضي عنه بعد ذلك وولّاه الصفقة القبليّة ، وكانت له نعمة طائلة ، وأملاك وسعادة[٤] .

وكان يحبّ الفضلاء ويكرمهم ، وعلى ذهنه تواريخ الناس ووقائعهم ، وعنده

(١) في الوافي : « سَعي » .
(٢) في الديوان : « شمس الدين سحب ندىً » . وفي الأصل : « إليها » ، وأثبتنا ما في (س) والديوان .
* الدرر : ٢٥٢/٤ .
(٣) في (س) ، (خ) : « على الأمير ناصر » .
(٤) قوله : « وكان الأمير سيف الدين » حتى ههنا ليس في (خ) .

مجلدات في الأدب وغيره ، ولم يكن يقدر أحد يحجّه ولا يخصمه إذا سارعه[١] أو حاكمه ، وكان شكلاً طويلاً بطيناً دون أخيه علاء الدين .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودُفن إلى جانب بيته داخل دمشق .

١٧٨٢ ـ محمد بن مختار*

الفقيه الفاضل شرف الدين الحنفي .

كان جيّد الذهن ، يعرف الهندسة جيّداً ، وله يد طولى في الهيئة والحساب ، وكان في الأصل صائغاً ، فتسلط بالصياغة[٢] على معرفة كتاب الحيل لبني موسى[٣] وكان يصنع بيده أشياء[٤] غريبة ويقدّمها للأمير سيف الدين قجليس الناصري ، فراج عنده بذلك ، وأخذ له فقاهات في المدارس[٥] الحنفيّة . وكانت له يد في المنطق ، وكان يحب الأدب ، ولم يكن له فيه يدٌ بل ولا ذوق .

اجتمعت به بقلعة الجبل غير مرّة وجرَت بيني وبينه مباحث أصولية ، وكان يميل إلى رأي الفلاسفة ، وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي[٦] أبياتاً أنشد فيها ، منها أولها :

ليس ابنُ مختار في كفر بمختار ... وإنما كُفْرُه تقليدُ كفّار

(١) في الأصل : « شارعه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والمسارعة : المبادرة .
* الوافي : ١٤/٥ ، والدرر : ٢٥٤/٤ .
(٢) (خ) : « صانعاً ... بالصناعة » .
(٣) هم ثلاثة أخوة محمّد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر عاشوا في عصر المأمون في دار الحكمة ، وينسب إليهم كتاب الحيل . انظر ، وفيات الأعيان : ١٦١/٥ وما بعدها .
(٤) (س) ، (خ) والوافي زيادة : « منها أشياء » .
(٥) (س) : « بالمدارس » .
(٦) أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٧٨٣ ـ محمد بن مسعود*

ابن أيوب بن التوزي ، بالتاء ثالثة الحروف وبعد الواو زاي ، القاضي بدر الدين الحلبي ، محدث حمص .

طلب الحديث واجتهد ، وخرَّج لنفسه أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة .

ومولده بقلعة حلب سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت الأربعين التي له عليه ، وكتبها لي بخطّه ، وروى لنا عن عبد الله بن النحاس[(١)] ، والصدر البكري ، وخطيب مردا ، وإبراهيم بن خليل ، وضياء الدين صقر[(٢)] ، والكفرطابي وجماعة .

١٧٨٤ ـ محمد بن مسعود، صلاح الدين**

اجتمعت به غير مرّة بالقاهرة وبقلعة الجبل ، وأنشدني كثيراً من شعره ، ومما أنشدنيه من لفظه لنفسه في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة[(٣)] :

صرْفُ الزبيبي لصَرْف همّي نص على نَفْعِه طبيبي
آهِ على سكرةٍ لعلي أن أخلط الهمَّ بالزبيبي

---

* الوافي : ٢٤/٥ ، والدرر : ٢٥٦/٤ .

(١) عبد الله بن الحسن الدمشقي (ت ٦٥٤ هـ) . السير : ٢٠٨/٢٣ .

(٢) في الأصل : « صفر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، وسلفت الإشارة إليه .

** الوافي : ٢٤/٥ ، الدرر : ٢٥٧/٤ .

(٣) في الدرر : « قلت : ورأيتها في ديوان إبراهيم المعمار » .

١٧٨٥ ـ محمد بن مسعود بن أوحد بن الخطير*

الأمير ناصر الدين بن الأمير بدر الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، وسيأتي ذكر والده .

كان فيه شمم ، وبه عن الخنا صمم ، يأخذ نفسه بعظمةٍ زائدة ، ويرى أنها على أبناء نوعها سائدة ، لا يُذعن لأحد ، ولا يذل لكبير اعترف له بالفضل أو جحد . تمتدّ آمالهُ ولا تقف عند غاية ، ويحدّث نفسه بأمور ما لها نهاية . يتجمل في ملبوسه ومركوبه ومسكنه ، ويجعل النظافة والصلف من دأبه وديدنه . طويل الروح في المخاصمة لا يرجع عمّن حاوره[(١)] ولوحزّ غلاصمه ، يركب في خدم وحشم وحفدة ، ويُجمِّل الموكب الذي أمَّه وقصده .

ولم يزل راقياً في أوج شبابه ، صاعداً في معارج عيشه الذي انتهى به إلى انتهابه ، إلى أن اخترقه حمامُه ، وانهدّ بالموت يذبله وشمامه[(٢)] .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده بدمشق في سنة ست وعشرين وسبع مئة .

مات والده رحمه الله تعالى وهو أمير عشرة فلم يزل يسعى[(٣)] ويبذل إلى أن أخذ إمرة الطبلخاناة بعد توجّهه إلى مصر ، وأخذ لأولاده إقطاعات جياداً في حلقة دمشق ، وكان سعيد الحركات مجتهداً في تحصيل الأملاك وغيرها ، ويغالي في الخيول والملبوس

---

* الدرر : ٢٥٤/٤ .

(١) (س) : « حاوله » .

(٢) يذبل وشمام : جبلان لباهلة .

(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « ويجتهد » .

وفي رخت الإمرة ، ويركب [وينزل][١] في جماعة من مماليكه وجنده وأولاده ، وكان يمنّي نفسه ويعدها أموراً عالية من الولايات والمناصب ، ولو عاش وأمهلهُ الدهر لنال ما يطلب لحُسن تأتيه[٢] وجميل [سلوكه][٣] .

وكان والده رحمه الله تعالى يثق بعقله ويركن إليه دون إخوته ، وكان قد رغب إلى الأمير سيف الدين تمر المهمندار وخطب منه[٤] قطلو ملك ابنة الأمير شرف الدين موسى ابن الأمير علاء الدين علي ابن الأمير سيف الدين منكوتمر ، وكتبت أنا الصداق له من رأس القلم وهو :

الحمد لله الذي أيّد هذا الدين بناصرِهِ ، وشيد قواعده بشَدّ أواخيه وإحكام أواصره ، وخصّه بكرم أبوّته وطيب عناصره .

نحمده على نعمه التي منها الهداية إلى اتباع السنة ، والعناية بما يؤدّيه[٥] إلى سلوك الطرق التي توصل إلى الجنة ، والرعاية لأعمال تكون النفس بها يوم الفزع الأكبر مطمئنة .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تخفف[٦] بين سرادق العرش أعلامها ، وتُشرق في الحنادس المظلمة أقمارها ، وقد كمل نورها وتمامها ، وتورق غصون الإيمان بأدلتها إذا انشقت عن زهرات اليقين أكمامها .

ونشهد أن سيدنا محمداً[٧] عبده ورسوله الذي حَضّ على النكاح ، وحث على تجنّب

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (خ) والدرر : « تأنيّه » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) (خ) : « إليه » .
(٥) في الأصل : « ما » ، وفي (س) ، (خ) : « بما يؤدي » .
(٦) (خ) : « تحقق » .
(٧) في الأصل : « محمّد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

السفاح وحصَّ قوادم[1] الباطل ، وراش جناح النجاح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حافظوا على اقتفاء آثاره ، وبلغوا الأمة ما وصل إليهم من سُنَنِه[2] وأخباره ، وكاثروا النجوم الزاهرة بمُهَاجريه وأنصاره ، صلاة لا تُحط البوارق من رضوانها لثاماً ، ولا تشق السوابق من غفرانها غماماً ما عُقد نكاح ، وفُقد سفاح ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وبعد :

فإن النكاح من مزايا هذه الأمة ومحاسنها التي تجلو بأنوارها الحنادس المدلهمَّة ، والسنة بذلك طافحة ، وفي كل مكان منها نافجة نافحة ، فمن ذلك ما هو في بيانه ووضوحه كالعَلَم ، وهو قوله عليه السلام « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم »[3] .

وكان المقر الكريم العالي المولويّ الأميري الناصري محمد بن الأمير المرحوم بدر الدين مسعود بن الخطير ممن طَاب فرعاً وأصلاً ، وحوى[4] الفضلين حكماً وفصلاً[5] ، وحاز المنقبتين قلماً ونصلاً ، وتفرّد بالمحاسن التي فضلُها للعيان مشهود ، وروضها بغمام الكمال مجود ، وحَوضها لك ناهل مورود ، وحديثها في الناس مشهور ، **وما أصدق من روى حديث ابن مسعود** ، ومحله في السيادة أثيل وأثير ، وباع رُمحه في البأس طويل ولسان السيف من غيره قصير ومناقب بيته فعمدة كل خطيب وَصفُ بني الخطير :

من النفر الغرّ في قومهم فطالوا أصولاً وطابوا جدودا[6]

(١) في الأصل : « وحصّ على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . والحصّ : القطع ، والقوادم : مقدّم ريش الطائر .

(٢) (س) : « سنته » .

(٣) انظر : الجامع الصغير للسيوطي ١٣٠/١ . وفي (خ) : « مباه » .

(٤) في الأصل : « وحكى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل و (س) : « فضلاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) في الأصل : « تطاولوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

أنـــاروا الليـــالي وهــزّوا العــوالي وشـادوا المعـالي وزانـوا الـوجـودا[١]
لفضـــل الخطير انتهى مجـــدُهم فـلا زال في كل عصر جـــديـــدا
إذا غـــاب بـــدر بـــدا كـوكب منـــازلُـــهُ تستـــديم السعـودا
ونـــاصرهم فضلُـــه بيّن فمـــا تلتقي لعـــلاه حســـودا
فيـا هَـلْ عنــاه الــذي قــال في ســواه فعن وصفـــه لن يحيـــدا[٢]
أمير أمير عليــــه النــــدى جـــواد بخيـــل بـــأن لا يحيـــدا[٣]

فلـذلـك تمسـك بـالسبب المتين[٤] من السنـة ، وآثر الاتصـال بمن حجـابهـا بيْض السيوف وحجّابها[٥] زُرْق الأسنة[٦] ، ورغب إلى المقر الشريف العـالي المولوي الأميري السيفي تمر أمير مهمندار :

غـــدا في الـــزمـــان كبير الأنـــا م بتـــدبيره تستقيم الـــدُّول
بعقـــــلٍ رصين ودينٍ متين وفضــــل مُبين وجــــود كمـــل
ومـــا نظرت مقلـــة مثلـــه على من مضى في الملـــوك الأُوَل
إذا أشكل الأمر في حـــالـــه أبــان الهــدى للورى فــانفصـل[٧]

وخطب الجهة المصونة الخاتون قطلوملك[٨] ابنة الأمير المرحوم شرف الـدين موسى لأنها في كفاية كنفه ، وظل حجره وتصرفه ، ومهاد برّه وتلطفه ، وعناية إقبالـه عليهـا وتعرفه :

(١) في الأصل : « أثاروا .. الجدودا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « لا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (س) ، (خ) : « يجودا » .
(٤) (خ) : « المبين » .
(٥) في الأصل : « وحجالها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٦) في الأصل : « الأعنّة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٧) (س) : « حالة » .
(٨) في الأصل : « قطوبك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وتقدّم ذكرها قبل قليل .

لا يبعث النجم طرفاً نحو مطرفها وكيف يلحظ طرفاً بالعفاف عمر[١]
ولا تجوز الصبا من دون مضربها ولا تمر عليها وهي عند تمر[٢]

١٧٨٦ ـ محمد بن مسكين*

الإمام عز الدين القرشي الزهري .

توفي في جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة بالمصّاحبة بمصر[٣] ودفن بالقرافة .

وكان من أعيان الفقهاء ، متزهداً مُدَرّساً بالمدرسة المجاورة لقبر الشافعي رضي الله عنه . ووليها بعده القاضي مجد الدين حرمي ، وكان الشيخ عز الدين بن مسكين قد عين لقضاء الشام فما اختار فراق الوطن . وروى عن الرشيد العطار .

١٧٨٧ ـ محمد بن مسلم**

بتشديد اللام ، ابن مالك بن مزروع الزيني ثم الدمشقي الصالحي ، الشيخ الإمام العالم ، بركة الإسلام ، قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله الحنبلي .

سمع الكثير وله حضور على ابن عبد الدايم ، وسمع من الشيخ شمس الدين وطبقته ، وخرّج له ابن الفخر (مشيخةً) في مجلدة ، وسمعها منه خلق ، وخرّج له ابن سعد[٤] (الأربعين المتباينة الأسانيد) ، وخرّج له المزّي (تساعيّات) ، وخرج له الذهبي جزءاً ، وأجاز له من مصر جماعة من أصحاب البوصيري .

كان من قضاة العدل في أحكامه ، ومن أئمّة الهدى في نقضه وإبرامه ، مُطّرح

(١) (س) : « ربعاً بالعفاف » .
(٢) في الأصل : « مطرفها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
* الدرر : لم نقف على ترجمته .
(٣) (س) : « من مصر » .
** الوافي : ٢٨/٥ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ ، والدرر : ٢٥٨/٤ ، والشذرات : ١٢/٦ .
(٤) أحمد بن محمّد بن سعد المقدسي ، سلفت ترجمته في موضعها .

التكلّف في أحواله ، متوخي الصدق والحق في أقواله ، عمّر الأوقاف وضبطها ، وحاسب العمال وأمسك القواعد وربطها ، وحرّر الإسجالات ، وتوقف في العدالات ، ولازم الورع والتحري ، ومنع الظلمة من التعدي والتجري ، وباشر أمور الحكم بقوة وصلابة في الدين ، وكف يد الظلمة[١] والمعتدين ، فهو كما قال أبو الطيب[٢] :

قاضٍ إذا اشتبه الأمران عنَّ له ... رأيٌ يفرق بين الماء واللبن[٣]
القائل الصدق فيه ما يضرّ به ... والواحد الحالتين السرّ والعلن

ولم يزل على حاله إلى أن حج ، وقبض عليه بالمدينة الشريفة ، ونقل إلى الدار الآخرة والملائكة به مطيفة .

وتوفي رحمه الله تعالى في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة في صفر .

توفي والده وكان ملاّحاً في سوق الخيل[٤] ، وله ست سنين ، وحفظ القرآن ، وتعلم الخياطة ، واشتغل ، وتفقّه ، وبرع في الفقه والعربية ، وتصدر لإقرائها وتخرج به فضلاء . ولم يطلب تدريساً ولا فُتيا ، ولا زاحم على الدنيا .

وسمع شيخنا الذهبي بقراءته الأجزاء ، وكان ربما يكتب الأسماء والطباق ويذاكر ، وبقي مدة على الخزانة الضيائية . ولمّا توفي قاضي القضاة تقي الدين سليمان عين[٥] للقضاء ، وأثني عليه عند السلطان بالعلم والنسك والسكينة ، فولاه القضاء ، فتوقف[٦] ، وطلع إليه

(١) في (س) : « يد العدوان من الظلمة » ..
(٢) ديوانه : ٢١٥/٤ .
(٣) في الديوان : « يخلص بين » .
(٤) في الوافي : « الجبل » .
(٥) (س) : « عيّن هو » . وسليمان هو ابن حمزة ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٦) في الأصل : « وتوقف » وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

الشيخ تقي الدين بن تيميّة إلى بيته ، وقوّى عزمه ، ولامه ، فأجاب بشرط أن لا يركب بغلة ، ولا يأتي موكباً ، فأجيب ، وكانت قراءة تقليده ، سادس عشر صفر سنة ست عشرة وسبع مئة .

وكان ينزل من الصالحية إلى الجوزية ماشياً ، وربما ركب حمار مكار ، وكان مئزره سجادته ، ودواة الحكم زجاجة ، واتخذ فرجية مقتصدة من صوف ، وكبّر العمامة قليلاً ، ونهض بأعباء الحكم بعلم وقوة ، وعمّر الأوقاف ، وحاسب العمال ، وحكم إحدى عشرة سنة ، وشهد له أهل العلم والدين أنه من قضاة العدل .

وحجَّ مرات ، وانتصر لابن تيمية ، فحصل له أذى ، فتألم وكظم ، وسار للحج بنيّة المجاورة فمرض من العلا[1] ، ولما وصل المدينة تحامل حتى وقف مسلّماً على النبي ﷺ ، ثم أدخل إلى منزل ، فلما كان في السحر توفي رحمه الله تعالى ودفن بالبقيع .

١٧٨٨ ـ محمد بن مصطفى بن زكريا*

ابن خواجا بن حسن ، فخر الدين التركي الصُّلْغري ، بالصاد المهملة واللام الساكنة والغين المعجمة ، وبعدها راء ، الدوركي ، بالدال المهملة والواو الساكنة والراء والكاف ، وصُلْغر : فخذٌ من الترك ، ودورك : بلد من الروم .

كان شيخاً فاضلاً في الأدب ، وممن ينسل إليه من كل حَدَب ، فقيهاً في مذهب أبي حنيفة ، نبيهاً وهمته في الرتب منيفة ، نظم (القدوري)[2] في الفقه نظماً جيّداً وضبط فروعه مقيداً ، ونظم قصيدة في النحو استوعب فيها أكثر (الحاجبية)[3] سرداً ، وأتى فيها بأحكام كثيرة ، طرّزها للنحو حلة وبرداً .

---

(١) موضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام . (معجم البلدان) .

* الوافي :٣١/٥ ، ونكت الهميان : ٢٧٤ ، والدرر : ٢٥٩/٤ ، والبغية : ٢٤٦/١ .

(٢) في فروع الحنفية للإمام أحمد بن محمّد القدوري (ت ٤٢٨ هـ) .

(٣) هي كافية ابن الحاجب .

وكان خطه يخجل العقود المنظمة والرياض التي برودها بالأزهار مُسهَّمة ، يتلو القرآن غالب وقته ، وله فيه نغمة طيبة أشهى من سجع الحمام في روض أينع في نبته ، مع تواضع زانه وقوّم ميزانه .

ولم يزل على حاله إلى أن أضر ، ولازم لحين أجله وأصر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بدورك سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال : أخذنا عنه لسان الترك ولسان الفرس ، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً ، أعانه على ذلك مشاركته في العربية[(١)] . وله قصائد كثيرة منها قصيدة في قواعد لسان الترك ، ونظمٌ كثيرة في غير فن ، وأنشدني كثيراً منه .

ودرّس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة ، وكان قد تولى الحسبة بغزة قديماً ، وقد أدّب بقلعة الجبل بعض أولاد الملوك .

قلت : هو السلطان الملك الناصر محمد ، قال : وعَمي في آخر عمره .

وأنشدني من قصيدة مدح بها النبي ﷺ :

قيل اتخذ مدح النبي محمد	فينا شعارك إن شعرك ريّقُ
وعلى بنانك للبراعة بهجةٌ	وعلى بيانك للبراعة رَوْنق
يا قطب دائرة الوجود بأسره	لولاك لم يكن الوجود المطلق
مذ كنت أوّله وكنت أخيره	في الخافقين لواء مجدك يخفق
كلّ الوجود إلى جمالك شاخص	فإذا اجتلاك فعن جلال يطرق

(١) في (س) والوافي : « علم العربية » .

كنت النبيَّ وآدمٌ في طينـــه ... مـــا كان يعلم أيّ خلـــق يخلـــقُ
فـــأتيت واسطـــة لعقـــد نبـــوّة ... منهـــا أنـــار عقيقهـــا والأبرق

١٧٨٩ ـ محمد بن مظفر بن عبد الغني*

الشيخ الفقيه محيي الدين القصاع .

كان ممن حصّل وقرأ القراءات والفقه والأصول ، وتميّز . وسمع كثيراً من ابن جعوان وغيره .

وتوفي بطرابلس رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٧٩٠ ـ محمد بن معالي بن فضل الله**

ابن معالي بن بركات بن محمد بن أبي نصر بن الملاّق ، الشيخ زين الدين أبو عبد الله بن الملاّق ، بتشديد اللام ، الرّقي[١] .

كان مباشراً في ديوان السكر أقام بدمشق أربعين سنة ، وولي أبوه الوزارة والقضاء بالرقة . وجدهم أبو نصر بن الملاّق ، نقله المعتصم من بغداد إلى الرقة وولاه الخطابة بها .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه جزء البانياسي بالإجازة عن جماعة من البغداديين منهم الشيخ شهاب الدين السهروردي[٢] ، وعبد السلام الداهوي[٣] ، وعلي بن الجوزي[٤] ، وعبد اللطيف بن الطبري[٥] ، وإسماعيل بن باتكين .

* لم نقف على ترجمة له .
** لم نقف على ترجمة له .
(١) ليست في (س) .
(٢) عمر بن محمّد بن عبد الله (ت ٦٣٢ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .
(٣) عبد السلام بن عبد الله الداهري (ت ٦٢٨ هـ) ، السير : ٢٢/٣٠٤ .
(٤) علي بن عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٢٢/٣٥٢ .
(٥) عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن محمد الطبري (ت ٦٢٩ هـ) ، الشذرات : ٥/١٣٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة بعد رحيل التتار عن دمشق .

ومولده بالرقّة في شعبان سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

١٧٩١ - محمد بن مفضل*

ابن فضل الله ، الرئيس الصدر الكبير ، الديِّن ، محيي الدين المصري الكاتب .

كان صدراً في المجالس ، وبدراً في الحنادس ، نبيهاً نبيلاً ، وجيهاً جليلاً ، ديّناً خيّراً مهيباً ، صيّناً وقوراً أريباً ، يلازم الصلوات الخمس في الجامع الأموي ، لا يُخلّ بذلك ولو حال بينه وبين الجامع سنا الأسنة في عِثير السنابك[1] .

ولم يزل على حاله إلى أن توفّى اللهُ[2] المُحْيِي فمات ، ونزل به من عِداه الشمات .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن في تربة بني هلال بالصالحية وعمره ستة وأربعون سنة .

كان أولا يعرف بكاتب قبجق ، وكان صاحب ديوان الأمير سيف الدين تنكز ، ومن جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، ومستوفي الأوقاف ، ولم يكن عند مخدومه في أبناء جنسه له نظير ، محلّه عنده عظيم إلى الغاية . وكان يحب الصالحين والفقراء ويودهم ويبرهم ، وسار في دمشق سيرة جميلة حميدة ، وكان مغرى بتحصيل المصاحف ، فيقال إنه وجد في تركته أربع مئة مصحف .

وهو عم القاضي علم الدين بن قطب الدين ناظر جيش الشام[3] ، وهو الذي خرجه ودَرَّبه .

---

* الدرر : ٢٦١/٤ .

(١) العثير : هو العَجَاج الذي تثيره حوافر الخيل .

(٢) في الأصل : « رحمه الله » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٣) محمد بن أحمد بن مفضل ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٧٩٢ ـ محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج*

أقضى القضاة ، الإمام العالم شمس الدين القاقوني ، نسبة إلى قاقون الساحل[١] ، الحنبلي نائب قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي وزوج ابنته .

كان قد برع في الفروع ونال الغاية فيها من الشروع ، ومهد في الأحكام وبهر في الأحكام ، يستحضر فروعاً كثيرة من مذهبه كلها غرائب ، ويرسل منها في أغراضه سهاماً صوائب .

ولم يزل على حاله إلى أن خاب الأمل في ابن مفلح ، وانقطع الرجاء فيه من المفسد والمصلح ، وكانت له جنازة حافلة ، وساعة بالتعجب كافلة ، وتوفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ثاني شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً بعد عشر وسبع مئة .

١٧٩٣ ـ محمد بن مكرَّم**

بتشديد الراء ، ابن علي بن أحمد الأنصاري الرُّويفعي الأفريقي ، ثم المصري ، القاضي الفاضل جمال الدين أبو الفضل ، مِن وَلَدِ رُويفع بن ثابت الصحابي رضي الله عنه[٢] .

---

* الدرر : ٢٦١/٤ ، والشذرات : ١٩٩/٦ ، وذيول العبر : ٣٥٢ .

(١) قال ياقوت : حصنٌ بفلسطين قرب الرملة ، وقيل : هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (معجم البلدان) .

** الوافي : ٥٤/٥ ، ونكت الهميان : ٢٧٥ ، وفوات الوفيات : ٣٩/٣ ، والدرر : ٢٦٢/٤ ، والشذرات : ٢٦/٦ .

(٢) توفي سنة (٥٦ هـ) . الأعلام : ٣٦/٣ .

سمع من يوسف بن المخيلي[١] ، وعبد الرحيم بن الطفيل[٢] ، ومرتضى بن حاتم[٣] ، وابن المقيّر ، وطائفة . وتفرد وعُمّر وكبر وأكثروا عنه ، وكان فاضلاً وعنده تشيّع بلا رفض . خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، وأتى في عمله[٤] بما يخجل النجوم الزاهرة ، وله شعر غاص على معانيه [وأبهج به نَفْسَ مَنْ يعانيه][٥] . وكان قادراً على الكتابة لا يمل من مواصلتها ، ولا يولّي عن مناصلتها . لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره ، وزوّق[٦] عنقوده ، واعتصره ، تفرد بهذه الخاصة البديعة ، وكانت همته بذلك في بُرْد الزمان وشيعه .

ولم يزل على حاله إلى أن خبا من عمره مصباحه [ونُسِخ بدجا الموت من الحياة صباحه][٧] .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في أول سنة ثلاثين وست مئة .

وكان قد ولي نظر طرابلس ، وهو والد القاضي قطب الدين بن المكرم ، وقد تقدم ذكره .

وكتب عنه شيخنا الذهبي .

وأخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : وُلد المذكور يوم الاثنين

(١) يوسف بن عبد المعطي بن منصور (ت ٦٤٢ هـ) . السير : ١١٦/٢٣ .

(٢) في الأصول والوافي : « عبد الرحمن » وهو سهو ، وأثبتنا ما في الدرر ، والسير : ٤٣/٢٣ ، ووفاة عبد الرحيم هذا سنة (٦٣٧ هـ) .

(٣) توفي سنة (٦٣٤ هـ) . السير : ١١/٢٣ .

(٤) (س) : « بعمله » .

(٥) زيادة من (س) ، (ط) .

(٦) في الأصل و (س) : « روق » ، وما أثبتناه أقرب ، والتزويق التزيين والتحسين .

(٧) زيادة من (س) ، (ط) .

الثاني والعشرين من المحرم من السنة المذكورة ، وهو كاتب الإنشاء الشريف ، واختصر كتباً ، وكان كثير النسخ ، ذا خط حَسَن ، وله أدب ونظم ونثر ، قال : وأنشدني[(١)] لنفسه سادس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وست مئة :

ضع كتابي إذا أتاك إلى الأر ... ض وقلّبه في يديك لماما
فعلى ختمه وفي جانبيه ... قُبَلٌ قد وضعتهن توأما
كان قصدي بها مباشرة الأر ... ض وكفيك بالتثامي إذا ما[(٢)]

قال : وأنشدني المذكور لأبيه :[(٣)]

الناس قد أثموا فينا بظنّهم ... وصدّقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرّك في تصديق قولهم ... بأنْ نُحقّق ما فينا يظنونا
حَمْلي وحملك ذنباً واحداً ثقةً ... بالعفو أجملُ من إثم الورى فينا[(٤)]

وبه إلى المكرم[(٥)] :

توهَّم فينا الناس أمراً وصمّمت ... على ذاك منهم أنْفسٌ وقلوبُ
وظنوا وبعضُ الظن إثم وكلهم ... لأقواله فينا عليه رقيب[(٦)]
تعالي نُحقّق ظنهم لِنريحهم ... من الإثم فينا مرّة ونتوب[(٧)]

قلت : هذا معنى مطروق للقدماء . ومنه قول الأول :

(١) (س) : « وأنشدني من لفظه » .
(٢) (س) : « قصدي به » .
(٣) (س) : « لأبيه المذكور » .
(٤) في الأصل : « من عفو » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٥) في الأصل : « ابن المكرم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) في الوافي والفوات : « ذنوب » .
(٧) في الوافي : « تعال » .

قم بنـــا تفـــديـــك نفسي   نجعـــل الشـــك يقينـــا
فـــإلى كم يـــا حبيبي   يـــأثم القـــائـل فينـــا[١]

وأخذ[٢] هذا من قول القائل :

مـــا أنس لا أنس قـــولهـــا بمنى   وَيْحَـك إنّ الـوُشَـاةَ قَـدْ علمـوا [٣]
ونمّ واش بنـــا فقلت لهـــا   هـل لـك يـا هنـد في الـذي زعمـوا
قـــالت لمـــاذا تُرى فقلت لهـــا   كي لا تضيـــع الظنـــون والتهمُ

وقلت : أنا كأني قد حضرتها وسمعت خطابها :

هـــذا محب ومـــا يخلّصُـــهُ   في دينـــه أنْ وشـــاتُـــه أثمـوا
فـــواصليـــه واصغي لمغلطـــةٍ   يقبلهـــا من طبـــاعُـــهُ الكرمُ
يـــا ويـــح وصـلٍ أتى بمغلطـــة   إن كنت لم ترع عنـــدك الـــذممُ

ولكن المكرّم في معناه زيادة على من تقدمه ، وقوله : « ثقـة بـالعفو » من أحسن متمات البلاغة .

وأنشدني شيخنا أثير الدين قال : أنشدنا فتح الـدين [أبو][٤] عبـد الله البكري ، قال : أنشدنا ابن المكرم لنفسه :

بـــالله إن جُـزت بـوادي الأراك   وقَبَّلَتْ عيـــدانُـــه الخضرُ فـــاك
ابعث إلى المملـــوك من بعضهـــا   فـــإنني والله مـــالي ســـواك[٥]

(١) البيتان قريبان ممّا قاله بشار :

قم بنـــا يـــا نـــور عيني   نجعـــل الشـــك يقينـــا
فـــإلام يـــا حبيبي   يـــأثم العـــذال فينـــا

(٢) في (س) والفوات : « وأخذه » .

(٣) في الأصل و (س) : « لا أنس » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) (س) والوافي : « بعضه » .

وأنشدت له :

وفـاتر الطرف ممشـوق القـوام لـه فعـل الأسنـة والهنـديـة القضب
في حُسْنِـهِ الفرد أوصـاف مركبـة الْخَلْـقُ للترك والأخـلاق للعرب

قلت : مـا أعرف في كتب الأدب شيئـاً من المطـوّلات إلا وقـد اختصره جمال الدين بن المكرم رحمـه الله تعـالى ، فمّا اختصره : كتـاب (الأغـاني) ورتبـه على حروف المعجم ، وكتـاب (الحيـوان) للجاحـظ فيما أظن ، و (اليتيمـة) للثعـالبي ، و (الذخيرة) لابن بسـام ، و (نشـوان المحـاضرة) ، و (مفردات) ابن البيطـار ، واختصر (تـاريخ ابن عسـاكر) ، و (تـاريخ الخطيب) ، و (ذيـل) ابن النجـار عليـه ، واختصر كتـاب التيفـاشي[1] وسماه (سرور النفس) في عشرة كبـار ، وجمع بين كتاب (صحاح) الجوهري و (المحكم) لابن سيده وكتاب الأزهري ، فجاء[2] في سبعة وعشرين مجلداً وسماه (لسان العرب) ، وأراني ولـده قطب الـدين أول النسخـة ، وقـد قرظـه من أهـل ذلـك العصر جمـاعـة يصفـونـه بـالحسن ، منهم الشيـخ بهـاء الـدين بن النحـاس ، والقـاضي محيي الـدين بن عبـد الظـاهر ، فيما أظن ، وشيخنـا العـلامـة شهاب الدين محمود ، رحمهم الله أجمعين .

وأنشدني شيخنا العلامة أثير الدين تقريظاً لهذا الكتاب ، ورأيته بخطه :

أجَلْتُ لحاظي في الرياض الدمـايث ونـزهت فكري في فنـون المبـاحث
وشـاهـدت مجـوعـاً حـوى العلم كلّـه بـأوّل مكتـوب وثـانٍ وثـالث
فيـاحسنـه من جـامـع لفضـائـل جليـل على نيـل المعـارف بـاعث
لحاز لسـان العرب أجمع فـاغْتَـدى نهـايـة مرتـاد ومطلب بـاحث[3]

(١) محمد بن أبي العباس (ت ٦٥١ هـ) ، وفيات الأعيان ٢/٢٣٩ .
(٢) (س) : « فجاء ذلك » .
(٣) في الأصل : « باعث » ، وأثبتنا ما في (س) .

بـه أزهرت لـلأزهري ريـاضَـةٌ ... فـأنـوارهـا تجلـو ديـاجي الحـوادث
وصحت بـه للجـوهريّ صحـاحـه ... فـلا كسر يعروهـا ولا نقـد عـابث[١]
وسـاد بـه بين الأنـام ابن سيـده ... فمحكَمُـه مـا فيـه عيث لعـايث
وبرَّ ابن بريٍّ وصحّت بنقـده الـ ... ـصحاح استقلّت في براثن ضابث[٢]
وللجـزريّ ابن الأثير نهـايـة ... إذا قرئت أزرت بسبـع المثـالث[٣]
وكلّ مَحَـل إذْ تقـادم عهـده ... وليس المصلّي في السبـاق برايث
وإن جمـال الـدين جمّـل كُتْبَهم ... بـإصلاح مـا قـد أوهنـوا من رثـائث
لقـد فـاقهم علمـاً وزاد عليهم ... وأنّي يباري الريح عَرْجُ الأبـاعث[٤]
تجمـعَّ فيـه مـا تفرق عنـدهم ... وأربى عليهم بـالعلـوم الأثـائث[٥]
بنثرٍ كشبـه الـزهر غبّ سمائـه ... ونظمٍ كمثـل الـزهر بـالسحر نـافث
لـه قـدمٌ في سـاحـة الفضـل راسخٌ ... ومجـد قـديم ليس فيـه بحـادث
ونسبـةَ علم كابراً بعـد كابر ... فمنَ خير مـوروث إلى خير وارث
حفيـظ لأسرار الملـوك أمينهـا ... عليم بتصريف الخطوب الكـوارث[٦]
بـه افتخرت قحطـان واشتـد أزرهـا ... وبـاهت بـه الأملاكَ أبنـاءُ يـافث[٧]
سقى جـدثـاً قـد حلـه ابنُ مكرّم ... ملث من الغرّ الغـوادي المـواكث
ولا برحت روح الجمـال مقيمـةً ... لعـذرٍ لـدى الغيـد الحسـان الأراعث

(١) في الأصل : « يعدوها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٢) الضابث : الأسد .
(٣) في (س) : « بسمع » .
(٤) في الأصل : « فاتهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
(٥) الأثائث : التامة .
(٦) في الأصل و (ط) : « عليه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٧) (س) : « وتاهت » .

وأخبرني ولده القاضي قطب الدين أبو بكر رحمه الله تعالى في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل أن والده مات وقد ترك بخطه خمس مئة مجلد .

١٧٩٤ ـ محمد بن مكي بن ....*

القاضي الفاضل الشاعر بدر الدين وكيل بيت المال بطرابلس وكاتب الإنشاء بها .

كان من مشايخ الأدب والقائمين بإحياء شِعار العرب ، له المقاطيع الرائقة ، والأبيات الفائقة ، وكان يعرف فنوناً أخر ، وعلوماً إذا تكلم فيها قلت بَحْرٌ زخَر . وكان من رجالات الزمان دُرْبَة ودهاء ، وخبرة تباعد منها الجهل وتناءى .

ولم يَزل بطرابلس على حاله ، إلى أن كسف الحِمامُ نورَ بَدْره وألحفهُ غمامةَ[١] قَبْره .

وَرَد الخبر إلى دمشق بوفاته في أواخر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

كان يكتب خطاً حسناً ، أخبرني قاضي القضاة شرف الدين محمد بن النهاوندي[٢] قاضي صفد قال : قال لي : بدر الدين بن مكي بطرابلس : فتحت بدمشق دكان كتبي ، وكنت أتّجر فيها ، يعني في المجلدات ، وأتبلغ من عِرض المكسب[٣] فأدَّخر من المُجَلَّدات ما أحتاج إليه إلى أن حصلت من ذلك ما أَرَدْت من الكتب ، وفضل لي رأس المال والقوت تلك المدة . أو كما قال .

وقال بدر الدين رحمه الله : كنت أنا وشمس الدين الطيبي نمشي في وحل فقلت :

---

* كذا في الأصل و (س) و (خ) والوافي . وتمام نسبه في الدرر : « ابن أبي الغنائم » . انظر : الوافي : ٦٠/٥ ، والدرر : ٢٦٤/٤ .

(١) (س) : « لغمامة » .

(٢) محمد بن عثمان بن أبي بكر ، سلفت ترجمته .

(٣) في الأصل : « المكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

المَشْي خَلْفَ الدواب صَعْبٌ

فقال : في الوَحْلِ والماءِ والحجاره

فقلت : لأن هذا له رشاش

فقال : وربما تزلق الحماره

وأخبرني المولى شرف الدين حسين بن ريّان قال : كنت أنا وهو جالسين في مكان فيه شباك بيني وبينه ، فلمّا جاءت الشمس رددتهُ ، فقال :

لا تحجبِ الشمسَ عن أمرٍ تحاوله　　　فإنّ مقصودها أن تبلغ الشرفا

فقلت :

في الشمس حرٌّ لهذا الأمر نحجبها　　　وحَسْبنا البدرُ في أنواره وكَفَى

وأنشدني من لفظه قال : أنشدني ابن مكي لنفسه :

أهواه كالبدر لكنْ في تبدلّه[1]　　　والغصن في ميله عن لوم لائمه
سمحٌ بهجته ما ردّ نائله　　　كأنما حاتم في فصّ خاتمه

قلت : معنًى جيّدٌ مطبوع ، وما أحسن قوله : « رد[2] نائله » .

ومن شعره أيضاً :

كأن الشمس إذ غَرُبَت غريق　　　هوى في البحر أو وافى مغاصاً
فأتبعها الهلال على غروب　　　بزورقهِ يريد لها خلاصا

(١) في الوافي : « تبذلّه » .
(٢) في (س) ، (خ) : « مارد » .

وكتبت أنا إليه ، رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في الحرم :

أنفحـــةُ روضـــةٍ أمْ عَرْفُ مِشْـــك ... يضـــوع أو الثنـــــاء على ابن مكي
إمـــام في الفتـــاوى لا يجـــارى ... وفرْدٌ في البيـــــان بغير شــــك
إذا مـا خـــطَّ سطراً خلْت روضـاً ... تبسَّم عن غمـــام بـــات يبكي
ويحكي نثره دُرّاً فـــأمّــــا ... إذا حققت مـا يحتـــاج يحكي
لــه نظم يروق ألـــذّ وقْعـــاً ... على الأسماع من أوتـــار جَنْـــك
كأنّ كــلامـــه نفثـــات سحرٍ ... تغـــازلني بهـــا لحظـــات تركي[1]
وآنـقُ في النـواظر مِنْ ريـــاض ... نـواضر بـل جـواهر ذات سلـك
لقـد فـاق الأنـام بفضـل جُـود ... وفرطِ زيـــادة زِيْنَتْ بنســـك
شهـدتُ بـأنّـه في الـدهر فردٌ ... وقـولي فيـــه لم يحتـج مـزكي
حملت لــه لـواء ولاء صـــدقٍ ... لأُعرف في الأنـــام بحمـــل رنكي
فلـــو منّ الإلـــه بجمـــع شملي ... بــه لعـدمت مـا بي مِنْ تَشَـكّ

يُقبّـل الأرض لا زالت قبلـة الأمـل ، وكَعْبـةَ العِلمِ والعمـل ، وروضـة الفضـل إذا همى ، والجودِ إذ همل ، لأن دارهـا تخجل دارة الحمل ، وتربهـا يفوق الأفـق إذ بـدره لمـا كَمل نقص ، وبدرها مـا نقص لَما كَمل ، تقبيلاً يؤدِّي بـه الواجب ، ويـداوي بـه قلبـاً سكنه مولانا فإنه كبير وما خرج عن الواجب :

ترابكم وحــــــــــقِّ أبي تراب ... أعـــــــــزٌ علَيَّ مِنْ عيني اليمين

وينهي إلى العلم الكريم بعد الأدعية التي تجر الإجابة برفعها ، والعبودية التي أبـان المنطق شرف حَملها ووضعها ، والأثنيةِ التي لا تغرّدُ الحمائمُ الصادحة إلا بسجعها :

ومـــالي لا أثني على وابـل الحيـــا ... إذا الروض أثنى بـالنسيم على القطر

(١) في الوافي : « ألحاظ » .

أنّه من حين بلغته هذه الفضائل البدريّة ، والفوائد التي نسماتها سحَريّة ، وكلماتها سحرية ، يعتلج في خاطره التطفل على خطابها ، والتوصل إلى عرائس إنشائها ، ليكون من خُطّابها ، والوقوف ببذلّ التلمذة وفَقْر الحاجة على بابها ، والدخول إلى جنّات كرمها وحبّات كرمها ليجني[1] ثمراً متشابهاً ، والاعتراف يدفع في صدره ويبجل على قدره باجتلاء ليلة قدره ، ويقول له القصور لا تطل فما أنت من سكان[2] هذه القصور ، ولا تزد مع نقصك ، فما وشاح ألفاظك مما يدور على هذه الحضور ، ولا تلح فما غابُ أقلامك ممّا يصم هذا الليث المصور :

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل[3]

فأغفل المملوك مُراودته مدّة ، وكابد من جزم حَظّه[4] خفضاً لشدّته مدّة وشدّه . هذا وغريم الشوق يلح ، والإقدام يمرض تارة ويصح ، إلى أن انتهز فيها فرصة حمل فيها على جيوش الخجل فأمالها ، وطعن[5] في صفّ المانعة برمح قلمه إمّا عليها وإمّا لها[6] ، فتهجم هذه[7] الخدمة والضراعة ، وخدم أسوة[8] الطلبة ليكون من أهل الجماعة :

وكاد سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عمري المتقادم

وعطفها على استدعاء جرت العادة به للأصاغر ، واستمطر به الإحسان الذي ملأ

(١) في الأصل : « ليحيي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « مكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) ينسب للقطامي ، انظر ما كتبه البغدادي في شرح أبيات المغني : ٦٠/٥ .

(٤) في الأصل : « حفظه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « وظعن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) يشير إلى قول القائل :

سأحمل نفسي على آلة ... فإمّا عليها وإمّا لها

(٧) في (س) ، (خ) : « بهذه » .

(٨) في (س) ، (خ) : « وخدم بها » .

كل كفّ[1] فارغ ، وأطبق كل فم فاغر . وسأل صدقات مولانا التي عمّت وما خصت ، وشرّعت المكارم للمتأدبين ونصت ، الكتابة فيه بالإجازة للملوك ، وإن كان صغير القدر ، والإجابة إلى ما سأله لعلّه أن يكون من أهل بدر ، فإنه لم يقل إلا[2] علماً بأنه لم يُقَلْ ، ولم[3] يخاطب إلاّ طمعاً في الجواب الذي هو ألذ من الإغفاء في ساهر المقل ، وأن يتصدق فيه بذكر مولده وذكر أشياخه الذين أخذ عنهم ومن رآه واجتمع به من الأعيان الذين إذا قال السائل من هم ، كان مولانا منهم ، وكتابة ما يراه من مقاطيعه التي هي قطع الرياض ، وزهر الغياض ، وقطر الحياض ، إلى غير ذلك مما يقتضيه الرأي الكريم والجود الذي إذا جاد البحر بالدر النثير[4] جاد هو بالدر النظيم ، لا زال بابه حرماً وسحابُهُ ينهل كرماً بمنه وكرمه[5] . وجهّزت الاستدعاء[6] . فجاء[7] جوابه بعد مديدة يخبر بوصوله[8] . وإنه عقيب[9] ذلك توجه إلى اللاذقية فيما يتعلق بأشغال الدولة ، وإنه عقيب ذلك يجهز الجواب ، ثم ما لبث أن مرض وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى .

١٧٩٥ ـ محمد بن مكي*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير مكيّ .

(١) (خ) : « كفة كلّ » .
(٢) ليست من (س) .
(٣) (س) : « ولا) .
(٤) في الأصل : و (س) : « النثر » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) زاد في (خ) : « إن شاء الله تعالى » .
(٦) زاد في (س) ، (خ) : « وكان نثراً » .
(٧) (س) ، (خ) : « فعاد » .
(٨) في الأصلا و (س) : « بوصولها » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٩) (س) : « بعد » .
* لم نقف على ترجمة له .

توفي والده رحمه الله تعالى في أوائل سنة خمس[١] وسبع مئة ، وهو من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وإقطاعه إقطاعٌ جيّد ، فطلبه من الأمير سيف الدين أرغون شاه جماعة ، فكتب به لابنه ناصر الدين محمد المذكور ، وتقدير عمره عشرون سنة ، فجاءه منشوره بذلك ، وكان قبل ذلك أمير عشرة ، فما متّع بشبابه ولا بالإقطاع .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شعبان سنة خمسين وسبع مئة .

١٧٩٦ ـ محمد بن المنجا*

ابن عثمان بن أسعد بن المنجّا ، الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الأصيل شرف الدين أبو عبد الله ابن الشيخ العلاّمة الكبير زين الدين أبي البركات التنوخي الحنبلي .

سمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عُمر ، وابن علان ، وابن البخاري ، وابن الواسطي وجماعة وحدّث .

وكانت فيه خلالٌ جميلة من العلم والدين والمروءة والشجاعة وعلّو الهمة والتودد ، وقضاء الحقوق .

توفي رحمه الله تعالى رابع شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ولم يكمل الخمسين .

١٧٩٧ ـ محمد بن المنذر**

القاضي الرئيس فخر الدين .

(١) في الأصل و (ط) : « خمسين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٥٥ ، والدرر : ٢٦٦/٤ ، والشذرات : ٦٥/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ .

** الدرر : ٢٦٦/٤ .

كان أولاً في دمشق يباشر في ديوان الجيوش ولما حضر معين الدين بن حشيش[(١)] إلى دمشق ناظر الجيش عوضاً عن ابن حميد ، انتقل القاضي شمس الدين بن حميد[(٢)] إلى وظيفته بدمشق ، وتوجه ابن المنذر إلى طرابلس ناظر الجيش ، وأقام بها مدة ، وَقَع بينه وبين نائبها ، فتوجه إلى مصر وعاد إلى[(٣)] مكانه ووظيفته في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة وأقام بها مدّة .

ثم إنه نُقل إلى نظر جيش حلب[(٤)] ، وأقام هناك مدة عوضاً عن القاضي جمال الدين بن ريان[(٥)] .

ثم إنه توجه إلى مصر ووقع منه كلام في حق القاضي فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية فجهزه إلى صفد ناظر المال ، وولده ناظر الجيش بها ، فأقام بها مدة ، ثم إنه جهز إلى طرابلس .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى[(٦)]

١٧٩٨ ـ محمد بن منصور بن موسى*

الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الحاضري الحلبي المقرئ النحوي .

قرأ القراءات على الكمال الضرير ، والشيخ علي الدهان[(٧)] ، والعربية على ابن مالك جمال الدين ، وكان له تصدير في الجامع ، وكان متوسطاً في النحو والقراءات .

(١) مسعود بن أبي الفضائل ، ستأتي ترجمته .
(٢) أبو طالب ، سلفت ترجمته .
(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « ط » : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والدرر : ١٤٥/٢ .
(٥) سليمان بن أبي الحسن ، سلفت ترجمته .
(٦) ولم يذكر في الدرر سنة وفاته .
* الوافي : ٧٦/٥ ، والدرر : ٢٦٧/٤ ، وغاية النهاية : ٢٦٦/٢ .
(٧) علي بن موسى بن يوسف السعدي المصري (ت ٦٦٥ هـ) . غاية النهاية : ٥٨٢/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر صفر سنة سبع مئة وكتب في الإجازات .

١٧٩٩ ـ محمد بن منصور بن إبراهيم*

ابن منصور الحلبي ، الإمام العالم الصدر الصاحب بدر الدين الجوهري ، نزل الديار المصرية .

سمع من إبراهيم بن خليل بحلب ، ومن الكمال العباسي[١] . وابن عزّون ، وابن عبد الوراث ، والنجيب ، وعدة بمصر . وتلا بالروايات على الصفي خليل ، وتفقه ، وشارك في فضائل .

وكان ينطوي على خير وعبادة ودين ، وله جلالة وصورة ، ذكر في وقت الوزارة ، وكان له خلق حاد ، وحدث بدمشق ومصر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

١٨٠٠ ـ محمد بن منصور**

القاضي شمس الدين مُوقّع غزة ، أقام بها مدة طويلة يباشر التوقيع وكتابة الجيش ، ثم إنه نقل إلى توقيع[٢] صفد عوضاً عن القاضي بهاء الدين بن غانم لمّا نقل إلى طرابلس في سنة ست وعشرين وسبع مئة[٣] ، وتوجه إلى غزة مكانَهُ القاضي جمال الدين بن رزق الله[٤] ، ثم إنّ ابن منصور عمل على العود إلى غزة ، لأن صفد لم

---

* الوافي : ٧٦/٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٦ ، والدرر : ٢٦٦/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٦/٩ ، وذيول العبر : ١٠٧ .

(١) هو الكمال الضرير ، علي بن شجاع بن سالم (٦٦١هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

** الوافي : ٧٦/٥ ، والدرر : ٢٦٧/٤ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الوافي : « في أواخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة تقريباً » .

(٤) يوسف بن رزق الله ، ستأتي ترجمته .

توافقه . وكان لـه في غزة متـاجر من[١] الكتّـان والصـابون وغير ذلـك ، وحصّل نعمـة وافرة ودنيـا صـالحـة[٢] . ثم إن الأمير سيف الـدين تنكز عـزلـه من غـزة بعـلاء الـدين علي بن سالم ، وقد تقدم ذكره في حرف العين ، وبقي ابن منصور بطّـالاً . وكان الأمير سيف الدين طينال قد نـاب في غزة في وقت ، على مـا تقـدم في ترجمتـه ، وابن منصور موقّعها ، فعرفـه من ذلـك الوقت ، فلمـا بطل سـأل طينـال من تنكز في أن يكون ابن منصور في جملـة كتـاب الـدرج بطرابلس ، فرسم لـه بـذلـك ، وتوجـه ابن منصور إلى طرابلس .

وكان رجلاً داهية سيوسا ، يكتب خطاً حسناً ، وله نظم لا بـأس بـه ، غير أنـه لم يكن فيه طبقة ، مع ما فيه من اللحن .

وتوفي رحمه الله تعالى ...[٣]

أنشدني من لفظه القاضي زين الدين الصفدي[٤] قال : أنشـدني من لفظـه القـاضي شمس الدين محمد بن منصور[٥] وقد أعيد الصاحب تقي الدين توبة[٦] إلى الوزارة :

عتبت على الـزمـــان وقُلْتُ مَهْـلاً ... أقمت على الخنـــا ولبست ثـوبـــه
ففـاق من التجـاهـل والتعـــامي ... وعـــاد إلى التُّقَى وأتى بتَـوبَـــه

قلت : صوابه : فأفاق .

(١) في الوافي : « في » .

(٢) في الأصل : « نعمة وافرة ودنيا وافرة ودنيا صالحة » . وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) كذا في الأصول والوافي والدرر .

(٤) عمر بن داود . سلفت ترجمته .

(٥) (س) : « محمد بن محمد بن منصور » .

(٦) في الأصل : « نوبة » ، تصحيف ، وهو توبة بن علي بن مهاجر ، سلفت ترجمته .

١٨٠١ محمد بن موسى*

القاضي الفاضل ، الأديب الكاتب البارع شرف الدين المقدسي ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، المعروف بكاتب أمير سلاح .

كان كاتباً بارعاً ، ناظماً ناثراً ، يأتيه المعنى على وفق إرادته ضارعا ، إذا نظم قلت العقودُ ينظم جواهرها ، أو السماء يُطلع زواهرها ، أو الرياض يجلو أزاهرها . يتلعب بالعقول سحره الحلال ، يترشّف السمع منه كؤوساً ليست نشوتها مما يجري في الجديال[1] . ونَثْرُه أحسنُ من رقِم البرود ، وآنَقُ مِنْ حلول الكواكب في منازل السعود ، وخَطّه يسرّ النواظر ، ويُزري بالرياض النواضر ، تخال سطوره فوق طروسه فتيت مسك على كافور ، أو طرز صبح تطلعّت من [تحت][2] أذيال ديجور . كأنّ جياته وجناتٌ خيلانُها تلك النقط ، أو محاريبُ فيها قناديل لا تخبو نور معانيه ولا يقط ، وكأنّ ألفاته ألفت الاعتدال فهي قدودُ الخُرّد الغيد ، أو قضبانُ بانٍ تميس من مرور النسيم ، والهمزات من فوقها حمائم ذات تغريد :

فلو أعيد ابن هلال لحكى مشياً على الرأس إليه القلما
وقال في هذا برود أحرفٍ كنت أرها في كتابي أنجما[3]

ولم يزل على حاله إلى أن سكنت شقاشقه ، وقرطست عن عرض[4] الحياة رواشقه .

توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

* الوافي : ٩٣/٥ ، وفوات الوفيات : ٤٢/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٧ ، والدرر : ٢٦٩/٤ ، والشذرات : ٣٢/٦ .

(١) الجريال : الخمر .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) (س) : « كتاب » .

(٤) في (س) ، (ط) : « غرض » .

وكان قد خدم الشجاعي وأمير سلاح ، وبه يعرف في القاهرة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : هو رجل حَسَنُ الأخلاق ، كريم العشرة ، محتمل ، فيه كرم ، وله خط حسن ونثر كثير ونظم .

وجالسته مراراً ، وكتبت عنه ، وقرأ علينا من نظمه ونثره كثيراً ، وقد خَمَّس (شذور الذهب)[1] . في صنعة الكيمياء تخميساً حسناً يقضي له بسبق النظم وجودة حوك الكلام ، ومطابقة الفصل . وأنشدني قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

اليوم يوم سُرور لا شرور به ... فزوجّ ابن سماء بابنة العنب[2]
ما أنصفَ الكأس من أبدى القطوب لها ... وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

قلت : قد تقدم لهذا المعنى نظائر في ترجمة صدر[3] الدين بن الوكيل .

وبه قال أنشدني من لفظه لنفسه :

صرّف بصرفِ الحميّا ما حمى طرباً ... فإن فيها لسم الهم درياقا[4]
دنياك معشوقةٌ والراح ريقتها ... فارشف مراشِفها إن كنت عشّاقا

وبه قال : أنشدني له يخاطب الشجاعي[5] ، وكان كاتبه :

أيا علم الدين الذي عَيْنُ علْمه ... تُريه المعالي نثرها ونظامها
قذفت لنا يا بحر أي جواهر ... وها هي فالبس فذّها وتؤامها[6]

---

(١) شذور الذهب في الإكسير لأبي الحسن علي بن موسى الحكيم الأندلسي (ت ٥٠٠هـ) . الكشف : ١٠٢٩/٢ .

(٢) (س) ، والوافي : « ابن سحاب » .

(٣) (س) : « الشيخ صدر ... » .

(٤) الدرياق : الترياق ، وهو الدواء .

(٥) علم الدين سنجر ، سلفت ترجمته .

(٦) الفذ : الفرد .

ومنها :

رأى الملكُ المنصورُ أنّكَ صالحٌ ... لدولته يُلْقَى إليك زمامها
فولاكها إذا كُنت في الرأي شيخها ... وكنت إذا نادى الصريخ غلامها
فما احتفلت إلاّ وكنت خطيبها ... ولا استبقت إلاّ وكنت إمامها[١]
فلو غاب بدر الأفق نُبت منابَهُ ... بل الشمسُ لو غابت لقُمتَ مقامها
نهضت بعبء الملك والأمْرُ فادح ... وسُسْت الرعايا مِصْرها وشآمها

ولمّا خمس (شذور الذهب) كتب إليه ابن الوحيد[٢] :

لقد رقّ تخميس الشذور فأصبحت ... مداماً ولكن كَرْمُها حَضرة القدسي
هي الشمس والأشعار في جنب حُسنها ... نجوم وما قدْرُ النجوم مع الشمس

وكتب إليه شمس[٣] الدين بن دانيال :

إذا ناب في التقبيل عن شفتي طرسي ... وعن بصري في رؤيتي لكم نفسي
وواصلني منكم خيال مخصَّص ... بروحي في حلم فمالي وللحسّ
ومَنْ لي بمرآك الجميل الذي به ... لعيني غنًى عن طلعة البدر والشمس
على أنني مستأنِسٌ بعد وحشتي ... بأنسِ ولي الدولة الأرخن النفس[٤]
غدوت به بعد البطالة عاملاً ... ولا مثلما أعملت في زاده ضرسي[٥]
وإنّ ابنه الشيخ الخطير لمسعفي ... بما شئت من رفد جزيل ومن أنس
وأقسم ما للأب والابن عندهم ... حياة بلا روح تجيء من القدسي

ومن شعر شرف الدين القدسي :

(١) (س) : « اختلفت » ، بالخاء .
(٢) محمد بن شريف بن يوسف ، سلفت ترجمته .
(٣) في (س) والوافي : « الحكيم شمس الدين .. » . والأبيات في المختار من شعر ابن دانيال : ١٦٧ .
(٤) كذا في الأصول والوافي ، وفي المطبوع من شعر ابن دانيال : « الأزخر » .
(٥) البيت خلت منه المطبوعة من المختار .

يـــاليلـــة بت أستجلي محيـــاهــــا كأنمـــــا بتّ أستجلي حميّـــــاهــــــا
أوْلت يــــداً ثم ألــوت بي فقلت إذاً مـا كان أرخصهـا عنـدي وأغـلاهـا
بيـوسف الحسن جـزء من محـاسنـه فاعجب لها وهي كثر كيف جَزّاها[(١)]
طال النهـار انتصـاراً فـانطوت قصراً كأن في شفقيهـــا كان فجراهـــــا

منها :

يــدير من لحظــه أو لفظــه لُطفـاً لـو نستطيـع لهـا شُرْبـاً شربنـاهـا
والــــزير والبم والمثنى ومثلثــــــهُ محرّكات من الأوتـــار أشبـــاهــا[(٢)]

ومنه في مليح اسمه « سالم » :

وأهيف تهفــو نحــو بـــانــةِ قـــدّه قلــوب تبثّ الشجــو فهي حمــائم[(٣)]
عجبت لــه إذ دام تــوريـد خــدِّه ومـا الـورد في حـالٍ على الغصن دائم
وأعجب من ذا أن حيـــــــة شعره تجــول على أعطــافــه وهــو ســالم

ومنه :

بي فرط ميـل إلى الغـــزلان والغـــزل فكيف لا يُقصر العـذال عن عـــذلي
مــالـوا عليّ ولامُوا في الهوى عبثـاً من لم يمل سمعـه مـنـذ كان للملـل[(٤)]
أضحى الغرام غريمي في هـوى رشـأ يغنيـه عن كحلـه مـا فيـه من كَحَل
فـالبـدر من حسنـه قـد راح ذا كلف والوردُ من خَدّه قـد راح ذا خجل[(٥)]

(١) في الوافي : « كنز » .
(٢) في (س) والوافي ، والفوات ، بعده زيادة « ومنه :
تبسم فــــاستبكى بيـــــارق ثغره سحـائب جفن مـا أحلت بعـارض
مليــــح أصبنـــــاه بعين ونظرة فمن أجل هذا قـد أصيب بعـارض»
(٣) في (س) ، والوافي ، والفوات : « نحو بانة » .
(٤) في الأصل و (س) : « لا يمل » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٥) (س) ، (ط) والوافي : « في خجل » .

تشاغل الناس في الأسمار بي وبه ... وإنني عن حديث الناس في شغل

وأنشدني له قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، قال : وأنشدني بعضها من لفظه :

ما ملْتُ عَنْـكَ لجَفـوةٍ ومَـلال	يوماً ولا خطَر السلوُّ ببالي
يا مانحاً جسمي السقام ومانعاً	جَفني المنام وتاركي كالآل[(١)]
عمَّنْ أخذتَ جواز منعي ريقك الـ	ـمعَسول ياذا المعطف العَسّال
عن شعرك الفحام أم عن ثغرك الـ	ـنظام أم عن طرفك الغزالي[(٢)]
فأجابني أنا مالكٌ أهل الهوى	والحسنُ أضحى شافعي وجمالي
وشقائق النعمان أضحى نابتاً	في وجنتيّ حماه رشقُ نبالي[(٣)]
والصبر أحمـد للمُحِب إذا ابتُلي	في الحب من مِحن الهوى بسؤالي[(٤)]
وعلى أسارى الحب في سجن الهوى	بين الملاح عُرفت بالقفّال
وقَتَلْتُ معتزليّ في شَرْى الهوى	وطرفت بالتنبيه عين السالي[(٥)]
وتفقّه العُشّاق فيّ وكلّ من	نقل الصحيح أجزْتُه بوصال
والجوهري غدا بثغري ساكناً	يحمي (الصحاح) بقدّي الميّال
وشهود جسمي لو نظرت إليهم	بين الأنام عجبت من أفعالي[(٦)]
جَرَح البكاءُ عيونهم وقلوبهم	وزكوا لقذف الدمع في الأطلال
والشاهد المجروح عندي صادق	هل في قضاة العاشقين مثالي
وعلى رحيق الثغر صارمُ مقلتي	ولّيته ، ولكلّ ثغرٍ والي

(١) في الفوات : « طرفي » .

(٢) في الوافي : « من شعرك » .

(٣) في الأصل : «ثابتاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . وفي الفوات : « في وجنتي وحماه » .

(٤) في الفوات : « أجمل » .

(٥) في الأصل والفوات : « وطرقت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في (س) والوافي والفوات : « حبي » .

وعلى مقامات الغرام شواهدٌ   جسمي الحريري والبديع جمالي(١)
ولبست من حُلل الجمال مُفَصّلاً   حسن الملابس مدهش الغزالي (٢)
ولحسني الكشاف من جمل الضيا   لمعاً لإيضاح الفصيح مقال (٣)
وأتي المطرز نحو خدّي راقماً   طُرُز العذار وحارَ في أشكالي
والواقديّ بنار هجري والجفا   وكَلْتُه فلكل سالٍ صال
وبلفظي الفراء يفري قلبَ من   وافى بناظر ناظري بنصال(٤)
ومَصارعُ العشاق بين خيامنا   ومقاتل الفرسان يوم نزال
ورفضْتُ نوم العاشقين فكلّ من   ذكر الغرام فدمعه متوالي(٥)
ولديّ سلوان المطاع سفاهة   لمتيّم أوثقتُه بحبالي
وخصصت إخوان الصفا برسائل   ولهم صفا ودّي وهُمْ آمالي(٦)
والبيهقيّ بوجه كل معنّف   في موقف التوديع والترحال
ويوجهي النقاش راح مفسّراً   صُوَرَ الملاحة من دليل دَلال
ورقيبي الكلبي قد أخسأتُهُ   بوقوفه في باب ذلّ سؤالي
ومجاهدٌ أضحى عليَّ مقاتلاً   خوفاً من الرقباء والعُذّال
وأبو نعيم منعم في حليتي   إذ بات يمليها على النقّال
ومحاسني قُوت القلوب تكرّماً   ومناقب الأبرار حُسْن فعالي
وتطلعي زاد للسير ومبسمي الـ   ضحّاك والمنثور حُسْن لآلي(٧)

---

(١) في الوافي والفوات : « مقالي » .
(٢) في الأصل : « للداهس » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٣) في الوافي والفوات : « في جمل » .
(٤) في الأصل : « ويقلبي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٥) في الوافي والفوات : « ذكر الفراق » .
(٦) (س) : « وخضعت » . وفي الفوات : « برسائلي » .
(٧) في الفوات : « وبطلعتي » .

وبخـــدي الـزهريّ جنّـــات المنى أضحى بهـــا الثـــوري من عمّـــال[١]
وبمنطقي قسّ الفصـاحـة نـاطـقٌ في فترة الأجفـــــان للضـــلال[٢]
وقميص حُسني قُـدّ من قُبُـل الـورى يبـــدي اليمين وتـــارةٍ بشمالي[٣]
والثعلبيّ رأى الـوجـوه بجهـــده وحَـلاَلَـةُ في النقـل وَجْـهُ الحـال
ولحسني الأنســاب يرويهـــا عن الـ ـعــدل الـزكيّ بصحـــة النُقّـــال
فيراه للتمييز نصِبــــاً واجبـــاً ورفعت عنـــه الهجر من أفعـــالي[٤]
ولي الخـلافـة في المِـلاح بلحظي الـ ـسفّـــاح والمنصـــور في أقـــوالي
وعلى محلّي بـــالجمـــال روايــــة في رايـــةٍ نُشرت ليــوم جــــدال
ومدينـة العَلَم السخـاوي أصبحت في راحتي فعُرفت بـــالبَـــذّال
قـال الأوائـل مـــا رأينـــا مثلـــه غصنٌ رطيب مثمر بهــــــلال
قَـدٌ عمّـه الحسن الغريب وخـالـه مـا في البريـــة منـــه قلبٌ خـــال
فـوصلت عُشّـــاقي فـلام معنّفي فـأجبتـه هـذا الـذي يبقى لي
القـوم أبنـاء السبيـل وعنـدنـا تعطى زكاة الحُسْن كالأمــــــوال
قد طـالمـا نقلـوا حـديث محـاسني فهم عُـدولي صحـــة ورجـــال[٥]
هـذي القصيـدة بـالأئمـة شرفت قـــدري وفقت بهـــا على أمثـــالي
وكأنهـا العقـد الثمين وهم بهـا الـ ـــدر النظيم مكلّــلاً بـــلآلي[٦]

---

(١) في الأصل : « الزهري » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٢) في الوافي والفوات : « واعظ » .

(٣) في الفوات : « قبل الهوى » .

(٤) (س) : « فرآه » .

(٥) في الأصل : « صحبة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٦) وقع البيت في الفوات بلفظ :

فكأنهـا العقـد النظيم وهم بهـا الـ ـــدرّ الثمين مكلّــلاً بـــلآلي

قلت : قصيدة فريدة فائقة رائقة ، إلا أنها [فيها][1] أليفاظ غير قاعدة ، والتسامح يسكن قلقها .

١٨٠٢ ـ محمد بن ناصر بن علي*

القاضي الرئيس فخر الدين بن الحريري ، بالحاء والزائين المهملات[2] .

كان أولاً كاتب الأمير شهاب الدين قرطاي نائب طرابلس ، أقام بها مدة ثم إنه عاد إليها مع مخدومه ، وعمّر بها أملاكاً ، ولم يكن لأحد معه فيها حديث . ولما انتقل مخدومه إلى دمشق ثانياً عاد معه ، ولما مات استمر[3] بطّالاً مدة . ثم إنه باشر استيفاء النظر بدمشق مع الصاحب أمين الدين لمّا قبض على علم الدين إبراهيم المستوفي في صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . ولما عزل الصاحب أمين الدين بالصاحب علاء الدين الحرّاني نقل القاضي فخر الدين إلى نظر الديوان[4] بطرابلس فتوجه إليها وأقام بها مدّة .

ثم إنه توجَّه في نوبة الفخري إلى الديار المصرية وخرج منها مستوفي النظر بدمشق مع الصاحب علم الدين بن القطب ، فأقام بها مدة يسيرة على ذلك ، وانتقل إلى نظر الجيش عوضاً عن القاضي فخر الدين بن العفيف فأقام بها[5] قليلاً ، وأعيد القاضي فخر الدين بن العفيف إلى نظر الجيش ، فأقام بدمشق مدّة بطالاً . ثم إنه توجه إلى الديار المصرية في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

(١) زيادة من (س) . وعبارة الوافي : « إلاّ أنها لا بدّ فيها » .

* الدرر : ٢٧٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٨٣

(٢) (س) : « المهملتين » .

(٣) في (س) ، (خ) : « استمر بدمشق ».

(٤) (س) ، (خ) : « الدواوين » .

(٥) في (س) ، (خ) : « به » .

ثم إنه تولى كتابة السر بطرابلس بعد عزل القاضي شهاب الدين بن القطب المصري ، وأقام بها من أوائل سنة ثمان[١] وأربعين وسبع مئة إلى أن توفي رحمه الله تعالى بطرابلس يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى أبيض أشقر سميناً فيه بشاشة وكيس ولطف ودماثةُ أخلاق ودهاء ، وكان قد مشى بالفقيري ، بالطاسة[٢] والأزار العسلي في وقت ، وخلف عدة أولاد كل منهم اسمه محمد .

اجتمعت به غير مرة بدمشق والقاهرة[٣] .

١٨٠٣ ـ محمد بن نبهان*

الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع القُدْوة شيخ البلاد الحلبية .

كان فقيراً ، بالله غنياً ، خلياً من الدنيا وإن كان بسعادة الآخرة مليّاً ، مقيماً بزاوية في بيت جبرين[٤] معروفة بهم من قديم ، موصوفة بإضافتها إليهم ، لا يزال فيها للفقراء منهم خديم ، واشتهر هذا الشيخ محمد بتلك الناحية ، وأشرقت شمس عرفانه في سمائها المصحية ولاأقول الصاحية ، وتبلّجت وجوه بركاته الضاحية ، وعرف بالخير وقصد من كل أرض ، وإنما يسقط الطير[٥] وكان يطمع كل من يرد عليه من أمير ومأمور ، وذي قلب خراب من التقوى ومعمور ، ولم يُسمع أنه قبل لأحد شيئاً قلّ ولا جلّ ، ولا حرم

(١) في الأصل : « خمس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الدرر : « بالطاقيّة » .

(٣) (س) ، (خ) : « وبالقاهرة » .

* الوافي : ١٠٩/٥ ، والدرر : ٢٧٢/٤ .

(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « جبريل » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر . وانظر : معجم البلدان ١٠١/٢ .

(٥) يشير إلى قول بشار المشهور :

إنما يسقط الطير حيث يلتقط الـ حبّ وتغشى منازل الكرماء

ولا حل ، لأنه كانت لهم أرض قليلة يزرعونها ويتبلغون مما يستغلّونها ويسْتَغْلونها ، وإنما كانت أخلاف البركات عليهم تَدُر[١] ، واللطف الخفيّ يقر فيهم ولا يفر .

وكان الشيخ محمد كما قال الغَزّي[٢] :

هو حلية الدنيا وبقراط العلا وشكية الناجي وحرز للتّقي
أمواله لموفّرٍ ومقصّر ومقالةُ لمحصّل ومحقَّق

ولم يزل الشيخ محمد ، رحمه الله ، على هذه الطريق إلى أن جاء الأمير سيف الدين طشمتر حِمّص أخضر إلى حلب نائباً ، فاشترى لزاوية الشيخ أرضاً ووقفها على الزاوية ، فامتنع الشيخ من ذلك وامتعض ، وارتقى إلى عدم القبول وارتمض . فقال الأمير : إنما هذا للزاوية ، وليس هُو لك ، فبعد لأيٍ ماقبل ذلك ، وهو غير راض . ثم إنّ الأمير سيف الدين طقزتمر لما جاء إلى حلب نائباً أيضاً وقف على الزاوية أرضاً أخرى فاتّسع الرزقُ بذلك على أولاده ، وفاض الخير عليهم ببركات الشيخ .

ولم يزل على حاله حتى تَنَبَّه الأجل لابن نبهان من رقدته ، وعجَّل الله له بالرحمة[٣] في أول نقدته .

وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وصلي عليه بالجامع الأموي صلاة الغائب .

ولم نسمع عن الشيخ إلا صلاحاً وخيراً ، وكان نُواب حلب جميعهم يعظمّونه ، ويجلّونه ، ويكرمونه ، ويقْبلون شفاعاته ويعملون بإشاراته ، وكان منقطعاً عن الناس ، منجمعاً .

---

(١) (خ) : « وتدر » .
(٢) إبراهيم بن يحيى وقيل : ابن عثمان (ت ٥٢٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٥٧/١ ، والوافي : ٥١/٦ .
(٣) (س) ، (خ) : « الرحمة » .

وأخبرني القاضي ناصر الدين[1] كاتب السر بدمشق قال : كان الشيخ محمد كثير التلاوة ، وله كل يوم ختمة ، ومن يراه يحسبه أنه لا يتلو شيئاً .

كتب إليه القاضي شهاب الدين بن فضل الله في جملة كتاب :

قيل جبريلُ مُنْزَل لابن نبها ... ن محوط بحكم التنزيل
قد تبدّى محمد في رُباها ... علماً للسائرين وابن السبيل
بوقار كأنّه الليل خوفاً ... وجبين يُنير كالقنديل
ليس يخشى الضلال من أمّ منه ... حضرةً أشرفت علَى جبريل

وأما أنا فلم يتفق لي لقاؤه ، ولكن اجتمعت بولده الشيخ علي وقدم إلى دمشق متوجهاً إلى الحج في سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

ولما مات الشيخ محمد قلت أرثيه رحمه الله تعالى :

تَنَبَّه صرفُ الدهر من بعد غَفْلَةٍ ... وخصّ ابن نبهان بمطعم صابه
ومات فأحيا الذكر من بعده الثنا ... عليه كنشر الروض غب سحابه
فمن لقرى الأضياف من بعد فقده ... فقد طالما راق الجنا من جنابه
أقول وبعض القول يعطي تمامه ... «كأنَّ بني نبهان يوم مصابه»

١٨٠٤ - محمد بن نجيب*

ابن محمد بن يوسف ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ، الكاتب الْمُجَوّد والْمُحَرّر المعروف بالخلاطي ، إمام التربة القيمرية بالقباقبيين[2] بدمشق .

سمع من ابن أبي اليسر ، وحَدَّث .

(١) محمد بن يعقوب ، ستأتي ترجمته .

* الدرر : ٢٧٣/٤ .

(٢) في الدرر : « بالقبيبات » .

وكان حسنَ الهيئة كريم الأخلاق ، يكتُب المنسوب ، وكتب الناس عليه بعد الشهاب غازي المجوّد ، وعنده قطع كثيرة من الخط المنسوب . وتوجَّه إلى القاهرة وأقام بالخانقاه مُدّة وعاد .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن في مقابر الشيخ أرسلان .

ومولده سنة ستين وست مئة .

١٨٠٥ ـ محمد بن نصر الله*

ابن عبد الوهاب ، القاضي الرئيس علاء الدين الجوجري ، بجيمين بينهما واو وبعد الجيم الثانية [راء][1] المالكي الحاكم بالقاهرة .

درّس الفقه على مذهب مالك بالجامع الحاكمي ، وناب في الحكم عن قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي المالكي ، وكان ناظر خزانة الخاص .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة تاسوعاء سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ولعله قد تجاوز السبعين .

وولي نظر الخزانة بعده القاضي محيي الدين بن بنت الأعز .

١٨٠٦ ـ محمد بن نصر الله بن محمود**

شهاب الدين ، الشيباني العطار .

سمع من ابن مسلمة[2] في سنة ثمان وأربعين وست مئة[3] الجزء الذي كان عنده

* الدرر : ٢٧٤/٤ .

(١) زيادة من (س) ، وفي الأصل : « والمالكي » بواو ، وأثبتنا ما في (س) .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) (س) : « ابن مسلم » ، سهو ، وهو أحمد بن المفرج ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) (س) : « وسبع مئة » سهو .

(موافقات ابن عساكر) ، وسمع أيضاً من العراقي ، وفرج الحبشي ، ولم يحدث .

وتوفي رحمه الله تعالى في ربيع[١] الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٨٠٧ ـ محمد بن نصر الله بن يوسف*

ابن أبي عبد الله ، الشيخ الصالح عز الدين القرشي الأبزاري[٢] المصري رئيس المؤذنين بحرم النبي ﷺ .

كان عنده ثبتٌ وإجازات تركها بمصر ، وغالب مسموعاته بقراءة المكين الحصني[٣] .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة عند فراغه من أذان الفجر بالمنارة الجديدة ، منْ غير مرض ولا عرض ، وكان له مشهد عظيم .

١٨٠٨ ـ محمد بن هاشم**

ابن عبد القاهر بن عقيل بن عثمان ، ينتهي إلى عليّ بن عبد الله بن العباس[٤] ، الشريف شمس الدين أبو عبد الله بن الشريف تاج الدين بن الكاتب بهاء الدين .

روى عن عمّ والده الفضل[٥] بن عقيل ، وعن ابن الزبيدي . وحدث (بصحيح البخاري) مرات ، وكان اسمه مضمناً في إجازة ابن عساكر ، وحدث عن أبي روح الهروي[٦] بها .

(١) (س) : « في شهر ربيع » .

* الدرر : ٢٧٥/٤ .

(٢) في الدرر : « الأبراري » .

(٣) هو أبو الحسن بن عبد العظيم المصري (ت٦٧٤ هـ) . العبر : ٣٠٢/٥ .

** العبر : ٤٠٥/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٤) في (س) زيادة : « الشيخ المعمر » .

(٥) (س) : « الفخر » ، وما أثبتناه يوافق ما في العبر والشذرات .

(٦) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي (ت٦١٨ هـ) ، السير : ١١٤/٢٢ .

وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة[١] ست وست مئة .

١٨٠٩ ـ محمد بن الهمام*

ابن إبراهيم بن الخضر بن همام بن فارس ، ناصر الدين القرشي .

أخبرني شيخنا العلامة أبو حيّان ، قال : هو صاحبنا ، كان له سماع في الحديث ، وقد حدّث عن النجيب الحرّاني . وكان ذا خطّ حسن وصُورة حسنة كريماً محبّاً في الفقراء إماماً للأدباء ، حسن النغمة بالقرآن ، وإنشاء[٢] الشعر ، باشاً بأصحابه ، يحبّ من يأكل طعامه ومَنْ يجتمع به . وكان يعرف الحساب واشتغل بالخدم[٣] ، وناب في نظر البيمارستان المنصوري ، وكان الفقهاء معه في الجوامك على أحسن حال .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وسبع مئة .

١٨١٠ ـ محمد بن أبي الهيجاء بن محمد**

الأمير الفاضل عز الدين الهذباني الإربلي ، متولي دمشق[٤] .

قدم الشام[٥] شاباً ، واشتغل ، وجالس العز الضرير . وكان جيّد المشاركة في التاريخ والأدب والكلام .

---

(١) (س) : « في سنة » .

* الوافي : ١٦٩/٥ ، والدرر : ٢٧٨/٤ .

(٢) (س) : « بالقراءة » . وفي الوافي : « وإنشاد » .

(٣) في الأصل : « الخدم » وأثبتنا ما في (س) والوافي .

** الوافي : ١٧٠/٥ ، والدرر : ٢٧٨/٤ .

(٤) (س) : « مدينة دمشق » .

(٥) في الأصل : « القاهرة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي وبعض أصول الدرر .

قال شيخنا الذهبي : وهو معروف بالتشيع والرفض ، وكان شيخاً كُردياً مهيباً ، يلبس عمامة مُدَوَّرة ، ويرسل شعره على أكتافه . ولي دمشق وكان جيّد السياسة .

توفي رحمه الله تعالى بالسوّادة التي في رمل مصر سنة سبع مئة .

ومولده بإربل سنة عشرين وست مئة .

١٨١١ ـ محمد*

الأمير الكبير بدر الدين بن الوزيري ، توفي بدمشق بدار الجاولي ظاهر دمشق في يوم الأربعاء سادس عشر شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة [ودفن][١] برأس ميدان الحصى[٢] .

كان عنده معرفة وله فضيلة ، وتكلم في الديار المصرية في أمر الأوقاف والقضاة والمدرسين ، وناب بدار العدل عن السلطان مدة ، صاحب[٣] الميسرة وأمير مئة ومقدم ألف . وخلّف تركة عظيمة ، ثم إنه صرف عن ذلك ونقل إلى دمشق .

١٨١٢ ـ محمد بن يحيى**

المنصور بالله ، أبو عصيدة بن الواثق الدهَنتاتي ، بفتح الهاء وسكون النون ، وبعدها تاء ثالثة الحروف وبعدها ألف وتاء أخرى . تملك تونس بإشارة المرجاني في آخر سنة [أربع وأربعين][٤] وست مئة .

---

* البداية والنهاية : ٧٩/١٤ .

(١) زيادة من (س) والبداية .

(٢) عبارة ابن كثير : « بميدان الحصى فوق خان النجيبي » .

(٣) في (س) والبداية : « حاجب » .

** الوافي : ٢٠٤/٥ ، والدرر : ٢٨٥/٤ ، وما في تمام نسبه من بياض لم يُشَرْ إليه في مطبوعة الوافي .

(٤) زيادة من الوافي ، وثمة بياض موضعها في الأصل و(س) .

كان شريف النفس مهيباً ، جيّد الرأي أديباً ، صالحاً ديّناً ، حميد السيرة صيّناً ، ظريفاً شكله ذريعاً[١] أكله ، ينفق في جنده ، ولا يرد أحدهم على رفده .

ولم يزل على حاله حتى رمي أبو عصيدة باليوم العصيب ، ورماه الحمام بسهمه المصيب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ولم يعهد إلى أحد ، فقام بعده ابن عمه ، فقُتل بعد أيام ، توثّب عليه المتوكل خالد بن يحيى من بني عمه وتملك ، ثم خلع بعد يومين .

ومات أبو عصيدة رحمه الله تعالى شاباً ، وإنما لقب بذلك لأنه عمل في سماط[٢] عصيدة عظيمة في وعاء سعته تفوق العبارة ، في وسطها بركة واسعة[٣] مملوءة سمناً ، ويليها خندق عسل ثم خندق من دهن ثم خندق من دبس ثم خندق من زيت ثم خندق من رب خرنوب ، سبعة خنادق ، والله أعلم ، وكان عسكره نحواً من سبعة آلاف .

١٨١٣ ـ محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد*

الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله القرطبي المالكي الأشعري ، نزيل مالقة ومحدثها وفقيهها ووزيرها .

وكان أشعرياً ، وكان آخر من حدث عن والده بالسماع ، وسمع من الدبّاج[٤] والشلوبين[٥] ، وابن الطيلسان[٦] . وكان من جملة محفوظاته (المقامات) .

(١) أي : واسعاً .

(٢) (س) والوافي : « سماط له » .

(٣) في الوافي : « واسطة » .

* الوافي : ٢٠٥/٥ ، والدرر : ٢٨٠/٤ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٤) علي به جابر بن الدباج للقرئ النحوي (ت٦٤٦هـ) . السير : ٢٠٩/٢٣ ، والعبر : ١٠٩/٥ .

(٥) أبو علي عمر بن محمّد ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) القاسم بن محمّد بن أحمد القرطبي (ت٦٤٢هـ) . البغية : ٢٦١/٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده بقرطبة سنة ست وعشرين وست مئة .

١٨١٤ ـ محمد بن يحيى بن أحمد*

ابن علي بن يَس ، الشيخ شمس الدين الحِمْيري المعروف والده بابن المعلم .

سمع من ابن عبد الدائم وروى عنه ، وسمع من عمر الكرماني . وكان له ملك يرتزق منه .

وسمع منه شيخنا علم الدين البرزالي .

توفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط من صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

١٨١٥ ـ محمد بن يحيى بن موسى**

الشيخ شرف الدين بن نجم الدين بن تاج الدين أبي البركات الصائغ المعروف بابن صفّ عذاره .

وكان شيخنا أوصى بثلث ماله أن يُشتري به وقفٌ للصدقة فكان أربع مئة دينار وكسوراً ، ووقف وقفاً على من يقرأ (صحيح البخاري) كل سنة في شهر رمضان بالإسناد .

توفي رحمه الله تعالى في أول ذي الحجة سنة تسع وسبع مئة .

---

* الدرر : ٢٨٠/٤ .

** الدرر : ٢٨٥/٤ .

١٨١٦ ـ محمد بن يحيي بن محمد بن عبد الرحمن*

الشيخ الإمام المفتي المدرس بدر الدين ابن القاضي جمال الدين بن الفُويرة الحنفي ، تقدم ذكر أخيه علاء الدين علي ، وسوف يأتي ذكر والده جمال الدين إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الياء .

اشتغل كثيراً ، ورقى من الحفظ محلاً أثيراً ، تفنن في العلوم وتفند عما سوى ذلك من ملاذ المشارب والطعوم ، وحصّل رأس مال جيد من الفقه وأصوله ، وأنفق ولم يخش ذهاب محصوله .

ولم يزل على حاله إلى أن فارَ وفاض أجل الفويرة ، وسبق أقرانه ، وماجَدَّ في سيره .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء ، الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

وكان له حلقة إشغال في الجامع[1] الأموي عند شباك الكاملية في الحائط الشمالي ، ودرس بالخاتونية البرانية وبمجلس الرأس[2] ، وخطب بالزنجليّة وسمع عن[3] جماعة ، وحدث .

وكان قد انتشاله ولد تقدير عمره ست عشرة سنة ، وحج وهو صغير مع والده سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وحفظ الكتاب العزيز ، وسمع الحديث ، وحفظ شيئاً من

* الوافي : ٢١١/٥ ، والدرر : ٢٨٣/٤ ، والدارس : ٣٧٢/١ .

(١) في الأصل : « جامع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) ، (ط) : « بمسجد الرأس » . والذي في الدارس : « مدرسة التاشي » ، وترجم للمدرسة ثمّة .

(٣) (س) : « على » .

الفقه ، فمات في شهر صفر من سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، ففجع فيه والده وأهله[١] ، وحزن والده عليه حزناً عظيماً ، ولم يعش والده بعده إلا هذه المدة اليسيرة ، ولحقه إلى الله تعالى .

وكان الشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى رفيقا للقاضي فخر الدين المصري يجاريه في الإشغال فنّاً بعد فن[٢] ، خَلاَ أن ذلك كان شافعياً وهذا حنفيّاً ، وكان كثيراً ما يمشي هو وشمس الدين محمد بن زين الدين المقرئ الصفدي ، فكان الناس يسمونها القط والفأر .

وحضرت يوماً عنده في حلقة إشغاله[٣] ، وأوردت عليه أنّ لفظه « طَهُور » صيغة مبالغة في تكرير[٤] الفعل من الفاعل مثل « صبور » و « قتول » ، و « أكول » و « شروب » ، فكيف يسلب الماء الطهورية بالمرة الواحدة ، على ما تقدم في ترجمة تقي الدين أبي الفتح السبكي مما نظمته وأجاب عنه نظماً ، فأعجب الشيخ بدر الدين هذا الإيراد وزَهْزَهَ له ، ولم يجب عنه ، ولم يكن في طباعه مع كثرة علومه وتفننه إقامة وزن الشعر .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : كان بدر الدين بن الغويرة ينشد قول الشاعر :

معاوي إننا بشر فأسجحي[٥] ......

بإثبات الياء بعد الحاء .

---

(١) (س) : « والده وجدّه وأهله » .

(٢) (س) : « فنّاً بفنّ » .

(٣) (س) : « اشتغاله » .

(٤) (س) : « تكرار » .

(٥) البيت بتمامه :

معاوي إننا بشرٌ فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد

وهو لعقيبة الأسدي .

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٥٣/٧ وما بعدها .

١٨١٧ ـ محمد بن يحيى بن أحمد بن سالم*

الأمير بدر الدين بن الخشاب ابن العدل زين الدين القرشي الدمشقي .

دخل بدر الدين هذا في الجندية ، وباشر الشدّ في ديوان سلاّر في بلاد صفد وقضى من السعادة في هذه المباشرة ما لا يوصف ، وحصّل جملاً ، وبقي فيما بعد ذلك من أعيان مقدمي حلقة صفد . ثم إنه ترامى إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فأمّره عشرة ، وجعله مشدّ الديوان بصفد ووالي الولاة ، وحضر إليها في سنة أربع وعشرين وسبع مئة . ثم إنه نقله إلى دمشق على شد الدواوين بها عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الطرقجي ، فوصل إليها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة بإعانة الصاحب غبريال[1] له . ثم إن الصاحب عُزل في أيامه وتولي هو مصادرته .

ولم يزل على وظيفة الشد إلى أن عزل منها ، وصودر في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وأقام في الترسيم نحواً من أربعة أشهر . ثم إنه أفرج عنه ، وتولى فيما أظن بعد ذلك بيروت بواسطة سيف[2] الدين قرمشي ، لأنه كان مزوّجاً بأخت قرمشي . ثم إنه نقله إلى ولاية نابلس ، وتقلب في المباشرات كثيراً .

ولم يزل على حاله في دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان يحب المباشرات ولو كانت ، مهما كانت عالية أو سافلة .

وكان فيه كرم وخدمة لأرباب الدولة ما عليها مزيد . وكان مع اتساع دائرته

* الدرر : ٤/٢٨٠ .

(١) (س) ، (خ) : « شمس الدين » .

(٢) (س) : « الأمير سيف » .

لا يخرج فلساً لبقل حتى يضبطه في تاريخه عنده في تعليق [وكان][1] عجباً في هذا الباب .

١٨١٨ ـ محمد بن يحيي بن فضل الله*

القاضي بدر الدين بن القاضي محيي الدين .

توجه إلى الديار المصرية صحبة والده ، وعاد معه إلى دمشق ، ثم توجه معه ثانياً إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى أن أخرجه أخوه القاضي علاء الدين إلى كتابة السر [بالشام][2] عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، فوصل إلى دمشق في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان عاقلاً ساكناً كثير الإطراق ، ملازم الصمت ، لا يفوه بكلمة تُودي إلى الإحراق أو الإغراق[3] ، يخدم من يقصده ولا يلتفت إلى من يزحمه أو يحسده ، فأحبّه الناس وخضعوا ، وطأطأوا رؤوسهم له واتّضعوا ، وارتشفوا كؤوس محبّته وارتضعوا . وكان خطه جيداً يزين[4] به مهارقه ، ويودع الدرّجيد دَرْجه ومفارقه .

ولم يزل على حاله إلى أن خسف بدره في ليلة تمامه ، وأدار الغصن عذبته لنوح حمامه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر من شهر رجب الفرد سنة ست[5] وأربعين وسبع مئة .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وعبارة (س) : « حتى يضبطه عنده في تعليق ، وكان عجباً في هذا الباب » .

* الوافي : ٢١١/٥ ، والدرر : ٢٨٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٥٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٢/١٠ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في (س) ، (خ) : « أو الإغراق » .

(٤) (س) ، (خ) : « يطرّز » .

(٥) في الأصل : « ثلاث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، ومصادر ترجمته .

ومولده سنة عشر وسبع مئة .

وهو شقيق أخيه القاضي شهاب الدين ، وخلّف نعمة طائلة ، وعمر أملاكاً مليحة عند قناة صالح داخل باب توما[١] ، وكان أحب الإخوة إلى والده القاضي محيي الدين .

وكان أخوه القاضي علاء الدين وهو أصغر سنّاً منه قد أدخله بعد موت والدهما إلى دار العدل ، وجلس في أيام السلطان الملك الناصر محمد ووقّع في الدست ، ولما توجه القاضي علاء الدين إلى الكرك صحبة الناصر أحمد ، وتسلطن الملك الصالح إسماعيل ، سدّ هو الوظيفة إلى أن عاد أخوه ، ثم إن أخاه جهزه[٢] إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء ، ولما مات رحمه الله تعالى كتبت إلى أخيه القاضي علاء الدين أعزيه فيه على لسان الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ارتجالاً من رأس القلم وهو :

يقبّل الأرض لا ساق الله إليها بعْدها[٣] وفدَ عَزَاء ، ولا أذاقها فَقْدَ أحبّةٍ ولا فراق أعزّاء ، ولا أعدمها جملة صبر تفتقر منه إلى أقل الأجزاء وينهي ما قدره الله تعالى من وفاة المخدوم[٤] القاضي بدر الدين أخي مولانا ، جعله الله وارث الأعمار ، وأسكن من مضى جنّات عدن ، وإن كانت القلوب بعده من الأحزان في النار ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قول من غاب بَدْره وخلا من الدست صدره ، وعمّ[٥] مصابه فهو يتأسى بالناس ، وعدم جَلَده فقال[٦] للدمع : اِجرِ فكم في وقوفك اليوم من باس[٧] ، وهذا مصاب لم يكن مولانا فيه بأوحد ، وعزاء لا ينتهي الناس فيه إلى غايةٍ أوْحَدّ :

---

(١) باب توما : أحد أبواب دمشق السبعة ، ومازال إلى يوم الناس هذا .
(٢) في الأصل : « عاد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) في الأصل : « للرحوم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٥) في الوافي : « وعمر » .
(٦) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٧) هذه الجملة من صدر بيت لأبي تمام : « ما في وقوفك ساعة من باس » . وقد سلف .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشقّ قلوب لا بشق جيوب

فما[١] كان المست الشريف إلا صدراً نزع فيه القلب ، أو نجوماً[٢] بينما بدرها يشرق نوراً إذا به في الغرب ، وما يقول للملوك إلا إن كان البدر قد غاب فإن النيّر الأعظم واف ، وبيتكم الكريم سالم الضرب ، وإنما أدركه بالوهم خفي زحاف ، وما بقي إلا الأخذ بسنة النبي ﷺ في الصبر[٣] والاحتساب ، وبتسليم الأمر إلى صاحبه الذي كتب هذا المصرع على الرقاب : « وفي بقائك ما يسلي عن[٤] الحزن » ، وظلٌّ مولانا بحمد الله تعالى باق على بيته ، وما نقص عددٌ ترجع جملته إلى مولانا ، وكلنا ذلك الدارج ، والله لا يذيقه بعدها فقد قرين ولا قريب[٥] ، ويعوض ذلك الذاهب عمّا تركه في هذه الدار الفانية من الدار الباقية ، بأوفر نصيب إن شاء الله تعالى .

وقلت أرثيه ، ولم أكتب بذلك لأحد :

لفقدك بَدْرَ الدين قد مسنا الضّر وأظلم أفقَ الشام واستوحشت مصر
وشُقّق جَيْبُ البَرْق واستعبر الحيا ولُطّم خد الورد وانصدع الفجر[٦]
وكادت لنوح الوُرق في غسق الدجى تجف على الأغصان أوراقها الخضر[٧]
لك الله من غادٍ إلى ساحة البلى «ومن بعده تبقى الأحاديث والذكر»
كأن بني الإنشاء يوم مصابه «نجوم سماء خرّ من بينها البدر»[٨]

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « فلمّا » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الأصول : « صدرٌ ... نجومٌ » .
(٣) (س) : « بالصبر » .
(٤) في الوافي : « من » .
(٥) في الوافي : « قرين قريب » .
(٦) في (س) ، (خ) والوافي : « خد الرعد » .
(٧) في الأصل : « الأرق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٨) ضمّن البيتين الأخيرين شطرين من قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

١٨١٩ - محمد بن يحيي بن محمد*

الشيخ الإمام الصدر الكبير شمس الدين بن قاضي حرّان الحراني الحنبلي ، ناظر الأوقاف بدمشق .

كان صدراً محتشماً نبيلاً .

توفي رحمه الله تعالى في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة ابن الصباب [1] بالصّالحية ، وعمل عزاؤه بكرة الجمعة بمحراب الصحابة بجامع دمشق .

وتولى نظر الأوقاف عوضه القاضي عماد الدين بن الشيرازي مضافاً إلى نظر الجامع [2].

١٨٢٠ - محمد بن يحيي**

المعمّر الصالح كمال الدين ، ابن القاضي محيي الدين بن الزكي القرشي .

حدث عن ابن النحاس ، ودرس بأماكن .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

١٨٢١ - محمد بن يعقوب بن بدرَان***

الإمام المسند المقرئ أبو عبد الله بن الجرايدي - بالجيم - الأنصاري الدمشقي ثم القاهري ، نزيل بيت المقدس .

---

* البداية والنهاية : ١٦٨/١٤ .

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العزّ الحراني . انظر : البداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، والدارس : ٩٤/١ .

(٢) (س) : « الجامع الأموي » .

** الدرر : ٢٨٠/٤ .

*** الوافي : ٢٢٥/٥ ، والدرر : ٢٨٦/٤ .

أجاز له السخاوي ، وسمع بمصر سنة أربع وأربعين ، وبعدها من ابن الجميزي ، وسبط السلفي ، والمنذري ، والرشيد العطار وتلا بالسبع مفردات على الكمال الضرير ، وسمع منه (الشاطبيّة) ، ومن ولد الشاطبي[١] ، وجود الخط ، ودخل اليمن ، وروى بأماكن .

روى عنه شيخنا البرزالي والواني ، وشيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وجماعة .

واستوطن القدس ثماني سنين ، وبه توفي سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة تسع وثلاثين وست مئة .

١٨٢٢ ـ محمد بن يعقوب بن زيد*

الشيخ الإمام العالم شمس الدين أبو عبد الله البلفيائي الشافعي المحدث .

كان قد رافق شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة السبكي في سنة خمس وسبع مئة ، وسمع معه على ابن الصواف ، وسمع بالقاهرة ، ومابرح يسمع إلى أن مات . وكان عدلاً فاضلاً ورعاً وديناً .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني[٢] عشري جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبع مئة ودفن بالقرافة ، وكان الجمع متوفراً .

١٨٢٣ ـ محمد بن يعقوب**

الشيخ الإمام العالم الأديب بدر الدين ، ابن النحوية ، الأديب ، نسبة إلى النحو .

(١) في (س) زيادة : « حفظها » . وفي الوافي : « وحفظها » .

* الدرر : ٢٨٧/٤ .

(٢) (ط) : « ثامن » .

** الوافي : ٢٣٥/٥ ، والدرر : ٢٨٥/٤ ، والبغية : ٢٧٢/١ .

كان أديباً لبيباً ، فاضلاً أريباً ، حمى سرح النحو بحماة ، وشاد ركنه وحماه ، له يد في النحو طولى ، وذهن بلغ به من الغوامض سولا بما أصفه وهو ابن النحويّة ، والفرع فيه ما في الأصل ، وزيادة مَحْوِيّة ، وتصانيفه تشهد له بالتقدم وتحكم بأن مجده آمنٌ من التهدّم .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح لقىً بين يدي المنايا ، وحكمت فيه الرزايا .

وتوفي رحمه الله تعالى

اختصر الشيخ بدر الدين (المصباح) الذي لبدر الدين بن مالك في المعاني والبيان والبديع ، وسماه (ضوء المصباح) وهذه تسمية حسنة .

قلت : وهذه التسميات تحتاج[(١)] ذوقاً ، كما اختصر ابن سناء الملك كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وسمّاه (روح الحيوان) ، (البرق السامي) ، وسمي (سنا البرق) ، وصنف شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي كتاباً سماه (النور في مسائل الدور) واختصره فسماه (قطف النور)[(٢)] . واختصرت أنا (ديوان السّراج) وسميته (لمع السّراج) . وشرح الشيخ بدر الدين (ضوء المصباح) في مجلدين وسماه (إسفار الصباح عن ضوء المصباح) . وكتبته بخطي وفي البديع مثلٌ مثّل بها ، وفيها نظر ، وعندي في التسمية أيضاً نظر ، وشرح أيضاً (ألفية ابن معط) شرحاً حسناً وسماه (حرز الفوائد وقيد الأوابد) .

أنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة نجم الدين القفحازي قال :

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا بدر الدين محمد بن النحوية ما كتبه ارتجالاً على

(١) (س) : « تريد » .

(٢) في الوافي : « قطب النور » ، تحريف ، وانظر : الكشف : ١٣٥٣/٢ .

قصيدة أحضرها بعض شعراء العصر[١] يمدح فيها صاحب حماة :

لا ينشــــدَنْ هــــذا القريض متيم ... خـوداً يحـاذر من أليم صـدودهـا
فتملّــــه وتصــــدّه وتظنــــه ... أنْ قَدْ أغـار على فريـد عقـودهـا

قلت : لا يقال : إلا حـاذرت كـذا ، ولا يقـال إلا صـدّ عنـه ، اللهم إلا أن يكون حمل ذلك على المعنى ، فيكون « حاذرت » بمعنى خفت ، و « تصدّه » بمعنى تجفوه ، وفي هذا ما فيه . وقد بلغني من[٢] قاضي القضاة جلال الـدين القزويني أنـه قـال : اجتمعت ببدر الدين بن النحوية في العادلية وسألته عن قول أبي النجم[٣] :

قــد أصبحت أم الخيــار تــدعي ... عليّ ذنبــاً كلّــه لم أصنــع

في تقـديم حرف السلب وتـأخيره ، فـما أجـاب بشيء ، أو كما قـال . وقـد تكلم ابن النحوية في[٤] هـذا البيت في (إسفـار الصُباح) كلاماً جيـداً ، والسبب في ذلـك أنـه ما يلزم كل من وضع مصنفاً أن يستحضر جميع مسائله متى طُلب ذلك منه ، لأنه حالـة التصنيف يراجع الكتب المـدونـة في ذلـك الفن ويطـالع الشروح فيحرر الكـلام ذلـك الوقت ، ثم إنه يشذ عنه ، وهذا الشيخ علاء الدين البـاجي كان إمـاماً[٧] علاّمـة في فنونـه ، وقـد وضـع كتـاباً في الجبر والمقـابلـة ، قـال لي عمـاد الـدين الـدميـاطي : سألتـه مسألـة في الجبر والمقابلة فما أجاب .

قلت : وهذا لا ينقص من قدر الباجي .

(١) (س) : « شعراء أهل العصر » .
(٢) (س) : « عن » .
(٣) انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٤/٢٤٠ .
(٤) (س) : « على » .
(٥) ليست في (س) .

١٨٢٤ ـ محمد بن يعقوب بن عبد الكريم*

القاضي ناصر الدين بن الصاحب شرف الدين ، كاتب السر الشريف بحلب ودمشق .

سألته عن مولده فقال : تقريباً في سنة سبع وسبع مئة بحلب .

كان من رجالات الدهر[(١)] عزماً وحزماً ، وسياسة ودُرْبَة بالسعي وفهماً . ينال مقاصده ولو كانت عند النعائم[(٢)] ، ويتناول الثريا قاعداً غير قائم ، وكتب ما يصبح به طرسه ، وكأنه حديقة ، وينظم بسرعة لا يقف فيها قلمه يُخال البرق رفيقه .

باشر كتابة السر بحلب ودمشق مرتين ، وخرج من كل منهما وهو قرير العين . وكان محظوظاً من النواب الذين يباشر بين أيديهم ، وله عندهم الوجاهة التي لا تعدوه عند غضبهم وتعدّيهم ، يشكرونه في المجالس ، ويثنون عليه عند أرباب السيوف وأصحاب الطيالس ويقبلون شفاعته[(٣)] ما عسى أن تكون ، ويثقون إلى ما عنده من التأني والسكون :

فـأمرهم رُدٌّ إلى أمره ... وأمره ليس لـه رَدّ

ومع هذا فكان ساكناً وادعاً ، رادّاً على من اتصف بالشر رادعاً ، أخلاقه تعلم النسمات حسن[(٤)] الهبوب ، ويُغفر لها ما يعدّه الناس[(٥)] للدهر من الذنوب .

---

* الوافي : ٢٣٧/٥ ، والدرر : ٢٨٧/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٩٠/١/١ ، وذيول العبر : ٣٥٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٦/١١ .

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) النعائم : من منازل القمر .

(٣) (س) ، (خ) : « شفاعاته » .

(٤) (س) ، (خ) : « لطف » .

(٥) (خ) : « من الناس » .

ولم يزل على حاله إلى أن اعتلّ ، ورماه الموت بدائه وانسلّ .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة الأحد سادس ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، ودفن بتربته بمقابر الصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

قال لي : قرأت القرآن على الشيخ تاج الدين الرومي ، وعلى الشيخ إبراهيم القبج[١] . وقرأ (الحاجبية) على ابن إمام المشهد ، وقرأ (مختصر ابن الحاجب) ، وحفظ (التنبيه)[٢] ، وأذِن له الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني بالإفتاء ، ودرّس في حلب بالنوريّة وغيرها ، واشتغل على ابن خطيب جبرين[٣] قاضي حلب في الأصول ، وقرأ في الهيئة على أمين [الدين][٤] الأبهريّ ، وكان يستحضر من كليّات (القانون) جملة ، وعلى ذهنه من العلاج جملة وافرة ، ويستحضر من قواعد المعاني والبيان مواضع جيّدة .

وولي في حياة والده نظر الخاص المرتجع عن العربان ، ثم نُقل إلى كتابة الإنشاء بحلب . وكان الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب يقربّه ويحبه ويحضر عنده في الليل ، ويقول له : يافقيه ، ودخل به إلى توقيع الدست في حلب ، وتولّى تدريس المدرسة الأسدية بحلب سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، ثم إنه ولي كتابة السر بحلب عوضاً[٥] عن القاضي شهاب الدين بن القطب سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وتولّى قضاء العسكر بحلب في أيام الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب حلب .

ولما توفي زين الدين محمد بن الخضر[٦] كاتب سرّ دمشق طلب الأمير سيف الدين

(١) في الوافي : « الفتح » .
(٢) في الوافي : « للشيخ أبي إسحاق » .
(٣) في الأصول : « جبريل » ، وأثبتنا ما في الوافي . وسلفت الإشارة إلى نحو ذلك .
(٤) زيادة من الوافي .
(٥) في الأصل : « وكان عوضاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٦) في النجوم : « تاج الدين بن الزين خضر » . وهو محمد بن زين الدين خضر بن عبد الرحمن . (ت ٧٤٧هـ) ، النجوم : ١٠/١٧٧ .

يلبغا[١] من السلطان أن يكون القاضي ناصر الدين عنده بدمشق كاتب سر ، فرسم له بذلك ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فباشر كتابة[٢] سرّ دمشق وبيده تدريس الأسديّة بحلب إلى أن مات بدمشق ، وبيده أيضاً قضاء عسكر حلب وهو بدمشق إلى أن نزل عنه لمن بذل له شيئاً ، ثم إنه تولى تدريس للمدرسة [الناصريّة الجوّانيّة بدمشق ، وتدريس المدرسة][٣] الشامية الجوانية ومشيخة الشيوخ .

وكان يزعم أنه سمع على سنقر مملوك ابن الأستاذ[٤] حضوراً في الرابعة ، كذا قال لي من فمه ، وعندي في ذلك شيء[٥] ، فإن سنقر المذكور توفي سنة ثمان وسبع مئة ، وناصر الدين فمولده على ما أخبرني[٦] في سنة سبع وسبع مئة ، فهذا الحضور في الرابعة على سنقر لا يتصور .

وكان ينظم سريعاً ، ويكتب خطّاً حسناً ، وحصّل لأولاده الإقطاعات الجيّدة من إمرة العشرة إلى ما دونها ، ولمماليكه ولألزامه ، والرواتب الوافرة على الديوان ، وعلى الجامع الأموي واقتنى من الكتب النفيسة للليحة جملةً وافرة ، ومن الأصناف من القماش والجوهر واللؤلؤ وغير ذلك جملاً ، واقتنى الأملاك الجيدة والبساتين المعظمة في دمشق وغالب بلادها ، وفي حلب وغالب معاملاتها .

وكان رَجُلاً سعيداً محظوظاً إلى الغاية ، إلاّ أنّه لم يكن فيه شَرٌّ ، ولا تسرع يملك نفسه ، ويكتم أذاه وغيظه ولا يواجه أحداً بسوء .

(١) (س) ، (خ) : « يلبغا نائب الشام » .
(٢) في الأصل : « فباشرها به » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) هو سنقر الزيني ، سلفت ترجمته .
(٥) (خ) : « في هذا نظر » .
(٦) في (س) ، (خ) زيادة : « به » .

ولما كان في سنة ستين وسبع مئة رسم له بكتابة سر حلب عوضاً عني ، وجُعل القاضي أمين الدين [بن][١] القلانسي عوضاً عنه بدمشق ، وحضرتُ أنا على وظائف ابن القلانسي ، وذلك في أوائل سنة ستين .

ولم يزل بحلب إلى أن حضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجّي إلى دمشق في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فولي القاضي ناصر الدين كتابة سر دمشق عوضاً عن القاضي أمين الدين بن القلانسي في ثاني عيد الأضحى ، فباشر كتابة السر إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وباشرت معه كتابة الإنشاء بدمشق مدّة ولايته الأولى وما فارقته فيها في سفر ، ولا حضر[٢] ، وبيني وبينه بداءات[٣] ومراجعات في عدة فنون ، وكلها في أجزاء (التذكرة) التي لي ، من ذلك ما كتبه إليّ[٤] وقد وقع مطر عظيم :

كأنّ البرق حين تراه ليلاً ... ظُبَىً في الجوّ قد خُرطت بعنف
تخال الضوء منه نار جيشٍ ... أضاءت والرعود حسيس زحف[٥]

وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يحاكي البرق بشرك يوم جُود ... إذا أعطيت ألفاً بعد ألف
وصَوت الرعد مثل حشا عدُوّ ... يخاف سطاك في حيف وحتف

ثم كتب هو إليّ :

لئن أوسعت إحساناً وفضلاً ... وجُدْتَ بنظم مدح فيك لائق

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (س) : « لا في سفر ولا في حضر » .
(٣) (خ) : « مكاتبات بداءات » .
(٤) في (س) ، (خ) والوافي زيادة : « ونحن ببرج الغسولة » .
(٥) الحسيس الجبلة . وفي الوافي : « فَجَيْشٌ » .

فهذا الفضل أخجل صوب سحبٍ وهذا البشر أخجل بِشرَ بارق

وكتب هو إليّ أيضاً :

وكأنّ القطر في ساجي الدجا لؤلؤ رصّع ثوباً أسودا[1]
وإذا ما قارب الأرض غدا فضةً تشرق من بعده المدى[2]

فكتبت أنا الجواب إليه :

ما مُطرنا الآن في المرج سدى ورأينا العذر في هذا بَدَا
نظر الجوّ لما تَبْذُ لُه فهو يبكي بالغوادي حَسَدا

وكتب هو إليّ أيضاً :

طبّق الجوّ بالسحاب صباحاً ومُطرنا سحّاً مغيثاً ووبيلا
نسخ الريَّ كل قحط ويبس بغمام أهدى لنا سلسَبيلا
ارتشفنا منه الرضاب فخلنا عن يقين مزاجه زنجبيلا[3]

فكتبت أنا الجواب إليه بديهاً :

جَلتِ الأرضُ بعد قحط ويبسٍ من بكاء الغمام وجهاً جميلاً
وتثنى القضيب فيها رطيباً وتمشّى النسيم فيها عليلا
هكذا كل بلدة أنت فيها يجعل الغيثُ في حماها مسيلا

وكتب هو إليّ بعد ذلك :

---

(١) في الأصل : « لؤلؤاً » .

(٢) في الأصل ، و (س) و (خ) : « حارب الأرض » وأثبتنا ما في الوافي . وفي النجوم الزاهرة : « فإذا جادت على .. مع بعد » .

(٣) (س) ، (خ) والوافي : « الرضاب منه » .

أوضـــح اللهُ للبيـــــان سبيـــلا ... بـك يـا أقْـوَم المجيـــدين قيـلا[١]
إن تثنى القضيب في الروض عجبـاً ... وتبــــدى نضــــاره مستطيـلا[٢]
فبـأقـلامـك البـاهــاة فخراً ... كل غصن رطب وخـــدا صقيـلا[٣]
ولئن زدْت في ثنــــائي فـــإني ... شـاكر فضلـك الجـزيـل طـويـلا
لم أنس بـــــالمرج مَرّ لنــــا ... بــه حللنـا في غـايــة الشــدّهْ
تقـابـل الرعـدَ منــه خيمَتُنـا ... بســورة الانشقـــاق والسجــدهْ

وكتبت أنا إليه :

ما أنس لا أنس يوم المرج حين غدت ... أمطـــاره بـــدمـوع العين تمتزج[٤]
كم في الختـام فتـوق كالعيـون غـدت ... أجفـان رفرفهـا بـالريـح تختلـج

وكتبت إليه في السنة الثانية ، ونحن بالمرج[٥] أصف حرّ الظهائر :

مرج دمشـــــــق عجب أمره ... في الطيب والكره غـدا خـارجـا
كم نســخ الحرّ بــــه للنـــدى ... وكان مرجـاً فغـدا مـارجـا[٦]

وكتب هو إليّ ملغزاً :

أيها العالم الذي فاق علماء زمانه ، وعَلاَ قدراً في معانيه وبيانه ، وقام بصلاحه عماد الأدب بعد هوانه :

مـا اسم شيء سـداسي[٧] الحروف ، ظرف للعشرات والألـوف ، لا تنفـك علتـاه الصوريـة والغـائيـة عن عـاطف ومعطوف ، يمنع من القنص ويُتخـذ كاتخـاذ القفص ،

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « لك » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في (س) والوافي : « أو تبدى » .
(٣) في الأصل و (س) و (خ) : « على غصن » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الأصل و(س) و (خ) : « لا أنس » ، ولا تستقيم .
(٥) (س) ، (خ) : « بالمرج المذكور » .
(٦) (س) : « نسج » .
(٧) في الأصل : « سباعي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولا يوصف جلده ببهق ولا برص ، أعجمي للمسمى ، حرم دانٍ لمن تأمّله ورُزق حزماً ، إن صُحّف نصفه كان من علل العروض ، وأتى عقاباً ليعملة[١] غير ركوض ، وربما دخل تصحيفه في ألقاب الإعراب وأتى مشكوراً من ذوي السيادة والآداب ، وإن اعتبر نصفه الثاني فهو مرادف « قريب » ، واستُحب من الحبيب ، وإن قُلب كان للرؤساء مكاناً ، وربّما أضيف إلى قبيلة إذا أردت بيانا ، فاكشف لنا أيّها العالم عن معمّاه ، فما برحت تكشف عن وجوه الإعجاز حجابها ، وتكسف نور الشمس وترفع جلبابها ، وتنزع عن المعميات بنور بصيرتك ثيابها .

فكتبت أنا الجواب إليه ، وهو في « حرمدان »[٢] :

يا فريدا جمع الله فيه فنون الآداب ، ووحيدا علا عن الأشكال والأضراب ، وحَبرا بل بحرا زخرت بالعلوم أمواجه ، و « بل » للإضراب . نزّهت بصري وبصيرتي في هذه الحدائق[٣] التي لا تزال العيون إليها محدّقة ، ولا تبرح كواكبها في سماء بلاغة[٤] لا يسبح قمرها في الطريقة المحترقة ، فرأيتك قد ألغزت في ظرف ، حوى حُسن الشكل والظُرف ، وفيه الألف والنون والتركيب ولا يُمنع من الصرف ، وسدساه الأولان ثلثا « حرف » وسدساه الآخران حرف يُعبّر بألفاظه عن بابك المعمور للخائف[٥] ، لأنه حرم قريب لا يوجد به حائف ، حِرْز لما يودع فيه ، وهذا الوصف له من أجلّ الوظائف ، ذو جَلَد على الغربة ، فبينا هو بالبلغار[٦] إذا هو بالطائف ، ليس بعربي ، وعهده بالعجم قد تقادم ، وليس هو من بني آدم . وإذا قلبته وجدت به آدم ، ولا يفوه بكلمة ، ومتى عكس ثلثاه نادم ، يتلون ألوانا ، وما ضمّ جسده حسدا ، ونصفه مرح إذا

(١) اليعملة : الناقة النجيبة .
(٢) ضربٌ من الدروع .
(٣) (س) : « الحديقة » .
(٤) (س) : « بلاغته » .
(٥) (س) ، (خ) : « الخانق » .
(٦) (س) ، (خ) : « في البلغار » .

قُلب ، وسدساه داء ، وكلّه يرى ما بين جنبيه لاجفنيه رمدا ، يماثل قول الحاجي الأديب[١] ، مأمن للخائف قريب . وله خواص أُخَر عجيبة وصفات بعيدة إلا عن ذهنك الصافي فإنها قريبة .

هذا ما ظهر للمملوك منه ، وكُشف له من الغطاء عنه . فإن وافق الصواب فهو بسعادتك وبركات خاطرك ، ياشيخ الشيوخ ويُمن إرادتك ، وإلا فالعذر ظاهر في القصور ، وشرّ الطير يأوي الخراب وخيرها يأوي القصور . والله يمتّع الأنام بهذه الكلم اللؤلؤيات ، ويمنع بفضله من تحدّى لمعارضة هذه الآيات[٢] البيّنات ، بمنه وكرمه .

١٨٢٥ ـ محمد بن يوسف بن عبد الله*

الجزري شمس الدين ، يُعرف بابن الحشّاش ، وبالخطيب[٣] .

قال شيخنا البرزالي : كان أبوه صيرفيّا بالجزيرة .

وقال كمال الدين الأدفوي : كان ذا فنون ، وكان محسنا إلى الطلبة . قدمت من الصعيد في سنة ست وسبع مئة ، فوجدته يدرّس بالمدرسة الشريفية ، وتؤخذ عليه دروس كثيرة ، فسألته أن يرتّب لي درسا ، فاعتذر بضيق الوقت ، ثم قال : مالك شغل ؟ فقلت : لا ، فقال : تحضر بعد العصر ، فإن اتفق أن تجدني اقرأ[٤] . ففعلت ذلك ، فلم يخلُ يوما من الخروج إليّ ، فقرأت عليه قطعة من (المنتخب) في أصول الفقه ، وخصّني بوقت مع كثرة أشغاله وانتصابه للإقراء إلى نصف[٥] النهار .

---

(١) في (س) ، (خ) : « الأريب » .

(٢) في الأصل : « الأبيات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الوافي : ٢٦٣/٥ ، والدرر : ٢٩٩/٤ ، والبغية : ٢٧٨/١ ، وذيول العبر : ٦٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢١/٩ .

(٣) وبالموجب ، كما سيأتي في الألقاب .

(٤) (س) : « فاقرأ » .

(٥) (س) : « منتصف » .

وكان حسن الصورة ، مليح الشكل ، حلو العبارة ، عالما بفنون من الفقه على مذهب الشافعي ، والأصولين ، والنحو ، والمنطق ، والأدب ، مشاركاً في هندسة وغيرها من الرياضيات [١] . قدم قوص مجرّدا ، فوجد بها الشيخ شمس الدين الأصبهاني حاكمًا ، فقرأ عليه فنونه ، ثم إنه [٢] قدم مصر ، ولشتغل بها ، وأعاد بالمدرسة الصاحبيّة ، وأقام بالقاهرة ، وولي تدريس الشريفية ، وانتصب للإقراء ، فقرأ عليه المسلمون واليهود وغيرهم . وكان يلقي دروسا ، وتقرأ عليه طائفة ، وصحب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وارتفعت منزلته عنده مدة ، ثم إنه وقع بينه وبين الشيخ نصر المنبجي فحطّ عند بيبرس من قدره ، وشهد عليه بعض طلبته . وكان خطيبا بالقلعة ، فعُزل عنها ، وتولّى الخطابة بالجامع الطولوني مدة ، ثم لما عاد السلطان الملك الناصر [٣] سنة تسع وسبع مئة مشى حاله .

وتولّى المدرسة المعروفة بالمعز [٤] بمصر .

وله تصانيف منها (شرح التحصيل) في ثلاث مجلدات ، و (شرح منهاج البيضاوي) في مجلدة لطيفة ليست بطائل ، صنّفه في آخر عمره ، واعتذر في خطبته بالكِبَر ، وله أجوبة على أسئلة (المحصول) ، و (شرح ألفية ابن مالك) .

وكان فيه مروّة وكرم أخلاق على الإطلاق ، يسعى في حوائج [٥] الناس بنفسه ، ويبذل جاهه لمن يقصده ، ويُسعفه بأربه . وله ديوان خُطب وشعر كثير .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر في سادس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وقد جاوز الثمانين .

---

(١) (س) : « الرياضيات » .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « الناصر محمد » .

(٤) في الوافي : « بالعزيّة » .

(٥) في (س) زيادة : « قضاء حوائج » .

ومن شعره :

لم أَصْبُ للبرق من تيماء يـــأتلــق ... إلا وللقلب من حُبّيكم عَلَـــقُ[١]
يعتــاض من حرّ أنفــاسٍ تلهّبــه ... ثم استقــل ولي في طيّــه حُرَقُ
يـا لامع البرق إمّـا لُحت معترضـا ... لا تستقرّ كقلب هَــزّهُ القلــق
إني إخـال خفـوقـاً منـك في عَجَـل ... يهـدى وقلبيَ لا يهـدا بـه الفَرَق[٢]
ويـا نسيم الصبـا هـل لَبْثـة برُبى ... نجـدٍ على غفلـة الـواشين تتفـق
وسـل أُهيليه عن قلبي ومـا صنعـوا ... بـه فـإني بمـا ترويــه لي أثـق[٣]
وعُــدْ إليّ بمــا ضُمّنت من خبر ... وفي دجـا الليـل من ظلمـائـه رمـق
ومــل إليّ دُوَين القـــوم مستترا ... كي لا ينمّ علينـــا نَشْرُك العبــق
أبثكم أنّ لي من بعـــدكم كبـــدا ... أمست إليكم بنـــار الشـوق تحترق
أهـوى المنـام لمسرى طيفكم كلفـا ... بـه عسى مقلتي بـالطيف ترتمـق[٤]
وهـل يخـوض الكرى جفنـا تقسّمـه ... كلا يشــاء الغرام الـــدمـع والأرق
إن أحتكم أنـــا والأشـواق نحــوكم ... يشهـد بـدعواي جفن من دمي شَرِق
لا تسمعــوا فيّ أقـوال الـوشــاة ولا ... تُصغـوا سماعاً بمـا قـالوه واختلقـوا
قــالـوا : نَبَتْــه الليــالي في تقلّبهـا ... عن حبكم، فتنـاسـاكم ومـا صـدقـوا

ومنه :

يعيـذك من نـار حـوتهـا ضلـوعـه ... مشــوق أحــاديث البّعـاد تروعـه
بعـدت فلمّـا يعرف النــوم جفنـه ... ولم يـدر هـل كان السكـون يريعـه
وكيف يلـذ العيش بعـدك مَن غـدا ... من العمر في محـل وأنت ربيعـــه

---

(١) في الأصل : « البرق » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « على عجل » .
(٣) (س) : « من قلبي » .
(٤) (س) : « ترتفق » .

وهـا نَبْت فـوديـه يلـوح مصـوّحـا ويبـــدو كمبيّض الهشيم فروعـــه
أقـــول وقــــــد حمّلت بثّي إليكم نسيمــا وظني أنـــه لا يضيعـــه
لعـــلّ النسيم الحـــــاجريّ إذا قضى رســـائلـــه يُقضى إليّ رجـوعـــه
ومستخبر عن حـال قلبي ومـا الـذي سرى منه لّما بنت، قلت: جميعـه[1]
ويسألني عن نـاظري مـا الـذي ترى تأخر عنـدي منـه، قلت: دموعـه[2]

منها:

وإني متى مـــــــا ضم شملي وشملكم ويـدعـو بنـا داعي الهـوى لا أطيعـه
فـــا كلّ حين لي دمـــوع أريقهـــا ولا كل وقت لي فـــؤاد تريعـــــه

ومن شعره:

سل عن أحاديث أشواقي إذا خطرت رســلَ النسيم فقــد أودعتهـا لُمعــا
واستوضح البارق النجديّ عن نفسي بعــد النـوى فسيحكيـــه إذا لمعــا
واستحك من طير غصن البان بثّ جوى أمليتـــه فسيُمليـــه إذا سجعـــا[3]
ومـذ رمتنـا النـوى والله مـا هــدأت أشجـان قلبي وطرفي قـطّ مـا هجعـا
وليس يمسـك من بعـد النـوى رمقي إلا أمـــاني قلبي أن نعـــود معـــا

١٨٢٦ ـ محمد بن يوسف*

ابن الحافظ زكيّ الدين محمد بن يوسف بن محمد بن يّداس ـ باليـاء آخر الحروف والـدال المهملـة المشـددة، وبعـد الألف سين مهملـة ـ الشيـخ الإمـام العـالم المرتضى

---

(١) (س): « ويستخبر ».
(٢) في الأصل: « ضلوعه »، وأثبتنا ما في (س).
(٣) في مطبوعة الوافي « واستمل ».
* الوافي: ٥/٢٦٤، والنجوم: ٨/١٩٤.

بهاء الدين أبو الفضل بن أبي الحجاج بن البرزالي الإشبيلي الأصل ، الدمشقي ، الشافعي .

أحضره والده على جماعة ، منهم السخاوي ، وابن الصلاح ، وكريمة ، وعتيق السلماني ، والمخلص بن هلال ، والتاج ابن أبي جعفر[1] ، ومحاسن الجوبري ، والمرجّى ابن شقيرة .

ثم توفي والده شابا ، وخلّفه ، وله خمسة أعوام ، فربي في حجر جده الإمام علم الدين القاسم بن أحمد اللورقي ، وقرأ عليه القرآن وشيئا من النحو ، وكتب الخط المنسوب ، وبرع فيه ، ونسخ جملة من الكتب ، وأجاز له طائفة من شيوخ بغداد ومصر والشام .

وقرأ عليه ولده شيخنا علم الدين البرزالي شيئا كثيرا ، منها الكتب الستة بالإجازات وحدّث بمصر وبدمشق وبالحجاز ، وبرع في كتابة الشروط وكتب الحكم للقضاة ، ورزق حظوة مع التصوّن والديانة والتقوى والتعبّد .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوّال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

١٨٢٧ ـ محمد بن يوسف بن يعقوب*

ابن أبي طاهر الإربلي ثم الدمشقي الذهبي .

أجاز له أبو محمد بن البُنّ ، وجماعة . وسمع من ابن المسلّم المازني ، وأبي نصر بن عساكر ، وابن الزبيدي ، وابن اللتي ، وابن مكرّم ، والزكي البرزالي ، وعدّة . وخُرّجت له (مشيخة) ، وذيّل عليها شيخنا الذهبي .

(١) محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) . الشذرات : ٢٢٦/٥ .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٥/٤ ، والشذرات : ١١/٦ .

وكان مكثرا . وسمع (السنن الكبير) للبيهقي سنة اثنتين وثلاثين على المرسي . وكان شيخاً عاميا .

سقط من السّلّم فمات لوقته في شهر رمضان سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وعشرين وست مئة .

وكان قد تفرّد بأشياء .

١٨٢٨ ـ محمد بن يوسف بن محمد*

ابن المهتار المصري ، العدل الجليل ناصر الدين أبو عبد الله بن الشيخ مجد الدين المصري ثم الدمشقي الشافعي .

سمع من ابن الصلاح ، والمرجّى بن شقيرة ، ومكي بن علاّن ، وجماعة . وأجاز له ظافر بن شحم(١) ، وابن المقير . وتفرّد بأجزاء .

وكان نقيب قاضي القضاة إمام الدين القزويني .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشري ذي الحجة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (الآداب) و (الاعتقاد)للبيهقي و (علوم الحديث) و (الطوالات) للتنوخي ، وقطعة من الأجزاء . وحدّث (بالزهد) للإمام أحمد بكماله ، وانفرد برواية (علوم الحديث) لابن الصلاح عن مصنّفه مدّة سنين ، وبقطعة كبيرة من (سنن البيهقي) و (بالطوالات) للتنوخي .

---

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٣/٤ ، والشذرات : ٣٨/٦ .

(١) ظافر بن طاهر بن ظافر بن شحم الأزدي (ت ٦٤٢ هـ) . الشذرات : ٢١٢/٥ .

وأجاز له من دمشق السخاوي ، وشيخ الشيوخ ابن حمّويه ، وإبراهيم بن الخشوعي ، وعبد الحق بن خلف وجماعة من الديار المصرية فخر القضاة ابن الحباب ، وظافر بن شحم ، وسبط السلفي ، وابن رواج ، وعلي بن زيد التسارسي[1] ، وعلم الدين بن الصابوني ، وابن الجمّيزي ، والسراج محمد بن يحي بن ياقوت[2] ، وهبة الله بن محمد المقدسي[3] ، وهم من أصحاب السلفي .

١٨٢٩ ـ محمد بن يوسف ...*

محي الدين المقدسي المصري النحوي ....[4]

١٨٣٠ ـ محمد بن يوسف بن عبد الغني**

ابن تُرْشَك ـ بالتاء ثالثة الحروف والراء والشين المعجمة وبعدها كاف ـ الشيخ تاج الدين المقرئ الصوفي البغدادي .

حفظ القرآن العظيم في صباه بالروايات ، وأقرأه ، وسمع الكثير من ابن حصين[5] . وإجازاته عالية . وروى وحدّث ، وسمع منه خلق ببغداد وبدمشق وبغيرها من البلاد .

وكان ذا سمت حسن ، وخُلق طاهر ، ونفس عفيفة رضيّة ، وصوت مطرب إلى الغاية . وقدم دمشق مرارا ، وحدث ، وحجّ غير مرة ، ثم عاد إلى بلده ، وأضرّ بآخرة .

---

(١) (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٩٢/٢٣ .

(٢) (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٧/٥ .

(٣) (ت ٦٥٠ هـ) ، العبر : ٢٠٦/٥ .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٦/٤ ، نسبه فيه : « محمد بن يوسف بن أبي محمد بن أبي الفتوح بن ناصر الدين المقدسي » وترجمته ثمّة أوفى مما ههنا .

(٤) في الوافي : توفي سنة ثلاث وسبع مئة .

** الوافي : ٢٨٣/٥ ، ونكت الهميان : ٢٨٦ ، والدرر : ٢٩٧/٤ .

(٥) في الأصل : « ابن أبي حصين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر . وزاد بعده في (س) والوافي : « ومن في طبقته » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده ببغداد في شهر رجب الفرد سنة ثمان وستين وست مئة .

١٨٣١ ـ محمد بن يوسف بن علي*

ابن يوسف بن حيّان ، الشيخ الإمام العالم العلاّمة الفريد الكامل[(١)] ، حجة العرب ، مالك أزمّة الأدب ، أثير الدين أبو حيّان الأندلسي الجبّائي الجيّاني ، بالجيم والياء آخر الحروف مشدّدة ، وبعد الألف نون .

كان أمير المؤمنين في النحو ، والشمس السافرة شتاءً[(٢)] في يوم الصحو ، والمتصرّف في هذا العلم ، فإليه الإثبات والمحو ، لو عاصر[(٣)] أئمة البصرة لَبَصرهم ، وأهل الكوفة لَكَفَّ عنهم[(٤)] اتّباعهم الشواذ[(٥)] وحذّرهم ، نزل منه (كتاب سيبويه) في وطنه بعد أن كان طريدا ، وأصبح به (التسهيل) بعد تعقيده مفيدا[(٦)] ، وجعل سرحة شرحه وَجْنة راقت النواظر توريدا . ملأ الزمانَ تصانيف ، وأمال عُنق الأيام بالتواليف . تخرّج به أئمة هذا[(٧)] الفن ، وروّق لهم في عصره منه سُلافة الدن ، فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير مُحبّب ، أو عيسى بن عمر لأصبح من تقعيره وهو مُحدّب ، أو الخليل لكان بعينه قذاه[(٨)] ، أو سيبويه لما تردّى من مسألته الزنبوريّة برداه ، أو الكسائي لأعراه

* الوافي : ٢٦٧/٥ ، ونكت الهميان : ٢٨٠ ، وفوات الوفيات : ٧١/٤ ، والبداية والنهاية : ٢١٣/١٤ ، والدرر : ٢٢٠/٤ ، وغاية النهاية : ٢٨٥/٢ ، والبغية : ٢٨٠/١ ، والشذرات : ١٤٥/٦ ، والنجوم : ١١١/١٠ .

(١) في (س) ، (خ) والوافي ، زيادة : « الحافظ » .
(٢) (س) : « سناء » .
(٣) (خ) : « عاصره » .
(٤) ليست في (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل و (س) : « السواد » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٦) (خ) : « عقيدا » .
(٧) (س) : « في هذا » .
(٨) في (س) ، (خ) : « فداه » .

حُلّة جاهه عند الرشيد وأُناسه ، أو الفرّاء لفرّ منه ولم يقتسم ولد [(١)] المأمون تقديم مداسه ، أو الزيدي لأظهر نقصه من مكامنه ، أو الأخفش لأخفى جملة من محاسنه ، أو أبو عُبيدة لما تركه ينصبّ لشعب الشعوبية ، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربية [(٢)] ، أو السكّري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا ، أو المازني لما زانه قوله :

« إن مصابكم رجلا » [(٣)]

أو قطرب لما دبّ في العربية ولا درج ، أو ثعلب لاستكنّ بمكره في وكره وما خرج ، أو المبرّد لأصبحت [(٤)] قواه مُفتّرة ، أو الزجاج لأمست قواريره مكسّرة ، أو ابن الوزان [(٥)] لعَدم نقده ، أو الثمانيني [(٦)] لما تجاوز حدّه ، أو ابن بابشاذ [(٧)] لعَلم أن قياسه ما اطّرد ، أو ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد ، أو ابن قتيبة لأضاع رَحْلَه ، أو ابن السراج لمشّاه [(٨)] إذا رأى وحله ، أو ابن الخشاب [(٩)] لأضرم فيه نارا ولم يجد معها

(١) (س) : « ولدا » .

(٢) يشير إلى اختلافهم في اسم أبي عمرو على واحد وعشرين قولاً ، كما ذكر السيوطي . انظر : البغية ٢٣١/٢ .

(٣) البيت :

أظلوم إنّ مصابكم رجلاً ... أهدى السّلام تحية ظلم

وقصة البيت معروفة . انظر : البغية : ١٦٤/١ .

(٤) (س) : « لأضحت » .

(٥) كذا في الأصول ، ولعلّها محرّفة عن ابن الورّاق ، محمد بن عبد الله من نحاة القرن الرابع (ت ٣٨١ هـ) .

(٦) عمر بن ثابت ، سلفت الإشارة إليه .

(٧) في الأصل : « ابن باب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) وهو طاهر بن أحمد (ت ٤٦٩ هـ) ، البغية : ١٧/٢ .

(٨) في الأصل : « لمشّى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٩) عبد الله بن أحمد بن أحمد ، صاحب كتاب المرتجل في النحو (ت ٥٦٧ هـ) . البغية : ٢٩/٢ .

نورا ، أو ابن الخباز[١] لما سجرله تنورا ، أو ابن القواس لما أغرق في نزعه[٢] ، أو ابن يعيش لأوقعه في نزعة ، أو ابن خروف لما وجد له مرعى ، أو ابن إياز[٣] لَمّا وجد لإوازّه[٤] وقعا ، أو ابن الطراوة[٥] لم يكن نحوه طريّا ، أو الدبّاج[٦] لكان من حُلّته الرائقة عريّا .

وعلى الجملة فكان إمام النحاة في عصره شرقا وغربا ، وفريدَ هذا الفن الفذّ بُعدا وقربا ، وفيه قلت :

سلطان علم النحو أستاذنا الشيخ أثير الدين حَبْرُ الأنام
فلا تقل زيد وعمرو فما في النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين ، وسلك من[٧] غرائبه وغوامضه طُرقا متشعبة الأفانين .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل في خبر كان ، وتبدّلت حركاته بالإسكان .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة ، في يوم السبت بعد العصر ، الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر .

---

(١) أحمد بن الحسين بن أحمد (ت ٦٣٧ هـ) البغية : ٣٠٤/١ .

(٢) في الأصل : « ترعه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « إواز » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . وابن إياز هو الحسين بن بدر (ت ٦٨١ هـ) . البغية : ٥٣٢/١ .

(٤) كذا في الأصول ، ولعلّه يشير بلفظ : « الإوز » إلى ما عرف به ابن إياز في علم التصريف ، فقد اختلف التصريفيون في وزن هذه اللفظة .

(٥) سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ٥٢٨ هـ) ، البغية : ٦٠٢/١ .

(٦) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) ، البغية : ١٥٣/٢ .

(٧) (س) : « عن » .

ومولده[١] بمدينة مطخشارش[٢] في أُخريات شوّال سنة أربع وخمسين وست مئة .

وقلت أنا أرثيه ـ رحمه الله تعالى ـ[٣] :

مـات أثير الـدين شيـخ الـورى ... فـاستعر البـارق واستعبرا
ورَقّ من حـزن نسيم الصّبـا ... واعتـلّ في الأسحـار لّمـا سَرَى
وصـادحـات الأيـك في نَـوْحها ... رثتـه في السجـع على حرف را
يـا عَيْنُ جـودي بـالـدمـوع التي ... يُرْوَى بهـا مـا ضمّـه من ثرى
واجرِ دما فـالخطب في شـأنـه ... قـد اقتضى أكثر مِمّـا جرى[٤]
مـات إمـامٌ كان في فنـه ... يُرى أمـامـا والـورى من ورا[٥]
أمسى منـادًى للبلى مفردا ... فضمّـه القبر على مـا ترى
يـا أسفـا كان هُـدىً ظـاهراً ... فعـاد في تربتـه مضمرا[٦]
وكان جَمْـع الفضـل في عَصْره ... صـحّ فلمّـا أن قضى كُسّرا
وعُرّف الفضـل بـه بُرهـة ... والآن لّمـا أنْ مضى نُكّرا
وكان ممنـوعـا من الصرف لا ... يَطْرق مَن وافـاه خطب عرا
لا أفعـلُ التفضيـل مـا بينـه ... وبين مَن أعرفـه في الـورى[٧]
لا بـدلٌ عن نعتـه بـالتقى ... ففعلـه كان لـه مَصْـدَرا[٨]
لم يُـدَّغم في اللحـد إلا وقـد ... فـك من الصبر وثيـق العُرا

(١) ليست في (خ) .
(٢) مدينة من حضرة غرناطة ، كما في البغية .
(٣) نقلها السيوطي في البغية . وفي النجوم : « بغرناطة » .
(٤) (خ) : « في الخطب » .
(٥) (س) ، (خ) الوافي والبغية : « في علمه » .
(٦) في البغية : « طاهرا » ، تصحيف .
(٧) في البغية : « ما أعرفه » .
(٨) في البغية : « لابد لي عن » .

بكى لـــــه زيـــــد وعمرو فِمنْ ... أمثلـــة النحـــو ومَن قـــد قرا [١]
مـا أعقـد (التسهيـل) من بَعْـدَه ... فكم لـــــــه من عُثْرة يسّرا [٢]
وجسّر النـــاس على خـوضـــه ... إذ كان في النحـو قـد استبحرا [٣]
مِنْ بعـــده قـــد حــال تمييزُه ... وحظّـــه قـــد رجـع القهقرى
شـارك مَن قـد سـاد في فنـه ... وكم لــه فن بــه استـــأثرا [٤]
دأب بني الآداب أن يَغْسلــوا ... بـدمعهم فيــه بقـايـا الكرى [٥]
والنحـو قـد سـار الرَّدى نحـوه ... والصّرف للتصريف قـــد غيّرا
واللغـــة الفصحى غـدت بعــده ... يُلغى الـذي في ضبطهـا قرّرا [٦]
تفسيره (البحر المحيـط) الـذي ... يُهـــدي إلى ورّاده الجـوهرا [٧]
فـوائـــد من فضلـــه جمّـــة ... عليـــه فيهـا نعقـد الخنصرا [٨]
وكان ثبتـــاً نَقْلُـــه حجـــةٌ ... مثـل ضيـــاء الصبـح إن أسفرا
ورَحْلــــة في سنّــــة المصطفى ... أصــدق مَن تسمـع إن أخبرا [٩]
لـه الأسـانيـد التي قـد علت ... فـاستغلت عنهـا سـوامي الـذُرا
سـاوى بهـا الأحفـاد أجـدادهم ... فـاعجب لمـاض فاتـه مَن طرا [١٠]
وشـــاعراً في نظمـــه مُفلقـــا ... كم حرّر اللفـــــظ وكم حَبّرا

(١) في البغية : « وممّن قرا » .
(٢) في البغية : « من عثرة » .
(٣) في البغية : « إن كان » .
(٤) في البغية : « من ساواه » .
(٥) في البغية : « مدمعهم » .
(٦) في البغية : « يلفى » بالفاء .
(٧) (خ) والوافي : « وارده » .
(٨) في الأصل : « وفوائد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٩) في البغية : « يخبرا » .
(١٠) في البغية : « أحرارهم فاعجب لها من .. » .

لـــــه معـــــانٍ كلّما خطّهـــــا تسترمــــــــا يُرقم في تُسْتَرا[١]
أفـــديــــه من مـــاضٍ لأمر الردى مُسْتقبلاً من ربّـــه بـــالقِرى
مـــا بـــات في أبيضِ أكفـــانـــه إلا وأضحى سنـــدســـاً أخضرا[٢]
تُصـــافـح الحـورَ لــه راحـــةٌ كم تعبت في كل مـــــــاسطّرا
إن مـات فـالـذكر لـه خـالـد يَحْيَـا بـــه من قبـل أن يُنشرا
جـــــــاد ثرىً واراه غيث إذا مسّـــاه بـالسقيـا لـــه بكّرا[٣]
وخصّـــه من ربّـــه رحمـــة تـــوردهُ في حشره الكـــوثرا

وكان قد قرأ القرآن على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحواً من عشرين ختمة ، إفرادا وجمعا ، ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطبّاع بغرناطة ، ثم قرأ السبعة إلى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمالقة .

ثم إنه قدم الإسكندرية ، وقرأ القراءات على عبد النصير بن علي بن يحيى المريوطي .

ثم قدم مصر فقرأ بها القراءات على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي ، وسمع الكثير[٤] على الجم الغفير بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية والإسكندرية ، وبادر مصر والحجاز ، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك ، واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه ، لأني لم أره قط إلا يُسمع أو يشتغل[٥] أو يكتب ، ولم أره على غير ذلك . وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم ، ونَظَم ونَثَر ، وله الموشحات البديعة .

(١) تستر : من بلاد فارس .
(٢) في البغية : « أبيض أجفانه » .
(٣) في الأصل : « وافاه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « وقرأ بنفسه » .
(٥) (س) ، (خ) : « يشغل » .

وهو ثبت فيما ينقله ، محرِّر لما يقوله[١] ، عارف باللغة ، ضابط لألفاظها .

وأما النحو والتصريف ، فهو إمام الناس كلهم فيهما ، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته .

وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم[٢] وحوادثهم ، خصوصا المغاربة ، وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة[٣] وترقيق وتفخيم ، لأنهم يجاورون بلاد الإفرنج ، وأسماؤهم قريبة من لغاتهم ، وألقابهم كذلك ، وقيّده وحرّره ، وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلّق بذلك ، وأجابه عنها .

وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت ، وقرئت ودُريت ، ونُسخت وما فسخت ، أخملت[٤] كتب الأقدمين ، وألهمت[٥] المقيمين بمصر والقادمين ، وقرأ الناس عليه ، وصاروا أئمة وأشياخا في حياته ، وهو الذي جسّر الناس على مصنّفات ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ورغّبهم في قراءتها ، وشرح لهم غامضها[٦] ، وخاض بهم لججها ، وفتح لهم مُقْفَلها . وكان يقول عن (مقدمة ابن الحاجب)[٧] : هذه نحو الفقهاء .

وكان التزم أن لا يقرئ أحداً إلاّ إن كان في (كتاب سيبويه) أو في (التسهيل)

---

(١) (خ) : « ينقله ويقوله » .

(٢) في (س) ، (خ) والوافي ، زيادة : « وتواريخهم » .

(٣) في الوافي والفوات : « إمالة وترخيم » .

(٤) في الأصل : « أجملت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في (س) ، (خ) والوافي : « وألهت » .

(٦) (س) : « غوامضها » .

(٧) وهي المعروفة « بالكافية » في النحو .

لابن مالك أو في تصانيفه ، ولمّا قدم من البلاد[١] لازم الشيخ بهاء الدين[٢] ـ رحمه الله ـ كثيرا ، وأخذ عنه كتب الأدب .

وكان شيخا[٣] حسن العمّة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون مُشْرَبا حمرة ، منوّر الشيبة ، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ، لم تكن كثّة . عبارته فصيحة بلغة الأندلس ، يعقد القاف قريبا من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة . وسمعته يقول : ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف .

وكانت له خصوصية بالأمير سيف الدين أرغون كافل المالك ، ينبسط معه ، ويبيت عنده في قلعة الجبل . ولمّا توفيت ابنته « نُضار » طلع إلى السلطان للملك الناصر محمد ، وسأل منه أن يدفنها في بيته[٤] داخل القاهرة في البرقيّة ، فأذن له في ذلك ، وسيأتي ذكرها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وكان أوّلاً يرى رأي الظاهرية ، ثم إنه تمذهب للشافعي ـ رضي الله عنه ـ بحث على الشيخ علم الدين العراقي (المحرّر) للرافعي ، و (مختصر المنهاج) للنووي ، وحفظ (المنهاج) إلا يسيرا ، وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير ، بحث عليه من (الإشارة) للباجي ومن (المستصفى)[٥] للغزالي ، وعلى الخطيب أبي الحسن ابن فصيلة[٦] ، وعلى الشيخ علم الدين العراقي ، وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وعلى الشيخ علاء الدين الباجي . وقرأ أشياء من أصول الدين[٧] على شيخه ابن الزبير ، وقرأ عليه شيئاً من المنطق ، وقرأ شيئاً من المنطق على بدر الدين محمد بن

(١) عبارة الوافي : « ولما قدم البلاد » .

(٢) (س) ، (خ) والوافي : « بهاء الدين بن النحاس » .

(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « طوالاً » .

(٤) في الوافي : « بيتها » .

(٥) في الأصل : « المستعفى » .

(٦) (س) : « فضيلة » .

(٧) في الأصل : « فقه الدين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

سلطان البغدادي ، وقرأ عليه شيئاً من (الإرشـاد) للعميـدي في الخلاف . ولكنـه برع في النحو ، وانتهت إليه الرئـاسـة والمشيخـة فيـه ، وكان خـاليـا من الفلسفـة والاعتزال والتجسيم ، وكان أولا يعتقد في الشيخ ابن تيمية ، وامتدحه بقصيدة ، ثم إنه انحرف عنه لمّا وقف على (كتاب العرش) له .

قـال الفـاضـل كال الـدين الأدفـوي : وجرى على مـذهب كثير من النحـويين في تعصّبه للإمام علي بن أبي طـالب ـ رضي الله عنـه ـ التعصّب المتين قـال : حُكي لي أنـه قال لقاضي القضاة بـدر الـدين بن جمـاعـة إن عليـا ـ رضي الله عنـه ـ عهـد إليـه النبي ـ ﷺ ـ أن لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق أتراه ما صدق في هذا ؟ فقـال : صدق ، قال : فقلت له : فـالـذين سلّوا السيوف في وجهـه ، يبغضونـه أو[1] يحبونـه ؟ وغير ذلك .

قال : كان سيّء الظن بـالنـاس كافـة ، فـإذا نُقل لـه عن أحـد خير لا يتكيف بـه [وإذا كان شرّاً يتكيّف به][2] ويبني[3] عليه ، حتى ممن هو عنده مجروح ، فيقـع في ذم مَنْ هـو بـألسنـة العـالم ممـدوح ، وبسبب ذلـك وقـع في نفس جمـع كثير منـه ألم كثير . انتهى .

قلت : أنا لم أسمع منه في حق أحد من الأحياء والأموات إلا خيرا ، وما كنت أنقم عليه شيئا إلا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيـد ، على أنني أنا ما سمعت[4] في حقه شيئاً ، نعم سمعته كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح ، حتى قلت له يوما : ياسيـدي ، فكيف نعمل في الشيخ أبي مـدين ؟ فقـال : هو رجل

---

(١) (س) : « أم » .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « ويثني » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « منه » .

مسلم ديّن ، وإلاّ ما كان يطير في الهواء ، و يصلي الصلوات في مكة كما يدّعي فيه هؤلاء الأغمار .

وكان فيه ـ رحمه الله تعالى ـ خشوع ، يبكي إذا سمع القرآن ، ويجري دمعه عند سماع الأشعار الغزلية . وقال كمال الدين المذكور ، قال لي : إذا قرأت أشعار العشق أميل إليها ، وكذلك أشعار الشجاعة تستميلني ، وغيرهما ، إلا أشعار الكرم ما تؤثر فيّ ، انتهى .

قلت : كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم ، وكان يقول لي : أوصيك احفظ دراهمك ، ويقال عنك بخيل ولا تحتج[1] إلى السُّفَّل .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

رجاؤك فَلْسا قد غدا في حبائلي ... قنيصا رجاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله وأضيعه ... إذاً كنت معتاضا من البر بالسقم[2]

قلت : والذي أراه فيه أنه[3] طال عمره وتغرّب ، وورد البلاد ، ولا شيء معه ، وتعب حتى حصّل المناصب تعبا كثيرا ، وكان قد جرّب الناس ، وحلب أشطر الدهر ، ومرت به حوادث ، فاستعمل الحزم ، وسمعته غير مرّة يقول : يكفي الفقير في[4] مصر أربعة أفلس ، يشتري له طُلْمة[5] بايتة بفلسين ، ويشتري له بفلس زبيبا وبفلس كوز ماء ، ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز . وكان يعيب علي مُشتري الكتب ،

(١) (س) : « ولا تحتاج » .
(٢) في الأصل : « للسقم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « رجل » .
(٤) (خ) : « من » .
(٥) أي : خبزة .

ويقول : الله يرزقك عقلا تعيش به ، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف ، وإذا أردت من أحد أن يعيرني دراهم ما أجد ذلك [١] .

وأنشدني له إجازة :

إن الدراهم والنساء كلاهما ... لا تأمننّ عليهما إنسانا
ينزعن ذا اللبّ المتين عن التقى ... فترى إساءة فعله إحسانا

وأنشدني له [٢] من أبيات :

أتى بشفيع ليس يمكن رَدُّه ... دراهم بيض للجروح مراهم [٣]
تصيّرُ صَعْبَ الأمر أهونَ ما يُرى ... وتقضي لُبانات الفتى وهو نائم

ومن حزمه قوله ـ رحمه الله تعالى ـ :

عُداتي لهم فضل عليّ ومنّة ... فلا صَرَف الرحمن عني الأعاديا [٤]
هم بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وقد مدحه كثير [٥] من الشعراء والكبار الفضلاء ، فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

قد قلت لما أنْ سمعت مباحثا ... في اللذات قررها أجَلُّ مفيد
هذا أبو حيان ، قلت : صدقتم ... وبررتم هذا هو التوحيدي [٦]

(١) ليست في (خ) .
(٢) في (س) ، (خ) زيادة : « إجازة » .
(٣) في الأصل : « إليّ » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) : « أتى » .
(٤) في الوافي : « فلا أذهب » .
(٥) (س) ، (خ) : « جماعة » .
(٦) فيه تورية باسم أبي حيان التوحيدي ، والتوحيدي أيضاً من أجود التمور .

وكان قد جاء يوما إلى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده ، فكتب بالجص على مصراع الباب ، فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال :

قالوا أبو حيّان غير مدافع ملك النحاة ، فقلت : بالإجماع
اسم الملوك على النقود وإنني شاهدت كُنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطوّلة [١] ، أولها :

إليك أبا حيان أعملت أينقي وملت إلى حيث الركائب تلتقي
دعاني إليك الفضل فانقدت طائعا ولبّيت أحدوها بلفظي المصدّق [٢]

ومدحه نجم الدين إسحاق بن ألمى التركي ، وسأله تكملة شرح (التسهيل) ، وأرسلها إليه من دمشق ، وأولها :

تبدّى فقلنا وجهه فلق الصبح [يلوح لنا من حالك الشعر في جنح [٣]

منها :

بدأت بأمر تم الله قصده] وكمّله باليمن فيه وبالنُّجح [٤]
وسهلت تسهيل الفوائد محسنا فكُن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن اللمطي بقصيدة ، أولها :

يا شيخ أهل الأدب الباهر مِن ناظم يُلْفَى ومن ناثرِ

ومدحه نجم الدين يحي الإسكندري بقصيدة ، أولها :

ضيف ألمّ بنا من أبرع الناس لا ناقض عهد أيامي ولا ناس

---

(١) ليست في (خ) .
(٢) (س) ، (خ) : « بمدحي » .
(٣) في (س) ، (خ) : « فخلنا » .
(٤) ما بين حاصرتين من (س) ، (خ) .

عــارٍ من الكِبْر والأدنــاس ذو ترف لكنـه من سرابيــل العـــلا كاس[١]

ومدحه نجم الدين[٢] الطوفي بقصيدتين ، أول الأولى :

أتراه بعـــــــد هجران يصـــــل ويرى في ثــوب وصــل مُبتــــدِلْ
قمر جــــــار على أحــــلامنــــا إذ تــولاّهــــا بقــــدّ معتـــــدِلْ

وأول الثانية :

أعـــــذروه فكريم مَن عَـــــذَر قَمَرتـــــه ذات وجـــــه كالقمَرْ

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة ، أولها :

إن الأثير أبـــا حيـــان أحيـــانـــا بنشره طيّ علم مــات أحيــانـــا

ومدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة ، أولها :

فضضتُ عن العـذب النمير ختـامهـا وفتحت عن زهر الريــاض كمامهــا

ومدحه جماعة آخرون ، يطول ذكرهم .

وكتبت أنا إليه من الرحبة في سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

لو كنت أملـك من دهري جنـاحين لطرت لكنـــــــه فيكم جنى حَيْني
يــا ســادة نلتُ في مصرٍ بهم شرفــا أرقى بــه شُرُفــا تنـــأى عن العين
وإن جرى لسما كيــوان ذِكْر عُــلاَ أحلّني فضلهم فـــــــوق السّماكين
وليس غير أثير الـــــدين أثّلــــــه فسادَ ما شاد لي حقـا بـلا مَيْن[٣]
حبر ولــو قلت : إن البــاء رُتْبَتُهــا من قبل ، صدّقك الأقوام في ذين[٤]

(١) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) ، (خ) : « الفضل نجم الدين » .

(٣) في الأصل : « سوى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في (س) : « زيّنها » ، ومراده أننا لو قدّمنا الباء على الحاء في كلمة « حبر » لأضحت بحراً .

أحيا علوما أمات الدهر أكثرها | مذ جُلّدت خُلّدت ما بين دفين
يا واحد العصر ما قولي بمتّهم | ولا أحاشي امرأ بين الفريقين
هذي العلوم بدت من سيبويه كما | قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنين
فدُمْ لها وبودّي لو أكون فدى | لما ينالك في الأيام من شَيْن
يا سيبويه الورى في الدهر لا عجب | إذا الخليل غدا يفديك بالعين[(١)]

يقبّل الأرض ويُنهي ما هو عليه من الأشواق التي برّحت بألمها ، وأجرت الدموع دما ، وهذا الطرس الأحمر يشهد بدمها ، وأربت بسحّها على السحائب ، وأين دوام هذه من ديمها ، وفرقت الأوصال على السقم لوجود عدمها :

فيا شوق ما أبقى ويا لي من النوى | ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا[(٢)]

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الروض الحمائم ، ويسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمائم ، وثناؤه الذي يتضوّع كالزهر الكمائم[(٣)] ، ويتنسم تنسّم هامات الربا إذا لبست من الربيع ملونات العمائم .

ويشهد الله على كل ما | قد قلته والله نعم الشهيد

فكتب هو الجواب عن ذلك ، ولكنه عُدم مني .

وأنشدته يوما لنفسي :

قلت للكاتب الذي ما أراه | قط إلا ونقّط الدمع شكله
إن تخطّ الدموع في الخد شيئاً | ما يُسمّى ؟ فقال : خط ابن مقله

وأنشدني هو من لفظه لنفسه :

---

(١) فيه تورية بالعين الباصرة ، وكتاب الخليل .

(٢) للمتنبي ، ديوانه ٥٩/١ .

(٣) في (س) ، (خ) : « في » .

سبق الدمعُ بالمسيل المطايا إذْ نَوَى مَنْ أحبّ عني رحله[1]
وأجاد الخطوط في صفحة الخد ولِمْ لا يجيد وهو ابن مقله[2]

وأنشدني[3] في مليح نوتي :

كَلِفْتُ بِنُوتِيّ كأنّ قوامَه إذا يَنْثني خوط من البان ناعم
مجاذفه في كل قلب مجاذب وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي[4] :

إن نوتيّ مركبٍ نحن فيه هام فيه صبّ الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلويَّ لّما أن بدا ثغره وقد طاب ريحه

وأنشدته أنا لنفسي أيضا :

نوتيّنا حُسْنُهُ بَديع وفيه بدر السماء مغرى
ما حَكَّ برّا إلا وقلنا ياليت أنّا نحكّ برّا[5]

فأعجباه ـ رحمه الله ـ وزهزه لهما .

وأنشدني هو لنفسه في مليح أحدب :

تعشّقته أحدباً كَيّساً يحاكي نجيبا حنين البُغام[6]
إذا كدت أسقط من فوقه تعلّقت من ظهره بالسنام

(١) في الوافي والفوات والنجوم : « نقله » .
(٢) في النجوم : « وأجاد السطور ... » .
(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « لنفسه » .
(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « في ذلك » .
(٥) (س) : « ما حلّ » .
(٦) (خ) : النعام » .

فأنشدته أنا في ذلك لنفسي :

وأحـــدب رحت بـــه مغرمـــا إذ لم تشـــاهـــد مثلـــه عيني[1]
لا غرو أن هـــام فـــؤادي بـــه وخصره مـــــــــا بين رِدْفَيْن[2]

وأنشدني من لفظه في مليح أعمى :

مـا ضرّ حُسن الـذي أهـواه أن سنـا كريمتيـه بـلا شين قـد احتجبـا[3]
قـد كانتـا زهرتي روض وقـد ذوتـا لكن حسنها الفتّـان مـا ذهبـا[4]
كالسيف قـد زال عنه صَقْلُـه فغـدا أنكى وآلم في قلب الـــذي ضُربـــا

وأنشدته أنا لنفسي في ذلك :

ورب أعمى وجهـــــه روضـــــة تنزُّهي فيهـــا كثير الـــديـون
في خـــدّه ورد غنينـــا بـــه عن نرجس مـــا فتّحتـــه للعيـون

وأنشدته أيضا لنفسي في ذلك :

أيـا حُسن أعمى لم يخف حدَّ طرفـه محبٌّ غدا سكران فيه ومـا صحـا[5]
إذا طـار خد بـات يرعى خـدوده غـدا آمنـا من مقلتيـه الجـوارحـا

وكتبت إليه استدعاء ، وهو :

المسؤول من إحسان سيدنا الإمام العالم[6] العلاّمة لسان العرب ، ترجمـان الأدب ، جـامع الفضـائل ، عمـدة وسـائـل السـائـل ، حجـة المقلِّـدين ، زين المقلَّـدين ، قطب

(١) (س) ، (خ) : « إذا » .
(٢) في الأصل : « دفّين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (س) : « ما ظنّ حسن » .
(٤) في الأصل : « قد ذهبا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٥) في الأصل : « يا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٦) زيادة من (س) ، (خ) والوافي : « سيدنا الشيخ الإمام » . وفي الوافي : « العالم العامل » .

المولّين ، أفضل الآخرين ، وارث علوم الأولين ، صاحب اليد الطولى في كل مكان[(١)] ضيق ، والتصانيف التي تأخذ بمجامع القلب[(٢)] ، فكل ذي لب إليها شيّق ، والمباحث التي أثارت الأدّلة الراجحة من مكامن أماكنها ، وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها ، كشّاف مُعْضلات الأوائل ، سبّاق غايات قصّر عن شأوها سحبان وائل ، فارع هضبات البلاغة في اجتلاء اجتلابها وهي [في][(٣)] مرقى مرقدها ، سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فَرْق فرقدها ، حتى أبرز كلامه جِنانَ فضل جَنانُ مَنْ بعدّه عن الدخول إليها جبان ، وأتى ببراهين وجوهٍ حورُها ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾[(٤)] وأبدع خمائل نظم ونثر ، لا تصل إلى أفنان فنونها يد جان ، أثير الدين أبي حيّان محمد :

لا زال ميت العلم يحييه وهل ... عجب لذلك من أبي حيّان[(٥)]
حتى ينال بنو العلوم مرامهم ... ويُحِلّهم دار الُمنى بأمان

إجازةُ كاتبِ هذه الأحرف ما رواه ـ فسح الله في مدّته ـ من المسانيد والمصنفات والسنن والمجاميع الحديثية والتصانيف الأدبية ، نظما ونثرا إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها ، وتباين أجناسها وأنواعها ، ممّا تلقّاه ببلاد الأندلس وإفريقية والإسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة ، كيف ما تأدّى إليه ، وإجازة ماله أدام الله إفادته من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبيّة وغيرها ، وماله من نظم ونثر ، إجازة خاصة ، وأن يُثبت بخطّه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ ، وأن

(١) في الوافي : « مقام » .
(٢) في الوافي : « القلوب » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٤) الرحمن : ٥٥/٥٦ .
(٥) (س) ، (خ) والوافي : « ولا عجب » .

يجيزه إجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأي مَن يراه ويجوّزه ، منعما متفضلا إنْ شاء الله تعالى .

فكتب الجواب هو ـ رحمه الله تعالى ـ:

أعزّك الله ظننت بالإنسان جميلا فغاليت ، وأبديت من الإحسان جزيلا وما باليت[(١)] ، وصفت مَن هو القتام[(٢)] يظنه الناظر سماء ، والسّراب يحسبه الظمآن ماء ، يابن الكرام وأنت أبصر مَن يشيم[(٣)] ، أمع الروض النضير يُرعى الهشيم ، أما أغنتك فواضلك وفضائلك ، ومعارفك وعوارفك ، عن نغبة من دأماء[(٤)] ، وتربة من يهماء[(٥)] ، لقد تبلّجت المهارق من نور صفحاتك ، وتأرّجت الأكوان من أريج نفحاتك ، ولأنت أعرف بمن[(٦)] يُقْصد للدراية ، وأنقد مَن[(٧)] يُعْتمد عليه في الرواية ، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك ، وتتفضل[(٨)] من تالدك[(٩)] وطارفك ، وتجلو الخامل في منصة النباهة ، وتنقذه من لَكْن الفهاهة ، فتشيد له ذكرا ، وتُعلي له قدرا ، ولم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت ، وإجابتك فيما إليه ندبت ، فإن المالك لا يُعْصَى ، والمتفضل المحسن لا يقصى .

وقد أجزت لك ـ أيّدك الله ـ جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة أو سماع[(١٠)] ومناولة وإجازة بمشافهة

(١) (خ) : « جميلاً وما آليت » .

(٢) (خ) : « القوام » . والقتام : الغبار .

(٣) شام البرق نظر إليه أين يمطر .

(٤) النغبة : الجرعة ، والدأماء : البحر .

(٥) اليهماء المفازة لا ماء فيها ولا نبات .

(٦) (خ) : « مَن » .

(٧) في الوافي : « بمن » .

(٨) في الأصل : « وتفضل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٩) في الوافي : « بتالدك » .

(١٠) (خ) : « وسماع » .

وكتابة ووجادة ، وجميع ما أُجيز لي أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك ، وجميع ما صنّفته واختصرته وجمعته وأنشأته نثرا ونظما ، وجميع ما سألت في هذا الاستدعاء .

فمن مروياتي : الكتاب العزيز ، قرأته بقراءات السبعة[١] على جماعة ، من أعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطّاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليجي[٢] آخر مَن روى القرآن بالتلاوة عن أبي الجود . والكتبُ الستة ، و (الموطّأ) و (مسند عبد) و (مسند الدارمي) و (مسند الشافعي) و (مسند الطيالسي) و (المعجم الكبير) للطبراني ، و (المعجم الصغير) له ، و (سُنن الدارقطني) وغير ذلك .

وأما الأجزاء فكثير جداً[٣] .

ومن كتب النحو والآداب ، فأروي بالقراءة (كتاب سيبويه) و (الإيضاح) و (التكملة) و (المفصّل) و (جُمل الزجاجي) وغير ذلك . و (الأشعار الستة) و (الحماسة) و (ديوان حبيب) و (ديوان المتنبي) و (ديوان المعري) .

وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة ، فهم كثير ، وأذكر الآن منهم جملة[٤] ، فمنهم : القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي ، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصاري ، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس ، وأبو بكر بن عباس بن يحي بن غريب البغدادي القوّاس ، وصفيّ الدين الحسين بن أبي المنصور بن ظافر الخزرجي ، وأبو الحسين محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي بن الدهان ، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن

(١) (خ) : « السبع » .

(٢) توفي سنة (٦٨١ هـ) . العبر : ٣٣٥/٥ .

(٣) في الوافي : « فكثيرة » .

(٤) في (س) ، (خ) والوافي زيادة : « من عواليهم » .

محمد بن القسطلاني ، ورضيّ الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي اللغوي ، ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني ، ومحمد بن مكي[١] بن أبي القاسم بن حامد الأصبهاني الصفار ، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير ابن الفارض ، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي ، ومحمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم المازني ، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الداري بن الخليلي ، ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري بن الخيمي ، ومحمد بن عبد الله بن عمر العنسي عُرف بابن النن[٢] ، وعبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز الطائي القرطبي ، وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخرّمي[٣] ، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمي ، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحي بن يوسف بن خطيب المزة ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني ، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الفيالي الصالحي الكتاني ، وعبد المعطي بن عبد الكريم بن أبي المكارم بن منّجا الخزرجي ، وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحي بن إسماعيل الحسيني البهنسي المجاور ، وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي ، والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين [بن رواحة الخزرجي ، ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي ، واليسر بن عبد الله][٤] بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري ، ومؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية ، وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي .

وممن كتبت عنه من مشاهير الأدباء : أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن

(١) في الأصل : « ومكي بن محمّد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « البن » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، (ت ٦٧٩ هـ) العبر : ٢٢٤/٥ .
(٣) في الوافي : « الخزمي » .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

أبي الفرج[١] المالقي ، وأبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجني ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الله الهذلي التطيلي ، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقي ، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجلياني العكّي المالقي ، وأبو الحسين يحي بن عبد العظيم بن يحي الأنصاري الجزار ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي ، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصري الوراق ، وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن ياتينّ[٢] الكومي التلمساني ، وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن حمّاد[٣] بن مُحْسِن الصنهاجي البوصيري ، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي .

وممن أخذت عنه من النحاة : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخُشني الأُبّذي ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتاني بن الضائع[٤] ، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللَّبْلي[٥] ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الله الحلبي بن النحاس .

وممن لقيته من الظاهرية : أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاري الإشبيلي الزاهد ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري .

وجملة الذين سمعت منهم نحو من أربع مئة شخص وخمسين .

(١) في الوافي : « ابن الفرح » . وفيه وفي (س) ، (خ) : « ... المالقي ابن المرحل » . وهو متوفى سنة (٦٩٩ هـ) . وسلفت ترجمته .

(٢) في الوافي : « ههنا ياتين » ، وترجم له المصنف في موضعه وفيه كما ههنا ، ووفاته سنة ٦٩٠ هـ . انظر : الوافي : ٤٠٨/١٥ ، والعبر : ٣٦٧/٥ .

(٣) (خ) : « عباد » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « الصائغ » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، (ت ٦٨٠ هـ) ، البغية : ٢٠٤/٢ .

(٥) في الأصل و (خ) : « الكيلي » ، تحريف ، (ت ٦٩١ هـ) ، البغية : ٤٠٢/١ .

وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام .

وأما **ما صنفته** : فمن ذلك (البحر المحيط) في تفسير القرآن العظيم ، (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب) ، كتاب (الإسفار الملخَّص من كتاب الصفّار) شرحا لكتاب سيبويه ، كتاب (التجريد لكتاب[1] سيبويه) ، كتاب (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) ، كتاب (التنخيل الملخّص من شرح التسهيل) ، كتاب (التذكرة) ، كتاب (المبدع في التصريف) ، كتاب (الموفور) ، كتاب (التقريب) ، كتاب (التدريب) ، كتاب (غاية الإحسان) ، كتاب (النكت الحسان) ، كتاب (الشذا في مسألة كذا) ، كتاب (الفصل في أحكام الفصل) ، كتاب (اللمحة) ، كتاب (الشذرة) ، كتاب (الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء) ، كتاب (عقد اللآلي) ، كتاب (نكت الأمالي) ، كتاب (النافع في قراءة نافع) ، (الأثير في قراءة ابن كثير) ، (المورد الغمر في قراءة [أبي][2] عمرو) ، (الروض الباسم في قراءة عاصم) (المزن الهامر في قراءة ابن عامر) ، (الرمزة في قراءة حمزة) ، (تقريب النائي في قراءة الكسائي) ، (غاية المطلوب في قراءة يعقوب) ، (المطلوب في قراءة يعقوب) قصيدة ، (النيّر الجليّ في قراءة زيد بن علي) ، (الوهّاج في اختصار المنهاج) ، (الأنور الأجلى في اختصار المحلّى)[3] ، (الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية) ، كتاب (الإعلام بأركان الإسلام) ، (نثر الزَهر ونظم الزُهَر) ، (قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي) ، (فهرست مسموعاتي) ، (نوافث السِّحر في دمائث الشِّعر) ، (تحفة النَّدُس[4] في نحاة أندلس) ، (الأبيات الوافية في علم القافية) ،

(١) (س) والوافي : « لأحكام » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الوافي : « الجلّى » تحريف ، والمحلّى كتاب في الخلاف لابن حزم الظاهري . انظر : الكشف : ١٦١٧/٢ ، وفيه أنّ اسم الشرح : « الأنور الأعلى ... » .

(٤) الندس : الفطِن .

(جـزء في الحـديث) ، (مشيخـة ابن أبي منصـور) ، كتـاب (الإدراك للسـان الأتراك) ، (زهو الْمُلْك في نحو الترك) ، (نفحـة المسك في سيرة الترك) ، (كتـاب الأفعال في لسان الترك) ، (مُنطق الخرس في لسان الفرس) .

ومما لم يكمل تصنيفه ، كتاب (مسلك الرشد في تجريد مسائل نهايـة ابن رشـد) ، كتاب (منهج السالـك في الكلام على ألفيـة ابن مـالـك) ، (نهايـة الإعراب في علمي التصريف والإعراب) رجـز ، (مجـاني الهصر في آداب وتـواريـخ لأهـل العصر) ، (خلاصة التبيان في علمي البـديع والبيـان) رجز ، (نور الغَبَش في لسـان الحبش) ، (المخبور في لسان اليخمور) .

قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان .

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الحروف :

أَنَـــا هـــاوٍ لمستطيـــلٍ أغنّ كلما اشتـدَّ صـارت النفس رِخْـوَه
أهمس القـــول وهـــو يجهر سَبّي وإذا مـــا انخفضت أظهر عُلْـــوَه
فتـح الـوصـــل ثم أطبـــق هجرا بصفير والقلبُ قَلْقَـــلَ شجـــوه
لان دهراً ثم اغتــــدى ذا انحرافٍ وفشـــا السرّ مـــذ تكررت نحـــوه

وأنشدني أيضاً لنفسه :

يقـول لي العـــذولُ ولم أُطعْـــهُ تَسَـلّ فقـد بـدا للحبّ لحْيَـــهْ
تَخيّـــل أنهـــا شـــانت حبيبي وعنـــدي أنهـــا زَيْن وحِلْيَـــه(١)

وأنشدني لنفسه أيضاً :

شـوقي لـذاك المحيّـا الـزاهرِ الـزاهي شوقٌ شديـدٌ وجسمي الواهن الواهي
أسْهَرْت طرفي ودلّهت الفـؤاد هـوىً فالطرفُ والقلب مني الساهر الساهي

(١) (خ) : « أنها ثابت » .

نهبتَ قلبي وتَنْهَى أن تبوح بما … يلقاه واشوقه للناهب الناهي [1]
بَهَرْتَ كل مليح بالبهاء فما … في النيّرين شبيهُ الباهر الباهي
لهجتُ بالحبّ لّما أنْ لهوت به … عن كل شيء فَوَيْحَ اللاهج اللاهي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

راض حبيبي عارض قد بدا … يا حُسْنَه من عارض رائض
وظن قوم أن قلبي سلا … والأصل لا يُعتَدّ بالعارض [2]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تعشّقتُه شَيْخَا كأن مشيبه … على وجنتيه ياسمين على وَرْد
أخا العقل يَدْري ما يراد من النّهى … أمنت عليه من رقيب ومن صد [3]
وقالوا : الورى قسمان في شرعة الهوى … لسود اللحى ناسٌ وناسٌ إلى المرد
ألا إنني لو كنت أصبو لأمردٍ … صبوت إلى هيفاء مائسة القَدّ
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا … فأحببت أن أبقى بأبيضهم وحدي [4]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

ألا ما لها لُخْصا بقلبي عوابثا … أظن بها هاروتَ أَصْبحَ نافثا [5]
إذا رام ذو وجد سلوّا مَنَعْنَه … وكُنّ على دين التصابي بواعثا [6]
وقيدنَ مَن أضحى عن الحبّ مُطلقا … وأسرعت للبلوى بمن كان رائثا

(١) (س) : « يلقى وأشواقه » .

(٢) في النجوم : « فظن » .

(٣) (خ) : « من الهوى » . وفي الوافي : « ضد » بالمعجمة .

(٤) (خ) : « بأبيضها » .

(٥) اللخص : من صفات العين التي تورّم ما حولها ، ولعلّه يريد بها أعين الأتراك . وفي (خ) : « لحظاً » .

(٦) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

بروحي رشا من آل خاقان راحل وإن كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن للمفضل ثانيا وللبدر الشمس المنيرة ثالثا[(١)]

وأنشدني لنفسه ، ومن خطه نقلت :

أسحرٌ لتلك العَيْن في القلب أم وَخْز ولِيْنٌ لذاك الجسم في اللمس أم خزّ
وأملودُ ذاك القدّ أم أسمرٌ غدا له أبداً في قلب عاشقه هزّ
فتاة كساها الحسن أفخر حُلّة فصار عليها من محاسنها طرز[(٢)]
وأهدى إليها الغصن لينَ قوامه فماس كأن الغصن خامره العز
يضوع أديم الأرض مِنْ نَشْر طيّها ويخضرّ من آثارها تُرْبُه الْجُرْز[(٣)]
وتختال في بُرْد الشباب إذا مشت فيُنهضها قَدٌّ ويقعدها عجز
أصابت فؤاد الصبّ منها بنظرة فلا رُقية تُجدي المصاب ولا حرز

وأنشدني إجازة في « مليح أبرص » ، ومن خطه نقلت :

وقالوا الذي قد صرت طوعَ جماله ونفسك لاقت في هواه نزاعَها[(٤)]
به وَضَحٌ تأباه نفس أولي النّهى وأفظع داء ما ينافي طباعَها[(٥)]
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه ولا علّة فيه يروم دفاعَها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في « فحّام » :

وعُلّقته مسوّد عين ووفرة وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد

(١) (خ) : « واجداً » .
(٢) (س) ، (خ) والوافي : « أفخر ملبس » . وفي (س) : « محاسنه » . .
(٣) (س) ، (خ) والوافي : « في آثارها » . والجرز : هي الأرض التي لا تنبت .
(٤) (خ) : « هواك » .
(٥) (س) ، (خ) : « أخي النهى » .

كأن خطــوط الفحم في وجنــاتــه لطـاخــة مسـك في جنيّ من الـورد

وأنشدني إجازة ، ومن خطه نقلت :

ســأل البــدر هــل تبــدّى أخــوه قلتُ يـا بـدر لن يُطيـق طلـوعـا
كيف يبــدو وأنت يـا بـدر بــاد أوَ بــدران يطلعــان جميعــا ؟!

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني :

عـــــــاذلي في الأهيف الآنسِ لـــو رآه كان قـــد عَـــذَرا
رشـأ قــد زانــه الْحَـوَر غُصْنٌ مِنْ فَــوْقــه قمر
قَمَر من سحبـــه الشعر ثغر في فيـــه أم دُرَر
جـــــال بين الـــدرّ واللَّعسِ خَمْرَةٌ مَنْ ذاقهـــا سكرا
رجّـة بـالردف أَمْ كَسَـل ريقــة بـالثغر أم عَسَـل
وَرْدَة بـالخــد أم خجـل كُحُـل بـالعين أم كَحَـل
يـــا لهــا من أعْيُن نُعُسِ جلبت لنـــاظري سهرا[(١)]
مُـذْ نـأى عن مقلتيّ سَني مـا أُذيقـا لـذّة الـوسن
طـال مـا ألقـاه من شجني عجبـا ضـدان في بـدني
بفـــؤادي جـــذوة القبس وبعَيْني المـــاء مُنْفَجرا
قــد أتــاني الله بـالفرج إذْ دنــا مني أبـو الفرج
قمرٌ قــد حـلّ في المهــج كيف لا يخشى من الـوهـج
غَيْرُه لـــو صـــابَـــهُ نَفَسي ظنّـــه مِنْ حرّه شررا
نصب العينين لي شركا فـانثنى والقلب قـد ملكا
قمر أضحى لـــه فلكا قـال لي يَوْمًا وقـد ضحكا
أنت جئت من أرض أنـــدلسي نحـــو مصر تعشـــق القمرا

(١) في الفوات : « للناظر السهرا » .

وأما موشحة ابن التلمساني ، فهي :

قَمَر يجلـــــو دجــــــا الغلس بهر الأبصــــــار مُــــــذْ ظَهَرا
آمنٌ من شُبْهــــــة الكلف ذُبت في[١] حُبّيــه بـالكلف
لم يـــزل يسعى إلى تلفي بركاب الـــــدلّ والصلف
آه لـــــــــولا أعين الحَرَس نِلْت منــه الـوصـل مقتـــــدرا
يـا أميراً جـار مـذ وليـا كيف لا ترثي لمن بليــّـا
فبثغر منـك قـد جُليـا[٢] قـد حـلا طَعْماً وقـد حَليـا
وبمــــــــا أُوتيتَ من كَيَس جُـــــدْ فَمَـــــا أبقيتَ مُصْطَبرا
بَـــدْرٌ تمّ في الجمــــال سني ولهــــــذا لقبّـــوهُ سَني
قـد سبـاني لــذّة الـوسنِ بمُحيّــــا بــــاهرٍ حسن
هـــو خِشْفي وهــــو مفترسي فــــــارو عن أعجـــوبتي خبرا
لـك خـدّ يـا أبـا الفرج زينَ بـالتـوريـد والضّرج
وحـديثٌ عــاطر الأَرَج كم سبى قلبـــاً بـــلا حَرَج
لـــــــو رآك الغصن لم يَمسِ أو رآك البــــــــدر لاستترا
يـا مُـذيبـا مهجتي كَمَـدا فُقت[٣] في الْحُسن البدور مدى
يـا كحيـلا كحلـة اعتمـدا عجبــا أن تُبرئ الرّمــــدا
وبسقم النــــــــاظرين كُسي جفنـــك السّحـــار وانكسرا[٤]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا :

إنْ كان ليـلٌ داج وخـاننـا الإصبـاحْ فنـورهـا الـوهّـاج يُغني عَنِ المصبـاح

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي والفوات .
(٢) (خ) : « حليا » .
(٣) في الوافي والفوات : « فتّ » .
(٤) في الوافي والفوات : « فانكسرا » .

سـلافـة تبـدو كالكـوكب الأَزْهَرْ
مِـزاجهـا شَهْـدٌ وعَرْفُهـا عَنْبَرْ
يـا حبّـذا الـوِرْدُ منهـا وإنْ أَسْكَرْ
قلبي بها قَدْ هـاجْ فمـا تراني صـاحْ عن ذلك المنهاجْ وعَنْ هوى يـا صـاح
وبي رشـا أهيفْ قَـدْ لـجّ في بُعْـدي
بـدر فـلا يُخْسَفْ مِنـه سنـا الخـدِّ
بلحظـه الْمَرْهَف يَسْطُـوْ على الأُسْـدِ
كسطوة الحجّـاج في النـاس والسفّـاح فما ترى من نـاج من لحظـه السفـاح
عَلّـل بـالْمُسـك قلب رشـأ أحـور[1]
منعّم الْمَسْـك ذو[2] مبسم أعطر
ريّـاه كالمِسـكْ وريقـه كَـوْثَرْ
غصْنٌ عَلى رَجْراج طاعت له الأرواح فحبّـذا الآراج إن هبّت الأرواح
مَهْـلاً أبـا القـاسم على أبي حيّـان
مـا إنْ لـه عـاصِمْ من لحظـك[3] الفتّـان
وهَجْرك الـدائم قـد طـال بـالهَيْمَـان[4]
فـدمْعُـه أمـواج وسرُّه قـد لاح[5] لكنّـه مـا عـاج ولا أطـاع[6] اللاح
يـا رُبّ ذي بُهْتَـان يَعْـذل في الراح[7]

(١) في (س) ، (خ) والوافي والنجوم ، والفوات : « قلبي » .
(٢) في الأصل و (س) و (خ) : « ذي » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .
(٣) (خ) : « طرفك » .
(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « بالهميان » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .
(٥) في النجوم : « باح » .
(٦) في الأصل : « أطاح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي والفوات .
(٧) في النجوم : « يعذلني » .

وفي هـــوى غـــزلان[1] دافَعْتُ بـــالراح
وقلت لا سلـــوان عن ذاك يـــا لاحي
سبع الوجـوه والتـاج هي منيـة الأفراح فاختر لي يازجاج قُصال[2] وزوج أقداح

وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الداليـة ، التي نظمهـا في مـدح النحو والخليل وسيبويه ، ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه ، وأولها :

هـــو العِلْم لا كالعلم شيء تراوده لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهي قصيدة جيدة تزيد على المئة بيت . حُكي لي أن الشيخ أثير الدين ـ رحمه الله تعالى ـ نظمها وهو ضعيف ، وتوجه إليه جماعة يعودونه ، وفيهم شمس الدين بن دانيال ، فأنشدهم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ القصيدة المذكورة ، فلما فرغت ، قال ابن دانيال : يا جماعة ، أخبركم أن الشيخ قد عوفي ، وما بقي عليه باس ، لأنه لم يبق عنده فضلة ، قوموا باسم الله .

وأنشدني من لفظه لنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ قصيدته السينية التي أولها :

أهاجك ربع حائلُ الرسم دارسه كوحي كتاب أضعف الخط دارسه

١٨٣٢ ـ محمد بن يوسف بن عبد الله*

شمس الدين ، الشاعر الماهر الخيّاط الدمشقي الحنفي .

شاعر لا يُجارى ، ومكثر لا يُبارى ، قادر على صوغ القريض ، وارتجال النظم الذي يشفى به المريض ، طويل النَفَس إذا نظم ، مديد الباع إذا رقم ، ذو قصائد قد

(١) في الوافي والفوات والنجوم : « الغزلان » .
(٢) في (خ) زيادة : « وهي قصيدة عظيمة . ومن شعره » . وعبارة الوافي : « وهي قصيدة مليحة تلعّب فيها بفنون الكلام تقارب المئة » .
* الوافي : ٢٨٣/٥ ، ووفيات ابن رافع : ٣٢٩/١ ، والدرر : ٣٠٠/٤ ، والنجوم : ٣٢٠/١٠ ، والبدر الطالع : ٢٨٦/٢ .

طوّلها ، ومدائح سوّرها[١] وَهْمُه وسوّلها ، ولم يكن له غوص على المعاني البديعة ، ولا احتفال بطريق المتأخرين التي هي[٢] عليه وعلى أمثاله منيعة . ومع ذلك فكان بين فكيه مقراض[٣] للأمراض[٤] ، وكنانة نبل أنفذ من السهام في الأعراض[٥] ، لا يكاد يسلم أحد من هجوه ، ولا ينجو طاهر الذيل من نجوه . وكان هجوه أجودَ من مدحه ، وأوقع في النفوس لكدّه فيه وكدحه ، ولكنه ذاق وبال هذا وأُوذي أكثر مما آذى ، إلا أنه كان كثير التلاوة ، يلازم[٦] الصلاة في الحضارة والبداوة ، وحج غير مرة ، وقرن البعرة بالدرة .

وحججت أنا وهو في عام خمسة وخمسين وسبع مئة ، ولمّا وصلنا إلى مُعان مزّق الله من الخياط عمره ، وأذهب شِعره وشَعْرَه ، وأتاه من نايات المنايا ما بطّل زَمْرَه ، فدفنّاه على قارعة الطريق ، وانكفّ ذاك اللسان الذي كأنه مبرد وما حمل التطريق ، وجعلناه سراً مودعا من البرية في صدر ، ووضعنا الشمس في الأرض ليلة البدر ، فلو كان الرفّاء موجودا لرثى الخياط وأبّنه ، ونقله بلبنه الطّيب إلى مقبره وجبّنه .

وعلى كل حال فقد راح إلى الله وأراح ، وحمل كارة أهاجيه وهو كاره وقلّ من حمل كارة واستراح ، والله يسامحه في يوم عَرْضه ، ويعطّف عليه قلب مَن أخذ من عِرضه ، حتى إنه يسامحه ويخالله ، ويصادفه فيصادقه[٧] ويخالله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في معان ، ليلة الرابع عشر من المحرم سنة ست وخمسين وسبع مئة .

---

(١) (خ) : « سوّدها » .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) (خ) : « مقرض » .
(٤) في (س) ، (خ) : « للأعراض » .
(٥) في (خ) : « الأغراض » .
(٦) (س) ، (خ) : « ملازم » .
(٧) في الأصل : « ويصادقه فيصادمه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وسألته عن مولده ، فقال : في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وست مئة بدمشق .

كان في مبدأ حاله يتردد إلى شمس الدين الصائغ ، ويقرأ عليه ، ويجتمع بالمجير الجوخي ، ثم إنه تردد إلى شيخنا العلاّمة شهاب الدين محمود ، وكتب عنه كثيرا ، وكان يثني عليه ويميل إليه .

ونظم في سنة عشرين وسبع مئة[١] قصيدة جيمية مديحا في قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وأولها :

أما ولواحظ الحدق السواج لقد أصبحت منها غير ناجي

فقرّظها شهاب الدين محمود ، وأثنى عليها ، وكتب عليها فضلاء العصر ، وانصقل نظمه وجاد ، وشعره كثير[٢] يدخل في ست مجلدات .

وسافر إلى الديار المصرية ، ومدح أعيانها ، واتصل بالأمير سيف الدين ألجاي الدوادار ، وكان يبيت عنده . ومدح السلطان الملك الناصر بأبيات قرأها عليه قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، فرسم له براتب في كل يوم درهمين[٣] .

وأنشدني من لفظه غالب شعره لمّا[٤] نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة[٥] قصيدته التائية الطنانة في الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ جعل غزلها المقدّم على المدح في وصف الخمر ، وأولها[٦] :

---

(١) في (س) ، (خ) زيادة : « أو ماقبلها » .
(٢) (خ) : « وجاد شعره وهو كثير » .
(٣) (س) ، (خ) : « بدرهمين » .
(٤) (خ) : « ولمّا » .
(٥) (س) ، (خ) : « محمد بن نباته » .
(٦) ديوانه : ٦٧ .

قضى وما قُضيت منكم لُبانـاتُ ... متيّم عبثتْ فيه الصبابـات

نظم الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط قصيدة أخرى في وزنها ورويها ، ومدح بها الشيخ كمال الدين أيضاً ، وجاء منها في الآخر ما أنشدنيه من لفظه :

ما شان مدحي لكم ذكرُ الُمدام ولا ... أضحت جوامع لفظي وهي حانات
ولا طرقت حِمى خمّـارة سحرا ... ولا اكتست لي بكاس الراح راحات[1]
وإنمـا أُسكِر الجُلاّس من أدب ... تدور منه على الأكياس كاسات[2]
عن منظر الروض يُغنيني القريضُ وعن ... رقص الزجاجات تُلهيني الجزازات[3]
عشوت منها إلى نور الكمال ولم ... يَـدُر على خاطري دير ومشكاة

وكان الشيخ جمال الدين بن نباتة إذا جاء إلى دار السعادة ، يقال[4] له : إن ملك الأمراء في القصر ، فيحتاج أن يروح إلى القصر الأبلق ماشيا ، وقال في ذلك[5] :

يـا سـائلي في وظيفتي عَن ... كُنْـه حـديثي وعن معـاشي
مـا حـال مَن لا يـزال يطـوي ... مسـافـة القصر وهـو مـاشي[6]

فقال شمس الدين جوابه ، وأنشدنيه من لفظه :

يـا شـاعراً يخطئ المعـاني ... فيما يعـاني من المعـاش
أنت شبيـه الحمـار عنـدي ... مركّب الجهـل وهـو مـاش

(١) في الوافي : « كاسات » .
(٢) هذا البيت خلا منه الوافي .
(٣) في الأصل : « الجرارات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) (س) : « يقول » .
(٥) ديوانه : ٢٧٦ .
(٦) في الأصول : « ينوي » ، وأثبتنا ما في الديوان .

وقد كان كتب ابن نباتة صداقا ، فخُلع عليه ، فلبسه ودار به في البلد ، فقال شمس الدين الخياط في ذلك ، وأنشدنيه من لفظه :

ما خِلعة العقد على شاعرنا يوم الهنا شقاء وعَنا
رأيته فيها وقد أرخى له ذؤابة تُبدي عليه الحزنا
فقلت: مَن هذا الذي سواده سوّده بين الورى ؟ قال: أنا[(١)]
نباتة كان أبي ، فقلت: ما أنبته الله نباتا حسنا [(٢)]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

ما خلعة ابن نباتة إلا كمن ألقى الرياض على الكنيف المنتن

ومنها :

واختصّ عِمّته بفضل ذؤابة هي في القلوب قبيحة في الأعين[(٣)]
فكأنها ذنب لكلب نابح تحت الدجا من فرط داء مُزمن
فالله يجعلها [له] كَفَن البلى ويكون غاية كل سوء يقتني[(٤)]
حتى يقول مسيّر في هجوه هذا لَعَمر أبيك شرّ مكفّن

ونظم ابن نباتة ما يُكتب على دواة فولاذ[(٥)] :

معنى الفضائل والندى والباس لي والسيف مُشتهر بمعنى واحد
بالنفس أضرب في نضار ذائب والناس تضرب في حديد بارد[(٦)]

(١) (س) والوافي : « بين الورى سوّده » .
(٢) في الوافي : « أنبتك » .
(٣) في الوافي : « قبيحة والأعين » .
(٤) الزيادة من (س) ، (خ) .
(٥) ديوانه : ١٦٤ .
(٦) في الديوان : « والسيف يضرب » .

فقال شمس الدين الخياط ، وأنشدنيه من لفظه :

قـل للـذي وصف الـدواة وحسنهـا   مـــا جئتَ عن لفظي بمعنى زائـــد
أسخنت عينـــك في نضــار ذائب   وذبحت نفسـك بـالحـديـد البـارد

وكان قـد سلّطـه الله عليـه ، كلمـا نظم شيئاً نـاقضـه فيــه ، فهما فرزدق وجرير عصرهما ، ولولا خوف التطويل لأوردت كثيراً من ذلك .

وأنشدني من لفظه له :

قصــــدت مصرا من ربـــا جلّـق   بهمّـــــــــــــــة تجري بتجريب
فلم أر الطرّة حتى جرت   دمـــوع عيني في المـــزيريب[1]

وأنشدني من لفظه له :

خلّفت بـــالشـــام حبيبي وقـــد   يممّت مصرا لِعَنــــا طــــارق
والأرض قــد طــالت فلا تبعـدي   بـــالله يـــا مِصْرُ على العـــاشـق[2]

وأنشدني من لفظه له :

تركت لقـــوم طِـــلابَ الغِنى   لحبّ الغنـــاء ولَهْـو الطرب[3]
وعنــــدي من زَهَرٍ فضـــة   وعنـدي من خنـدريس ذهب

قلت : أين هذا من قول النصير الحمامي :

أصبحت من أغنى الـــــورى   مستبشرا بــــــــــالفرح
عنـــــــــديَ خمرٌ ذهب   أكتـــالـــه بـــالقـــدح

(١) قوله : « المزيريب » فيه تورية ، فهو تصغير (مزراب) ، ومزيريب بلدة على مقربة من درعا .
(٢) ذكرهما في النجوم الزاهرة .
(٣) (خ) : « القوم » .

وقد ولّدت أنا من هذا معنى آخر ، ونقلته إلى أوراق الخريف ، وقلت :

لِمَ لا أكـون غنيـا بـالخريف ولم ... أحتـج إلى غيره في اللهـو والطرب
وكل دوحـةِ بستـان إذا عبثت ... بهـا الصَّبـا نُثرت كومـا من الـذهب

ولكن قول النصير (أكتاله بالقدح) غاية في الحسن .

وأنشدني شمس الدين الخياط له :

يـا أهـل مصر أنتُم للعـلا ... كـواكب الإحسـان والفضـل
لـو لم تكـونـوا لي سعـودا لَمَـا ... وافيتكم أضرب في الرمـل

وأنشدني من لفظه له :

كم تُظهر الحسن البـديـع وتـدّعي ... وبيـاضُ شكلـكَ في النـواظر مظلمُ
هـل تَصْدُق الـدعوى لَمن في وجهـه ... بـالـذقن كـذّبـه السـواد الأعظمُ

وأنشدني من لفظه له :

حتّـام شخصي بين هـذا الـورى ... حيّ وفضلي عنـدهم مَيْتُ
أبني بيـوت الشّعر في جِلّـق ... وليس يُبنى لي بهـا بيت

وأنشدني من لفظه وقد أعطاه قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى جائزة :

لم يُجـزني القـاضي على قَـدْر شِعري ... بـل حبـاني مضـاعف الأبيـات
فلهـذا أعـدّهـا صـدقـات ... من عطـايـاه لا من الصـدقـات

وأنشدني من لفظه له :

وَيْـلاَهُ من ظبي لـه وجنـةٌ ... شـامـاتهـا تَلْعَبُ بـالأنفس
لـو لم تكن في خـدّه جنـة ... لما اكتسى بـالعـارض السنـدسي

وأنشدني من لفظه له :

يـا كعبـة الْحُسن التي رُميتْ لهـا ... في كل قلب بـالهـوى جمراتُ
قـد تم ميقـات الصـدود وقصـدنـا ... لـو تمّ منـك لـوصلنـا ميقـاتُ

وأنشدني من لفظه له :

قـد طـال فكري في القريض الـذي ... مِنْ نفعـه لست على طـائـلِ
أمّرني زورا فصرت امرأ ... صـاحب ديـوان بـلا حـاصـلِ

وأنشدني من لفظه له في « الفلوس » :

يـا ليت شعري أي خير يُرتَجى ... للمُعتفي من هـذه الأزمـان[1]
لـو لم يكن عُـدْمُ الـدراهم قـد بسدا ... مـا كان صـار الفلس بـالميزان

وأنشدني له في « المشمش » »:

حبّـذا مشمش يروق لطرفي ... منـه حُسْنٌ حـديثـه مشهـور
قـد بـلاني بحبّـه وهـو مثلي ... أصفر الجسم قلبـه مكسـور

وأنشدني له أيضاً :

يـا أيهـا البحر الـذي في وِرْده ... رِيٌّ لقلب الحـائم المتعطّش
أشكـو إليـك هـوان شِعرٍ لم يقم ... لي رُخصـه بغلّـو سعر المشمش[2]

وأنشدني له أيضا :

يـا مَن بـه ادرأ عن مهجتي ... من حـادث الأيـام مـا أختشي[3]

(١) في الأصل : « خبر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « شعر المشمش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « أرداً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

قــد أقبــل الصيف ومــا في يــدي | من درهم للتـــــــــوت والمشمش

وأنشدني له أيضا :

لـــــــوزيٌّ جلّـــــــق شيء | يـــــــــذوبُ قلبي عليـــــــــه
كالسلسبيـــــــــــــــــل ولكن | كيف السبيـــــــل إليـــــــه

وأنشدني من لفظه له ما يكتب على باب :

نحن إلفــان مـــا افترقنـــا لبُغض | لا ولا في اجتماعنـــا مـــا يُريب
نَكْتم السر بيننـــــا في زمـــــان | كاتم السر في بنيـــــــه غريب

وأنشدني من لفظه له أيضا :

مَن ذا الـــذي يُنكر فضلي وقـــد | فـــــزت من الحسن بمعنى غريب
عنـــدي لمن يخـــذلـــه دهره | نصر من الله وفتـــــح قريب(١)

وكتب هو ـ رحمه الله تعالى ـ على كتابي (جنان الجناس) :

سرّ الفصاحة في كتـابـك ظـاهرٌ | ولـه ضيـاء الحسن عنـك بـديع(٢)
وكـذا الثنـاء المحض في أثنـائــه | بنـوافـج الـذكر الجميـل يضـوع
فلـذاك يُحفـظ في الصـدور لفضلـه | وسـواه يُنسى ذِكْرُه ويضيـــع
لله روض في جنـــان جنـاســـه | هـو للقلـوب وللعيـون ربيـع
كم أثمرت أغصـــانـــه بفـوائـــدٍ | كم طـــاب فيهـــا للفـؤاد ولـوع
مـــازال يمطره الجنـان سحـــائبـــاً | يُضْحِي بها القرطـاس وهـو مَريع
في طيّـــه نَشْر العلـوم تـــأرجت | أرجـــاؤه فتعطّر المجمـــوع

---

(١) الشطر الثاني اقتباس من القرآن .
(٢) (خ) والوافي : « مديع » ،

سِفْرٌ عن الفضل المحقق سافرٌ ولـه على القمر المنير طلوع
بيّنتَ فيه لنا الأصول فأينعت لجنى العقول من الأصول فروع
وشرعتَ في حلّ الرموز وقد حلا للفهم في ذاك الشروع شروع
لم يبق في علم المعاني ناطق إلاّ وبان به لديك خضوع
فابن الأثير ولو تأثّلَ مجده وعصى لكان لما بنيت يُطيع[1]
سيّرت أمثالا لها حكم فما لنجومها مثل النجوم رجوع
أعليت بُنيان البديع مشيّدا مالم يشيّد للزمان بديع
وأذبت لابن أبي الحديد جوانحا لم تُطْفَ منها للحريق دموع
وأدرت أفلاكا على أمثاله أضحت تروق بحسنها وتروع[2]
وطعنت في ابن سنان عند خفاجة لغة فأودت بالصدور صدوع[3]
وأنرت مالا نوّر (المصباح) في علم البيان وفي سناه لموع
وتخلّف للمعتز إذ زلّ ابنه وبدا بمنطقه لديك خشوع[4]
هذا كتاب قد كبتّ به العدى فجنابه عن حاسديه منيع
أتعبت مَن يسري وراءك في النّهى ومتى تساوى ظالع وضليع
ورفعت قدر العلم حين وضعته فتشرّف الموضوع والمرفوع
نثر حكته من الكواكب نثرةٌ فيها لصفحة أوْجِهِ ترصيع
ونظام شعر دونه الشعرى وإن أمست ومنزلها عليه رفيع
شعر يروق طباقه وجناسه والسبر والتقسيم والتصريع
يسمو حبيبا بالمكارم إن بدا ويرى الوليد لديه وهو رضيع[5]

(١) في الأصل : « تأثر » ، وفي الوافي : « وإن تأثّل » .
(٢) في الأصل : « أفكالاً » .
(٣) في الأصل : « بالصدوع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .
(٤) (خ) : « إذ ركّ » .
(٥) (س) ، (خ) والوافي : « بالمحاسن » .

وهي أطول من هذا ، وهذا القدر منها كاف .

وله قصيدة أخرى نظمها على كتابي (نصرة الثائر على المثل السائر)[(١)] .

وكتبت أنا على قصائد نظمها في قاضي القضاة جلال الدين القزويني وأولاده بدر الدين وجمال الدين وتاج الدين وصدر الدين ـ رحمهم الله ـ :

وقفت على هذه القصائد التي تدبّجت ، والمدائح التي طاب ثناؤها فتأرّجت ، والقوافي التي ما لوت جيدها إلى غير شاعرها[(٢)] ولا عرّجت . فألفيتها قيد النواظر ، وتنزّهت منها في روضة أخملت الخمائل النواضر ، وعلمت أنها تحفة القادم وزاد المسافر وحضرة الحاضر ، لو[(٣)] عقل الناس تَلعُّبها بالمعاني وفنونها ، لعلّقوها على كعبة مجاميعهم فقد علّقت العرب دونها ، قد أحكمها ناظمها رصفا ، ورقّت لفظا ، وراقت معنى وشاقت وصفا . ومزّق بها هذا الخياط أقوال ذلك الرّفا ، ونبتَ كل قضيب في روضها فشلّ مِن باعِ الشعرِ أكُفّا :

أكرم بهـا من قـواف ... وبـدرهـا وجمـالِـه

وصـدرهـا إن تبـدّى ... في تـاجـه وجـلالـه

ما للكادّ التّعِب ظفر بممنوحها ، ولا للشكر مندوحة عن ممدوحها ، وما أظنه إلا[(٤)] أُدخل الجنة بسلام ، ولقي جلاله وكرمَه [وجه][(٥)] ذي الجلال والإكرام ، فالله يمتّع الوجود برُقيّ بدره درج منبره ، ويشنّف الأسماع بما يتحفها لفظه من جوهره ، ويجعل الفتاوى مُتفيأة ظل قلمه ، ويديم عليه مواد نعمه[(٦)] ، إن شاء الله تعالى .

(١) (س) ، (خ) : « على الفلك الدائر » .
(٢) في الأصل : « شأوها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) (خ) : « أو » ، تحريف .
(٤) في (س) ، (خ) : « إلا أنه .. » .
(٥) زيادة من (س) ، (خ) .
(٦) زاد في (س) : « بمنّه وكرمه » .

١٨٣٣ ـ محمد بن يونس بن فتيان*

الفاضل أبو زرعة الكناني المقدسي الشافعي .

كان شابا فَهِما ذكيا ، حفظ كتبا وتفنن ، وقدم إلى دمشق سنة أربعين وسبع مئة . وسمع من أبي العباس الجزري والمزي والذهبي ، ونسخ ومهر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وأربعين وسبع مئة في الطاعون .

ومولده في حدود سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٨٣٤ ـ محمود بن أحمد**

ابن محمد بن نصر بن أبي الرضا ، الشيخ العدل نور الدين أبو القاسم البعلبكي المعروف بابن رضي .

كان إمام المدرسة النورية ظاهر بعلبك ، وكاتب الحكم . كتب لجماعة من القضاة أكثر من خمسين سنة . وتردّد إلى دمشق مرّات في شهادات .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة ببعلبك .

١٨٣٥ ـ محمود بن أوحد بن الخطير***

شرف الدين أخو الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في مكانه .

---

* الدرر : ٣١٧/٤ .

** الدرر : ٣٢٢/٤ .

*** الدرر : ٣٢٣/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٢/١٠ .

طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر بعد مقام أخيه الأمير بدر الدين مدة بالقاهرة ، في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وأعطاه طبلخاناه ، وولاّه الحجوبية بمصر تحت يد أخيه ، ولمّا قُبض على تنكز - رحمه الله تعالى - وجَهز أخاه الأمير بدر الدين مسعود نائبا إلى غزة ، جهز الأمير شرف الدين إلى دمشق حاجبا صغيرا ، فأقام بدمشق على الحجبة إلى أن رُسم لأخيه الأمير بدر الدين مسعود بالحضور إلى دمشق ، فرسم للأمير شرف الدين بأن يتوجّه إلى صفد ، فتوجّه إليها ، كل ذلك في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولمّا مات السلطان وجرى ما جرى ، وولي النيابة بمصر الأمير سيف الدين قوصون ، طلب الأمير بدر الدين مسعود إلى مصر ، وطلب أخاه أيضا ، فتوجّها إليه ، وعملا الحجوبية بمصر ثانيا . ثم إن الأمير بدر الدين خرج بعد قوصون إلى الشام ، وأقام الأمير شرف الدين محمود على الحجبة بمصر إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في شهر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومات له ابنان وبنت وجماعة من أولاد أولاده وأولاد مماليكه في الطاعون .

وكان قد ولي شد الأوقاف بدمشق أيام تنكز في سابع صفر سنة ثلاثين وسبع مئة عوضاً عن نجم الدين بن الزيبق ، ولمّا توجه إلى مصر في التاريخ المتقدم ، تولى شد الأوقاف عوضه ناصر الدين محمد بن بكتاش .

١٨٣٦ - محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء*

المحدّث الفرضي شمس الدين أبو العلاء البخاري الكَلاَباذي الحنفي الصوفي .

تفقه ببخارى ، وسمع بها ، وقدم العراق ، وسمع من محمد بن أبي الدنية[1] ،

* العبر : ٤١٢/٥ ، والدرر : ٣٤٢/٤ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ .

(١) في الأصل و (س) : « المدينة » ، تحريف ، كما في مصادر ترجمته ، وهو : محمد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣٢/٥ .

ومحمد بن عمر المريح ، وابن بلدجي ، وابن الدّباب[١] وطائفة . وبالموصل[٢] من الموفق الكَوَاشي وجماعة . وبماردين ودُنيسر ، وقدم دمشق ، وسمع بها ، ورحل إلى مصر ، وأكثر بها ، وكتب الكثير بخطه المليح الحلو ، وصنّف في الفرائض تصانيف ، وكان فيها بارعا ، له أصحاب يشغلون عليه فيها . وكان دَيّنا نَزِها ورعِا متحريّا ، سوّد معجما لنفسه ، وكان لا يمس الأجزاء إلا على وضوء وطهور .

وروى له الدمياطي ، وسمع منه أشياخنا : المزي ، وأبو حيان ، وابن سيّد الناس ، والبرزالي ، وقطب الدين . وسمع منه المقاتلي ، والمجد الصيرفي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بماردين في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين[٣] .

١٨٣٧ ـ محمود بن أبي بكر بن حامد*

ابن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن الحسين ، الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث اللغوي ، صفيّ الدين أبو الثناء الأرموي الصوفي .

كان من أعيان طلبة الحديث ، اشتغل وحصّل ، وكتب الكثير ونسخ من الأجزاء والكتب الحديثية جملة . وسمع بالقاهرة (جزء ابن عرفة) على النجيب عبد اللطيف ، وسمع بدمشق من عبد العزيز بن عبد الحارثي[٤] وجماعة من أصحاب ابن طبرزد والكندي[٥] . وقرأ (مسند) الإمام أحمد ببعلبك على ابن علاّن ، وسافر إلى القاهرة والإسكندرية ، وسمع منه شيوخها .

(١) محّد بن محّد بن علي البابصري (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٥/٥ .

(٢) س : « بالموصول » .

(٣) في (س) زيادة : « وست مئة » .

* البداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٣٤١/٤ .

(٤) هو عبد العزيز بن عبد المنعم الحارثي الدمشقي ، ابن عبد . توفي سنة (٦٧٢ هـ) . العبر : ٢٩٩/٥ .

(٥) في الأصل : « الكتدي » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان يحفظ (التنبيه) ، ورجع إلى دمشق . وكان يطالع كتب اللغة ، وجمع (الصحاح) و (الأزهري) و (المحكم) وذيّل على (النهاية) ، وكان يقرأ الحديث فصيحا بسرعة ، ثم إنه تغيّر ذهنه ، وحصل له مرض بالسوداء ، وكان يحاضر في بعض الأوقات ، ويتكلم كلاما حسنا ، وفي بعض الأوقات يشتم من يخاطبه . وسافر إلى الحجاز وحلب والقدس ، وهو بهذا المرض .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالباب الصغير .

ومولده بالقرافة سنة سبع وأربعين وست مئة .

وسمع منه شيخنا الذهبي (جزء ابن عرفة) وغيره . وهو أخو الشيخ المعمر شهاب الدين محمد القرافي ـ رحمها الله تعالى ـ.

١٨٣٨ ـ محمود بن رمضان*

شرف الدين بن والي الليل .

قال كمال الدين الأدفوي : رأيته واليا بأدفو ثم أسنا . وله نظم ، ومدحني بقصيدة .

وتوفي بمصر ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومن شعره :

هَجرتموني بلا ذنب ولا سَبب ... وحُبُّكم منتهى الآمال والطلب
ورمت بالقرب منكم راحةً فغدا ... قلبي ببعدكم في غاية التعب[1]

* الدرر : ٣٢٤/٤ ، والطالع السعيد : ٦٤٦ ، واسمه فيه : « محمد بن يوسف ، ابن والي الليل » .

(١) في الطالع : « النصب » .

ومـنـذ أطعت هــواكم مــا عصيت لكم أمرا ولا ملت في حبّي عن الأدب[(١)]
فـمـــا لطرفي لا يغشــــاه طيفكم بُخــــــلاً عليّ وأنتم أكرم العرب

١٨٣٩ ـ محمود بن طي*

الشيخ جمال الدين العجلوني المعروف بالحافي .

كان إنسـانـا حسنـا فقير الحـال ذا عيـال ، أقـام بصفـد مـدة ، وكان يعرف بعض عربية ، وينظم شعرا لا بأس به ، وصحب عفيف الدين التلمساني زمـانـا ، وأخـذ عنـه ذلك المذهب . وكان مع فقره وتصوفه حادّ الأخلاق .

أنشدني كثيرا من شعره وكثيرا ما رواه لي عن عفيف الدين التلمساني ، وكان لعلـه يحفـظ أكثر (ديـوان العفيف) . وبحثت معـه غير مرة . وكنت أردّ مقـالتــه ، وشعّب ذهن[(٢)] جماعة بصفـد ، وأعـان اللهُ على إنقـاذهم ، وكان يرتزق بشهـادة القسم في خـاص السلطان .

وتوفي ـ رحمه الله تعـالى ـ بصفـد في سنـة أربع وعشرين وسبع مئـة . وقـد قـارب السبعين سنة .

وكتبت أنا إليه مرة ، وقد توجه إلى قرية تُسمى « عَلْمَا » من قرى صفـد ، ومعـه شخص يعزّ عليّ :

ألا هــل تُرى يــا نــازلين رُبــا عَلْما أحطتم بـــا يلقى مشــوقكم عِلمــــا
فلو شـاء حَمْلي الريـح نحـو خيـامكم أتــاكم بصبّ قــد براه الهـوى سقما[(٣)]

---

(١) في الطالع : « وقد أطعت » .

* الدرر : ٣٢٦/٤ .

(٢) في الأصل : « ذهنه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « حَمْل » .

وما ضرّكم رعي العهود التي مضت — فكم قد رعى طرفي لبعدكم نجما
شُغلت بكم عن غيركم لا عدمتكم — فطرفٌ يرى إلاّ محاسنكم أعمى
وعلّمني دمعي وجوهر ثغركم — إذا غبتم عن مقلتي النثر والنظما
ولا عجب أن جاء صبري مُحاقُه — وحسنكم قد أخجل القمر التّما
منعتم جفوني لذّة الغمض في الدجا — فما ذاق طرفي بعدكم للكرى طعما
فكيف قضيتم بعدكم إنّ أدمعي — لعيني غسل وهي لم تبلغ الحلما[1]
أظنّكم طهّرتم بمدامعي — عيوني لما أن رأت غيركم قِدما
ولما شكت عيني إليكم سُهادها — حكمتم عليها أن تدوم وأن تدمى[2]
ومَن كنتم أحبابه يا سروره — ويا سعده إن صح لك أو تمّا
ويا فوز قلب أصبحت خطراته — إلى حبكم تسمو، وصب لكم يسمى
وإن كان عُذّالي عموا عن جمالكم — فلي أُذن عن كل ما نقلوا صمّا

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك ، ولكنه لم أجده عند تعليقي هذه الترجمة .

وأنشدني من لفظه لنفسه تخميس قصيدة جيمية للعفيف التلمساني :

بالناظر الفاتر الوسنان ذي الدعج
وما بخدّ الذي تهوى من الضَّرج
قم يا نديمُ فما في الوقت من حرج
انظر إلى حسن زهر الروضة البهج — واسمع ترنّم هذا الطائر الهزج
لي الهنا قد وفت سعدي بما وعدت
ودارُها قربت من بعدما بعدت
فانظر تشاهد أنوار الجمال بدت

(١) في (س) : « بعدها » .
(٢) في الأصل : « إليها » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في الأصل : « الهرج » ، وقد أثبتنا ما في (س) ، (ط) .

تُجْلَى الرياض وقينات الحمام شدت والـزهر يحرق عرف المنـدل الأرج
نُسَيْمة القرب من ذاك الجمال سرت
فكم فـؤاد بهـا سرّت وكم أسرت
وخـاطر بلبلته عنـدمـا خطرت
فعـاطِني يـا رشيقَ القـد مـا اعتصرت يـد المـلاحـة لي من طرفـك الغنـج
عـزت فعـزّ علينـا نيـل مطلبهـا
لّمـا تسـامت علـوّا في تمر تبهـا
وفي لحـاظـك معنى عن تطلبهـا
فما المـدامـة في سلب العقـول بهـا بـالْسُّكْرِ أسلبُ من عينيـك للمُهج
صهبـاء تَـذْهب بـالتبريـح والترح
وتُبْـدِل الهمّ والأوهـام بـالفرح
ياطيب في ساحتي حاناتِها مرحي
وإن تُرد مـزجها لا تمـزجاً قـدحي دعـه برقـة وجـدي فيـك يمتزج
يـا ويح روحي تمادت في مـآربها
واستعـذبت مـا تـلاقي من مُعـذّبهـا
مسلوبـة قـد براهـا عشـقُ سـالبها
مرّت ليـالي صـدود لـو جمعت بهـا دمعي جرت سفنٌ منـه على لجـج
أشفقت من فيض آمـاقي على غرقي
ولم يخـلّ الضنى مني سـوى رَمَقي
وبُـدّل النـومُ بـالتسهيـد والأرق
كم قـد فتحت لضيف الطيف من حُرَق بـاب المنى فـانثنى [عنـه] ولم يلـج[1]
عليك مُذ كنتَ لي مـا زلت معتمـدا

(١) الزيادة من (س) ، (ط) .

لَمـا أجلّـك بـالتعظيم معتقـدا
ولم أحـل عن عهـود بيننـا أبـدا
وكم بـذلت جميعي مجتهـدا وصنت سرّك في قلب عليـك شـج
أضحى وجوديَ مَنْسُوبـا إلى العَـدَم
وسِرٌّ وجـدي بسقمي غير مكتتم
كم قـد تبرّمت من شـوقي ومن ألمي
وشمت برقـا على الجرعـاء من إضم قلبي عليـك وطرفي غير مختلـج
لي البشـارة أحـلامي بكم صـدقت
وبالرضا أحسن الأحوال قد نطقت
وكان ما صـار بـالحسنى التي سبقت
وهـذه ليلـة من لـؤلـؤ خُلقت حسنا وإن ظهرت في صبغـة السبج[1]
أكرم بهـا ليلـةً عظّمت حرمتهـا
ودمت أشكر مهما عشت نعمتهـا
ولم أخف من صروف الدهر نقمتها
جلت ثنـايـاك ذات الظلم ظلمتهـا ولم يكلهـا لضـوء الشمـع والسّرج
لّمـا تجنّبت عن علمي وعن عملي
شوقـا لرؤيـاك يـا سولي ويـا أملي
أفنى فِنـاك فنـائي وانقضى أجلي
فصـار ثبتـك في محـوي يحقـق لي إيجـاب سلبي من ستر ومن بهـج[2]
ومـذ تجلّيت في كل المظـاهر لي
ولاح معنـاك لي في السهل والجبـل

(١) السبجة : الكساء الأسود .
(٢) في (س) : « من سير ومن نهج » .

حققت رؤياك كشفا بالعيان جُلي

فلم أقـل للصّبـا من بعـــدهـــا احتملي   للحيّ شخصي ولا لي في الخيـام لُجي

١٨٤٠ ـ محمود بن سلمان بن فهد*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة الأديب الكامل البـارع النـاظم النـاثر القـاضي الرئيس الجليـل شهـاب الـدين أبـو الثنـاء الحلبي الـدمشقي الحنبلي ، صـاحب ديـوان الإنشـاء بدمشق .

سمـع من الرضيّ بن البرهـــان ، ويحيى بن عبـــد الرحمن بن الحنبلي ، والشيـخ جمال الدين بن مالك ، وابن هـامل المحدّث ، وغيرهم . وكان يـذكر أن لـه إجـازة من يوسف بن خليل ، وتفقه على ابن المنجا وغيره . وقرأ العربية على ابن مالك ، وتـأدّب بالشيخ مجد الدين بن الظهير الإربلي الحنفي ، وسلـك طريقـه في النظم وحـذا حـذوه وأربى عليه ، وإن كان قـد تلا تلوه ، لأنـه كان إذا نظم أخـذ الكلمـات حروفـا ، فـإذا ركّبهـا صـارت في الآذان شنوفـا ، يرشف السمـعُ منـه مـدامـه ، ويتعلم التغريـدَ منهـا الحمامة ، ويُسطرها فيرى الناس بدرها وقـد استفـاد تمـامـه ، وزَهْرَهـا وقـد شق الربيعُ كمّه ، وروضهاوقد جادته الغمامه . وإذا نثر فضح الدر في السلوك ، ورصّعه في تيجـان الملوك ، فكم من تقليد هو في يد صاحبه للسعد إقليـد ، وكم منشور[١] فيـه توليـد ، وهو بوجنـة السيـادة توريـد ، وكم من توقيع هـو قنـديـل[٢] يضيء لمن حـواه أو هـو في كأس مسرّتـه قنـديـد[٣] . وخطـه من أين للـوشي رقمـه أو للعقْـد نظمـــه أو للروض زهره أو

* الفوات : ٨٢/٤ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٢٤/٤ ، والشـذرات : ٦٩/٦ ، وذيول العبر : ١٤٠ ، والنجوم : ٢٦٤/٩ .

(١) في (س) : « وكم من منشور » .

(٢) (س) : « من قنديل » .

(٣) القنديد : عسل قصب السكر ، معرّب .

لطرف الحبيب سِحْرُه ، أو للنجوم طرائقه ، أو لخطوط إقليدس دقائقه ، أو للفكر الصحيح حقائقه ، قد نمّق أوضاعه المتأنّقة ، ونسخ محاسن مَن تقدّمه بحروفه المحققة :

يُنَمْنِمُ الخَطّ لا يجتاب أحْرُفَه ... والوشي مهما حكاها منه يجتابُ
لو لم يكن مستقيما بعدما سجدت ... فيه المعاني لقلت السطرُ محرابُ
أملى تصانيف في أكمامها ثَمَرٌ ... تجنيه بالفهم دون الكف ألبابُ

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ممَّن أتْقَنَ الفَنّين نَظْما ونثرا ، وبَرعَ في الحالين بديهة وفكرا . وكان هو يزعم أن نَثْره أَحْسَنُ من نظمه ، وأن بَدْره فيه أكمل منه في تمّه .

والذي أراه أنا ، وأبرأ فيه من العناية والعنا ، أن نظمه أعذب في الأسماع ، وأقرب إلى انعقاد الإجماع ، لأنه انسجم تركيباً وازدحم تهذيبا ، فسحَرَ الألباب ، ودخل بالعجب من كل باب ، وإن كان نثره قد جوّده ، وأجراه على قواعد البلاغة وعوّده ، فإن شعره أرفع من ذلك طَبَقة ، وأَبْعَدُ شأواً على مَن رام أن يَلْحَقَهُ ، وهو يحذو فيه حذو سبط التعاويذي . وقصائده مطوّلة فائقة ، ليس يرتفع فيها ولا يَنْحَطّ ، بل هي أنموذج واحد ليس فيها ما يُرمى . ولم يكن بغوّاص على المعاني ولا يقصد التورية ، فإنها جاءت في كلامه قليلة ، ومقاطيعه قليلة ، ولكن قصائده طويلة طائلة هائلة ، لعلّها تجيء في ثلاثة مجلدات أو أربعة ، ولم يجمعها أحد ، وهي كما قال ابن الساعاتي :

ناطقاتٌ بكلّ معنىً يضاهي ... نُكَتَ السِّحْر في عيون الملاح
من نسيب يهزّ عاطفة المجـ ... ـد ومدح يلين قلب السماح[1]

وأما نثره فيجيء في ثلاثين مجلدة . وكان أخيراً بالديار المصرية ، يُنْشئ هو ويكتب ولده القاضي جمال الدين إبراهيم ، فيجيء المنشور أو التوقيع فائقا في خطه ولفظه .

وعلى الجملة فلم أر مَن يصدق عليه اسم الكاتب غيره ، لأنّه كان ناظما ناثرا ، عارفا

(١) في الأصل : « ومجد » ، وأثبتنا ما في (س) .

بأيام الناس وتراجمهم ومعرفة خطوط الكُتّاب ، وله الروايات العالية بأمهات كتب الأدب وغيره ، ورأى الأشياخ وأخذ عنهم . وعُيِّن في وقت بالديار المصرية لقضاء الحنابلة .

وهو ـ رحمه الله تعالى ـ أحد الكملة الذين عاصرتهم وأخذت عنهم . وكان يكتب الإنشاء أولا بدمشق ، ثم إن الصاحب شمس الدين بن السلعوس[١] نقله إلى الديار المصرية لمّا توفي القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وتقدم ببلاغته وكتابته وإنشائه وسكونه وتواضعه[٢] .

وأقام بالديار المصريّة إلى أن توفي القاضي شرف الدين بن فضل الله بدمشق ، فجُهز مكانه إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء ، فأقام بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السبت ثاني عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة بدار الفاضل بدمشق داخل باب الناطفانيين[٣] ، وصُلّي عليه ضحى يوم السبت بالجامع الأموي ، وصلى عليه نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز والأعيان برّا باب النصر ، ودفن التي عمّرها لنفسه بالقرب من مسجد ابن يغمور[٤] ، وصُلّي عليه بمكة والمدينة .

ومولده في شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة .

وكان محباً لأهل الخير والصالحين ، مواظباً على النوافل والتلاوة والأدعية ، يستحضر ذلك ، ويذكر للموت دائما ، وعنده خوف من الله ـ تعالى ـ وعليه سكينة كبيرة[٥] ووقار .

(١) قوله : « ابن السلعوس » ، ليس في (س) .

(٢) في (س) زيادة : « وكتب الإنشاء مدة خمسين سنة بالشام ومصر » .

(٣) أحد أبواب الجامع الأموي في الجهة الشمالية ، ووقع في الأصل : « الناطقانيين » ، تصحيف .

(٤) جمال الدين موسى بن يغمور البـاروقي ، كان من جلّة الأمراء ، وولي نيابة مصر ونيابة دمشق (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٤/٥ ، والدارس : ٤٩٩/١ ـ ٥٠٠ .

(٥) في (س) : « كثيرة » .

ولَمّا مات رحمه الله تعالى كنت بالديـار المصريّـة فقلتُ أرثيـه ، ولم أكتب بهـا إلى أحد :

مـا حُـزْنُ قلبيَ في البَلْـوى بمحـدودِ ... ولا فـؤادِيَ في السَّلْـوى بمَعـدود
فـلا تَـذمَّ امرأ يَبكي الـدِّمـاء على ... أبي الثَّنـاءِ شهـاب الـدِّين محمـود
يا ساريَ اللَّيلِ يَبغي الفَضلَ مُجْتَهداً ... ارْجِع وحُـطَّ عَنِ المهريّـةِ القُـود(١)
مـاتَ الإمـامُ الـذي كنّـا نـؤُمُّ لـهُ ... فيما نـؤمِّلُـهُ من غَيرِ تَفنيـد
وأقفَرَتْ سـاحـةُ الآداب وانْـدَرَستْ ... مَعـالِمُ العِلْم منـهُ بعـد تَشْييـد
أما تَرى كَيفَ كُتّـابُ الأنـامِ غَـدَتْ ... أوراقُهُم وهي فيـهِ ذات تَسـويـد
هـو الإمـامُ الَّـذي لَمّـا سَما كَرَمـاً ... أَلْقَتْ إليـه المعـاني بـالأقـاليـد(٢)
طُوفـان علمٍ جَرَت فيـهِ السَّفينـةُ من ... آدابـهِ واسْتَـوَت منـهُ على الجودي(٣)
فليسَ بـاغي معـاليـهِ بـذي ظَفَرٍ ... وليسَ راجي أيـاديـه بمَرْدود
كأنَّ أقـلامَـهُ في الكَفِّ بـانُ نَقَىً ... حَمائِم السَّجْـعِ منهـا ذات تَغْريـد
فَيرجـع الطِّرس من نَقشٍ عليـهِ بَـدا ... كأنَّـه نَقشُ كفِّ الكاعِبِ الرّود(٤)
كم قَلَّدَ الـدَّهرَ عقـداً مِن قَصـائـدِهِ ... بـدُرِّ لفـظٍ بَـديعِ الرَّصفِ مَنضـود
وكَم حَبا الملـكَ تيجـان البَلاغَـةِ من ... تِلـكَ التَّـواقيـعِ أو تِلْـكَ التَّقـاليـد
وكم أفـادَ المعـاني مِن بَـلاغَتِـهِ ... مـا زانَهـا بـاخْتِراعـاتٍ وتَـوليـد
فَصـالَ إذْ صـانَ سِرّ الملـك مُنْفَرِداً ... على الأعـادي بكَيـدٍ غير مَكْـدود
فـلا قـوامُ القَنـا يَهتزُّ مِن مَرَحٍ ... ولا خُـدود المـواضي ذات تَـوريـد
وليس يُسمَـع لـلأبطـال هَمْهَمَـةٌ ... رعـودهـا خـار منهـا كل رِعْـديـد
تَـدبيرمَنْ حَلبَ الأيـام أشطرهـا ... مهـذّب الرّأي في عَـزم وتَسـديـد

(١) القود من الإبل : المنقادة المذللة ، والمهريّة : المهورة بالحرة .
(٢) (س) : « سما أدباً » .
(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ واسْتَوَت على الْجُودِيّ ﴾ [هود : ١١/٤٤] .
(٤) مخففة من الرؤود ، وهي المرأة الشابة الحسنة .

أراهُ إن قـامَ ذو فَضـلٍ بمنصبـه … قـالَ البيـانُ لـهُ قُم غيرَ مَطرود
أمّا ترسُّلُـه السهلُ البـديعُ فقـد … أقـامَ في شـاهِـقٍ بـالنَّجمِ معقـود
أنسى الأنـامَ بـهِ عبـدَ الرَّحيم كما … راحَ العِماد بقلبٍ غيرِ معمـود[1]
تراهُ إن أعمـل الأيـام مُرتَجِـلاً … قـالَ البيـانُ لهـا يـا سُحبَنـا جـودي
يُملي ويكتبُ من رأسِ اليَراعِ بـلا … فِكْرٍ فَيَـأْتي بسحرٍ غيرِ مَعْهـود
إذا سَمِعْنـا قـوافيـهِ وقـد نَجَـزَت … نَقـولُ من طَرَبٍ ألبـابنـا عيـدي
شاعَت فَضائِلُـهُ في النّـاسِ واشْتَهَرَت … وبـاتَ يُنْشِـدُهـا الرُّكبـانُ في البيـد
يـا مَن رَجعتُ بـهِ في النّـاسِ مَعرِفَـةً … من بعـدِ مـا زالَ تَنكيري وتَنكيـدي
ساعدت فيـكَ حمـامُ الأيـكِ نـائحـةً … فقصَّرت فيـكَ عن تَعـدادِ تَعـديـدي
لَهْفي عليكَ وهل يُجـدي التَّلهُّف أو … يفـكُّ أسرَ فـؤادٍ فيـكَ مَصْفـود
وحُرْقَتي فيـك لا يُطْفي تَلهُّبهـا … دَمعي ولو سـالَ في خَـدَّي بـأُخـدود
فـلا جَفَت قبركَ الأنـواءُ وانسَجَمَت … عليـهِ يـا خَير ذي صَمْتٍ وقـد نـودي

وكنتُ قد قرأت عليه (المقامات الحريرية) وانتهيت منها إلى آخر المقامة الخامسة والعشرين في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مئة ، فكتب هو عليها : قرأ عليَّ المولى الصدر فلان الدِّين ، نفعه[2] الله بالعلم ونفع بـه ، من أوّل كتاب المقامات إلى آخر الخامسة والعشرين قراءة تُطرب السامع[3] وتأخذ من أهواء القلوب بالمجامع ، وسأل منها عن غوامض تدلُّ على ذكاء خاطرِه المتَّقد ، وصفاء ذهنه العارف منه بما ينتقي وينتقد .. ورَوَيْتها له عن الشيخ الإمام مجد الدِّين أبي عبد الله محمد بن أحمد[4] بن الظهير

(١) في (س) : « منه معمود » . وعبد الرحيم هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي (ت ٥٩٦ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . والعماد هو الكاتب ، محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ) ، الوافي : ١٣٢/١ .
(٢) في الأصل : « نفع » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في (س) : « المسامع » .
(٤) (س) : « مُحَمَّد » ، سهو . انظر : فوات الوفيات : ٣٠١/٣ ، وسلفت الإشارة إليه .

الإرْبلي ، وساق سنده إلى الحريري ثم إنه كتب لي على آخرها وقد كَمَّلتُ قراءتها عليه بدمشق في ثاني عشر شهر الله المحرَّم سنة أربع وعشرين وسبع مئة :

قرأ عليَّ المولى الصَّدر الكبير الرئيس العالم الفاضل الْمُتْقِن الْمُجيد نظماً ونَثراً المحسن في كلِّ ما يأتي به من الأنواع الأدبيَّة بديهةً وفكراً .. فلانُ الدِّين نفعه الله بالعلم ونفع به[1] كتاب (المقامات الحريرية) قراءة دلَّت على تمكنه من علم البيان واقتداره على إبرازَ عقائلِ المعاني المستكنَّة في خدور الخواطر مجلوَّة لعيان الأعيان . وإنه استشفَّ أشعةَ مقاصدها بفكره المتَّقد ، وفرَّق بين قيم فرائدها بخاطره المنتقد ، فما تجاوز مكاناً إلاَّ وأحسن الكلام في حقيقته ومجازه ، ولا تعدَّى بياناً إلا وأجمل المقال في تردد[2] البلاغة بين بسط القول فيه وإيجازه ، ورَوَيْته له عن فلان ، وذكَرَ السند على العادة .

وكتب هو لي أيضاً على كتاب (الحماسة) :

قرأ عليَّ الصدر فلان الدِّين قراءة مطَّلعٍ من البلاغة على كنوزها[3] ، مُمَيِّزٍ في الصناعة بين لُجَيْن بديعها وإبريزِها ؛ باحثٍ عن إبراز[4] مقاصدهم التي لا توجد في كلام مَنْ بعدهم ، عالمٍ بقيم فرائدهم التي إذا ساواها بغيرها نُقَّاد الأدباء بسرح الامتحان والسبك نقدهم . ثم ذكر سنده فيها ، على العادة .

وكتب هو أيضاً على كتابه (أهنا المنائح[5] في أسنى المدائح) مما نظمه هو [في][6] مديح رسول الله ﷺ :

---

(١) زيادة من (س) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « تردد » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في (س) ، (ط) : « مواضع كنوزها » .
(٤) (س) : « أسرار » .
(٥) في الأصل : « المدائح » ، تحريف ، والكتاب مطبوع .
(٦) زيادة من (س) .

قرأ عليَّ المولى الصدر فلان الدِّين أيَّده الله تعالى هذا الكتاب والزيادات [١] الملحقة في آخره من نظمي أيضاً قراءةً دلَّت على وفور علمه ، وثَبْت [٢] رويّته في استنباط المعاني وقُوَّة إدراكه وسرعة فهمه ، وشَهدتْ بتمكُّنه في هذه الصِّناعة ، وأنبأتْ عما يُجْريه[٣] فكره من مواد البراعة على لسان اليراعة ، وأذنتُ له أن يرويها عني ، وغيرها ممّا قرأه عليَّ وما لم يَقرأه من نظمي ونثري ومسموعاتي وإجازاتي .

وكتبتُ أنا في آخر كتابه (حسن التَّوسل إلى صناعة التَّرسُّل)[٤] بعدما قرأته عليه في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة : قرأت هذا الكتاب على مصنِّفه الشيخ الإمام :

العالِمُ العَلاَّمَةُ الحِبْرُ الذي ... بَهَرَت عَجائبُهُ بَني الآدابِ
ودَنَتْ لَديهِ المشكلاتُ وطالَما ... جَمَحَت أوابِدُها على الطُّلابِ
مِن كلِّ قافِيَةٍ تهزُّ مَعاطِفَ الـ ... أيّامِ من سُكْرٍ بغير شَرابِ
ورسالةٍ غَلَبت عُقولَ أولي النُّهى ... وتلعَّبَت بالسّحرِ للألبابِ[٥]
الألْمَعيّ أخي الفَواضلِ والنَّدى ... الكاملِ الأدواتِ والأسبابِ

المفوَّه ، للدبّر ، المشير ، السفير ، يمين الْمُلْك[٦] ، يمين الملوك والسلاطين ، شهاب الدين أبي الثناء محمود صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس :

لا بَرِحَت أبكارُ أفْكارِهِ ... تُجْلى لَنا في حِبَرِ الحِبْرِ
ورَوضَةُ الآدابِ مُفْتَرَّة ... مِن لَفظِهِ عن يانِعِ الزَّهرِ

---

(١) (س) : « والزيادة » .
(٢) في الأصل : « وثبتت » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) في الأصل : « يجزئه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) من أشهر كتب الإنشاء ، مطبوع .
(٥) في (س) : « للسحر بالألباب » .
(٦) اليمين ههنا بمعنى اليمن ، وهذه العبارة : « يمين الملك » ليست في (س) .

ابن المولى الوليّ[1] الصالح السعيد زين الدين سلمان بن فهد رحمهما الله تعالى في مجالس آخرُها التاريخ المذكور ، وقد رأى أن ينظمني في سلك خَدَمِه ويُفيض عليَّ كما أفاض عليهم ملابس نعَمِه ، ويَحْشُرني في زمرة الآخذين عنه ويُقبسني أنوارَ كماله في التهذيب الذي لم تطمح النفسُ الأدبيّة أن تقبسها إلاّ منه .

وكتبتُ أنا على أول هذا الكتاب :

إذا كُنتَ بالإنشاء حلْف صبابَةٍ ... قُمْ واتَّخِذْ حُسْنَ التَّوسُّلِ واسطَةْ
بـهِ ختمَ الآدابَ مُنشيه للوَرى ... ولكن غَدا في ذلكَ العقد واسطَةْ[2]
إمامٌ لـهُ في العِلْمِ والجِسْمِ بَسْطَةٌ ... وكَفٌّ غَدَت في ساحَةِ الفَضلِ باسِطَةْ
فَطُوبى لِمَن أضحى نـزيلَ مقرِّهِ ... وقـابَلَـهُ يومـاً وقَبَّـلَ بـاسِطَـهْ

فلما وقف هو عليها كتب إليَّ رحمه الله تعالى :

أذا الـدُّرّ أم ذا الزَّهر لو كان حاضراً ... مَحاسِنَـه حسّانُ أصبَحَ لاقِطَهْ
وذا البَدر حَيثُ البدر في كَبِدِ السَّما ... على حبِّـه أطيـارُ عَقلي سـاقِطَـهْ
تَفَضَّلت غَرْسَ الـدِّينِ لَمّـا تقبّلت ... علومُـك أعمـالاً من النقص حابِطَه
وشيَّـدتَ إذ قيَّـدتَ فينا ضوابِطـاً ... قـواعِـدُها لولا وجـودُكَ هـابِطَـهْ

وقرأتُ عليه بعض (ديوان أبي الطَّيِّب) . وقرأت عليه (ألفية ابن مالك) ورواها لي عن المصنِّف .

ولَمّا قرأت عليه قوله في كتاب (حُسن التَّوسل) :

فلَم أرَ مِثْـلَ نَشرِ الرّوضِ لَمّـا ... تَـلاقينـا وبنت العـامريّ
جَرى دَمعي وأوْمَضَ بَرْق فيهـا ... فَقـالَ الرَّوْضُ في ذا العـامِ رِيِّي

---

(١) (س) : « الشيخ » .

(٢) بعد هذا البيت فقد ما يقارب ثلاث أوراق من (س) .

أخذتُ في الزهزهة لِما في هـذين البيتين من الجناس المركب ، وبالغتُ في الثناء عليهما فقال لي : خُذ نفسَك بنَظم شيءٍ في هذه المادة ، فامتنعتُ فقال : لا بدَّ من ذلك ، فغبت عنه يومي ، وجئته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي في هذه المادة :

بقـولِ الشّـافعيّ اعْمَـل تُحَقِّـقْ   مُنـاكَ فَما تَرى كالشَّـافعِيّ
فكَم في صَحْبِـهِ من بحرِ عِلمٍ   ومن حَبْرٍ ومِنْ كَشّـافِ عِيّ

فقال : حسن ، وعجَّبَ بها الحاضرين . ثم قال : إلا أنَّ قافيتي أنا رائيَّة ، فغبتُ عنه يومي وأتيته في غد ، وأنشدته لنفسي :

أرى في الْجَـوْدَرِيّـة ظَبي أُنس   فَيـا شَغفي بـهِ مِن جـو دريّ
لبـارق فيـهِ سَحَّتْ سُحبُ دَمعي   فقـالَ الرَّوْضُ إنَّ الْجُـودَ ريّ

وأنشدته لنفسي أيضاً :

أقـولُ لِمُقْلَتي لَمّـا رَمَت في   فُـؤادي حَسْرَةً من عَنبَريّ
سَلِمتِ وبـاتَ قلبي في عَـذابٍ   أَلَم يَخْشَى فُـؤادك عن بريّ[(١)]

فقال : حَسَنٌ لَسِنٌ[(٢)] ، وزاد في الإعجاب بذلك ، ثم قال : إلاّ إن قافيتي أنا مؤسَّسَةٌ ؛ يعني أن فيها الألف ، فأتيته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي أيضاً :

مَليـكٌ كَم سحـاب سَحَّ لي مِن   نَـداهُ الهـامعيّ الهـامِريّ
وقـالَ السَّيف في يُمنـاهُ لَمّـا   رأى الأعـداء : مِن ذا الهـام ريّ

فقال : أجَدْتَ ، ولكن أنا بيتاي في غزل ، وهذان في مَديح ، فغبت عنه يومي ، وجئته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي :

---

(١) كذا في الأصل و (ط) ، ليستقيم الوزن .
(٢) اللَّسِنُ : الفصيح . والمشهور في هذا السياق : حَسَنٌ بَسَنٌ على الإتباع .

مَليحٌ جاءَ بعدَ الحجِّ يُذكي غَرامي بالنَّسيمِ الحاجِريّ
تَلَظَّت منهُ أشواقي بقلبي وقالت : عندَ هذا الحاجِ ريبِيّ

فزاد في تقريظهما والثناء عليهما ، فقلت : يا سيدي ، والله ما يلحقك أحد في بيتك ، ولو كان المطوّعي[1] أو البُستي[2] . قال : ولِمَ ذاك[3] ؟ قلت : لأنك شاعرٌ مُجيدٌ فحلٌ وقعْتَ على المعنى بكراً فلم تدع[4] فضلة لغيرك ليأتي به[5] في تراكيبك العذبة الفصيحة ومعناه الحسن البليغ ، فبالغ في الجبر والصدقة .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قُل لي عن الحمّام كيفَ دخلتها يا مالِكي لِتَسُرَّ خِلاً مُشْفِقا[6]
أدَخلتَها وأُولئكَ الأقوام قد شَدُّوا المَآزِرَ فوقَ كثبانِ النَّقا

فاستحسنتُها ، وأنشدته لنفسي مضمّناً في اليوم الثاني :

مليحٌ أتى الحمّام كالبدرِ في الدُّجا ومَبسَمُه يُزري بزَهْرِ الكواكِبِ
وأردافُهُ مِنْ تَحْتِ مِئْزَرِهِ حَكَت بَياضَ العَطايا في سَوادِ المَطالِبِ

فأعجبه هذا التضمين كثيراً ، وأنشدني يوماً له :

إذا كانَ مَنْ أهواهُ روحي وراحتي ولُقياهُ أرجى من حَياتي وأرجَحُ
وأظْمأني منهُ الزَّمانُ بفَقْدِه فلا شكَّ أنَّ الموتَ أروى وأروَحُ

فاستحسنتُها ، وأنشدته لنفسي في اليوم الثاني :

(١) عمر بن علي ، شاعر رقيق من أهل نيسابور ، (ت ٤٤٠ هـ) . الأعلام : ٥/٥٥ .
(٢) علي بن محمّد ، شاعر عُني بالتجنيس ، (ت ٤٠٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ٣/٣٧٦ .
(٣) في الأصل : « ماذاك » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٤) في (ط) : « تدع فيه .. » .
(٥) قوله : « ليأتي به » مطموس في الأصل .
(٦) في الفوات : « يا صاحبي » .

لَئن كان ما بيَ عنك في الْحُبِّ خافياً — فـلاشـكَّ أنَّ اللهَ أعلى وأعلم
وإن كنتَ في إنسـانِ عَيني مُمَثَّـلاً — ففي خـاطِري ذكراكَ أغْرَى وأغرَم
وإن كنتَ أذْكَيْتَ الْجَوى بمدامعي — فنـارُ الهوى في القَلب أضرى وأضرَم
وإن كنتَ تختـارُ للنى في مَنِيَّتي — فَـواللهِ إنَّ للمـوتَ أسْلَى وأسْلَم

فقال : نَفَسٌ جيِّد دالٌّ على التمكُّن والقُـدْرَة ، ولكن اجتهِدْ إذا عـارضت أحـداً أن يكون قولك في وزنه ورَوِيّه ، فأنشدته في اليوم الثاني :

لَئن طلَبتْ نَفسي السُّلُوَّ عنِ الَّـذي — تَلِفْتُ بِـهِ فـالصَّبْرُ أنْجَى وأنْجَحُ
فقُل لِلْحَيا الهتانِ أمْسِكْ ولا تَرُم — مُسـاجَلَتي فـالـدَّمعُ أسمى وأسمحُ

فقال رحمه الله تعالى : أجدتَ بارك الله فيك .

وأنشدني يوماً لنفسه قولُه :

عُرَيْبٌ سَبَوا نَـوْمي ولم تَـدرِ مُقلَتي — كما سَلَبـوا قَلبي ولم تَشْعُرِ الأعضـا[1]
وطَلَّقت نـومي والْجُفونُ حَـوامِـلٌ — فمن أجلِ ذا في الخدِّ أبقَت لها فَرضا

فغبتُ عنه وأنشدته في اليوم الثاني :

سننتَ السُّهـادَ بنعِ الكَرَى — فـأظهَرْتَ في حـالـة بِـدعَتَيْن
وصيَّرتَ تكرارَ دَمعي على — خُـدودي من فَـوقِهـا فرضُ عَيْن

فأعجباه كثيراً .

وأنشدني قوله أيضاً مما كتب به إلى الملك المظفَّر صاحب حماة :

أمَّلتُ أنَّـكَ لا تَـزالُ بِكُـلِّ مَنْ — نـاواكَ من كلِّ الأنـامِ مُظفَّرا
ورَجَـوتُ أن تَطـأَ الكـواكب رِفْعَـةً — مِن فوقِ أعناقِ الوَرى وكذا جَرى[2]

(١) في الفوات : « كما سكنوا » .
(٢) (ط) : « الردى » .

فغبتُ عنه وأنشدته في اليوم الثاني :

أمّلتُ أن تتعطفـوا بـوصـــالكمْ ... فَرأيتُ مِنْ هجرانكم مـــا لا يُرى
وعَلِمتُ أن بعـــادكُم لا بُـــدَّ أن ... يَجْري لـهُ دَمعي دَمـاً وكـذا جَرى

فأعجباه كثيراً وزَهْزَهَ لها .

وأنشدني من لفظه لنفسه يعارض ابن الخِيَمي[(١)] :

قَضى ، وهـذا الـذي في حبِّهم يجبُ ... في ذِمَّةِ الوجدِ تِلكَ الرّوح تَحتَسِبُ
مـا كانَ يـومَ رَحيـلِ الحيّ عن إضَمٍ ... لرُوْحِـهِ في بَقـاءٍ بعـدَهُم أرَبُ
صَبٌّ بَكى أسَفـاً والشَّمْـلُ مُجتَمِـعٌ ... كأنَّـه كان للتَّفريـق يرتَقِبُ
نَـأوْا فَـذابَت عَليهِم رُوحُـه أسَفـاً ... مـا كانَ إلاّ النَّوى في حَتْفِه سَبَبُ[(٢)]
طـوبى لِمَنْ لم يبـدِّلْ دينَ حُبِّهِم ... بَل ماتَ وهو إلى الإخلاصِ منتَسِبُ
لـو لم يَمُت فيهِم مـا عـاشَ عنـدَهُم ... حيـاتُـه من وفـاةِ الحبِّ تَكتَسِبُ
بـانـوا وفي الْحَيِّ مَيْتٌ نـاحَ بَعْـدَهم ... وُرْقُ الحمام وسَحَّت دمعَها السُّحُبُ[(٣)]
وشَـقَّ غصنُ النَّقـا من أجلِـهِ حَـزَنـا ... جُيـوبَـه وأديرت حـولَـهُ العُـذبُ
وشـاهـدَ الغيثُ أنفـاسـاً يصعِّـدهـا ... فعـادَ والبرقُ في أحشـائـه لهبُ
لـو أنصفـوا وقفـوا حِفْظـاً لمُهْجَتِـه ... إنَّ الـوُقـوفَ على قَتْلى الهَـوى قُرَبُ
يـا بـارِقَ الثَّغرِ لَـو لاحَت ثُغـورُهُم ... وشِمْت بـارِقهـا مـا فـاتَـكَ الشَّنبُ
ويـا قضيبَ النَّقـا لـو لم تجِـد خَبراً ... عنـدَ الصَّبـا منهُم مـا هَـزَّكَ الطَّرَبُ
ويـا حَيـا جـادَهم إن لم تكُن كَلِفـاً ... «ما بالُ عينيكَ منها الماءُ يَنسَكِبُ»[(٤)]

---

(١) شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد (ت ٦٨٥ هـ) الوافي : ٢/٥٠ ، وقصيدة الشهاب محمود الآتية وكذا ما أنشأه المؤلف لنفسه مثبتان في ترجمة ابن الخيمي هذا .

(٢) في الوافي : « كمداً » .

(٣) في الوافي : « له الحمام » .

(٤) في الوافي : « منسكب » ، وهذا الشطر مطلع قصيدة لذي الرمة والبيت بتمامه : =

بـالله يـا نَسمات الرِّيـح أيْنَ هُمُ — وهَـل نَـأوْا أو دُمـوعي دونَهُم حُجُبُ
بـالله لَمّـا استَقَّلـوا عن ديـارِهِم — أحنَّت الـدَّار من شَـوقٍ أم النُّجبُ
وهـل وجـدتَ فـؤادي في رِحـالِهم — فـإنَّـه عنـدَهُم مِن بعضِ مـا سَلَبـوا[(١)]
نَـأَوا غِضـابـاً وقَلبي في إسـارِهِم — يـا لَيْتَهُم غَصَبـوا روحي ولا غَضِبـوا
عَسـاك أن تَعطفي نحـوي مَعاطِفَهم — فـالغصنُ بـالرِّيـح يَنْـأى ثمَّ يَقتَربُ
وإن رجَعتِ إليهم فـاذْكُري لَهُم — أنِّي شرَقت بـدَمعِ العينِ مُـذ غَرَبوا[(٢)]
ثمَّ اذْكُري سَفحَ دَمعي في مَعاهِدِهِم — لا يُـذْكَر السَّفْـح إلا حن مغتَرب[(٣)]

قلتُ : فأعجبتني هذه القصيـدة وهزَّت أعطـافي طربـاً ، لـما هزأت بـالروض وقـد مرَّت به نسمة الصَّبا وفارقَتْه . وتوفي رحمه الله تعـالى فـأنشـدتهـا يومـاً بـالقـاهرة لبعض الأصحـاب الأفـاضـل فـألـزمني بنظم شيءٍ في هـذه المـادة ، فـاستعفيت ، فلم يسعف بالإعفاء ، فقلتُ مع اعترافي بأنه شهاب في أوجه ، وأنا في حضيض من الحظ :

يـا جيرةً مُـذْ نَـأَوْا قَلبي بِهِم يَجِبُ — ولـو قَضى مـا قَضى بعضَ الَّـذي يَجِبُ[(٤)]
سِرْتُم وقَلْبي أسيرٌ في حُمـولِكُم — فَكيفَ يَرجِـعُ مُضْنـاكُم ويَنقَلِبُ
وأيُّ عَيشٍ لـهُ يَصْفـو بِبُعْـدِكُم — فـالجِسْمُ مُنْسَبِـكٌ والـدَّمعُ مُنْسَكِبُ[(٥)]
نـاحَت عَلَيَّ حَمامـات اللِّـوى ونَت — ولـو رَثَتْني مـا في فِعلِهـا عَجَبُ

= ما بـال عينـك منهـا المـاء ينسكب — كأنـه من كُلىً مفريّـة سرب
ديوانه ص : ٩ .
(١) في (ط) والوافي : « في بعض » .
(٢) في الوافي : « فاذكروا خبري » .
(٣) في الأصل : « حين يغترب » ، وفي (ط) : « مغترب » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) وجب القلب : خفق .
(٥) كذا في الأصل و (ط) ، وهو ملفق من بيتين كما في الوافي ، وهما :
وأيُّ عَيشٍ لـهُ يَصفـو بِبُعـدِكم — والقَلبُ مُضطرِمُ الأحشاء مُضطَرِبُ
أضرَمْتُم نـارَ أشـواقِيَ بِبَيْنِكُم — فـالجِسْمُ مُنسَبِكٌ والـدَّمْعُ مُنْسَكِبُ

تملي عليّ حمـــامـــات اللـوّى ورثت ... ولـو رثتني مـــا في فعلهــا عجب[(١)]
والغَيثُ لَمّـا رأى مـا قــد مُنيتُ بــه ... فكُلُّــهُ مُقَـلٌ بـــالـــدَّمـع تَنسَكِبُ
بـالله يــا صــاحَ روِّحْني بــذِكْرِهِم ... وزدْ عَسى أن يَخِفَّ الـوَجدُ والـوَصَبُ[(٢)]
ويـــا رَســولي إليهم صِفْ لَهُم أرَقي ... وأنَّ طَرْفي لضَيفِ الطَّيفِ يرتَقِبُ
واسْــأل مَـواهبهُم للعينِ بعضَ كرى ... عَســاي أن يهبُـوا لي بعض مـا نَهَبـوا
ولَطِّفِ القَـولَ لا تَـــأم مُراجَعــةً ... واشْـكُ الهوى والنَّوى قـد ينجـح الطَّلبُ
عرِّض بـذِكْري فـإن قـالـوا أتعرفُـهُ ... فسَـل ليَ الـوصـلَ وأنكرني إذا غَضِبـوا[(٣)]
ذَكِّرهُمُ بليـالٍ قـــد مَضَت كَرَمــاً ... وهُم نُجـومي بهـا لا السَبعــة الشُّهُبُ[(٤)]
هُمُ الرِّضــا والمُنى والقَصْــدُ مِن زَمَني ... وكلّ مــا أرتَجي والسُّـول والأرَبُ
وهم مُرادي على حــالَيْ وَفــاً وجَفــاً ... وبُغيَتي إن نَـــأَوْا عَنّي أو اقْتَرَبــوا
وهُم مَــلاذي إذا مـا الْخَطبُ خــاطَبَني ... وهُم عِيـاذي إذا مـا نـابَتِ النُّـوَبُ[(٥)]
هُم روحُ جِسمي الَّـذي يَحْيـا لشقـوَتِـه ... بهم فـــإنَّ حَيـــاتي كلّهــا تَعبُ
هُم نـــورُ عَيني وإن كانت لِبُعـــدِهِم ... أيــامَ عيشِيَ سـوداً كلهــا عَطَبُ[(٦)]
إن يَحضُروا فـــالبُكا غَطّى على بَصَري ... فَهُم حُضــــورٌ وفي الْمَعْنى هُمُ غُيَبُ
وإن يَغيبـوا وأهْـدَوا طَيفَهُم كَرَمــاً ... فـالسّهـدُ من دونِ مـا يَهـدونَـهُ حُجُبُ
فلـو فرضت انقِطــاعَ الـدَّمـعِ لم أرَهُمْ ... وصَـــدَّهُم عَنِّيَ الإجــلالُ والرَّهَبُ[(٧)]
فَما تَمَلَّت بــهِ عَيني بــلِ امْتَــلأت ... بـأدْمُعٍ خَجِلَت مِن دونِهـا السُّحُبُ[(٨)]

(١) بيّن أنّ هذا البيت تكرار لما قبله ، وليس في الوافي إلاّ واحد بلفظ : « ناحت ... ورثت » .
(٢) الوصب : المرض .
(٣) في الوافي : « فاسأل لي » .
(٤) في الوافي : « مضت بهم » .
(٥) ليس في الوافي .
(٦) في الأصل و (ط) : « تعب » ، وهو عيب في القافية ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٧) في الوافي : « والأدب » .
(٨) في الوافي : « من سحّها » .

لم تُتركِ التُّرك في شمسٍ ولا قَمرٍ حُسنــاً لغيرِهم يُعــزى ويَنتَسِبُ
لكنَّهُم لَم يَفُوا أن عــاهــدوكَ على وُدٍّ ومــا هكَــذا في فِعْلِهــا العَرَبُ [1]
خَـلا الغَـزالُ الَّـذي نَفسي بـه عَلِقَت فَكَم لـهُ مِن يَـدٍ في الفَضْلِ تُحْتَسَبُ [2]
لـهُ لَطـافـة أخـلاقٍ تُعَلِّمُ مَن لا يعرِفُ الـوَجْـدَ كيفَ الـذُّلُّ والْحَرَبُ
ولَحْظُـهُ الضَّيِّق الأجفـانِ وسَّعَ لي هُمـومَ وَجـدٍ لهـا في أضلُعي لَهَبُ
سُيـوفُ أجفـانـهِ المرضى إذا نَظَرت تغري الجـوانـح لا الهنـديّـةُ القضبُ
إذا انْثَنى سلبُ الألبـاب معطفُـه الـبـادي التّـأوّد لا الخطِّيَّـةِ السّلَبُ
وإن بَـدا فَبُـدورُ الأُفْـقِ في خَجَـلٍ تُرْخى على وجْهِهـا من سُحبِهـا نقبُ [3]
يـا بَرقُ لا تَبْتَسِم مِن ثَغْرِه عَجَبـاً قَـد فـاتَ مَعْنـاكَ منـهُ الظَّلْمُ والشَّنبُ [4]
ويـا قَضيبَ النَّقـا لَـوْ هَـزَّ قـامَتَـهُ لكُنتَ تَسْجُـدُ إجْـلالاً وتَقتَرِبُ [5]
شَمعي ضِيـا فَرقِـه والـوَردُ وجْنَتـه والرِّيـقُ خَمْري لا مـا يعصرُ العنبُ
ومُـذْ رَشَفتُ لَمَاهُ وهُـوَ مُبْتَسِمٌ مـا راقَ لي بَعْـدَهُ خَمرٌ ولا حَبَبُ

قلتُ : وقد سقتُ في ترجمة ابن الخيمي في (تاريخي الكبير) قصيدته البائية والقصيدة التي نظمها ثانياً لَمّا تحاكم هو ونجم الدِّين بن إسرائيل [6] إلى شرف الدِّين بن الفارض [7] ، وغير ذلك مما نظمه العفيف التِّلمساني وغيره .

وأنشدت يوماً أيضاً بعض الأصحاب الأعزّة بالقاهرة قولَ شيخنا شهاب الدِّين أبي الثَّناء محمود رحمه الله تعالى ، وهو :

(١) في الوافي : « من فعلها » .
(٢) في الوافي : « به ألفت » .
(٣) في الوافي : « من خجل » .
(٤) الشنب : ماء الأسنان .
(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ واسْجُد واقْتَرِب ﴾ .
(٦) محمد بن سوار (ت ٦٧٧ هـ) ، الوافي : ١٤٣/٣ . وقد مرَّ الخبر في ترجمة العفيف التلمساني .
(٧) عمر بن علي (ت ٦٣٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤٥٤/٣ .

تَثَنَّى وأغصـــانُ الأراكَ نَــواضِرٌ فنُحتُ وأسراب مِن الطَّيرِ عكّفُ
فعلَّم بــانــاتِ النَّقــا كيفَ تَنْثَني وعلّمت وَرقاءَ الحِمى كيفَ تَهتِفُ(١)

فألزمني بنظم شيءٍ في هذا المعنى ، فقلت : هذا يتعذر ، لأن هـذا استوفى المعنى ولم يترك فيه فضلاً ، وجوّد النظم فألفاظه في غاية الفصاحة وتراكيبُه في غاية الانسجـام ، فقال : لا بد من ذلك ، فقلتُ أنا مختصراً :

لم أنسَـــــهُ في روضَـــــةٍ والطَّيرُ يَصْـــدَحُ فـــوقَ غُصن
فـــــأعلِّم الـــــوُرق البُكا ويعلم البـــــــانُ التَّثَنّي

وأنشدته يوماً أيضاً من قصيدة :

وإن تُرِدْ عِلْمَ بَـــديـــعِ الهَـــوى بينَ الـوَرى فَـأْتِ فعِنْـديَ الْمُرادُ

الأبيات كلها ، وقد تقـدمت هـذه القصيدة في ترجمـة الملـك المؤيـد عمـاد الـدين إسماعيل بن علي صاحب حماة ، فأعجبه ذلك ، وألـزمني نظم شيءٍ في هـذه المـادة ، فنظمت ولكن ذاك بنى وأنا هدمت :

أنـــا والحبيبُ ومَن يَلـومُ ثَـلاثَـةٌ لَهُم بَـــديـعُ الْحُبِّ أصْبَـحَ يَنْتَمي
فَلِي الجِنـــاسُ لأن دَمعي عن دَمي يَجْري ألَسْتَ تَراهُ مِثـلَ العَنْـــدَمِ
ولـهُ مُطـابَقَـةُ التَّـواصُلِ بـالْجَفـا ولِعـاذِليــه لـزومُ مـــا لم يلــزمِ

وقلتُ أنا أيضاً في هذه المادة :

لا تَعْجَبــوا مِنـــهُ فَما حُسْنُـــه إلاّ بَليـــغٌ حِرْتُ في وَصْفِـــه
إن كانَ قـــد أوْجَـــزَ في خَصْرِهِ فَـــإنَّــه أطْنَبَ في رِدْفِـــه
ومـــا أتى بـــالـــوَاوِ في صُـــدْغِـــه إلاّ وقَـــد رَتَّبَ في عِطْفِـــه
ولَفَّ في البُرْدَةِ أعْطـــافَـــهُ حتّى يَطيبَ النَّشْرُ مِنْ لَفِّـــه

(١) في الفوات : « اللوى » .

وأنشدني شيخنا المذكور رحمه الله لنفسه :

رأتْني وقــــد نـــــالَ منِّي النُّحــولُ ... وفاضَتْ دُموعي على الْخَـدِّ فَيضـا[١]
فَقـــالَت بِعَينيَ هـــذا السّقـــامُ ... فقُلتُ صَـدَقتِ وبــالْخَصْرِ أيضـــا

قلتُ : هو من قول الأرّجاني :

غـــالطَتْني إذْ كَسَت جِسْمِيَ الضَّنـــا ... كُسوةً أعرَت منَ اللَّحمِ العِظـامـا[٢]
ثمَّ قـــالَت أنتَ عِنـــدي في الهَـوى ... مِثـل عَيْني ، صَدَقَتْ ولكِن سِقـامــا

وأنشدني لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة[٣] :

ومَلـولـــة في الحبِّ لَمّـــا أن رأتْ ... أثَرَ السَّقـــامِ بِعَظْمي الْمُنهـــاضِ[٤]
قـــالَت: تَغَيَّرنـــا . فقلتُ لهـــا : نعَم، ... أنـــا بـــالسَّقـــامِ وأنتِ بـــالإعْراضِ[٥]

قلتُ : لا يقـال إلا عظم مهيض ، وأمـا (منهـاض) فمـا أعرفـه ورد في فصيح الكلام ، و (السقام) لا علاقة له بالعَظم إنما هو باللحم والجلد معاً تبعاً لذلك .

ومن نظم شيخنا شهاب الدِّين ما كتب به إلى القاضي فتح الدِّين بن عبد الظاهر ، رحمه الله تعالى ، ومن خطه نقلتُ :

هَـل البَـدرُ إلا مـا حَـواهُ لِثـامُهـا ... أوِ الصُّبْـحَ إلاّ مـا جَـلاهُ ابْتِسـامُهـا[٦]
أوِ النّـارُ إلاّ مـا بَـدا فـوقَ خَـدِّهـا ... سَنـاهـا وفي قَلبِ الْمُحبِّ ضِرامُهـا
أقــامَتْ بِقَلبي إذْ أقــامَ بِحُسْنِهـــا ... فَــدارتُهـا قَلبي وداري خِيـامُهـا[٧]

(١) في الأصل : « دموعي مني فيضا » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات ، والنجوم .
(٢) في الفوات : « عرّت » .
(٣) ديوانه : ٢٨٢ .
(٤) في الديوان : « وملولة الأخلاق لَمّا ... بجسمي المنهاض » .
(٥) في الديوان : « أنا بالصدود » .
(٦) في الأصل : « ما جوته » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات .
(٧) في الفوات : « بحبها » .

مَهاةُ نَقا لو يُستَطاعُ اقتِناصُها ... وكَعبَةُ حُسْنٍ لو يُطاقُ اسْتِلامها
إذا ما نَضَت عَنها اللِّثامَ وأسْفَرَتْ ... تَقَشَّعَ عن شَمسِ النَّهارِ غَمامُها
نِهايةُ حَظِّي أنْ أقبّلَ تُربَها ... وأيسَرُ حَظٌّ لِلّثامِ الْتِثامُها
تُريكَ مُحَيّا الشَّمسِ في لَيلِ شعرِها ... على قَيدِ رمحٍ وجْهُها وقَوامُها
وتَزهى على البَدرِ المُنيرِ بأنَّها ... مَدى الدَّهرِ لا يَخْشى السرارَ تَمامُها[١]
تُغنّي على أعْطافِها وُرْقُ حَليها ... إذا ناحَ في هيفِ الغُصونِ حَمامُها
تردّد بينَ الخمرِ والسِّحرِ لَحظُها ... وحازَهُما والدُّرّ أيضاً كَلامُها
كِلانا نَشاوى غيرَ أنَّ جُفونَها ... مُدامُ الْمُعَنَّى والدَّلالُ مُدامُها
وليلَة زارَت والثُّرَيا كأنَّها ... نِظاماً وحُسْناً عِقْدُها وابْتِسامُها
فَحَيَّت فأحْيَت ما أماتَ صُدودها ... ورَدَّت فرَدَّ الرّوحُ فِيَّ سَلامُها
فقالَت بعَيني ذا السَّقام الذي أرى ... فقلتُ وهل بَلْوايَ إلاّ سقامُها
وأبْدَتْ ثَنايـاها فَقُلْ في خَميلَةٍ ... بَدا نَورُها وانْشَقَّ عَنها كِمامُها[٢]
وأبعدتَ لا بل سَمط درّ تَصونهُ ... بأصْدافِ ياقوتٍ لماها خِتامُها
وقالَتْ وما للعَيْنِ عَهْدٌ بطَيْفِها ... ولا النَّومِ مُذْ صَدَّت وعَزَّ مرامُها
لقَد أتْعَبَتْ طَيفي جُفونُك في الدُّجا ... فقلتُ سَلي جَفْنَيْكِ أينَ مَنامُها[٣]
وما علمت أن الرُّقادَ وقد جَفَت ... كَمثلِ حَياتي في يَدَيها زِمامُها
وكَم لَيلَةٍ مَرَّت وفيها نُجومها ... كأنّيَ راعٍ ضَلَّ عَنهُ سَوامُها[٤]
كأنَّ الذَّراري والهلال ودارَة ... حَوَتْهُ وقَد زانَ الثُّريا الْتِئامُها[٥]

---

(١) في الفوات : « فإنها » .
(٢) في الأصل : « ثناها » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .
(٣) في الفوات : « أتعبت عيني » .
(٤) في (ط) والفوات : « وكم ليلة سامرت فيها » .
(٥) في الفوات : « كأنَّ الذَّراري » .

حَبابٌ طَفا مِن حَولِ زَورَق فضّةٍ بكفِّ فَتاةٍ طافَ بالرّاحِ جامُها[١]
كأنَّ نُجوماً في الْمَجَرَّةِ خُرَّدٌ سَواقٍ رَماها في غَديرٍ زحامُها
كأنَّ رياضاً قَد تَسَلْسَل ماؤها فَشَقَّت أقاحيها وشاقَ خزامُها
كأنَّ سَنا الْجَوزاءِ إكليلُ جَوْهَرٍ أضاءَت لَياليهِ وراقَ انتظامُها
كأنَّ لَدى النسرَين في الجوِّ غلمَةً رُماة رَمى ذا دونَ هذا سِهامُها
كأنَّ سُهَيلاً والنُّجوم وراءَهُ صَلاةُ صُفوفٍ قامَ فيها إمامُها[٢]
كأنَّ الدُّجى هَيجاء حَرْبٍ نُجومُه أسنتها والبَرق فيها حُسامُها[٣]
كأنَّ النُّجومَ الهادياتُ فوارسٌ تَساقَط ما بينَ الأسنَّةَ هامُها[٤]
كأنَّ سَنا المريخ شعلَةُ قابسٍ تَلوحُ على بُعْدٍ ويَخْفى ضِرامُها
كأنَّ السُّها صَبٌّ سَها نَحْوَ إلْفِهِ يُراعي اللَّيالي جفنهُ لا ينامُها
كأنَّ خفوق القَلبِ قلبُ مُتَيَّمٍ رأى بلدَةً شَطت وأقوى مَقامُها[٥]
كأنَّ ثرَيا أفقهِ في انبساطها يمين كريمٍ يُخافُ انْضمامُها
كأنَّ بفتْحِ الدِّين في جودِه اقْتَدَت فرَوَّى الرّوابي والإكامَ ركامُها
كأنَّ بيُمناهُ اقْتَدى يُمْن نَوْئِها فَعَمَّت غَواديها وأخصَبَ عامُها
كأنَّ بهِ من لَفظِهِ قد تَشَبَّهَت فَفاقَ عُقودَ الدُّرِّ حُسناً نِظامُها
كريمَ الْمُحَيّا لو يُقابل وجهَه سحابَةُ صَيفٍ لاستهل جِهامُها[٦]
بهِ جَبَرَ اللهُ البِلادَ وأهْلَها ولولاهُ ما شامَ السعادة شامُها[٧]

---

(١) في الأصل : « صفا » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات . وفي الفوات : « رفرف فضة » .
(٢) وفي الفوات : « صفوف صلاة » .
(٣) في الفوات : « جرت نجومه » .
(٤) في الفوات : « كأن الرّجوم » .
(٥) في الفوات : « رأى بلدة الأحباب أقوى ... » .
(٦) في الأصل : « لم يقابل » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٧) في الأصل : « سام » ، وأثبتنا ما في (ط) .

بـــهِ عَصَم اللهُ الأقـــاليمَ إذْ غَـــدا ... بـأقْلامِـهِ بعـدَ الإلـهِ اعتِصـامُهـا
بـآرائــهِ وهي السَّـديـدةُ أُحكِمَت ... عُراها فـلا يُخْشى عليها انفِصـامُها
بـهِ الـدَّولـةُ الغَرّاءُ أشْرَقَ نـورُهـا ... فَجابَ البَرى وانْجابَ عنها ظلامُها
بِما نَشَرَت مِن عَـدْلِـهِ في بِـلادِهـا ... يَزيـدُ على عُمرِ الـدُّهـورِ دوامُها [1]
إليـــهِ انتَهى عِلمُ البَيـــانِ وإنَّـــهُ ... لَفي كُـلِّ أنـواعِ العُلـومِ إمـامُهـا
تميتُ العِـدا قَبـلَ الكَتـائبِ كُتْبُـهُ ... فـألْفـاظُـهُ وهيَ الْحَيـاةُ سِهـامُهـا
لـهُ عَـزْمَـــةٌ في اللهِ للكُفْرِ حَرُّهـا ... وللـدِّينِ منهـا بَرْدُهـا وسَـلامُهـا
إذا الْخَيلُ صَلَّت في الحديدِ جيـادُها ... وعبَّت نَهـاراً في النَّجيـعِ صِيـامُها [2]
وأضْحَت وكالأمـواجِ في بَحْرِ نَقْعِها ... تَـدفّقها أو كالجِبـالِ اضطِرامُهـا
تَــلا رَأْيُــهُ آيَ الفُتـوحِ على العِـدا ... فَوَلَّت وقد أضْحَت عِظاماً عِظامُها
ففي سـورَةِ الفَتْـحِ الْمُبينِ ابْتِـداؤها ... ومِن آيَـةِ النَّصرِ العَـزيـزِ اخْتِتـامُها
فرَدَّ جُيـوشَ الشِّركِ بعـدَ اصْطِـلائـهِ ... لَظاها وقَد أخْنى عَليـهِ اصْطِلامُها [3]
جـــوادٌ بِما شــاءَ العفـــاةُ كأنّما ... لها في يَـدَيْـهِ حُكْمُهـا واحتِكامُها
تَقيٌّ لـــهُ في الحـقِّ نَفسٌ أبيَّـــةٌ ... وإن كُفَّ بـالصَّفْحِ الجميـلِ انتِقـامُها
كَريمٌ عَريـقٌ أصلُـــهُ وبنفسِـــهِ ... معَ الأصلِ دونَ النّاسِ سادَ عِصامُها
إذا ألِفَ الآراءَ أَلَّفَ وضعهـــا ... فليسَ بمغنٍ للعِـدا منـــهُ لامُهـا
روى زينةَ الـدُّنيا فـأضْحى لزُهدِهِ ... سَـواءٌ عليهـا ريّهـا وأُوامُهـا [4]
وأعرضَ عنها وهي في عَصْرِ حُسْنِها ... وقَـد زادَ فيـهِ وجْـدُهـا وغَرامُها
ولا زُهْـدَ إلاّ وهي بَيضـاءَ غَضَّـةٌ ... يَروقُ العُيونَ الشّائمـاتِ وشـامُها
يُسِرّ اصطِناعَ البِرِّ في النّاسِ جاهِداً ... لِيَخْفى وهَل يُخْفي الشُّموسَ اكْتِتامُها

(١) في الأصل : « نشر » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٢) جمع صائم ، وهي من الخيل : القائم على قوائمه الأربع من غير حفاء .
(٣) في الأصل : « أحنى » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٤) في (ط) : « زوى » . والأوام : شدّة العطش .

ويَغتَنِمُ الأخرى بِـدُنيـاهُ عـالِماً وقَـد حـازَها إنَّ النَّجـاةَ اغتنـامُهـا
تَقاسَمَتِ الأوقـاتُ دُنيـاهُ فـاغْتَـدَتْ وقد أحرَزَ [الأجرَ] الجميلَ انقسامُها[١]
فقـامَت بـأوقـاتِ الصَّلاة صـلاتُهـا وصـانَ ذمـارُ الكافرينَ صيـامُها[٢]
رأيتُ عُـلاهُ فـوقَ نَظْمي وإنَّني بَليـغٌ ولكِن أينَ منِّي مرامُهـا
فعُدْتُ بِـهِ من خُطَّـة العَجـزِ دونَها ومـا كُنتُ يومـاً قبـلَ ذاكَ أسـامُها
فـلا زالَتِ الـدُّنيـا وأيّـامُهـا بِـهِ برَغمِ العِـدا عَمَّ الـوجـوهَ وشـامُهـا

ومن إنشائه البديع وحَوْكه الذي قصَّر عنه الحريري وبَعُد عن البديع كتاب في وصف الخيل : وينهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وُجِد الخير في نواصيها[٣] واعتدَّ حصنها حصوناً يُعتصم في الوغى بصياصيها .

فمن أشهبَ غطاه النهار بحُلّته ، وأوطأه الليل على أهلّته ، يتموَّج أديمه ريّاً ويتأرجح ريّاً ، ويقول مَنْ استقبله في حُلَى لجامه : هذا الفجر قد أطلع الثُّريا ، إن[٤] التقت المضائق انساب انسياب الأيم[٥] ، وإنْ انفرجت المسالك مرَّ مرور الغيم . كم أبصر فارسُه يوماً أبيض بطلعته ، وكم عاين طرفُ السنان مقاتل العدا في ظلام النقع بنور أشعته ، لا تستنّ[٦] داحس في مضماره ، ولا تطلع الغبراء في شق غباره ، ولا يظهر لاحقٌ[٧] من لحاقه بسوى آثاره ، تسابق يداه مرامي طَرْفه ، ويُدرك شوارد البروق ثانياً من عِطْفه .

(١) الزيادة من (ط) . وبها يستقيم الوزن .
(٢) (ط) : « بأنواع الصلاة » .
(٣) أفاد من الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » . انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٣/٢ .
(٤) (ط) : « إذا » .
(٥) الأيم : الحيّة .
(٦) أي : لا تجري .
(٧) داحس والغبراء ولاحق ، من أسماء خيول العرب .

ومن أدهم حالك الأديم ، حاليَ التشكيم[١] ، له مقلةُ غانيةٍ وسالفةُ ريم ؛ قد ألبَسَه الليل بُرْده ، وأطلعَ بين عينيه سَعْده ، يظنُّ من نظر إلى سواد طُرَّته ، وبياض حُجولِه وغرّته أنه توهم النهار نهراً فخاضه ، وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك لمخاضة . ليِّن الأعطاف ، سريع الانعطاف ، يُقْبِلُ كالليل ويمرُّ كجلمودِ صخر حطَّه السَّيل[٢] ، يكاد يسبق ظلَّه ، ومتى جارى السهمَ إلى غرض سبقه قبله .

ومن أشقر وشّاهُ البرقُ بلَهَبه ، وغشَّاه الأصيلُ بذهبه ، يتوجَّسُ ما لديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين ، وينزل عذارُ لجامه من سالفتَيْهِ على شقيقتين . له من الرّاح لونُها ، ومن الرِّيح لينها ، إن جَرَى فبرق خَفَقْ ، وإن أُسْرِج فهلالٌ على شفَق ، لوأدرك أوائل حرب ابني وائل[٣] لم يكن للوجيه وجاهه ، ولا للنعامة[٤] نباهه ، وكان تَرْكُ إعارة سكاب[٥] لوماً وتحريمُ بيعها سفاهة ، يركض ما وجد أرضاً ، وإذا اعترض به راكبُه بحراً وثَبَ عرضاً .

ومن كُميت نَهْد ، كأنَّ راكبه في مهد ، عندميّ الإهاب[٦] . « يزلُّ الغلامُ الخف

---

(١) التشكيم : وضع اللجام في فم الفرس ، والشكيمة حديدة اللّجام .

(٢) يشير إلى قول امرئ القيس في صفة فرسه :

مِكَرٍّ مُفرٍّ مُقبِل مُدْبِرٍ معاً ... كجُلْمودِ صَخْرٍ حطَّهُ السَّيلُ مِن عَلِ

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ص ٨٣ .

(٣) بكر وتغلب وحربها اشتهرت باسم حرب البسوس .

(٤) الوجيه والنعامة من أسماء خيولهم ، والنعامة فرس الحارث بن عُباد البكري ، القائل :

قَرِّبا مَرِبطَ النَّعامَةِ منِّي ... لقحت حربُ وائلٍ عن حيال

انظر : أسماء خيل العرب للأعرابي : ١١٨ ، ١٥٧ .

(٥) الوجيه والنعامة من أسماء خيولهم ، والنعامة فرس الحارث بن عُباد البكري ، القائل :

أبيت اللّعن إنَّ سكاب علق ... نفيس لا يعار ولا يباع

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٣٨٩/٢ .

(٦) في (ط) زيادة : « شمألي الذهاب » .

عن صهواته »[١] ، وكأنَّ نغَم الغريض ومعبد في لهواته . قصير المطا ، فسيح الْخُطا ، إن ركب لصيد قيَّد الأوابد ، وأعجل عن الوثوبِ الوحوشَ اللوابد ، وإن جُنِبَ[٢] إلى حرب لم يزوَرّ من وقع القنا بلبانه ، ولم يَشكُ لوعلم الكلام بلسانه[٣] ، ولم يُر دون بلوغ الغاية وهو في عرض راكبه ثانياً من عنانه ، وإن سار في سهل اختال براكبه كالثمل ، وإن أصعد في جبل طار في عِقابه[٤] كالعُقاب ، وانحَطَّ في مجاريه كالوَعل ، متى ما تَرْقَ العين فيه تَسَهّل ، ومتى أراد البرقُ مجاراته قال له الوقوف عند قَدره ما أنت هناك فتمهَّل .

ومن حبشيّ أصفر يروق العين ويشوق القلب بمشابهة العين ، كأنَّ الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالاً ، وكأنه نفرَ من الدُّجا فاعتنق منه عُرَفاً واعتلق حجالاً ، ذي كفل يزين سرجه ، وذيل يسدُّ إذا استدبرته منه فَرْجَه ، قد أطلعته الرياضة على مراد راكبه وفارسه ، وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع وتوشيع ملابسه ، له من البرق[٥] خفة وطئه وخطفُه ، ومن النسيم طروقه ولطفه ، ومن الريح هزيزها « إذا ما جرى شأوين وابتلَّ عطفُه » ، يطيرُ بالغمز ، ويدرك بالرياضة مواضعَ الرَّمز ، ويغدو كألف الوصل في استغناء مثلها عن الهمز .

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة ، وتمامه :

ويُلوي بأثواب العنيفِ المثقَّلِ

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ٨٧ .

(٢) جنب : قيد ، يقال : فرس طوع الجناب ، وطوع الجنب : إذا كان سلس القياد .

(٣) يشير إلى بيت عنترة في صفة فرسه :

فازوَرَّ من وَقعِ القَنا بلِبانِه ... وشكا إليَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ
لو كانَ يَدْري ما الْمُحاوَرَةُ اشْتَكى ... أو كانَ لو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمي

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٤) رؤوس الجبال .

(٥) في الأصل : « من برق » ، وأثبتنا ما في (ط) .

ومن أخضر حكاه من الروض تفويفه ، ومن الوشي تقسيمه وتأليفه ، قد كساه الليل والنهار حلتَيْ وقارٍ وسناً ، واجتمع فيه من البياض والسواد ضدّان لما استجمعا حَسُنا[١] ، ومنحه الباري حلة وشيه ، ونَحَلَتْه الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفةَ مشيه ، يعطيك أفانين الجري قبل سؤاله ، ولَمّا لم يُسابقه شيء من الخيل أغراه حبُّ الظفر بمسابقة خياله ، كأنه « تفاريق شيب في سواد عذار » ، أو طلائع فجر خالط بياضه الدُّجا فما سجى ، ومازج ظلامه النهار فما انهار ولا أنار ، ينحال لمشاركة بينه وبين الماء في السير كالسيل ، ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البَرْقيّة من الخيل[٢] . ويكذّب المانوية لتولد اليُمن بين إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حَرَم وجريُه ضَرَمٌ ، إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عَدَم ، وإن صُرّف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان « وفعْله ما يريد الكفّ والقدم » . قد طابق الْحُسْنُ البديع بين ضدَّي لونه ، ودلَّت على اجتماع النقيضين علة كونه ، وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، وأخذ وصف حُلّتي الدُّجا في حالتي الإبدار والإسرار[٣] ، لا تكِلُّ مناكبه ، ولا يضلُّ في حجرات الجيوش راكبه ، ولا يحوج ليلَه المشرق لمجاورة نهاره إلى أن تُسترشد فيه كواكبُه ، ولا يجاريه الخيال فضلاً عن الخيل ، ولا يمل السّرى إلا إذا ملّه مُشْبِهاه[٤] النهار والليل ، ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الأثر ، فإن جهدت فبالذيل ، فهو الأبلق الفرد ، والجواد الذي لمجاريه العكس وله الطّرد[٥] ، قد أغنته شُهرة لونه في جنسه عن

---

(١)

ضدّان لما استجمَعا حَسُنا والضِّدُّ يُظهِرُ حُسْنَه الضِّدُّ

والبيت من الدرة اليتيمة في صفة امرأة .

(٢) لعلّه أراد الخيل المنسوبة إلى (البرق) فرس ابن العرفة . انظر : القاموس (برق) .

(٣) (س) ، (ط) : « السرار » .

(٤) في الأصل : « مشبهات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٥) فيه تورية بمصطلحات علم البديع .

الأوصاف ، وعدل بالرياح عن مباراته سلوكُها من الاعتراف له جادّةَ الإنصاف ، فترقّى المملوك إلى رتب العزّ من ظهورها ، وأعدّها لخطبة الجنان إذ الجهاد عليها من أنْفَس مهورها ، وكَلِف بركوبها فكلّ ما أكمله عاد ، وكلّ ما ملّه شَره إليه ، فلو أنه زَيْدُ الخيل[1] لَمَا زاد ، ورأى من آدابها ما دلّ على أنها من أكرم الأصائل ، وعلم أنها ليومَي حربه وسلمه جنّة الصّايد وجُنّة الصائل . وقابل إحسان مُهديها بثنائه ودعائه ، وأعدَّها في الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه ، والله تعالى يشكر برّه الذي أفرده في الندى بمذاهبه ، وجعل الصافنات[2] الجياد من بعض مواهبه ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه رسالة في البُندق ، وذكر الأربعة عشر واجباً ، وهي من بدائع أعماله وما أظنُّ أحداً يأتي بنظيرها ، وقد سُقتها بكمالها في (تاريخي الكبير) ، وسُقت كثيراً من نثره ونظمه .

وكتب إليه ناصر الدين حسن بن شاور المعروف بابن النقيب :

يا فاضلاً وافى محلّيَ زائراً ... مُتَفَضِّلاً والفضلُ للمتَقَدِّمِ
ومُشَرِّفي ومُشَنِّفي بسَلامِه ... وكلامِه ومُبجلي ومُعظمي
أنتَ الشِّهابُ الثّاقبُ الذِّهن الذي ... أضحَتْ ذكاء إلى ذكاهُ تنتمي
والواضِحُ الخطِّ المحقّق أصلُه ... والطاهر القلم الموقّع والفمِ
شعر كثير الدّرِّ أو تِبْر غدَت ... في خجلةٍ منهُ ذراري الأنجُمِ
مولايَ زوِّدني فإنِّي راجلٌ ... من لَفظِكَ العالي المحلِ المُعلَمِ
وابعَثْ إليَّ بفذِّ شيءٍ منهُما ... وامْنُن عليَّ وجُدْ بذلكَ وانعمِ

فأجابه بقوله :

يا سَيِّداً لَمّا وطِئْتُ بِساطَهُ ... حدَّثتُ آمالي بفَيْضِ الأنْجُمِ[3]

(١) الطائي ، شاعر معروف ، اشتهر بوصف الخيل ، وسلفت الإشارة إليه .
(٢) الصافنات من الخيل : ما يقوم على ثلاث قوائم .
(٣) في (س) : « بقبض » .

أنتَ الّـذي روّى المسـامِـعَ والقَنـا ... ذي مَن فَضائِلِه وتِلـكَ منَ الـدَّمِ
كَم قـد منعتَ بـأخـذِ كلِّ مـدرّعٍ ... حـامي الحقيقـةِ معلّماً من معلّمِ
وفتحتَ من حصن بشدِّك في الوَغى ... بـالرّمـحِ ثَغرَ الفـارِسِ الْمُسْتَلئِمِ
وافَيتَ رَبعـكَ ظـامِئـاً مُسْتَمْطِراً ... أنـواءَ شِعرِكَ في شعـارٍ مُسَلّمِ
فبَعَثتَ لي وَطْفـاءَ لـو لم يُغْضِ من ... خَطَفاتٍ وامِض بَرقِها طَرفَيْ عَمي[١]
مبيّـةً لَمّـا لثمتُ سطـورَهـا ... حَسَـدتْ على تَقبيلهـا عيني في
يا نـاصرَ الـدّين الـذي شرُفَت بـهِ الـ ... الآدابُ [إذ] أضحَت إليـه تَنتمي[٢]
يـا مـالِكاً حُـزني على زَمنٍ مَضى ... في غيرِ خـدمتِـه كحـزنِ مُتَيَّمِ
سَيَّرتَ إنعـامـاً شَغلتَ بشكْرِه ... عَبـداً يَرى إيجـابَ شكرِ الْمُنْعِمِ

وكتب إليه السّراج الورّاق ملغزاً في (سُجّادة) :

يـا إمـامـاً ألفـاظُـه الغرّ في الأسـ ... ـماعِ تُـزْري بـالـدُّرِّ في الأسماطِ
وشِهـابـاً تجـاوَزَ الشُّهبَ قَـدْراً ... فغَـدَتْ عن عُـلاهُ ذات انحِطـاطِ
أيّ أنثى وطِئَت منهـا حَـلالاً ... مُستَبيحـاً مـا لا يُبـاحُ لـواطِ
لم أحـاوِلْ تَقبيلَهـا غيرَ خَمسٍ ... حالَ زُهدي فيها وحالَ اغتِباطِ[٣]
وهي مَملـوكَـةٌ وعنـدَ أنـاسٍ ... وهي ستّ على اختِلافِ التّعـاطي[٤]
وهي في صـورةٍ خُماسيّـةٍ مـا ... قَهقَهت ولا دَنت للبـواطي[٥]
ومصيبُ الإيمـان يسعى إليهـا ... طـالَبَ الله وهـو عَبـد خـاطِ[٦]
وأرى أن تحلّهـا بيمين ... ويسـار فقـد غَـدَت في ربـاطِ

(١) في (س) : « يخض » .
(٢) الزيادة من (س) ، وبها يستقيم البيت .
(٣) في الفوات : « اغتباطي » .
(٤) في الفوات : « هي ست » ، بلا واو .
(٥) في الفوات : « فهقت » ، والفهق : الامتلاء .
(٦) في الفوات : « وتصيب » .

فكتب إليه الجوابَ ، ومن خطه نقلتها :

يـاسِراجـاً لمـا سمت بـاسمــه الشمسُ غَــدا البــدر دونَهــا في انحطــاطِ
أنتَ بحرٌ نـــداكَ مــوجٌ وألفـــا ظــكَ دُرّ وصنعُ يُمنــاكَ شــاطي
لاتلمني إذا نظمت معــــــــانيــ ـك فمن دُرّ فيـكَ كان التَّعـاطي[1]
أنتَ ألغــزتَ في اسم ذاتِ رقـــاعٍ لم تجـاهِـد وكم غَــدَت في رِبــاطِ
خَمســاهــا عُشْرٌ وللعشرِ فيهـا خطـوات براحَـــةٍ وانبســـاطِ
حــــازَهــا تـــابـعُ المجلّي فجــازَ السَّبْـقَ من دونِـــهِ بغيرِ اشتراطِ
مُـذْ عَـلاهـا في أول الصَّفِّ أضحى كسُليمـانَ فـوقَ ظَهرِ البِســاطِ[2]

وأنشدني من لفظه لنفسه علاء الدين ألطنبغا الجاولي مما كتب به إلى شيخنا رحمه الله تعالى :

قـالَ النُّحـاةُ بـأنَّ الاسْمَ عنــدَهُمُ غيرُ المُسَمَّى وهـــذا القَـولُ مَردودُ
الاسم عينُ المسمّى والـــدَّليـل على مـا قلتُ أنَّ شهـابَ الـدِّين محمـودُ

وكتب إليه شهاب الدين العزاريّ مترجماً :

إذا مـــا شئت تلبَسَ ثـوبَ فخرٍ وتسحبُ ذيـلَ مكرمـــةٍ وحَمـــدِ
فَكُن في سُـــؤددٍ وعليّ فضـــلٍ كمحمـود بن سَلمــان بن فهـــدِ[3]

فكتبَ هو الجواب إليه عن ذلك :

أتـــاني من شهـــابِ الـــدِّين برٌّ أبرّ بـــهِ على شكري وحَمـــدي
فصِرْتُ بـــهِ ولم أكُ جـــاهِليّــاً لأحمـــدَ طـولَ دهري عَبْـــدَ ودٍّ

---

(١) في (س) والفوات : « التقاطي » .
(٢) (س) : « متن ظهر » ، وفي الفوات : « فوق متن » .
(٣) (س) : « وعلوّ » .

وشرَّفني بنظمٍ كلُّ بيتٍ تُفرِّد منه واسِطَة لعِقْدِ
وأطلعَ في سماءِ الطِّرسِ منهُ كواكِبُ كلهنّ نجوم سَعدِ
وأفحمني مما استمكنتُ أنِّي أجاوِبُ نقدَهُ إلا بِوَعْدِ
كَسانِي في الثَّناءِ أجلَّ مِمّا كَساهُ سِوايَ بشارُ بن بُردِ
فلا بَرِحَت فوائدُه إذا ما هَفا بي الفِكرُ يهدى لي فيُهدي

١٨٤١ ـ محمود بن شروين*

الأمير نجم الدِّين[(١)] وزير الشرق والغرب .

وفد على السلطان الملك الناصر محمد في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وكان في تلك البلاد وزير بغداد ، ولَمّا سلَّم على السلطان وقبَّل الأرض ثم قبَّل يده حطَّ في يد السلطان حَجَر بلخش وزنه أربعون درهماً قُوِّم له بمئتي ألف درهم ، ثم إن السلطان أمَّره مئة ، وأعطاه تقدمة ألف . ولَمّا توفي وصَّى بأن يكون بعده وزيراً ، فرُتِّب وزيراً في أول دولة المنصور أبي بكر ، وعامَل الناس بالجميل .

ولم يزل كذلك إلى أيام الملك الصالح إسماعيل ، فحظي عنده ، وتقدم كثيراً ولازمه ونادمه ، ولَمّا ولِيَ الكامل شعبان عزله عن الوزارة . [وأبعده ، فلَمّا تولَّى الملك المظفر حاجّي أعاده إلى الوزارة][(٢)] .

ولم يزل على ذلك إلى أن أُخرج إلى الشام في أوائل شهر رجب أو أواخر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة هو والأمير سيف الدِّين بيدمر البدري ، والأمير سيف الدِّين طغاي تمر النجمي الدوادار بَغْتَة على الهجُن . فلَمّا وصلوا إلى غزة لحقهم الأمير سيف الدِّين منجك فقضى أمر الله فيهم .

* الدرر : ٣٣١/٤ ، والذيل التام : ٩٢ ، والنجوم : ١٨٣/١٠ ، وفيها : محمود بن علي بن شروين .

(١) قوله : « الأمير نجم الدين » ليس في (خ) .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

١٨٤٢ - محمود بن عبد الرحمن بن أحمد*

ابن محمد بن أبي بكر بن علي ، وينتمي إلى علاء الدولة الهمذاني ، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المفتن[(١)] الفريد الحجة ، جامع أشتات الفضائل ، وارث علوم الأولين[(٢)] ، حجة المتكلمين ، إمام الفقهاء ، شمسُ الدِّين أبو الوفاء [بن][(٣)] جمال الدِّين أبي القاسم بن مجد الدِّين الأصبهاني .

بحرٌ يتدفق بالعلوم أمواجه ، وحَبر فضله في كل فن تضيء شموسه ولا أقول يتقد سراجه ، وملكٌ يجبى إليه من كلِّ عِلْم متَّسعِ الأقطار خَراجُه ، لو رآه الرازي علم[(٤)] أنه ما رأى زِيّه ، وصحّ أن المعقول هجر القطبين مصريَّةُ وشيرازيَّه ، ولو أنصفه النصير الطوسي لَمَا بَنى الرصد إلا لكواكبه ، ولا سار مع الجيوش إلا خدمة لمواكبه ، وما عسى أنْ أصِفَ مَنْ هو إمام في كلِّ علم ، وأُثني على من بيده زمام كل حلم ، تصانيفُه تَشْهَدُ له بأنه فريد أوانه ووحيدُ زمانه ؛ برع في الشرعيات لَمّا شَرَع ، وبزغَ[(٥)] في العقليات شمساً نورُها محا ظلام الجهل فانقشع ، علاّمة في كل علم له علامة ، وأستاذ ترى كل شيخ في فنه غلامَه . اشتغل في البلاد الشرقية [وورد إلى الشام][(٦)] فأنسى الناس المحاسن الدمشقية :

وردَ اللِّوى سَحَراً فَعَطَّرَ جيبَهُ	بالجزع طُبّاق هناك وشيح[(٧)]
حتّى غَدَت نفحاتُه وكأنّما	يُهدَى بِهِنَّ لكُلِّ جسمٍ روحُ

* الدرر : ٣٢٧/٤ ، والبغية : ٢٧٨/٢ ، والشذرات : ١٦٥/٦ ، والدارس : ٢٠٥/١ ، وذيول العبر : ٢٧١ .

(١) (خ) : « المفنن » .

(٢) (س) ، (خ) : « الأوائل » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « ماعلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل و (خ) : « وبرع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) الطباق والشيح : ضربان من الشجر . ووقع في الأصل : « سيح » تصحيف .

وقرأ عليه الأئمة ، وشهد له الأعلام أنه عالم هذه الأمة .

ثم إن السلطان طلبه إلى القاهرة ، وأطلع في آفاقها نجومَه الزاهرة ، فوردها وهي بحر بالفضلاء يتموّج ، وزهرٌ بالفضائل يتأرّج ، فأقام بها ينشر مُلاءات فضائله ، ويعلِّم الزمان بأخلاقه الزكية رقّة بُكرهِ وأصائله .

ولم يزل على حاله إلى أن كحل بالأصبهاني[١] جفن الضريح ، وغادر قلب الزمان عليه وهو جريح[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وسألته عن مولده فقال : ولدت بأصبهان في سابع عشر[٣] شعبان سنة أربع وسبعين وست مئة .

وورد إلى دمشق بعد حجّه وزيارة القدس في صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وظهرت فضائله للناس وعظّمه الشيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، وقال يوماً في حقه : اسكتوا حتى نَسْمَع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثلُه .

وكان يلازم الجامع الأموي ليلاً ونهاراً ، وسكن[٤] في باب الناطفيّين[٥] ، وأكبَّ على التلاوة والسمع[٦] والإشغال للطلبة عند قبر زكريا ، وتولى تدريس الرواحية ، ودرَّس بها في ثاني عشر شعبان يوم الأحد من السنة المذكورة بعد الشيخ كمال الدين بن

(١) من أجود الكحل ، وفي الكلام تورية .

(٢) في (س) ، (خ) : « قريح » .

(٣) (س) : « سابع شهر » .

(٤) (خ) : « ويسكن » .

(٥) كذا في الأصل و (س) و (خ) ، والمشهور : الناطفانيين ، وقد سلف ذكره .

(٦) في الأصل : « وأكبّ مع التلاوة والسبع » ، وأثبتنا ما في (س) . وفي (خ) : « على التلاوة مع السبع » .

الزملكاني فيما أظن ، وكان درساً حافلاً حضره الأعيان والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأثنى الأعيان على فضائله[١] .

ولم يزل بدمشق إلى أن طلبه السلطان إلى الديار المصرية ، فتوجه إليها على البريد في منتصف شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكان السفير له في ذلك الشيخ مجد الدِّين الأقصرائي شيخ خانقاه[٢] السُّلطان بسرياقوس ، وكان السلطان يشتهي يرى الغرباء من تلك البلاد ، ولَمّا وقعت بطاقته من بُلبيس بقي متطلعاً إلى قدومه ساعة فساعة ، فتوجَّه الشيخ شمس الدِّين إلى سرياقوس ونزل بالخانقاه إلى عند الشيخ مجد الدين فأضافه ، وعمل له السماعات ، ودخل به الحمام ، فلما أبطأ خبرُه على السلطان وعلم[٣] أنه اشتغل عنه ولم يدخل إلى السلطان إلا بعد ثلاثة أيام [أو][٤] أربعة ، نزل من عين السلطان ومجّه ، ولم يلق بقلبه ولم يتجدد له شيء .

ونزل إلى القاهرة ، لكنَّه[٥] فيه رياسة العلم ، وكان الشيخ ما يعرف اللغة التركية ، فقعد به ذلك ، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدِّين قوصون ، وبنى له الخانقاه العظيمة بالقرافة ، وجعله شيخها ، ثم إنه قرَّبه عند السلطان ، فكان يحضر عنده في [بعض][٦] الأوقات .

وسألته في سنة خمس وأربعين وسبع مئة بمنزله بالخانقاه المذكورة لَمّا كنتُ بالقاهرة عن مبتدأ[٧] حاله فقال :

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .

(٢) في الأصل : « الخانقاه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) (س) : « علم » .

(٤) زيادة من (خ) . وفي (س) : « ثلاثة أربعة أيام » .

(٥) (خ) : « ولكنه » .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) (س) : « مبدأ » .

قرأتُ القرآن والفقه على والدي ، والعربية أيضاً ثم على الشيخ نصير الدِّين الفاروثي[١] ، وعلى الشيخ جمال الدِّين بن أبي الرجا شيخ في تربة علي بن سهل الصوفي ، وقرأت شيئاً من المعقول على صدر الدِّين تُركا ، والمولى جمال الدِّين تركا ، وشيئاً من الطب والخلاف ، وقرأت عليه (نكت الأربعين) للنّسفي ، وصنّف في تلك البلاد (شرح المختصر لابن الحاجب) للخواجا رشيد[٢] ، وشرح (مطالع سراج الدِّين الأرمويّ) لقاضي القضاة عبد الملك ، وشرح (تجريد النصير الطوسي) باسم علي باشا[٣] ، وصنَّف أكثر من ربع العبادات على مذهب الشافعي مضافاً إليه مذهب أبي حنيفة ومالك إلى الاعتكاف ، وشرح (قصيدة الساوي) في العروض[٤] و (تفسير آية الكرسي) ومختصراً[٥] في المنطق سمّاه (ناظر العين)[٦] ، كل ذلك صنفه بتبريز .

ثم إنه انتقل إلى دمشق في التاريخ المذكور وشرح فيها (مقدمة ابن الحاجب) ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إلاَّ هُوَ ﴾[٧] ، وتفسير ﴿ إِنَّ اللهَ ومَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ ﴾[٨] الآية ، وتفسير ﴿ يا أَيُّها النّاس إنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ ﴾[٩] .

ثم إنه توجه إلى مصر في التاريخ المذكور وصنَّف فيها (شرح البديع) للساعاتي في

(١) (خ) : « نصر الدين » ، تحريف . وهو عبد الله بن عمر الشيرازي (ت ٧٠٦ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) فضل الله بن أبي الخير الهمذاني (ت ٧١٦ هـ) سلفت ترجمته .

(٣) سلفت ترجمته .

(٤) وهي قصيدة لاميّة لمحمد بن ركن الدِّين بن محمد الساوي . انظر : الكشف : ١١٣٦/٢ .

(٥) في الأصل : « ومختصر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) سمّاه في الكشف ١٩٢١/٢ : « ناظرة العين » .

(٧) سورة آل عمران : ١٨/٣ .

(٨) سورة الأحزاب : ٥٦/٣٣ .

(٩) سورة الحج : ٥/٢٢ .

الأصولين باسم السلطان الملك الناصر[١] ، وشرح (ناظر العين) ، وشرح (للنهاج) للبيضاوي ، وشرح (طوالع) القاضي ناصر الدين البيضاوي وتعاليق على مسائل . ثم صنَّف مختصراً في أصول الدين ، وشرح (فصول النسفي) ، وتفسير سورة يوسف ، وسورة الكهف .

ثم إنه شرع في تفسير مستقل وصل فيه إلى حين اجتماعي به في سابع عشر شوال سنة خمس وأربعين وسبع مئة إلى قوله تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسولَ فقَد أطاعَ اللّهَ ﴾[٢] . وقال لي : كنت قد فسَّرت جملة كبيرة[٣] ، ولكن في فتنة قوصون عدمت المسوّدات فأنا الآن أغرمها .

وقال لي بعض الجماعة إنه يمتنع من الأكل في كثير من الأوقات لئلا يحتاج إلى الدخول إلى الخلا خوفاً من ضياع الزمان بلا كتابة في التفسير .

وكان خطّه قويّاً وقلمه سريعاً ، ورأيته يكتب في هذا التفسير من خاطره من غير مراجعة ، وكان قد شرع قبل ذلك في مختصر لطيف في أصول الدين ، وجيز اللفظ ، كثير الفوائد والمباحث[٤] .

وسمع (البخاريّ) مرتين على الحجّار بقراءة شيخنا البرزالي ، وسمع على أشياخ ذلك العصر ، وأذن لجماعة كثيرة بالشام ومصر في الإفتاء ، وانتفع به الناس في الشام ومصر كثيراً ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ولَمّا بلغتني وفاته رحمه الله تعالى قلتُ أرثيه :

أيُّها العاذِلُ لا تلح فعنّي ما كفاني

(١) (س) : « الناصر محمّد » .
(٢) سورة النّساء : ٨٠/٤ .
(٣) (خ) : « كثيرة » .
(٤) (س) ، (خ) : « كثير المباحث » .

كيفَ لا تسفـــــــح عيني دمعُهــــا أحمرَ قـــاني
أظلَمَت عينيَّ لَمَّـــــــا فَقَـــدتُ شَمسَ الـــزَّمـــان
وغَـــــدا جَفْني قريحـــاً بـــاكِيـــاً مِمّـــا دَهـــاني
لم يُفِــــدْهُ قَـــــطُّ كُحْـــلٌ بَعْــدَ فَقْــدِ الأصْبَهـــاني

١٨٤٣ ـ محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة*

الشيخ الإمام الورع الخطيب جمال الدِّين بن جملة ، خطيب الجامع الأموي بدمشق .

كانت له طريقة ، سلكها فجعل مجازها حقيقة ، لازم بها الخطابة وركن ، ولزم مكانه بالجامع فما تحرَّك منه بعدما سكن ، واقتصر به على خاصّة نَفْسه وملازمة خطابته وهواه ودرسه ، لا يتردد إلى أمير ولا كبير ولا صغير ، بل الأمراء يحضرون إليه ، ويتطفلون عليه ، ويلتمسون بركاته ، ويعدّون سكناته وحركاته ، وإشاراتُه عند نوّاب الشام مشهورة[١] مقبولة ، وربوع أوقاته بالخيرات مأهولة[٢] :

حَسُنَت وطابَت في الوَرى أخبارُه وأصحّها راوي العُلا أصحاحا
وكأنَّ دُرّاً فاهَ راوي مَدحِه مَهما روى وكأنَّ مِسْكاً فاحا
قد سَخَّرَ الأرواحَ خالقها لَهُ إن لم يكُن قد سَخَّر الأشباحا
فإذا عَلا يَوماً ذؤابةَ مِنبرٍ نَثَروا على كَلِماتِه الأرواحا

وأما جنازته فكانت آية بلغت من الاحتفال الغاية ، وجازت[٣] الحد في الكثرة

* البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٤/١ ، والنجوم : ٢٢/١١ ، والدُّرر : ٢٣٢/٤ ، والذيل التام : ١٩٨ ، والشذرات : ٢٠٣/٦ ، وذيول العبر : ٣٦٧ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « وربوع جيرانه مأهولة » .

(٣) في الأصل : « وحازت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

والنهاية ، حُملت على الأصابع ولم تصل إليها الرؤوس ، وتناهب الناس آثاره ، واجتلوا[(١)] نعشه منصة وهو فيها عروس .

وما زال[(٢)] على حاله إلى أن انفرد ابن جملة عن جملة الأحياء وأصبح في مماته من أعجب الأشياء[(٣)] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاثنين العصر الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة .

وكان قد ولي الخطابة بعد الخطيب تاج الدِّين بن جلال الدِّين القزويني في سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

١٨٤٤ ـ محمود بن علي بن محمود*

ابن مقبل العراقي ، تقي الدِّين الدّقوقي الحنبلي ، الإمام المتقن محدِّث بغداد ، شيخ المستنصرية .

أسمعه أبوه من المؤرخ علي بن أنجب[(٤)] ، وعبد الصَّمد بن أبي الجيش ، وابن أبي الدنيّة[(٥)] وجماعة ، من ذلك كلّ جامع المسانيد من محمد بن أبي الدنية ، وطلَب هو بنفسه يسيراً ، وكان يحدِّث الناس على كرسي ببغداد ، ويحضره خلق عظيم ويأتي بكل نفيس ، وله نثر ونظم ومعرفة بالنحو واللغة ، وكان يعظ في الأعزّية .

---

(١) في الأصل : « واختلوا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « ولم يزل » .

(٣) في الأصل و (ط) : « وأصبح في تماديه من أصبح الأشياء » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الدُّرر : ٣٣٠/٤ ، والشَّذرات : ١٠٦/٦ ، وذيول العبر : ١٧٧ ، ومن هنا يبدأ الجزء الثاني عشر من نسخة (ق) ، وهي كما وُصِفت نسخة المؤلف .

(٤) علي بن أنجب بن عثمان البغدادي السلامي المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤ هـ) . الشذرات : ٣٤٣/٥ .

(٥) في الأصل : « للدينة » ، تحريف ، وهو محمَّد بن يعقوب (ت ٦٨٠ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه . وانظر العبر : ٣٣٢/٥ .

وكان متقناً متحرِّيّاً جهوريّ الصوت محبوباً إلى الناس لفضله وعلمه . ولِيَ مشيخة المستنصرية بعد ابن الدواليبي[(١)] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل المحرَّم من سنة ثلاث وثلاثين ، أو أواخر الحجة من سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ولم يخلِّف درهماً ، وحُمل نعشه على الرؤوس .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

١٨٤٥ ـ محمود بن عزّي بن مشعل*

الشيخ الفقيه الفاضل جمال الدّين البصروي .

كان فقيهاً جيداً حفظ (التنبيه) ثم حفظ (الوجيز) ، وكان يكرر عليه وينقل منه كثيراً .

توفِّي في سابع عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ببصرى ودفن بها .

١٨٤٦ ـ محمود بن محمد بن عبد الرحيم**

ابن عبد الوهاب ، الشيخ بهاء الدِّين ، الكاتب المجوِّد المتقن المحرر السّلمي ، المعروف بابن خطيب بعلبك .

كان فرداً في زمانه ، وندرةً في أوانه . كاتبٌ أين الرِّياض من حروفه القاعدة ، والعقود من سطوره التي تبيت العيون في محاسنها ساهدة ، كم روَّض قلمُه طرساً ، وجلا على الأبصار عرساً ، وخضع له الكُتّاب فلا تسمع إلاّ همساً ، ألفاته أحْسَنُ اعتدالاً من

---

(١) محمد بن عبد المحسن ، سلفت ترجمته .

* الدُّرر : ٣٣٢/٤ .

** البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، والدُّرر : ٣٣٥/٤ ، وذيول العبر : ١٨٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٨/٩ ، والشذرات : ١١٢/٦ .

القدود الرشيقة ، ولاماته أظرف انعطافاً من الأصداغ المسوّدة على الخدود الشريقة[١] ، وعَيْناته أسحر من العيون الدُّعْج ، ونوناته أسلبُ للقلب من الحواجب البُلْج :

خَطٌّ كأنَّ العيونَ ناشِدَةٌ سودُ أناسيهنَّ من كُتُبه

أقلامُه كُنَّ للورى قَصَباً والسَّبْقُ للمحتوى على قَصَبه[٢]

كتب عليه جماعة من أولاد الأعيان ، وبرع في الكتابة منهم شرذمة مختلفة الأديان .

وكان فيه ديانة وعِفّة وصيانة ، وتقوى تمنعه من التطلُّع إلى أولاد الناس وأمانة .

ولم يَزل على حاله إلى أن جرى القلم بحلول حَينه ، وودَّ كل كاتب لَوفَداهُ بإنسان عَيْنه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء سَلخ شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وسبع مئة بمنزله في العُقيبة بدمشق ، ودفن بمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية .

ومولده في إحدى الجماديين سنة ثمان وثمانين وست مئة .

وكان يخطب جيداً بصوت طيِّب ، وأقام بدمشق مدة سنين ، وكان محبوباً لكرم أخلاقه وعفّته . وكان من أحسن الأشكال ، تام الخلق ، وُصِف خطّه للأمير سيف الدِّين تنكز رحمه الله تعالى ، فأحضره وأمره بأن يكتب له نسخة بالبخاريّ ، فاعتذر له بأنه مشغول بتكتيب أولاد الناس ، فقال : أنا أصبر عليك ، فأغفله مدة تزيد على سنة ، وطلبه فأحضر له منه مجلداً ، فرماه إلى الأرض وضربه ضرباً كثيراً مبرحاً ، ودفع إليه الْمُجَلَّد ، ورأيته ، أعني المجلد ، في بعلبك وهو نسخ شيء عجيب إلى الغاية[٣] .

(١) في الأصل : « الشريفة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والشريقة : المشرقة .

(٢) (س) ، (ق) : « كن للمدى » .

(٣) قال في الدُّرر بعدما نقل كلام الصفدي هذا : « رأيته بخطِّه نسخة كاملة في ثلاث مجلَّدات ، وهي باسم تنكز ، وقابلها المزِّي بقراءة ابن كثير ، وهي أعجوبة في الحسن والصحة ، فكأنه أكمل المجلد المذكور » .

وقلت : أنا في الشيخ بهاء الدِّين :

إنَّ ابنَ الخطيبِ وابنَ هِـــــــلالٍ ليسَ ذا مثـــلَ ذا على كلِّ حـــــالِ
أيُّ نـــون أمسكتَ من خـــطٍّ هـــذا فهيَ من حُسْنِهـــا بـــألفِ هِــلالِ

١٨٤٧ ـ محمود بن محمد بن محمد*

ابن نصر الله ابن المظفر بن أسعد بن حمزة ، الصدر الرئيس العدل الكبير الفاضل الأصيل محيي الـدِّين ، أبـو[1] الثنـاء ابن الصـدر الكبير شرف الـدِّين ابن الصـدر جمال الدِّين بن أبي الفتح التيمي الدمشقي بن القلانسي .

كان أحد الصدور الأعيان ، كان له إشغال وتحصيل ، وكان فيه خيرٌ وتواضع وملازمة لداره وعدم اختلاط بالناس ، وباشر نظر ديوان البيوت وأوقاف الْحَرَمين .

وكان قد سمع من ابن البخاري وعبد الواسع الأبهري .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في عُشْري ذي[2] الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وسبعين وست مئة .

١٨٤٨ ـ محمود بن مسعود بن مصلح**

الإمام العَلاّمة ذو الفنون قطب الدِّين أبو الثناء الفارسي الشيرازي الشافعي المتكلم صاحبُ التصانيف .

---

* البداية والنهاية : ١٥٢/١٤ ، والدُّرر : ٣٣٨/٤ .
(١) في الأصل : « أبي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) (س) ، (ق) : « عشرين من ذي » .
** تاريخ أبي الفداء : ٦٣/٤ ، والدُّرر : ٣٣٩/٤ ، والبغية : ٢٨٢/٢ ، وذيول العبر : ٥٥ ، والنجوم : ٢١٣/٩ .

كان أبوه طبيباً ، وعمّه من الفضلاء ، فقرأ عليهما وعلى الشمس الكتبي والزكي البرشكاني[١] ، ورتب طبيباً في البيمارستان وهو حدث .

وسافر إلى النصير الطوسي ولازمه وبحث عليه (الإشارات) وقرأ عليه (الهيئة) وبقية (الرياضي) وبرع .

واجتمع بهولاكو وأبغا ، وقال له أبغا : أنت أفضل تلامذة النصير وقد كبر ، فاجتهد لا يفوتك شيء من علمه . قال : قد فعلتُ ، وما بقي لي به حاجة .

ثم إنه دخل الروم فأكرمه البَرَوَاناه ، وولاّه قضاء سيواس وملطيّة ، وقدم إلى الشام رسولاً من جهة الملك أحمد ، فلَمّا قُتِل أحمد ذهبَ قطبُ الدِّين ، فأكرمه أرغون ، ثم إنه سكن تبريز مدة ، وأقرأ المعقولات وسمع (شرح السُّنَّة) من القاضي محيي الدِّين ، وروى (جامع الأصول) في رمضانين ، قرأه الصدر القونوي عن يعقوب الهذباني[٢] عن مصنفه .

وكان من أذكياء العالم وممن ساسَ الناس وداهن وسالم ، مدَّ يد الباع في كل الفنون ، سديد الرأي في مخالطة الملوك والتحرّز من العيون . صنف التصانيف المفيدة وأودعها الذخائر العتيدة ، وكان لفَلك الفضائل قطباً ، ولشمس العلوم شرقاً وغرباً :

بجُودٍ يُهمِلُ السُّحب احتِقاراً إذا ما امتدَّ بينهُما الهُمولُ[٣]
وأخلاقٍ كأبكارِ الغواني إذا اشتَمَلت عليهنَّ الشَّمولُ

ولم يزل على حاله إلى أن دارت رحى المنون على قُطْبه ، وجعلت شخصَهُ في الثرى ترْباً لتُرْبه .

---

(١) في الدُّرر : « البركشائي » ، وفي البغية : « الركشاوي » .

(٢) يعقوب بن محمّد بن حسن الهذباني (ت ٦٥٤ هـ) . الشذرات : ٢٣٢/٥ .

(٣) في الأصل : « الخمول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع[١] عشري شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة .

ومولده بشيراز سنة أربع وثلاثين وست مئة .

وكان الشيخ قطب الدِّين ظريفاً مزّاحاً لا يحمل همّاً ، وهو بزي[٢] الصوفية ، وكان يجيد اللعب بالشطرنج ويلعب به ، والخطيب على المنبر وقت اعتكافه .

وكان حليماً سمحاً لا يدَّخر شيئاً ، بل ينفق ما معه على تلامذته ويسعى لهم ، وصار له في العام ثلاثون ألف درهم ، وقَصَدَه صفي الدِّين عبد المؤمن المطرب فوصله بألفي درهم ، وفي الآخر لازم الإفادة ، فدرَّس (الكشّاف) و (القانون) و (الشِّفا) وعلوم الأوائل .

وكان القان غازان يعظِّمه ويعطيه ، وكان كثير الشفاعات ، وإذا صنَّف كتاباً صام ولازم السهر[٣] ومسوّدته مبيّضته .

وكان يحبُّ الصلاة في الجماعة ويخضع للفقير ، ويوصي بحفظ القرآن ، وإذا مُدح يخشع ويقول : أتمنى لو كنت في زمن النَّبي ﷺ ، ولم يكن لي سمع ولا بصرٌ رجاءَ أن يلمحني بنظرة .

مرض نحو شهرين ، ولَمّا مات رحمه الله أُدِّيت عنه ديونه .

وكان يتقن الشعبذة ، ويضرب بالرباب ويورد من الهزليات ألواناً بحضور خربندا ، وفي دروسه ، وكانت أخلاقه جميلة ومحاسنه وافرة .

ومن تصانيفه (غرّة التاج) حِكمة ، و (شرح الإشراق) للسهروردي[٤] ،

---

(١) (ق) : « في يوم ... رابع » .

(٢) في الأصل : « يرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والدُّرر .

(٣) في الأصل : « الشهر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (س) : « وشرح الإسرار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الدرر . واسم كتابه : « حكمة الإشراق » .

و (شرح الكلّيّات)[١] و (شرح مختصر ابن الحاجب) و (شرح المفتاح للسكاكي) .

١٨٤٩ ـ محمود بن مسعود*

السلطان علاء الدّين بن شهاب الدّين صاحب الهند .

كان ملكاً عظيماً بنى بدلّي منارة عظيمة ارتفاعها مئة وخمسون ذراعاً مرجَّلة الأساس عظيمة البناء ، عرضُها من أسفل رَمْيَةُ سهم ، ويراها الناس[٢] من مسيرة يومين .

ولم يزل في ملكه إلى أن وصل الخبر إلى مكة بوفاته ، وصُلّي عليه بها صلاة الغائب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وتسلطن بعده[٣] ولده غياث الدّين فدام سنة ، وخرج عليه أخوه قطب الدّين مبارك[٤] وتملّك ، وسجن غياث الدّين ، ودام قطب الدّين مبارك في الملك إلى سنة عشرين وسبع مئة ، وقُتِل ، وتسلطن مملوكهم خسرو[٥] التركي .

١٨٥٠ ـ محمود بن دِيوانا**

كان قد ظهر في تبريز بمشيخةٍ وصلاح ، وخضع له المغول وغَيْرهم ، وكانت له زاوية في توريز[٦] .

(١) في البغية : « الكلمات » ، تحريف ، وهو من كتب ابن سينا .

* الدُّرر : ٣٤١/٤ .

(٢) (س) ، (ق) : « الإنسان » .

(٣) (ق) : « بعد » .

(٤) (ت ٧١٦ هـ) ، الدُّرر : ٢٧٥/٣ .

(٥) في الأصل : « خسر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والدُّرر .

** الدُّرر : ٣٤٤/٤ .

(٦) في الدُّرر : « تبريز » .

حكى الإربلي عز الدِّين الطبيب نقلاً عن التاج عبد الله الطيبي ما معناه أن آل فَرَنْك أحد أولاد القانات كان مرشحاً للملك ، وكان محبّاً للفقراء ، فأتى يوماً إلى زاوية الشيخ محمود ديوانا ومدَّ له سماطاً ، وعمل له سَماعاً ، ورقص الشيخ محمود وطاب ودار في الطابق ، وجذبَ آل فرنك إليه ، وألقى كلاهه[1] عن رأسه وألبسه طاقية كانت على رأسه وقال : قد ولَّيتك السلطنة ، ورقص ورقص معه . فنقلت هذه الكلمة إلى غازان ، فضربَ عنق آل فرنك بين يديه .

وكان قسيم الغصن في تثنيه ، وشقيق البدر أو ثانيه .

وأمر بإحضار الشيخ محمود ديوانا ، فلما رآه قال : أهلاً بالشيخ الذي قد صار يُولّي الملوك بطاقية ، وأمر به فشُدَّ بين دفتين ، ونُشِر حتى وقع نصفين بقسمة صحيحة سواء بسواء .

☆ الموجب : شمس الدِّين محمد بن يوسف الجزري .

١٨٥١ ـ مختار*

الأمير الكبير الطواشي ظهر الدِّين المعروف بالبَلبيسي[2] الخازن دار بقلعة دمشق .

كان حسن الشكل ، حسن الأخلاق ، فيه وقار وسكون ، وحفظ القرآن ، وكان يتلوه بصوت حسن .

أنشأ مكتباً للأيتام قبالة القلعة ، ووقف عليه الجامكية . وكان له خبز بطبلخاناه . ووليَ التقدمة على المماليك السُّلطانية بمصر مكان الطواشي فاخر[3] .

(١) هو غطاء الرأس ، ويقال له أيضاً : الكَلَفْتا .

* البداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدُّرر : ٣٤٤/٤ .

(٢) في البداية : « البكنسي » .

(٣) في الدُّرر : « فامر » ، تحريف ، وهو فاخر المنصوري شهاب الدِّين (ت ٧٠٤ هـ) ، الدُّرر : ٢١٩/٣ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في آخر شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة بقلعة دمشق ، ودفن برّا باب الجابية بتربته التي عمرّها ، ووقف عليها أوقافاً وقرّر فيها مُقرئين[١] بالنوبة ليلاً ونهاراً .

اللقبُ والنَّسَبُ

☆ **ابن مخلوف :** محيي الدين محمد بن علي . وقاضي القضاة علي بن مخلوف .

☆ **ابن مراجل :** علاء الدين علي بن عبد الرحيم .

☆ **المرداوي**[٢] **:** موسى بن محمد .

☆ **ابن المرحّل**[٣] **:** الشيخ شهاب الدّين عبد اللطيف بن عبد العزيز . والشيخ صدر الدّين محمد بن عمر ، وأخوه عبد الوهاب .

☆ **والمغربي :** مالك بن عبد الرحمن .

☆ **وزين الدّين :** محمد بن عبد الله .

☆ **ابن مختار الحنفي :** محمد بن مختار .

☆ **المَرجاني :** عبد الله بن محمد .

☆ **ابن المخرميّ :** إبراهيم بن الحسن .

☆ **ابن المرواني :** أحمد بن حسن[٤] ، وأخوه علاء الدّين علي بن حسن ، وابنه ناصر الدين محمد بن علي .

☆ **المراكشي :** فخر الدّين عبد الله بن محمد .

☆ **وتاج الدّين :** محمد ابن إبراهيم .

☆ **والمريني :** الأمير علاء الدّين مغلطاي .

---

(١) في البداية : « ووقف عليها القريتين ، وبنى عندها مسجداً حسناً ، ووقفه بإمام » .

(٢) في الأصل : « ابن المرداوي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « المرحل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) (ق) : « شهاب الدّين أحمد بن الحسن » .

☆ **المريني :** السلطان عثمان بن إدريس .

☆ **والمريني :** عثمان بن يعقوب ، وولده السلطان علي بن عثمان .

١٨٥٢ ـ مريم بنت أحمد*

ابن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد ، الدمشقية ، أم عبد الله ، بنت الجمال .

كانت امرأة صالحة خيِّرة ، حضرت على الفقيه محمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي ، وأجازها الكاشغري ، وابن القُبيّطي ، وجماعة .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ ثالث عشري جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولدها سنة خمس وثلاثين وست مئة .

وهي أخت الإمام محبّ الدِّين عبد الله المقدسي المحدّث[١] ، وزوجة الشيخ أحمد بن أبي محمد العطار إمام مغارة الدم[٢] .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : قرأت عليها جزءاً من (فوائد أبي عروبة الحراني) وغير ذلك .

النَّسَبُ والألقابُ

☆ **ابن مزهر :** القاضي فخر الدين محمد بن مظفر .

☆ **وشرف الدِّين :** يعقوب بن مظفّر[٣] .

☆ **ابن مُزَيْز :** تاج الدِّين الحموي أحمد بن إدريس .

* لم نقف على ترجمة لها .

(١) (ت ٦٥٨ هـ) . السير : ٣٧٥/٢٣ .

(٢) بجبل قاسيون ، معروفة .

(٣) (س) : « مزهر » .

☆ **وعز الدّين** : عبد العزيز بن إدريس .

☆ **المِزّي** : المؤقّت محمد[(١)] بن أحمد .

☆ **والمزي** : يوسف بن عبد الرحمن .

☆ **المستكفي بالله** : أمير المؤمنين ، أبو الربيع سليمان بن أحمد .

١٨٥٣ ـ مسعود بن أحمد*

ابن مسعود بن زيد ، الشيخ الإمام العالم ، المفتي الحافظ ، المجوِّد فخر المحدِّثين ، قاضي القضاة بالدِّيار المصرية ، سعد الدِّين الحارثي ، العراقي ، الحنبلي . والحارثية قرية قريبة من بغداد ، المصري المولد .

سمع من الرضي بن البرهان ، والنجيب عبد اللطيف ، وابن علاّق ، وطبقتهم . وبدمشق من جمال الدِّين الصيرفي ، وابن أبي الخير ، وابن أبي عمر ، وعدّة .

وعُني بهذا الشأن ، وكتب العالي والنازل ، وخرَّج وصنَّف ، وتميَّز وتفرَّد ، ودرَّس بالناصريّة بالقاهرة ، وبالصالحيّة ، وبالجامع الطولوني .

ووليَ القضاء بالديار المصرية في ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مئة ، فأقام في ذلك سنتين ونصفاً ، وسار فيه سيرة مرضية ، وكان متيقظاً فيه محتاطاً متحرزاً ، وقدَّم الفضلاء والنبلاء من كل طائفة .

قال كمال الدِّين الأدفوي : قال لي القاضي شمس الدِّين بن القمّاح : تكلمت معه في المذهب ، فقال : كل ما يلزم القول بالجهة أقول به . قال وحكى لي بعض أصحابنا أنه دخل المدرسة الكامليّة ليجتمع بالشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد ، فلما رآه الشيخ قام وقال : داعيَة ، ولم يجتمع به . انتهى[(٢)] .

(١) (ق) : « شمس الدِّين محمد » .

* الدُّرر : ٣٤٧/٤ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وذيول العبر : ٦٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢١/٩ .

(٢) وفي الدُّرر عن الذهبي : « وكان ابن دقيق العيد ينفر منه لقوله بالجهة : ويقول : هذا داعية ، ويمتنع من الاجتماع به » .

وشرح جملة من (سُنن أبي داود) شرحاً جيداً ، وشرح قطعة من (المقنع) في مذهبه[١] ولم يكمله ، أتى فيه بفوائد ومباحث ونقول كثيرة ، ولو كمل لانتفع الناس به .

وكان قد قدم إلى دمشق على مشيخة دارِ الحديث النوريّة ، ثم إنه ضجر ورجع وحدث بدمشق ومصر .

وكان رئيساً فصيح الإيراد ، عذب العبارة ، قويّ المعرفة بالمتون والرجال صيِّناً[٢] ، وافر الحرمة ، فاخر البزّة . وكان أبوه من التجار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة[٣] سحَر الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وخلفه في الفقه ولده الإمام شمس الدِّين عبد الرحمن[٤] .

١٨٥٤ ـ مسعود بن أوحد بن الخطير*

الأمير الكبير بدر الدِّين ، أمير حاجب بالديار المصرية في أيام الملك الناصر محمد وفيما بعد ، ونائب السلطنة بغزّة غير مرة ، ونائب طرابلس غير مرة ، وأكبر مقدمي الألوف بالشام .

---

(١) هو المقنع في فروع الحنبلية لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، الكشف : ١٨٠٩/٢ . وهو مطبوع .

(٢) (ق) : « ديِّناً صيِّناً » .

(٣) (س) ، (ق) : « وتوفي قاضي القضاة سعد الدين للذكور بالقاهرة » .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

* تحفة ذوي الألباب : ٢٧٩/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢١٥/١ ، والنجوم : ٢٩٢/١٠ ، والدُّرر : ٣٤٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٩٢ .

كان عريقاً في الرئاسة ، غريقاً في الحشمة والنفاسة ، كريمَ الودّ والإخاء ، كثير البذل لأصحابه والسخاء ، وكان بابه حرمَ اللاجي ، وقبلة الراجي ، لا يخبأ جاهه عن قاصده ، ولا ماله عن وافده . كثير الاتِّضاع كأن من يجالسه أخوه من الرضاع ، ألطف من النسيم إذا سَرَى ، وأرأف بالضعيف من والديه إذا عاينا به أمْراً منكراً . وكان به للملك الناصري جمال ، و [هو][(١)] لمن استجار به ثِمال ، بل كان في ذلك الأفق بدر كماله ، وزينة موكبه في يمينه وشماله ، وصاحب رأيه الذي كَمْ[(٢)] أسفر وجهه عن جماله . وحكَّمه الملك الناصر في الديار المصرية فحكم بالعدل ، وأفاض نِيل نَيْله بالجود والبَذل ، وزان دولته بحسن سيرته ، وصفاء باطنه وطُهْر سريرته :

يتكفَّـلُ الأيتـامَ عن آبـائهم ... حتّى وددْنـا أنَّنـا أيتـامُ
يتجنَّب الآثـامَ ثمَّ يخـافُهـا ... فكأنَّما حَسَنـاتـه آثـامُ
قـد شرَّدَ الإعـدامَ عن أوطـانـهِ ... بـالبَـذلِ حتّى استُطْرِفَ الإعـدامُ

ولم يزل يتنقل في الممالك تنقل البدور ، ويتوقَّل في هضبات المعالي توقُّل العقبان والنسور ، إلى أن اختار المقام بدمشق فأجيب ، وسكن ما بقلبها[(٣)] من الوجيب ، وكان في حِماها للناس رحمَة ، ولكلٍّ مَنْ نزلت به بَلِيَّة نعمة ، يمدُّ عليهم ظل شفقته ، ويَنْشُر لهم جناح رحمته[(٤)] ، فما يبالون بمن عدَل أو جار ، ولا يحفلون بمن بَعُد أو زار ، حتى نزل الأمر الخطير بابن الخطير ، ورأى الناسُ بالبكاء[(٥)] لموته كيف يكون اليوم[(٦)] المطير .

(١) طمست في الأصل ، وأثبتناها عن (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) ، زيادة : « شوقاً إليه » .
(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « رأفته » .
(٥) في الأصل : « البكاء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) في الأصل و (خ) : « الموت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - يوم الثلاثاء سابع شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة ليلة السبت سابع جمادى الأولى بحارة الخاطب بدمشق .

وأخذ[(١)] إمْرَة العشرة بدمشق سنة ثلاث عشرة وسبع مئة[(٢)] . وقرَّبه الأمير سيف الدِّين تنكز وأدْناه وأحبَّه ، ثم إنه جهَّزه إلى باب السلطان صحبة أسنْدَمُر رسول جوبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فلما رآه السلطان أعجبه شكلُه وسَمْته ووقاره ، ورسم له بالمقام عنده ، وأعطاه طبلخاناه ، فجعله حاجباً . ولم يزل في الحجوبيَّة إلى أن أمسك الأمير سيف الدِّين أُلماس أمير حاجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، فولاّه السلطان مكانه أمير حاجب ، ولم يكن بمصر إذ ذاك نائب سلطنة إلا أمير حاجب ، فكان يعمل النيابة والحجوبيّة ، وقيل : إنَّ السلطان لَمّا أعطاه إمرة الحجوبية كان على حركة للصيد فأعطاه جَمَلاً حِمْلُه دراهم ، تقدير[(٣)] سبعين ألف درهم إنعاماً عليه ، وقال له : هذا برسم إقامة الرَّخت وحركة الصيد ، وأحبّه السلطان والناس أجمعون من الأمراء والمشايخ وأمراء الخاصكيّة ، وكان يمشي في خدمته الأمراء الكبار .

ولم يزل على حاله في وجاهةٍ حتى أمسك الملكُ الناصر محمد الأميرَ سيف الدِّين تنكزْ ، فرسم للأمير بدر الدِّين بنيابة غزة ، فحضر إليها في مستهل صفر سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، فأقام فيها سبعة أشهر[(٤)] ، ثم إنه نقله إلى دمشق ، فحضر إليها في أيام الأمير علاء الدِّين ألطنبغا . فلما اتفق للأمير سيف الدِّين قوصون ما اتفق أيام

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « أخذ » ، بلا واو .

(٢) في (س) : « تسع عشر » . وفيها وفي (ق) ، (خ) زيادة : « وولي الحجوبية بدمشق سنة سبع عشرة وسبع مئة » .

(٣) عبارته في التحفة : « فأنعم عليه بجملة دراهم تقدير .. » .

(٤) في التحفة : « تسعة أشهر » .

الملك الأشرف كجك طَلَب الأمير بدر الدِّين إلى مصر ، وأعاده إلى وظيفة الحجوبيّة وكان بها أمير حاجب في مستهل صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ولَمّا انفصل قوصون[١] خرج إلى غزّة ثانياً نائباً ، وأقام بها شهرين ، ثم حضر إلى دمشق ثانياً وأقام بها مدة ، وهو أكبر مقدمي الألوف . ثم إنه رُسم له بالتوجه إلى غزة نائباً[٢] ثالث مرة ، فتوجه إليها في شهر رجب أو أوائل شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها إلى أن جرى للأمير سيف الدِّين يلبُغا ما جرى وقُتل ، فرُسم للأمير بدر الدِّين بنيابة طرابلس ، فتوجه إليها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وعاد منها إلى دمشق في أواخر شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فإنه عُزل بألجيبغا الخاصكي ، ولَمّا اتَّفق حضور ألجيبغا إلى دمشق[٣] وقَتْلُه أرغون شاه ، على ما مرَّ في ترجمته ، في سنة خمسين وسبع مئة ، وخلت دمشق من نائب يقوم بأمرها سدَّ الأمير بدر الدِّين النيابة ونفَّذ مهمات الدولة[٤] ، وكاتَبه الملك الناصر حسَن في البريد وسدَّ[٥] ذلك على أحسن ما يكون .

ثم إن السلطان رسم له بالعود إلى طرابلس نائباً بعد أن وُسِّط ألجيبغا وأياز بسوق الخيل في دمشق ، على ما تقدم في ترجمتهما .

فتوجَّه إليها في أوائل جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة .

ولم يزل بطرابلس إلى أن طُلب إلى مصر ، فدخل إلى دمشق نهار عيد الفطر سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وخرج منها متوجِّهاً بطَلَبه إلى مصر ، فلما وصل إلى الرملة ورد المرسوم عليه بعوده إلى دمشق ، فعاد إليها ودخلها في عاشر ذي القعدة ، وأقام

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « أمر قوصون » .
(٢) (خ) : « ثانياً » تحريف .
(٣) قوله : « إلى دمشق » ليس في (خ) .
(٤) (خ) : « ونفذ المهات » .
(٥) (س) : « وشدَّ » .

مدةً[١] بغير إقطاع ، ثم إنه أُعطي أخيراً خبز نوروز . ولم يزل كذلك إلى أن توجه في نوبة بيبغاروس صحبة الأمير سيف الدِّين أرغون الكاملي نائب الشام والعسكر الشامي ، وأقاموا على لدّ ، وحضر الأمير عز الدِّين طقطاي الدوادار وهم على لُدّ ومعه تقليدُه الشريف بنيابة طرابلس مرة ثالثة ، فلبسَه هناك ، وخدم به ، وأقام هناك إلى أن حضر السلطان الملك الصالح صالح من مصر ودخل إلى دمشق وهو مع نائب الشام ، ثم إنه توجه إلى حلب صحبة الأمير سيف الدِّين شيخو ، والأمير سيف الدِّين طاز إلى حلب في طلب بيبغاروس ، وأقاموا بحلب مدة ، فاستعفى الأمير بدر الدِّين هناك من نيابة طرابلس ، وثَقل عليهم[٢] ، فأعفَوه ، واستقر على حاله بدمشق .

وفي يوم عيد رمضان حَمل الْجَتْر[٣] على رأس السلطان على العادة في مثل ذلك ، ولَمّا عادت العساكر المصرية صحبَة السلطان إلى القاهرة فوّضت إليه نيابة الغيبَة بدمشق ، ولم يتحرك السلطان في تلك المدة بحركة في دمشق إلا برأيه وترتيبه ، لقِدم هجرته ومعرفته بِمُصطلح الملك من الأيام الناصرية .

ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور وصلى عليه نائب الشام وأعيان الأمراء والقضاة . وكانت جنازة حافلة ، ودفن في الصالحية بتربتهم .

وكان قد حدَّث عن ابن دقيق العيد .

ولَمّا توفي ـ رحمه الله تعالى ـ قلتُ أنا أرثيه :

يا ذلّتي وشقايَ بعدَ مَسْعود وطولَ حُزني وتعدادي لتَعديدي
ويا نواحي الذي يَملا نواحيَ جيـ ـرون استَعدْ واستزد لي فوق مجهودي[٤]

(١) في (خ) ، (س) زيادة : « بها مدة » .
(٢) أي : أبطأ في نجدتهم .
(٣) الجتر : هي المظلّة على هيئة قبّة من الحرير المزركش .
(٤) (خ) : « وأستزدني » . وفي (س) : « فوق موجودي » .

مـاتَ الأميرُ الـذي كان الـزمـانُ إذا ... سَطـا لجـأنـا لظـلٍّ منـهُ ممـدودِ
ولّى وزالَ وقـد أضحَت منـاقبـه ... بينَ الأنـامِ لـهُ تَقْضي بتخليـدِ
كانت لَيـاليـهِ أعراسـاً لنـاظِرهـا ... حُسْنـاً وأيّـامُـه أيـام تَعييـدِ
وكانَ للملـكِ عِطفٌ من عَـزائمِـه ... يَختـالُ في حلّتي نصرٍ وتـأييـدِ
[زهـا بـهِ الملك من مصرٍ إلى حلب ... وهـزَّ عجباً بـهِ أعطـاف أُملـود](١)
وشيَّـدت ركنَـه منـه سيـاستُـه ... وباتَ من ذاكَ في استيعابِ تمهيـدِ
تُغني بسـالتـه يـومَ الكريهـةِ عن ... لِبـاسِ سـابغـةٍ من نَسـجِ داوودِ
تكادُ أسيـافُـه تَقضي على مُهَـجِ الـ ... أعـداءِ في حَربهـا من غيرِ تَجريـدِ
ويصبحُ الرّمح في يُمنـاهُ ذا هَيَفٍ ... ووجنـةُ السَّيفِ تمسي ذات تـوريـدِ
يَمحـو ببيضِ أيـاديـهِ الكريمـةِ مـا ... للـدَّهرِ من ظلمـاتٍ في الـوَرى سـودِ
أضحَت بـهِ غـزةٌ في عِـزَّة فتحتْ ... بـابـاً لنَيْـلِ المعـالي غير مردودِ
كـذا طَرابُلُس إذ صـارَ نـائبُهـا ... بـادَت نـوائبهـا عنهـا إلى البيـدِ
وجـاورَ البحر فيهـا مثلـهُ وربـا ... على عجـائبـهِ بـالفَضلِ والجـودِ(٢)
خـلائـقٌ مثـلَ روضِ زَهرهِ خَضِـلٌ ... ونسَمـةُ الصُّبـحِ فيـهِ ذات ترديـدِ
وطـابَ رَيّـاً كما طـابت أُرومتـه ... أصـلاً تَفَرَّع عن آبـائـهِ الصيـدِ
ومـا تـواضـعَ إلاّ زادَ رفعتـه ... علـوٌّ مجـد بفرعِ النَّجمِ معقـودِ
وزانَ أيـامـه من بعـدمـا عطلت ... بجـوهرٍ تـزدهي منـه بتنضيـدِ(٣)
فـالتّـاجُ في رأسِهـا راقَتْ جـواهرُهُ ... والشّنْفُ في أذنِها والطَّوقُ في الجيـدِ
يـا حـاجِبـاً كانَ عينُ اللهِ تحرسـه ... من عينِ عـادٍ مع المعـدومِ معـدودِ
أخليت أفق دمشـقَ من سنـاك فطر ... ف النجم مـا بين تصـويت وتصعيـدِ
تَبكي الكـواكب بَـدْراً كانَ يـؤنسُهـا ... بنـورِه ثم أضحى تحتَ جُلمـودِ

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) (س) ، (خ) ، (ق) : « في الفضل » .
(٣) في الأصل : « هطلت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

أبقى بنيـهِ رواةَ الجـودِ عنـهُ لنـا فنحنُ في سنـدٍ فيـهِ ابن مسعـودِ[١]
لا زالَ تسقي ثَراهُ سُحبُ مغفرةٍ تسري لـه في طريـقٍ غير مسـدودِ[٢]

ولَمّا كان الأمير بدر الدِّين ـ رحمـه الله تعـالى ـ بطرابلس نـائبـاً أهـدى إلى الأمير سيف الـدِّين أرغـون شـاه ، وهـو نـائب دمشـق ، شيئـاً من القلقـاس وقصب السكر والمحمّضات[٣] ، فكتبتُ أنا الجوابَ إليه عن ذلك وهو : يقبّل الباسطة الشريفة العاليـة المولوية الأميريـة الكبيريـة[٤] البـدريّـة ، لا زالت أيـاديهـا تنقل الغوارب[٥] ، وتبعث نفوس محبيهـا[٦] على التوسع في نيل المـآرب ، وتخصّهم من تُحَفِهـا بمـا يجمع لهم بين لـذّة المناظرة[٧] والمآكل والمشـارب ، ويُنْهي بعـد دعـاءٍ تفسحت لـه بين النجوم المضـارب ، وولاءٍ أعـلامُـه خفّـاقـةُ الـذوائب بين المشـارق والمغـارب ، وورود المشرف الكريم أعـلاه الله تعالى قرينَ ما أنعم به مولانا أعزّ الله أنصاره من هدايا طرابلس المحروسـة ، وتفضل بما يتوق[٨] به إلى معاهدها المأنوسـة ، فوقف المملوك منـه[٩] على روض تـدبَّج ، وكافور بعنبر[١٠] الليل تسبّج . ورأى بحر فضله وهو بأمواج سطوره مُـدَرّج[١١] ، [وبهت لرصف سطوره التي كأنها نبت عـذار في هـامش الخـدّ مخرَّج][١٢]، فلثم المملوك منـه موقع الاسم

(١) تورية بعبد الله بن مسعود الصحابي .
(٢) (س) ، (ق) : « لا يزال » .
(٣) في الأصل : « والمحمصات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وسيأتي ما يؤيد هذا .
(٤) ليست في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « تثقل الذرا والغوارب » .
(٦) (خ) : « محبتها » .
(٧) في الأصل : « المناظرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٨) (س) ، (ق) : « سوّق » ، (خ) : « شوّق » .
(٩) (خ) : « به » .
(١٠) (خ) : « بغير » . والسبجة : كساء أسود ، وتسبج : لبسه .
(١١) (خ) : « تدرّج » ، (س) : « مُدَبّج » .
(١٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

الكريم ، وقبّل منه خدَّ كعابٍ وسالفةَ ريم ، ووصل ماأنعم به من الهدية الكريمة ، فمن قلقاس يقصّر ابن قلاقس عن نعته ، ويَعْجَز البحتري [لوأنّه][1] قواف عن نحته ، كل رأس منه يعود في طبخه كالْمُخِّ ، وتمشي النفس إليه وهو في رقعة الخوان مشي الرّخ ، رؤوسه كرؤوس العدا المحزوزة غَلّفَتها الدماء والهضاب[2] ، وأصابعه كأصابع العَذارى إذا انغمست في الخضاب ، يتفرّى العنبر عن كافوره ، وينصدع الديجور منه بصبح بدا في سفوره ، وينزل في اللهاة ليناً ونعومة وانملاساً ، ويزدرد الحلقوم لذاذة يخطفها[3] من العيش اختلاساً ، ويكاد من نضجه يقول لطاهيه وآكله إذا شبّها وقاسا :

وإن سألوك عن قلبي وما قاسى فقل قاسى ، فقل قاسى

ومن قصب سكرٍ كلّ عود له لدونة غصن البان ، وصفرةٌ استعارها من العاشق إذا صدَّ عنه الحبيبُ أو بان ، وحلاوة ذَوق لولاها لما شبَّهه إلا بالمرّان ، ومائيَّةٍ كريق الحبيب الذي ردّ الردى وصدّ الصدى عن القلب الحرّان ، فشكراً لجزرات الهند وما أهدت منه لأرض العجم والعرب ، وعُجْباً للونه وطعمه ووصفه فما يُدرَى هل هو قصبُ ذهَب ، أو قصب ضَرَب ، أو قصب طَرَبْ ، وبَخٍ بخٍ لِجُرَعِهِ التي تمرُّ بالحلق والازدراد نائم لم يتنبَّه ، وزاهٍ زاه لحالاته المتناقضة فإنَّ حزَّه كحزِّ رقاب العدا ومصّه كمص شفاه الأحبّة ، ومن أترجٍ أصفر وكبّاد أحمر ، هذا لونه لون الوَجل ، وهذا له حمرة الخدِّ الْخَجِل ، هذا تحرّج متضرِّج ، وهذاك تهيَّج وما تدبَّج ، لا تنهض بأوصافها[4] قوائم المسودات والمبيّضات ، ولا يقربُ منها الفواكه الحلوة لأنها تقول : مالنا وللدخول

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) من (س) ، (خ) ، (ق) : « وتراب الهضاب » .
(٣) في الأصل و (س) : « يحفظها » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) : « بأوصافها الحسنة » .

في هذه المحمّضات ، فالله يشكر هذه الأيادي التي جادت له بالبستان والقصر ، ومتّعته وهو في الشام بالمحاسن التي ادَّكَرَ بها أوقات مصر ، بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكان الأمير بدر الدِّين ـ رحمه الله تعالى ـ قد جهَّز إليَّ من طرابلس ثوب صوف أزرق مربَّعاً في غاية الحسن قرين كتاب منه . فكتبتُ أنا الجوابَ إليه أشكر إحسانه وهو :

يقبّل الأرض ، وينهي ورود المرسوم الكريم أعلاه الله تعالى ، فوقف المملوك له قائماً ، وقبّل شفة عنوانه اللَّعساء[1] لاثماً ، وتوهَّم أن هذا طيف خيال من فرحه[2] وأنه كان حالماً ، ووضعه على رأسه وعينيه ، وفَضَّهُ فقبَّل الأرض وكرَّر ذلك ، كأن مولانا ـ أعزّه الله تعالى ـ حاضر[3] والمملوك بين يديه ، ورآه متوّجاً بالاسم الكريم فعلم أنَّ طالعه مسعود ، وفاح أرجه فقال : هذا إما لطخ عنبر أو مسّ عود ، ونزّه ناظره في تلك الحديقة التي تَجَدْوَلت بالسطور وتطوَّلت[4] ببياض طرسها وسواد نقشها فقصر عنها كافور النَّهار ومسكُ الديجور ، وعلم أن كاتبها حرسَه الله تعالى قد تأنى فيها وتأنق ، ودبَّجها بأنواع المنثور فقابل المملوك ما فيها من الجبر والصدقة بدعاءٍ يرفعه ، والملائكة بين سُرادق العرش[5] تضعه ، والله الكريم لعلمه بإخلاصه يستجيبُ له لَمّا يسمعه ، فإن المملوك ما توهَّم أن العبد يرعى له المولى حقوقه ، ولا أن المملوك يُجري بين أيديهم ذكر السُّوقَة ، ووصل ما تصدق به مولانا ملك الأمراء أعزّ الله أنصاره من الصوف[6] الأزرق المربَّع :

(١) اللَّعس : سواد مستحسنٌ في الشفة .
(٢) (خ) : « قزحه » .
(٣) (س) ، (خ) ، (ق) : « أعزَّ الله أنصاره حاضر » .
(٤) في الأصل : « وتطوّل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « العرش العظيم » .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « الثوب الصوف » .

فيـــا فخري بـــه لَمّـــا أتـــاني ويـــا شَرفي بـــهِ بينَ الصفـــوفِ
فـــزُرقتـــهُ تُحـــاكي لازَورداً على لـــونِ السّما والبحر تـــوفي
ولم أرَ قبلـــهُ ثـــوبـــاً رفيعـــاً غـــدا دِرعـــاً أردّ بـــهِ حُتـــوفي
يقـولُ مســـاجـل الأثـوابِ فَخراً لقـد أعيـا الحريري وصفُ صـوفي

ياله من مربّع[1] يَودّ الملوك لو وصفَهُ بألفِ مخّمس ،وذي لون أزرق يحسُن أن يكون سماءً تتبرَّج فيها ﴿ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ﴾[2] ، مـا أحسن لونـه الأزرق لأنَّ البـدر أهـداه ، وما أحكمَ نسجه فإن صانعه أتقن ما ألحمه فيه وسدّاه ، وما أثقلـه من سحـابـه فـإن الغمائم تخجلُ من أيادي مَن أسداه . كم نال الملوكُ به من مسرة بخلاف مـا يزعمـه المنجمون في التربيع ، وكم استجلى من لونه الأزرق سوسناً فكأنّ الزمان به زمـان الربيع[3] ، وتعجبْ لـه من مربّع يُحكمـه أهل التثليث ويطيبُ الثنـاء على صـانعـه وأصلُـه خبيث ، ونشره الملـوك من طيِّـه فرآه بحراً وجنْدرَتْـه أمـواجُـه ، وقـال : هـذا خليـجٌ جـاء من بحر لا ينحرف عن الجود[4] معاده ومعـاجُـه[5] ، فكل أمره عجيب ، وكلٌّ مـا فيـه غريـب ، حتى إنه في غاية اللِّين وإن كان يصنعه عُبّاد الصليب . وقـد غفر الملوك بـه من ذنوب الـدهر مـا مضى ومـا بقي ، وجعل تـاريخ قـدومـه عيـداً ومـا يُنكر تـاريخ المسعودي ولا الأزرقيّ[6] ، والله يُـوزع الملـوك شكر هـذه الصّدقـات التي عمَّ سحـابُهـا وأغرق . وروى جودُها عن نافع بن الأزرق[7] ، فقد نوَّهت بقَـدْره ، ونوعت لـه أسبـابَ جبره ،

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « من ثوب مربع » .
(٢) سورة التّكوير : ١٦/٨١ .
(٣) قوله : « وكم استجلى » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٤) (خ) : « لا ينحرف عنه » .
(٥) (س) ، (خ) ، (ق) : « ولا معاجه » .
(٦) محمد بن عبد الله ، مؤرخ له : أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار ، (ت ٢٥٠ هـ) .
(٧) (ت ٦٥ هـ) .

ويُديم الله أيام مولانا ملك الأمراء لماليك[1] أبوابه وغلمانه ، ويغفر بإحسانها لهم ذنوب زمانهم ، فإنهم مِنْ ظِلّه الوارف في أمانه ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

١٨٥٥ ـ مسعود بن سعيد*

[ابن يحيى] ، سعد الدّين المصريّ الجيزيّ المعروف بابن الحماميّة .

كان صوفيّاً أديباً ، سمع من الحافظ العطار[2] ، وكان شيخاً حسناً ، حسَنَ المحاورة يكتب خطّاً حسناً . وكان واسع الصدر ، كثير الاحتمال ، صحبَ بيدرا مملوك الأشرف[3] ، وكانت له صورة في أيامه ، وكان مع ذلك متواضعاً ، دخل عليه يوماً ولده ، فأساء عليه الأدب وسبَّه وشتمه شتماً قبيحاً ، فلما فرغ قال له : ما نصطلح ؟ وكتب له ورقة بأربعين درهماً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده تخميناً سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته بالجيزة .

أنشدني من لفظه شيخنا أثير الدين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

عـلامَ أُلامُ في حُلـو الشَّمائـل ... ويَعـذُبُ في الهَـوى عَـذْلُ العَـواذلْ
غـزالٌ هِمتُ من غَـزلي عليـهِ ... إذا وافى بِجَفنَيْـهِ يُغـازل[4]
لـهُ وَجـهُ الغَـزالـةِ حينَ تَبـدو ... ضُحىً من فوقِ غصنِ البانِ مائـل

(١) (خ) : « بماليك » .

* الدُرر : ٣٤٩/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) والدُرر .

(٢) يحيى بن علي (ت ٦٦٢ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٣) قتل سنة (٦٩٣ هـ) ، الوافي : ٣٦٠/١٠ .

(٤) في (س) ، (ق) : « لديه » .

نَبِيّ جمـــــالِ حُسْن كم أقـــــامَت لـــهُ الألحـــاظُ فينــا من دلائــل[١]

١٨٥٦ ـ مسعود بن أبي الفضائل*

علم الدِّين المعروف بابن حشيش الكاتب .

نقل طرائق خاله معين الدِّين هبَة الله بن حشيش وزير المعظم بن الصالح أيوب وكاتبه . وكان قد رتَّبه كاتب الوزارة بدمشق مدة ، ثم اجتذبه الأشرف موسى صاحب حمص[٢] وحظي عنده ، وله فيه أبيات :

والله لـــــــولا الأشرف السلطـــــــانُ عنترة الجيـــــوش
مـــــــا كان ابن حشيش بين النـــــــاس إلا كالحشيش[٣]

ولما توفي الأشرف صاحب حمص استمر علم الدِّين مسعود كاتب درج النواب بمعلوم من ديوان السُّلطان ، ثم نقل إلى كتابة الدرج بدمشق .

أقام مدة ثم إنه توفي سنة ست وتسعين وست مئة بدمشق ، وسيأتي ذكر ولده القاضي معين الدِّين هبة الله بن حشيش .

١٨٥٧ ـ مسعود بن قراسنقر**

الأمير سعد الدِّين بن الجاشنكير ، أخو الأمير سيف الدِّين قطلوبك ، وقد تقدم ذكره .

كان قد ولِيَ الحجوبيَّة بدمشق مُدّة ، ثم إنه تولى القدس مدة .

(١) في الأصل : « بُنَيِّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) هو موسى بن إبراهيم بن أسد الدِّين شيركوه (ت ٦٦٢ هـ) ، الشذرات : ٥/٣١١ .

(٣) في الأصل و (ط) : « ما كان لين لحشيش » . وأثبتنا ما في (ق) .

** الدُّرر : ٤/٣٥٠ .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق ثاني[١] شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ونقل بعد ست ليال [إلى القدس][٢] ودفن هناك في تربةٍ كان عمَّرها له .

١٨٥٨ ـ مسعود بن محمد بن محمد*

الإمام الفاضل قوام الدِّين ابن الشيخ برهان الدِّين ابن الشيخ الإمام شرف الدِّين الكرماني الحنفي .

قدِم دمشق في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، ونزل الخاتونية بالقصّاعين[٣] ، وحضر عنده الجماعة ، ودخل إلى تنكز ، وتردد إليه الطلبة ، وكان يعرف الفقه والأصول والعربية ، وكان عنده بحث ونظر وجدال ، ولوالده وجدِّه مصنَّفات في العلوم[٤] .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن المشهدي :** محمد بن عمر .

☆ **ابن مصدّق :** الحسين بن عليّ .

☆ **ابن مُصعَب :** نور الدِّين أحمد بن إبراهيم .

☆ **المطروحي :** الأمير جمال الدِّين آقوش .

☆ **المطعِّم :** عيسى بن عبد الرحمن .

☆ **ابن المطهّر :** الشيخ جمال [الدِّين][٥] الحسين بن يوسف .

---

(١) في (س) ، (ق) : « ثاني عشر » .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

* الدُّرر : ٣٥١/٤ ، والشذرات : ١٥٧/٦ .

(٣) (ق) : « ونزل بالخاتونية في القصاعين » .

(٤) ووفاته سنة (٧٤٨ هـ) .

(٥) زيادة من (ق) .

☆ **ابن معبد** : الأمير علاء الدِّين علي بن محمود . وأخوه الأمير بدر الدِّين محمد بن محمود .

١٨٥٩ ـ المظفر بن محمد*

[ابن جعفر][1] الصَّدر الكبير الأمير فخر الدِّين بن الطَّرّاح ، قد تقدَّم ذكر أخيه قوام الدِّين الحسن بن محمد في مكانه من حرف الحاء .

كان عارفاً بتحصيل الأموال وعمارة الأرضين .

ولِيَ نيابة واسِط والحلّة والكوفة مدة طويلة ، وكان كريماً شجاعاً فاضلاً ينظم[2] وينثر ، وله خبرة تامة بمباشرة الديوان .

ولم يزل على ذلك إلى أن قُتل ببغداد ، وكان عليه ديوان أكثر من مئة ألف درهم ، وصودر أهلُه وأقاربه وأتباعه ، وكان يكاتب السلطان الملك الأشرف صلاح الدِّين خليل بن قلاوون ، وقد مرَّ طرف من ذكره في ترجمة أخيه قوام الدِّين .

١٨٦٠ ـ مظفر بن عبد الله**

ابن مظفر بن قرناص الشيخ فتح الدِّين أبو الفتح بن بدر الدِّين بن قرناص الخزاعي الحموي .

سمع بدمشق من ابن أبي اليسر سنة سبعين وست مئة .

وحدَّث عنه ، وسمع منه ابن طويل وجماعة .

---

* لم نقف على ترجمة له ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ، وهي زيادة صحيحة تتفق مع نسب أخيه .

(١) في الأصل : « ابن الصدر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) في الأصل : « وينظم » ، وأثبتنا ما في (س) .

** تاريخ أبي الفداء : ٤/١٠٠ ، والدُّرر : ٤/٢٥١ .

وكان من أعيان بلده وعُدولِها ، وله نظم .

ووليَ نظر الْمَعَرَّة ، ونظر الجامع بحماة ، وله مُلك يقوم بأمره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف المحرَّم سنة ثلاثين وسبع مئة بحماة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن المعلم :** رشيد الدين الحنفي إسماعيل بن عثمان . وفخر الدِّين محمد بن محمد . وشمس الدِّين محمد بن يحيى . وتقي الدِّين يوسف بن إسماعيل .

☆ **ابن معضاد :** محمد بن إبراهيم .

☆ **ابن المغازي :** ضياء الدِّين عيسى بن أبي محمد .

١٨٦١ - مغلطاي*

الأمير علاء الدِّين الناصري الجمالي ، المعروف أولاً بمغلطاي خُرَّزْ ، بضم الخاء المعجمة والراء وبعدها زاي .

كان من أكبر مماليك السلطان الملك الناصر محمد ، أمير مئة مقدم ألف .

ولاّه السلطان الوزارة بعد الصاحب أمين الدِّين في رابع عشري شهر رمضان[(١)] سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، كان أستاذدار وأمير منزل ، وتولى الوزارة مضافة إلى ذلك ، ولم يجتمع ذلك قبله لغيره .

وكان خيِّراً كريماً عديم الشر حليماً ، لا يستكثر شيئاً على أحد ، ولا يظلم مَن اعترف ولا جَحَد[(٢)] ، وعمَّر داراً ومدرسة وتربة على التقوى إن شاء الله مؤسسة ، وذلك بدرب الملوخيّة داخل القاهرة . إلا أنه في الآخر تزلزلت عند السلطان مكانته ،

* الدُّرر : ٣٥٥/٤ .

(١) في البداية والنهاية : ١١٢/١٤ : « في ثاني عشر رمضان » .

(٢) (ق) : « ولا مَنْ جحد » .

وخانته إعانته فمرض وتعلل وظمئ إلى العافية وما تبلَّل ، وكَلَّ حَدُّ سَعده وتغلَّل ، وتردَّى حلةَ الإدبار وتجلَّل ، وتوجه إلى الحجاز ، وانتقلت حقيقة حياته إلى المجاز .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ عائداً بعقبة إيلات سنة ثلاثين وسبع مئة ، ولم يزل على الوزارة إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان أستاذ داره سيف الدِّين مازان وخزنداره سيف الدِّين طُراي هما المتحدثان في القطع والوصل والاستخدام والانفصال ، ولَمّا ولِيَ الوزارة طلب الصاحبَ شمس الدِّين غبريال من دمشق إلى مصر وجعله ناظر الدولة معه ، فأقام معه إلى أن سعى في عوده إلى الشام بعد سنتين ، وكان إذا توقف الأمير سيف الدِّين أرغون النائب في العلامة على توقيع براتب أو بإقطاع أو بشيء من غير ذلك ، يقول الوزير : لأي شيء ما كتبت عليه ؟ فيقال له : يا خوند ، أستكثر ذلك على صاحبه ، فيقول : هو ما هو كثير عليه ، إقطاعه تعمل في السنة ألف ألف درهم[1] ، ويعلّم هو على التوقيع .

وكان قد حضر إلى دمشق متوجِّهاً لكشف القلاع الحلبيّة في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٨٦٢ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدِّين البيسري ، أحد أمراء دمشق .

كان أميراً جيداً ، وله معرفة بالطيور وأمراضها .

ودفن[2] بالجبل ، وصلى عليه نائب السلطنة الأفرم بسوق الخيل ، وكانت وفاته في ثاني جمادى الأولى سنة سبع وسبع مئة .

---

(١) في (ق) زيادة : « وثلاث مئة » .

* الدُّرر : ٣٥٥/٤ .

(٢) في (س) ، (ق) : « دفن » بلا واو .

١٨٦٣ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدِّين بن أمير مجلس .

حضر إلى دمشق من القاهرة ، وكان في دمشق أمير مئـة مقـدم ألف ، وكان الأمير سيف الدين يحبه ويكرمه .

وتوفِّي رحمه الله تعـالى في رابع ذي الحجـة سنـة ثلاث وثلاثين وسبع مئـة ، ودُفن بجبل قاسيون .

١٨٦٤ ـ مغلطاي**

الأمير علاء الدِّين الخازن النائب بقلعة دمشق .

تـوفي بهـا في عـاشر صفر سنـة ست وثـلاثين وسبـع مئـة ، ودفن في تربتـه بسفـح قاسيون .

وكان رجلاً جيداً محبّاً للخير ، وله بِرّ ووقف ، وخلَّف تركةً جيدةً .

١٨٦٥ ـ مغلطاي بن قليج***

ابن عبد الله ، الشيخ الإمام الحافظ القدوة علاء الـدِّين البكجريّ ـ بـالبـاء ثـانيـة الحروف وبعد الكاف جيم وراءٌ وياء النسبة ـ الحنفي مدرِّس الحديث بـالظـاهريـة بين القصرين بالقاهرة .

شيخُ حديث ، يعرف القديم والحديث ، ويَطول في معرفـة الأسماء إلى السماء بفرعٍ أثيث ، وينتقي بمعرفته الطيّبَ من الخبيث ، ولِيَ الظاهرية شيخاً للحـديث بهـا بعـد

* لم تقف على ترجمة له .

** البداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، والدُّرر : ٣٥٥/٤ .

*** وفيات ابن رافع : ٢٧١/١ ، والدُّرر : ٣٥٢/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ ، والبـدر الطـالع : ٣١٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٩/١١ .

شيخنا العلاّمة فتح الدِّين بن سيِّد الناس ، وعبث المصريون بـه لأجل ذلـك ، ونظموا الأشعار والأزجال والبلاليق الأكياس[(١)] ، ونفضوا ما عندهم في ذلك ولم يغـادروا بقـايـا نفقات ولا فضلات أكياس .

وكان كثير السكون ، والميل إلى المُوادَعـة والركون ، جمع مجـاميـع حَسَنـة ، وألَّف تواليف أتعبَ فيها أنامله ، وكدَّ أجفانه الوسنة .

ولم يزل على حاله إلى أن ابتلعته المقابر ، واستوحشت له الأقلام والمحابر .

وجـاء الخبر إلى دمشـق بـوفـاتـه في سلـخ شهر رمضـان المعظم سنـة اثنتين وستين وسبع مئة[(٢)] .

ومولده بعد التسعين وست مئة[(٣)] .

كان يلازم قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني وانتفع بصحبته كثيراً ، فلَمّا مـات الشيـخ فتـح الـدِّين محمـد بن سيِّـد النـاس ـ رحمـه الله تعـالى ـ في سنـة أربـع وثـلاثين وسبع مئة ، تكلم القاضي له مع السلطان ، فولاّه تدريس الحديث بالظاهرية مكانـه ، وقام الناس وقعدوا لأجل ذلك ، ولم يبال بهم .

ولَمّا كان في سنة خمس وأربعين وسبع مئـة وقف لـه الشيخ صلاح الـدِّين العلائي رحمه الله تعالى على تصنيف لـه[(٤)] وضعـه في العشق ، وكأنَّـه تعرَّض فيـه لـذكر عـائشـة الصِّدِّيقة رضي الله عنها ، فقـام في أمره وكفَّره ، واعتقل أيـامـاً ، فقـام في حقِّـه الأمير بدر الدِّين جنكلي بن البابا وخلَّصه .

(١) في الأصل : « والأكياس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) ووفاته كما في الدُّرر في رابع عشري شعبان . وانظر النجوم .
(٣) وفي الدُّرر : « وكان مغلطاي يذكر أنَّ مولده سنة ٦٨٩ هـ » .
(٤) ليست في (س) ، (خ) ، (ق) .

وكان قد حفظ (الفصيح) لثعلب ، و (كفاية المتحفظ)(١) ، وسمع من علي بن عمر الوالي ، ويوسف بن عمر الختني ، ويونس الدبابيسي ، وغيرهم ، ووضع شيئاً في (المؤتلف والمختلف)(٢) ، وعمل (سيرة) مختصرة للنبي ﷺ(٣) ، وقرأ النسائي بنفسه ، ودرَّس بجامع القلعة بالقاهرة بواسطة قاضي القضاة جلال الدِّين .

وكان ساكناً جامد الحركة يلازم المطالعة والكتابة والدأب ، وعنده كُتب كثيرة وأصول صحيحة .

كتب إليَّ من القاهرة وأنا بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة :

سلام كما ازدانَت بروضٍ أزاهِرُ ... وذكرٌ كما نامَت عيونٌ سواهِرُ
تحيةَ مَن شطَّت بهِ عنكَ دارُهُ ... وأنتَ لهُ عَيْنٌ وسَمْعٌ وناظِرُ
فيا سيِّدَ السَّاداتِ غيرَ مدافَعٍ ... ويا واحدَ الدُّنيا ولا مَنْ يُفاخِرُ
لكَ الشَّرفُ الأسْمى الذي لاحَ وَجْهُه ... كما لاحَ وجهُ الصُّبحِ والصُّبحُ سافِرُ
لئن سَهِرَتْ في الْمَكْرُماتِ أوائلٌ ... لقد شَرفت بالمأثراتِ أواخِرُ
سَجايا استَوَت مِنهنَّ فيكَ بواطِنٌ ... أقامَت عليهنَّ الدليلَ ظواهِرُ

يقبِّل الأرض عبدٌ كتَبَ هذه الخدمة عن ودٍّ لا أقول كصفو الراح ، فإن فيها جُناحاً ولا كسقط الزند ، فربما كان شحاحاً ، ولكن أصفى من ماء الغمام ، وأضوا من قمر التمام ، مستوحش من خدمتكم كثيراً ، ومعلن بالثناء وإن كان المملوك حقيراً ،

(١) في اللغة للأجدابي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي (ت ٤٧٠ هـ) ، وكتابه مطبوع ، وكذا كتاب الفصيح لثعلب .

(٢) في أسماء الرجال للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) ، ولعلاء الدِّين مغلطاي ذيل عليه كبير . الكشف : ١٦٣٧/٢ . وانظر النجوم .

(٣) سمّاها : الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم . الكشف : ٩٥٨/٢ .

ومستعرض خدمتكم وحاجتكم(١) ليحصل له الشرف بمناجاتكم ، ويتطلبُ منكم الدعاء بظهر الغَيب ، فإنه متقبل ولا سيما منكم بلا ريب .

والمملوك أجلّ خدمتكُم أن يكتب إليكم لما يقدحه خاطره ، ويسفره ناظره ، لكون باعه قصيراً في هذا العلم وغيره ، وجبركم أوجب هذا الإدلال .

فكتبت أنا الجواب إليه في ورق أحمر وهو :

سُطورٌ تَبَدَّت أم رِياضٌ نواضِرُ ... تحارُ لها مما حوتْهُ النّواظِرُ
أتَينا فَخِلْناها أزاهرَ روضَةٍ ... وما هِيَ إلاّ في السَّماء زواهِرُ
وما شاهَدَتْ عَيْني سِواها رِسالةً ... يُغازِلُني منها حِسانٌ سَواحِرُ
يُحقِّقُ ما فيها مِنَ الْحُسْنِ باطِناً ... لأهلِ المعالي زُخرُفٌ وهو ظاهِرُ(٢)
صناعة من تمسي البلاغة فوق ما ... يُحاولُهُ من نَظمِهِ وهو قادِرُ(٣)
وما كلّ مَن عانى التَّرسُّل ناثِرٌ ... ولا كلّ مَن يُعْزَى لهُ النَّظمُ شاعِرُ
أيا حافِظاً قد ضاعَ عَرْفُ حديثِه ... وما ضاعَ بل قد أحرَزَتْهُ الدَّفاتِرُ
تفضَّلت بدأً بالتَّحيّةِ عالِماً ... بأنّي عن غاياتِ فَضلِكَ قاصِرُ
وباعكَ قد أمسى مديداً على العُلا ... وبحرُكَ في النَّظمِ المنقَّحِ وافِرُ(٤)
إذا افتقرَ المنشي إلى بعضِ فقرةٍ ... فعندكَ من حُرِّ الكلامِ ذخائرُ
وما شئتَ إلاّ أن فضلكَ بعدما ... ترحلتَ يَرويهِ عطاءٌ وجابرُ(٥)

---

(١) في (س) ، (ق) ، (خ) : « خدمكم وحاجاتكم » .

(٢) في الأصل : « المعالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) : « المعاني » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « طوع ما » .

(٤) (ق) ، (خ) : « قد أضحى » . وفي الأصل : « على العلا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) : « إلى العلا » .

(٥) هما : عطاء بن أبي رباح القرشي (ت ١١٤ هـ) . انظر : السيرة : ٧٨/٥ . وجابر بن عمير الأنصاري . انظر : الوافي : ٣٠/١١ .

فلا تُلْزِمَنّي بالجواب وبالجوى لبُعدِكَ يكفيني الحنينُ المسامرُ
وشوقي إلى ما فاتَني من فضائل لها تَقَصت عندي البحورُ الزواخِرُ
وإنّي إذا ماغَنَّت الوُرْقُ نادِبٌ وإنّي إذا نامَ الْخَلِيُّونَ ساهِرُ
فلا زالت العَلياءُ حاليةَ الطُّلَى بألفاظك الحسنى فهنَّ جواهِرُ

يُقبِّل الأرض التي تضع الملائكةُ بها الأجنحة ، ويُدّخر بها من بركات الدعاء نفائس الأسلحة ، تقبيلَ من عدم أنسَه ، وفقَد من السرور فصله ونوعَه وجنسَه ، وعلم أن بهجته من الزمن كانت عارية فاستردّها ، وكذلك العواري . وتبيَّن أن الفراق جعل القلبَ مملوكَ الجوى والعبرات جواري ، وتحقق أن الدهر ناقد فأعدم كلّ مُسلم للنوى شرط البخاري .

وكنّا كما نَهوى فيا دَهرُ قُلْ لَنا أفي الوَسعِ يَوماً أن نَعودَ كما كنّا[(١)]

على أن المملوك يصبِّر نفسه على فراق مولانا ويتجلد ، ويُعَلِّل قلبه باجتماع الشمل فإنه ألِفَ العَوْد وتعوّد ، ويحمل الأمر في هذا البَيْن على الظاهر ولا يتأوّل ، ويتمسّك[(٢)] في بُعْدِه بما قاله الأوّل :

أأحبابَ قَلبي والَّذينَ بذكرِهِم وترداده طولَ الزّمانِ تَعلُّقي
لئن غابَ عن عَيني بديعُ جمالِكُم وجارَ على الأبدانِ حكمُ التَّفَرُّقِ
فما ضَرّنا بُعْدُ المسافةِ بينَنا سرائرُنا تَسري إِلَيكُم فنَلْتَقي

وينهي ورود المشرفة الشريفة ، لا بل كنز الفصاحة التي لو أنفق البليغ مثل[(٣)] أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّها ولا نَصيفه ، بل كعبة الحسن التي لا تزال[(٤)] الألباب بها طائفة ،

---

(١) في الأصل : « التَّوسع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٢) (خ) : « ويتمثل » .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « فيها مثل » .
(٤) في الأصل : « لا تراك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

والعيون مطيفة ، لا بل الغادة الحسناء التي تقرّر بها الاستحسان في مذهب أبي حنيفة ، فوجد مقام الجواب عنها ضنكاً ، ووقف لها واستوقف وبكى واستبكى وقال :

لـكَ الفَضـلُ سَبّـاقـاً بـهِ كلَّ غـايــةٍ ... ومـالـكَ فيــهِ من شَبيــهٍ ولا مِثْـل
وقـد كنتُ مسعـوداً لـوأنّيَ سـابـق ... بكَبْتِيَ عن شَـوقي ولكن بَكَت قَبلي[١]

وقـد شجع المملوك نفسَـه وأرسل الجـواب في هـذا الـورق الأحمر لأمر يرجـو فيـه خيراً ، ولأن الحمرة دليل الخجـل إذا نشرت بين يـدي مـولانـا الـذي حَمَـد البيـانُ عنـد صباحه سُرىً[٢] وسَيْراً ، ولأنها متى أوردت حديث بديع قال لها حفـظ مولانـا ونقـده : لا يصح حديث جاء فيه ذكر الْحُميرا[٣] ، ولولانا علوُّ الرأي في الإتحاف بهـذه الفوائـد ، والمحاسن التي لا تزال غصون ريـاضهـا للمتطفلين على الآداب موائـد ، والله تعـالى يخرق ببقاء مولانا العوائد بمنّه وكرمه .

١٨٦٦ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الـدين المرْتيني ، بفتح الميم وسكون الراء وبعـدهـا تـاء ثـالثـة الحروف وياء آخر الحروف ، ونون .

وليَ نيابة قلعة دمشق مرّات ، وولي الحجوبية بدمشق أيضاً وغير ذلك .

وتوفي بقلعـة دمشق نـائبـاً في شعبـان سنـة تسع وأربعين وسبـع مئـة في طـاعـون

(١) في الأصل : « مسبوقاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « صاحبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وفي المثل : (عند الصباح يحمدُ القوم السّرى) .
(٣) هي عائشة . وأكبر الظن أن المراد بالحديث : حديث الإفك ، وقد سلف أن مغلطاي اتُّهم بأنه تعرَّض لعائشة رضي الله عنها في كتاب (العشق) ، ولعلَّ الصفدي يشير إلى ذلك ، وإلى تبرئته مما رمي به .
* الدرر : ٣٥٥/٤ .

دمشق[١] ، وكان قد جاء الخبر بوفاة ابن له بالقاهرة بأيام قلائل ، فمات رحمه الله تعالى عقيب ذلك .

وكان قد ولي قلعة[٢] دمشق في وقت في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وذلك بعد الأمير سيف الدين بنغجار .

١٨٦٧ ـ مغلطاي*

الأمير علاء الدين أمير آخور السلطان الملك الناصر حَسَن .

كان شديد الباس قويّ النفس في دفع الإلباس ، لا يصبر على ذلّة ، ولا يصاحبُ إلا العزمة المشمعلة[٣] ، كثير الحسد ، لا يرحم عدوّه ولو كان بين ماضغي[٤] أسد . وكان يتنفس الصعداء في حق الدولة ، ويظن أنه فارس الجوّ وصاحب الجولة ، ويرى أنه أحق بها منهم وأجدر ، وأنه أولى بذلك وأقدر ، فما زال يعمل على إبعاد مَنْ كَرِهَه منهم ، وذهاب الحكم في الأمر والنهي عنهم ، وساعدته الأقدار على مراده ، وحكّم فيهم بيض سيوفه وسمرَ صِعَاده ، وزاد في التشفي وإظهار حقوده ، وتلظت نار غضبه بوقوده[٥] :

حتى لو ارتشق الحديد أذابه ... بالوَقد من أنفاسه الصعداء

ثم إن مدة حكمه ما امتدت ، وشدّة جبروته ما اشتدت ، فكبا جواد سعده في وسط ميدانه ، وخرّ بناؤه المشمخر بعد علوّ أركانه ، فانقلبت الدولة عليه كما قلبها ، وجُلبَت البليّة إليه كما جَلَبَها ، ونزل من الثريا إلى الثرى ، وكان أمام الملوك فأصبح وراء السوقة

---

(١) في الأصل : « مصر » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « انظر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٥٥/٤ ، وانظر طرفاً من خبره في البداية والنهاية : ٢٤٩/١٤ .

(٣) المشمعلة : من صفات الناقة القوية .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « ولو رآه مابين » . وفي (خ) : « ولو رآه بين خنعي » .

(٥) في الأصل : « بوفوده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

من الورى ، وانحط منهبطاً[1] إلى سيدوك[2] ، وقال له القدر : هذا القدر الذي لا يعدوك :

فيالها من محنة عاجَلَت قريبةُ العُرس من المأتم

ثم إنه أُفرجَ عنه من اعتقاله ، وحكم الدهر له بانتقاله ، فما فرح بالفضاء حتى عثر بالقضاء ، وناحَ عليه حمام حَمامه ، وبكاه الغيث بأجفان غمامه .

وتوفي بدمشق رحمه الله تعالى عاشر شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

كان يشاقق الأمير سيف الدين منجك الوزير ، ويسمعه الكلامَ الفجّ في كلّ وَقْت ، وكان الوزير يتّقيه ، فلمّا توجّه الأمير بيبغاروس[3] إلى الحجاز ، عمل مغلطاي على إمساك الوزير ، لأنّه انفرد به ، وقلَبَ ذلك الحزب وأباده ، وسيَّر إلى الطريق وأمسك النائب بيبغا ، وهو أخو الوزير ، وتفرّد بتدبير الحال ، وطلع من الإصطبل وصار رأس نوبَة ، وسكن الأشرفيّة . وكان قد تزوّج بابنة الأمير سيف الدّين أيتمش نائب الشام ، وأخرج الأمير سيف الدين شيخو إلى الشام على أنّه يتوجّه إلى طرابلس ، ثم إنّه سيّر[4] إلى دمشق فأمسكه[5] ، وجهّزه إلى الإسكندرية ، وأخرج الأمير علاء الدّين علي[6] المارداني إلى دمشق[7] ، وأخرج غيره ، وأراد[8] إمساك أحمد الساقي نائب صفد ، فجرى ما ذكرتُه في ترجمتِه ، واستوحش الأمير سيف الدّين أرغون الكاملي

(١) (خ) : « وانهبط منحطاً » .
(٢) لم نقف على معناها .
(٣) (ق) ، (خ) : « سيف الدين بيبغاروس » .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) : « إلى طرابلس نائبا ثم سير .. » .
(٥) (ق) ، (خ) : « فأمسكه بدمشق » .
(٦) في (س) ، (ق) : « أمير علي » .
(٧) (خ) : « الشام » .
(٨) في الأصل : « وأمسك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

نائب حلب ، فعمل على إمساكه ، وتخبّط أمر الشام ومَن فيه ، وتعب النّاس به ، وصاروا منه في أمر مريج ، وزاد في الإقدام على القبض والنّقل ، وإخراج الأمراء من الدّيار المصريّة .

ولم يزلْ شرّه[١] يتفاقم ، وضرره يتعاظم ، إلى أن خُلع السلطان الملك النّاصر حسن في يوم الاثنين ثامن[٢] عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وذلك بعد ركوبهم إلى قبّة النّصر ، وأجلسوا السلطان الملك الصّالح صالحاً على الكرسيّ ، ثم إنّ السلطان أمسكه في رابع يوم من مُلكه ، وهو ثاني شهر رجب الفرد ، وأمسك معه جماعة ، منهم الأمير سيف الدّين منكلي بغا الفخري ، وجُهّزوا إلى الإسكندريّة[٣] ، وفي مغلطاي يقول القائل :

سلطاننا في مُغلطاي أطاع أمرَ الخالقِ
وشفى القلوب بحبسه وأذلّ كلَّ منافقِ
وخَبيصةَ البحر اغتدى وخراه منه تقاتقي

ولم يزل مغلطاي معتقَلاً إلى أن أفرج السلطان[٤] الملك الصّالح عنه وعن الوزير منجك ، فوَصلَ الأمير علاء الدّين مغلطاي إلى دمشق في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة متوجّهاً إلى طرابلس ليكون بها مقيماً بَطّالاً ، وأقام بها قليلاً ، فحصَل له ضعفٌ وتعلَّلَ ، فسأل من السلطان أنْ يحضَرَ إلى دمشق ليتداوى بها ويقيم فيها ، فرسم له بذلك ، فحضر إلى دمشق وأقام بها أيّاماً قلائل ، وهو في مرضه إلى أنْ مات في تاريخه المذكور ، رحمه الله تعالى .

وكانت مدّة حكمه ثمانية أشهر ويومين ، لأنّه أمسك الوزير[٥] منجك في رابع

(١) (خ) : « أمره » .
(٢) (خ) : « ثاني » .
(٣) في (ق) (خ) : « ثغر الإسكندرية » . وانظر البداية والنهاية : ١٤/٢٤٠ .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (خ) : « الأمير » .

عشري شوّال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وأمسك هو في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وذلك ثمانية أشهر ، لا بل ثمانية أيام حسوما .

وقلتُ أنا في أمره لمّا أُمْسِكَ :

مَغَالِطُ مغلطاي مشتْ قليلاً ... ورَوَّجَها الزمانُ لَهُ فراجَتْ
وعاجَتْ عن قليلٍ واضمحلّتْ ... وما جاءَتْ بِخَيْرٍ حين مَاجَتْ

اللّقب والنّسب

☆ **ابن المغيث :** إسماعيل بن عبد العزيز .

☆ **ابن مكتوم :** تاج الدّين أحمد بن عبد القادر .

☆ **ابن المكرّم :** أبو بكر بن محمّد . وجمال الدين محمّد بن مكرّم .

☆ **ابن مكيّ :** محمّد بن محمد . وأخوه أحمد .

☆ **المقصّاتي المقرئ :** أبو بكر بن عمر .

☆ **المقدسي :** بهاء الدّين إبراهيم بن عبد الرحمن .

☆ **المقريزي :** محي الدين عبد القادر بن محمّد .

☆ **المقاتلي :** فخر الدين عثمان بن بلبان .

☆ **ابن مقاتل الزجّال :** علي بن مقاتل .

☆ **ابن مُقَلّد :** حاجب العرب علي بن مُقَلّد .

☆ **بنو الْمُغَيْزل :** جماعة : منهم زين الدين أحمد بن محمّد ، وفخر الدين عبد الله بن أحمد ، وبهاء الدين عبد الصمد بن عبد اللّطيف[1] ، وفخر الدين محمد بن

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « وشرف الدين عبد الكريم بن محمد ، ونور الدين علي بن عبد الرحمن ، وشمس الدين عمر بن عبد اللطيف » .

عبد الكريم ، وصلاح الدين يوسف بن محمّد ، وناصر[١] الدّين عبد الرحمن بن أحمد .

١٨٦٨ ـ مَلِك آص*

الأمير سيف الدين .

كان أوّلاً بالديّار المصريّة جاشنكيراً ، وقدِم إلى دمشق ، ولم يزلْ على حاله ، وباشر شدَّ الدواوين بدمشق[٢] . ثم إنّه سأل الإعفاء ، فأُجيبَ إلى ذلك ، وباشر عمارة التّربة التي لأرغون شاه تحت قلعة دمشق . وكان قبل ذلك كلّه قد باشر نيابة جَعْبر ، وجَرتْ له واقعة مع العرب ، ونَجّاه اللهُ منها ، ثم إنّه عاد إلى دمشق .

ولّما أمْسَكَ السلطان الملك النّاصر حسن الوزير منجك ، أمرَ بإمساكِ الأمير سيف الدين مَلِك آص والأمير شهاب الدين بن صبح ، لأنّهما اتُّهما بميلهما إلى الوزير ، فأمْسِكَا بدمشق في يوم الخميس عشري القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، واعتُقِلا في قلعة دمشق[٣] .

ولّما كان في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين وسبع مئةأُفرجَ عنهما ، فأُعِيدَا إلى طبلخاناه بعد ذلك ، فأقام الأمير سيف الدين ملك آص على حاله .

ولّما حضر بيبغاروس إلى دمشق انتمى إليه ملك آص ، وبقِيَ في خدمته ، ونَدَبهُ في أشغالٍ ومهمّاتٍ ، فلمّا وصلَ السلطان الملك الصّالح صالح إلى دمشق أمرَ بإمساكِ جماعةٍ ، منهم[٤] الأمير ساطلمش الْجَلالي ، والأمير زين الدّين مصطفى البيري[٥] ،

---

(١) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٥٧/٤ ، والذيل التام : ١٤٩ ، والنجوم : ٣٢٢/١٠ ، وذيول العبر : ٣٠٧ .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « وهم » .

(٥) في الدرر ٣٥١/٤ : « بدر الدين مصطفى البيري (ت ٧٦٩ هـ) .

والأمير علاء الدين عليّ بن البشمقدار ، والأمير سيف الدين ملك آص ، والأمير حسام الدين حسام مملوك أرغون شاه ، وذلك في يوم الأربعاء خامس شوّال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وتوجَّهُوا بهم إلى الإسكندرية واعتُقِلوا بها جميعاً . ولم يزالوا[1] بها .

ولمّا كان في يوم الأربعاء من شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين وسبع مئة وصل إلى دمشق الأمير سيف الدين ملك آص والأمير سيف الدين ساطلمش الْجَلالي ومَنْ كان معهما في الْحَبْسِ ، وقد أُفْرِجَ عنهم ورُسِمَ لهم بالإقامةِ في دمشق بطّالين[2] .

ولم يزلْ ملك آص في دمشق بطّالاً إلى أنْ كتبَ له الأمير علاء الدين أمير علي المارداني نائب الشّام وسأَلَ من السلطان أنْ يُرَتَّبَ له على الأموال الديوانيّة مرتَّبٌ ، فرسم له بذلك ، ورتّب مقدار شهرين .

ثم إنّه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عشر شهر رمضان سنة ستّ وخمسين وسبع مئة ، ودُفِنَ رحمه الله تعالى في تربته المليحة الْمُجاوِرَة لدارِه بجوارِ جامع يلبغا في سوق الخيل .

١٨٦٩ ـ مَلِكْتَمُر*

الأمير سيف الدين الحجازي النّاصري ، أحد المقدّمين أمراء الألوف ، أصهار السلطان الملك النّاصر محمد ، أظنّه تزوّج بابنة السلطان التي كانت أوّلاً مع الأمير سيف الدين طغاي تَمُر النّاصري .

كان في حركاتِه أَشْبَهَ شيءٍ بالقضيبِ إذا مَاسَ ، وهَبَّ بهِ نسيمُ السّحَر باردَ الأنفاس ، ووجْهُه كالبدرِ إذا بَدَا ، والشمسِ إذا رَامَ الحائرُ بها الهدى ، إذا التفتَ فلا

(١) أعاد الناسخ بعد هذه العبارة قوله : « وكان ذلك في يوم الأربعاء خامس شوال ... وسبع مئة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٤٩/١٤ .

* الدرر : ٣٥٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٤/١٠ .

تلتفتْ إلى الغزال النّافر ، ولا تحتج مع جبينه إلى الصَّباحِ السّافر ، مع جودٍ من أين للغمام كرمُه إذا سَفحْ ، أو البحر[(١)] نوالـه إذا طفح ، وخلق كأنّه نسيم وَرْد هبَّ في سَحَره[(٢)] ، وجرّ ذَيْلَه المبلولَ على زَهره ، فهو كما قال أبو تمام في وليده وتغزّل به في قصيده[(٣)] :

مَلِيٌّ بأن يسترقَّ القلو ... بَ على هزله وعلى جدِّه[(٤)]
وأنْ يوجَدَ السّحْر في طرفه ... وأنْ يُجْتَنَى الوردُ من خَدِّه
يشِفُّ القلوب وإنْ أكذبَ الظّنونَ وأَخْلَفَ في وَعْده
بما أشبه البدْرَ من حُسنه ... وما شَاكَل الغصنَ من قَدِّه
وألسنةُ الْحَمْدِ مجموعةٌ ... على شُكْرِه وعلى حَمْدِه

وجرَتْ له بعد أستاذه النّاصر أمور ، وكُسِفَ بدره وسط الدّيجور[(٥)] ، وغَرُبَ نجما ، ثمّ بزَغ في سماء السّعادةِ قمراً تمّا .

ولم يزلْ بعد ذلك في مدارج صعود ، ومَطالع سُعُود ، إلى أن غُصَّ من بريق السّيف بريق ، وأمسكه الأجَلُ في المضيق .

وكانت قتلتُه في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

ولم يكن عند أستاذه الناصر أحدٌ في منزلته ولا مَنْ يُدَانيه في علوّ مرتبته .

قال لي القاضي شرف الدين النشّو : لو أنّ هذا الحجازي يلازم خدمةَ السلطان ويواظبها أخذ منه شيئاً كثيراً إلى الغاية .

(١) في (ق) ، (خ) : « للبحر » .
(٢) (خ) : « شجره » .
(٣) في الأصل : « وتغزل في وليده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) الأبيات ليست في ديوان أبي تمام .
(٥) في الأصل : « بعد الديجور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

وقال لي الشيخ شهاب الدين أحمد العَسْجدي : اجتمعتُ به فرأيتُ[(١)] على ذهنه مسائل فقهيّة يسأل عنها ، وذِهْنُه جيّد .

وقال لي كاتبُه مجد الدين رزق الله : إنّه يلعب بجميع الملاهي ؛ بالعود[(٢)] والدفّ وغير ذلك . وحكى لي أنّه يُصَفُّ له ثلاثة أرؤس خيلاً وأنّه يهمز نفسه فيعدّيها في الهواء إلى الأرضِ من ذلك الجانبِ من غير أنْ يَضَعَ يَدَهُ على شيء[(٣)] منها .

ولقد رأيتُه أنا وهو في القاهرة[(٤)] وفي صلاة الجمعة مع السلطان بجامع قلعة الجبل ، وما يكاد يستقرّ على الأرضِ لا قائماً ولا قاعداً ، لا يزال في حركةٍ يتموّج وينعطف كالغصن[(٥)] ، وكان من محبّةِ السلطانِ فيهِ ما يدعه ينزل[(٦)] يوم السبت إلى الميدان للّعبِ بالكرةِ ، بل يدعه ينزل يومِ الثلاثاء ويلعب بالكرة هو وخاصيَّته[(٧)] من الجمداريّة الذين يألف بهم ويميل إليهم من مماليك السلطان ، وكان يقول له : يا ملكتمر لمّا تلعب تَبَرقَعْ حتّى لا تؤثّر الشمسُ في وجهِك ، ولا يدعه يحضر الخدمة إلاّ في بعض الأوقاتِ القليلة حتّى لا يَرَاهُ أحد .

وكان الحجازي في جملةِ مَنْ أَمْسَكَهم قوصون وحبَسهم في واقعة المنصور أبي بكر[(٨)] ، ولمّا حضر النّاصر أحمد مِن الكرك أخرجَه من الحَبْسِ ، وقتل قوصون ، وأَبَانَ في واقعة الكامل عن فروسيّةٍ ورُجْلَةٍ ، على ما تقدَّمَ في ترجمةِ الأميرِ شمس الدين آق سنقر[(٩)] .

(١) (س) ، (ق) : « فرأيته » .
(٢) (خ) : « وبالعود » .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « على ظهر شيء .. » .
(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) : « في الخدمة » .
(٥) ثمة بياض بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذه الكلمة في (ق) ، (س) .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ينزل معه » .
(٧) في الأصل : « وخاصّة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٨) وذلك في سنة (٧٤٢ هـ) ، كما في الدرر .
(٩) في الأصل : « قراسنقر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

وكان الحجازي أحد مَنْ قامَ بدولةِ الملك المظفّر حاجّي ، ولم يزلْ في غايةِ العظَمة والوجاهةِ إلى أنْ تنكّر له الملك المظفّر بسبب لعب الكرة وتحزُّبهم ، وكأنّه أضْمَر الغَدْرَ ، فجاء أحد مَن اتّفق معه إلى السلطانِ وعرَّفَه[١] أنّهم قد عزموا يوم الاثنين عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين على الركوب إلى قبّة النّصر ليفعلوا كما فعلوا بالملك الكامل ، فطلَبه السلطان الملك المظفّر عشيّة الأحد العصر ، وأمسكه [أمسك][٢] الأمراء الستّة المذكورين في ترجمةِ آقسُنقر ، ويُقالُ إنّ الأمير سيف الدين منجك وغيره من الخاصكية ضربوه بالسّيوف وبضّعوه ، فقال الأمير شمس الدين آقسنقر وقد أمسكوه أيضاً : هذا المسكين ما هو مسلم[٣] ؟! فضربوه بالسيوفِ وقطعوه .

وكان الأمير سيف الدين ملكتمر شابّاً طويلاً حسنَ الوجه ، خفيف الحركة ، زائدَ الكرَم ، قَلَّ مَن يحضر بينَ يديْه ويخرج بغير خِلْعة ولا إنعام سواء كان ربَّ سيفٍ أو قَلَم أو ربَّ صناعة . وحكى لي بعضُ الفقهاء أنّه وَهَبَه مرّة ألف دينار ولم يجتمع به إلاّ مرّة واحدة .

وكان أخيراً قد لَفَّ عليه أولاد الأمراء يركبون معه وينزلون في خدمته ويأكلون على سماطِه ويأخذون إنعاماته[٤] وإطلاقاته ، ولهذا أُمْسِك معه جماعةٌ منهم واعتُقِلوا ، وكانَ السببُ في إمسَاكه وإمساك غيره ، شجاع الدّين أغرلو المقدّم ذكره .

وقلتُ أنا فيه رحمَه الله تعالى :

بَغَا أغرلو على الحجازي ... وكان لِلْمُلْك كالطراز
مضى شهيداً وعاش هذا ... يرتع في اللؤم والْمَغَازي
فمصرُ والشام في التهاب ... البَرْق اليماني على الحجازي

(١) في الأصل : « وعرّفهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « منكم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) (خ) : « ويأخذون أفعاله وإنعاماته » .

١٨٧٠ ـ مَلكتَمُر*

الأمير سيف الدين السعيدي .

أظنّه الذي جهّزه القان بوسعيد إلى الملك النّاصر محمّد بن قلاوون هو والأمير سيف الدين أرغون شاه ، وحضر في وقتٍ إلى الشام وأقام به ثم طُلِبَ إلى مصر وأقام بها إلى أنْ أمسك الأمير سيف الدين صرغتمش ، فَرَسَم السلطان الملك النّاصر حسن بإخراجه إلى قلعة المسلمين .

فخرج وهو مريضٌ ، فلمّا وصل إلى حماة توفّي إلى رحمة الله تعالى في العشر الأول من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

١٨٧١ ـ ملكتَمر**

الأمير سيف الدين المعروف بالدم الأسود .

كان[١] أميرَ ستّين فارساً بدمشق ، وسَكَنَ[٢] بالعقيبة عند حمام الجلال .

توفّي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

اللّقب والنّسب

☆ **ابن الملاّق :** محّمد بن علي .

☆ **ابن ملّي :** الشيخ نجم الدين أحمد بن محسن .

---

* الدرر : ٣٥٩/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣٢/١٠ . وفيه « السعدي » .

** الدرر : ٣٥٩/٤ .

(١) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) (ق) : « وسكنه » . والعقيبة من أحياء دمشق القديمة في وسطها اليوم .

١٨٧٢ ـ المنجّا بن عثمان*

ابن أسعد [بن المنجا] بن بركات بن المؤمّل ، العالم[١] العلامة المفتي زين الدين أبو البركات ابن الصدر عز الدين ابن الإمام الكبير الأوحد العلاّمة وجيه الدين التنوخي المعريّ الأصل ، الدمشقي المولد ، الحنبلي .

حضر على جعفر الهمداني ، وابن المقيّر ، وسالم بن صصرى ، وسمع من السخاوي[٢] ، والتّاج القرطبي ، والرشيد بن مسلمة ، وتفقّه على أصحاب جدّه ، وعلى أصحاب الشيخ الموفّق ، وقرأ الأصول على كمال الدين التفليسي وغيره ، وبرعَ في المذهب .

وتفقّه عليه[٣] ابن الفخر ، وابن أبي الفتح ، وابن تيميّة ، وجماعة من الأئمة .

وشرح كتاب (المقنع) في الفقه شرحاً جيّداً[٤] في أربع مجلّدات ، وفسّر الكتابَ العزيز ولكنّه لم يبيّضْهُ ، وألقاه كلَّه[٥] دروساً ، وشرَعَ في شرح (المحصول) ولم يكمله واختصر نصفه . وكانت له في الجامع الأموي حلقة للاشتغال والفتوى نحو ثلاثين سنة متبرِّعاً . وكان يصوم الخميس والاثنين ، ويذكّر من حين يصلي الصبح [إلى أن يصلي الضحى][٦] .

* البداية والنهاية : ٣٤٥/١٣ ، والشذرات : ٤٣٣/٥ ، والدارس : ٩٤/٢ . وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ، (س) ومصادر ترجمته .

(١) (ق) ، (س) : « الإمام العالم » .

(٢) في الأصل : « البخاري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ومصادر ترجمته .

(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ومصادر ترجمته .

(٤) (ق) ، (س) : « حسناً » .

(٥) (ق) ، (س) : « جميعه » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) .

وكان لـه مع الصّلوات تطوّعٌ كثير ، وفي آخر اللّيل تَهَجُّـد ، ويُفَطِّر الفقراء عنـده في بعض اللّيالي وفي شهر رمضان كلّه .

وسمع (صحيح مسلم) على السخاوي .

وكان له مُلكٌ وثروة وحُرمة وافرة ، وسأل الناس الشيخ جمال الدين بن مالك أنْ يشرحَ لهم (ألفيته) فقال : زين الدين[١] يشرحُها لكم . وكان قـد قرأ على ابن مـالـك وأجازَ لشيخنا الذّهبي جميع مرويّاتِه .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وستّ مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وستّ مئة[٢] .

اللقب والنسب[٣]

☆ **المنبجي :** الأديب بدر الدين محمد بن عمر . ومحمد بن خلف .

☆ **ابن منتاب :** شمس الدين محمد بن داود .

١٨٧٣ ـ منتصر بن الحسن بن منتصر*

الشيخ ضيـاء الـدين الكنـاني العسقلاني المحتـد ، الأدفويّ المولـد والـدّار ، خطيب أدفو .

سمع من الشيـخ شمس الـدين محمّـد بن إبراهيم بن عبـد الـواحـد بن عليّ بن سرور

---

(١) (ق) : « زين الدين بن المنجا » .

(٢) سها المصنّف في إثبات سنـة وفـاتـه ، والمشهور أنـه توفي في شعبـان سنـة (٦٩٥ هـ) ، كما نقل صـاحب الدارس عن العبر للذهبي ، وكما في البداية والنهاية والشذرات .

(٣) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الطالع السعيد : ٦٦٠ ، والدرر : ٣٦٠/٤ .

المقدسي[١] ، وأبي عبد الله بن النعمان[٢] ، وغيرهما . وقرأ الفقه ، ثم ورد إلى البلاد فقيرٌ من السعوديّة[٣] فصحبه وتصوّف ، وعمَّرَ رباطاً بأدفو .

قال كمال الدين الأدفوي : وكان كثير المروءة ، كثير المكارم والحلم ، يبذل مالَه ونفسَه وجَاهَه في حوائج الناس . وكان صحيحَ الاعتقاد وكان كلّ يوم جمعة يصلّي الصّبح بغلس ، ويخرج إلى المقابر يزور ويقرأ ويدعو ، لا يخلّ بذلك ولا ينقطع[٤] عن الصّلوات الخمس بالجماعة إلا لضرورة . وكان يحفظ مسائل من الفقه والكلام ، ويستحضر تواريخ وتراجم النّاس وأنسابهم ، وكان من أحسَن الناس خطابةً يُشجي سامعه .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وقال : قرأت عليه جزءاً من (الشّفاء) .

[اللقب والنسب][٥]

☆ **بنو المنجا :** عز الدّين المحتسب محمد بن أحمد . وقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا . ووجيه الدين محمد بن عثمان . وشرف الدين محمد بن المنجا . وعز الدين محمد بن أحمد ناظر الجامع .

☆ **ابن المنذر :** فخر الدين محمد بن المنذر .

١٨٧٤ ـ منصور بن جمّاز*

منصور بن جَمّاز بن شيخة الحسيني صاحب المدينة الشريفة النبويّة .

(١) توفي سنة (٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٢) محمد بن موسى بن النعمان التلمساني (ت ٦٨٣ هـ) . العبر : ٣٤٦/٥ .

(٣) كذا في الأصل ، والطالع . ولعلها : « السعيدية » وهي بلدة بمصر . (انظر التاج) .

(٤) في الأصل : « ولا يخل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وهو موافق لما في الطالع .

(٥) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ٣٦٢/٤ . ووقع في الأصل : « ابن حماد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر . وفي الدرر : « شيحة » .

قُتِل رحمه الله تعالى سنة خمس وعشرين وسبع مئة في رابع عشر شهر رمضان ، قتله في البريّة شابٌ من أقاربه .

وكان قد كبر وأسَنَّ وشاخ ، وله مدّة في إمرة المدينة من حياة والده ، لأنّ والده كان قد كبر وعجز ، وكان يُخْطَبُ لهما معا إلى أنْ مات والده ، واستقرّ في إمرة المدينةِ بعده ولده الأمير بدر الدّين كُبيش .

١٨٧٥ ـ منصور بن عبد الكريم*

ابن أحمد الشّيخ الصّالح أبو أحمد السَراوي المعروف بابن العَجمي وبابن الحمصي .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان شيخاً صالحاً أقام بدمشق مدّةً في بستانٍ جوار دار الطُعم ، حضرت يوماً عنده فذكر أنّ والدَه كان تاجراً من أهلِ تبريز ، وأنّه قرأ القرآن ولازمَ التّجارة مع والده إلى أنْ بلغ عشرين سنة ، فترك ذلك وحصل له إقبالٌ على الطاعة . وجاور وحضر واقعة حمص سنة ثمانين وست مئة ، ورأى الملائكة فيها ، وأنّه نَظَم قصيدةً على حرف التّاء أكثر من ألفيْ[1] بيت في السلوك ، قال : وأنشدني بعضَها ، وكان اجتماعي به في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

ثم إنّه بعد ذلك انتقل إلى حمص ، وتولّى بها مشيخة الخانقاه إلى أن توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

[اللقب والنسب][2]

☆ **المنصور :** [جماعة][3] : صاحب ماردين غازي بن قرا أرسلان .

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (س) ، (ق) : « ألف » .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

(٣) زيادة من (س) .

☆ **والمنصور :** حسام الدين لاجين .

☆ **والمنصور :** أبو بكر بن محمد .

☆ **والمنصور الكبير :** والد الملوك سيف الدين قلاون .

☆ **ابن منعة :** محمد بن أحمد .

☆ **المنفلوطي :** شرف الدين محمد بن عبد المنعم .

١٨٧٦ ـ مَنْكلي بُغا*

الأمير سيف الدين النّاصري .

كان سلحداراً من أكبر خاصكيّة السلطان الملك النّاصر محمّد ، وكان شكلاً مليحاً طوالاً ، تامَّ الخَلْقِ كبيرَ الذقن ، وكان من خوشداشيّة الأمير سيف الدين أرغون النّائب ، وهو أمير مئة مقدّم ألف ، وزوّجه السلطان أخيراً بزوجته بنت بُرقطاي قريب القان أزبك ، فأقامت عنده قليلاً .

وتوفّي عنها في سنة ثلاثين أو أوائل إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ثم تزوّجَها الأمير سيف الدين موصون[١] أخو قوصون .

١٨٧٧ ـ منكلي بغا**

الأمير سيف الدين الفخري النّاصري .

كان في جملة أمراء دمشق ، ولمّا توجَّه[٢] العساكر إلى مصر في نوبة السلطان أحمد ، توجّه هو صحبَة الفخري ، وأقام في القاهرة ، ثم[٣] جعل أمير جاندار .

* الدرر : ٣٦٦/٤ .

(١) في الأصل : « قوصون » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٣٦٧/٤ .

(٢) (خ) : « توجهت » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ثم إنه » .

وكان حسَنَ الشكل بسّاماً[١] ، فيه خيرٌ ومروءة وتعصُّبٌ لِمَن يخدمه .

ولم يزلْ على ذلك إلى أنْ رُسِمَ له في أيّام المظفّر حاجي بنيابةِ طَرابلس ، فحضر إليها على البريد ووصل إلى دمشق في ثاني عشري المحرّم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحضر معه الأمير شجاع الدين أغرلو ، ليقرّه في النّيابة ويعود ، فأقام بها نائباً إلى أنْ جَرَى للأمير سيف الدين يلبغا[٢] ما جرى من هروبه وإمساكه ، على ما يأتي في ترجمته إنْ شاء الله تعالى ، فطلب منكلي بغا الفخري إلى مصر ، وجاء في طلبه الأمير سيف الدين طشبغا الجدار ، ووصلَ إلى دمشق وتوجَّهَ منها إلى القاهرة في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأقام بمصر ، من أكبر أمراء المشور ، وزادت عظمتُه لَمّا أُمْسِكَ الأمير سيف الدين منجك الوزير ، لأنّه هو الذي عضدَ الأمير علاء الدين مغلطاي أمير آخور على إمساك الوزير .

ولم يزل في زيادة عظمة إلى أنْ خُلِعَ الملك النّاصر حسن وتولّى الملك الصالح صالح ، فأُمسك منكلي بغا المذكور في ثاني شهر رجب من السّنة المذكورة .

ولم يزلْ في الاعتقال بالإسكندرية إلى أنْ وصل الخبرُ إلى دمشق بوفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة . ووُجِدَتْ له أموال عظيمة .

١٨٧٨ ـ منكلي بغا*

الأمير سيف الدين[٣] .

أنشأه الملك الصّالح إسماعيل ، وصار من أكبر الخاصكية ، وحضر من مصر ليتوجَّه

(١) (خ) : « شاباً » ، (س) : « تاما » .

(٢) (خ) : « يلبغا اليحيوي » .

* انظر خبراً عنه في النجوم : ١٩٣/١٠ . وخلَتْ (س) ، (خ) ، (ق) من لفظة « بغا » .

(٣) ثمة بياض بمقدار ثلاث كلمات في (ق) ، (س) بعد قوله : « سيف الدين » .

بالأمير بدر الدين أمير[١] مسعود بن الخطير في أيّام الملك المظفّر حاجي ليرتّبه في نيابة طرابلس ويعود ، وأحضره من غزّة وتوجّه به إلى طرابلس وأقرّه فيها وعاد إلى دمشق فأقام بدمشق مدّة ثلاثة أيام .

وتوفّي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رجب[٢] سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

١٨٧٩ ـ مَنْكبرس*

الأمير الكبير ركنّ الدين أبو سعيد الجمالي التركي السّاقي ، وأحد غلمان الأمير جمال الدين إيدغدي العزيزي .

كان بطلاً شجاعاً مهيباً من أمراء الدولة المنصورية والأشرفيّة ، وَلِيَ نيابة غزّة في دولة المنصور لاجين .

سمع منه شيخنا الذّهبي بحضرة ابن الظّاهري ، وشهد الوقعة ، فجاءته ضربةٌ في وجهه ، فصرخَ في أصحابِه وحمَل بهم في التّتار ، فجاءَه سَهْمٌ واشتغل عنه أصحابُه ، ثمّ عادوا إليه فوجدوه مستنداً إلى رمحِه ، فلمّا سقط عجزوا عن دفنِه .

وكانت قتلتُه[٣] في سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٨٨٠ ـ منكوتمر**

الأمير سيف الدين مملوك السلطان حسام الدين لاجين .

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « صفر » .

* العبر : ٤٠٦/٥ . والنجوم الزاهرة : ١٩٠/٨ . ووقع في الأصل : « منكرس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والعبر .

(٣) (ق) : « وقتلته » .

** العبر : ٣٩٠/٥ ، والنجوم : ١٨٨/٨ ، وبدائع الزهور : ٣٩٩/١/١ .

كان عند مخدومِه جزءاً لا يتجزّا ، ولدناً صلبت قناتُه وإن لان مهَزّا ، لا يخرج عمّا يراه ، ولا يضرب به جبَلاً إلاّ قَطعَه وفَرَاه ، قد حكم عليه وملكَه ، وأدارَ عليه فلكَه ، وهو لا يرى خلافَه ، ولا يرشف إلاّ سُلافه ، فكان عنده[(١)] :

نـافـذ الأمر لـو يجير من النقـ ـص بـدور الـدّجى لـدَامَ التَّمام

فسلك في النّيابة ما لا يجب ، وترك كلّ أمير من الأكابر وقلبُه من الخوفِ يَجب ، وجَسَّرَ أستاذَه على إمساكِ جماعة ، وهَوَّنَ عليه أمانيّه وأطماعَه ، فتغلّثت[(٢)] الخواطر من الأمراء الأكابر ، وتوحّشوا بعدَ الأنسِ وأيقنُوا أنّ السّجونَ لهم مقابر . فقتلوا السلطان ، كما مرّ في ترجمته ، وجرّوا هذا ملكتمر على حزّ رقبته ، على ما تقدّم في ترجمة لاجين ، وذلك سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وبنى المدرسة التي داخل القاهرة ، ودرّس بها في شوّال سنة سبع وتسعين وست مئة . وكان قد وَلِيَ كفالة الممالك بالقاهرة بعد إمساك قراسُنقر وجماعَته في منتصف ذي القعدة سنة ستّ وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن مُنَيِّر :** فخر الدين عبد الواحد بن منصور .

☆ **ابن مهاجر :** الشاعر أحمد بن عبد الله .

☆ **ابن المهتار :** مجد الدين أحمد بن محمّد . ومجد الدين عليّ بن يوسف . وناصر الدين محمد بن يوسف[(٣)] .

---

(١) (س) : « وهو عنده » .

(٢) تغلثت أي : أضمرت السوء ، وأصله : خلط الطعام بالسمّ .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « ومحمد بن علي الصفدي » .

١٨٨١ ـ المهدي*

كان قد خرج بعض الزّنادقة من مدينة حماة وتوجّه إلى بلاد النُّصَيريّة ودخل بلد جَبلة ، وورَدَ إلى دمشق محضَرٌ من طرابلس ، مضمونُه أنّه لمّا كان يوم الجمعة ثاني عشري ذي الحجّة سنة سبع عشرة وسبع مئة بعد صلاة الجمعة حضرت النّصيريّة الكفرة الفجرة إلى مدينة جبلة ، وعُدَّتُهم أكثر من ثلاثة آلاف ، يقدُمهم شخص تارة يدَّعي أنّه محمّد بن الْحَسن المهدي القائم بأمرِ الله تعالى ، وتارةً يَدَّعي أنّه علي بن أبي طالب فاطر السّماوات والأرض ، وتارةً يدّعي أنه محمّد بن عبد الله ، وأنّ البلادَ بلاده ، والمملكة الإسلاميّة مملكتُه وأنّ المسلمين كفرةٌ ، وأنّ دين النّصيريّة هو الحقّ ، وأنّ السلطانَ الملك النّاصر محمّد صاحب البلاد مات من ثمانية أيّام ، واحتوى المذكور على عقول جماعة من مقدّمي النّصيريّة ، وعيّنَ لكلّ إنسانٍ منهم تقدمَةَ ألف ، ونيابَةَ قلعةٍ من قلاعِ المسلمين من المملكةِ الإسلاميّة ، وفرّق عليهم إقطاعاتِ الأمراء والحلقة ، وافترقت الطّائفة المذكورة ثلاث فِرق على مدينة جبلة ، فرقة ظهرت قبلي البلَد بالشّرق فخرج عليهم عسكر المسلمين فكسّرهم وقتَل جماعة عدتهم مئة وأربعة وعشرون ، وقتل من المسلمين نفر يسير ، وهربت الفرقة المذكورة ، وجرح من المسلمين منهم جمال الدين مقدّم العسكر بجبلة . وفرقة ثانية ظهرت قبلي جبلة بالغربِ على جانب البحر ، وفرقةٌ ثالثة ظهرت شرقيّ جبلة بشمالٍ ، وكثروا على المسلمين وكسَروهم ، وهجموا على جبلة ، ونهبوا الأموالَ ، وسبوا الأولاد ، وهتكوا النّساء ، وقتلوا جماعةً من المسلمين بجبلة ، ورفعوا أصواتهم « لا إله إلاّ عليّ ، ولا حجاب إلاّ محمد ، ولا باب إلاّ سلمان » ، وسبّوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . وبقي الشيوخ والنّساء والصّبيان يصيحون وإسلاماه ، واسلطاناه ، وامراءاه[1] ، ولم يكن لهم[2] مُنْجِد في تلك الحالة إلاّ الله تعالى ، وجعلوا يتضرّعون ويبتهلون . وجرى في هذا اليوم أمرٌ عظيمٌ .

* انظر : البداية والنهاية : ٨٣/١٤ ، وذيول العبر : ٩١ .

(١) في البداية : « وأميراه » .

(٢) في الأصل : « له » ، وأثبتنا ما في (ق) .

ثمّ إنّ الشّخصَ المذكور جمعَ الأموال المأخوذة وقسّمها على مقدّميهم ، وقال إنّه لم يكن للمسلمين ذِكْرٌ ولا خبرٌ ولا دولةٌ ، ولو كنت في عشرةٍ بقضيبٍ واحدٍ لا بسيفٍ ولا بترسٍ ولا بِرُمْحٍ ، انتصرتُ عليهم[1] وقتلتُهم ، وأظْهَرَ دينَ النّصيريّة ونادى في البلاد المقاسَمة عليهم بالعشر ، وأمر بخراب المساجد ، وجعلَها خمّارات ، وأمسك النّصيريّة جماعة من المسلمين بجبلة ، وأرادوا قَتْلَهم ، وقالوا لهم : آمِنُوا بمحمّد بن الحسن ، وقولوا لا إله إلاّ عليّ ، فَمَنْ قالَها حقن دَمه وصَانَ مالَه وأعطي فرمانا .

وكانوا في اليومِ المذكورِ قبلَ دُخُولِ جبلة كبسوا ذوق سليمان التركماني وذوق تركمان من جهة حلب ، وأخذوا أموالَهم وأولادَهم وحريمهم ، وكان الغالبُ على الجمع المذكور طائفة العبديّين ، ومنهم الشّخص المذكور ، وطائفة من الحرانيّة وجماعة من بلد المرقب والعليقة[2] ، والمنيعة . وفي عشيّة اليومِ المذكورِ ، وصل الأمير بدر الدين التّاجي مقدّم عسكر اللاّذقيّة ، وبات يحرس جبلة وأولادُه حضور معه ، ومعه العسكر ، وكان قد عزمَ المذكور على دخول جبلة مرّة ثانية ، والشخص المذكور في جامع بجبلة بخَيْلِه ورجالِه[3] بقريةٍ اسمها الصريفة من عمل جبلة . وقد ثبت المحضر المذكور على قاضي جبلة ، وقيل إنّ المذكورَ كان يُريهم خياماً وعساكر في البحرِ ويقول لجَمْعه هؤلاء الملائكة يُقاتِلون معكم وينصرونكم . ثم إنّ العسكر الطرابلسي ركب معهم إليهم فأبادوهم ، وقتلوا منهم جماعة وقُتلَ كبيرُهم المذكور ، وأراحَ الله منهم .

١٨٨٢ ـ مهدي*

الأمير عز الدين والي حلب .

---

(١) (ق) : « على المسلمين » .

(٢) كذا ضبطت في (ق) ، ولم تعجم في الأصل . وهي غير واضحة في (س) ، (ط) . والمرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على مدينة جبلة على الساحل .

(٣) (ق) : « ورجلة » .

* الدرر : ٣٧٠/٤ .

ذُكر أنّه كان وتّاراً يصنع الأوتار بحلب ويبيعُها للقطّانين ، ثمّ إنّه توصَّلَ وعملَ الجنديّة ، ثمّ أخذ عشرة ، وعمل ولاية حلب ، ثمّ شدّ الدّواوين بحلب .

وكان حسَنَ الشّكلِ مليحَ الذقن والحواجب ، أسودَ الشعر ، حلو العبارةِ ، عليه قبول .

حضَرَ مع بيبغاروس إلى دمشق ، ثمّ إنّه أُمْسِكَ مع مَنْ أُمْسِكَ وحضر مع الجماعة الذين جُهِّزُوا مع الأمير فارس الدين ألبكي ، واعتُقِلوا بقلعة دمشق .

ثمّ إنّه أخرج ووسّط في ثالث شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة في سوق الخيل هو ونائب صفد برناق وحاجي أخو أحمد نائب صفد وأسنبغا الرّسولي نائب جعبر وأسنَ بك بن خليل الطرقي[(١)] ، على ما تقدَّم في ترجمةِ ألطّنبغا برناق .

١٨٨٣ ـ مهلهل بن سعيد*

الفقيه نجم الدين الخليلي .

كان شاهداً عاقداً فقيهاً مدرِّساً بالفرّخشاهيّة الشافعيّة ومدرسة سبع المجانين ، وكان ضعيفَ البصر ، معروفاً بخدمة القاضي شرف الدين بن فضل الله .

توفّي رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

☆ **ابن مهمندار العرب** : يوسف بن سيف الدولة .

١٨٨٤ ـ مهنا بن عيسى بن مهنا**

أمير آل فضل عرب الشـام . من بيتٍ أولهم[(٢)] من رجل [من][(٣)] طيّ بن

(١) في الأصل : « الظرفي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

* الدرر : ٣٧١/٤ .

** البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، ومختصر أبي الفداء : ١١٦/٤ ، والدرر : ٣٦٨/٤ ، والشذرات : ١١٢/٦ ، وذيول العبر : ١٨٧ .

(٢) في (ق) ، (س) : « أوله » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

سلسلة بن عُنَين بن سلامان ، نشأ هذا الرّجل في أيّام أتابك زنكي وأيّام ولده[(١)] نور الدين الشّهيد ، وفَد عليه فأكرمَه وشَادَ بذكره ، وإلى هذا عنين يُنْسَبُ كلّ عرب عنين مَن كان من ولده أو من حُلَفائه[(٢)] أو مَن استخدمه الأمراء الذين من ولده ، وهم يزعمون أنّهم من ولد جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك[(٣)] من العبّاسة بنت المهدي أخت الرّشيد هارون .

كان هذا الأمير حسام الدين مهنّا طويل النجاد ، كثير الرماد[(٤)] ، غزيرَ العتاد ، ينخرط في سلوكِ الملوك ، وتقصّر الشّمس عن بلوغِ مجدِه إذا كانت في الدّلوكِ ، يتطفّل الملوك على وفادتِه ، ويرونَ سعادتهم دون سعادتِه ، يُبالغون في إنعاماته ، ويزيدون فيما يُجْرُونَه في إقطاعاته .

لم يزل معظَّماً عند ملوك المغل والإسلام ، مفخما إذا نشرت في الحروب مطويّات الأعلام ، أجَارَ قراسُنقر والأفرم والزّردكاش ، وردّهم بعدَ موتهم إلى الانتعاش .

ولم تُخْفَرْ له ذمّة ، ولم يُبَال بالسلطان أَمَدَحَهُ[(٥)] أم ذمَّه ، وتشرَّدَ بسببهم عن وطنه ، وبَعُدَ لذلك عن عطنه ، وتمادت الأيّام واللّيالي على ما فَعَل ، واشتغل السلطان بأمره واشتعل ، وأتعب العساكرَ في تطلّبه ، وكَلَّ البريد من تقاضي وعوده وتقلُّبه ، وحفيت الأقلام بما تخطّ الرسائل ، وتنّمق الاستعطاف والوسائل ، ونفذت بيوت الأموال في تَرضِّيه ، وتقضّت الأعمارُ في تقاضيه :

إلى كم ترد الرسل عمّا أتوا لَهُ كأنّهم في ما وهبتَ مُلاَمُ

(١) في الأصل : « والده » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « خلفائه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « ابن يحيى بن جعفر برمك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « النجاد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) (س) : « إن مدحه » .

فإنْ كنتَ لا تعطي الـذّمـام طواعـة ... فعَـوْذُ الأعـادي بـالكريم ذمـامُ[١]
وإنّ نفـوسـاً أمَّمَتْـك ، منيعـةٌ ... وإنّ دمـاءً أمَّلَتْـكَ حَرَامُ
إذا خـافَ ملـكٌ من مليـكٍ أجَرْتَـه ... وسيفَـكَ خـافـوا ، والجـوار يُسـامُ

إلاّ أنّه فَازَ في الوفاء بالثّناء[٢] السّموألي ، وفَاحَ بعدَ وفاته الـذّكرُ المندليّ ، ولم يَزلْ يدافعُ بوُعوده ، ويُمَنّي السلطانَ بوصاله بعد صدوده مدّةً تزيـدُ على الاثنتين وعشرين سنة ، والسّلطانُ يرى كلَّ سيّئةٍ يـأتي بها حَسَنَـة ، إلى أنْ دَاسَ بسـاطَـه ، وأَوْفَـدَ عليـه اغتباطه ، فَسُرَّ بِمَقْدَمِهْ ، ولم ينل قطرة من دمه ، وأفـاض عليـه أنعُماً[٣] أخجل البحـار مَدَدُها ، وأملَّ الأنفاسَ[٤] والأنفالَ عَدَدُها ، وعَادَ إلى بيوتِه سالمًا ، وظنَّ النّـاسُ بـه أنّـه كان في هذه الحركة حالِمًا .

ولم يَزَلْ بعد ذلك على حالِه إلى أنْ ركبَ مطيّة الشرجع[٥] ، وعَزَّ على ذَويه المآبُ والْمَرجع .

وتوفّي رحمه الله تعـالى في ثـامن عشر ذي القعـدة سنـة خمس وثلاثين وسبـع مئـة بالقربِ من سَلَميّة ، ودُفِنَ بتربةٍ له في قرية بينهـا وبين سلميّـة مسـافـة بريـد ، وحزن العربُ عليـه ، وأقـاموا لـه مـأتمـاً عظيمـاً ، واجتمع الرّجـالُ لـذلـك والنسـاء من البـلاد والقرى ، ولبسُوا السّوادَ ، وعَاشَ نيفاً وثمانين سنة .

وقُلْتُ أنا لمّا توفّي رحمه الله تعالى :

أمسى مهنـا بـالمات منغّصـا ... فمصـابُـه عَمَّ الأنـامَ وخصَّصَـا
كم شقّ منـه على الصّـوارم والقنـا ... إدراكُ مطلوبٍ وقـد شـقّ العَصَـا

(١) (س) : « الأيادي » .
(٢) (س) : « بالهناء » .
(٣) (س) ، (ق) : « نعما » .
(٤) (س) : « الأنقاس » .
(٥) الشرجع : النعش .

وأقـــامَ في نجـــدٍ بحصنٍ مـــانـع لا تستطيـعُ لـه الجيـوشُ تَخَلُّصَـا
حتّى إذا وافَتْ منيّتُـــه ، وقـــد أمسى بـــه ظـلُّ الحيـــاة مقلّصَـــا
جَرَّتْ عليــه الرّيحُ ذَيْـلَ هَـوَانِـه لَمْ يَـدْرِ ضربَ الرّمل أو طَرْقَ الحصى

وهـؤلاء آل فضـل هم جمهرة العرب ، وجمرة الْحَرب والْحَرَب ، وسُحُبُ السَّماح إذا جرَّ الكرم ذيلَه وانسحب .

ومهنّا جـدّه : هو الأمير مـانع بن حُـدَيْثـة بن فضل بن ربيعـة الطّـائي الشّـامي التدمري[١] ، كان أميرَ عَرب الشّام في دولة طغتكين صـاحب دمشق ، ولم يصرَّح لأحـد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليدٍ من السّلطان إلاّ من أيّام العادل الكبير أبي بكر أخي السّلطان صلاح الدّين ، أمَّرَ منهم حُدَيْثَـة ، ثمّ إنّ ابنـه الكامل قسَم الإمرة نصفين لمانع بن حُـدَيْثَـة ولغنّـام أبي طـاهر بن غنّـام[٢] ، ثمّ إنّ الإمرة انتقلت إلى أبي بكر بن علي بن حُدَيْثَة ، وعَلاَ فيها قَدْره ، وبَعُدَ صيتُه .

ولَمّا كان من البحريّةِ ما كانَ ، سـاقَتْ تصـاريفُ الـدّهرِ الملـك الظّـاهر بيبرس إلى بيوتهم وهو طريدٌ شريدٌ ، ولم يكنْ معه سوى فرس واحـد يعوِّل عليـه ، فسـأل عليّ بن حُديثة فَرَساً يركبه فلم يُعْطِه شيئـاً ، وكانَ ذلـك بمحضرٍ من عيسى بن مهنّـا ، فـأخـذَه عيسى إليه ، وضَمَّهُ وآواهُ وأكرَمَه وقراه ، وخَيَّره في رباط[٣] خيله ، فاختارَ منها فَرَساً ، فأعطـاه ذلـك وزوَّدَهُ ، وبـالغَ في الإحسـانِ إليـه ، فعرفَهـا الظّـاهرُ لـه ، ولَمّـا تَسَلْطَنَ الظّاهرُ ، انتزعَ الإمرةَ من أبي بكر بن علي ، وجعلها لعيسى بن مهنّا ، وأتـاه أحمـد بن طاهر بن غنّام وسأله أنْ يُشْرِكَه معه في الإمرةِ ، فَـأَرْضَـاه بـأنْ يُعْطِيَـهُ إمْرَةً ببوق[٤] ،

(١) في الأصل : « المنذري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « غلام » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) (س) ، (ق) : « ربائط » .
(٤) لم تعجم في الأصل . وفي (ق) : « بنوق » ، وأثبتنـا مـا في (س) . و (بوق) : مـوضـع قرب رحبـة مالك بن طوق . انظر : معجم البلدان .

وبقي أبو بكر بن عليّ شريداً طريداً ، تارةً بنجد ، وتارةً بأطرافِ الشام إلى أنْ ماتَ . وأمَّنه الملك الظاهر غيرَ مرّةٍ وحلفَ له فَمَا وثق به واطمأنّ إليه .

وعلتْ درجةُ عيسى بن مهنّا عند الظّاهر ولم يزل مُعَظَّماً إلى أنْ ماتَ .

ثمّ إنّ الإمرةَ صارتْ لوَلَدِهِ الأمير حسام الدين مهنا هذا في أيّام الملك المنصور قلاوون ، وعَلَتْ مكانتُه أكثرَ مِنْ مكانةِ أبيه .

قال شيخُنا شهاب الدين محمود : حضرت طرنطاي المنصوري ، وهو مخيّم بالخربة ، وقد حضره أحمد بن حجّي أمير آل مَري[1] يدّعي بألف بعير أخذتْها آل فضل لعربهِ ، ومهنّا حاضر ، وكلّ منهما جالسٌ إلى جانبٍ من طرنطاي فألحَّ أحمدبن حجي في المطالبة واحتدّ[2] وارتفع صوته ، ومهنا ساكت لا يتكلم ، فلما طال تمادي أحمد في الضّجيج وتمادى مهنّا في السّكوتِ ، أقبل طرنطاي على مهنا وقال : ما تقول يا ملك العربِ ، فقال : وما أقول؟ نُعطيهم ما طلبوا ، هم أولاد عمِّنا ، وإنْ كانت لهم عندنا هذه البُعيْرات ، أعطيناهم حقَّهم ، وإنْ كان مَا لَهم شيء ، فما هو كثيرٌ إذا أعطينا بني عَمِّنا من مالنا . فقال أحمد : ألا قل ، تَكَلَّمْ ، وزَادَ في هذا ومثله ، ومهنا ساكت ، فلما زادَ ، رفع مهنا رأسه إليه وقال : يا أحمد : إنْ كانَ كلامك عليك[3] هيّناً فكلامي أنا عليّ ما هو هيِّن ، وهذه الأباعر أقلّ من أن يحصل فيها كلام ، وأنا أعطيكَ إياها . ثمّ قام فقال طرنطاي ، هكذا والله يكون الأميرُ .

ولم يزل مهنا على إمرتِه إلى أنْ جاءت الدّولة الأشرفيّة . ولّما خرجَ الأشرف لِفَتحِ قلعة الرّوم مرّت العساكر بسرمين[4] إقطاعِ مهنا ، فأكلت زروعها وآذَتْ أهلَها ، فشكوا

(١) توفي سنة (٦٨٢ هـ) . الشذرات : ٥/٣٧٦ .

(٢) في الأصل : « وأحد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « علينا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر .

(٤) بلدة من أعمال حلب .

إلى مهنّا أذيّةَ العساكر ، فَشَكَا إلى الأشرفِ ، فعَزَّ على الأشرفِ[1] ، واستنقص همّتَه وقال : كم جهد ما أُوذُوا حتّى تواجهني بالشكوى ، وما كان يغتفر هنا الفعل لهذا الجيش العظيم الخارج لأجل إذلالِ العدوّ وقصِّ جناح الكفر . وأسْمعَهُ من هذا ومثله ، ثمّ لمّا كان الفتحُ ركبَ الأشرف في الفرات في خواصّه ، ومعه جلساؤه مِنْ بَني مهدي وكانوا يُضْحِكُونَه ، فجاءَ مهنا بن عيسى فأمرَ بمَدِّ الإسْقالة له ليدخُل ، فلمّا دَخَل عليها غمز عليه فحُرِّكت الإسقالة فوَقع في الماءِ وتَلوّثَ بالطّين ، فهزأت به بنو مهدي ، وضحك الأشرف ومَن حولَه ، وطوى مهنا جوانحَه على ألمها ، ثمّ إنّه استأذن في الانصراف إلى بيوتِه ، فَأَذِنَ له وقال : إلى لعنة الله ؛ فأَسرّهَا مهنا في نفسِه ولم يُبْدِها ، وركب مِن وَقْتِه وتوجّه إلى أهلِه وأقامَ عندَهم على حَذَر ، ثمّ لمّا عاد الأشرف ونزلَ بحماة ، بعث إليه مهنا بخَيْلٍ وجِمَالٍ ، فقبلها وخَلَعَ على رسولِه وبعثَ إليه خلعةً سَنِيَّةً ليُطَمْئِنَه بذلك ثمّ يكبسه ، فلمّا جاءت إليه ، لَبِسَها إظْهَاراً للطّاعةِ ، وارتحلَ لوقتِه ضارباً وجه البريّة ، فلم يَتمَّ للأشرف ما أرادَه منه . وعاد إلى مصر وفي نفسِه مِنْ إمْسَاكِ مهنا وإخوته وبنيه . وظَنَّ مهنا أنْ لا حِقْدَ عنده ، فلم يلبث الأشرف أنْ خرجَ إلى الكرك وخرجَ منها على أنّه يتصيَّدُ كباش الجبل ، فعمل له مهنا ضيافةً عظيمةً ، فحضرها[2] الأشرفُ وأَكَلَ منها ، ولمّا فَرَغَ من ذلك أمسك مهنا ومعه جماعة ، وجهّزهم إلى مصر وحبَسَهم في برجِ القلعة[3] ، وضيّق عليهم إلا في الرّاتب لهم .

وكان مهنا في الْحَبْسِ لا يأكلُ إلاّ بعد مدّة ، وإذا أكل أكلَ ما يُقيم رمَقَه ، ويصلّي الصّبحَ ، ويُدير وجهَه إلى الحائط ويصمت ولا يكلّم أحداً حتّى تطلعَ الشّمس ، ثمّ يقوم بعجلةٍ وسرعةٍ ويأخذُ كفّاً من حصى وتراب كان هناك ، ثمّ يُزَمْجِرُ ويرمي به إلى الحائط كالأسد الصّائل . فلمّا خرجَ الأشرفُ إلى الصّيْدِ ، تركَ ذلك الفعلَ ، فَقيل له في ذلك ، فقالَ : قُضِيَ الأمرُ ، ولم يُرَ مُنبسِطاً إلاّ في ذلك الحين .

(١) (س) ، (ق) : « فعزّ عليه » .

(٢) في الأصل : « فحضر لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في (س) ، (ق) : « في القلعة » .

قال القاضي شهاب الدّين أحمد بن فضل الله : حدّثني الأميرُ مظفّر الدين موسى بن مهنا قال : لمّا كنّا في الاعتقال كان عمّي محمد بن عيسى مغرى بدخول المرتفق والتّطويل فيه ، وكان المرتفق مقارباً لدور حريم السّلطان أو لبعض الأمراء ، فقلتُ له في ذلك فقال : يا ولد مهنا ، لَعَلّي أسْمَعُ خبراً من النّسوانِ ، فإنهنّ يتحدّثْن بما لا يتحدّث به الرّجالُ . فبينما نحن ذات يوم ، وإذا بمحمّد قد خرج وقال بشراكم ، قد سمعت صائحة النساء تقولُ : واسُلطاناه ، فقلنا له : دَعْنا ممّا تقولُ ، فقال : هو ما أقول لكم . وكان لنا صاحبٌ من العربِ تنكّر وأقامَ بمصر ، وكان يَقِفُ قبالةَ مرمى البُرجِ الذي نحن فيه ويُومئ إلينا ونُومئ إليه ، غير أنّه لا يسمعنا ولا نسمعه ، فلمّا كُنّا في تلك الساعة ومحمّد يحدّثُنا ، وإذا صاحبنا[1] قد جاءَ وأَوْمَأَ ثمّ مَدَّ يَدَه إلى التُّراب وصَنَعَ فيه هيئةَ قبرٍ ونَصَبَ عليه عودا ، عليه خرقة صفراء كأنّها صنجق سلطانيّ ثمّ نكسَها وقَعَدَ كأنّه يبكي ، ثمّ وَقَفَ قائماً ورَقَصَ ، فتأكّدَ الخبرُ عندنا بموتِ الأشرفِ . فلمّا فُتِحَ علينا من الغد سألْنَا الفتّاحَ والسجّانين فأنكروا[2] ، ثم اعترفَ لنا بعضُهم ، فكان ذلك أعظم سرور دَخَلَ على قلبنا .

ولّما خرجوا من السّجنِ شكوا احتياجهم إلى النساء ، فأطلق لهم جماعة من الجواري الأشرفيّات ، ولم يكن مرادهم بذلك إلاّ التشفّي ، وأُعِيدَ الجماعة إلى أهلهم إلاّ مهنا ، فإنّه أُخِّرَ مدّةً ثمّ جُهِّزَ ، ولّما خرجَ من دمشق لحقَه البريدُ من دمشق إلى ثنيّةِ العقاب بأنْ يعودَ ، فامتنعَ وتَوجَّه إلى أهلِه ، وكانوا قد ندموا على إطلاقه ، ثمّ إنّه قدم مصر بعدَ ذلك مرّاتٍ وهو كالطائر الحَذِر الذي نُصِبتْ له الأشراك في كلِّ مكان ، وآخر مرّة قَدِمَها في أوائِل الدّولة النّاصريّة الأخيرة سنة عشر وسبع مئة ، وكان بلرلغي الكبير مملوك مهنا وهو الذي قدمَه ، فلمّا وجده قد أمسك تحدّث فيه مع السلطان ، وقالَ هذا مملوكي وقدمته ليعطى إقطاعاً في الحلقة فأعطى فوق حقّه حتّى جعلتموه مَلِكاً من الملوك ، وأنا أُريدُ أنْ تأخذ كلّ ماله ومماليكه وتعطيني إيّاه [برقبته][3] ليكونَ عندي [إلى أن

(١) (س) ، (ق) : « بصاحبنا » .
(٢) (س) ، (ق) : « فأنكرونا » .
(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

يموت][٢] ، فوُعِدَ بذلك . ثمّ إنّ بلرلغي مَاتَ في ذلك الوقتِ ، فقيل لـه : قـد مـاتَ ، فعَزَّ ذلك عليه من عدمِ قبولِ شفاعتِه مَع ما كانَ يمّت به من سوابق الخـدم للسّلطـان لَمّـا كانَ في الكركِ .

وخرج مهنا وقد طارَ خوفـاً ورعبـاً ، ولمّـا اجتمعَ بقراسُنقر ، وكانت بينهما صـداقـة مـؤكّـدة قـديمـة ، وكلّ منهما مستـوحِش ، فجـدّدا الأيْمانَ والعهـودَ على المضـافرة ، وأنْ لا يسلّمَ واحدٌ منهما صاحبَه . ولّما توجّه قراسُنقر إلى حلب زارَه مهنـا وخلاَ بـه ، فـأَرَاهُ قراسُنقر كتاباً من السّلطانِ إليه فيه إعمال الحيلةِ على إمساكِ مهنا ، فقال له مهنـا : فمـا أنتَ صانع ، قال : أنا أُطيعُه فيك وأُجَـاهِرُه ، وهو يجعلني وَكْـدَهُ ودَأْبَـه ، فَمَنْ يَحْميني منه إنْ قَصَدَنِي ، قال له [مهنا][٣] تجيء إلينا . فتحالَفا على ذلـك . ثمّ إنّ مهنـا وَفَّى لقراسُنقر لّما توجّه إليه ـ على مَا مَرَّ في ترجمةِ قراسُنقر وأجارَه ـ.

وأمّا زوجة مهنا عائشة بنت عسّاف ، فـإنّهـا بـالغَتْ في خـدمـةِ قراسُنقر ، وكانت تقـول لمهنـا : يـا مهنـا ، ذِكر الـدّهر ، لاتـدعـه . وكـذلـك محمّـد بن عيسى بن علي الأفضـل بن عيسى بن مهنـا أخـو مهنـا ، فمـا كان رأيـه إلاّ التّقرب بـإمســاك قراسنقر والجماعة إلى السلطان ، فكانت عائشة تقول : تعساً لأمٍّ ولدت الفضل بن مهنـا . وكتَبَ مهنا إلى السلطـان يستعطفُه ويقول : هؤلاء مماليكك ومماليك أبيك وكبار بيتكم ، وقـد هربوا مِنَ الموتِ ، وسـألوا أنْ تكفَّ عنهم وتَهبَهم « البيرة » لقراسُنقر ، الرحبـة للأفرم ، وبهسنا[٤] للزّردكاش ، وإذا حصل مهمٌّ جامِعٌ للإسلامِ حَضَرُوا [إليه][٥] وجـاهَـدوا بين يديكَ ، على مامرَّ في ترجمةِ قراسُنقر .

وَمَـا[٥] اطمأنّوا ، وجهّزَهم مهنـا إلى خربنـدا وقـال لـه : متى حميت هـؤلاء كنتُ أنـا في

---

(١) في الأصل : « عبدي » ، وما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « بهنسا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « فلما » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

طاعتك وخفرت الرّكب العراقي ، وسَيَّرَهُم مع ابنِه سُليمان ، وجَهَّزَ معهم لخربندا ومَن حولـه خيولاً مُسَوَّمَةً من جهتِه ، فقُوبِلُوا بالإكرامِ والرّعايةِ ، وخلع على سليمان ، وأطلق لـه أموالاً جمّةً ، وجُهِّزَت لمهنا خلع وإنعامات وبرالغ[1] بـالبصرةِ لـه ولأهلِـه ، ومعهـا الحِلـة والكوفـة وسائر البلاد الفراتيّة ، واشتدت الوحشة بينَه وبين السّلطانِ الملـك النـاصر محمـد ، فـأعطى الإمرةَ لأخيه فضل ، وتَظَاهَرَ مهنا بـالمنـافَرةِ والمُبَـايَنـةِ والوحشـة ، وحضر إلى خربنـدا ، فأكْرَمَـهُ غـايَـةَ الإكرامِ وأجلَّـه نهـايـةَ الإجلالِ ، وقرّر أمرَ الركب العراقي ، وأعطى عصـاهُ خفارة لهم وتأميناً ، وضَاعَ الزّمانُ وامتدّت الأيّامُ والليالي في المُراوغة من مهنا ، وهو يعـد السلطـان [أنّـه يحضر إليـه][2] ويُمنّيه ويُسَوِّفُ بـه مِنْ وقتٍ إلى وقتٍ ، والبريـد يَرُوحُ ويجيءُ ، والرُّسُل[3] تتردّدُ مثل الأمير بهاء الـدين أرسلان الـدّوادار والأمير عـلاء الـدين الطّنبغا نائب حلب والشيخ صـدر الـدين بن الوكيل ، ومـا ألوى ولا عـاج ، ثمّ كان أولاده وإخوته يتناوبُون الحضورَ إلى السلطانِ وهو يُنْعِمُ عليهم بمئين ألوف وبالإقطاعات العظيمـة والأملاك ، وهم يُمَنّونَه حضورَه ويعدونه بقدومِه ، ومهنـا لا يزداد إلاّ حـذراً . والسّلطـان لا يزداد إلاّ طمعاً في حضوره ، ومع ذلـك في هـذه المـدّة جميعهـا مـا تنقطِعُ المراسلاتُ بينهما والمكاتَباتُ والشّفاعاتُ ، وإذا ظهرت للمسلمين مصلحةٌ نَبَّهَ مهنا عليهـا وأشـارَ إليهـا ، وكان السلطان يَقْبَلُ نُصْحَه .

ثم لمّا كانَ سنَة أربع وثلاثين وسبع مئة ، تَوجَّهَ مهنا بنفسِه من ذاتِه إلى السلطـان ، ووصَلَ إلى دمشق يوم الجمعة رابع ذي الحجّة من السّنَة ، ودَخَل الدّيارَ المصريّة ، فأكرمَهُ السلطان غايةَ الإكرام وأنْعَمَ عليه بإنعاماتٍ كثيرة إلى الغـايـة . وعـادَ مهنـاً راجعـاً إلى بلاده ، وكان دخولُه قلعةَ الجبل نهار[4] الأحد عشري الحجّة ، وعـادَ إلى دمشق فَـدخلَهـا

(١) أي : مراسيم .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « في الرسل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) (ق) ، (س) : « يوم » .

سادس المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . ولَمْ يَزَلْ بعد ذلك إلى أن توفّي في التّاريخ المذكور .

وله مِنَ الأولادِ جماعةٌ ، وهم : موسى وسليمان[١] وأحمد وفيّاض وحَمام وهيازع وحيار[٢] وجُوَيف وقَارَا وشُعْبَه[٣] وتوبَلة وعنقا .

ومِنْ سيادةِ مهنا ماحَكَاهُ لي زغبان بن عبد المؤمن الشقاري التّدمري حاجب الأمير معيقل بن فضل يومئذ ، قال : كَانَ قد دفن الأميرُ فضل دَفِيناً في الأرض من الذَّهَبِ مَبْلَغُه اثنا عشر ألف دينار ، ثمّ إنّه طلبه في وقتٍ ولم يَجِدْهُ في المكان الذي دَفَنَهُ ، وإنّه اتّهم به محمّد بن نجام حاجبَه ، ولم يذكر له ذلك ، وإنّ ابن نجام بلغَه ذلك ، فخافَ ابن نجام مَنِ الأمير فضل ، وتوجَّهَ إلى مهنا ، وشَكَا حَالَه إليه فأعطاه مهنا اثني عشر ألف دينار ، فأخذَها ابن نجام وأحْضَرَها إلى فضل ، فأبى أنْ يأخُذَها ، وقال : مامهنا أكرم منّي ، أنا ماطالبتُكَ بها ولا آخُذُها ، فردَّها ابن نجام على مهنّا ، فقالَ : أنا خَرَجْتُ عنها وهي لك ، ولم يَأْخُذْها .

☆ **ابنُ المهندس :** محمد بن محّمد بن إبراهيم .

☆ **ابن الموازيني :** المسند شمس الدين محمد بن علي .

١٨٨٥ ـ موسى بن إبراهيم*

ابن يحيى ، الإمام المحدّث المفتي نجم الدين الشّقراوي ثمّ الصّالحي الحنبليّ الشروطيّ ، شيخ العالميّة[٤] .

(١) (ق) : « سلمان » .

(٢) في الدرر : « جبار » ، تصحيف .

(٣) (س) : « شعيب » ، وفي (ق) : « شعيبة » .

* الدرر : ٣٧١/٤ ، والشذرات : ٧/٦ .

(٤) في الدارس : « العالمة » تقع غربي سفح قاسيون تحت جامع الأفرم ، واقفتها الشيخة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي (ت ٦٥٣ هـ) . الدارس : ٨٧/٢ .

روى عن الحافظ الضّياء ، وإسماعيل بن ظفر[(١)] ، وقَرَأَ الكثيرَ ونَسَخَ وجَمَعَ . وكان حُلْوَ المحاضرة .

توفّي رحمه الله تعالى في مستهلّ جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .

وكانَ قد قرأ الكُتُبَ الكِبارَ ، وسَمِعَ النّاس بِقَراءَتِه كثيراً ، وحَدَّثَ ، وكَتَبَ كثيراً ، واشتغَل كثيراً . وكان مفتياً[(٢)] ، وله نظمٌ ، وكان يَنْقُلُ كثيراً من اللّغةِ وعندَه جملة من التاريخ ، وكان يُفْتِي في مذهبِه .

١٨٨٦ ـ موسى بن أحمد*

ابن الحسين بن بدران بن أحمد ، القاضي الرئيس الكبير ، قطب الدين بن ضياء الدين ، أبو البقاء ، ابن شيخ السّلاميّة ، ناظر الجيوش الإسلاميّة بالشام ومصر ، الخاقاني ، نسبةً إلى الفتحِ بن خاقان وزير المتوكّل .

كان وقوراً مهيباً ، فاضلاً لبيباً ، يحبّ الفضلاء ، ويَرُبُّ النّبلاء[(٣)] ، ويُحْسِنُ إلى الفقراء ، ويُوَاسِي هَمَّ كبارِ الأمراء .

رأى من العزّ والوجَاهَة ، وعُلُوِ المرتبةِ والنّباهة ما لا رآه غَيْرُهُ ، ولا قُدَّ لمِثْلِه سَيْرُه .

بَاشَرَ نَظَرَ الجيوش بمصر والشّامْ ، وتَألَّقَ بَرْقُ سُعُودِهِ حتّى انْتَجَعَه كُلُّ أَحَدٍ وشَامْ ، فَلاَحَ بَدْرُ سِيَادِه ، وفَاحَ زَهْرُ سَعَادِهْ ، حتّى كأنَّ أبا تمّامْ ، عَنَاهُ بقولِه دُونَ الأَنَامْ[(٤)] :

(١) في الشذرات : « مظفر » ، تحريف .

(٢) (ق) : « مفتنا » ، وما أثبتناه يوافق ما نقله صاحب الشذرات عن الذهبي .

* مختصر أبي الفداء : ١٠٧/٤ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ٣٧٢/٤ ، والشذرات : ١٠٣/٦ ، والدارس : ٥٨/٢ ، وذيول العبر : ١٧٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٨/٩ .

(٣) يربهم أي : يلازمهم .

(٤) انظر : ديوان أبي تمام : ١٩٤/١ ، من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الشيباني .

جُعِلتَ نظـام المكرمـات فلم تَـدُرْ رحَى سُـؤْدَدٍ إلاّ وأنتَ لهـا قطبُ
بجُـودِك تَبْيَضّ الخطـوب إذا دَجَتْ وترجع عن ألـوانها الْحُجَجُ الشّهبُ

لم يَزَلْ في تَقَدُّمٍ وتكريمْ ، وتَرَقٍّ إلى غاياتِ مَجْدٍ يحتقر معها كلّ غايـةِ تعظيم ، إلى أن أمسَى من ترابٍ فراشه ، وبطل حتّى المعاد معاشُه .

وتوفّي رحمـه الله تعـالى يوم الثلاثـاء ثـاني ذي الحجّـة سنـة اثنتين وثـلاثين وسبـع مئـة .

ومولدُه سنة إحدى وستين وست مئة .

كان أوّلاً صاحبَ ديوان الجيش والقاضي بدر الـدين بن العطـار[١] نـاظِراً في زمنِ الأفرمِ ، ولمّا جاء السّلطان الملك النّاصر محمّد إلى دمشق من الكرك ، وتوجَّـه بـالعسـاكر إلى مصر ، توجَّه معه القـاضي قطبُ الـدين ، وعـادَ إلى الشـامِ وهو نـاظرُ الجيش ، ولَمْ يَزَلْ كذلك إلى أنْ غضبَ السّلطـان على القـاضي فخر الـدّين نـاظر الجيش فجهز طلب القاضي قطب الدين ، فتَوجَّهَ إليها هو والأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، وذلك في أوائلِ سنة اثنَتي عشرة وسبع مئـة في شهر ربيع الأوّل ، ووَلاَّهُ نَظَرَ الجيشِ بـالـدّيـار المصرية .

ولم يَزَلْ هنـاك إلى أنْ عُمل روك[٢] الشـام ، فحضر إلى دمشـق بـأوراق الرّوك في شهر ذي الحجّة سنّة ثلاث عشرة وسبع مئـة . واستمرّ نـاظر الجيش بـالشـام إلى أنْ حَضَرَ القاضي معين الدين بن حشيش على وظيفة النّظر ، وعزل القاضي قطب الدين تقـدير أربعة أشهر . ثم إنّه ورَدَ مرسومُ السلطانِ بأنْ يكونَ القاضي مُعين الدين شريكاً للقاضي قطب الـدين في النَّظَرِ ، وأنْ يكـونَ لكـلٍ منهما معلـومٌ مستقِـلٌ نظير الأصـلِ . وكان القاضي قطب الدين يُعلّم أوّلاً .

(١) محمد بن أحمد ، سلفت ترجمته .
(٢) الروك : مسح الأرض لتقدير الخراج المترتب عليها ، وقد سلفت .

ولم يَزَالاَ كذلك إلى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فطلبَ القاضي معين الدين إلى الديار المصرية لينوبَ عن القاضي فخر الدين في نَظَر الجيش عند تَوَجُّهه إلى الحجاز ، وانفردَ القاضي قطب الدين أخيراً بالنّظرِ ، إلى أن توفّي رحمه الله تعالى في التاريخ . ورأى من السّعادة والعزّ والوجاهة والتّمكُّنِ والتقدُّمِ في أيّام تنكز ما لا رآه غيرُه ، ولمّا تنكَّر الأميرُ تنكز على المتعمِّمين وعلى صهرِه الصَّاحب شمس الدين غبريال توفّي رحمه الله تعالى ، ولم ير منه ما يكرهُه .

وكان الأدباء والفضلاء والشّعراء يتردّدون إلى مَحلِّه ويقضِي حوائجهم ، وله نَظْمٌ ونَثْرٌ .

[أنشدني][1] من لفظه وَلَدُه الشّيخ عز الدين حمزة[2] ، قال : أنْشَدني والدي لنفسِه مواليا :

الحبّ في الله يا محبوب لي مفسوحْ فَدَاوِ بالوَصْلِ مَنْ أضحى به مجروحْ[3]
وارحمْ مُحِبّاً على فرشِ الضَّنَا مطروحْ دمع مسفوحٌ ، وجفنٌ بالبُكَا مَقْرُوحْ[4]

وبه قال أنشدني له :

باللهِ دَعْ عنك هجراني ودَعْ ذَا الصدْ فقد تطاوَلَ بي الهجران فوق الحَدْ
كم ذا تجورُ عليَّ يا رشيقَ القدْ مُسْلِم أنا ، ما أنا كافرٌ ولا مُرْتَدْ

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، ومن خطِّه نقلتُ ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه القاضي قطب الدين :

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .
(٢) توفي سنة (٦٧٩ هـ) . الدرر : ٧٧/٢ .
(٣) في الأصل : « لله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٤) (ق) ، (س) : « بالجفا » .

مـا اخترتُ مقـامي برُبـا لبنـانْ ... فرداً ومشرَّداً عن الأوطـانْ
إلا لأراك أو أرى مَن نظرتْ ... عينـاه إلى جمـالـك الفتّـانْ

وكتب الشيخ علاء الدين علي بن غانم إلى القاضي قطب الدين ، رحمها الله تعالى ، وهو بالقاهرة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة :

يـا غـائبـاً بينـه وبيني ... مِن شقّـة البعـد لي حجـابُ
هجرت حتى ولا سـلام ... ولا كـلامٌ ولا كتـابُ
فكم بعثنـا لـه كتـابـاً ... مـا عـاد عنهـا ولا جـواب
عليـه قـد حَـقّ كلُّ عتب ... ومـا عسى ينفـع العِتـاب
فقـد أحبـائي عن يقين ... بغير شـك هـو العـذاب

فكتب القاضي قطب الدين إليه الجواب :

أقسمت بـالله أن شـوقي ... بضيـق عن حصره كتـابُ
وأنني إذ نـأيت عنكم ... دمـوعُ عيني لهـا انسكاب
وأن كتُبي وإن تراخت ... فـإن ودّي لـه إيـاب
وإن يكن حُـقّ كل عتب ... يـا حبـذا ذلـك العتـاب(١)

١٨٨٧ ـ موسى بن أحمد بن محمد*

ابن إبراهيم ، الصّدر ، كمال الدين أبو الفتح ابن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت منه ببعلبك أحاديث من (جزء ابن

(١) هذا النص من (س) ، (ط) ، وهو ثابت أيضاً في الأصل و (ق) ؛ إلاّ أنه وقع بعد ترجمة موسى بن أحمد بن محمد الآتي ذكره بعد هذا .

* الدرر : ٣٧٢/٤ .

عرفة) عن النّجيبِ الحرّاني ، وله إجازةٌ من السّبط . وكان رجُلاً عاقلاً عارفاً بالأمورِ . درّسَ بالمدرسةِ النّجيبيّة في حياة والده ، وبعده مدّة ، ووَلِيَ نظرَ الدّواوين الحكميّة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت سابع عشري شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وسبع مئة ، ودفِنَ بسفحِ قاسيون عند قبر والده .

ومولده بالقاهرة سنة إحدى وخمسين وست مئة .

قُلْتُ : وهذا كمال الدين موسى كان السّبب في عَزْلِ والده ، وبذَنْبِه عُزِلَ ، قيل : إنّه شكا يوماً عليه غريمٌ ودفَعَه إلى قاضي القضاة ابن الصّائغ على مبلغ ست مئة درهم ، فاسْتَحْيَا القاضي وَوَزنها[1] ، فتوجّه كمال الدين موسى إلى والده وقال : اليوم تفضّل قاضي القضاة ووَزَن عنّي ست مئة درهم ، فقالَ والدُه : والله لو وزَن ستّة آلاف دينار ما أَنْصَفَك ، يعني والده أنّك أنتَ السّبب[2] في عَزْلِ أبيك وولايته[3] . وفيه يقولُ مجد الدين بن الظّهير[4] :

وكيف يسؤتَى[5] رشدَه حاكِمٌ حَكّمَ في لحيته موسى[5] ؟

١٨٨٨ ـ موسى بن أحمد*

الشيخ مجد الدين الأقصرائي ، شيخ الشيوخ بسرياقوس .

(١) (ق) : « قاضي القضاة » . وفي (ق) و (س) : « ووزنها عنه » .

(٢) في (س) (ق) زيادة : « كنت السبب » .

(٣) وفي الدرر : « لم يكن حسن السيرة ، ويقال : إنه كان السبب في عزله أبيه لسوء سيرته وطواعية أبيه له » .

(٤) (ت ٦٧٧ هـ) . انظر ، فوات الوفيات : ٣٠١/٣ .

(٥) في الأصل : « يُعطَى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر .

* وفيات ابن رافع : ١٠٥/١ ، والدرر : ٣٧٣/٤ ، والنجوم : ٣٢٤/٩ . وتمام نسبه فيها : « موسى بن أحمد بن محمود بن محمد » .

كان شَيْخاً كريمَ النَّفْسِ إلى الغاية ، له بالمكارمِ أتمّ عناية ، يهبُ ما يملكُه ، ويأتي على ما في يَدِه ويتركه[(١)] ، ريّضَ الأخلاق حتّى كأنّها مرّ النّسيم ، أو كأس رحيق مختومٌ مزاجُها من تسنيم[(٢)] ، كثير الاحتمال ، غزير التضرّعِ والابتهال ، له أوراد يسردها من الذِّكْر عُقَيْبَ الصّلوات ، وأحوالٌ تتنزَّلُ عليه في أوقاتِ الخلوات ، قَلَّ أنْ ترى العيونُ له نظيرا ، أو تجد له شبهاً في الملوكِ وإنْ كانَ فقيرا :

يصبو إليه قلبُ مَنْ هو عندَ أَرْ بابِ القلوبِ معشّقٌ مقبولُ
يهواه لا يُصْغِي لقولِ مُفَنّدٍ أبداً ولا يثنيه عنه عذولُ
كُلٌّ يَهيمُ بحبِّه وكذاكَ مَنْ ملكَ الإرادةَ أَمْرُه المفعولُ

ولم يزلْ على حاله إلى أنْ عرقَ جبينه ، ونَبا حسُّه ورَبَا أنِينُه .

وتوفّي رحمه الله تعالى[(٣)] سنة أربعين وسبع مئة .

وكانَ له سَماع من عبد الله الصّنهاجي[(٤)] ، ومِنْ أبي الحسن عليّ بن جابر اليمنيّ[(٥)] .

وكان في الإسكندرية ، ثمّ وَلِيَ مشيخة خانقاه الأمير سيف الدين بكتمر السّاقي بالقرافة ، ثمّ إنّ السلطان نقلَه إلى الخانقاه التي لَهُ بسرياقوس .

......

وكان آيةً في الكرم ، وعليه روحٌ وأنسٌ زائدٌ إذا دَارَ في السَّماعِ ، وله ذكر يورده

---

(١) في (ق) ، (س) : « ولا يتركه » .

(٢) اقتبس من قوله تعالى ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ ، وقوله : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ . المطففين : ٢٥/٨٣ ، ٢٧ .

(٣) ثمّة بياض في (ق) ، (س) ، وفي الدرر : أنّ وفاته سابع عشر شهر ربيع الأول . وفي النجوم : « في شهر ربيع الآخر » .

(٤) عبد الله بن علي بن عمر (ت ٧٢٤ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) في الأصل : « ابن خالد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ت ٧٢٥ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

هو وجماعة الصوفيّة عُقَيْب كلّ صلاةٍ بحيث إنّه يتّصل[1] الذكرُ عُقيب المغرب بأذان العشاء الآخرة . وقلتُ له في ذلك ، فقالَ : أنا اختصَرْتُ لأجْلِ هذا الجَمْع ، ولمّا كنتُ بالإسكندرية كان الوِرْدُ أكْثَرَ من هذا .

وكان السلطان يُعَظِّمُهُ ويحمل إليه في كلّ شهرٍ مبلغ سبعة آلاف درهم ، للشّيخِ منها ألفان ، والباقي للفقراء . وكان يفعَل ذلك معهم في كلِّ شهر[2] ، يطلع إلى الخانقاه ، ويُقيمُ عندهم اليومَيْن والثلاثة ويعود يجلس[3] بينَ الفقراء ويقضي أشغالَ النّاس ، وكان النّاس قد عرفوا ذلك منه ، وكانوا يُؤَخِّرون أشغالَهُم إلى أنْ يطلعَ إلى خانقاه سرياقوس ، وهذا الإنعامُ كان خارِجاً عن أوقافِ الخانقاه ، لكنّه قُطِع ذلك قبل موتهِ بسنواتٍ .

ولبستُ منه خرقة التصوّفِ في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وقال : لبستُ الخرقة الصوفيّة من يدِ الشيخ العارف الكامل كال الدين العجمي ، وهو لبسَها من يدِ الشيخ أبي منصور العراقليّة [وهو لبسها من يد الشيخ بدر الدين العراقلية ، وهو لبسها من يد الشيخ أوحد الدين الكرماني][4] وهو لبسَها مِنْ يَدِ الشيخ أبي الغنائم ركن الدين السّجاسي ، وهو لبسَها من يدِ الشيخ قطب الدين الأبهري ، وهو لبسها من يد الشيخ ضياء الدين أبي النجيب السّهروردي ، وهو لبسها من يد الشيخ أحمد الغزالي ، وهو لبسَها من يد الشيخ أبي الفرج الزّنجاني ، وهو لبسها من يَدِ الشيخ أحمد الأسود ، وهو لبسَها من يد الشيخ أبي العباس النّهاوندي ، وهو لبسَها من يد الشيخ أبي عبد الله بن خفيف ، وهو لبسَها من يَدِ الشيخ أبي العباس النّهاوندي ، وهو سمع تلقينَ الذِّكْرِ من أبي القاسم الْجُنَيْد البغدادي وصحبه ، وهو لبسَها من سَريّ السّقطي

(١) في الأصل : « يصل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « كل قمر شهر » .
(٣) في (س) ، (ق) : « ويجلس » .
(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

وصحبه ، وهو من معروف الكرخي وصحبه ، وهو مِن داود الطّائي وصحبه ، وهو من حبيب العجمي وصحبــه ، وهـو من الحَسَنِ البصري وصحبــه ، وهـو من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وصحبه ، وهو من سَيِّدِ المرسَلين والآخرين محمد رسول الله ﷺ .

وطريق أخرى : لبسَها الشيخ أحمد الغزالي من يد الشيخ أبي بكر الزجّاج النّيسابوري ، وهو لبسَها من يَدِ الشيخ محمد النّساجِ ، وهو لبسَها من الشيخ أبي بكر الشّبلي ، وهو لبسَها من الْجُنَيْد البغدادي رضي الله عنهم .

١٨٨٩ ـ موسى بن أبي بكر*

الأمير بدر الدين ابن الأمير سيف الدين الأزكشي .

جَهَّزَهُ الأميرُ جمال الدين الأفرم [إلى][١] الرحبة نائباً ، فأقامَ بها إلى أنْ نَزَلَ عليها خربندا ومعه عساكر المغل وقراسُنقر والأفرم وسليمان بن مهنا ، ونَصبُوا عليها المجانيق فقاتَلَ وصَابَرَ ورَابَطَ[٢] وحَصَّنَ القلعةَ وثبتَ ، جَزَاهُ اللهُ خيراً عن الإسلام إلى أنْ رحلَ خربندا بمن مَعَهُ مِنَ الْمَغل ، وقد تَقَدَّمَ شيءٌ من طرقِ ذلك في ترجمةِ[٣] ذلك وفي ترجمةِ جوبان رحمَه اللهُ تعالى ، ثم إنه عُزِلَ وحضر إلى دمشق .

وبَقِيَ على إمْرَتِه إلى أنْ تُوُفّيَ رحمَه الله تعالى في شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة بدارِه في القبيباتِ ، وحضر الأميرُ سيف سيف الدين تنكز جنازَتَه .

---

* الدرر : ٣٨٤/٤ .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) : « مقاتل ورابط وصبر وصابر » ، وفيها إفادة من قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ آل عمران ٢٠٠/٣ .

(٣) (س) ، (ق) : « شيء من طَرف ذلك في ترجمة جوبان » .

١٨٩٠ ـ موسى بن أبي بكر*

شرف الدين ، ملك التّكرور[١] .

وَصَلَ إلى الديار المصرية في أوّلِ شهر رجب سنة أربع وعشرين وسبع مئة بسببِ الحجّ ، وصحبَه[٢] جمعٌ كثيرٌ ، ونَزل بالقرافة الكبرى ، واستأذَنَ في الصّعودِ إلى القلعةِ لتقبيلِ يَدِ السلطان ، فأذن له ، فَطلع في طائفةٍ يسيرةٍ ، ولمّا وصَل أُمرَ بتقبيل الأرضِ فامتنع ، فأُلْزِمَ ، ففعل ذلك على كُرْهٍ ، ولم يُمَكَّنْ مِنَ الجلوسِ . فلمّا خرجَ ووصَلَ إلى بابِ القلعةِ قُدّم له حصانٌ أشهب بزنّاري أطلس أصفر ، وبعد ذلك خلع عليه السلطان خلعةً سنيّةً ، وأمرَ له بمركوبٍ ، وسَيَّرَ هو إلى السلطان أربعين ألف دينار ، وصَيَّرَ إلى نائب السّلطنةِ نحو عشرة آلاف دينار ، وهَيَّأَ لـه السلطانُ من الْهُجْنِ والنّياقِ وآلاتِ الحجِّ أشياء كثيرة ، وكذلك فَعَل بهِ نائب السلطنة .

وكانَ شاباً مليحَ الشَّكْلِ حَسَنَ الوَجْهِ ، له رغبةٌ في العلماء ، وهو فقيهٌ مالكيُّ المذهبِ ، وقيلَ : إنّه كان معه تقدير عشرة آلاف تكروري وجاء معهم ذهب كثير حتّى نزل الذهب[٣] في تلك المدةِ درهمين ، وحَصَل للنّاس بهم نَفْعٌ كثيرٌ ، وذكروا أنّ تحت يده أربعة عشر ملكاً ، وسعة ملكه ثلاث سنين .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني رحمه الله تعالى رئاسة كبيرة[٤] ، ووصلِ إليه منه جملةٌ كثيرةٌ مِنَ الذّهَبِ ، وقالَ : كانت تحيّةُ مَنْ يدخُل إليه أنْ يضعَ

---

* الدرر : ٣٨٣/٤ . وانظر ذيول العبر : ١٣٣ ، ١٣٨ .

(١) هي بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج . (معجم البلدان) وهي اليوم بلاد مالي .

(٢) (ق) : « وصحبته » .

(٣) في (س) ، (ق) : « حتى إنه نزل الدينار » .

(٤) في الأصل : « كثيرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

عمامتَه ويكشفَ رأسه ، وهناك رمادٌ مفروشٌ فيأخذ من ذلك الرّمادِ ويرشّه على رأسه .

١٨٩١ ـ موسى بن رافع*

ابن مفرّج بن رافع بن عبد الواحد بن أحمد ، الشيخ الصالح الحمصي .

كان مِنْ أهل الخير والصَّلاحِ ، ومن أهل القرآن والفَهمِ والمعرفة .

سمع من ابن هامل ، وحدّث عنه .

وتوفّي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستّين بحمص .

١٨٩٢ ـ موسى بن عبد الرحمن بن سلامة**

القاضي الرّئيس بهاء الدين المدلجي المصري[1] أحد كتّاب الإنشاء بالدّيار المصريّة .

تولّى خطابة المدينة النبوية في ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة[2] .

١٨٩٣ ـ موسى بن علي بن موسى***

ابن يوسف ابن الأمير محمد شرف الدين الزّرزاري .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : هذا المذكور مولده بإربل في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستّ مئة .

* الدرر : ٣٧٥/٤ .

** الدرر : ٣٧٥/٤ .

(١) في الأصل : « المضري » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر .

(٢) توفي في ثامن عشر شهر رجب سنة (٧٤٤ هـ) كما في الدرر .

*** الدرر : ٣٧٨/٤ ، وغاية النهاية : ٣٢١/٢ .

وذكر لي أنّ أبَاهُ قاضي القضاة بإربل ، وأنّ جدَّه أيضاً كان قاضياً .

وهو رجل ساكنُ النّفس حسنُ الصورةِ ، عنده فضائل من فقه وأدب وغير ذلك . وذكر لي أنّه سمع الحديث ، وأنّه قرأ على الكواشي (التفسير الصّغير) ، وسمع عليه كثيراً من (التّفسير الكبير) وأنّـه سمع ببغـداد من ابن الفويرة والقلانسي . وذكر لي أنّـه نظمَ (الوجيز) وأنشدنا[1] منه أبياتاً .

وأنشدنا لنفسه من أبياتٍ :

تواضعَ تكن كالنّجم استبانَ لناظرٍ　　على صفحاتِ الماء وهو رفيعُ
ولم يَكُ كالدّخانِ يرفع نفسَه　　إلى طبقاتِ الجوّ، وهو وَضيعُ[2]

قال : وأنشدَنا لنفسِه ، وقد تردّدَ إلى بعض أهل الجاهِ بمصر مراراً :

لئن عاد موسى واقفاً باب هامان　　على كبره حتّى انقضت منه عامان[3]
فقد قام في أبْواب فرعون قبلَه　　على كفره، في مصر موسى بن عمران

قلت : أظنّه المعروف بالقطبيّ[4] ، ويلقَّبُ ضياء الدين ، كان يخطب بجامعِ الأمير كراي بالْحُسَينيّة ، ومتصدّراً لإقراء السبع بالجامع الظاهري بالحسينية أيضاً ، وكان من العلماء الصّلحاء . واتّفق الناسُ على الثّناء عليه .

وتوفّي رحمه الله تعالى وهو سَاجدٌ في الصّلاة في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازتُه حافلةً إلى الغاية ، ودُفِنَ بزاويةِ الشيخ ابن معضاد .

وحدَّث عن ابن عزّون ، والنّجيب عبد اللطيف ، ومَنْ في طبقتهما . وأجاز لي في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

---

(١) في (س) ، (ق) : « وأنشدنا لنفسه » .
(٢) رُوي البيتان في الدرر بلفظ : « تواضَعْ كا النجم ... ولأنك ... » .
(٣) في الأصل : « بين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) لسكنه في المدرسة القطبية بالقاهرة ، كما في غاية النهاية .

١٨٩٤ ـ موسى بن علي بن قلاوون*

أمير موسى ابن الملك الصالح ابن السلطان الملك المنصور .

كان أحد الأمراء بمصر ، وكان شَكِلا مُحبَّباً حَسناً ، فبلغ السلطانَ محمداً[1] عمّه عنه أمرٌ ، فخافه[2] وندب الأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكتمر الحاجب للتوجّه إليه والقبض عليه ، فتغيّبَ ، وخرج السلطان وزادَ غضبُه وقالَ : هذا [هو][3] في القاهرة وما لحق يخرج منها ، وأمر بإحراقها ، فوقف الأمير سيف الدين أرغون النّائب وبَاسَ الأرض وتضرَّعَ ، وسألَه إبطال ذلك وأنْ ينزلَ الجماعة ويتطلبوه . وتوجّه المذكورون وأمسكوا مملوكاً صغيراً من الكتابية وضربوه فأقرّ أنّ الفقيه الذي لهم تَوَجَّهَ هو والأمير ، فأمسكوا الفقيه وعاقبوه ، فأخذهم ودلَّهم على المكان الذي هو فيه ، وأتى بهم إلى دار أستاذ دار الفارقاني ، فكبسوا دارَه وفتّشُوا جميعَ دارِه ولم يجدوا أحداً وحَلَفَ أنّه ما رآه ، فبقي هناك مكانٌ لا يُؤبَهُ ، له صورة خرستان[4] ، فقالوا : افتحوا هذا ، فحَلَفَ باللهِ والطّلاقِ وبنعمةِ السلطانِ أنّ ما فيه ما يطلبونَه ، فقال بكتمر أنا ما أقدر أقول للسلطان إنّه بقي مكانٌ ما دخلنا إليه ، ففتحوه فإذا بأمير موسى هناك ، فشتم أمير موسى لبكتمر الحاجب ، وسبَّه ، وبالغ في ذلك وهو ساكتٌ ، وأرادوا إخراجَه فقال : ما أخرجُ من هنا حتّى تحلفوا لي بأنّ هذا صاحب هذه الدار لا يكلمه السلطان ولا يؤذيه ، فإنّني والله ما أعرفُه ولا أكلت معه خبزاً ، وإنما الفقيه[5] هو صاحبُه ، وأنا الذي طَرَحْتُ شرّي عليه ورَمَيْتُ أذَايَ عليه ، فحلفوا على ذلك باللهِ وبالطّلاقِ ، وأخذوه من هناك ، وطلعوا به إلى السلطانِ . فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام ، سَيَّرَ السلطان

* الدرر : ٣٧٧/٤ ، وترجمته أوفى مما ههنا .

(١) في الأصل و (ق) : « محمد » .

(٢) في الدرر أنه كان يسعى مع بعض الأمراء إلى الاستيلاء على السلطنة .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) ما يشبه الخزانة تكون في الحائط .

(٥) في (س) ، (ق) : « هذا الفقيه » .

إلى دار أمير موسى وقال : اِعْملوا عزاءَه ، فدار جواريه بينَ القصريْن وفي الشّارعِ مدّةً يَطْفُنَ بالدّرادك ، وأمّا أستاذ دار الفارقاني ، فإنّه سُمِّرَ وبقي من بكرة إلى العصر ، ووقفَ الأمراء وشفعُوا فيه ، فأفرج عنه وعاش بعد ذلك سنتيْن وكان ذلك في سنة[1] ...

١٨٩٥ - موسى بن علي*

الشيخ الإمام الكاتب المجوِّد الْمُتْقن شيخ دمشق نجم الدين المعروف بابن البُصَيْص - بباءٍ موَّحَّدة وصادَيْن مهمَلتين وبينهما ياء آخر الحروف -.

شيخ الكتَّاب في زمانه ، ونادِرَةُ عصره وأَوانِه ، تفرَّد في الدنيا بكتابةِ المزدوج وأتقنه وكلّ مَن تقدّمه فيه سَمَج ، واخترعَ قلماً آخر سمّاه « المعجز » ، وأتى فيه بمحاسن إذا أطنبَ فيه الواصفُ ظنَّ أنّه مُوجِز ، وكان خطّه كأنّه حدائق ذات بهجة ، وسطورُه من حسنِها تُفْدَى بكلِّ مُهْجَة ، لو عايَنَه الوليّ التّبريزي لم يكنْ له تبريز ، أو ابن العديم لاعترفَ له بالتّعجيز :

كأنّ المعاني في محاريبِ طرسه قناديل ليلٍ ، والسّطورَ سلاسلُ
كواكب عجم في أَهِلَّةِ أحرف بدورُ المعالي بينهنّ كواملُ

كتب عليه جماعةٌ من الأعيان وسادوا ، وأبانوا بفضلهم مقاديرَ رتبهم فأبانوا من تقدّمهم وأبادوا .

ولم يزل على حاله إلى أن غار في الثّرى نجمه ، وهيل عليه ترابه ورجمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده بحماة سنة إحدى وخمسين وست مئة .

(١) الذي في الدرر أنَّ الأمير موسى أفرج عنه ، وأرسل إلى قوص ، وأنه أشيع موته سنة (٧١٨ هـ) .
* البداية : ٧٩/١٤ ، والدرر : ٣٧٦/٤ ، وذيول العبر : ٨٩ .

وكتب الأقلام السبعة وجوّدها ، وأقلامه الرطبة كلها لم يلحقه فيها أحد . وممّن كتب عليه : الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، والشيخ بدر الدين بن المحدّث ، والقاضي علاء الدين بن الآمدي ، وجماعة آخرون .

وكتب هو شيئاً كثيراً إلى الغاية من الدروج والقطع والطراز الذي في الطّارمة[(١)] ، والذي على باب دار السعادة ، والذي في الظاهرية الجوانيّة والذي على باب الأمير سيف الدين بهادر آص ، كلٌ ذلك بخطٍّ يده ، وقد تغيَّرَ طراز دار السعادة مرّات وأعاد عليه الدهّانون ، وأصوله باقيةٌ ومعالم حسنها بادية . وكان يكتب على الطّاسات وعلى ما يُنقش ، ويُطعّمُ كل سطرٍ بدرهم ويكتب في اليوم جملة من ذلك مستكثرة .

وكان يعمل بالفأس في بستانه ويعمّر باللّبن وغيره ، ويكتب تلك الكتابة المليحة الرطبة ، ورزقَ الحظوة في خطِّهِ واشتهر ، وكان مأموناً على أولاد الناس ، عفيفاً خيّراً[(٢)] ديّناً .

وقلتُ أنا فيه :

يَشْهَــدُ لابن البُصَيْص خــطٌ ... يسلب مِمّن يراه عَقْلَــهْ
بــأنّــه النَّجْمُ في عُــلاَهُ ... ومــا رأى مثلَــه ابن مَقْلَــهْ

وله شعرٌ في الحقيقة على رأي أهل التصوف ، وكان قليل البضاعة من العربية . ومن شعره ما نقلته من خطِّه على ما تراه من اللّحن الفاحش وفساد المعنى :

ألاَ كلّ شيء مـا خَـلاَ الله نـافـد ... وكلّ وجـودٍ قـد بَـدَا فهـو بَـائِـدُ
تفكر في هـذا الـوجـودِ ووضعــهِ ... وفي حركاتِ الفلـكِ وهي سـوامـدُ
وفي حركات النيّرات بــأفقهــا ... وفي كلّ جرم لا يُرى متبــاعــدُ

(١) علي باب الحديد من أبواب قلعة دمشق . والطارمة : بيت من خشب سقفه على هيئة قبّة لجلوس السلطان ، وتطلق أيضاً على أعلى غرفة في البيت .

(٢) في الأصل : « حرا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ومـــا ذاتهـــا في رقـــةٍ وكثـــافـــة وهـــل هي شيء دائمٌ مُتَـــوالـــــدُ
تَرى كلَّ مـــا في الكـونِ لابُـدَّ زَائِـلٌ لــه مُحـــدث بَـاقٍ وذلـك نَـافِـدُ
وإيجــادنـــا فيـــه وذلـــك آيـــة تـــدلُّ على فَرْدٍ تفرَّد وَاحِـــدُ[1]
وكم آيــةٍ غـــابت فليس تُرَى لنـــا تَـــدُلُّ على وترٍ تَفَرَّدَ مَـــاجِـــدُ
شهيــدٌ على الأشيــاء ليسَ بغـــائب على كُـلِّ شيءٍ مِنْ نواحِيه شَاهِـدُ
تحقَّقْتُ حَقًّـــــا أنّـــــه لي مُحَرِّكٌ على أنّـــه سبحـــانـــه ليَ وَاحِـــدُ
فعشتُ سعيـــداً ثم أُنْقَــلُ مكرمـــاً إلى واحـــدٍ إنْعَـــامُـــه مُتَـــزَايِـــدُ
وإنّي مهما عشتُ شــــــاكرُ أنعم عليَّ تـوالتْ مِنْ نـوالِـك حَـامِـدُ
فحسبي تشريفـــــاً أراهُ محقَّقـــــاً بـأنّـك ربّي ليس فيـه مُعَـانِـدُ

١٨٩٦ ـ موسى بن علي بن بيدو*

ابن نوغاي تمر بن هولاكو[2] القان المُغلي .

نشأ بسوادِ[3] العراق ، يقالُ إنّه كان نسّاجاً[4] ، فلما مات بوسعيد توثّب علي بـاشـا وطلب موسى هذا وسلطنه ، وسار به إلى أذربيجان ، وعملا مصافا مع أربا كاوون[5] المـذكور في حرف الهمزة وابن الرّشيـد مع ذلـك ، وانتصرَ موسى وتملّك بتوريز ، ثمّ إنّ المغل تنـاخت مع الشّيخ حسَن ، وعملـوا مصـافـا يقـل فيـه جَمْـع مـوسى ، وقتـل عليّ باشا[6] ، وتقهقر موسى ، وبقي في جبال الأكراد نحو أربعة أشهر ومعه محمد بيك والأمير

(١) (ق) ، (س) : « تعزّز واحد » .

* الدرر : ٣٧٦/٤ ، وذيول العبر : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) في الدرر : « ابن طوغان بن هولاكو » .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « نشأ هذا ... » .

(٤) في الأصل : « نساخاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « أربا كادون » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، وترجمه المؤلف باسم أربكوون .

(٦) في ذيول العبر : « علي باش » .

حافظ ، ومعه أيضاً الوزير نجم الدين ابن شروين ، وقصدوا بغداد ودخلوها ، وقتلوا طوغان ، وكان من كبار الظَّلَمة المقدَّمين ، له سطوةٌ وشجاعةٌ ، فاستخفَّ بهم وبرزَ للقتال ، فقُتل هو وجماعة ، وطِيفَ برأسه ورأس[1] الأمير نصرت شاه معاً .

ثمّ حشد موسى وقصد أذربيجان ، فتصابر الفريقان أياماً وليالي ، ثم كبس أصحاب حسن بإعانة خَلْقٍ من الأكراد موسى ، فاستجارَ موسى بأميرٍ من الأكراد ـ وكان قد أحسن إليه ـ فأجارَهُ . ثم إنه غدر به وحمله إلى حسن فهمّ باستبقائه ، فقام عليه الأمراءُ وقتلوه ، قَصَّفُوا ظهرَه ، فماتَ في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، وقيل : إنّهم قَطَعُوا أنْفَه أوّلاً ثمّ ذبحوهُ .

وكان موسى حسن الشكل جيّد العقل صحيح الإسلام ، وكانت قتلتُه يوم الأضحى بالأردو ، هو من أبناء الأربعين . وكان قد نشأ عند نصرانيّ بدقوقا يتعلَّم الحياكة .

قال شيخنا شمس الدين الذّهبي : رأيت القاضي حُسام الدين الغوري يُثْنِي على عقله ودينِه .

١٨٩٧ ـ موسى بن علي بن أبي طالب*

ابن أبي عبد الله بن أبي البركات العلوي الحسيني الدمشقي الحنفي ، عز الدين أبو القاسم[2] الموسَوي ، من ذرية إبراهيم ولد موسى الكاظم .

سمع حضوراً من الفخر الإربلي ، وسمع (الموطأ) من مكرّم القرشيّ ، وسمع من السخاوي ، وابن الصّلاح ، وأبي طالب بن صابر ، وعدّةً .

وتفرَّد وأكثر عنه[3] الطلبة ، وسكن مصر ، وحضر المدارس .

---

(١) (س) ، (ق) : « وبرأس » .

* الدرر : ٣٧٩/٤ ، والشذرات : ٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٨٦ .

(٢) في الذيول : « أبو الفتح » .

(٣) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وكان مليح الشكل حسن البزّة ، تفرَّد عن جدّه مدرس المعينيّة رشيد الدين النيسابوري[(١)] ، وأخذ عنه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وشيخنا الذهبي والشيخ تقي الدين بن رافع والواني .

ومات وهم يسمعون عليه (صحيح مسلم) ، فانتهوا إلى نصفِ الكتاب ، وتوفّي رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

١٨٩٨ - موسى بن علي بن منكوتمر*

الأمير شرف الدين ابن الأمير علاء الدين ابن الأمير سيف الدين . قد تقدّمت ترجمةُ جدّه منكوتمر .

كان الأمير شرف الدين المذكور أحد أمراء الطّبلخات بطرابلس ، ولكنّه أُضيف إلى عسكر دمشق ، وإذا كان أوان يَزَكِه توجّه إلى طرابلس وعمل يزكه وعاد إلى [دمشق][(٢)] .

وكان شاباً ظريفاً مطبوعَ الحركات والسكنات ، نظيف اللباس ، طيّب الرائحة ، كأن غُصْنُ بانٍ أو قضيبُ ريحان .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في عشري شهر الله المحرّم سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

١٨٩٩ - موسى بن محمد**

ابن موسى بن يونس كمال الدين بن بهاء الدين ابن العلاّمة الفريد كمال الدين بن

(١) محمد بن أبي بكر (ت ٦٣٧ هـ) . العبر : ١٥٥/٥ ، والدارس : ٤٥٣/١ .

* الدرر : ٣٧٨/٤ .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٣٨١/٤ .

يونس قاضي الموصل وابن قاضيها .

توجَّه إلى[1] السلطانيّة في مهمّ له فـأدْرَكَـهُ أَجَلُـه بهـا في جمـادى الأولى سنـة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان فاضلاً إماماً علاّمةً ، ووَلِيَ قضاء الموصل بعدَه وَلَدُه .

١٩٠٠ ـ موسى بن محمد بن أبي الحسين*

الشيخ الفاضل المؤرّخ المعمّر المسند بقيّة المشايخ ، قطب الدين أبو الفتح ابن شيخ مذهبِهِ أبي عبد الله اليونيني البعلبكي .

سمع من أبيه ، والشرف الإربلي ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز ، والرّشيـد العطـار ، وأبي بكر بن مكارم ، وابن عبـد الـدائم ، وعـدة ، وأجـاز لـه ابن رواج ، ويـوسف الساوي وجماعة .

وكانت له صورةٌ كبيرةٌ وجلالةٌ ، وفيه مروءةٌ وعنده كَرَمٌ ومعرفةٌ تامَّةٌ بالشروط ، وصار شيخ بعلبـك بعـدَ أخيـه أبي الحسين ، وروى الكثير بـدمشق وبعلبـك ، واختصر (مرآة الزمان) على نصف النّصف[2] ، وذيّل عليها في أربع مجلدات[3] .

ثم إنه أسنّ وكبر وعجز وتعلَّل .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة أربعين وست مئة .

---

(١) في الأصل : « في » ، وأثبتنا مافي (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٨٢/٤ ، والشذرات : ٧٣/٦ ، وذيول العبر : ١٤٥ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ .

(٢) في (س) ، (خ) : « نحو النصف » .

(٣) الكشف : ١٦٤٧/٢ ، والكتاب مطبوع .

١٩٠١ - موسى بن محمد بن أبي بكر*

ابن سالم بن سلمان المرداوي الحنبلي .

كان فقيهاً صالحاً حسن الهيئة مليح الشّيبة .

قدم دمشق وحفظ (المقنع) و (ألفيّة ابن معطي) ، وحصَّل كتباً ، وكان يطالع وينقل ، وسمع من خطيب مردابها ، وبدمشق من ابن عبد الدائم ، وعمر الكرماني ، وجماعة . ومرض بالفالج مدةً طويلة وانقطع عشرين سنة[1] لا يقدر أنْ يصلّي إلاّ بمن يعينه في السجود ويجلسه .

وتوفي رحمه الله تعالى[2] في سادس شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٩٠٢ - موسى بن محمد بن يحيي**

عماد الدين اليوسفي المصري ، المعروف بابن الشيخ يحي ، أحد مقدّمي الحلقة[3] بالديار المصرية .

كان مشهوراً بالمروءة ، معروفاً بالعصبيّة التي هي في حنايا جوانحه مخبوءة ، يصحبُ الأكابر ، ويغالطهم بالمودة ويكابر ، ويلازم صحبة الأعيان ويشابر ، لم تفته صحبة ربِّ سيفٍ ولا قلم ، ولا حامل عِلْمٍ ولا رافع عَلَم ، يتقرّب إليهم بالخدم ويسعى على رأسه في قضاياهم لا على القدم :

---

* الدرر : ٣٨١/٤ .

(١) (ق) : « عشر سنين » . وفيها وفي (س) زيادة : « منها سبع سنوات » .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « بمردا » .

** الدرر : ٣٨١/٤ .

(٣) ليست في (س) .

تلـــذّ لـــه المروءة وهي تـؤذي ومن يعشـق يلـــذّ لـــه الغَرَامُ[١]

وكان يعاني شيئاً من النَّظم والنّثر على عاميّته ، ويـأتي بـه طبـاعـاً من غير تكلف سجيته ، فيأتي من ذلك بما[٢] يُضحك الثكالى ، وينشط القلوب للتعجب بعـد أن كانت كُسالى ، على أنّه يأتي في ذلك بما يُشبـه التوريـة والاستخـدام ، والاستعـارةَ والجنـاس النّاقص والتّام ، فما كنت أنا ولا شيخنا الحافظ فتح الدين محمـد بن سيـد النـاس نقضي العجب من ذلك ، ونقول له : يا سيدنا سبحان من وسع عليك في هذا الفن المسـالـك ، فيعجبـه ذلـك ، ويقـول : والله هـذا ولم أقرأ (المقـامـات) ولا حفظتُ شيئـاً من شعر المتنبي ، ولا اشتغلت بشيءٍ من العربية ولا العلم ، فنقولُ له : هذه مواهب وقرائح .

ولم يزل على حاله إلى أن وَهى ركن العماد ، ومال إلى خراب عمره وماد .

وتـوفي بـالقـاهرة رحمـه الله تعـالى في أوائـل سنـة تسـع[٣] وخمسين وسبـع مئـة[٤] بالقاهرة .

وجمع لنفسه (تاريخاً) كبيراً ، يجيء في خمس عشرة مجلدة ، وله غير ذلك .

وكان يصحب الكبـار مثـل القـاضي كريم الـدين الكبير ، واختصّ بجمال الكفـاة وبـالوزير علم الـدين بن زنبـور وبـالأمير سيف الـدين أيتمش نـائب الكرك وصفـد ، وبالأمير بدر الـدين جنكلي بن البـابـا ، وبـالحـاج أرقطـاي لمّـا عمل النّيـابـة بـدمشق ومصر[٥] ، وبغيرهم ، واختص أخيراً بـــالأمير سيف الـــدين شيخــو وسيف الـــدين صرغتمش .

---

(١) البيت للمتنبي . ديوانه : ٤/٧٥ .
(٢) (خ) : « ما » .
(٣) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) والدرر .
(٤) في (س) ، (ق) : « ومولده في سنة ست وسبعين وست مئة » .
(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « بمصر » فقط .

وكانَ يكتب إلي قصائد وغيرها ، فأحتاج إلى أن أجيبه عن ذلك ، وممّا كتبته إليه :

دار عماد الدين شوقي لها   يجلّ أن يذكر بين العباد
ما راق طرفي بعدها منزلٌ   لأنّها في الحسن ذات العماد

وكتبت إليه :

أوحشتني يا عمدتي   وعلى الحقيقة يا عمادي
يا من غدا وشعاره   بين الورى بذل الأيادي
وله محاسن نشرها   متضوع في كل ناد
ومكارمٌ بحديثها   فيناً ترنّم كل شاد[1]
ومروءة أبناؤها   مشهورةٌ بين العباد
يكفي محبك أنّه   من بعد بعدك في جهاد
محنٌ يذوب بنارها   صمّ الصخور من الجماد
وصبابة إن قلت قلّت ، فهي تصبح في ازدياد
والصبر كنت أظنّه   ممن يوصلني بلادي
وحياتكم لم يرض أن   يشقى وخالف في المبادي[2]
وكذا الكرى من عهدكم   للآن لم يعرف وسادي
والله لم يخرج معي   من عندكم إلاّ ودادي
فعدمت إلاّ أدمعاً   تحكي بصيّبها الغوادي
ووجدت كلَّ بليّةٍ   حاشاكم إلاّ فؤادي
فغدوت أنشده وأطلب عوده، ولمن أنادي
وأظنه في ربعكم   تجدونه بين الرماد

(١) هذا البيت خلت منه (خ) .

(٢) (خ) ، (س) ، (ق) : « وفارق في » .

أفســـــدتمـــــوه بفضلكم ... لّمــــا غـــدا وفــق المراد[١]
يــــادهر زدت من النّـــوى ... وأطلت في هـــذا البعــــاد
مــــاآن [أن] تحنــو، فقـــد ... أشمت بي كل الأعــــــادي[٢]

١٩٠٣ ـ موسى بن مهنا*

الأمير مظفّر الدين ابن الأمير حسام الدين أمير آل فضل ، تقدّم ذكر والده مهنّا وعمّه فضل وأخَويه سليمان وأحمد في أماكنهم .

كان والده مهنا يقول : فرحتُ بأربع : عقل موسى ، وشجاعة سليمان ، وكرم أحمد ، وحُسن فيّاض .

وكان مَا مِن أحد من العربان الأمراء إلا وقد أكل إقطاع التتار إلا موسى ، فإنه كان السلطان يغضب عليهم ويطردهم من بلاده ، وما يأكل إلا إقطاع السلطان . وكان يتنقّل في إمرة آل فضل في حياة أبيه ، وأخذها [مرّة][٣] من عمه الأمير شجاع الدين فضل[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقعرة[٥] فجأةً بعد صلاة العشاء الآخرة في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وبموسى هذا كان يُكَنّى أبوه مهنا ، فيقال يا أبا موسى . ونقل من القعرة بعد موته إلى تدمر ودفن بها[٦] .

(١) هذا البيت خلت منه (خ) .
(٢) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
* الدرر : ٣٨٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٠ ، والنجوم الزاهرة : ٧٦/١٠ .
(٣) زيادة من (خ) ، (ق) ، (س) .
(٤) زاد في(خ) : « في حياة أبيه » .
(٥) (خ) : « القعسرة » ، وكذا فيما يأتي .
(٦) قوله : « ودفن فيها » ليس في (خ) .

١٩٠٤ ـ موسى بن يحيي بن فضل الله*

الأمير صلاح الدين ، تقدّم نسبه في ترجمة أخيه القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله في حرف الهمزة .

كان من أحسن الأشكال ، وممن لا شبهة[1] في حسن صورته ولا إشكال ، مُترَّك الوجه والعين ، تنصرف النفوس إلى رؤيته ولم تلتفت إلى الورق ولا العين .

أدخله والده القاضي محيي الدين في جملة أرباب السيف ، ولم يُر أن يُهْدَى إلى[2] وظيفة الكتاب في يقظةٍ ولا طيف ، فجمّل به المواكب ، وكمّل به الكواكب ، ثمّ إنّه عُدَّ في جملة الأمراء ، وكاد يستخدم الجلّة من الوزراء .

ولم يَزل في مطالع سعوده ، ومعارج صعوده ، إلى أن فسد صلاحُه ، ولم يسفر بالحياة صباحه .

وتوفّي رحمه الله في صفر سنة ستين وسبع مئة .

ومولدُه سنة عشرة وسبع مئة .

هذا الأمير صلاح الدّين توجَّه مع والده وإخوته إلى[3] الديار المصرية ، وهو بزيّ الأتراك ، فأعطاه السلطان الملك النّاصر محمّد إقطاعاً في حلقة مصر . وهو شقيق القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء الشّريف ، أخذ له في أيّام النّاصر أحمد إمرة عشرة بمصر ، ثمّ أخذ له إمرة عشرين . وكان مقيماً عند أخيه ، وبعدَ كلِّ فترةٍ من السّنين يحضر إلى دمشق لكشف أملاكه وتعلّقاته ، ويعود إلى الديار المصرية ، وكان من أحسن الأشكال وأظرفها .

---

* الدرر : ٣٨٢/٤ .

(١) في الأصل : « شبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) ، (خ) : « أن يهدي إليه » .

(٣) (خ) : « في » .

ولّما توفي رحمه الله تعالى ، وجد عليه أخوه القاضي علاء الدين وَجْداً عظيماً . وكتبت أنا إليه من دمشق المحروسة أُعزيه فيه :

قد شبّ جمر الأسى في القلبِ واشتعلا ... مذ قيل لي إنّ موسى قد قضى الأجَلاَ
موسى بن يحيى الذي قد كان طلعته ... كأنّها الشمس لّما حلّت الحَمَلا
[موسى بن يحيى بن فضل الله ذو نسبٍ ... به إلى عمر الفاروق قد وصلا][1]
ذاك الأمير صلاح الدين خير فتى ... قد زيّن الدهرَ والأيام والدُّولا
قد كان موكبُ مصر يستنير به ... إذا غَدَا بنجادِ السّيفِ مشتملا
قد كان بدرا تضيء الليلَ طلعتُه ... إذا بَدَا ، أفلا أبْكي وقد أفلا !
وكان ظلاًّ علينا وارفاً وبه ... نَلقى الرّدى ، أفلا نأسى إذا انتقلا !
لولا وفاة صلاح الدين ما وجدت ... «لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلاَ»[2]
فأعظمَ الله فيه أجر فاقده ... ولا استخف به من حزنه جبلا
والله يُبقيه في أمنٍ وفي دَعةٍ ... واللهُ أكرم مَدعوّ إذا سُئِلاَ
فإنّه في نهاياتِ العلا ، فإذا ... أراد غايةَ مِجْدٍ في الورى نَزَلا

١٩٠٥ - موسى*

الأمير شرف الدين الحاجب بحلب .

أقام زماناً بحلب أمير حاجب ، إلى أن كرهه الأمير سيف الدين الكاملي ، ولّما عاد إلى حلب نائباً ثاني مرّةٍ كتب فيه فتوجّه إلى قلعة الرّوم نائبا .

---

(١) زيادة من (س) ، (ق) ، (خ) .

(٢) عجز بيت للمتنبي ، صدره :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت

ديوانه : ١٦٣/٣ .

* الدرر : ٣٨٤/٤ .

ثمّ نُقل إلى نيابة البيرة فأقام بها إلى أنْ توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ستّ وخمسين وسبع مئة[1] بالبيرة ، وتوجّه عوضه الأمير جمال الدين آقوش الحاجب بحلب .

١٩٠٦ ـ موفقية*

ستّ الأجناس بنت أحمد بن عبد الوهاب بن عتيق بن وردان المصرية ، مسندة القاهرة .

سمعت من الحسن بن دينار[2] ، وعبد العزيز بن النقّار ، والعلم بن الصّابوني ، وطائفة ، وتفرّدت بسماعِ أجزاء .

أخذ عنها شيخُنا فتح الدين بن سيّد الناس ، والواني ، وابن الفخر ، وسائر الطلبة .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة ثلاثين وستّ مئة .

اللّقب والنّسب

☆ **الموفّقي :** نائب غزّة ، الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ **الموفّق :** محمد بن محمد .

☆ **الموفّق :** ناظر الدّولة هبة الله ، ثم تسمى بعبد الله بن سعيد الدولة .

---

(١) وفي الدرر أنّ وفاته سنة (٧٥٠ هـ) .

* الدرر : ٣٨٤/٤ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٧١ .

(٢) الحسن بن إبراهيم بن هبة الله المصري (ت ٦٣٩ هـ) . الشذرات : ٢٠٤/٥ .

☆ **ابن المولى الحموي** : عبد الرحمن بن علي .

☆ **المؤيّد** : صاحب حماة إسماعيل بن عليّ .

☆ **المؤيّد** : صاحب اليمن داود بن يوسف .

☆ **والمؤيّد ابن خطيب عقربا** : عليّ بن إبراهيم .

☆ **ابن مُيَسّر** : الصّاحب عز الدين أحمد بن محمد .

☆ **ابن مينا** : شمس الدين محمد بن محمد .

حرف النّون

١٩٠٧ ـ ناصر بن منصور*

ابن شرف ، القاضي الإمام ناصر الدّين التّغلبي الزَّرعي الشّافعي .

كان رجلاً جيّداً ، كريمَ النّفس ، حسن الخلق ، تام الشكل ، مشكور السّيرة ، نزها عفيفاً .

كان أوّلاً خطيباً بزرع ، ثم ولي القضاء بها ، وولي قضاء أذرعات ، وقضاء عجلون ونابلس وحمص ، وولي قضاء صفد وقضاء طرابلس ، وما باشر بلداً إلاّ وحصل الثناء عليه .

توفّي رحمه الله تعالى بنابلس في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٠٨ ـ ناصر بن أبي الفضل**

ابن اسماعيل ، الفقيه المقرئ ابن الهيتي الصّالحي ، ابن شرف الدين الشافعي .

كان مليحَ الصورة في صباه ، مطرب الصوت ، يقرأ القرآن في التُّرب والختم ، وحفظ[1] (التنبيه) ، ثمّ إنّه ، على ما ذكره شيخنا الذهبي ، صحب الباجربقي وابن المعمار البغدادي والنّجم بن خلكان ، وتزنّدق ، واستخفّ بأمورِ الدّين ، وتفوّه

* الدرر : ٣٨٧/٤ .

** البداية والنهاية : ١٢٢/١٤ ، والدرر : ٣٨٦/٤ ، والشذرات : ٧٤/٦ ، وذيول العبر : ١٤٣ .

(١) في الأصل : « وقرأ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والبداية .

بعظائم ، وتزهد وتوجه إلى مكة ، ثم إلى بغداد ، ثم إنه فرَّ منها لما همّوا بقتله ، ثمّ هرب من ماردين ، فشهدوا عليه بكفرٍ ثان بحلب ، فأمسكه قاضيها الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وبعثه مقيّداً إلى دمشق ، فأقيمت عليه البيّنة عند قاضي القضاة شرف الدين المالكي ، فما أبدى عذراً وسكت ، لكنّه تشهد وصلى ركعتين وتلا القرآن ثم ضرب عنقه ، وما كُفّن ولا غُسل .

وكانت قتلته في يوم الثلاثاء حادي عشري شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين وسبع مئة ، وكان عمره نحواً من ستّين سنة .

قلتُ : قال لي جماعة إنّهم لما توجهوا به ليضربوا عنقه أنشد :

إنْ كان سفك دمي أقصى مرادهم   فما غلت نظرة منهم بسفك دمي[(١)]

☆ **ابن نبهان :** الشيخ **محمد** بن نبهان . وولده الشيخ علي بن **محمد** .

١٩٠٩ - نجم الحطيني***

اسمه أيوب بن أحمد ، وإنّما اشتهر بالنّجيم الحطّيني ، وحطّين بكسر الحاء المهملة وتشديد الطّاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف ونون .

كان أفّاكاً ، جريئاً على الأهوال فتّاكاً ، لا يقدّم خوفاً من خالق ولا مخلوق ، ولا يبالي بعدَ إدراكِ غايته أهو سابقٌ أم مسبوقٌ ، يفتك نهاراً جهارا ، وإذا نزل بدار قوم رحل بخزيةٍ وترك عارا[(٢)] ، ما حلَّ في ناحية إلاّ ملأها فجورا ، وكان له النّقصُ فيها زائرا ومَزُورا ، يفرّ من الشام إلى مصر ، ويخفر الذمّةَ ويخونُ الإصر .

---

(١) في الدرر : « مرامهم » .

* الدرر : ٣٨٨/٤ .

(٢) يشير إلى قول جرير في هجاء الفرزدق :

وكنت إذا حللت بدار قوم   رحلت بخزية وتركت عارا

ديوانه : ٨٨٧/٢ .

ولم يزل يذهب ويحُور ، ويظلم نفسه وغيره ويجور ، ويفوت كلَّ زريّة ودمُه كما يُقال يفور ، حتّى وقع بأعماله ، وقطع الدهر بخيبة آماله :

وساقه البغي إلى صرعة للحين لم تخطر على باله

وكان المذكور شيطاناً من الشّياطين ، وإبليساً من الأباليس ، يسفك الدماء ، ولا يقفُ عند خُطَّةِ شرعٍ ولا غيره .

أوّل ما اتّصل بخدمة الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب شيخ الرّبوة المقدّم ذكره في المحمّدين ، وكان الشيخ شمس الدين شيخ الخانقاه التي بحطّين ، فاتّفق أنْ جاء إليهم فقيرٌ بات في الخانقاه ، فرأى نجيم هذا معه ذهبا ، فلما كان في الليل نبهه نجيم ، وقال له : قُمْ فقد طلع الصُّبح ، فقام فوجد الليل باقياً ، فقال : لا عليك أنا أخفرك حتّى تطلع من هذا الوادي ، فخرج به وعرّج عن الطريق وذبحه وأخذ ما معه . وجرى لشيخه مع كراي نائب صفد ما ذكرته في ترجمته .

وهرب نجيم إلى الديار المصرية ، ودخل إلى الصّعيد واتصل ببعض الولاة وجرت له هناك واقعةٌ أخرى من هذا النَّمط حدّثني بها الشيخ شمس الدين بن الأكفاني وأُنسيت أنا كيفيتها .

ثم إنه حضر بعد ذلك إلى الشام فوجد شيخه الشيخ شمس الدين شيخ الربوة بدمشق ، وأراد أن يعود إلى صحبته ، فأبعده ولم يقرّبه ، ولا أراه وجهاً لما تقدم منه .

وحدثني الشيخ شمس الدين بن أبي طالب قال : كنتُ أتحقّق جرأته وإقدامه وكنتُ أخافه على نفسي وأحذرُه ، فما أنام في مقام الربوة حتى أتحصن وأحكم غلق الأبواب ، فأكون في بعض الليالي نائماً ، فما أشعر به إلا وقد أنبهني من نومي بإزعاجٍ وبيده سكين ويقول لي : يا أفخاذ الغنمة ، أو يا أفخاذ النّعجة ! إيش أعمل بك الساعة ؟ فأقول له : اتق الله وخَفْه ، وأترفق له وأتلطف حتى يدعني ويمضي ، ومن رأى الربوة وحصانتها تعجب من فعل المذكور .

ولم يزل بدمشق حتى أنْ أتى السلطان الملك الناصر محمد من الكرك إلى دمشق سنة تسع وسبع مئة ، فداخل مماليك السلطان والخاصكية واتصل بهم .

حدثني الشيخ نجم الدين بن الكمال خطيب صفد رحمه الله تعالى ، قال : لم نشعر يوماً بالنجيم إلا وعليه تشريف هائل ، وقد جاء يسلّم علينا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : من السلطان ، ومهما كان لكم من الحوائج قضيتها ، قلنا له : عرّفنا بهؤلاء أصحابك ، فقال : لا والله ، متى عرفتموهم أنحستموني عندهم ، ولكن أنا أقضي أشغالكم ، قال : وقال لي إنني أنام في القصر الأبلق بين صناديق الخزانة الخاص ، وأرى السلطان في منامه وقيامه ، وليس بيني وبينه غير صندوق .

ثم إنه عمل ملحمة وعتقها وذكر فيها حلية واحد من مماليك السلطان اسمه جولجين . وقد تقدّم ذكره في حرف الجيم ، وذكر فيها أنه يلي الملك ، وذكر فيها آثاراً وعلائم توصل إلى رؤيتها في الحمّام ، أو سأل عنها من البابكيّة ، ولعب بعقل ذلك المسكين إلى أن توهم أن ذلك يقع ، وكان يقول له ولخوشداشيته أوقعوا الفعل ، فيظهرون له الخوف ، فيقول لهم : إذا [لم][1] تقتلوا السلطان ، أنا أقتله لكم ، فما قدّر الله تعالى ذلك ، وتوجّه معهم إلى مصر وأقام عندهم سنتين .

ثم إنه جاء إلى حطين فاطلع السلطان على القضية ، فوسط جولجين ومعهم جماعة ، ثم بعث أخذ النجيم على البريد من صفد وجهزه إلى دمشق مسمراً ، وكان الموكب واقفاً في سوق الخيل بدمشق ، وقد أقبل جملُه ، وهو مُبرقع ، فتوهم الناس أنه بكتمر الحاجب .

وكان وصولُه إلى دمشق مسمراً في يوم السبت سادس عشري شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة . وقلتُ أنا فيه :

لا بدّ في الاسم من معنى يخصصه ... بذلك االلفظ فافهم حكمه الأزلي
كنجم حطين شاء الله رفعته ... لكنّها بساميرٍ على جملِ

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

١٩١٠ ـ نجمة التركماني*

خرج على الدولة وتحرم وتجرم ، وأخاف السُّبل[١] ، وأخذ القفول ، وروَّع الناس ببلاد ماردين والموصل وسنجار ، جهزت إليه الفداوية ، فوقعوا عليه ، وضربوه بالسكاكين مرّاتٍ وينجو ويقوم ويعود إلى الحالة الأولى .

ثم إنه في مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، انضوى إلى زبيد الأحلاف لما أبعدوا عن الرحبة ، وجاء إلى الشيخ حسن بن هندو حاكم سنجار ، وأخذ منه عسكراً وتوجه به وبالأحلاف ومقدّمهم محمد بن عبيد الزبيدي إلى الرحبة ، ولم يكن بها يومئذ يزك من عسكر دمشق ، فأغار على الرحبة وقتل بها ، وسفك الدماء ، وأسر ، وأثخن الجراح ، ونهب الأموال والمواشي ، وأبان في ذلك اليوم ، فكان يوهم أنه يرمي شخصاً بالنّشاب ويفوّق السهم إلى شخص بعينه ، ثم يطلق السهم على غيره . وبالغ في أذى الرعيّة ، وعاد إلى سنجار ، فتوجهت العساكر إليه من دمشق وحلب وحماة ، وحاصروا [سنجار][٢] ، ثم إنّ حاكم سنجار أظهر الطاعة وحلف هو ونجمة لصاحب مصر وأظهرا التوبة والإنابة . ثم إنّ الفداوية وقعت عليه وضربته خمس ضربات فأمسك الفداوية ، وحزّ[٣] رؤوسهم ، وعلّقها على باب سنجار . ثم إنه عُوفي بعد مدّة ، ونزح من سنجار ، وتوجه إلى ماردين وأقام هناك يعبث ويُغير ويؤذي ويعتمد كلّ قبيحٍ ، إلى أن قتل هو وولداه ونوابه ، وحزَّ رؤوسهم صاحب ماردين ، وجهزها[٤] إلى باب السلطان صحبة سيف الدين تيتمر أمير آخور ، صاحب ماردين ، فلمّا وصل إلى حلب قال الأمير سيف الدين بيبغاروس نائب حلب : أيّ كلاب هؤلاء

* الدرر : ٤/٢٨٨ .
(١) (خ) : « السبيل » .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « وحزّوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) (خ) : « جهزوا » .

حتى يتوجهوا برؤوسهم إلى باب مولانا السلطان ليسوا أمراء توامين ولا ملوكاً ، هؤلاء حراميّة قُطّاع طريق ، وباب مولانا السلطان أجلُّ من ذلك ، وترك الرؤوس في حلب ، وجهز أمير آخور صاحب ماردين بما على يده من المكاتبة ، وكان ذلك في شوال سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وقلتُ أنا فيه :

إذا بغى المرء لم تُحمد عواقبه — وقلّ باغٍ نجا من قبضة العطب
كنجمةَ التركاني بات جثّته — في ماردين وصار الرأسُ في حلب

الألقاب والأنساب

☆ **ابن النّجيبي**[1] : أبو بكر بن أيبك .

☆ **ابن النجّار** : محمد بن أسد .

☆ **ابن النحّاس** : جماعة ، منهم الشيخ بهاء الدين النحوي محمد بن إبراهيم . وكمال الدين الحلبي إسحاق[2] بن أبي بكر . وبهاء الدين بن النحاس الحنفي الحلبي أيوب بن أبي بكر . وعلاء الدين والي دمشق علي بن إبراهيم بن خالد ، وولي أبوه أيضاً مدينة دمشق . وأمين الدين محمد بن أبي بكر . وشهاب الدين يوسف بن محمد .

☆ **وابن نحلة** : علاء الدين علي بن يحيى .

☆ **ابن النحوية** : الشيخ بدر الدين محمد بن يعقوب .

(١) في (س) زيادة : « حسام الدين » .
(٢) في الأصل : « محمّد بن إسحاق » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩١١ ـ نسب خاتون*

ابنة الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها نسخة أبي مسهر عن إبراهيم بن خليل ، ولا أعلم أنها روت غيرها . وكانت سمعت أيضاً من خطيب مردا ، وابن عبد الدائم ، وكانت كبيرة السن معمرة .

لم تزل شيخةً برباط بلدق إلى حين وفاتها . وكانت كثيرة الإقامة عند الحنابلة بالدّير تحبّهم وتؤثرهم ، وعندهم سمعت الحديث .

وتوفيت رحمها الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن النّشابي :** عماد الدين حسن بن علي . وناصر الدين محمد بن الحسن .

☆ **النّشائي :** الوزير ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله .

☆ **النشّو :** ناظر الخاص عبد الوهاب .

☆ **النشّائي :** عز الدين عمر بن أحمد .

☆ **ابن النشو :** محمد بن عبد الرحيم .

---

* لم نقف على ترجمة لها .

١٩١٢ - نصر بن سلمان بن عمر*

الشيخ الإمام القدوة المقرئ المحدّث ، النحوي ، الزاهد ، العابد ، القانت ، الرباني ، بقية السلف المنبجي ، نزيل القاهرة وشيخها .

سمع بحلب من إبراهيم بن خليل ، وبمصر من الكمال الضّرير ، وتلا عليه بعدّة كتب ، وعلى الكمال بن فارس ، وتصدّر في أيّام مشايخه ، وشارك في العلوم وتفنن ، ثم إنه تعبّد وانقطع ، وتردَّد إليه الكبار وكان يهرب منهم ، وارتفع ذكره جداً في دولة تلميذه الجاشنكير ، وكان ممن يؤذي الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وهو الذي أحرف الجاشنكير عنه .

قال [ابن] أخته[(١)] الحافظ عبد الكريم : مادخلتُ عليه قط إلا وجدته مشغولاً بما ينفعه في آخرته ، وكان يتغالى في الشيخ محيي الدين بن عربي ، ولا يخوض في مزمناته .

قال شيخنا الذهبي : ولقد جلستُ معه بزاويته ، فأعجبني سمته وعبادته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء بعد العصر سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة بمنبج .

---

* البداية والنهاية : ٩٥/١٤ ، والدرر : ٣٩٢/٤ ، والنجوم : ٢٤٤/٩ ، وغاية النهاية : ٣٣٥/٢ ، والشذرات : ٥١/٦ .
وقع في بعض مصادر ترجمته : « ابن سليمان » .

(١) في الأصل : « قال أخيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
وعبد الكريم بن عبد النور ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٩١٣ ـ نصر بن محمد بن محمد*

السلطان أبو الجيوش ابن السلطان ابن الأحمر الأنصاري المغربي .

خرج على أخيه واعتقله وقتله وتملّك . وكانت دولته أربع سنين . ثم وثب عليه ابن أخته الغالب بالله وقهره ، وقرر أبا الجيوش أميراً بوادي آش ، فدام به نحواً من عشر سنين .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

١٩١٤ ـ نصير بن أحمد بن علي**

المناوي الحمّامي .

كان عاميّاً إلا في النظم الذي يأتي بسحره ، ويديرُ على الألباب كؤوس خمره ، وكان في تلك الحلبة في جيادها المعدودة ، وسوابقها التي تَذَرُ الرّياح الهُوجَ وأنفاسها مكدوده ، قعدت معه التوريّة وجادت ، ورأست على كلام غيره وسادت ، معانيه بليغة وألفاظه فصيحة ، وأبكاره برزت حاسرة ولم تخش فضيحة[1] ، وتراكيب كلماته في كلّ ما يأتي به في غاية الانسجام ، ومقاصده مليحةٌ تطوف على النفوس منها بالأُنس جام ، جاراه فحول عصره وجاراهم ، وكتبوا إليه فأجابهم وباراهم وما ماراهم ، وربما أربى في اللطف على مجاريه ، ولو لم يكن حماميا لما عرف حَرَّ الأشياء وباردها وأخذ الماء من مجاريه[2] ، كم ألغز فألغى ذكر من تقدم ، وأوجز فأوجب أنّ الذي أداره على الأسماع كأس[3] السلاف المقدم ، وأعجز من أعجب السامعين ، فقالوا ما غادر هذا

---

* الدرر : ٣٩٢/٤ .

** الفوات : ٢٠٥/٤ ، والدرر : ٣٩٣/٤ ، والبدائع : ٤٤٣/١/١ ، ووقع في الأصل : « نصر » تحريف .

(١) قوله : « وأبكاره .. » حتى هنا ليس في (س) .

(٢) يشير إلى شعر للحمامي سيأتي .

(٣) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

الشاعر بعده من متردّم ، يقول من يسمع مقاطيعه الرائعة ، أو يفكر في مقاصده اللائقة :

أحروف لفظٍ أم كؤوس مدامة وافَتْ ونشوة سامعٍ أو شاربِ
ممّا يضمّ السلك في جيد المها ة الرّود ، لا ماضم حبل الحاطب
تحلو شمائل حسنها مجلوةً كالرّوض تحت شمائل وجنائب

وكان في مصر يرتزق بضمان الحمّامات ، ويُقيم بلاغة من فضالة[1] تلك القامات ، عادة جرى الدهر على قاعدتها مع الأدباء ، وغادة[2] لم تغن الأيام من كان كفؤها من الألبّاء .

ولم يزل على حاله حتى أصبح للأعداء[3] رَحْمَة ، وبكته معانيه الجمّة .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سنة أربع وسبع مئة .

ومولده بمنية بني خصيب سنة تسع وستّ مئة .

أخبرني شيخُنا العلاّمة أبو حيّان ، قال : كان المذكور أديباً بمصر كيّس الأخلاق يتحرَّفُ باكتراء الحمامات ، وأسنَّ وضعف عن ذلك ، وكان يستجدي بالشّعر . وكتبت[4] عنه قديماً وحديثاً .

وأنشدني قال : أنشدني المذكور من لفظه لنفسه :

لا تَفُه ما حييتَ إلاّ بخير ليكون الجوابُ خيراً لديكا
قد سمعت الصَّدى وذاك جماد كل شيء تقول ، رُدَّ عليكا

(١) (س) ، (ق) : « فضالات » .
(٢) في الأصل : « وعادة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) (س) ، (ق) : « للعدو » .
(٤) في الأصل : « وكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

قلتُ أنا : قوله : « إنّ الصّدى جمادٌ » فيه نظرٌ ، لأنّ الصدى هو الصوت العائد عليك عندما يقرع صوتك ما يقابلك من حائط أو غيره ، ولكن يمكن أن يتمحّل له وجه ضعيف . والنصير رحمه الله تعالى أخذ هذا من قول ابن سناء الملك (١) :

بان عليها الذل من بعدهم ونراه حتى كاد أن لا يبين
فإن تقل أين الذين اغتدوا يقل صداها لك أين الذين (٢)

وأخذه ابن سناء الملك من الأرجاني حيث قال :

سأل الصدى عنه وأصغى للصدى كيما يجيب ، فقال مثل مقاله (٣)
ناداه أين ترى محطٌّ رحاله فأجاب أين ترى محط رحاله

وقال ، أنشدني له أيضاً :

أقول للكأس إذ تبدّت في كف أحوى أغنّ أحور (٤)
خرّبت بيتي ، وبيت غيري وأصل ذا كعبك الْمُدَوّر

وبه قال ، أنشدني له :

إنّ الغزال الذي هام الفؤاد به استأنس اليوم عندي بعدما نفرا
أظهرتها ظاهريات وقد ربضت فيها الأسود رآها الظبي فانكسرا

وبه قال : أنشدني له :

قالوا افتضحت بحبه فأجبت لي في ذا اعتذار
من لي بكتمان الهوى وبخده نمَّ العذار

(١) ديوانه : ٧٩١ .
(٢) في الأصل : « اعتدوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والفوات .
(٣) في الفوات : « كيما يقول » .
(٤) في الفوات : « أقول والكأس » . وفي (س) ، (ق) والفوات : « تبدت » .

قلت : أحسن منه وأصرح قول الآخر :

لافتضـــاحي في عـــوارضــــه سبب والنـــــــاس لـــــوَّام
كيف يخفى مــــا أكابـــــده والــــــذي أهــــواه نمَّــــام

وبه قال : أنشدني له :

مــا زال يسقيني زلال رضــابـــه لمـــا خفيت ضنىً وذبت تـــوقـــدا
ويظنّني حيًّـــا ، رويت بريقــــه فـإذا دعـا قلبي ، يجـاوبـه الصـدى

وبه قال : أنشدني له :

مــــاذا يضرك لــو سمحت بــزورةٍ وشفعتهـــــا بمكارم الأخــــلاق
وردعت نفسـك حين تمنعـك اللّقـا وتقـــول هـــــذا آخر العشـــــاق

وبه إجازة ، قال : أنشدني لنفسه :

إنّي لأكره في الأنــــام ثـلاثــــةً مـا إن لهم في عـدهـا من زائـد[1]
قرب البخيـل ، وجـاهلاً متعـاقلاً لا يستحي ، وتــودُّداً من حــاسـد
ومن البليّــــة والرزيّــــة أن ترى هـذي الثـلاثـة جمّعت في واحـد

وأنشـدني من لفظـه القـاضي جمـال الـدين إبراهيم[2] ابن كاتب سر حلب ، قـال : أنشدني من لفظه لنفسه :

لي منزلٌ معروفـــــــــــه ينهـــلُّ غيثـــــاً كالسُّحب
أقبــــل ذا العـــــذر بــــه وأكرم الجـــــــــار الجنب

وبه قال : أنشدني لنفسه :

(١) في (ق) والفوات : « لها » .
(٢) إبراهيم بن محمود بن سلمان . سلفت ترجمته في موضعها .

رأيت فتى يقـول بشـطٍّ مصر ... على درج بـدت والبعض غـارق
متى غطّى لنـا الـدرج استقينـا ... فقلت: نعم وتصلحُ الـدّقـائق[1]

قلت : في قوله « الدّقائق » هنا نظرٌ ، وقد أشبعت القول في فساد ذلك في كتابي المسمى « فضّ الختام عن التورية والاستخدام » .

وبه قال : أنشدني له :

ومُـذ لـزمت الحمـام صرت فتى ... خـلاً يـداري من لا يـداريـه
أعرف حرَّ الأشيـا وبـاردهـا ... وآخـذ المـاء من مجـاريـه

قلتُ : لمّا كتب أبو الحسين الجزّار إلى النّصير قوله :

حسن التـأني ممّـا يعين على ... رزق الفتى والحظـوظ تختلفُ[2]
والعبـد مـذ كان في جـزارتـه ... يعرف من أين تـؤكل الكتف

كتب النصير الحمامي بيتيه المذكورين ، وقد أربى النصير على أبي الحسين ، لأنّ الجزار أتى بمثل واحد ، والحمّامي أتى بمثلين .

وقال النّصير للسرّاج الورّاق : قد عملت قصيدةً في الصّاحب تاج الدين ، وأشتهي أنك إذا قرئت عليه تزهزه لها وتشكرها ، وسيِّرها إلى الصاحب ، فلما أنشدت بين يديه بحضرة السراج ، قال الورّاق بعدما فرغ من إنشادها :

شـاقني للنّصير شعرٌ بـديـعٌ ... ولمثليَ في الشعر نقـدٌ بصيرُ
ثمّ لمـا سمعت بـاسمـك فيـه ... قلتُ:﴿نعم المـولى، ونعم النصير﴾[3]

فـأمر لـه الصـاحب بـدراهم وسيَّرهـا إليـه . وقـال : قـل لـه : هـذه مئتـا درهم

(١) الدرج والدقائق : وحدات لقياس منسوب نهر النيل آنذاك .
(٢) في الفوات : « التأتي » .
(٣) اقتباس من سورة الأنفال : ٨/٤٠ .

صنجة[١] ، فلما أدى الرسول الرسالة ، قال : قبل الأرض بين يدي مولانا الصّاحب ، وقل نسأل صدقاتك أنْ تكون عادة ، فلما سمع الصاحب بذلك أعجبه ، وقال : يكون ذلك عادةً .

وكتب النّصير إلى السراج[٢] يتشوق :

وكــدّرت حـمـامي بغيبتـك التي ... تكـدَّر من لـذّاتهـا صفـو مشربي
فما كان صدر الحوض منشرحاً بها ... ولا كان قلب المـاء فيهـا بطيّب

قلت : وهذان مثلان أيضاً يتعلّقان بالحمّام[٣] .

وكتب أيضاً يستدعي[٤] :

من الرأي عندي أن تواصل خلوة ... لهـا كبـد حرّى وفيض عيـون
تراعي نجوماً فيك من حرِّ قلبها ... وتبكي بـدمـعٍ فـارح وحـزين[٥]
غدا قلبها صبًّا عليك ، وأنت إن ... تأخرت أضحى في حياض منون[٦]

وكتب ناصر الدين بن النقيب إلى النصير ، وقد حصل له رمدٌ :

يقولون لي عين النصير تألّمت ... ولازمه في جفنه الحكُّ والأكلُ
فقلتُ : أعين الرأس أم عين غيره ... فلعلـو شيء لا يداوى به السّفلُ
فقالوا : به العين التي تحت صلبه ... فقلت : لها التشييفُ عندي والكحل[٧]

(١) الصنجة : ما يوزن به الدراهم عند سبكها .
(٢) في الأصل : « الحواق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) (س) ، (ق) : « وهذان مثلان آخران تتعلق بالحمام أيضاً » .
(٤) عبارة الفوات : « يستدعي إلى حمّامه » .
(٥) في (ق) ، (س) : « بدمعي » . وفي الفوات : « قارح » .
(٦) في الفوات : « إليك » . وفي الأصل : « وإنما تأخرت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٧) في الفوات : « بل العين » . وفي الأصول : « التنشيف » ، وأثبتنا ما في الفوات ، وتشييف العين مداواتها بالشياف ، وهو من أدوية العين .

وميـل بمـاء الرّيـق يبتـلّ سفلـه فيـدخـل سهـلاً غير صعب وينسـلُ
وأغسلهـا بـالبيض واللّبن الـذي علي بتقطيري لـه تجب الغسـلُ
فـإن شـاء وافيتُ الأديب مـدانيـا ولم أشتغل عنـه وإن كان لي شغل(١)

فكتب النصير الجواب :

أيـا من لـه في الطبِ علم مبـاشر ومـا كلّ ذي قول لـه القـولُ والفِعْـلُ
أتيت بطبٍّ قـد حـوى البيـع والشرا تبيّن لي في ذلـك الخرج والـدخـل
وإن كان لي بطبّـك إنـه بسقمي صعب ليس هذا بـه سهلُ (٢)
فـلا عَـدِمَ الملـوك منـك مـداويـاً ومـا زال للمـولى على عبـده الفضـلُ

وكتب ابن النقيب إليه وهو بقرية (٣) في خطه :

رغبت في كسب أجر وفي اغتنـام مثـوبـهْ
وهـانَ مـا كانَ فيـهِ من السِّراجِ صعـوبَـهْ
ولستُ في أرضِ شـامٍ ولست في أرض نـوبَـهْ
وبيننـا رميٌ سهمٍ غلطت بـل رجمُ طـوبَـهْ

فكتب النصير الجواب :

رُحمـاكَ يـا خيرَ مـولى ففي العتـابِ عقـوبـهْ
وأنت إن زدت عتبـاً يغـدو غـلامـك قُـوبَـهْ (٤)
والعبـد مـازال يهـوى لا بـل يحبّ الرطـوبـه
تمـوّز فكرك والعبـدُ فِكره فيـك طـوبَـه

(١) في الأصل : « موافاة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في (س) ، (ق) « لي سهلاً » . وفي الفوات : « وإن كان ذا سهلاً » .
(٣) في (ق) ، (س) : « بقربه » .
(٤) القوبة : تقلّع الجلد من الجرب ، وانحلاق الشعر ، والْقَوَبة : ملازمة الدار .

قلت : ما كان يليق ذكر « تموز » وهو من شهور الروم ، وطوبة[١] وهو من شهور القبط .

وكتب النصير إلى السّراج الورّاق :

كنتُ مثــــل الغــــزال واللهُ يكفي ... صرتُ في وجهـــه إذا جئت كلبـــا
ولعمري لاذنب لي غير أني ... تُبْتُ لله ظنّ ذلـــــك ذنبـــــا
وهـــو لـــو جـــاءني وقـــد تبت حتى ... يبتغي حـــاجـــة فلن أتـــأبّى[٢]

فكتب الوراق الجواب ، ومنه :

وأتى الظبيُ مُرْسَــلاً منــك فـــاستغْـ ... ـربْتُ لَمّــا دعــوتَ نفســك كلبــا
ولكم جئت عـــاديــاً خلفـــه تلـ ... ـهث عَــدْواً للصيــد بُعْــداً وقُرْبــا
غير أني نظرت عينَ صفي الـــــد ... ين كادت أن تشرب الظبي شربــا
فــاترك التــوبــة التي قـــد رآهـــا ... لـــك وزراً كما زعمت وذنبــــا[٣]
واجتهــد في رضـــاك عنـــه وقرّب ... كل نــائي المــدى تَنَلْ منــه قربــا
فلكم رضت جـــامحـــاً في تراضيـ ... ـــه وذللت بـــالسفـــارة صعبـــا

وكتب إلى السراج أيضاً ملغزاً في « نون » :

مـــــا اسمٌ ثـــلاثي يُرى واحــــداً ... وقـــد يُعـــدّ اثنين مكتـــوبُـــهْ
يظهر لي من بعضـــــه كلّـــــه ... إذ كل حرف منـــه مقلـــوبـــه
أضف ثمـــــانين إلى ستـــــةٍ ... إن شئت لا يعـــدوك محســوبَـــهْ[٤]
اطلبــــــه في البَرّ وفي البحر لا ... فـــاتَ حجى مـــولاي مطلـــوبَـــهْ

(١) في (س) ، (ق) : « مع ذكر طوبة » .
(٢) في الأصل : « فلو » وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الفوات : « نراها » .
(٤) في الفوات : « يعدوك » .

فكتب الوراق الجواب :

يــا ســالب الألبــاب عن سحْرِهِ بمعجــزٍ أعْجَــز أسلــوبُـــه[١]
ألغــزت في اسمٍ وهــو حرفٌ وقــد يخفى علينــا فيْــكَ محجـوبُـه
وهــو اسمُ أنثى مُرْضَـعٍ، طِفْلُهــا غَيْرُ لبــان النــاس مشروبُــه
مطّرد منعكسٌ شكلــه سيّــان في العين مقلــوبـه

قلت : قول النصير : « أضف ثمانين إلى ستـة » وَهَمٌ منـه ، لأن النونين بمئـة والواو بستة فيكون ذلك مئة وستة .

وكتب النصير إلى الورّاق ملغزاً في « سَيْلٍ » :

أيـا مَن لـه ذِهْنٌ لـدى الفكر لا يخبو ومَن لم يزل يحنـوُ ومن لم يـزل يحْبـوُ
قصـدتُ سراجَ الـدين في ليـل فكرةٍ يكاد جـوادُ العقـل في سيلهـا يكبـو
ليُرشـد في شيئـاً بـه يُـدْرَكُ الْمُنَى لــه قلبُ صبٍّ كم فـؤادٍ بــه صَبُّ
إذا ركب البيــداء يُخشى ويُتّقى ولم يثنــه طَعْنٌ ولم يثنــه ضربُ[٢]
بقلب يهـدُّ الصَّخْرَ يَـوْمَ لقــائــه ومن أعجب الأشيـاء ليس لـه قلبُ

فكتب الوّراق الجواب :

أراك نصير الـدين عـذّبتَ خــاطري وقد راق لي مِنْ لُغزك المنهل العَذْبُ
وأثبتَّ قلبــاً منــه ثم نَفَيْتَــه وأعرفُــه صبّــاً وهــام لــه قَلْبُ
وأعرفُ منــه أعينــاً لا تحفّهــا جُفونٌ كعـادات الْجُفـون ولا هُـدْب
ومن وصفــه صَبٌّ كما أنت واصف صــدقت ولــولاه لمــا عرف الحَبّ
فـدونـك مــا ألغـزتَـه لي مُبّينــا وذلـك مـا يحتــاجـه العُجم والعُرْبُ

(١) في (س) ، (ق) والفوات : « من » .
(٢) (ق) : « ولم يبنه » .

وكتب النصير إليه أيضاً :

أتى فَصْـــل الخريف عليّ جـــــداً   بـــأمراضٍ لــواعجُهـــا شِـــدادُ[1]
وأعْـــذُر عـــائـــدي إن لم يَعُـــدني   ورُبَّ مريضِ قـــومٍ لا يُعـــــادُ[2]

فأجابَ الورّاق :

خـلائقـــــك الربيــع فليس تخشى   خريفـــاً في الجسـوم لـــه اعتيـــاد
ولا والله لم أعلمْـــــــــــك إلاّ   صحيحـــاً والصحيـــحُ فمـــا يُعـــادُ

وكتب النصير إليه أيضاً :

أيهـــا المحسن الـــذي وهب اللـــــه تعـــالى الْحُسْنى لـــــه وزيـــادَهْ[3]
ضـــاع مـــا كان من وصـولات وصلي   فتصـــدق بكتبهـــا لي مُعـــــادَهْ
أين تلـــــــك الطروسُ نظماً ونثراً   منـــك تـــأتي على سبيـــل الإفـــادهْ
كل طرسٍ يحلى [عروسـاً] بـــدرّ الـ   ـقـول كم من عقـــد وكم من قـــلادَهْ[4]
كان عيشي إذا أتـــــاني رســـــولٌ   منـــــك يحيي خـــلاً أمتّ ودادَهْ[5]
شهـــــــد الله ليس لي غير ذكرا   ك وإلا خرست عنــــد الشهـــــادَهْ

فكتب الوراق الجواب :

لم يغب عن ســــــواد عيني حبيبٌ   حـــلَّ من قلبي المشـــوق ســـوادَهْ[6]
فكأني ولا أذوق لـــــــــــه رزْ   ءاً جريرٌ وذاك عنــــــد سَـــوَادِه

(١) في الأصل : « إليّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في الأصل : « إلى لم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الأصل : « للذي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٤) (ق) والفوات : « يجلي » . والزيادة من (ق) ، (س) والفوات .
(٥) في الأصل : « يجلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٦) في الفوات : « لم يفارق سواد » .

ذو بيـــانٍ أدنى بــلاغتــــه تُنْـ ـسيــك قسّــاً وعَضْرَةَ وإيــاده
جــوهريُّ الألفــاظ كم قلّــد الأجـ ـيــاد عقــداً من نظمــه وقــلادَه
فعبيــدٌ أدنى العبيــد لــديــه ولبيــد عن نظمــه ذو بــلادَه[1]
ولأزجــالــه ابن قُــزمــان يعنــو فلتــوشيحــــه يُقرّ عُبــــادَهْ[2]
فـــات دار الطراز منــــه خــلال لَــوْبهـا للسعيــد تمت سعــادَهْ[3]
يـا صـديقي الـذي غـدا راغبـاً فـ ـي ولــلأصــدقـــاء فيَّ زهـــادَهْ
هجروني كأنني مصحَفٌ أو مسجـــدٌ قـــد أقيم أو سُجّـــادَه
دمت نعم النصير لي مــــا تغنّت ســـاجعـــاتٌ على ذُرَا ميّـــادَه

وكتب النصير إلى الورّاق :

يـــا أيهـــا المـــولى السّرا جُ ومـــاجــداً أعلى منـــارَهْ
يــا من تجـــاوز فَضْلُــــه حـــدَّ القيـــاس مـع العبـــارَهْ
يـــا من يلـوح بـوجهـــه حسنٌ لنـــاظره نضـــارَهْ
يــــا بـــــدرٍ تمٌّ كم عليـ ـــه غـــدت من الفضـلاء دارَهْ
كم في الـــــورى معنى تنيـ ـر ولم أقـل طــوراً وتـــارَهْ
وإذا مــدحنـــاه فمـــا فيـــه صفـــاتٌ مستعـــارَهْ
لمبشري إن زرتني بشرى ويحظى بـــالبشـــارَهْ
يـــا واعـــدي في السبت هـ ـــذا السبت جـاء وشنّ غـارَهْ
متصــــدقـــاً زرني فـــذا يـوم التصــدق والـزيـــارَهْ

---

(١) أراد عبيد بن الأبرص ، ولبيد بن ربيعة .

(٢) ابن قزمان محمد بن عيسى بن عبد الملك إمام الزجالين بالأندلس (ت٥٥٥ هـ) . وعبارة بن ماء السماء ، أقام عماد الموشحات (ت٤٢٢ هـ) ، وفوات الوفيات : ١٤٩/٢ .

(٣) في الأصل : « لونها » وأثبتنا ما في (ق) والفوات . وأراد القاضي السعيد ، ابن سناء الملك ، صاحب كتاب الطراز في الموشحات .

فكتب الجواب عن ذلك :

مــولاي يـــا حلــو الخــلا ئــق والعبـــارة والإشـــارَهْ
ومنّمقــــــاً في الطرس رَوْ ضــاً كاد أن يجري غضـــارَهْ
قـــد كنت يـــوم السبت ذا عــزمٍ على قصــد الـزيــارَهْ
لـــــــو لم تشنّ عليّ آ لامي ـ كفـــاك الله ـ غـــارَه

وكتب النصير ملغزاً في « النار » :

ومـا اسمٌ ثـلاثي بــه النفــع والضرر لـه طلعــة تُغني عن الشمس والقمر
وليس لـه وجـةٌ وليس لــه قَفَـا وليس لـــه سمـع وليس لـــه بَصَر
يمدُّ لسـانـاً يختشي الرمـحُ بـأسـه ويسخر يوم الضرب بالصارم الـذكر
يموت إذا ما قمت تَسْقيــه قـاصـداً وأعجبُ من ذا أنّ ذاك من الشجر
أيـا سامـعَ الأبيات دونـك شرحها وإلا فنم عنهـا ونبّــه لهـا عُمَر[(١)]

فكتب الوراق الجواب :

أراك نصير الـدين ألغـزت في الــذي يعيـد لمسـك الليل كافور في السَّحَرْ[(٢)]
رأى معشرٌ أن يعشقـوهـا ديـانـةً وتـــالله لا تبقي عليهم ولا تَــــذَرْ
وكلٌّ على قلب لهم ران اسمهـــــا فمسكنهم فيهـــا ومـــأواهم سَقَرْ[(٣)]

---

(١) يشير إلى بيت بشار :

إذا أيقظتـــك حروب العــــدا فنبّـــــه لهـــــا عُمراً ثم نَمْ

ديوانه : ١٦٠/٤ .

(٢) في الفوات : « في التي تعيد » . وفي (ق) ، (س) والفوات : « كافوره السحر » .

(٣) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى ﴿ بل ران على قلوبهم ﴾ [المطففين : ١٤/٨٣] .

وقد وصفوا الحسناء في لهجة لها ... كما وصفوا الحسناء بالشمس والقمر[١]
ولو لم تكن ماطاب خبزٌ لآكل ... ولا لذَّ ماءٌ في حماك لمن عَبَر

وكتب النصير إلى الوراق مُلْغزاً في « ديك » :

أيا من لديه غامضُ الشعر يُكْشَفُ ... ومن بَدْرُه بادي السناَيْسَ يُكْسَفُ
عساك هدىً لي إنني اليوم ذاهلٌ ... عن الرشد فيما قد أرى مُتوقّف
أرى اسماً له في الخافِقَيْن ترفّعُ ... أخا يقظة ذِكراً ولا يَتَعَفَّف
رأيت به الأشياء تَبْدوَ وضدَّها ... فكان لهذا الأمر لا يتكيّف[٢]
فعرّفَهُ ذو السمع وهو منكرٌ ... ونكّره ذُو اللّب وهو معرّفُ
فجاوبْ لأحظى بالجواب فإنه ... إذا جاوب المولى العبيد يشرّفُ

فكتب الوراق الجواب :

إليك نصير الدين منّي إجابة ... بها أُوضِح المعنى الخفيّ وأكشف
رأيتك قد ألغزت لي في متوّجٍ ... بتذكاره أسماعُنا تَتَشنفُ
يُنبّه قوماً للصلاة ومعْشراً ... عبادتُهم آسٌ وكاسٌ وقرقفُ[٣]
له كرم قد سار عنه وغيرةٌ ... وعرفٌ به من غَيْره ظَلّ يُعْرَفُ[٤]
حَظيّاً تراه وادعاً في ضرائر ... يُزَيّنه تاج وبُرْدٌ مفوَّفُ[٥]
وفي قلبه كيدٌ ولكنّ صَدْرَه ... غَدا ضيقاً مثلي بذلك يوصفُ

---

(١) في الأصل : « لهجة لها » ، وأثبتنا مافي (س) ، (ق) والفوات : « بهجة بها » .
(٢) في الفوات : « فكاد » .
(٣) القرقف : الخمر .
(٤) في الفوات : « وغيره » .
(٥) في الفوات : « خطيٌّ » .

وكتب إليه النصير ملغزاً في « نعامَةً » :

[ومفردٍ جمعـــاً يُرى بحـــذف بعض الأحرف
اسمٌ نعى أكثره فقـــال بـــاقيـــه اكفف
تراه يعـــدو مسرعـــاً في بُرْده المفـــوّف[1]

فكتب الوراق الجواب][2] :

لـو قلت فيمن قـــد نعى مـــات لصـــدقتـــك في
وكل بـــاغ كالـــذي يبغي رهين التلف
ألغـــزت في اسمِ طـــائر في الأرض عنّـــا مـــا خفي
يفحص فـافحص عنـه يـا ربَّ الفنـــون تَعْرفِ
وهـــو لعمري في السما ء يُـــقْتفى ويـــقتفي

وكتب النصير إلى الوراق ، وعنده أحمد الزجّال :

عنـدنـــا من غـــدا بحبـــك مغرى ولـــه فيـــك عشقـــة وغرام[3]
مـوصلي يهـوى المـلاح إذا مـــا جـــاء صبـح اللحى وولى الظـلام
فهـولا ينتهي عن الشيب بـــالشـ ـيبِ فـمـاذا تقـول يُجـدي المـلام
لا تسلّي منـــه الفـــؤاد مُـــدامٌ عن حبيبٍ ولـــو تغنى الحمـــام
لـــو تبـــدّى لعينـــه ابن ثمـــانيـ ـن غـدا وهـو عـاشـق مستهـام
يستبيـــه من العيـــون بيـــاضٌ ومن الألعس الشفـــاه ابتســـام
قرّ عينـــاً وطِبْ فـديتـــك نفســـاً عنـــده أنت بَـــدْرٌ تَمام

---

(١) في الفوات : « يغدو » .

(٢) مابين حاصرتين زيادة من (س) ، (ق) والفوات .

(٣) في الفوات : « لوعة وغرام » .

فكتب الوراق الجواب :

حبــذا من بنــات فكرك عــذْرا ء لهــا من فتيــق مســكٍ ختــامُ
خِلْت ميم الروي فــاهــا وقــد ضــا ق ومَنْ ذاق، قــال فيــه مــدام
ولهــا من عقــود لفظــك حلي لم يَحُــز مثــل درّه النظّــامُ[1]
أذكرت بــالشبــاب عيشــاً خليعــاً نَبْتُ فَــوْدَيْــه بعــد آسٍ ثُمــامُ
كيف لا كيف لا ولم أر صعبــاً قــط يــأتي إلا وأنت زمــامُ[2]
وبمــا فيــك من تــأتٍّ ولطفٍ أنــا شيــخ للمــوصليّ غــلامُ
فهــو نعم المــولى ونعم النصير الـ ـمرتضى أنت صــاحبــا وإمــام[3]

وكتب النصير أيضاً إليه ملغزاً في « كُنافَة » :

يــا واحــداً في عصره بمصره ومَنْ لَـهُ حُسن الثنــاء والسنــا[4]
تعرفُ لي اسماً فيــه ذوق وذكا حلــو المحيّــا والجنــان والجنى
والحــلّ والعَقْــد لــه في دسْتِــهِ ويجلس الصــدر وفي الصــدر المنى[5]
إن قيل يــومــاً : هـل لـذاك كنيـة ؟ فَقُــلْ لهم : لم يخْــلُ ذاك من كنــا

فكتب الورّاق الجواب :

لبيّــك يــا نعم النصير والــذي أدنت بــه الْمُنيَــةُ لي كل المنى
عرَّفتني الاسم الــذي عرفتــه وكاد يخفى سرّه لــولا الكنى
لــه من الحــور الحســان طلعــة تقــابــل المرآة منهــا الأحسنــا

(١) في الفوات : « عقود فضلك » .
(٢) في الأصل : « كيف لا تكون ولا أرى » ، وأثبتنا مافي (س) ، (ق) والفوات .
(٣) في الفوات : « صاحباً والسّلام » .
(٤) في (س) ، (ق) والفوات : « الشتاء » .
(٥) في الفوات : « ومجلس » .

وخِـدنُـه بعض اسمـه طيرٌ غـدا أصـدقُ شيء إن بلـوت الألينـا[١]
وهـو لسـانٌ كُلُّـه وبعـد ذا منظره عنـد الكـلام ألْكَنـا[٢]
وفي خِـوان المجـد كان مَـألفي عنـد الصيـام ربٌّ فـاجمـع بيننـا

وكتب النصير أيضاً إلى الوراق مع ظروف يقطين في فرد :

يـا مَنْ لـدفـع الردى غـدا جُنَّـهْ ومن لـه في قبـولهـا المِنَّـهْ
هـدّيـةٌ في الإنـاء يتبعهـا خير نَبي وهكـذا السُّنَـة[٣]
إذا بـدا ظرفهـا بغلطتـه يـودّ فَتـحَ الأديب لـو أنّـه

فكتب الورّاق الجواب :

يـا من غـدا لي من العـدا جُنّـهْ ومَنْ بحامـه لنـا جَنَّـهْ
جـاء بهـا الفردُ وهـو ممتلئٌ مثـل فـؤاد الحمـاة بـالكِنّـة[٤]
وكل ظرفٍ منهـا بنـوه على الـ ـفتـح فَحَقّـق في حَبّـه ظنـه

وكتب النصير إلى الوراق أيضاً :

رُبّ راوٍ عن النبي حـديثـاً مسنـداً شـافيـاً كـلامـاً فصيحـاً
قـال : قـال النبي قـولاً صحيحـاً قلت : قـال النبي قـولاً صحيحـاً
وفهمت الـذي أشـار إليـه وسمعت الـذي رواه صريحـاً
قـال لي : يـا أديب أنت فقيـه قلت : لا ، قال : حُزتَ ذهنـا مليحـا

فكتب الوراق الجواب :

(١) في الأصل : « الألينا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في الفوات : « تنظره » .
(٣) في الفوات : « ثناء » ، وفي بعض أصوله : « نبي » .
(٤) في الفوات : « ملء فؤاد » .

إن فعــلاً جعلتـــــه أنت قـــولاً ليس فيه يحتـاج منكم وضوحـا[١]
فـابْنِ منـه مضـارعـاً يظهر الخـا في ويبدو الـذي كَنَيْتَ صريحـا[٢]
وتراه يبـــدو لعينيـــك معتـ ـلاً وقد قلت فيـه قـولاً صحيحـاً
وهـو فعلٌ لم تـأتـه أنت [يـا] شيْـ ـطـان فـافهم مقـالتي تلويحـا[٣]

وقال النصير يصف « حمّامَةً » :

حمّـــام الأديب العـــارف مـا يجري ، وحـالـو واقف
بها اسطـول ومـا فيهـا اسطـال والمـاء يتّـزن بـالقسطـال[٤]
والعمّـــال رأيتـو بطـــال والاسكنـــدراني نـــاشف
ومـــاريت فيهـــا بـــلاّن يسرّح لحـد بـالإحســان[٥]
والـزّبـال يعرّ القـوســـان قـال والخـاتَمـةْ يَصّـالِفْ[٦]
ذي دونـــه وقيّمهـــا دون مبنيـــة على مئـــة مجنـــون
والمـــاء في المجـــاري مخـــزون والأنبـوب معـوّج تـــالِفْ
وتـــابــوت على فسقيّـــة قلت مت بـــالكليّـــة
خـــذوا من نصير الـدّيـــة وإلاّ اثنينـــاً متنـــاسف[٧]

وما أحسن ما كتب به[٨] ابن دانيال وهو :

---

(١) في (س) ، (ق) : « منك » .
(٢) في الأصل : « كتبت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) الزيادة من (س) ، (ق) . ومراده أنّ لفظة « قول » من حيث هي كلام للنبي توصف بالصحة ، أما من حيث اللفظ فهي معتلة .
(٤) في الفوات : « ومافيه » . وأسطال : جمع سطل ، وهي الدلو . والقسطال : أنبوب يجري فيه الماء .
(٥) البلان هو من يقوم بعمل الخدمة في الحمام . وفي (ق) والفوات : « الأحد » .
(٦) في الفوات : « يتصالف » .
(٧) (س) : « أتينا » ، وفي الفوات : « نتناصف » .
(٨) في الأصل : « إلى » سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

لئن فخرتْ بـالمكرمـات بنـو مصرِ فـإنـك بين النـاس أجـدر بـالفخرِ
فما زلت ذا النادي النـديّ لقاصـد كثير رمـاد القِـدرِ مرتفـع القَـدْرِ
ونـارك للعـافين دائمـة اللظى لهـا لهبٌ يبـدو كألـويـة حُمْرِ
وبيتـك بيتٌ لم يـزره مـدنّسٌ فيـذهب إلا وهـو معـه على طُهرِ[1]
وكم سقت يـاقـوتـاً إليـه وجوهرا لـزينتـه حتى نسبت إلى أمرِ
فلا زلت ذا الرمح الطـويـل تهـزّه يمينـك عنـد النقـع للبيض والسمرِ[2]
وتسلب أسـلاب الرجـال وإنـه لسلب فتى لم يـأتِ ذاك على عَـذْرِ
وكم لـك من مشمـولـة قـد عصرتهـا معتقـة للشرب طيبـة النشرِ
وكم تـائب وفـاك يكشف رأسـه فحققت منه أنـه جـاء عن عـذرِ[3]

قلت : لقـد جـوّد هـذا النظم ابن دانيـال ، وحقـق أن مثلـه لا ينـال . وقـولـه : « ومشمولة قد عصرتها » هو قول القـاضي محيي الـدين بن عبـد الظـاهر بعينـه ملغزاً في « لسان الحرير » الذي يستعمله المصريون في عمائمهم ، وأبدع في ذلك غـايـة الإبـداع ، وهو :

ومشمـولـة راقت ورقّت فـأصبحت على الشرب تزهى حين تهدى إلى الكاس
ومـا عُصِرت يـومـاً برجـلٍ وكم لهـا إذا مـا أديرت من صعـود إلى الراس
معتقـة مـا شمّست بعـد عصرهـا لإثم وكم فيهـا منـافـع للنـاس

☆ **ابن النصيبي :** تاج الدين محمّد بن أحمد . وضياء الدين محمد بن محمد .

☆ **النصيبي القوصي :** محمد بن محمد بن عيسى .

☆ **ابن النصير :** كاتب الحكم علاء الدين علي بن محمد .

(١) في (س) ، (ق) : « منه » .
(٢) في الأصل : « النفع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩١٥ ـ نُضار*

ـ بضم النون ـ بنت محمد بن يوسف ، وهي ابنة الشيخ العلاّمة أثير الدين أبي حيان .

حجّت وسمعت بقراءة شيخنا البرزالي على بعض الرواة ، وحدثت[١] بشيء من مرويّاتها وحضرت على الدّمياطي ، وسمعت على جماعة ؛ وأجازها من الغَرْب أبو جعفر بن الزبير ، وحفظت مقدمة في النحو .

وعمل شيخنا أثير الدين والدها لَمّا توفيت فيها كتاباً سمّاه (النضار في الْمَسْلاة عن نَضَار)[٢] . وكان والدها يثني عليها ثناءً كثيراً .

وكانت تكتب وتقرأ ، وقال لي والدها : إنها خرّجت جزء [حديث][٣] لنفسها وإنها تعرب جيداً ، وأظنه قال لي : إنها تنظم الشعر . وكان يقول دائماً : ليت أخاها حيّان كان مثلها .

وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة في حياة والدها ، فوجِد عليها وجْداً عظيماً ولم يَتْبتْ ، وطلع إلى السلطان وسأله أن يدفنها في بيته بالبرقية داخل القاهرة ، فأذن له في ذلك ، وانقطع عند قبرها ولازمه سنة .

ومولدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبع مئة .

ولما توفيت كنت بالرحبة فكتبت إلى والدها بقصيدة أولها :

بكينا باللُّجين على نُضار ... فسيلُ الدمع في الخدين جار
فيالله جارية تولت ... فنبكيها بأدمعنا الجواري

---

* الدرر : ٣٩٥/٤ .

(١) في الأصل : « وحديث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) أورد صاحب الكشف : ١٩٥٨/٢ كتاب : « النضار » لأبي حيان ، وذكر أنّ مؤلفه تحدّث فيه عن نفسه واشتغاله ورحلته وشيوخه .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

الألقاب

☆ **ابن نفيس :** علي بن مسعود .

☆ **ابن النقيب :** محمد بن سليمان .

١٩١٦ النعمان بن دولات شاه*

ابن علي الخوارزمي الشيخ علي .

وصل إلى دمشق في شهر رمضان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وأقام بها أياماً ، وتوجه إلى باب السلطان بالقاهرة ، وحج من هناك ، وأقام بالقاهرة مدّة سنة ونصف ، ورجع إلى مخدومه القان أزبك .

وكان فاضلاً ، طاف البلاد ، واجتمع بالفضلاء ، وحصّل المنطق والجدل والطب ، وعاد إلى بلده سنة إحدى [وعشرين][1] وسبع مئة ، واتصل بملكها وخدم عنده طبيباً ، وصار رئيس الأطباء ببيمارستان خوارزم .

ثم إنه أرسله إلى طقطاي بن بركة ملك دشت القبجاق[2] ، فحظي عنده ، ولما مات وولي أزبك أعطى للنعمان مالاً كثيراً ليعمر من بعضه خانقاه بالقدس ، ويفرق البعض على المجاورين .

ومولده سنة سبع وخمسين وست مئة .

وكان قد استصحب من كتب الطبّ شيئاً كثيراً من دمشق لمّا عاد إلى بلاده .

---

* الدرر : ٣٩٥/٤ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) والدرر .

(٢) (ت ٧١٢هـ ، الدرر ٢٢٦/٢ ، الشذرات : ٣١/٦ .

١٩١٧ - نعمون بن محمود*

ابن نعمون بن عزيز ، الشيخ نجم الدين أبو محمد بن الشيخ الصالح غرس[(١)] الـدين الحرَّاني الحنبلي المؤذن بالجامع الأموي .

سمع من ابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، وجماعة . وحدّث وحج ، وله نظم وأشياء مما تليق بالمئذنة .

توفي في تاسع شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة .

وكان خفيف الروح مع الديانة .

النسب واللقب[(٢)]

☆ **النمراوي :** عز الدين الفقيه عبد العزيز بن عبد الجليل .

☆ **ابن نوح :** الشيخ عبد الغفار بن أحمد .

☆ **النهاوندي[(٣)] :** شرف الدين محمد بن عثمان ، ووالده جلال الدين بن أبي بكر .

١٩١٨ - نوروز**

نائب القان غازان محمود .

---

* الدرر : ٣٩٦/٤ .
(١) في الأصل : « زين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .
(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .
(٣) في الأصل : « النهاندي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .
** لم نقف على ترجمة له . وورد خبره في ترجمة غازان . انظر : الدرر ٢١٢/٣ ، وفيه : « نوروز بن أرغون » .

كان ديّناً مسلماً عالي الهمة ، وهو الذي اجتهد وحرص وبالغ في أمر غازان حتى أسلم ، وملّكه البلاد ، ثم إنه وقع بينهما ، فقَتَل غازان أخا نوروز وأعوانه ، فجهز لقتاله النوين خطلوشاه ، فتغلل جمع نوروز ، واحتمى بهراة ، فقاتل أهلها عنه ، ثم إنهم عجزوا عن نصرته ، فقتل نوروز في سنة ست وتسعين وست مئة ، وبعث برأسه إلى غازان .

١٩١٩ - نوروز*

الأمير سيف الدين .

كان في مصر معظّماً إلى أن عاد الأمير سيف الدين طاز من الحجاز فأقام قليلاً ورسم بإخراجه إلى دمشق على إقطاع الأمير سيف الدين شيخو القازاني[1] الساقي ، وحضر إليها على ثلاثة أرؤس من خيل البريد ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها أميراً إلى أن ورد المرسوم على الأمير سيف الدين أرغون الكاملي نائب الشام بإمساكه ، فاعتقله بقلعة دمشق ، وجرى ما جرى في واقعة بيبغاروس ، وكان اعتقاله في حادي عشري شعبان من السنة المذكورة .

ثم أُخرج عنه وتوجه إلى مصر فيما أظن ، ثم أعيد إلى دمشق ، ولم يزل إلى أن كانت واقعة بيدمر ، وحضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي ، فقطعت إمرته .

ولما كان في العشر الأوسط من شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة توفي رحمه الله تعالى .

* البداية والنهاية : ٢٨٨/١٤ ، والدرر : ٣٩٨/٤ .

(١) (ق) : « الفازاني » ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

اللقب والنسب

☆ **النور الحكيم :** عبد الرحمن بن عمر .

١٩٢٠ ـ نوغاي*

الأمير سيف الدين الجمدار .

أمر السلطان الملك الناصر محمد بإمساكه بدمشق في ذي الحجة سنة تسع وسبع مئة .

ولم يزل في الاعتقال بقلعة دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالباب الصغير ، وبقي الحرس على قبره أياماً .

١٩٢١ ـ نوغاي**

الأمير سيف الدين الجمدار .

كان أميراً قديم الهجرة بدمشق ، فلما توفي الأمير علاء الدين علي بن قراسُنقر أُعطي إقطاعهُ ، وتقدمتة على الألف .

وأقام على ذلك مدة بدمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة . ودفن قبالة جامع كريم الدين(١) بكرة الجمعة ، فخلّف عليه ديوناً كثيرة ، وأُعطي إقطاعه للأمير زين الدين قطليجا الدوَادار .

---

* الدرر : ٣٩٨/٤ .

** الدرر : ٣٩٨/٤ .

(١) هو عبد الكريم بن هبة الله ، سلفت ترجمته في موضعها .

الألقاب والنسب

☆ **ابن أبي النوق :** عثمان .

☆ **النـويري :** شهـاب الـدين أحمـد بن عبـد الـوهــاب . وفخر الــدين عثمان بن يوسف . وعماد الدين [ناظر][1] الكرك وصفد وغيرها محمد بن محمد بن يعقوب .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

حرف الهاء

١٩٢٢ ـ هارون بن موسى بن محمد*

رشيد[١] الدين ، المعروف بابن المصلّي الأرمنتي .

قال كمال الدين الأُدْفُوِي : اجتمعت به ولم يَعْلِق بذهني منه شيء ، وله شعر كثير يأتيه من جهة الطبع ، ليس يُعرف له اشتغالٌ ، وكان إنساناً حسناً فيه لطافةٌ .

وتوفي رحمه الله تعالى بأرمنت سنة ثلاثين وسبع مئة .

وأورد له قوله :

حَثَّها الشوقُ حثيثاً مِن وَراها ... فتراها عانقت تُرب ثَراها
واعتراها الوَجدُ حتى رقصتْ ... طرباً أسكرني طيبُ شذاها
غَنِّني يا ساقي الراح بها ... ليس يُغني فاقتي إلا غناها

منها في ذمّ الحشيش ومدح الخمر :

وامِلَ لي حتى تراني ميّتاً ... إنّ موت السُكْرِ للنفس حياها
ليس في الأرض نباتٌ أنبتت ... فيه سرٌ حيَّر العقل سواها
رامت الخضراء تحكي سُكرها ... قتلوها بعد تقطيع قفاها[٢]

* الطالع السعيد : ٦٨٦ ، وفوات الوفيات : ٢٣١/٤ ، وفوات الوفيات : ٢٣١/٤ ، والدرر : ٣٩٩/٤ .
(١) في الأصل : « ابن رشيد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات والدرر ، وفي الطالع « الرشيد » .
(٢) في الدرر : « تحكي فعلها » .

[قال][1] : وكان في قبلي الدْمقرات[2] قرية تسمى (ببُويَة) وفيها ببَرويَّة ؛ فقال فيها الرشيد المذكور :

بـدويّـه في بَبُـويَـهْ سـاكنـا صيَّرت عنـدي المحبـة مـاكنـا[3]
اسمهـا ستّ العربْ هيجّت عنـدي الطَّربْ
أنا قاعـد بين جماعـة نستريـح
عبرت وحـده لهـا وجـهٌ مليـح
بقوام اعـْدَل من الغُصْن الرجيـح
في المـلاحـة زايـدا
ووراهـا قـايـدا
لـو تكـون لي رايـدا
كنت نعطيهـا ألف دينـار وازنـا وابن في[4] داخـل بيـوتي مـاذنـا
وترى مني العجب في تصـانيف الأدب
نفرت مني كما نفر الغـزال
واسفرت لي عن جبين يحكي الهلال
ورنت[5] أرمت بعينيهـا نبـال
ثم قـالت يـا فـلان
خـذ من احـداقي أمـان
معـك في طـول الـزمـان

(١) زيادة من (ق) ، (س) . والقول ما زال للأدفوي .
(٢) في الأصل : « الدمثرات » ، وفي الطالع : « الدمقراط » . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وهي قرية في الصعيد الأعلى ، قرب : إسنا ، (معجم البلدان) .
(٣) في الأصل : « ساكنها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « كامنا » .
(٤) في الأصل : « لي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « وابني داخل في » .
(٥) في الفوات : « ودنت » .

فـأنـا والله مليحـه فـاتنـا ومن الحُسـاد مـا أنـا آمنـا
والملـوك واهـل الرتب[١] يـاخـذوا من الحَسَب
قلت يـاستي أنـا هـوني نمـوت
ادفنـوني عنـدكم جـوّا البيـوت
والعـذراى حـولهـا يمشـوا سكـوت
ثم قـالـوا كلمّيـه
يـا غُريْبـه وارحميـه
ذا غريب لاتهجريـه
يشتهر حـالـك يصير لـك كاينـا يقتلـوه أهلـك وتبقى ضـامنـا
ذا الحـديث فيـه العطب ليس ذا وقت الغضب
قالت امض لا يكن[٢] عندك ضجر
واصطبر واعمـل على قلبـك حجر
مـا طريقي سابلـه[٣] من جَـا عَبر
ذي العـذارى يعرفـوك
مـاتراهم يسعفـوك
ظلمـوني وأنصفـوك
قم وعـاهـدني فمـا أنـا خـاينـا وأنـا الليلـة لروحي راهنـا
مرّ وعبّي لي الـذهب فترى عقلـك[٥] ذهبْ

(١) في الفوات : « والملك » ، وفي الأصل : « الأدب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . والطالع .
(٢) في الفوات : « لا يكون » . وكذا في الطالع .
(٣) في الطالع : « سالكا » .
(٤) في الفوات : « والعذارى » .
(٥) في الأصل : « عقلي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « عقلك قد ذهب » .

عـاهـدتني[١] وبقيت في الانتظـار
واورثتني الـذل بعـد[٢] الانكسـار
والـدجـا قـد صـار عنـدي كالنهـار
عنـدمـا غـاب القمر
واظلم الليـل واعتكر
جف قلبي وانكسر
وغُريبـا في حـديثي واهنـا أمنـه في سربهـا مطَّـامنـا
والفـؤاد مني اضطرب ونشف[٣] ذاك الطرب

صرت نرى النجم إلى وقت الصباح
إذ بدا[٤] ذا الكوكب الـدرّي ولاح
وإذا[٥] هي قـد أتت ست المـلاح
والعـذارى في عتـاب
مـع عريبـا في ضراب
ثم قـالت ذا الكـلاب
ينبحـوا تـأتي الرجـال الظـاعنـا بـالسيـوف وبـالرمـاح[٦] الطـاعنـا
يـدركـوني في الطلب يجعلـوا رأسي ذنَبْ

(١) في الفوات : « واعدتني » .
(٢) (ق) : « ثمّ » . وكذا في الطالع .
(٣) في الطالع : « ونسيت » .
(٤) في الفوات : « ذي » . وفي الطالع : « لي » .
(٥) في الفوات : « فإذا » .
(٦) في الطالع : « والرماح » .

اللقب والنسب

☆ **ابن هارون المغربي** : عبد الله بن محمد .

١٩٢٣ ـ هاشم بن عبد الله بن علي*

الشيخ الإمام الفاضل نجم الدين أبو محمد التنوخي البعلبكي الشافعي ، مدرّس المدرسة الصارميّة .

اشتغل بالعلم مُدّة عمره ، وكتب بخطه ، ونسخ وحصّل الأجزاء والكتب ، وقرأ على الشيوخ ، وسمع بقراءة شيخنا البرزالي على الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره . وتوجه في الجفل إلى القاهرة ، وسمع مع المقاتلي . وولي المدرسة المذكورة بَعْد[1] عماد الدين ابن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي ، ودرّس بها في تاسع شهر رجب الفرد سنة ...[2]

وتوفّي رحمه الله تعالى يوم السبت العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وحضر جنازته جماعة من الفقهاء .

ومن شعره :

ولقد سمعت بسُكّرٍ من وصلكم ... فَعَساكم أن تجعلوه مكرّرا[3]
وأظنه حُلْواً لذيذاً طعمه ... إذ كنت أسمع بالوصال ولا يرى[4]

* الدرر : ٣٩٩/٤ ، والدراس : ٢٤٧/١ .

(١) في الأصل و (س) و (ق) : « بعد » ، وهو سهو ، قال ابن كثير في البداية والنهاية : ١٥٣/١٤ : « وفي هذا الشهر تولّى عماد الدين ابن قاضي القضاة الأخنائي تدريس الصارميّة وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافعي » . وعنه في الدارس ٢٤٨/١ .

(٢) (٧٣١هـ) ، كما في البداية والدارس .

(٣) في الدرر : « من فضلكم » .

(٤) في الدرر : « ولا أرى » .

ومن شعره :

لا تركَنَنَّ إلى الخريف فجــــوُّه ... كــدرٌ وخَفْـقُ نسيمـهِ خطّــافُ[(١)]

يجري مـع الأبـدان جَرْي صـديقهـا ... من لُطفـهِ ومن الصـديـق يخـافُ

ومنه في المشمش اللوزي :

أنكر العــاشقــون صُفرة لــوني ... بعـدمـا [كان] كالـزبرجـد أخضر[(٢)]

مــــادروا أنني عشقتُ فَلَــوني ... اكتسى [صفرة] وقلبي تكسّر[(٣)]

☆ **الهاشمي :** نور الدين علي بن جابر . وشمس الدين محمد بن هاشم .

١٩٢٤ ـ هبة الله بن عبد الرحيم*

ابن إبراهيم : شيخ الإسلام ، ومفتي الشام ، وأحـد الأئمـة الأعلام ، قـاضي القضـاة شرفُ الـدين أبـو القـاسم ابن القـاضي نجم الـدين ابن القـاضي الكبير شمس الـدين أبي الطـاهر بن المسَلّم الجُهني الحموي البـارزي الشـافعي ، قـاضي حمـاة ، صـاحب التصانيف .

سمع من أبيـه وجـدّه ، وابن هـامـل ، والشيـخ إبراهيم بن الأرمـوي يسيراً ، وتـلا بـالسبع على التـادفي ، وأجـاز لـه نجم الـدين البـاذرائي ، والكمـال الضريرُ ، والرشيـدُ العطارُ ، وعمـادُ الـدين بن الحرستـاني ، وعز الـدين بن عبـد السلام ، وكمالُ الـدين بن العديم .

برع في الفقه وغير ذلك ، وتشعبت به في الفضائل الطرقُ والمسالك ، وانتهت إليـه

(١) في الدرر : « فحدّه » ، تحريف .
(٢) في (ق) ، (س) : « كان » .
(٣) الزيادة من (ق) ، (س) .
* نكت الهميان : ٣٠٢ ، والإعلام : ٣١٢ ، والبـدايـة والنهـايـة : ١٨٢/١٤ ، ووفيـات ابن رافع : ٥٩/١ ، وغاية النهاية : ٣٥١/٢ ، والدرر : ٤٠١/٤ ، والشذرات : ١١٩/٦ .

الإمامةُ في زمانه ، وتفرد برئاسة العلم في أوانه . وكان بحراً من بحور العلم الزخّارة ، وحبراً من أحباره ، الذين توقدوا للهدى مثل الكواكب السّيارة ، تستحي ذُكاء[١] من ذكائه ، وتفيضُ علومه حتى يأخذ الغمامُ منها ملء[٢] زكائه ، مكباً على الطلب لا يفترُ ولا يني [ولا يقول السأم لنفسه طالبي بالتي هي أحسن ولا يني][٣] قد جانب ملّة الملل ، وتحقق أن الإخلال بذلك من الفساد والخلل ، هذا مع الصون والرزانة والتواضع الذي زاده رفعةً وزانه[٤] ، والوقار الذي خفّت الجبالُ أن تكون وزانَه ، والحلم الذي هو زينةُ العلم ، وطراز الحربِ والسلم ، والمحاسن التي ما محا سناها[٥] ضوءُ صباح ولا حوتها الوجوه الصِّباح :

تراهُ إذا ما زرتهُ متواضعا ... جليلاً على حشد الندي وحفلِه
وتعرف منهُ الفضل من قبل نطقه ... كما يُعرفُ الهندي من قبل سلّه
وتُبْصرُ منه أمةً وهو واحدٌ ... وما زاد في ذي عدّةٍ مثلُ نبلِه
إذا كان في أُفقٍ وأظلم حادثٌ ... سرى خائف العشواء في ضوء[٦] عقله

ولم يزل على حاله بحماة إلى أن ترك القضاء ، وذهبَ بصَرُه فشكر القدر والقضاء . ثم إنّ البارزي[٧] أضمرهُ الضريح وأخفاه ، واستكمل الأجل واستوفاه .

وتوفي رحمهُ الله تعالى في ذي العقدة سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

ومولدُه سنة خمس وأربعين وست مئة .

---

(١) الذكاء : الشمس .
(٢) في الأصل : « مسك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) زيادة من (س) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « زاد رفعه وزانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « التي ما يحاسنها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٦) في الأصل : « وصف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٧) (ق) ، (س) : « ابن البازي » ، وكذا في الموضع الآتي .

فتوفي رحمهُ الله تعالى عن ثلاثٍ وتسعين سنة ، وحج مرات ، وحدَّث بأماكن ، وحمل الناسُ عنهُ علماً جماً ، وأذن لجماعةٍ بالإفتاء .

وبلغني أن الشيخ برهان الدين بن تاج الدين الفزاري كان يقولُ : أشتهي أن أروح إلى حماة ، وأقرأ (التنبيه) على القاضي شرف الدين البارزي .

وكان يرى الكفّ عن الخوض في الصفات ، ويثني على الطائفتين ، واقتنى من الكتب شيئاً كثيراً بحيث إنه كان عنده من كل شيء نسختان وثلاثة .

وكان إذا سمع بتصنيف لأحد من أهل عصره جهّز الدراهم واستنسخ ذلك . وباشر القضاء بلا معلوم لغناه عنه ، وما اتخذ درّة ولا عزّر أحداً قط ، ولا ركب بمهاز ولا مقرعة ، وعُيّن مرات لقضاء مصر فاستعفى ، وكانت جلالته عجيبة مع تواضعه .

وكان قد أخذ الفقه عن والده وجده [وجدّه][1] ، عن القاضي عبد الله بن إبراهيم الحموي ، وعن فخر الدين بن عساكر ، وأخذ القاضي عبد الله عن القاضي أبي سعد بن أبي عصرون ، عن الفارقي ، عن أبي إسحاق الشيرازي ، عن القاضي أبي الطيب ، وأخذ فخر الدين عن[2] قطب الدين مسعود النيسابوري ، عن عمر بن سهل السلطان ، عن الغزالي ، عن إمام الحرمين ، عن أبيه ، عن أبي بكر القفّال .

ووقف القاضي شرف الدين كتبه وهي تساوي مئة ألف درهم . ولمّا توفي رحمه الله تعالى أغلقت أسواق حماة لمشهده .

وله من التصانيف : تفسيران ، وكتاب (بديع القرآن) وكتاب (شرح الشاطبيّة)[3] وكتاب (الشرعة في السبعة) وكتاب (الناسخ والمنسوخ) ، و (مختصر جامع الأصول) في مجلدين ، و (الوفا في شرف المصطفى) ، و (الإحكام على أبواب

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ابن » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٣) اسمه : الفريدة البارزّية في حل القصيدة الشاطبية ، انظر : الكشف ١٢٥٩/٢ .

التنبيه) ، و (غريب الحديث) كبير ، و (شَرْح الحاوي) ، أربع مجلدات ، و (مختصر التنبيه) ، و (الزبدة) في الفقه ، و (كتاب المناسك) ، و (كتاب عروض) وغير ذلك .

وله مما يقرأ طرداً وعكساً : « سُور حماة بربّها محروس » .

قلت : وهذا في غاية الحسن ، لأنه فصيح الألفاظ ، عذبٌ منسجم ، ليس عليه كلفة ، وفي القرآن العظيم من هذا النوع وهو قوله تعالى : ﴿ كلٌّ في فلَكَ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ ربَّك فكبِّر ﴾[2] .

ومما جاء منه في الحديث قوله ﷺ : « يقالُ لصاحب القرآن : اقرأ وارقَ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية »[3] .

وفيه تسامحٌ ما ، ومنه قولهم : « كبِّر رَجَاء أجر ربك » وقول الحريري في مقاماته :

آسِ ارملاً إذا عَرا ... وارعَ إذا المرءُ أسا

الأبيات .

وقول القاضي ناصح الدين الأرّجاني :

مودته تدوم لكّل هولٍ ... وهل كلٌّ مودته تدوم

وقوله أيضاً وهو مطلع قصيدة :

دام علا العماد

(١) الأنبياء : ٢١/٣٣

(٢) المدثر : ٧٤/٣ .

(٣) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري : ١/١١ .

ومما ينسب إلى القاضي الفاضل رحمه الله « أبداً لا تدوم إلاّ مودّة الأدباء » وقول القائل :

أرانــا الإلــــه هــلالاً أنـــارا

وقول الآخر : (مودتي لخلّي تدوم) ، وكما قال العمادُ الكاتب : (سر فلا كَبا بك الفرس) فقال له الفاضل[1] رحمه الله تعالى : (دام عُلا العماد) .

وقد يكون هذا النوع كل كلمتين قلبهما واحد ، كقولك : « أرضٌ خضراء » « فيها أهيف » « ساكب كاس » ، وكقول ابن النبيه :

لبـــقٌ أقبَـــلَ فيـــــه هيفٌ كلٌّ مـــا أملِـــكُ إن غَنّى هبـــه

وتارة تكون كل كلمة قلب نفسها ، كقول سيف الدين بن قزل المشد :

ليـلٌ أضـــاء هـلالُـــه أنّى يضيء بكـــــوكب

١٩٢٥ ـ هبة الله بن علي*

ابن السديد ، مجد الدين الشافعي .

اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي[2] ، وكان يطالع (تفسير ابن عطيّة)[3] كثيراً . وبنى مدرسة بإسنا ، ووقف بساتينه عليها .

قال كمال الدين الأُدفوّي : اتفق أنه عند انتهاء عمارتها حضر الشيخ تقي الدين إلى أسنا لزيارة بهاء الدين القفطي ، فسأله مجد الدين أن يلقي الدرس بها ، فألقى الشيخ

(١) (س) : « القاضي الفاضل » .

* الطالع السعيد : ٦٩٩ ، والدرر : ٤٠٢/٤ .

(٢) هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل (ت٦٩٧ هـ) . الطالع السعيد : ٦٩١ .

(٣) هو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، وهو مطبوع .

درساً[١] ، وكان شيخنا تاج الدين الدشناوي[٢] في خدمة الشيخ من قوص ، فقال لمجير الدين : إذا فرغ الدرس قل للشيخ ياسيدي بدستور سيدي آخذ الدرس ؟ فيبقى ذلك إذناً من الشيخ ، فقال : لا ، هذه مدرستي ، وأقول له : أنا هذا الذي قلت ، فيسكت أو يقول : لا ، فينقل عني .

وكان يدرّس بها ويعمل للطلبة طعاماً طيباً عاماً ويقول لمن تتفق غيبته يا فلان اليوم الفوائد والموائد :

ارضَ لمن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنبٌ عقابه فيه

وانتهت إليه رئاسة بلده ، وخطب بأصفون .

وتوفي رحمه الله في بلده سنة تسع وسبع مئة .

١٩٢٦ ـ هبة الله بن محمود*

ابن أبي القاسم بن أبي الفضائل بن أبي القاسم بن محمد ، الشيخ الإمام الزاهد العالم الكامل[٣] الفقيهُ أمين الدين بن قرناص الخزاعي الحموي الشافعي .

اشتغل بالفقه ، وسمع (جزء ابن عرفة) من شيخ الشيوخ الأنصاري ، وحدث بحماة وحلب ودمشق ، وحج ، وحدّث بمنى .

كان مدرساً بحماة ، فترك التدريس وصحب الفقراء ، وأعرض عن المناصب ، وغير ملبوسه .

---

(١) في (ق) ، (س) زيادة : « بها درساً » .

(٢) في الطالع : « بهاء الدين بن الدشناوي » .

* الدرر : ٤٠٣/٤ ، وفيه : « هبة الله بن محمّد » .

(٣) (س) ، (ق) : « العامل » .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (جزء ابن عرفة) .

وتوفي رحمه الله تعالى : سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعٍ وعشرينٍ وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

وتأسّف صاحب حماة كونه لم يحضر جنازته لأنه كان غائباً عن حماة ، وكان قد عاده في مرضه .

١٩٢٧ ـ هبةُ الله بن مسعود بن أبي الفضائل*

القاضي الفاضل معين الدين بن حَشِيش . قد تقدم ذكر والده في مكانه من حرف الميم .

كان فاضلاً أديباً عاقلاً لبيباً ، ذا حافظة وذاكرة ، ونظمٍ كثَّر الاستحسان له شاكِره ، عارفاً بوقائع الناس وأيامهم وتراجم أعيانهم[١] وأعلامهم ، يسْردُ من ذلك ألوفاً ، ويقولُ لسان حاله : « خُلِقْتُ لذا ألوفاً »[٢] ، آيةً في الحافظة عجيبة ، متى دعاها إلى شيء كانت له مُجيبة ، قد أتقن القلمين إنشاء وحساباً ، وبلغ فيها الغايتين مآلاً ومآباً ، وباشر الجيش شاماً ومصرا ، ووهب الله بهيبته[٣] تأييداً ونصراً ، ودبّر فأقبل ما أدبر ، ورحّب المضائق بما نَمَّق قلمه وحبّر :

ورمى إلى الغرض البعيـد بفكره فأصاب حتف كوامن ودقائق
يَقِظ لأعقاب الأمور مجرّبٌ طبٌ بأدواء الممالك حاذقِ[٤]

* البداية والنهاية : ١٤/١٤٧ ، والدرر : ٤/٤٠٣ ، والشذرات : ٦/٩٢ ، وذيول العبر : ١٦٢ ، والنجوم : ٩/٢٨٠ .

(١) في الأصل : « أعيالهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) فيه إشارة إلى قول المتنبي :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

(٣) في (س) (ق) : « له بهيبته » .

(٤) ضبط الصفدي بقلمه : « يقظ » ، ومابعدها من صفات بالكسر ، وإلاّ ففي البيت إقواء .

تنقّل من الشام إلى مصر مرّات ، ونال من السلطان مكارم ومبرّات .

ولم يزل على حاله بمصر أخيراً إلى أن جمدت[1] حواسه ، وخمدت أنفاسه .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وستين وست مئة .

ودفن بالقرافة في تربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش ، وكانت جنازة حافلة .

وكان ينظم شعراً جيّداً ، وليس له نثرٌ جيد ، اللهّم إلا إن ترسّل وكتب بلا سجع ، فإنه يأتي في ذلك بالمثل السائر والبيت المطبوع ، ويأتي بالشاهد على ما يحاوله وذلك في غاية البلاغة والفصاحة ، يُوفي المقام في ذلك حقَّه ، وكان عجباً في القوّة الحافظة .

كان في مبدأ أمره كاتباً في الدّباغة ، حتى إنه كتب إلى الأعسر أو لغيره من مشدّي دمشق ممن كان له الحكم في ذلك الوقت :

يا أميراً حاز الحَيَا والبلاغة قَتَلَتْني روائح الدّبّاغَهْ

ثم إنه نقل إلى طرابلس وخدم في الجيش بها ، وكان يساعد ابن الذهبي كاتب الإنشاء بطرابلس ، فاشتهر وعرف بالأدب ، فأحبّه الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس[2] ولم يزل إلى أن توجّه أسندمر مع السلطان الملك الناصر محمد من دمشق إلى القاهرة سنة تسع وسبع مئة ، فسعى له عند السلطان إلى أن استخدمه بديوان الجيش بالديار المصرية .

وكان قد حضر معين الدين إلى دمشق في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ناظر الجيش عوضاً عن القاضي شمس الدين بن حميد[3] وأقام بدمشق إلى أن حضر

(١) في الأصل : « خمدت » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) كرر الناسخ ههنا قوله : « فاشتهر ... بالأدب » .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٦٦/١٤ ، وقد سلفت ترجمة أبي طالب في موضعها من حرف الطاء .

القاضي قطب الدين من الديار المصرية ، فتوجه القاضي معين الدين إلى مصر ، ولم يزل إلى أن أمسك القاضي قطب الدين ناظر الجيش بالشام في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، فحضر القاضي معين الدين عوضه في نظر الجيش بالشام[١] ، ووصل إلى دمشق خامس جمادى الآخرة [سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة][٢] ، فانفرد بذلك قليلاً . ثم إنه شورك بينهما في النظر بمعلوم لكل منهما نظيرَ الأصل ، وكان القاضي قطب الدين هو الأكبر والعَلاَمة له أولاً ، ولم يزل بدمشق إلى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ولمّا عزم القاضي فخر الدين على الحجاز طلب السلطان معين الدين ليسد الوظيفة في الجيش عن القاضي فخر الدين[٣] ، فأقام بالديار المصرية إلى أن مات في التاريخ .

وكان يكتب خَطّاً قوياً ولا بدّ له إذا كتب اسمه « هبة الله بن حشيش » [أن][٤] ينقط الشين خوفاً من التصحيف .

اجتمعت به في دمشق وفي مصر مرات ، وأنشدني له كثيراً ، وممّا أنشدني له شيخنا علم الدين البرزالي إجازة قوله :

طيف ألمّ وطرف الهمّ وسنانُ ... وناظرٌ لا رتقابِ الوَصْل يقظان
سرى وموكبه شوقي ومَوْطِنهُ ... خَدّي وذلكما طِرْفٌ وميدانُ[٥]
حتى تضمنه الطرْفُ السهيد وقد ... غطى شهيد الكرى للدمع طوفانُ[٦]
فلم يزل دون تهويم يمتّعنا ... بالوصل زوراً وطرفُ النجم سَهران[٧]

---

(١) البداية والنهاية : ١٤/١٠٥ .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) البداية والنهاية : ١٤/١٣٥ .

(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

(٥) الطِرف : الفرس .

(٦) في الأصل : « تطمّنه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وفي (س) ، (ق) : « الجفن السهيد » .

(٧) في الأصل : « تقويم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . والتهويم : النعاس .

فكم تلقى بصـــدري فرحـــةً فرشت ... لــه السرائر فــالأحشــاءُ أوطــانُ
إذا تمشي إلى جَرْح الجـــوارح يـــأ ... ســوه فكم طُفِئت للــوجـــد نيرانُ
فشق بــاللطف عن قلبي وعـزّل عنـ ... ـــه مــا يشــقٌّ فقلبي اليـومَ فرحــانُ
وراح يخلــعُ جلبـــاب السرور على ... وقتي وقـــد مرّ دهر وهــو عُريــانُ
أهــلاً بــه من خيــالٍ عــادلي أملي ... بـــه وعـــاودني رَوْحٌ وريحـــانُ
فــالعيشُ رغــدٌ ودارَ الأُنس دانيــة ... وجيرةُ الحي بعـــــد الهَجْر جيرانُ
ورُقْبــةُ البــدرِ سُهْــدٌ والمنى حُلُمٌ ... تحلــو لنــا ومَغَــاني الحيِّ أوطــانُ
فهـــذه مِنــحُ الطيف الْمُلمّ بِنـــا ... سرّاً فليت بـــواقي السِّر إعـــلانُ

وكتب من طرابلس إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم :

خيــالـك لّمـا بـان ركبُـك مـا بــانـا ... لأنّ لـه في نــاظر العَيْن أوطــانـا
إذا مـــا اشتكى قلبي لهيب غرامـــهِ ... لــدمعٍ يجــاريــه تــأجــجَّ نيراننا
نَعِمتُ بمــا ترضَــون لي يــا أحبّتي ... ولم أخْشَ أشــواقــاً إليكم وهجرانــا
وعَـــــذْب عـــــذابي فيكم وتحرّقي ... وكم من عــزيــزٍ في محبتكم هــانــا

فكتب شهاب الدين بن غانم الجواب إليه :

رقــادي لّمـا بنْت يـا منيتي بــانــا ... فكيف يـزورُ الطيفُ منّي أجفـانــا
وقلبي مُـــذْ ودّعتَ لا علم لي بـــه ... وآخرُ عَهــدي أنّــه عنــدكم كانــا
على أن ما شطّت نوى من غدت لـه الـ ... ـسرائر من صدري ربوعـاً وأوطـانـا
وحـــاشى لمثلي أن يُرى متشكيّـــاً ... صـدوداً وأن يخشى ببعُدك هجرانـا
وما زال توحيـدي وشخصُـك والهوى ... بقلبي سكّـانــاً أقــامـوا وجيرانـــا

ومن شعره قصيدة في المجون ، وجوّدها ، أولها :

لا وَالأيـــــورِ الصُّلّـــــعِ

منها يقول :

مـــــا وَقَـــع الكسّ على ... قلب الخصيّ بَمـــوْقِـــعِ

١٩٢٨ ـ هدية بنت علي بن عسكر*

الشيخة أم محمد البغدادية ، اللّبان أبوها ، الهرّاس جدّها .

كانت امرأةً صالحة ، كثيرة الصلاة والنوافل . رَوَت عن ابن الزبيدي ، وابن اللتي ، وجعفر الهمداني ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها (مسند الدارمي) ، ورافقتها في السفر من دمشق إلى القدس ، وقرأت عليها بعجلون ، والبيت المقدس ، وبلد الخليل عليه السلام ، وبالأردن عند جسر دامية ، وغير ذلك ، وكانت تتردد إلى بيتنا وتقيم عندنا الأيام المتوالية . وسمع منها جماعة من الطلبة .

ثم إنّها توفيت رحمها الله تعالى بالقدس في ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

الألقاب والنسب[1]

☆ **الهذباني :** نجم الدين الحسن بن هارون . ونور الدين علي بن محمد .

☆ **الهكاري :** الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد . عماد الدين داود بن محمد .

☆ **ابن هود :** الشيخ بدر الدين الحسن بن علي .

☆ **الهرغي[2] :** تقي الدين عبد الله بن محمد .

☆ **ابن الهمام :** ناصر الدين محمد بن الهمام .

---

* الإعلام : ٢٩٩ ، والدرر : ٤٠٣/٤ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٧٠ .

(١) هذا العنوان وضع بعد « الهذباني » في الأصل .

(٢) (ق) : « الهرقي » ، وقد سلفت ترجمته .

☆ **أولاد ابن هلال :** الصاحب تقي الـدين أحمـد بن سليمـان . ومعين الـدين الحسين بن محمـد . وفخر الـدين عبـد الرحمن بن عبـد العـزيـز . ومخلّص الـدين عبد الواحد بن عبد الحميد . ونجم الدين علي بن محمد . وأمين الـدين محمـد بن محمـد بن عمر .

[☆ **ابن الهيتي :** صلاح الدين ناصر بن أبي الفضل][1] .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

حرف الواو

☆ **ابن والي الليل :** محمود بن رمضان .

☆ **الوتار القوّاس :** علي بن إسماعيل .

☆ **وحيد الدين إمام الكلاسة :** يحيى بن أحمد .

☆ **ابن ورّيدة :** عبد الرحمن بن عبد اللطيف .

١٩٢٩ ـ وهبان بن علي*

ابن محفوظ بن أبي الحياء السبتي ، الشيخ زين الدين أبو الكرم المؤذن بباب السلطان ، الجزري .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن ابن باقا الجزء الثالث من (البيوع) من مسائل الإمام أحمد الأثرم[(١)] ، قرأته عليه بمنزله في علوّ خان مسرور بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وست مئة بجزيرة ابن عمر .

---

* العبر : ٤٠٧/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(١) أحمد بن محمد ، أبو بكر الأثرم ، أخذ عن الإمام أحمد (ت ٢٦١هـ) الأعلام : ٢٠٥/١ .

الألقاب والنسب

☆ **ابن واصل** : قاضي القضاة محمد بن سالم .

☆ **الـواني** : الشيـخ برهـان [الـدين][١] إبراهيم بن محمـد بن أحمـد المـؤذن . وشرف الدين عبد الله محمد بن إبراهيم .

☆ **والواني** : علي بن عمر بن أبي بكر .

☆ **والواني** : محمد بن إبراهيم .

☆ **الواسطي** : الشيخ عماد الدين أحمـد بن إبراهيم . وتقي الـدين عبـد الرحمن بن عبد المحسن .

☆ **أبن الواسطي** : القاضي شهاب الدين غازي بن أحمـد . وموّفق الـدين محمـد بن إبراهيم . والمسند شمس الدين محمد بن علي .

☆ **الوادعي** : علي بن المظفر .

☆ **الوردي** : القاضي زين الدين .

☆ **أبن الوردي** : عمر بن مظفر . وأخوه القاضي جمال الدين يوسف بن المظفر .

☆ **وليّ الدولة** : أبو الفرج .

☆ **ابن الوحيد الكاتب** : محمد بن شريف .

☆ **ابن الوزيري** : بدر الدين محمد .

☆ **أبو الوليد المالكي** : محمد بن أحمد .

☆ **الوطواط الوراق** : محمد بن إبراهيم .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

حرف الياء

١٩٣٠ - يحي بن إبراهيم*

الملك الناصر صاحب سنجار .

قتله القان خربندا ، وقتل معه الوزير سعد الدين الساوجي ، والوزير مبارك شاه في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

١٩٣١ - يحي بن أحمد**

ابن خذاذاذ الخلاطي الشافعي ، وحيد الدين ، أبو حامد الرومي .

شيخ القراء ، إمام الكلاسة بالجامع الأموي .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

قرأ بالروم على الصائن البصري[(١)] . وولي إمامة الكلاّسة نحو خمس عشرة سنة ، وقبلها كان يؤم بمشهد ابن عروة . وولي مشيخة الخانقاه الأسدّية ، وبها مات رحمه الله تعالى .

---

* الدرر : ٤١٠/٤ .

** الدرر : ٤١٠/٤ ، وغاية النهاية : ٣٦٥/٢ ، والذي في أصول الأعيان : « حداد » ، وشد وما أثبتناه هو ضبط ابن الجزري في الغاية ، وفي الدرر : « خداداد » .

(١) محمد بن محمد بن موسى صائن الدين الهذلي البصري ، شيخ بلاد الروم في القراءات (ت٦٨٤ هـ) . غاية النهاية : ٢٥٥/٢ .

وكان إماماً عـارفاً بفنّ القراءات ، وبلغ الثمانين من عمره ، وحضر جنـازتـه خلق عظيم .

١٩٣٢ ـ يحيي بن أحمد بن يوسف*

ابن كامل ، السيد العدل الرضي عماد الـدين بن شهـاب الـدين الشريف الحسيني ، عرف بالبصراوي ، ناظر ديوان الأشراف .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان رجلاً جيّداً متواضعـاً عـدلاً من أهل السنّـة ، روى لنـا عن ابن الصلاح ، وابن مسلمـة ، وسمع من ابن البراذعي ، وعتيـق السلمـاني ، والسخاوي ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة ست وعشرين وست مئة .

١٩٣٣ ـ يحيي بن أحمد بن عبد العزيز**

ابن عبد الله بن علي بن عبد الباقي بن علي بن الصواف[١] الجذامي الإسكنـدراني ، الشيخ الفقيـه الإمـام المحـدث المقرئ العـدل شرف الـدين أبو الحسين ابن المحـدث نجيب الدين أبي الفضل .

حصل لـه صمم وكفّ بصره سنتين[٢] ، وعُمِّر ، وكا ن يروي (الخلعيّـات) عن ابن

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٦ ، والدرر : ٤/٤١٣ .

** نكت الهميان : ٣٠٧ ، والدرر : ٤/٤١٠ ، وغاية النهاية : ٢/٣٦٦ ، والشذرات : ٦/١٣ .

(١) في الأصل : « الصوات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ومصادر ترجمته .

(٢) في (س) ، (ق) : « مدة سنين » .

عماد[١] ، وسمع من جده أبي محمد عبد العزيز ، ومن ناصر بن عبد العزيز الأغماتي[٢] ، وعبد الخالق بن إسماعيل التنّيسي[٣] ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن الجباب[٤] ، ومرتضى بن العفيف[٥] ، وجماعة . وقرأ القرآن بالروايات على ابن الصّفراوي[٦] .

قال شيخنا علم الدين البزرالي : وأجاز لنا في سنة إحدى وسبعين وست مئة ، ثم قرأت عليه (جزء السلفي) بسماعه من ناصر الأغماتي ، والخامس من (الخلعيّات) بسماعه من ابن العماد .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شعبان سنة خمس وسبع مئة .

ومولده بالإسكندرية في أحد الربيعين أو الجماديين سنة تسع وست مئة .

١٩٣٤ - يحي بن أحمد بن نعمة*

ابن أحمد بن جعفر بن حسين بن حمّاد ، الشيخ الإمام بقيّة السلف محي الدين أبو زكريا ابن الشيخ الإمام الصالح كمال الدين المقدسي الشافعي ، إمام مشهد علي بالجامع الأموي[٧] .

أول سماعه بالقدس في شعبان سنة أربعين وست مئة ، سمع مع والده مَكّي بن

(١) محمد بن عماد بن محمّد الجزري (ت٦٣٢هـ) . السير ٢٢/٣٧٩ .

(٢) في الأصل : الأغماني » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ت٦٣١هـ) الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٣) في الأصل : « التنسي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « الحباب » ، وسلفت الإشارة إليه .

(٥) مرتضى بن العفيف جماعة بن عباد الضرير ، يعرف بابن اكشاب ، أخذ القراءات والشاطبية عن الشاطبي . غاية النهاية ٢٩٣/٢ .

(٦) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل الصفراوي مؤلف كتاب : (الإعلان) ، (ت٦٣٦هـ) . غاية النهاية : ٣٧٣/٢ .

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٨ ، والدرر : ٤١١/٤ .

(٧) وهو المشهد الشرقي الشمالي بالجامع ، ويدعى أيضاً مشهد الحسين .

علاّن والمرسي والفقيه محمد اليونيني وشيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري وإسماعيل العراقي والنجم البلخي وابن خطيب القرافة وابن عبد الدائم وجماعة ، وأجاز له السخاوي والفرضي وعتيق السلماني وابن الصلاح والعزّ بن عساكر وعمر بن البرادعي وجماعة .

وكان له اشتغال بالعلم في أول عمره ، وعنده سكون وسلامة صدر ، وأعاد بدمشق والقاهرة ، وكان صالحاً مباركاً موصوفاً بالخير والدين .

توفي رحمه الله تعالى سادس عشري شهر رمضان سنة [ست] [(١)] عشرة وسبع مئة ومولده سنة ثلاثين وست مئة تقريباً .

١٩٣٥ ـ يحيى بن إسحاق*

ابن خليل بن فارس ، القاضي الفقيه الإمام محيي الدين أبو زكريا ابن القاضي الإمام العالم كمال الدين أبي محمد الشيباني الشافعي .

كان شيخاً حسناً مباركاً ، ولي القضاء بشيزر وزُرَع وأذرعات ، وكان حسن السيرة ، كثير التواضع فقيهاً ، اشتغل وحصّل وكتب ، وكان من أصحاب الشيخ شرف الدين بن المقدسي .

وسمع الحديث من والده ، ومن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وأحمد [(٢)] بن أبي الخير ، والقطب خطيب القدس ، وجماعة .

---

(١) زيادة من (س) ، (ق) ومصادر ترجمته .

* الدرر : ٤/٤١٤ .

(٢) في الأصل : « ابن أبي عمرو بن أحمد » ، وفيه خلل ، وأثبتنا ما في (س) (ق) .
وابن أبي عمر هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت٦٨٢ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .
وأحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم الدمشقي (ت٦٧٨هـ) العبر : ٥/٣١٩ .

وخرّج له شيخنا الذهبي جزءاً ، وحدّث به .

توفي رحمه الله تعالى سلخ شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

١٩٣٦ - يحيي بن إسماعيل*

ابن محمد بن عبد الله ، القاضي الصدر الرئيس النبيل شهاب الدين ابن القاضي عماد الدين بن القاضي شرف الدين ابن الصاحب فتح الدين بن[١] القيسراني المخزومي ، تقدم ذكر والده القاضي[٢] عماد الدين ، وذكر غيره من بينهم .

كان القاضي شهاب الدين قد طبع على الرئاسة ، وجمع في أجزائه من السيادة والسياسة ، يتجمّل في مركوبه وملبوسه ، ويتحمّل المضض من نكدِ دهره وبؤسِه ، لا يشكو والدهرُ قد عضّه بنابه ، ولا يُظهر الشماته بعدوّ ولا يقول في شده : « ليت ما بنابه »[٣] ، ولا يتلفّظ بسوء في حقّ من آذاه ويقول : من أطلق لسانَه فليس بنابه . تخف الجبال الراسيات لوقاره ، وتتعجّب السلافة من لطفه وهي في خزف[٤] الدّن وقارِه ، أخلاقه كنسيم الصّبا ، فالخمائل منها في خُمول ، ومحاسنُه كثيرةُ العَدَد وعلى ظهر الزمان منها حُول ، وبشرٌ يتعجب من دوامه جليسه ، وتواضعٌ يشهد بالرفعة له أنيسه .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٠٧/١ ، والدرر : ٤١٤/٤ ، والنجوم : ٢٩٠/١٠ ، والشذرات : ١٧٥/٦ ، وذيول العبر : ٢٩٠ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) إشارة إلى قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه ليت ما حلّ بنا به

(٤) في الأصل : « حرف » ، وأثبتنا مافي (س) ، (ق) ، (خ) .

شيمــــة حُرّةٌ وظـــــاهرُ بشْرٍ راح من خلفـــــهِ السماحُ يشفُّ

هذا إلى كرم[١] يضطرب موجُه ، ويشهد لمؤمّله بالفوز فَوْجُه .

ولاّه السلطان الملك الناصر محمد كتابة السرّ بالشام إكراماً للأمير سيف الدين تنكز ، وتوهّم فيه التقصير ، فبدا منه كلُّ أمرٍ مُعْجز ، فنفّذ مهات البريد ، وصانَ أسراره ، وصال على أعاديه بكتبه التي يجهزها على الحرارة ، حتى دخل في عين تنكز وملأ قلبه ، وجعل إليه إيجابه وسَلْبَه ، وألقى إليه مقاليد دولته . وروى الليث عنه أسانيد صولته ، فتقدم في تلك الدولة[٢] ورأس ، وجنى من ثمرات[٣] الشكر مما غرس ، فكان إذا جلس في صدر ديوانه كأنه كسرى في إيوانه مقددٌ وسُؤدَد ، وستورٌ من الجلالة عليه ترخى ، وأطنابٌ من المهابة تُمْدد :

بصفاتـه سَجَع الحمامُ وهـزّ عِطْـ ـفيه قضيبُ البانةِ الأُمْلودُ[٤]
سلـك المكارم والمهالـك عَـزْمُـهُ فغدت وليس لنظمها تَبْديدُ
من معشر مولودهم في مهـده يُرجى ومن قبل الفطام يسودُ

وكان خطُّه أبهى من الرّوض وأبهج ، وسطوره في طروسه آنقُ من بحر كافور بالمسك قد تموّج ، قد صَغَت حروفها وقعدت ووضعت تيجان الحسن على رؤوسها وعَقدت .

إلاّ أن الزمان قطع عليه اللّذة ، وارتجع حسَنتَه الفذة ، فأمسك السلطان تنكز ، فانحل نظامُ السَّعد ، وزالت تلك المحاسن و ﴿ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبلُ ومِن بَعْدُ ﴾[٥] ،

---

(١) (خ) : « كريم » .
(٢) (س) ، (ق) ، (خ) : « الأيام » .
(٣) في (س) ، (ق) ، (خ) : « وجنى ثمرات » .
(٤) الأملود : الناعم الليّن .
(٥) الروم : ٣٠/٤ .

وأصابه في[(١)] تلك المحنة شؤبوب ، ومرّ عليه من لامع برقها أُلهوب[(٢)] ، إلا أنها كانت شدة خفيفة ومحنة عفيفة ، فانقشع غيمها ، وانجمع ضيمها . ثم إنه أُرسل سعده بعد فترة ، ورفع على رأسه جترة[(٣)] ، وقالت له الأيام :

لُحْ في العلا كوكباً إن لم تَلُحْ قَمَراً   أو قم بها ربوةً إنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمَا

فعاد إلى توقيع الدَّست ، وحطّت نغمة نعمته في الدُّوكاة بعد أن طلعت في الرَّست[(٤)] .

ولم يزل على حاله إلى أن انطوى بعد ما تألق ، وتعلّى روحه إلى الجنة وتعلّق .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده رحمه الله تعالى .

ومولده تقريباً سنة سبع مئة[(٥)] ومات بعلّة الاستسقاء بعدما عالج لواعجه قريباً من عشرة أشهر ، وصبر على الامتناع من رؤية الماء وشربِهِ جملة كافية .

وقلت أنا فيه :

قلت إذا استسقى الرئيس الذي   بالجود عمّ الغرب والشرقا
عهدي أن البحر يسقي الورى   مالي أرى البحر [قد] استسقى[(٦)]

وكان القاضي شهاب الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد ورَد مع والده إلى دمشق من حلب ، وقد رُسم له من مصر أن يكون مع والده مقيماً بدمشق ، وأن يكون والدُه

(١) (س) : « من » .
(٢) ألهب البرق : تتابع .
(٣) الجتر : المظلّة .
(٤) الدوكاة والرّست : من مقامات الموسيقا .
(٥) قوله : « دفن » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٦) (خ) : « عهدي بأنْ » . والزيادة منها ومن (س) ، (ق) .

موقّعاً بالدست ، وأن يكون هو كاتب إنشاء ، فباشر ذلك على أتمّ ما يكون من التجمّل في ملبسه ومملوكه ودوابه[١] ومركوبه إلى غير ذلك ، حتى كان القاضي محيي الدين بن فضل يقول : هذا المولى شهاب الدين بن القيسراني[٢] يجمّل هذا الديوان .

وكانت يكتب الرقاع مليحاً إلى الغاية . ولم يزل على ذلك إلى أن توفي والده رحمه الله تعالى ، على ما تقدم في ترجمته ، فرتّبه الأمير سيف الدين تنكز في توقيع الدست مكان والده . ولم يلبث بعد ذلك إلاّ قليلاً حتى كتب فيه إلى السلطان وسأل له أن يكون كاتب السر بدمشق ، فأجابه السلطان إلى ذلك . وكان تنكز يحبّه ويميل إليه ويعتمد عليه اعتماداً كثيراً ، حتى إنّه كان في السفر لا يُمسك قلماً ولا يكتب على شيء ، لا مطالعة إلى باب السلطان ولا غيرها ، بل يسطّر قبل سفره ما يحتاج إليه من المطالعات وأوراق الطريق والمراسيم[٣] التي على الخزانة بالتسافير والإنعامات والمُطلقات وجميع ما يكتب إلى النواب وإلى غيرهم ممن هو في باب السلطان ، يفعل ذلك وثوقاً به .

ولم يزل كذلك إلى أن أُمسك تنكز ورسم السلطان بعزل كلّ مَنْ هو من جهة تنكز[٤] ، فأمسكه الأمير سيف الدين بشتاك ، وأخذ منه تقدير عشرين ألف درهم وأفرج عنه . وأقام بعد ذلك بطّالاً إلى أن توفي السلطان .

وجاء الفخري وملك[٥] دمشق ، فاستخدمه في كتابة الدست بدمشق . وتوجه مع الفخري والعساكر إلى الديار المصرية ، وعاد إلى الوظيفة المذكورة ، وأقام عليها بدمشق إلى أن توفي القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق ، فكتب

(١) في (ق) ، (س) : « ودواته » .
(٢) قوله : « ابن القيسراني » ، ليس في (خ) .
(٣) (ق) : « والمراسم » .
(٤) (خ) : « كل من هو في جهته » .
(٥) (خ) : « وتملك » .

الأمير سيف الدين يلبغا[١] وكان يومئذ نائب دمشق في القاضي شهاب الدين بن القيسراني وسأل من السلطان أن يكون كاتب سرّ بدمشق ، فما قدّر الله له بذلك . وحضر بريدي يطلبه إلى باب السلطان فتوجه إلى الديار المصرية ، فرسم له بأن يكون كاتب إنشاء بالقاهرة[٢] فأقام على ذلك[٣] قليلاً ، ورَسم له الملك الكامل بأن يكون موقع الدست قدام السلطان[٤] ، فعمل ذلك مديدة[٥] . ثم إنه خرج إلى دمشق على عادته موقع الدست[٦] ، فأقام على ذلك إلى أن مرض بعلّة الاستسقاء ، ومات في التاريخ المذكور ، رحمه الله تعالى .

وكان شكلاً حسناً تامّ الخلق ، مليح العمّة ، نظيف اللباس ، عطر الرائحة ، محبوب الشخص ، حسن الودّ ، صحيح الصحبة ، يملك أمر نفسه في حالتي الخير والشر ، لا يظهر عليه غضب ولا كراهةُ أحد ، يعامل صاحبه وعدوَّه بظاهر حُسْن وبشاشة[٧] ، كثير الاحتمال ، صابراً على أخلاق من يصحبه أو يعاشره ، كثير الآداب والرئاسة ، وكان أخيراً[٨] وهو كاتب السر يصوم الاثنين والخميس ، ويتعبّد ويذكّر ، لا يقابل أحداً بما يكرهه[٩] . لم أر مثله ، صحبتُه مدّة تزيد[١٠] على ثلاث وعشرين سنة ، ما رأيت منه سوءاً قط ولا ما أكرهه[١١] ، فجزاه الله عن الصحبة خيراً .

---

(١) (خ) : « يلبغا اليحيوي » .
(٢) (خ) : « فرسم له بكتابة الإنشاء بالقاهرة » .
(٣) قوله : « على ذلك » ، ليس في (خ) .
(٤) قوله : « قدّام السلطان » ليس في (خ) .
(٥) (خ) : « مدّة » .
(٦) (ق) : « موقعٌ دست بدمشق » .
(٧) قوله : « وبشاشة » ليس في (خ) .
(٨) ليست في (خ) .
(٩) (خ) ، (ق) : « يكره » .
(١٠) (خ) : « أوفت » .
(١١) قوله : « ولا ما أكرهه » ليس في (خ) .

وكان يحب الفقراء والصالحين ، ويتودد إليهم ويقضي حوائجهم ، وعمّر العمائر المليحة الغريبة العجيبة ، ولم أر أحداً حاز مثل ذهنه في العمائر[١] واستعمال الصنّاع والصبر على ما عندهم من المكاسرة والمدافعة .

وقلت أنا أرثيه ، رحمه الله تعالى :

مات يحي فكيف يحيا اللبيبُ ... وبه كانت الحياة تطيبُ
لم يمت إنما الرئاسة ماتت ... والمعالي تخرَّمتها شعوب[٢]
كان للناس والأنام جمالاً ... فهو للبدر في التمام نسيب
كان والله كاملاً في المعاني ... وجِباهُ للمعتفين رحيب
كان في جوده فريداً فأمّا ... إن ذكرت الوفا فأمرٌ عجيب[٣]
يملأ العين شكله وتسرُّ النفـ ... ـس أوصافه فما تستريب
ورئيس إن قلت فيه رئيس ... ماله في الأنام قطّ ضريب
خُلُق كالنسيم إن مرّ وَهْناً ... في خلال الأزهار وهو رطيب
ومحيّاً لو أن بدراً رآهُ ... لاعتراه بعد الطلوع مغيب
وحياء كأنه إذْ يُحيّا ... عند ردِّ السلام منك مُريب
واحتمال لكل ضيم عظيم ... حيث رأس الوليد منه يشيب
وإذا نال حظوةً مِن مليك ... فلكلّ الأصحاب منه نصيب
هو في منصب يسامي الثريّا ... ونداه من المنادي قريب
لم يشنْ لفظه بغيبة شخص ... يحضر الشخص عنده أم يغيب
من سراةٍ إن سار عنهم ثناءٌ ... مادَ منه غصنٌ وماج كثيبُ[٤]
إنّ مخزوم في قريش لريحا ... نٌ شذاه يوم الفخار يطيب

(١) (خ) ، (ق) ، (س) : « في العمارة » .
(٢) في الأصل : « تخرّمنها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٣) (ق) ، (س) ، (خ) : « غريب » .
(٤) في الأصل : « كثيب » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .

جـدّهم خـالـدٌ وخـالـد جـدٌّ ... لهم والجنـاس شيء عجيب
كلّهم كاتبٌ رئيسٌ كريمٌ ... عـالم فـاضـلٌ سريٌّ نجيب
كتب السرّ عنـد تنكـز دَهْراً ... وهـو ذاك الملـك العظيم المهيب
فـأخـاف العـدا وسرَّ المـوالي ... فلهـذا يثني وهـذا يثيب[1]
وعلى كَتبـه حـلاوةُ لفـظٍ ... مقتضـاه البيـان والتهـذيب
في طروس لنـاتشفٍ بيـاضـاً ... وسطـورٍ مـدادهـا غربيب[2]
دبّر الملـك بُرهْـةً ليس فيهـا ... مـا تراه سـوءاً ولا مـا تعيب
يتلقّى أغراض كلِّ مهمّ ... فترى رأيـه سهـامـاً تصيب
وإذا جُهِّـزَ البريـدُ بـأمر ... فيـه خـوف فبـالأمـان يـؤوب
ليس إلاّ اللفـظ الـذي هـو سحر ... ولمعنـاه في القلـوب دبيب
ولبعض الكـلام رونـقُ حُسْنٍ ... منه تُنْسَى البلوى وتُمحى الذنوب[3]
أيهـا الـذاهبُ الـذي سـار عنّـا ... وغمـامُ الـدمـوع منـا يصـوب
إن يكن شـقّ فيـك للصبـح جَيْب ... فلكم شُقِّقَتْ عليـك جيـوب[4]
كان دهري سِلمـاً فمـذْ غبت عني ... نشـأت بينـه وبيني حروب
كنت لا أختشي إذا اعتـلّ يـومـاً ... من أذى خَطْبِـه وأنت طبيب
آه .. وا لـوعتي وطـول نحيبي ... مـع علمي أنْ ليس يُجـدي النحيب
غير أني قضيت للـودّ حقـاً ... برثـاءٍ لـه عليّ وجـوب
كم أيـادٍ أوْلَيْتَنيهـا ونُعمى ... ومحـلّ الإحسـان مَحْـلٌ جـديب[5]
جعـل الله بقعـة أنت فيهـا ... روضٌ عفـو فهـو الكريم الـوهـوب

---

(١) في الأصل : « يهيب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .
(٢) الغربيب : الأسود الحالك .
(٣) في الأصل : « تنشى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « قلوب » .
(٥) (س) : « وأياد » .

وكتبت أنا إليه من الديار المصرية أهنئه بكتابة السر بالشام في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة :

كم عـدو يمـوت أيـام يحيي ... ومحبٌ في العـز والسعـد يحيـا
هـذه دولـةٌ تقـول الليـالي ... لعُلاهـا أهـلاً وسهـلاً ورعيـا
طـالمـا اشتـاقهـا الـزمـانُ بنفسٍ ... هي للمجـد والمكارم ظميـا
جِمْجَمَ الـدهرُ مـدّة بسـواهـا ... وهـو منهـا يُسِرّ في القَلْب أشيـا
أطلعت في سما دمشـق شهـابـا ... منـه شمس النهـار في الأفـق خَـزْيـا
أين من يطلب المعـالي وتـأبى ... من رئيس تـأتي لمغنـاه سعيـا
لـو أراد الـزمـانُ يـأتي بمثـلٍ ... لعـلاه بين البريّـة أعيـا
كاتب السر سرَّ كل محبّ ... وأعـاد الجميـل فينـا وأحيـا
بسجـايـا من السحـائب أنـدى ... وجنـاتٍ من الحـدائـق أفيـا
ذو سكـون وعفـة ليس يشكـو ... من خُطـاه وجـهُ الثرى قـطٌّ وطيـا
صرّفِ الآن دهرنـا يـا شهـاب الـ ... ـدين مهما أردت أمراً ونهيـا
ومر السعـد بـالـذي تشتهيـه ... فهو يأتي في الحال مـا اخترت جَرْيـا
فلـك الحمـدُ والمـآثر إرث ... عن كرامٍ زكـوا ممـاتـاً ومَحْيَـا
أنت من عصبـةٍ كرامٍ نمـاهم ... خـالـدُ بن الـوليـد في كل عَلْيَـا
عملـوا صـالحـاً وحـازوا المعـالي ... فهمُ الفـائـزون أُخرى ودُنيـا
بـك تـزهى دمشـق فـامنـع حمـاهـا ... فلهـا من عـلاء في العـز بُقيـا
قلم في بيـان كفـك يسعى ... فوق طرس أم حاك في الخط وشيا[1]
كل سطر كأنـه إذْ تبـدّى ... شفـةٌ بـالمـدادِ الأسـود لَمْيـا
ينثر الـدرّ بـل يُري السحر حقـا ... حين يُمْلي عليـه فكرك وحيـا
فـإذا مـا أعملتَـهُ في مُهمٍّ ... يستبيـح الأعـداء قتـلاً وسبيـا

(١) في (س) ، (ق) ، (خ) : « بنان » .

هـذه الـدولـة التي كنت أرجـو   أن أرى لي بهـا مـع السعـد لُقْيـا
ويسر الفـؤاد نيـلَ الأمـاني   وأرى طعم صَبْره صـار أَرْيَـا[١]
لا أراني لهـا الـزمـان انفصـالاً   مـا اشتكى عـاشـق من الحب نـأيـا

يقبّل الأرض ويهنئ نفسه والأنام ، ومملكةَ الشام والأيّـام ، وبيض الطروس وسُمْر الأقلام وأرباب الطيالس وأصحاب الأعلام ، بهذه الرتبة التي طلع في سمائها شهاباً توقّد نُورُه وكاتب سَرٍّ كثرت بمعاليه في ديوان الإنشاء شموسه وبُـدورُه ، ووجـدت الأقلامُ لها في ميـدان[٢] البـلاغـة مجـالاً ، وبلغت المعـالي من قربـه أمـانيهـا فلم تعـدم بمن[٣] تهـوى اتصالا[٤] :

وزاد المرهفـات ضيـاءَ عـزمٍ   فصـار على جـواهرهـا صِقـالا[٥]
وأبصرت الـذوابـل مِنْـه عَـدْلاً   فـأصبـح في عـواملهـا اعتـدالا

فالله يرزقنا[٦] معـاشر الأرقـاء شكر هـذه النعمـة التي أقر بهـا ليل الأمل والتحف الدهر منها برداء المحـاسن واشتمل ، وانتشق خمـائل فضلهـا من كانت الأيـام أخرتـه حتى خمل[٧] ، وانتصف فيها من كانت واقعته تذكّر الناس بأيام صفّين والجمل :

وأضحى فضلهـا في النـاس بـاد   يـدار بهـا على الشُّرب العُقَـارُ

فهذه الأيّام التي كانت بهـا الآمـال في الضمائر أَجنّـة ، وهـذه الأوقـات التي جرت إليها سوابق الأماني مُطْلقاتِ الأعنّة ، وهذه الدولة التي جرت في رياض حماهـا جـداول السيوف تشقّ رياحين الأسنّة ، ليس فيها ما يقال له : « كَمُلَتْ لو أن ذا كملا » .

(١) الأري : العسل .
(٢) (خ) : « ديوان » .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .
(٤) للمعري ، شروح سقط الزند : ١/٧٠ .
(٥) في سقط الزند : « أفاد المرهفات » .
(٦) في (س) ، (ق) ، (خ) : « يوزعنا » .
(٧) في الأصل : « حمل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

فأنتم يا بني القيسراني فضلكم مثل جدكم خالد ، ونَجْمٌ من عاندكم هابط ونجم سعودكم صاعد ، وجنان الفضل تُرون فيها ﴿ مُتكئين فيها عَلَى الأَرَائِكِ ﴾[(١)] وتحيتكم فيها المحامد[(٢)] ، وأيديكم تضرب من البلاغة في الذهب الذائب إذا ضرب غيركم من العي في الحديد البارد ، وبنان حسانكم ينهلّ بالنّدى فهو جائد وبنانُ غيركم جامد . زينتم الوجود من عصر نور الدين الشهيد سُقي ضريحه رحمة وبرّاً ، وبدأت حسنات الأيام بوجودكم من هناك وهلم جرّا ، كم قد تجمل[(٣)] منكم منصب الصحابة بوزير ، وكم جلس منكم كاتب سرّ بين يدي صاحب السرير ، وكم حلّيتم بدرر إنشائكم[(٤)] جيد قاضٍ وعنق أمير ، وكم روى الإحسان منكم عن نافع وابن كثير[(٥)] .

أما فضائلكم فإنها ملأت الدفاتر ، وأقرّت بالتقصير عنها مآثر البواتر .

وأمّا تشدّدكم في الدين فقد تفيأ الظل من سدرة المنتهى ، وبلغ غايةً لم تكن الشمس في علوّ المنزلة أُخْتَها .

وأما مكارمكم فما عهد الناسُ مثلها من البرامك ، ولا اجتلوا مثل أقمارها في الدياجي الحوالك . وكيف لا يجد الناس بكم صفاء الأيام وفي وجودكم لذّة[(٦)] العيش ، أم كيف لا ينشقون أرج الخزامى وبنو مخزومٍ ريحانة قريش ، فالله لا يُخلي الوجود من حسناتكم التي تفيد كل بهجة وتحيي من موت الفضائل كلّ مُهْجة .

بقاؤكم عصمةُ الدنيا وعزّكم ستْرٌ على بيضة الأيام منسدلُ

إن شاء الله تعالى .

(١) يس : ٣٦/٥٦ .
(٢) إشارة من قوله تعالى : ﴿ وَتَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ [يونس : ١٠/١٠] .
(٣) في الأصل : « تحمل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٤) (خ) : « أنسابكم » .
(٥) من القراء السبعة .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « لذ » .

وكتبت إليه وأنا بدمشق أتقاضاه وَعْداً بإقطاعٍ عند بعض الأمراء لفتاي :

يـــا سيــــداً دأبي الثنـــاءُ المجتبى عليــــه بـــالتصريـــح والرمـــزِ
أصبحتُ من جـودك أغنى الـورى لكنني أحلم بـــــــــــالخبز

وكتبت أنا إليـه عنـد وصولي إلى القـاهرة أصف لـه مشقـة كابـدنـاهـا في الطـريق بـالرمل وغيره ، ونحن صحبـة ركاب الأمير سيف الـدين تنكـز في سنـة اثنتين وثـلاثين وسبـع مئـة ، وهـو مشتمـل على نظم ونثر سقتـه جميعـه في الجـزء الحـادي عشر من (التذكرة) .

١٩٣٧ - يحيى بن سليمان*

ابن علي ، الإمام العالم محيي الدين الرومي الحنفي المعروف بالأسمر .

مدرّس المدرسة الركنية ، تولاها(١) بعد الفقيه الفاضل شمس الـدين محمـد بن المعلّم الحنفي .

وكان شيخاً فاضلاً ، وله حلقة إشغال تفيـد الطلبـة بـالجامع الأموي ، وقرأ عليـه جماعة من الفقهاء .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٣٨ - يحيى بن صالح**

ابن عتيق ، القاضي محيي الدين الزواوي المالكي .

كان فقيهاً فاضلاً ناب عن القاضي المالكي مدّةً بدمشق ثم عزله ثم أعاده .

واستمّر إلى أن مات في أوائل شوال سنة عشر وسبع مئة .

* الدرر : ٤١٦/٤ .

(١) يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الأولى سنة (٧٢٠هـ) . انظر : البداية والنهاية : ٩٦/١٤ ، والدارس : ٣٩٩/١ .

** الدرر : ٤١٦/٤ .

١٩٣٩ - يحيي بن عبد الله*

ابن عبد الملك ، الشيخ العلامة البارع ، شيخ الشافعية أبو زكريّا الواسطي .

قرأ الفقه والأصلين ، وبرع في الفقه وتخرج به الأصحاب ، ودرّس بالشرابية بواسط . تفقّه على والده وحدّث ببغداد بكتاب (مطالع الأنوار النبوية في صفات أفضل البريّة)[١] ، وكان يقال هو فقيه العراق في زمانه .

تفقه عليه ابن عبد المحسن ، وشمس الدين محمد بن القاسم الملحمي[٢] الواعظ ، والمجد عبد الله بن إبراهيم الدقيقي وغيرهم .

وله سماع من الفاروثي (صحيح البخاري) بفوت . وأجاز له الشيخ عبد الصمد[٣] ، والكمال بن وضّاح[٤] ، وابن أبي الدينة[٥] ، وله مؤلف في الناسخ والمنسوخ في الحديث وغير ذلك .

توفي بواسط في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

١٩٤٠ - يحيي بن عبد الرحمن**

الشيخ المحدث الكاتب المجوّد المحرّر الموسيقار نظام الدين بن النور الحكيم الجعفري .

كان يكتب طبقه ، ويتقدم بحسن أوضاعه كل من سبقه ، فإذا رأيت خطه في

---

* الدرر : ٤١٩/٤ .

(١) والكتاب له . انظر : الكشف ١٧١٧/٢ .

(٢) في (س) ، (ق) ، (ط) : « ابن الملحي » .

(٣) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش (ت ٦٧٦هـ) . الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٤) علي بن محمد بن محمد (ت ٦٧٢ هـ) . الشذرات : ٣٣٦/٥ .

(٥) في الأصل : « للدينة » ، وأثبتنا مافي (س) ، (ق) . وسلفت الإشارة إليه .

** الدرر : ٤١٧/٤ .

المهارق أنساك سحر الأحداق وزهر الحدائق ، وكان[١] له عناية بالحديث ، وسماع القديم والحديث ، قرأ بنفسه ، وأسمع أولاده ، ورحل بهم عن أوطانه ، وفارق أحباءه وبلاده .

وكان موسيقاراً يتقن اللحون والأنغام ، ويقرّ له في هذه الصناعة ربُّها ويخضع له ولو أنه الضرغام ، فإذا أورد لحناً أعرب فيه عن أستاذيّته ، وفتن أهل الغرب بشرقيته ، [وسلب عقولهم بشرفيته][٢] :

مـــا كان حين يُغنّي في مجـــالسهم إلاّ نسيم الصّبـــا والقــوم أغصـــانُ

قدم من العراق إلى الشام ، وانتجع بارق الملك الناصر وشام ، وتوجّه إلى الديار المصرية ، وطلب العود إلى دمشق لما عند نفسه الأبيّة من الحريّة ، ثم إنّه عاد إلى عراقه وادّكر أوطانه لِطيب أعراقه .

ولم يزل هناك يكتب عن الملوك وينظم درَّ[٣] رسائلهم في السلوك إلى أن انتظم النظام في سلك الأموات وعدّ بعد حياته[٤] من الرُّفات وفات .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وستين أو سنة ستين وسبع مئة[٥] . ورد خبر موته من بغداد .

كان هذا نظام الدين قد وصل من بغداد مع الوزير نجم الدين بن شروين وناصر الدين[٦] خليفة بن علي شاه[٧] لّما وفدوا على السلطان الملك الناصر .

(١) (خ) : « كانت » .
(٢) زيادة من (س) ، (ق) ، (خ) .
(٣) (خ) : « للملوك وينظم درر » .
(٤) في الأصل : « وفاته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) وفي الدرر أنه مات بعد السبعين وسبع مئة . وفي بعض أصوله : بعد سنة سبع وسبع مئة .
(٦) في الأصل : « وناظر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٧) في الأصل : « باشا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

حكى لي من لفظه قال : دخلنا مصر ، واستقر نجم الدين بن شروين أمير مئة مقدّم ألف ، وناصر الدين خليفة طَلَبه الأمير سيف الدين تنكز من السلطان ، فسيّره إليه ، وأعطاه إمرة طبلخاناه في دمشق ، وبقيت أنا عند الأمير سيف الدين قوصون ، إذ طلبني يقول لي : يا شيخ نظام الدين ، قول[1] لنا ذلك البيشوره ، قول لنا ذلك القول ، قول لنا ذلك الساذج[2] الذي لحنته أنت : فقلت أنا في نفسي : متى فترت يا يحي أداروك هؤلاء مغنياً لا غير ، فطلبت من السلطان العود إلى دمشق ، فجهزني إليها .

ولّما ورد من باب السلطان أعطاه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مشيخة الربوة ، فأقام بها مدّة يُسمع أولاده الحديث ويقرأ بنفسه على الأشياخ إلى أن طلب العود إلى بغداد ، [لأجل أملاكه ، وكان أوّلاً يكتب الإنشاء عن حكام بغداد][3] ، ولّما عاد إليها استمر كذلك وكانت[4] الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه .

وكان والده النور حكيماً يطبّ ملوك المغل وغيرهم . وكان نظام الدين يكتب المنسوب ويضع الكوفي والمعقلي[5] من أحسن ما يكون وأجوده ، ووضع أشياء بخطه في بيت القاضي شهاب الدين يحي بن القيسراني ، وهي في غاية الإتقان ، وأراني درجاً قد كتب فيه منازل الحج من بغداد إلى مكة ، وصوّر ذلك ، وشجّره في خرقة كتّان ، وهو من أحسن الأوضاع في التحرير[6] والإتقان .

وكان أستاذاً في علم الموسيقى ، له فيه أقوال وأعمال ينقلها عنه أربابُ هذا الفن في

(١) (خ) : « قل » ، وكذا في المواضع الآتية .
(٢) البيشورة والساذج مقامات موسيقية .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « المغلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « في غاية التحرير » .

الشام ومصر وكان إذا خلا بمن أحب من الأكابر اندفع وغنى من غير آلـةٍ أشياء غريبـة ، سمعته غير[(١)] مرّة ، وكان ينظم أيضاً .

نقلتُ من خط الشيخ الإمام العلامة صلاح الـدين العلائي قـال : نقلتُ من خـط نظام الدين المذكور قوله[(٢)] :

أيُهـا المـالـكُ الـذي زيّن الْمُلْـ ـكَ بفضـلٍ يسمـو على الـوزراءِ
وبجـودٍ قـد أخجـل الْمُـزنَ منـه وبِعلْمٍ يُربي على العلمـاءِ
مـا اسم شيء منـاسب الأجـزاء مستطيـلٌ إذا سعى في فِنـاء
مستـديرٌ لكـونـه فلكاً فيـ ـه نجـومٌ طـوالـعٌ في سماء
عمّ حينـاً مشـارق الأَرض والغَرْ ب وطـاف الـدنيـا بـالاستيـلاء
مُنزلٌ غيرِ أنّـه ليس قُرآ نـاً وأيـاتُـه بـلا إحصـاء
ذو عيـون لـه فمٌ وعليـه شـاربٌ وهـو مفرطٌ بـالحيـاء[(٣)]
صيتـه أنْ ليس عنـه غنـاءٌ صـوتـه مطربٌ بغير غنـاءِ
فتراه طـوراً على جبـلٍ عـا لٍ وطَـوْراً يُرى ببئر المـاء
تـارة كالجمـاد يُلفى على الأر ضِ وطـوراً يطيرُ وسـط الهـواءِ
منـهُ برٌّ ومنـه بحرٌ وفيـه كل نفسٍ تـولـدت بسـواء
وهـو ركنُ الـدنيـا وغـوْث البرايـا ومـلاذُ الـورى وعـون الرواءِ
وحيـاة النفـوسِ في حلبـة السبـ ـق مبيـد الأنـام في الهيجـاء[(٤)]
فيـه نـونٌ وأول الاسم ميم ألفٌ تِلْـوُهُ بغير مراء[(٥)]

---

(١) (س) ، (ق) : « من غير » .
(٢) (س) ، (خ) ، (ق) : « المذكور له » ، والأبيات الآتية ألغز فيها نظام الدين في (ماء) .
(٣) الشارب هنا من شرب الماء .
(٤) في الأصل : « حلية » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) النون : الحوت .

صـــاحَبَ الأوليــــاءَ في أول العمـ ـر وأوفى في خــدمــة الأنبيــاء[١]
واصطفي كلّ من تصـــــوف حتى عُـــدّ في الأوليـــاء والأصفيـــاء
فَبلقيـــاه قـــام بـــالفرضِ قـومٌ وبرؤيـــــاه سنَّ كل سنـــــاءِ[٢]
كم لـــــه مِنّــــةٌ على كلِّ نفسٍ ولَـــهُ ضِنّـــةٌ على نُفســـاء
واحــدٌ في صفــاتــه ثــاني اثنيـ ـين لتخمير طينـــة الأشيـــاء
ثــالثٌ إن يُعــدّ في عـــالم الكـو ن وإن شئت رابـــع الخلفــــاء
مــالــه خــامسٌ ولكنّ في الخـا مسِ منـــه عكسٌ بغير خفـــاءِ
عجب النــاسُ من تنــاقض مــا فيـ ـــه مـع الاعتـــدال والاستـواء
ظـــــاهرٌ طـــــاهرٌ خفيٌّ حفيٌّ زائـــــدٌ نــــاقصٌ مريء مُراءِ[٣]
صـــاعـــدٌ نـــازلٌ أمينٌ خـؤونٌ نــاصرٌ قــاصرٌ شــديـدُ العنـاءِ
فَـابنِ مـا ألغـزتُ يـا واحـد العصـ ـر كُفيت الروى وشر البــــــلاء

وكتب الشيخ صلاحُ الدين رحمه الله تعالى الجوابَ عنهُ ، ونقلتُ من خطه :

يــا إمــامــاً حلّى عقــود العــلائي كــونــه واسطــاً لهــا ببهــاءِ[٤]
قــد بـدا لُغْـزُك اللطيفُ بـديعــاً مشرقـــاً منـــه أنجم الجــوزاءِ[٥]
هــــو في دقــــة الهــــواء ولكن حــاز وصف الـزلال عنـد الصفـاء
فهــو درٌّ والــــدرّ في المـــاء يلقى فلهـــــذا لم يَعْــــدُه بتنـــــاء
نـوّع الـوصفُ مـا لَغَـزت فـأضحى كلّ فكر لــــديـــه في إعيـــاءِ
كيف لا والـــــــذي تضّمن بحرٌ من بيـــانٍ يعــزُّ في الإحصـــاءِ
ظـــاهرٌ لفظـــهُ ولكن معـــانيـ ـــه تنــاهت في دقـــة وخفـــاء
ويــنــــابيعـــــه تسِّــــحُ زلالاً بمعينٍ من ألطفِ الأشيــــــاء

(١) (خ) : « من أول » .
(٢) في الأصل : « فبلقيا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) المرائي : الذي يرى الناس أنه يفعل ولا يفعل بالنّية .
(٤) في الأصل : « كونها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٥) في (س) ، (ق) : « شبه » .

ليست يخفى أني أشرتُ إلى مـــــا ضمّن اللُّغـــــز في أتم جــــــلاءِ
فـــابــق كنزاً للطـــالبين مفيـــداً والْـــقَ عـــزّاً ودمْ بكل سنـــــاءِ

يحيى بن عبد الرحيم*

الأرمنتي المعروف بابن الأثير الشافعي .

كان من الفقهاء المباركين ، درّس بمدرسة سيوط سنين كثيرة ، وتولى الحكم بأطفيح وبمنفلوط وكانت سيرته حميدة ، وهو من بيتِ علمٍ ورئاسة وجلالة وأصالة .

وتوفي بسيوط في سنة ثمان وسبع مئة رحمه الله تعالى[(١)] .

١٩٤١ - يحيى بن عبد الرحيم بن زكير**

محيي الدين القوصي الشافعي .

كان معتبراً جيّد الإدراك حَسَن الفهم .

سمع من تقي الدين بن دقيق العيد ، وبدر الدين بن جماعة ، وجلال الدين أحمد الدشناوي ، وأخذ عنه الفقه ، وأجازه بالإفتاء . ودرّس بقوص سنين كثيرة .

قال كمال الدين الأُدفوي : حضرتُ عنده الدرسَ ست سنين أو ما يقاربها ، وكان درساً مفيداً فيه تحقيق وقلة غلط ، يتقنه ويحرر[(٢)] الكلام فيه ، وقرأ النحو والأصول على جلال الدين ، وتولّى الحكم بقِنا ، وناب في قوص ، وكانَ حميد السيرة محمود الطريقة ، ولم يعب الناس عليه إلاّ أنه كان يداوم مسألة الحيلة في المعاملات ، يبيع

---

* الطالع السعيد : ٧٠٨ ، والدرر : ٤١٩/٤ .

(١) الترجمة أخذها من الطالع السعيد ، وفيه : « ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة » .

** الطالع السعيد : ٧٠٩ ، والدرر : ٤١٨/٤ ،

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « ويحققه ويحرر » .

السجادة ونحوها بآلافٍ ويشتريها بما يعطيه في المعاملات التي قررت قبل المعاقدة . وكان يقول : إذا طُولبتُ بها في غدٍ[1] ، قلتُ هذا الشافعي وأصحابه جوّزوا ذلك ، وأنا مُقَلّد .

ولم يزل إلى أن صُودر وأُخذ منه مالٌ ، وتضعضع وبقي في قوص .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

١٩٤٢ ـ يحيي بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن سند ، محيي الدين بن سراج الدين التاجر الكارمي .

كان هذا محيي الدين لطيفاً ظريفاً غاية في الكرم .

قال كمال الدين الأدفوي[2] : لم ترعيني أكرم منه ، عزيز النفس ، يحفظ من النظم والنثر كثيراً ، وَزَرَ باليمن ، وكان له حظ عند السلطان الملك الناصر محمد ، وكان محبوباً عند الخاص والعام ، صحب جملة[3] من الصالحين ، وكان جماعة من أصحابه يلومونه على كثرة العطاء والنفقة ، فيقول : قال لي جماعة ممن لهم كشف : تُموت سعيداً :

توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وعمره ستة[4] وأربعون عاماً .

١٩٤٣ ـ يحيي بن عبد الوهاب**

ابن عبد الرحيم ، الشيخ الفقيه النحوي تاج الدين الدمنهوري الشافعي .

---

(١) في الطالع : « في الآخرة » . وقول الأدفوي أخذ مختصراً الصفدي .

* الدرر : ٤١٩/٤ .

(٢) في غير الطالع السعيد .

(٣) (س) ، (ق) : « جماعة » .

(٤) (س) : « ست » .

** الدرر : ٤١٩/٤ ، والبغية : ٣٣٧/٢ .

كان مصدّراً لإقراء العربية بجامع الصالح خارج باب زويلة وبالجامع الظافري بالقاهرة ، بلغ السبعين من عمره ، وله مصنفات ، ووقف كتبه بالجامع الظافري .

كان قد غلب عليه التّدين والانقطاع .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٤ - يحيى بن علي*

ابن تمّام بن يوسف بن موسى ، الشيخ صدر الدين أبو زكريا السبكي الشافعي .

هو عمّ شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

كان قد ولي قضاء المحلّة وعدة مناصب . وروى عن ابن خطيب المزة ، وسمع منه حفيده قاضي[1] القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن عبد اللطيف[2] وغيره .

وكان إماماً عارفاً بأصول الفقه ، ومدرساً بالسيفية ، وتولاها بعده ابن أخيه العلامة تقي الدين .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٥ - يحيى بن علي بن أبي الحسن**

ابن أبي الفرج بن طاهر بن محمد ، الشيخ الإمام المسند الفقيه الفاضل المنشئ محيي الدين بن الحداد الحنفي .

كان ناظماً ناثراً ، قاعداً بفنّ الترّسل ماهراً ، كتب الإنشاء بطرابلس زماناً ، ونال

---

* الدرر : ٤٢٢/٤ .

(١) (ق) : « أقصى » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

** وفيات ابن رافع : ٣٣٧/١ ، والدرر : ٤٢٧/٤ ، وذيول العبر : ٣١٤ .

من طول المدة في عمره أماناً ، إلى أن تخلى عن المباشرة ، وملّ المصاحبة من إخوانه والمعاشرة وانقطع بدمشق مُقبلاً على شانه ، عالماً بخيانة إخوانه ، وزمانة زمانه .

ولم يزل إلى أن عُدَّ فيمن أركبته المنايا على الأعواد ، ولم يحمل التطريق ابن الحداد .

وتوفي رحمه الله تعالى بمنزلة في الكفتيّين[١] داخل دمشق بعد العشاء الآخرة ليلة الاثنين حادي عشري شوال سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ جمال الدين الحصيري الحنفي[٢] .

ومولده سنة ست وستين وست مئة بدمشق ، وأصله رقّي .

وكان قد تولى بالقاهرة نظر القنود[٣] ، ثم دار الوكالة في سنة سبع عشرة وسبع مئة ، فلمّا توفي شمس الدين الطيّبي كاتب الإنشاء بطرابلس تولى مكانه ، وخَرج من القاهرة في أواخر سنة سبع عشرة وسبع مئة .

أخبرني ولده الأمير ناصر الدين محمد ، أحد البريديّة بدمشق قال : توجهت مع والدي إلى عند قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - وقال له وأنا أسمع : إن والده أحضره إلى الشيخ محيي الدين النواوي - رحمه الله تعالى - بالرواحية وهو أمرد ليشتغل عليه ، فقال له : هذا صبيّ أمرد ، وأنا مذهبي أن النظر إلى الأمرد حرام مطلقاً ، ولكن توجه به إلى تاج الدين الفزاري ، فأخذه والده وجاء به إلى الشيخ تاج الدين وهو يشتغل في الجامع الأموي ، أو كما قال .

وكتب الإنشاء بطرابلس نحواً من أربعين سنة ، وكانت له مباشرات بالشام في دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب في غير ما وظيفة من وظائف الديوان .

(١) في الأصل : « الكفتين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط .
(٢) (ت٦٣٦هـ) . الشذرات : ١٨٢/٥ .
(٣) هو عصير قصب السكّر عندما يجمد .

وكان قد كتب هو إليَّ لّما ورد دمشق[(١)] :

يـا إمـاماً قـد فـاق سحبـان بل قسـ ـسَ إيـــادٍ قــل لي أأنت خضر[(٢)]
أنت للمفضـلِ قبلــــةٌ ولأهـــل الـ ـعلم نجم يُهـدي وللــدين بَــدْر
فــــإذا مــــا نطقت أفنيت أفكا ر البرايـــا ولم يحزْ لـــك فكر[(٣)]
وإذا مـا وضعت في الطرس خطّـاً بـاهر الحسن جلّ بـل حـلّ سحر
وإذا مــــــا نظمت شعراً فللشعـ ـرى حيــاء منـــه وللشعر فخر
وإذا مــــا نحــوت نحــواً فمنْ زيْـ ـدٌ من المــاهرين فيــه وعَمْر
أخجـل النظم منــك نظمٌ وأودى نثرة الشهب من مقــــالـــك نثر
أترى أنت عــــالم بــــولائي الـ ـمحْضِ أم بينـــه وبينـــك ستر
ليس شكل من الصــواب فلــو حقـّ ـقت قربي مــا عــاقني عنــك بحر
وعلى الحـــالتين بعـــدٌ وقرب لــك عنــدي حُبٌّ وحمْــدٌ وشكر

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

لـــك مني حمــد يفــوق وشكرٌ لي منــه على مــدى الــدهر سكرُ
وولاء عَقَــدْتُ منـــــه لــواءً منـــه طيّ في الخـــافقَيْن ونشر
ودعــــاء حــقٌّ بغير ادّعـــاءٍ فيـــه من سرعــة الإجــابــة سرٌّ
وثنـــاءٌ أعليت منـــه بنـــاءً فهــو أفــقٌ نجـومـه منــك زهرٌ[(٤)]
قـــد تفضّلت بـــاديـــاً بقريضٍ كلُّ بيت فيـــه من الحسن قَصْرُ
فهــو ينهــل في انسجـــام ويحلــو فعلى كل حــــالـــةٍ فهــو قطْرٌ[(٥)]

---

(١) (ق) : « إلى دمشق » .
(٢) في الأصل : « حضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) : « الخضر » .
(٣) (ق) : « ولم يخم » .
(٤) (خ) ، (س) : « فيك » .
(٥) في (س) ، (ق) : « هو » .

وكأن السطـــور روض مريـــع والمعـــاني كأنهـــا فيـــه زَهْرُ
أنت يـا ابن الحـداد صغت المعـالي لـك طـوقـاً فيـه كـلامـك دُرُّ
بـك قـد أشرقت دمشـق وتـاهت فلهـا من سنـاك فجرٌ وفخرُ
أنت فيهـا بحرٌ وقـد سبـق القـول ضميري فقلت إنـك حَبْرُ
كيف يُـدعى بـالبحر مَنْ كل بحرِ مستمـدٌّ من فضلـه مستمرّ
فـابـق في نعمـةٍ تفيـد البرايـا فضـلَ علمٍ يغشـاه زيـدٌ وعمرو

١٩٤٦ - يحي بن فضل الله*

ابن المجلّي بن دعجـان ، القـاضي الكبير الرئيس محيي الـدين أبـو المعـالي القرشي العَدَوي العُمري ، كاتب السر السلطاني بالشام ، أوّلاً ، وبمصر أخيراً .

تقـدم ذكر أخيـه القـاضي شرف الـدين عبـد الـوهـاب ، وذِكْرُ ولـديـه القـاضي شهاب الدين أحمد ، والقاضي بدر الدين محمد [وذكر أخيه بـدر الـدين محمـد] بن فضل [الله كلّ][(١)] منهم في مكانه .

كان سعيـد الحركات إذا تحرك ، سـديـد السكنـات ، كأن القـدر تكفّـل لـه بحُسن العقبى وتدّرك ، متعه الله تعالى بالمناصب والأولاد ، والسعادة التي لها الجبـالُ أوتـاداً ، فرأى في منـاصبـه مـا لا رآه غيره ، وفي أولاده من السعـد مـا لم يزجر بـه لغيرهم طيرُه . وكتب الخـطّ الـذي تودّ الريـاضُ لو كانت أوراقـه ، والعقودُ لو نُظمت مثـل سطره في حُسن اللباقـة . مـا أعتقـد أنـه خـدم الترك مثلـهُ ، ولا نبتَ في وادي أغراضهم إلاّ بـانَـهُ وأثلـه ، قـد دَرِبَ مقـاصـدهم وألِفهـا ، وفرّع مرامي مراميهم وعرفهـا ، طـال عمره في السعادة وخدمته في آخر عمره بالحسنى وزيادة .

* البداية والنهاية : ١٨٢/١٤ ، وفيات ابن رافع : ٥٤/١ ، والدرر : ٤٢٤/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٦/٩ ، وبدائع الزهور : ٤٧٥/١/١ .

(١) مابين حاصرتين في الموضعين زيادة من (س) ، (ق) . وانظر النجوم الزاهرة .

وكان يرعى حقّ من خدمه ، ويعلي كعب صاحبه وقدمه ، ولم يكن فيه لأحد أذى ، ولا رأى غيره من عينه قذى ، منجمعٌ عن الناس ، لا يجتمع بأحد في مآتم ولا أعراس ، شُغْلُه بخويصّة نفسه ، والاعتزال عن أبناء جنسه . وكان شديد الحزم ، مديد الهمة والعَزْم :

لا يقرع السنَّ للفوات ولا   يعضّ حُرّ البنان من ندمه
يقلّ قدرُ الأنام عَنْه كما   يَصْغُر جَنْب الزمان في عِظَمه

ولم يزل على حاله إلى أن انهار به جُرفه ، وتهدَّمَ مِنْ عمره شُرفه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين [وسبع مئة][1] بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازة عظيمة ، ثم إنّه نقل تابوته إلى دمشق ، ودفن بتربتهم التي في الصالحية في شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وسبع مئة[2] .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

وكتبتُ أنا إلى ولده القاضي علاء الدين كاتب السر أرثيه بقصيدة وهي :

ياقاصد الفضل عُد قد مات مُحييه   وغاب من كان بين الناس يُبديه
وأوحشَ الدستَ ذاك لصَّدْرِ حين مضى   فطالما كانت الأسرارُ تأويه
كم دبر الملك بالآراء فامتنعت   ثغورُه وحماهُ مِنْ أعاديه
ورقَّةَ السُمر والبيض الصفاح فما احـ   ـتاج الشجاعُ لأنْ تجري مذاكيه[3]
وكم كتابٍ له أردى الكتائب لَمْـ   ـمَا بات في ساحة الديوان يُمليه
مهما نسيتُ فما أنسى توجّعه   لي من زماني إذ خانت لياليه

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) وفي وفيات ابن رافع ٧١/١ :-« وفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من صفر وصل القاضي محي الدين يحيى بن فضل الله ميتاً في تابوت من القاهرة إلى دمشق ، ودفن بتربته عند اليغمورية » .

(٣) (س) ، (ق) : « البيض الرقاق » .

ولُطفـــه كلّما وافيتُ مجلْسَـــه كأنمـــا نسماتُ الروض لي فيـــه
يـــا ذاهبـــاً تركَ الأسماع مِن حَـزَنٍ تـودُّ لـو أنهـا صُمّتْ لِنـاعيـه
ومن مضى والورى تدري محاسنـه حتى لقـد شكر اللهَ مسـاعيـه
أقسمتُ ماخَدَم الأملاك مثلُك في سِرّ تبيتُ من الأعْـدَا تُراعيـه
ولا يـوفّي الأمور الباهظـات إذا مـاأظلم الرشد حقاً أنت تـدريـه
رَبّيْت فيا مضى من دهرنـا دُولاً من غير عجـزٍ ولا كبرٍ ولا تيـه
وكم وصلت لمنْ قـد بـات ملتجئـاً إليـك رِزْقـاً رآه لا يُـواتيـه
يُجنى عليك ولمْ تُظهر مـؤاخـذةً لأجـل ذلـك تعلـو مَنْ تنـاويـه
ومـا برحتَ عظيم القَـدْر ذا شرفٍ عنـد المليـك الـذي جلّت أيـاديـه
وقـد مَضَيْتَ إلى الله الكريم ومـا يضيعُ مثلك ضيْفاً عنـد باريـه
قَدِمت في مثل شهر الصوم حَضْرَتَه بُشراك بُشراك خيرٌ بتَّ تجنيـه
فَقِرَّ عينـاً بمن خلَّفتَ مِنْ وَلَـدٍ فإنّ حَقّك كلّ النـاس يـدريـه
ولم يمت مَنْ بنـوه سـادةٌ نُجُبٌ كلٌّ على جِـدَةٍ يُحيي معـاليـه
لا سيّما وعـلاءُ الـدين ثـالثهم يَفُوه بـالمسك مَن أضحى يسمّيـه
كفـايـة ووقـار في رسـوخ نهىً فمـا أرى أحـداً في ذا يـوفّيـه
أمّا الكتـابةُ فـاسـألْ كلَّ يـانعـةٍ من الحـدائـق إنْ كانت تحـاكيـه
أو العبـارةُ فـاسـأل كل بـارقـة من الـديـاجر إن كانت تجـاريـه
أو الترسّـل فـاسـأل كلّ هـاطلـة من السحـائب إن كانت تبـاريـه[1]
أو الخـلائـق فـاسـأل كل نـافحـةٍ من النـواسم إن كانت تضـاهيـه
نظمٌ كأن سـلاف الـدنّ شعشعهـا فينـا ضُحىً وأدارتهـا قـوافيـه

(١) في الأصل :

«أو العبارة فاسأل كلّ هـاطلـة من السحـائب إن كانت تبـاريـه»

وواضح أن الناسخ لفّقه من بيتين ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

وكل سجع لو أن البحر يعرف ما ... يأتي به لاستحَتْ منه لآليه
يا من سردت معانيه وأقسمُ ما ... تدري الليالي له مثلاً فتحويه[١]
اصبر على فَقْد مولى كلُّ ذي أدب ... إن كان يُنصفُ لا ترقا مآقيه[٢]
وسلِّم الأمرَ في هذا لخالقه ... تَنَلْ من الله ما تغدو تُرجِّيه
فأنت أولى بصبر القلب في حزنٍ ... ما غير فضلك فينا من يُعانيه

ولم أر فيمن عاصرته مَن كَتَب النسخ وخرّج التّخاريج والحواشي أحلى ولا أظرف[٣] ولا آنق من القاضي محيي الدين بن فضل الله ومن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، نعم والقاضي جمال الدين إبراهيم بن شيخنا شهاب الدين محمود ، ولكن القاضي محيي الدين رعشت يده في آخر عُمره ، وارتجت كتابتُه أخيراً ، ورأيت بخطه (المثل السائر) ، و (الوشي المرقوم)[٤] وهما في غاية الحُسن .

وأول ما كتب الإنشاء بدمشق في أيام أخيه القاضي شرف الدين عبد الوهاب سنة إحدى وستين وست مئة ، ثم إنه جَهّزه إلى حمص ، فأقام بها سنتين ، ونُقل إلى دمشق ، فأقام مدة ، ثم أعيد إلى حمص وأقام بها قريباً من خمس سنين ، ثم إنه نقل إلى دمشق ، ولما توجه أخوه إلى كتابة السر بمصر وأقام بها إلى أيام السلطان حسام الدين لاجين حصل للقاضي شرف الدين استرخاء ، فجهّز[٥] السلطان أحضر القاضي محيي الدين سنة سبع وتسعين وست مئة ، فأقام بمصر ينوب عن أخيه تسعة أشهر ، ثم إنه طلب العود إلى دمشق ، فأعيد إليها .

---

(١) في (س) ، (ق) : « معاليه » .
(٢) ترقا : مخففة من « ترقأ » ، أي : تجف .
(٣) في الأصل : « أطراف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . ونقل هذا القول ابن تعزي بردي في النجوم ، وفيه بعض اختلاف عما هنا .
(٤) الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ) . الكشف : ٢٠١٢/٢ .
(٥) في الأصل : « فحضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ولم يزل بدمشق كاتب سر إلى أن حضر السلطان من الكرك إلى دمشق ، وتوجّه إلى مصر سنة تسع وسبع مئة وهو معه ، وعاد إلى دمشق على وظيفته إلى أن حضر أخوه القاضي شرف الدين عِوضَهُ بدمشق ، ثم إنه عُطّل من المباشرة مُدةً ، وأُخذ منه مبلغ مئة ألف درهم ، وبقي مدة بلا خَدمة ، ثم رسم له أن يكون موقعاً في الدست قدّام الأمير سيف الدين تنكز ، فلبث بعد ذلك إلى أن باشر صحابة ديوان الإنشاء بعد القاضي شمس الدين ابن الشهاب محمود في رابع عشر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وأقام على ذلك[(١)] إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر إلى مصر ، وولاّه كتابة السّر بها لّما بَطَلَتْ حركة القاضي علاء الدين بن الأثير ، وطُلِبَ معه القاضي شهاب الدين ، وولده[(٢)] ، والقاضي شرف الدين أبو بكر[(٣)] حفيد شهاب الدين محمود ، فوصلوا إلى القاهرة في تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وأعيد شرف الدين إلى كتابة سرِّ دمشق عوضاً عن محيي الدين ، وأقام بالقاهرة مُدة إلى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكان شرف الدين قد طلع مع تنكز إلى مصر ، فرُسِمَ لشرف الدين أن يكون كاتب السرّ بمصر ، وأنْ يتوجّه القاضي محيي الدين وأولاده مع تنكز إلى دمشق ، وذلك في نصف شعبان من السنة المذكورة ، ولم يلبث شرف الدين في المنصب إلاّ ريثما حجّ السلطان وعادَ معه ، فرسم لشرف الدين بعوده إلى كتابة سرّ دمشق . وطُلب القاضي محيي الدين وأولاده إلى مصر ثانياً ، واستمر القاضي محيي الدين على ذلك إلى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فزاد ضعفه ، وكَبُرت سنّه ، فطَلب من السلطان أن يعود إلى دمشق ليموت بها ، فرُسم له بالتّوجه إلى دمشق ، وألزم ولده القاضي شهاب الدين بالتوجه معه ، وكُتب له توقيع عظيم في قطع الثلاثين بأن يستمر على صحابة الديوان بالممالك الإسلامية ، وأن يكون جميعُ المباشرين لهذه الوظيفة من بالباب[(٤)] فمَنْ دونه

(١) (س) : « على ذلك مدّة » .

(٢) في (س) ، (ق) : « ولده » .

(٣) في (ق) : « أبا بكر » .

(٤) في (س) ، (ق) : « بالباب الشريف » .

نوابه ، وأنّه حيث حَلّ يقرأ القصص والمظالم والولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ، ويوقع فيما يراه[١] ، وتُجهز إلى مصر ليُعلّم عليها العلامة الشريفة ، ورسم بعود أولاده معه خلا القاضي علاء الدين فإنه كان في صحابة ديوان الإنشاء الشريف بمصر .

وتجهز القاضي محيي الدين وجماعته للسفر ، وشدّت المحفة على البغال لتدمن على حملها ، ولم يبق إلا سفره ، فأُثقل في المرض ، وانقطع جملة كافية . فلبث أياماً قلائل ، وتوفي في التاريخ المذكور .

ولم أر في عمري مَن نالَ سعادته في مثل أولاده وأملاكه ووظائفه وعمره ، وكان السلطان قد بالغ أخيراً في احترامه وتعظيمه ، وكتب له في أيام الأمير سيف الدين ألجاي الداوادار توقيعاً بالجناب العالي ، فقبّل الأرض واستعفى من ذلك وكشطها ، وقال : ما يصلح للمتعمم أن يُعَّدى به المجلس العالي[٢] .

وأجاز لي بخطّه في القاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٧ ـ يحيى بن محمد بن علي*

ابن زيد بن هبة الله رشيد الدين أبو طالب ، الفقيه الحنفي ، الأديب الشاعر .

حدّث بشيء من شعره ، ورواه ولده أبو المحاسن يوسف والفقيه[٣] ظهير الدين علي بن عمر الكازروني وابن الغوطي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وسبع مئة .

ومن شعره :

---

(١) (ق) : « ويوقع فيها بما يراه » .

(٢) نقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة عن الصفدي .

* الدرر : ٤٢٧/٤ .

(٣) في الأصل : « ابن الفقيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

إن كنتَ من أهل الصبابة والجوى فاسمعْ ولا تبخل بنفسك في الهوى
من لا يذلّ لمن يحبّ فحظه من حبه إما الصدود أو النوى
فاخضع له إن شئت عزّة قربهِ فلقد هديت، فلاتكن ممّن غوى

١٩٤٨ - يحيى بن محمد بن علي*

ابن أبي القاسم ، محيي الدين ابن العدل بدر الدين العدوي الدمشقي ابن السكاكري .

مولده سنة إحدى وخمسين وست مئة[١] .

وتوفي بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

فاق في كتابه الشروط وسمع الحديث من جماعة ، وتزوج بقريب من[٢] المئة امرأة .

١٩٤٩ - يحيى بن محمد بن سعد**

ابن عبد الله بن سعد بن مفلح ، الشيخ الإمام الصالح المعمر ، مسند وقته سعد الدين أبو زكريا ابن الصاحب البليغ شمس الدين الأنصاري المقدسي الصالحي الحنبلي .

سمع حضوراً في الثالثة من ابن اللتي ، وسمع في الخامسة من جعفر الهمذاني ، واسمه في الطباق عليهما « سعد » ، وبه يسمى أيضاً ، ما كان له أخ واسمه سعد ، وسمع من أبيه ، والشرف المرسي ، والكفرطابي ، وابن عبد الدائم ، وجماعة ، وأجاز له ابن

* الدرر : ٤٢٨/٤ .
(١) في الأصل : « وسبع مئة » سهو .
(٢) ليست في (ق) .
** البداية والنهاية : ١٠١/١٤ ، والدرر : ٤٢٦/٤ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيول العبر : ١٢١ .

روزبـه ، والقطيعي ، والأنجب الحمّـامي ، وابن صبـاح المخـزومي ، وعلي بن مختـار العامري ، وعبد المحسن السطحي ، وأبو القاسم ابن الصفراوي ، وخلقٌ كثير .

وتفرّد في وقتـه وروى الكثير على سـدادٍ وخير ، وتواضـع وحضـور ذهن ، وحُسن خُلُق ، وأكثر عنه ولده المحدّث شمس الدين[(١)] .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١٩٥٠ ـ يحيى بن محمد بن عبد الرحمن*

القـاضي الرئيس جمـال الـدين بن الفويرة ، تقـدم ذكر ولـديـه عـلاء الـدين علي والشيخ بدر الدين محمّد الحنفي في مكانيهما .

كان القاضي جمال الدين رئيساً في نفسه ، يتودّد إلى الناس ، ويخـدمهم ، ويتجمّل معهم .

توفي رحمه الله تعالى في أول جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

١٩٥١ ـ يحيى بن مصطفى**

الأمير جمـال الـدين ، أحـد الأمراء العشرات بـدمشق ، ابن الأمير زين[(٢)] الـدين مصطفى البيري .

كان شـابـاً طوالاً حسن الوجـه والقـامـة ، فيـه خيرٌ ودين ، يـلازم صـلاة المغرب بالجامع الأموي .

---

(١) محمد (ت٧٥٩ هـ) ، وسلفت ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٤/٤٢٧ .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) في الأصل : « بدر الدين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

ولم يزل على طريقة جيدة ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في أواخر شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكان كمّاً[١] ، بقل عذاره ، تألم له والده والناس أيضاً .

١٩٥٢ - يحيى بن يوسف*

ابن أبي محمد بن أبي الفتوح ، الشيخ المعمّر المسند شرف الدين أبو زكريا المقدسي ثم المصري .

روى شيئاً كثيراً بالإجازة من ابن رواج وابن الجميزي والمرسي والمنذري وغيرهم ، وأكثر عنه شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي ، والقاضي تقي الدين أبو الفتح السُبكي وأقاربه ، وشمسُ الدين محمد [بن علي][٢] بن أيبك السروجي ، وكانت الإجازة قد أخذها له أخوه محيي الدين محمد النحوي[٣] .

وكان شيخاً حسناً لابأس به ، يتعاسرُ في التحديث .

توفي رحمه الله بمصر سنة سبع وثلاثين وسبع مئة عن نيّف وتسعين سنة .

١٩٥٣ - يحيى الملك**

إمام الدين البكري القزويني ، صاحب الديوان بالعراق .

توفي رحمه الله تعالى بالحلّة سنة سبع مئة ، ونقل إلى بغداد ، ودفن بمدرسته بدرب فراشا ، وتولى بعده ابنه افتخار الدين مكانه .

---

(١) الكمّ : وعاء الطلع وغطاء النور .

* ذيول العبر : ١٩٧ ، والدرر : ٤٣/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢١٤/٩ ، والشذرات : ١١٦/٦ .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) سلفت ترجمته في موضعها .

** لم نقف على ترجمة له . وفي الأصل : « يزدار الملك » ، سهو .

١٩٥٤ - يزدار*

الأمير سيف الدين أحد أمراء الطبلخاناة بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى تقريباً في شهر رجب سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

١٩٥٥ - يعقوب بن إبراهيم**

الشيخ الفقيه شرف الدين ابن الشيخ الإمام صدر الدين ابن الشيخ محيي الدين أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين بن عبد الله بن زهر البصروي ثم الصالحي .

سمع شيئاً من (مسند) الإمام أحمد بن حنبل على الشيخ شمس الدين بن أبي عُمر والشرف السراج .

وكان فقيهاً ، وله شعرٌ ، وفيه خيرٌ ودين وصلاح ، وكان قائماً بعياله .

توفي رحمه الله في مستهل شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في خامس عشري شعبان سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

١٩٥٦ - يعقوب بن عبد الكريم***

الرئيس الكبير الصاحب شرف الدين ناظر حلب وطرابلس .

كان رئيساً نبيلاً ، سؤوساً جليلاً ، سمح اليد ، لا يبالي بما وهب ، ولا يفكر في الدهر أنام عنه أم تيقّظ له وهَبّ ، يتلقى الواردين عليه بالإحسان ، ويكرمهم بكرامتي اليد واللسان .

---

* الدرر : ٤٣٢/٤ ، وفيه : « يزداد يحيى الذي تقدّم » ، ووقع في الأصل : « يعقوب » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٤٣٣/٤ .

*** الدرر : ٤٣٤/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

وكان يخدم الأمير سيف الدين تنكز وحاشيته وجماعته وغاشيته وكان يرعاه إذا ورد من دمشق أو صَدَر ، ويكرم نزله إذا صعد أو انحدر .

وقضّى في حلب سعادةً عُظمى ، وأياماً نظمها الدهر في سلك السرور نظماً ، وتنقَّل منها إلى بلد طرابلس مراتٍ ، والتقى من حروب الزمانِ كرّاتٍ ، وطُلِبَ إلى مصرَ غير مرة ، وعاد منها ووجوه عداه مغبرَّة .

يلاقي العِدا بالقصمِ، والوَفد بالغنى، وحُسَّادَه بالكبت، والداء بالحسمِ
خبيرٌ بأخلاقِ الزمانِ يروضها بلينِ الهُوَينى أو بعارِضَةِ الحزمِ

وكان يحبُّ الفُضلاء ، ويقرِّب النُّبلاء .

ولم يزل على حاله إلى أن جفَّت موادُّ لهواته ، وأكمل مدة حياته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في إحدى الجُمادَيَيْن سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة بحماة .

كان أولاً مباشراً نظر الجيش بحلب قبل عود الناصر من الكرك إلى دمشق ، ثم إنه توجه إلى طرابلس[1] سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . ثم إنه تولى نظر حلب ، فأقام بها في سعادة ورياسة وسيادة إلى أن عُزِل في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وتوجَّه إلى نظر طرابلس فأقام بها إلى سنة سبع وعشرين وسبع مئةٍ ، ثم إنه عاد إلى نظر حلب ، ثم إنه نقل إلى نظر طرابلس فأقام بها دون السنة ، ومرض وتعلَّل ، فتوجَّه إلى حماة ليتداوى بها ، وأقام بها مدةً عليلاً ، وكان صاحب حماة الملك المؤيد يعوده ويزوره ويصله ، ولما مات مشى في جنازته ، وكان يخدمه لِما عليه من الخدمة والمكارمة .

---

(١) في (س) ، (ق) : « إلى نظر طرابلس » .

وفيه يقول جمال الدِّين بن نباتة[١] :

قــالَت العَلْيــا لمن حَـولَهــا ... سبــقَ الصـاحبُ واحتـلَّ ذُراهــا
فــدعــوا كسبَ المعــالي إنَّهــا ... حـاجـة في نفسِ يعقـوبَ قَضـاهـا

وكتب إليه شهاب الدِّين أحمد بن المهاجر[٢] يهنِّيه بقدومه إلى حلب بعد القاضي جمال الدِّين ابن ريّان ، ومن خطه نقلتُ :

أبـدتْ سروراً وهــذا بعضُ مـا يجب ... وكيفَ لا وقـدومُ الصـاحبِ السببُ
وأسفرت من محيــا البِشر عَنْ حسنٍ ... لـهُ إذا مـا انتهى من وصفـهِ حسبُ
وأقبلت تتهـــادى من غـلائـل في ... تيهٍ حكَتْ أنَّ ممَّن حـاكها الطَّربُ
تقـولُ للبرقِ إذ تفترُّ بـــاسمـــةً ... «لقد حكيتَ ولكن فاتـكَ الشنبُ»[٣]
وتنشــدُ الــدوحَ إذ تهتزُّ نـاسمــةً ... بيني وبينــك يــا دوحَ الحمى نسبُ
لـكِ البشـارةُ يـا شهبـاءنـا فلقـد ... أمسى وأصبح من حسـادك الشهبُ
لقـد عَلـوتِ بـه قـدراً ولا عجبٌ ... فـإنّــه رجـلٌ تعلـو بــهِ الرتبُ
يكفيـك من ذي المعـالي أن منصبه ... قد زال عنـه العنـا والبؤس والنَّصبُ
وأن مجلســه المـأنــوسَ منـهُ زَهــا ... روضـاً فـآضَ إليــهِ الْحُسن ينتسبُ
ماغـابَ عنـه جمـالٌ من حوى شرفـاً ... «إليـه آل التقضّي وانتهى الطلبُ»[٤]

---

(١) البيتان ليسا في ديوانه ، وأوردهما ابن تغري بردي في النجوم : ٢٨٠/٩ .

(٢) أحمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) عجز بيت لابن الخيمي محمد بن عبد المنعم ، صدره :
يابارقاً بأعالي الرقمتين بدا
وقد سلفت ترجمته وقصة القصيدة .

(٤) عجز بيت هو مطلع قصيدة ابن الخيمي التي سلفت الإشارة إليها ، وصدره:
يامطلباً ليس لي في غيره أرب

١٩٥٧ ـ يعقوب بن مُظفر*

ابن مزهر ، الصاحب شرف الدِّين . هو أخو القاضي فخر الدِّين أحمد بن مظفر .

كان الصاحب شرف الدِّين من أشياخ الكتّاب المعروفين بالنهضة والكفاية ، كثير[١] البرّ لأهله وأقاربه ومن يلوذ به ، وكان المباشرون يخافونه ويخشون منه .

باشر النظر بدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغير ذلك من المناصب .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بحلب في شعبان ثامن عشرةِ سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده بنابلس سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان وصوله إلى حلب في هذه المرة ناظر الدواوين بها في مستهل شعبان ، فأقام بها ثمانية عشر يوماً وتوفّي رحمه الله .

١٩٥٨ ـ يعقوب**

الأمير محيي الدِّين ابن الملك الأشرف عبد الحق ابن السلطان الملك الصالح عماد الدِّين إسماعيل ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

كان جنديّاً وله إقطاع وعدة أولاد ، وعليه ديون كثيرة ، وكان يحفظ شعراً كثيراً .

وتوفّي بالمزّة ظاهر دمشق في ثامن ذي الحجة سنة ست وعشرين[٢] وسبع مئة .

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٧ ، والدُّرر : ٤/٤٣٦ ، وذيول العبر : ٧٨ .

(١) (ق) ، (س) : « وكان كثير » .

** الدُّرر : ٣/٤٣٢ ، وفيه : « مجد الدِّين » .

(٢) وفي الدُّرر : « سنة سبع وعشرين » .

١٩٥٩ - يلبسطي*

الأمير سيف الدِّين .

لما توفِّي الأمير سيف الدِّين بلبان البدريّ نائب حمص عُيِّن الأمير سيف الدِّين يلبسطي المذكور للنيابة[١] ، وخلع عليه في خامس عشر ذي[٢] القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وتوجه إليها وأقام بها .

١٩٦٠ - يلبغا**

الأمير الكبير سيف الدِّين اليحيوي الساقي الناصري نائب حماة وحلب ودمشق ، ابن الأمير سيف الدِّين طابُطا ، وقد تقدم ذكره في حرف الطاء .

كان جميل الْمُحيا ، قد طال رِيّاً وطاب رَيّاً ، بثغر يفترُّ عن أقحوانه ، وقوامٍ يَهزُّ منه رمحاً لدناً ، غلطتُ ، بل غصن بانِه ، كريم السَّجايا والأخلاق ، عديم النظر في مجموع محاسنه على الإطلاق ، لا يكاد يمنع سائله ولا يرد وسائله ، هذا إلى إقدام زلَّت[٣] عنه الأقدام ، وشجاعة يُرَدُّ عنها عنترة بوجه دام :

قمرٌ يَروقك في سحاب بنوده ... ضحكَ السيوفِ من البروق الخلّب
طبٌ بأدواء الممالك راضها ... بندى يد سمحٍ وسيف مقضب[٤]
ذو سطوةٍ تَسَعُ البُغاةَ وتحتها ... حلمٌ يَفيضُ على المسيء المذنب
بسماحةٍ وحماسةٍ قد بيَّنا ... أنْ ليس يمنعُ مَهلكٌ من مطلب

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (ق) ، (س) : « للنيابة المذكورة » .

(٢) (ق) ، (س) : « عشري » .

** تحفة ذوي الألباب : ٢٦٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ وما بعدها ، والدُّرر : ٤٣٦/٤ ، والنجوم : ١٨٥/١٠ ، وإعلام الورى : ١٩ ، وولاة دمشق في عهد المماليك : ١٨٨ .

(٣) (ق) ، (خ) : « تزل » .

(٤) هذا البيت ليس في (خ) .

خرج على الملك الكامل ، ورماه بالذّل الشامل ، وأراد أن يفعل مثلها بالمظفر ، فخرَّ صريعاً لليدين وللفم[١] وقد تعفّر ، وكان يظن الثانية مثل الأولى ، فعادت صحيحات العُيون من أمانيه حُولاً ، وحزَّ رأسه عن جسده وما نفعه مُثَقَّف سُمره ولا موضون[٢] زَرَده .

وكانت قتلته بقافون[٣] في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة .

كان الأمير سيف الدّين يلبغا من أكبر الأمراء الخاصكية ، ولم يكن عند أستاذه الملك الناصر محمد أعزّ منه ، وكانت الإنعامات التي تصل إليه لم يفرح أحد بمثلها[٤] ، يطلق له الخيل بسروجها وعُددها وآلاتها : الزركش والذهب المصوغ في سروجها مرصعاً بالجواهر الثمينة خمسة عشر خمسة عشر فرساً ، والأكاديش من الجشار[٥] مئتين مئتين ، وتُجهَّز إليه التشاريف : الأطلس والحوايص الذهب والطرز الزركش وغير ذلك من التشاريف التي يحتاج هو إلى أن يعطيها مِن عنده لِمَن يُحضِر إليه ذلك .

حكى لي الحاج حسين أستاذداره قال : جرى يوماً بين يدي السلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال يلبغا : والله ياخوند أنا عمري ما رأيت عشرين ألف دينار ، فلَمَّا خرج من عنده ، طلب القاضي شرف الدّين النشو ناظر الخاص وقال : أحضر إليَّ الساعة خمسةً وعشرين ألف دينار ، وخمسة تشاريف أطلس أحمر وطرزها وكلوتاتها

---

(١) يشير إلى قول الشاعر :

تناوله بالرمحِ ثم اتني لهُ فخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ

وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الموضونة : الدرع المنسوجة .

(٣) في الأصل : « بفاقون » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، وقد سلف ذكرها .

(٤) (س) ، (ق) : « غيره بمثلها » .

(٥) في الأصل : « والأكادش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والتحفة . والجشار : ما يساق مع الجيش من خيل وبقر وسوى ذلك .

وحوايصها ، فلما حضر[(١)] ذلك قال : احمل التشاريف إلى عند يلبغا ، وقل له : إذا جاء الجدارية بالذهب اخلع عليهم التشاريف[(٢)] ، وطلب خمسة جدارية وحمَّل كل واحد منهم خمسة آلاف دينار ، وقال : توجَّهوا بهذا الذهب إلى يلبغا ، فأحضروها ، وخلع هو عليهم تلك الخلع ، وبنى له الإصطبل الذي في سوق الخيل تحت القلعة ظاهر القاهرة ، ولم يُعمِّر قبله مثلُه ، وأنفق عليه ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وكان يهندس الصنّاع[(٣)] فيه بنفسه ، ولمّا فرغ مدَّ فيه سماطاً عظيماً ، وخلع على أمراء الدولة تشاريفَ وخيولاً . وبالجملة فكانت إنعاماته عليه وإطلاقاته له خارجة عن الحد .

وكان هو والأمير سيف الدِّين ملكتمر الحجازي قد توليا تمريض السلطان لَمّا مات . ثم إن يلبغا سأل في أيام الصالح إسماعيل أن يكون نائب حماة ، فأُجيب إلى ذلك ، وجاء إليها عوضاً عن الأمير علاء الدِّين ألطنبغا المارداني ، وتوجه المارداني إلى نيابة[(٤)] حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين طقزتمر ، وجاء طقزتمر إلى نيابة دمشق ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ولَمَّا مات الأمير علاء الدِّين ألطنبغا المارداني في حلب ، رسم للأمير سيف الدِّين يلبغا بنيابة حلب ، ولما مَلَكَ الملك الكامل طلب طقزتمر من دمشق إلى مصر ليكون لها[(٥)] نائباً ، ورسم للأمير سيف الدِّين يلبغا بنيابة دمشق ، فدخل إليها يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة[(٦)] ، وتوجه الأمير سيف الدِّين أرقطاي إلى حلبَ نائباً ، وأقام يلبغا اليحيوي على حاله بدمشق ، وأرجف الناس كثيراً بأن الملك الكامل يريد إمساك يلبغا ، وذلك بعد إمساك الأمير سيف الدِّين [آل ملك

(١) في (س) ، (ق) والتحفة : « أحضر » .
(٢) في (س) ، (ق) والتحفة : « هذه التشاريف » .
(٣) زيادة من (س) ، (ق) : « وكان هو .. » . وفي التحفة : « وكان هو مهندس العمارة » .
(٤) ليس في (خ) .
(٥) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) : « بها » .
(٦) البداية والنهاية : ٢١٧/١٤ .

وسيف الدِّين][١] قماري ، فاستوحش الأمير سيف الدِّين يلبغا من ذلك ، وبرَّز إلى الجسورة[٢] بظاهر دمشق في خامس عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة[٣] ، وأقام هناك أياماً ، وحضر إليه الأمير حسام الدِّين البشمقدار نائب حمص ، والأمير سيف الدِّين آراق نائب صفد ، والأمير سيف الدِّين أسندمر نائب حماة ، والأمير بيدمر البدري نائب طرابلس ، واجتمع الكل عنده بظاهر دمشق ، وعسكر دمشق جميعه ، واجتمعوا وأجمعوا على خلع الكامل ، وظاهروه بالخروج عليه ، وكتبوا إليه مطالعة بذلك ، فكان ما كان من أمر الكامل ، على ما مرَّ ذكره في ترجمته[٤] .

ولَمّا تولّى الملك المظفر حاجيّ أقرَّ سيف الدِّين يلبغا على حاله في نيابة دمشق وجعل ابنه أمير محمد أميراً بطبلخاناه ، وأعطى دَواداره الأمير عزّ الدِّين طقطاي طبلخاناه ، وعمَّر يلبغا قبة النصر عند مسجد القدم مكاناً كان قد برز إليه ، وكان قد عمَّر قبل ذلك القيسارية التي هي برّا باب الفرج ، وعمَّر الحمَّامَيْن اللذين بحكر العنابة برّا الجابية بدمشق ، وشرع في عمارة الجامع الذي بسوق الخيل على نهر بردى في أول سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة[٥] .

وفي ثامن عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ورد إليه الخبر على البريد[٦] على يد الأمير شمس الدِّين آقسنقر المظفري[٧] أمير جاندار بكتاب من

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : (س) ، (ق) : « الجسور » ، وأثبتنا ما في التحفة والبداية .

(٣) البداية والنهاية : ٢١٨/١٤ .

(٤) المصدر السابق : ٢١٩/١٤ .

(٥) انظر في آثاره : أمراء دمشق في عهد المماليك : ١٩١ وما بعدها .

(٦) قوله : « على البريد » ، ليس في (خ) . وفي (ق) : « في البريد » .

(٧) في الأصل : « المظفر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

السلطان الملك المظفر بإمساك الأمراء الستة الذين تقدم ذكرهم في ترجمة الأمير شمس الدِّين آقسنقر الناصري ، وفيه إعلامُه بالواقعة وإطابة خاطره وتسكينه . فكتب الجواب بالدعاء للسلطان وجهَّز أستاذداره سيف الدِّين أشتقتمر معه ، واستوحش يلبغا من هذه الواقعة كثيراً ، واستدعى أمراء دمشق بعد ذلك بيومين ، وهو في دار السعادة ، وعرّفهم ما جرى ، وكتب إلى نواب الممالك بالصورة ، وجهَّز الأمير سيف الدِّين ملك آص إلى حماة وحمص وحلب ، وجهَّز الأمير علاء الدِّين القاسمي [1] إلى طرابلس . وجاءه ليلة الجمعة مَن زاده وحشة فَلَمْ يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه ، وانتقل إلى القصر الأبلق [2] ، ونزل والده وإخوته وألزامه ومَن معه من مماليكه بالميدان ، وكان يركب وينزلُ إلى يوم الأربعاء ، فجاءه الأمير سيف الدِّين آراي أمير آخور بكتاب السلطان الملك المظفر يطلبه إلى مصر ليكون رأس أُمراء المشور ، وأن نيابة الشام قد أنعم بها على الأمير سيف الدِّين أرغون شاه نائب حلب ، وقال سيف الدِّين آراي ذلك بغمة [3] لأمراء دمشق ، فتحلَّلت عنه العزائم ، وفلَّت [4] الآراء ، فتجهز وطلع إلى الجسورة ثانياً على العادة التي فعلها في السَّنة الماضية ، وكان ذلك بعد العصر خامس عشر جمادى الأولى ، وأقام إلى بعد الصلاة من يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى [5] ، وكانت الملطفات قد جاءت من السلطان إلى أمراء دمشق بإمساكه في عشية الخميس ، فأنزلوا الصنجق السلطاني من القلعة ، واجتمع عسكر دمشق تحته ، ولَمّا علم بذلك [6] ركب بسلاحه في جماعته . ولَمّا عاين أوائلهم هرب [7] بمماليكه وأهله ، وهرب معه أيضاً

(١) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .
(٣) في الأصل : « نعمة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والتحفة .
(٤) في الأصل : و (خ) : « قلت » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٥) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .
(٦) في الأصل : « ذلك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٧) (خ) : « ركب » .

الأمير سيف الدِّين قلاوون[(١)] ، والأمير ناصر الدِّين بن جمق[(٢)] ، وتبعه الأمير علاء الدِّين بن طغريل[(٣)] أمير حاجب ، والأمير شهاب الدِّين بن صبح وغيرهما من عسكر دمشق ، وعادوا بعد ما أوصلوه إلى ضُمير ، وقتل من العسكر جماعة .

ثم إن الأمير فخر الدين أياز نائب صفد وصل بعسكر صفد إلى دمشق في بكرة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى[(٤)] ، وخرج العصر بعسكر دمشق أيضاً وصفد وتوجه بهم إلى حمص وجدّوا[(٥)] ، وكان العرب قد أنكوه ومنعوا منه الماء ، واقتطعوا بعض نقله[(٦)] ، وجدّ في طلبه سلار بن تتر البدوي[(٧)] وأخوه بُريد ، ومنعوه النوم والقرار ، وكَلَّ هو ومَن معه ، وملّوا من حمل السلاح ليلاً ونهاراً ، وحَمِي الحديد عليهم ، وعاينوا الهلاك ، واختلف مماليكه عليه ، فقال لهم : بالله وسّطوني أو اضربوا عنقي . كل هذا وهم ما بين القريتين إلى أمهين وصدد[(٨)] ، ولَمَّا سمعت ذلك قلت :

تفرقِ شملُ السعدِ عن يلبغا وقد ... بغى وغدا في عكسِهِ متورِّطا
فقالَ لهُ السَّيفُ الذي شدَّ وسطهُ ... وقد بالَغَ الأعراب في الجورِ والسَّطا
تلذَّذ بقتلٍ فيهِ للنفس راحةٌ ... وإن رُمْتَ أهنأ العيشِ فابغِ توسُّطا[(٩)]

وقال له مماليكه : أنت قلت لنا إن نائب حماة معك ، توجَّه بنا إليه ، فلم يرَ إلا المطاوعة ، فعبر على ظاهر حمص وتوجه إلى حماة ، فخرج إليه الأمير سيف الدِّين قلطيجا الحموي النائب بحماة ، فتلقَّاه ودخل به إلى حماة[(١٠)] ، ثم إنه أمسكه وأمسك والده

(١) سلفت ترجمته . وفي التحفة والدُّرر :« قلاوون » .
(٢) في التحفة : « محمد بن جمق » .
(٣) في التحفة : « علي بن طغريل » .
(٤) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .
(٥) قوله : « وجدّوا » ليس في (ق) ، (خ) .
(٦) (خ) : « ثقله » .
(٧) في الأصل : « التبريزي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٨) أمهين وصدد : من قرى حمص .
(٩) في الأصل : « فبه توسطا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهذا البيت خلت منه التحفة .
(١٠) في الأصل : « جماعة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

وأخويه قراكز وأسَنْدَمُر ، وعز الدِّين[١] طقطاي الدوادار وسيف الدِّين جوبان وقلاوون ومحمد بن جمق ، وقيَّدهم وجهَّز سيوفهم إلى السلطان . ثم بعد ذلك جهَّز الأمير سيف يلبغا ووالده مقيَّدَيْن إلى مصر ، فلما وصلا إلى قاقون تلقَّاهما الأمير سيف الدِّين منجك ، فأطلعه إلى قلعة قاقون هو ووالده وحبسهما[٢] في بيتين منفردين ، ثم أُنزل والده من قلعة قاقون ، وجُهِّز وحده[٣] على البريد إلى السلطان ، وطلع إلى الأمير سيف الدِّين يلبغا مَشَاعِلِيّان ، فأحسَّ بذلك ، وسألهما الوضوء وصلاة ركعتين ، ولما فرغ من ذلك قال لهما : بالله هوِّناها عليَّ . فقالا له : ياخوند إن أردت ذلك فدعنا ندير كتافك ، فمكَّنهما من نفسه ، وخنقاه ، فسمع الناس شهقته من أسفل القلعة . ثم إنَّه حُزَّ رأسه وجعل في عسل ، وجُهِّز إلى باب السلطان ، ثم دفنت جثته بقاقون ، رحمه الله تعالى وسامحه وعفا عنه ، وذلك في العشر الأواخر من جمادى الأولى[٤] في السنة المذكورة .

وقلت أنا في ذلك :

إنَّ في يلبغا لكلِّ لبيبٍ ... عبرةً أصبحَتْ على الدَّهرِ تُتلى
ما تساوَى العزُّ الذي قد رآهُ ... في دمشق بذلِّ قاقونَ أصلا

وقلت أيضاً :

ألا إنما الدنيا غرورٌ وباطلٌ ... فطوبى لِمَن كَفَّاهُ منها تفرغا
وما عَجَبي إلاّ لمن باتَ واثِقاً ... بأيام دهرٍ ما رعَت عهد يلبغا[٥]

---

(١) في الأصل : « وأسندمر وجهزهم أسندمر وعز الدِّين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٢) (خ) : « فأطلعهما إلى قلعة ... وحبسهما » .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) (خ) : « من » .
(٥) في الأصل : « بأيام عهد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) ، والتحفة .

ثم إن الأمير سيف الدِّين منجك وصل إلى حماة ، وجهز إخوة يلبغا وجماعته الذين أُمسكوا مقيَّدين إلى باب السلطان .

وخلَّف الأمير سيف الدِّين يلبغا اثني عشر ولداً ، أكبرهم أمير محمد وعمره تقدير سبع سنين ، وكان له زوجتان : أخت صمغار وأخت بُزلار ، وكان يحبها كثيراً ، وأم محمد وهي أخت الخوندة أُردو .

وكان يتلو القرآن جيداً ، ويلازم تلاوته في المصحف ، ويحب أهل القرآن ويجالسهم ، ويحب الفقراء . ولم يكن فيه شرٌّ ولا انتقام . وقبل خروجه من دمشق أحضر[1] إليه قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي الشافعي إلى القصر ، ووقف أملاكه وخصَّ الجامع الذي أنشأه بدمشق بمبلغ ستين ألف درهم في كل سنة من صلب ماله ، رحمه الله تعالى . ومضى كأن لم يكن .

ولم أرَ مثل ما ناله من السعادة التي فاضت عنه على والده ووالدته وإخوته وأقاربه ومماليكه ، لأن والده كان أمير مئة مقدم ألف ، وأخواه أميري طبلخاناه ، وولده أمير طبلخاناه ، وذو قرابته الأمير شهاب الدِّين شعبان أمير طبلخاناه ، ودواداره الأمير عز الدِّين طقطاي أمير طبلخاناه ، ومملوكه سيف الدِّين جوبان أمير عشرة ، وبقية مماليكه جماعة منهم لهم الإقطاعات الجيدة القوية في الحلقة . واعتنى بجماعة من أهل حماة وحلب ودمشق ، وخلَّص لهم الطبلخانات .

وعلى الجملة فكانت سعادة زائدة عن الحد ، لكنها ختمت بهذا الشرّ الكبير الذي فاض عنه على ذويه ، فلا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

بقدرِ الصعودِ يكونُ الهبو طُ فإيّاكَ والرُّتَبَ العاليَه

ومن جملة ما رأى من العزّ أنه كان قد توعَّك وحصل له سوء مزاج ، فكان عند

(١) في الأصل : « احتضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

السلطان في المرقد وهو جالس ورجلاه إلى[1] ركبتيه في حجر السلطان وهو يُكبّسها بيده ويرش الماورد[2] على وجهه ، ويتولّى تمريضه وطبّه وعلاجه وخدمته بنفسه . وكان ولد السلطان وهو إبراهيم أكبر من أبي بكر قد مرض بالجدري فمات إبراهيم ودفن ولم يره أبوه ولا عاده شُغلاً منه بتمريض يلبغا ، فهذا نهاية في العزّ .

ومن جملة الذُّلّ الذي رآه أن تولّى خنقه في قلعة قاقون مشاعليّان ودفن في أرض قاقون جسداً بلا رأس ، اللهم خلّصنا من شرور هذه الدنيا[3] الغرارة .

وقلتُ أنا فيه وقد التزمت الزاي المشددة :

دع الدَّهرَ يُعلي من أراد [إلى] السُّهى	ودافِعْه مِنْ وَقْتٍ لوقتٍ وجَزِّهِ[4]
فقد نالَ منهُ يلبَغا فوقَ ما ابتَغى	وقصَّته تُجلى على المتنزِّهِ
وأُنزِل من عند الثُّريا إلى الثَّرى	وأمسكهُ صرفُ الرَّدى في محزِّهِ
وألحفهُ العيشُ الغليظُ رداءَهُ	على لطفِ معناهُ ورقَّةِ بزِّهِ
فلا سعدَ إلا ما رأيناهُ نالَهُ	ولا ذلَّ إلا ما رأى بعد عِزِّهِ

☆ **اليلداني** : أبو محمد الصحراوي عبد الرحمن بن عبد المولى .

١٩٦١ ـ يلقطلو*

بنت أبغا الخاتون .

كانت امرأة ديّنة صيّنة تقيّة نقيّة ، محبّة للخير وأهله ، وكانت عمّة غازان وخربندا ، وكانت بين المغل جليلة القَدْر نبيهة الذكر ، وافرةُ الحُرمة ، مسموعة

(١) (خ) : « على » .
(٢) (خ) : « ماء الورد » .
(٣) (ق) : « الدار » .
(٤) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) ، والتحفة .
* الدُّرر : ٤٤٢/٤ .

الكلمة ، ذات شهامة وفروسية ، وكانت مزوَّجة بعرب طي ، ومنازلها لا تبعد من أطراف بلاد الإسلام ، ولما مات زوجها المذكور ركبت بنفسها وقتلت قاتله وقطعت رأسه وعلَّقته في قلادة فرسها ، وبقي الرأس على هذا زماناً[1] طويلاً حتى كُلِّمت فيه فألقته ، وقيل إنما ألقته بأمر اليرلغ ، ولم تتزوج بعد عرب طي ، وحرص الأفرم على زواجها وكتب إليها في ذلك وأخذ كتب السلطان وسلاّر إليها فيه ، وبذل لها حمص وبلادها صداقاً عنه فنهرت رسله وردَّتهم بالخيبة ، وقالت : أنا أنصح أمة محمد - ﷺ - ما أنصح فلان وفلان وفلان ، فإن كانت مناصحاتي للمسلمين هي التي أطمعت الأفرم فيَّ فما بقيتُ أناصحهم ، وكيف تجاسر[2] الأفرم عليَّ ، ومن هو الأفرم ؟ وأنا أقل كوتلجي عندي مثل الأفرم .

وقَدِمَتْ هذه يلقطلو إلى الشام وتوجهت إلى الحج في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

قال القاضي شهاب الدِّين أحمد بن فضل الله : وكنت حاجّاً في تلك السنة فكنت أرى منها امرأة تعد برجال حزماً وعزماً وكرماً ، وعليها سيماء الجلالة ووسامة الملك ، وتصدقت بأموال كثيرة ، قيل إنها تصدقت في الحرمين بثلاثين ألف دينار ، وكانت تركب في الطريق محفة ، وتركب الخيل ، وتشدّ في وسطها التركاش ويُشال عليها الجِتر ، وكانت تضرب حلقات صيد وتتصيد طول الطريق . وكانت بَحْرَ كرم وغاية إحسان ، ولَمّا قدمت دمشق خرج الأمير سيف الدِّين تنكز لِلُقِيّها ولاطفها حتى دخلت دمشق بغير جتر على رأسها .

☆ **اليمني :** الشيخ تاج الدِّين عبد الباقي ، اسمه محمد بن أحمد .

☆ **ابن يمن :** قاضي القضاة الحنفيّ .

(١) (ق) ، (س) : « دهراً » .

(٢) (ق) ، (س) : « يتجاسر » .

١٩٦٢ - ينجي*

الأمير سيف الدّين السلاح دار .

كان من جملة الأمراء بدمشق ، ولَمّا جاء الفخري وملك دمشق كان هو فيها مقيماً في شدّ الدواوين ، وكان يصدّ الفخري وغيره عن أشياء كثيرة من طلب الناس .

ومرض مدة بعد ذلك وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

١٩٦٣ - ينغجار**

الأمير سيف الدّين الناصري أخو الأمير سيف الدّين آرغون الدوادار الناصري .

كان سكنه على بركة الفيل في حكر الخازن ، وأُخرج إلى الشام سنة[1] ثلاثين وسبع مئة فيما أظن ، وأقام بدمشق مدة ، وولي نيابة قلعة دمشق مدة ، وولي الرحبة[2] ، وولي نيابة بعلبك مديدة في أيام الأمير سيف الدّين يلبغا .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

---

* الدُّرر : ٤/٤٤٣ .

** الدُّرر : ٤/٤٤٣ .

(١) (ق) : « في سنة » .

(٢) في (ق) ، (خ) ، (س) زيادة : « وولي نيابة الرحبة بعد موت حسام الدّين لاجين الغتمي وولي نيابة .. » .

١٩٦٤ ـ يوسف بن إبراهيم بن جملة*

الشيخ الإمام العالم الفقيه قاضي القضاة بالشام ، الحوراني المحجّي[(١)] الشافعي الأشعري .

كان قد تفقّه مدة لابن حنبل رضي الله عنه ، ثم إنه انتقل إلى مذهب الشافعي ، وتميّز وناظر الأقران ، وأخذ عن الشيخ صدر الدّين بن الوكيل ، وعن قاضي القضاة شمس الدّين بن النقيب ، وعن الشيخ كال الدّين بن الزملكاني . وصارمن الأعيان ، ونظر القمر إلى جماله وهو خزيان ، وجالد[(٢)] فرسان البحث وجادلهم ، وفضّ على الطلبة ماعنده في خزانة علمه[(٣)] وجاد لهم .

ولما باشر قضاء الشام وتولّى بحكمه الأوامر والأحكام ، باشر ذلك بصلف وأمانة ، وعفاف لم تتطرق إليها جناية ولا خيانة ، وكان ذا مهابةٍ وسطوةٍ على المريب ، وشدة وطأةٍ على القريب والغريب :

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عَنَّ لهُ ... رأيٌ يفرّق بينَ الماء واللبنِ
القائل الصدق فيه ما يُضَرّ به ... والواحد الحالتَيْن السّرّ والعَلَن
الفاصل الحكم عيَّ الأولونَ به ... ومُظهر الحقّ للسّاهي وللذّهِنِ

وكان فيه ديانة وحسن عقيدة ، وله محاسن كل منها بيت القصيدة .

وكان في أيام نيابته لقاضي القضاة جلال الدّين بدمشق قد قام على الشيخ تقي الدّين بن تيميّة في مسألة الزيارة ، وسدّد سهمه إليه وأطلق زياره[(٤)] ، وانتصب لهذا الأمر ، وأوطأ قدميه على الجمر ، ولم يُصلِّ على جنازته ، وتبرأ من حيازته .

---

* البداية والنهاية : ١٨٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥٨/١ ، والدُّرر : ٤٤٣/٤ ، والشذرات : ١١٩/٦ ، والدارس : ٢١٤/١ ، وذيول العبر : ٢٠٢ .

(١) المحجي : نسبة إلى محجة من قرى حوران .

(٢) في الأصل : « وجالل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) (س) ، (ق) : « علومه » .

(٤) الزيار : القوس .

ولم يزل على حاله إلى أن وقعت له تلك الواقعة التي كان فيها غرضاً للسهام الرواشق ، ووَقَتْه في وقتها كل غاسق ، ودخل إلى دار السعادة وهو قاضي القضاة وخرج منها وهو فاسق ، واعتُقل في القلعة مُدّة ، وحلّت به في هذه الواقعة كل شدة ، ثم إنه أفرج عنه بعد مدة ، وأعطي تدريس المسروريّة بعد أن كاد يموت غمّاً ، كما جرى لسيبويه في المسألة الزنبوريّة[1] .

ولم يزل بعد ذلك على حاله إلى أن غاض ماء حياته ، وفاض دمع باكياته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة[2] ، ودفن بوادي العظام عند أهله .

ومولده سنة ستٍّ وثمانين وست مئة[3] .

وكان قد درّس بالدولعيّة ، وخرّج له شيخنا علم الدّين البرزالي عن الفخر علي وجماعة .

ولّما توفي قاضي القضاة علم الدّين الأخنائي ولِيَ هو بعده قضاء القضاة بدمشق ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة[4] ، لأن الأمير سيف الدّين تنكز كتب في أمره للسلطان بعناية ناصر الدّين الدوادار ، وباشر القضاء على أحسن ما يكون من الصّلف والعفة . وكان فصيحاً بليغاً شديد العارضة في البحث .

ثم إن حمزة التركماني أحرف الأمير سيف الدّين تنكز عنه وأغراه[5] ، ولم يزل به إلى عقره وقال عنه إنه رشا ناصر الدّين الدوادار بالذهب على القضاء ، وهذا أمر أنا وغيري

(١) من مشهور أخبار سيبويه مع الكسائي . ويقال : إن هذه المسألة كانت سبب موته .

(٢) في رابع عشر ذي القعدة ، كما أرّخ ذلك ابن رافع .

(٣) على ذلك يكون عمره اثنتين وخمسين سنة . وفي ذيول العبر أنه توفي « عن سبع وخمسين سنة » .

(٤) البداية والنهاية : ١٤/١٦١ .

(٥) في (س) ، (ق) : « وأغراه به » .

نستبعده من الجانبين . وكان تنكز قد فوّض إليه الأمر في الشيخ ظهير الدّين لأنه لم يصح ما نقله عنه ، فبالغ ابن جملة في تعزير الظهير واستقصى ، والاستقصاء شؤم ، فعُقد له مجلس في يوم الجمعة تاسع عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة[١] ، وقد بيّت القضية له حمزة ، فدخل وهو قاضي القضاة في الشام ، وخرج وهو فاسق قد حكم بعزله وسجنه في القلعة . وكانت واقعة غريبة في تلك الأيام لم يعهد الناس مثلها .

أنشدني إجازة لنفسه القاضي زين الدينِ عمر بن الوردي :

دمشق لا زالَ رَبْعُها خَضِراً ... بعَدْلها اليومَ يُضْرَبُ المثلُ
فَضامِنُ المكْسِ مطلقٌ فَرِحٌ ... فيها وقاضي القضاةِ مُعْتقلُ[٢]

وقلتُ أنا في ذلك :

العفو يا ربِّ مِن بَلاءٍ . ... قوى الوَرى ما تَطيقُ حَمْله
أمرٌ جَرَى في الوجودِ فرداً ... يا عَجباً وهو لابن جَمْلَه

وأقام في الحبس خمسة عشر شهراً إلى أن شفع فيه موسى بن مهنا ، وتحدث الأمير سيف الدّين تنكز مع قاضي القضاة شرف الدّين المالكي في عاشر صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة في إخراجه من الاعتقال[٣] ، فقال القاضي : يكتب خطه ، ويُشهد عليه أن الْحكم الذي صدر منه في حقه صحيح ، فلم يُجب إلى ذلك ، وتردّد الرسول إليه في ذلك غير مرة ، ثم إنه أجاب إلى أنه يمشي إلى مجلس المالكي ويسلم عليه ، فخرج من القلعة يوم الاثنين ثالث عشر صفر إلى دار القاضي المالكي ، ثم إلى الجامع ، ثم إلى أهله بالمدرسة المسرورية .

وولي القضاء بعده القاضي شهاب الدّين بن المجد عبد الله .

---

(١) البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ .

(٢) ضامن المكس : هو الذي يتعهد أماكن الفجور .

(٣) البداية والنهاية : ١٧٣/١٤ .

ولما خرج من الاعتقال أُعطي تدريس الدولعيّة ، ثم تمرض ، وخلت المدرسة الشامية البرانية ، فدرَّس بها أياماً بعد ذلك زين الدِّين بن المرحِّل ، وكانت وفاته بالمسروريّة .

وكنت بالديار المصرية لَمّا رسم السلطان الملك الناصر بولايته قاضي[1] القضاة ، فكتبت له تقليده بذلك ونسخته :

الحمد لله الذي أعلى منار الشرع الشريف بجماله ، وجلَّى دُجاه بمن تحسدُهُ البدور في الأفق ليالي التمام على كماله ، وشيَّد ركنه بمن يقصر باع السيف في جلاده عند جداله ، وحفظ قواعده بمن إذا أمسكَ قلم فتاويه تفيَّأت الأحكام تحت ظلاله ، وأحيا سنَّته بمن تتضح به سنن حرامه وحلاله ، ونشر لواء فضله بمن إذا ظمئ البحر المحيط فَقُلْ دع ذا فإنك عاجز عن حاله .

نحمده على نعمه التي ادخِرت لأيامنا الشريفة حَبراً عزّ بوجوده اجتماع المِثْلين ، واقتطف ثمار العلوم فما داناه أحد في الفروع ولا وصل معه إلى الأصلَيْن ، وطال بالعلم ثم بالحلم وزاد في تطوّلاته ولم يقتصر على الطّولين ، وأجمع الناس على استحقاقه ، فلم تكن المسألة فيه ذاتَ قولين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندَّخرها ليوم القضاء والفصل ، ونعلم أنها أصل الإيمان وما سواها فرعٌ والقياس رَدُّ فرعٍ إلى أصل ، ونعتمد على بركات فضلها في الأمر والنهي والقطع والوصل ، وننال بإخلاصها على أعداء الدِّين عزّ العزم ونصر النَّصل .

ونشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من قضى ومضى[2] ، وأعدل من مضى ،

(١) في (س) ، (ق) : « قضاء » .
(٢) الأولى بمعنى : قضى الأمر ، والثانية بمعنى : مات .

وسيف شرعِه إذا استقبله مُشكل حكم فيه ومضى[1] ، وأشرف من ساس الناس بحلقة الرضى وحكمة المرتضى ، وأعزَّ من أغضى الشيطان لظهور ملَّته على جمر الغضا .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير من اتَّبع شرعه في أحكامه ، وخاف مقام ربِّه فشكر الله له حسن مقامه ، وقَصَر خطاه على ما أمره ونهاه ، فلم يكن له إقدام على حركة أقدامه ، واستبرأ لدينه في قضاياه فما أخطأت سهامه[2] مرامي مَرامه ، صلاة تتألَّق بأنوارها البروق اللامعة ، وتتعلَّق بأستارها الخلائق في الواقعة ، ما قبّلت ثغورُ الأقلام خدودَ المهارق الساطعة ، ورقَّمت إبَرُ الغمام برودَ الحدائق اليانعة ، وسَلَّم تسليماً كثيراً[3] إلى يوم الدِّين .

وبعد :

فإن منصب الشرع الشريف لا شك في عموم نفعه ، ولا مَرية في أن السوابق جرت لنصبه ، والعوالي جُرّت لرفعه ، ولا ريب في أن شمم كلِّ عرنين ينقاد صاغراً لوَضعِه ، ما حكمنا في شيء حتى نعود إلى أمره[4] ونعوذ ، ولا خرجنا في السياسة عن حكمه لا على سبيل السهو ولا بحكم الشذوذ ، ولا برز أمره بحكمٍ إلا وقال : سيفنا المنصور له دائم النفوذ .

وكانت دمشق المحروسة كالشامة في وجنة الشام ، وكالجوهرة التي أصبحت واسطة عقد الملك في الانتظام ، هذا إلى ما جاء في فضلها في السُّنَّة ، وثبت لنا في الخارج أنها أنموذج الجنة ، قد شغر منصب حكمها الشافعي من قاضٍ يسوس الرعايا ، ويجتهد في أحكامه حتى تدلَّه الألمعيَّة على المقاتل الخفايا ، ويتوسم وجوه الخصوم وكلامهم فيكون ابن جلا وطلاع الثنايا ، أمْهَلْنا آراءنا الشريفة هذه الفترة ، واستخرنا الله تعالى فيمن

(١) مضى الأولى بمعنى : ذهب ، والثانية : بمعنى أنفذ الحكم .
(٢) في الأصل : « سهام » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « كبيراً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٤) (ق) : « نعود لأمره » .

نحليه بهذا الطوق أو نخصّه بهذه الدرّة ، وذكر بين أيدينا الشريفة جماعة كل منهم جلّ إلا أن يكون قد جلّى ، واستوعب الشروط المعتبرة ، وكان بذلك الاستيعاب مُحَلّى ، فأشار مَن إشارته كالسهم الذي يصيب الإشارة ، وبركةُ رأيه خالصة من حظوظ النفس الأمّارة ، وعيَّن من عزَّت به الشريعة الشريفة منالاً ، وزان رتبتها الجليلة فازدادت به جمالاً ، وحَمى حوزتها لأنه فارس الكلام الذي إذا التقت عليه مضائق الخصوم فرَّجها علمه بمضائق الإصابة جدالاً ، وجالد فوارس البحث وجدَّلهم فجدَّ لهم ونسف مغالط النسفي ولو كانت جبالاً ، ونقّى ونَقّح كلام مَن مضى فكم قيّد مطلقاً يمرح وأطلق مقيّداً برَسف ، وجلس في حلقة دروسه وكأنما تطلع من محراب داود و يوسف[1] ، يَغْرق الْمُزني في وابل فضله الصيِّب[2] ، ويفوق عَرفُ عرفانه على القاضي أبي الطيِّب[3] ، ويتلوّن الصباغ في (شامله)[4] من عجزه ، ويعترف الغزالي بأنه لم يكن من نسج طرزه ، قد صاغ ذهب أصوله وابن الحداد في (الفروع)[5] ، والتَذَّ بكراه وصاحب (التنبيه) لا يذوق[6] لذّة الهجوع ، وأنفق من محصوله وابن الحاجب في ضيعة من صيغة منتهى الجوع[7] .

وكان المجلس العالي القضائي الجمالي هو مُظهر هذه الضمائر والمقصود بهذه الأدلة والأمائر ، لا تليق هذه الصفات إلاّ بذاته ، ولا تحسن هذه النعوت إلا بأدواته . فلذلك

---

(١) في (س) ، (ق) : « داود يوسف » .

(٢) في الأصل : « الطيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري الشافعي ، له شرح مختصر المزني (ت ٤٥٠ هـ) ، السير : ٦٦٨/١٧ .

(٤) الشامل في فروع الشافعية لعبد السيِّد بن محمد (ت ٤٧٧ هـ) ، الكشف : ١٠٢٥/٢ .

(٥) الفروع في مذهب الشافعي لمحمد بن أحمد المصري ، المعروف بابن الحداد (ت ٣٤٥ هـ) ، الكشف : ١٢٥٦/٢ .

(٦) (ق) ، (س) : « لا يطعم » .

(٧) ابن الحاجب هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٤٦ هـ) ، ولعلّه يشير إلى كتابه منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل . انظر الكشف : ١٨٥٣/٢ .

رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري الناضري ، لا زال[1] الرعايا بعدله في أمان ، ومواقع اختياره ترتاد لهم الكافي الكافل[2] من ربِّ السيف والطيلسان ، أن يفوّض إليه قضاء القضاة الشافعية بالشام المحروس ولايةً أُحكم عَقْدها ، وانتظم عِقْدها ، وتبلج عُرْفُها وتأرَّج عَرْفُها . فليأمر بالمعروف ويَنْهَ عن المنكر ، ويسير سيرة عمريَّة تُتْلَى محاسنها وتشكر .

وليأخذ بحق المظلوم ممن ظلمه ، ويجر لسان قلمه بما قامت به البيِّنة فَعلِمَه ، وليتَّبع الحق إن كان مع المشروف أو الشريف ، ويطلب رضى الله تعالى في خذلان القوي ونصرة الضعيف .

وليُسَوِّ بين المتخاصمين في موقفهما عنده ، ويسمع الدعوى إذا تمت والجواب إذا أكمل قصده ، وليُلِن جانباً لمن حضره ، ويتمسك بآداب الشرع التي حضَّه عليها وأمره .

وليتحرَّز من أمر الشهود في كل شيء ولينقِّب عن أحوالهم فإن منهم من يموت على الشهادة وهو حي ، ويتبعهم بألمعيَّته في كل أمر ، ويسمع شهادتهم بفطنة إياس وذكاء عمرو .

والأيتام فليولِّ عليهم مَن يراقب الله في أموالهم ، ويخشى الله في معاملاتهم ، فكفى ما بهم من سوء حالهم ، ولا يركن في أمرهم إلا لمن اختبره المرة بعد المرة ، وعلم أن عفته لا تسامحه في التماس الذّرة .

والأوقاف فليُجرِ أمورها على النظام البارع ولا يتعَدَّ بها شروط الواقفين ، فإن نصَّ الواقف مثل نصّ الشارع .

والأيامى فليزوجهنّ من أكفائهن شرعاً ، ويمنع من يُلبسهن[3] من العَضْل

(١) في (س) ، (ق) : « لا زالت » .
(٢) في الأصل : « الكامل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « تلبسهن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

دَرْعاً[١] . والأنكحة الأهلية يستوضح عقودها ، والخليّة يعتبر شهودها . ومال المحجور عليه يودعه حرزاً يُحفظ فيه ، ومال الغائب ، وكذلك المجنون والسفيه .

ووقائع بيت المال المعمور فلتكن مضبوطة النظام ، محفوظة الزّمام ، مقطوعة الجدل والخصام . ونوابه في البلاد والجهات والنواحي المتطرفات هو المطلوب عند الله بجنايتهم ، والمحاسب على ما اجترحوه من ولايتهم . فلا يولّي من يراه فقيهاً ﴿ وإذا تَوَلَّى سَعى في الأرْضِ لِيُفْسِدَ فيها ﴾[٢] ، ولا مَن اتّصف بالجهل ، ورأى زينة المال[٣] والأهل ، بل يتحرَّ في أمورهم ، ويتّبع معاملتهم في غيبتهم وحضورهم ، فأنت أدرى بما إليه الأمر يؤول ، وكلكم راع وكل راع مسؤول[٤] .

والوصايا كثيرة ومنك تُعرَف ، وإليك ترجع وتصرف . فما نُعَلِّم عوانك الخمرة[٥] ، ولا نعرّف صنّاعَك[٦] كيف تصنع الشذرة ، فما تحتاج إلى أن نسردها ، بل نجمعها ولا نفردها ، وهي تقوى الله عزّ وجلّ التي مَنْ تمسَّك بها فاز قِدحُه ، وأمِنَ سَرْحُه ، وتعيَّن ربحه وتبيَّن نُجْحه .

والله تعالى يتولاَّكَ ، ويعينك على ما أولاك ، ويزيدك مما أولاك .

والْخَطّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه . والله الموفِّق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل : « الفضل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . والعضل : الإكراه . وفي التنزيل : ﴿ فَلا تَعْضُلوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزواجَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٢/٢] ، وفيه أيضاً : ﴿ ولا تَعْضُلوهُنَّ لِتَذْهَبوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُموهُنَّ ﴾ [النّساء : ١٩/٤] .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٥/٢ .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « زينة الدنيا المال .. » .

(٤) الجامع الصغير للسيوطي : ٩٥/٢ ، وسلفت الإشارة إلى هذا الحديث في سياق آخر .

(٥) من أمثالهم : « لا تعلم العوان الخمرة » . انظر تاج العروس (عون) .

(٦) في الأصل : « صناعتك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩٦٥ - يوسف بن أحمد*

ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد[(١)] الرحمن بن طاهر[(٢)] ، الشيخ الإمام الفاضل الصدر الكبير بهاء الدين أبو المحاسن ابن الصدر كمال الدِّين بن العجمي الحلبي ، سبط الصاحب كمال الدِّين بن العديم .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا (جزءَ ابن عرفة) عن النجيب عبد اللطيف الحرّاني ، وسمع كثيراً ، وقرأ الفقه ، واشتغل [وحصَّل][(٣)] وكتب المنسوب ، ودرَّس بحماة وولي كتابة الإنشاء بدمشق ، وحكم بحماة نيابة .

وكان صالحاً ديِّناً مشكوراً محبَّباً إلى الناس .

توفي - رحمه الله تعالى - سابع عشري جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وخمسين وست مئة .

ودفن بتربة خاله ، قبالة جوسق ابن العديم ظاهر دمشق .

وتوفي بعده ولده القاضي عزّ الدِّين محمد بعشرة أيام ، فإنه توفي - رحمه الله تعالى - تاسع شهر رجب سنة عشر وسبع مئة وولي بعد القاضي بهاء الدِّين بن العجمي تدريس النجيبية[(٤)] القاضي نجم الدِّين الدمشقي[(٥)] الشافعي نائب الحكم .

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٨ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدُّرر : ٤٤٦/٤ .

(١) في الأصل : « عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عبد » ، وأثبتنا ما في (س) وما يتفق مع الدُّرر . ووقع في (ق) : « ابن الحسن عبد ... » .

(٢) في الدرر : « ظافر » ، وفي بعض أصوله : « ظاهر » .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) وكان تولاَّها سنة (٧٠٦ هـ) . البداية والنهاية : ٤٠/١٤ ، والدارس : ٣٦٠/١ .

(٥) أحمد بن عبد المحسن ، سلفت ترجمته .

١٩٦٦ - يوسف بن أحمد بن جعفر*

ابن عبد الجبار الفقيه الإمام العالم الفاضل جمال الدّين الشاطبي الشافعي .

كان فاضلاً اشتغل بفنونه وحصّل فضائل ، وله نظم ونثر ، وفيه أمانة ونهضة وديانة ، وشهد له القاضي بدر الدّين بن جماعة وغيره بأهلية التدريس والاشتغال والإفادة .

وولي خطابة جامع جرّاح[1] مدة يسيرة ، وكان يخطب بإنشائه .

وأدركه أجله دون الأربعين .

توفي - رحمه الله تعالى - حادي عشر شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٩٦٧ - يوسف بن أحمد بن إبراهيم**

علم الدين الخطيب القناوي الشافعي الأديب .

كان من الرؤساء الأعيان الكرماء[2] الأجواد الأذكياء .

قرأ الفقه على جلال الدّين أحمد الدشناوي ، وكانت له معرفة جيدة بحلّ الألغاز ، ونظم فيها أشياء كثيرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

---

* الدُّرر : ٤٤٦/٤ .

(١) خارج الباب الصغير بمحلّة سوق الغنم بالشاغور بدرب جراح ، كان أصله مسجداً للجنائز ، فجدّده جرّاح المنيحي ، ثم جعله الأشرف موسى جامعاً سنة (٦٣١ هـ) .
انظر : فهارس وفيات ابن رافع : ٢٠١ .

** الطالع السعيد : ٧١٥ ، وفوات الوفيات : ٣٣٩/٤ ، والدُّرر : ٤٤٥/٤ .

(٢) في الأصل : « الأكرماء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والطالع والفوات .

وله لغز في « لابس » ، الثاني من قوله :

يبين إنْ صحّفت مــــع قـــولِ لا وهـــو إذا صحَّفتـــــه « لا يبين »(١)

وله لغزٌ في « مغني »(٢) :

مـــــا اسمٌ إذا عَكَسْتَـــــهُ يُطْرِبُ إن سَمِعْتَـــــــــهُ
يُنْعِمُ بـــــالـــــوَصـــلِ مَتى صَحَّفتَ مـــــا عَكَسْتَـــــهُ

وله لغزٌ في (زغل) :

ومـــــا لغــــزٌ إذا فتَّشت شعري تراهُ مُسَطَّراً فيـــــــــه مسمّى
وإن تعكِسْـــــهُ كان من التَّحرِّي إذا حققتَـــــــهُ في البيرِ يُرمى(٣)
وفـــاعِلُـــهُ إذا نَمّـــوا عليـــــهِ فيخشى أن تُـــزالَ يـــــداهُ حَتا(٤)

قال كمال الدِّين الأدفوي : تولَّى الخطابة ببلده ، وناب في الحكم في مواضع شتى ، منها دشنا وفاو من بلاد قوص ، والمنشأة ، وطوخ من بلاد إخميم . وكان يكرم الوارد .

١٩٦٨ - يوسف بن أحمد بن أبي بكر*

ابن عليّ بن إسماعيل بن عمرو بن عبد المجيد ، المسند المُعمّر ، بقية الرواة ، أبو علي الغَسّولي المعروف بابن غالية .

سمع من موسى بن عبد القادر ، والشيخ الموفق ، وتفرَّد في وقته .

وسمع منه خلق ، فسمع منه شيوخنا الذهبي والبرزالي والمزي ، وسمع منه المقاتلي ،

(١) في الفوات والطالع : « صُحّف » .
(٢) كذا في الأصل . وفي الطالع : « مغنٍ » على القاعدة .
(٣) في الطالع : « في البر يرقى » .
(٤) في الفوات : « تزلّ » .
* العبر : ٤١٢/٥ ، والشذرات : ٤٥٨/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٧/٨ .

وابن النابلسي ، والمحبّ الصدر أبو بكر بن خطيب حماة ، والشهاب بن عُدَيْسة ، ونجم الدِّين القحفازي[1] ، وخلق .

قال شيخنا الذهبي : كان شيخاً ساكناً فقيراً متعفِّفاً[2] ، بدت منه هنات وسط عمره ، ثم إنه كبر وصلحت حاله ، وكان حجَّاراً ، ثم عجز ولزم بيته .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة .

وجبي له الكفن ، ومولده بقاسيون سنة اثنتي عشرة وست مئة .

١٩٦٩ ـ يوسف بن أحمد بن محمد بن عمر*

الفقيه محب الدِّين المقدسي الحنبلي .

كان يشهد تحت الساعات بدمشق ، ولديه فضيلة ، وفيه إقدام وشهامة ، ودخل بلاد الروم وغيرها ، وسمع من خطيب مَرْدا ، ولم يحدّث .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٩٧٠ ـ يوسف بن أحمد بن يوسف**

ابن عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن شكر ، الصدر نجم الدِّين بن علم الدِّين بن تاج الدِّين بن الصاحب صفيّ الدِّين بن شكر المالكي .

كان مدرباً بمدرسة جدّه بالقاهرة .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « الفخاري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ضعيفاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمة له .

** الدُّرر : ٤/٤٨٤ .

١٩٧١ - يوسف بن أحمد بن محمد*

ابن يوسف بن عبد الغني الجذامي الإسكندري الفقيه ، المالكي ، الأديب صدر الدِّين ، عرف بابن غَنّوم - بغين معجمة ونون مشددة وواوٍ بعدها ميم - موقّع الثغر .

كان فاضلاً ذكيّاً . كتب للقضاة زمناً طويلاً ، ثم إنه انقطع بمنزله ، وخمّس قصائد للصرصري .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالإسكندرية سنة ستٍّ وسبعين وست مئة .

قال كمال الدّين الأدفوي أنشدني لنفسه ، وقد سألته أن ينشدني شيئاً من شعره :

يا مَن يُسائل عَن شعري ليرويهِ ... مَهلاً فليسَ شعاري نظمَ أشعارِ
مُذ حلَّ زائر هذا الشَّيب صيَّرني ... بعدَ الصِّبا وإزاري ذِكْرُ أوزاري

قال : وأنشدني له أيضاً :

وبي غريب الدّارِ مُستأنسٌ ... أسالَ دَمعي منهُ خدٌ أسيلْ
فإن أمُت شَوقاً إلى وصلهِ ... ففي سبيلِ اللهِ وابنِ السَّبيلْ

قال : وأنشدني له[1] :

قُم نفترِع بكر المدامة بُكْرَةً ... في روضةٍ حَسُنت وراقَتْ مَنْظرا
فالرّاحُ سَيفٌ قاطِعٌ لهمومِنا ... أو ما تَراهُ بالْحَبابِ مُجَوْهَرا

---

* الدُّرر : ٤/٤٤٧ .

(١) في (ق) ، (س) زيادة : « أيضاً » .

قال : وأنشدني له أيضاً :

جَـــلا مســـــواكُ ثغرك خَيْرَ دُرّ فَجَـلّ بـــذاك واكتسبَ الْمَــزايـــا
وأنشَـــدَ صَحْبَـــهُ تيهـــاً وفَخْراً «أنـا ابنُ جَـلا وطَـلاعُ الثَّنـايـا»

١٩٧٢ ـ يوسف بن أسعد بن علم السعداء*

القاضي الرئيس صلاح الدِّين ابن القاضي سعد الدِّين بن العسّال .

شاب أنبته الزمان في رياض السؤدد وغرس ، وفرح به الْجُودُ لما نبغ ورأس ، لم أرَ في سنّة مَن حاز رياسته ، ولا من ملك سعادتـه وسيـادتـه [1] ، اتَّصَف بلزوم المكارم ، وحمل عن رفاقه الكُلف والمغارم ، هـذا إلى صورةٍ أبـدعهـا الجمـال ، وقـامـةٍ كالغصن إذا هبَّت عليه الصَّبا فماد ومال ، يجلس في ديوانه ، ويُرى إذا احتبى في إيوانه :

بـوجـــهٍ يَمْـلأُ الــدُّنيـــا جَمالاً وكَفٌ تَمـــلا العَليـــا نَـــوالاً [2] .

قصف غصنه ، وأسلمه إلى الحِمام حصْنُه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

كان قد زوَّجه الصاحب شمس الدِّين غبريال بابنته ، واحتفل بأمره ودخل بـه إلى ديوان الإنشاء بدمشق ، وأحضر لـه توقيعـاً من السلطـان بعلوم جيِّـد من العين والغلـة والخبز واللحم والعَليق والكسوة . وكان مطبوعاً ظريفاً خيِّراً كريماً رئيساً فيـه حشمـة ، وتودد وحسن صحبة .

ولم يزل في خير وسعادة إلى أن أُمسك الصاحب شمس الدِّين ، فأُمسك هو أيضاً في جملة جماعتـه ، وصودر ونـالـه بعض أذى وعصر ، ثم طُلب إلى مصر ، وعـاد بطـالاً من كتابة الإنشاء .

---

* الدُّرر : ٤/٤٤٩ .

(١) (س) ، (ق) : « سيادته وسياسته » .

(٢) (س) ، (ق) : « الدنيا ضياءً » .

وكان قد عمَّر قاعة صغيرة ، فصنعتُ أنا له أبياتاً كتبت فيها وهي :

دار يـــدرُّ نَـــداهـــا إذا رَأت زائريهـــــا
ويَنزِلُ الضَّيفُ منهـــا بجَنَّـــةٍ يَرْتَضيهـــا[1]
تَكادُ مِن فَرطِ جـــود تَهتزُّ بـــالضَّيفِ تيهـــاً
فكُـــلُّ طـــالـــعِ سَعـــدٍ تَراهُ من نـــازِليهـــا
وللـــوَرى في بنـــاهـــا أزاهِرٌ تَجْتَنيهـــا
وكَم بُـــدورٍ تمـــامٍ من أهلِهـــا تَجْتَليهـــا
والشَّمسُ في أُفقهـــا من بنـــائهـــا وبنيهـــا
لا غروَ إن أدهشَتنـــا وحُسْن يـــوسف فيهـــا

١٩٧٣ ـ يوسف بن أسعد*

الأمير صلاح الدِّين الدوادار .

كان في مبدأ أمره نصف عامل في بيروت على ماقيل ، ثم إنه بطَّل الكتابة وتوصَّل بالجندية إلى أن صار دوادار الأمير سيف الدِّين قبجق ، ثم آل أمره إلى أخذ الأمرة بحلب ، وولي بها الحُجوبية في أيام الأمير علاء الدِّين ألطنبغا الحاجب ، ثم ولي بها شدّ الدواوين ، ثم طلب إلى مصر مرات ، ثم إن السلطان ولاَّه ثغر الإسكندرية عوضاً عن بكتمر والي الولاة في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه ولي منفلوط بالصعيد ، ثم إنه جُعل مشدّ الدواوين بالقاهرة أيام وزارة الجمالي .

ثم عزل وبقي في مصر أميراً ، ثم إن السلطان جهَّزه رسولاً إلى القان بوسعيد ، فعاد وقد أشاع الناس أنه يكون وزيراً ، فلما وصل إلى مصر سُعي عليه ، فبطل ذلك ، فسعى له الأمير سيف الدِّين بكتمر الساقي لَمّا مات الأمير شهاب الدِّين المهمندار ، فرسم له السلطان بالمهمندارية ، فأقام فيها قليلاً .

---

(١) (ق) : « في جنّة » .

* الدُّرر : ٤/٤٤٩ .

ولَمّا توفي الأمير سيف الدِّين ألجاي الدوادار جعله السلطان دواداراً مكانـه ، وكان القاضي شرف الدِّين أبو بكر بن الشهاب محمود قد رُسم له بعده بيو يميات يسيرة بكتابـة السر بمصر ، فقاسى شرف الدِّين منه شدائد ، وأنكاداً كثيرة ، وتوجها صحبـة السلطـان إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهما في ذلـك ، النكـد والشّر ، ولَمّـا حضرا من الحجـاز أقـام القـاضي شرف الـدِّين قليلاً وهو يعمل عليـه إلى أن عُـزِلَ وأُخرج إلى دمشـق ، وبقي صـلاح الـدِّين في الـدواداريـة ، وقـد استطــال على النــاس أجمعين ، واستطـار شرّه خصـوصــاً على الكُتّــاب ، فحسّنـوا للسلطــان أن يخرج كاشف الثغـور الحلبية ، فتعلَّل ، وانقطع في بيته مدة شهرين ، ولَمَّا قام ودخل إلى السلطـان عزلـه في ثاني [عشر][1] شهر رمضان سنـة ثلاث وثلاثين وسبع مئـة ، وحضر إلى صفـد أميراً ، فأقام بها ، ونقل إلى طرابلس ، ثم نُقل إلى حلب ، وجُعل بها والي البر فيما أظن ، ثم إنـه حج بعدما نقل من حلب إلى طرابلس .

وورد الخبر إلى دمشق بوفاته في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكان يكتب خطّـاً حسنـاً ، ولـه مشـاركـة كثيرة[2] في تواريـخ وتراجم النـاس ، وكان كافيـاً نـاهضـاً فيما يتولاّه ، خبيراً بمـا يفوّض إليـه ، إلا أنـه كان مفرط الشّح إلى الغاية .

لومـاتَ من عَطَشٍ والكـوزُ في يَـدِهِ وكانَ مُمْتَـزِجـاً بـالشَّهْـدِ مـا شَرِبـا

إلا إنه رحمه الله تعالى ، وقف داره وهي عظمى بحلب مدرسة على فقهاء المـذاهب الأربعة ، ووقف كُتّاب أيتام بالمدينة[3] .

---

(١) زيادة من (ق) . وفي (س) : « عشري » .

(٢) (خ) : « كبيرة » .

(٣) (خ) ، (ق) : « بالمدينة النبوية » .

وكان يدّعي النظم ، أنشدني من لفظه صلاح الدّين خليل بن رمتاش[(١)] بصفد ، قال : أنشدني من لفظه صلاح الدّين الدوادار[(٢)] وقال إنها له :

ما اللعبُ في النّارِ في الميلاد في سفَهٍ   لكنّما هو للإسلام مَقصودُ[(٣)]
يُراد كبتَ النَّصارى أن ربّهَم   عيسى بنَ مريمَ مخلوقٌ ومولودُ

وكانت عنده كتب عظيمة من كل فن ، وكان إذا كان بطّالاً مثلَ الزلال الحلو البارد ، فإذا ولي ولو حراسة الدرب مثلاً انسلخ من ذلك اللطف ولبس لمن يعرفه ولمن لا يعرفه جلد النمر ، وتحدث بحراسة الدرب في كل ما في الدولة من الوظائف ، قال له يوماً الأمير علاء الدّين ألطنبغا نائب حلب لَمّا ولي الشدّ بعد بطالته : يا صلاح الدّين ما في الدنيا مثلك إذا كنت بطالاً .

قلتُ : ولهذا لم تكن تطول له مدة في ولايته .

١٩٧٤ ـ يوسف بن إسماعيل*

ابن عبد الكريم بن عثمان ، الشيخ الجليل المسند تاج الدّين الحلبي .

سمع من الضياء صقر الحلبي وغيره .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة الخميس ثامن عشر شوال سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، [أجاز لي رحمه الله في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة][(٤)] ، وكتب عنه الشيخ تقي الدّين محمد بن رافع .

(١) في الأصل : « رمتاس » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .
(٢) في (س) ، (ق) : « من لفظة لنفسه » . وفي (ق) : « الأمير صلاح ... » ، وفي (خ) : « صلاح الدّين المذكور » .
(٣) (ق) ، (خ) : « بالنار » .
* الدُّرر : ٤/٤٥٠ .
(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

١٩٧٥ - يوسف بن إسماعيل بن عثمان*

ابن محمد ، الشيخ الإمام [تقي الدّين ابن الشيخ الإمام][١] ، العلامة رشيد الدّين المعروف بابن المعلم .

كان فقيهاً ، درّس بالمدرسة البلخية[٢] مدرسة والده بدمشق ، وكتب في الفتوى ، ثم إنه توجّه هو ووالده في الجفل[٣] إلى الديار المصرية ، وأقاما هناك مدة بجوار الجامع الأزهر .

وتوفي في خامس جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة . وفقده والده ، ثم إنه عاش بعده شهراً واحداً ولحقه بالوفاة رحمها الله تعالى .

١٩٧٦ - يوسف بن أبي بكر**

الصّدر الرئيس الكبير القاضي ضياء الدّين بن خطيب بيت الآبار الدمشقي .

صدرٌ صدره رحيب ، وريِّس ماله في زمانه ضريب ، وكبير يكون الجبل الراسخ عنده صغيراً ، وكريم لا يزال الجود على ماله مُغيراً ، ذو مروءة يسعى أجْرُها بين الصّفا والمروة ، ونفس ما ترى[٤] أن تحلَّ في المجلس إلاّ في الذروة ، منزله كعبة الوُرّاد ، وخِوانه مَنْهَلُ الروّاد ، كان أهل الشام به يجدون الجدا[٥] ، ويجتلون من وجهة قمر الهدى ، ويحتلون من بابه في مراتع الندى[٦] .

---

* الدُّرر : ٤/٤٥٠ .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) الدارس : ١/٢٦٨ .

(٣) كان ذلك سنة (٧٠٠ هـ) . انظر ذيول العبر : ٧٨ ، في ترجمة والده إسماعيل .

** الدُّرر : ٤/٤٨٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٠/٢٣٧ .

(٤) في الأصل : « تربى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) .

(٥) الجدا : العطاء .

(٦) (س) : « بانه » . وفي الأصل : « مراتع الهدى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

إن جـادَ للعـافي أجـادَ وإن سَعى في ضيـقِ طرق للسعـادة وُسِّعا[١]
عن نشرِهِ فـاحَ النَّسيمُ مُعنبِراً وبشُكرِهِ غَنَّى الحمـامُ مُرجِّعـا

انتقل من الشام إلى الدِّيار المصرية بطلب السلطان ، ونسي بإقباله عليه ما ألفه شبابُه في نعيم الأوطان ، وباشر الوظائف الكبار فسدَّها ، وأصلح فسادها وأحكم عقدها بكفاية وأمانة ، وعناية وإعانة ، خلا أن الزمان خانه أخيراً ، وأراه بعد عزِّه يوماً كان من الذُّلِّ عبوساً قَمطريراً[٢] .

فأقام في بيته عاطلاً ، ولم يزل الدهر ببلوغ أمانيه مماطلا[٣] إلى أن أمسى منزل الضياء وقد أظلم ، وراح إلى من هو بسريرته علم .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى[٤] ـ في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة تسع وثمانين وست مئة .

كان أولاً بدمشق في[٥] ديوان تنكز ، وفيه سيادة وعنده رياسة ، داره مألوف الضيفان ، ومأوى الأصحاب والإخوان ، متى جاء الإنسان إلى منزله وجد كل ما يختاره إن كان هو حاضراً أو لم يكن ، يجد جميع ما يحتاج إليه إلى أن يروح ولو أقام جمعة وأكثر[٦] .

ولما تولّى قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني قضاء الديار المصرية في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، طلبه من السلطان ، فأحضره على البريد ، فولاَّه نظر الصدقات الحكميّة والأيتام ، وكان يحضر دار العدل مع القضاة .

(١) (س) ، (خ) ، (ق) : « للسماحة » .
(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ إنّا نَخافُ مِن رَبِّنا يَوْماً عَبوساً قَمْطَريراً ﴾ [الإنسان : ١٠/٧٦] .
(٣) (س) : « ماطلا » .
(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « بالقاهرة » .
(٥) في (خ) ، (ق) : « بياشرني » . وفي (س) : « مباشراً » .
(٦) (خ) : « أو أكثر » .

وساد في القاهرة ورأس ، وأحبه المصريون لمكارمه ومُرُوّته وحلمه ، وولاّه السلطان الملك الناصر محمد مطابخ السكر وولاّه نظر الأهراء مع ما بيده ، وتولّى نظر البيمارستان المنصوري ، فسلك فيه أحسن السلوك ، ورافق[١] فيه الأمير جمال الدّين آقوش نائب الكرك ، وبعده الأمير علم الدّين الجاولي ، وبعده الأمير بدر الدّين جنكلي بن البابا ، ووقع بينهما ، وعُزل [منه][٢] في الأيام الصالحية إسماعيل ، ثم تولاّه ، ورافق فيه الحاج أرقطاي نائب مصر .

وكان قد تولّى أيام الملك الناصر محمد حسبة القاهرة ومصر .

وكان[٣] قبل ذلك محتسب القاهرة مع البيمارستان ، [ولما] كان[٤] الغلاء في سنة ستٍّ وثلاثين وسبع مئة جمع له [السلطان][٥] بين الحسبتين .

ولما خرج القاضي جلال الدّين من القاهرة إلى قضاء الشام تعصّب[٦] شرف الدّين النشو عليه ، وساعده عليه غيره ، وأخذوا منه الحسبتين والصدقات وأبقوا عليه البيمارستان .

فلما كانت أيام الصالح إسماعيل ولاّه نظر الدولة مع البيمارستان[٧] ، فباشر ذلك مديدة ، ولم يتناول معلوماً ، وطلب الإعفاء ، فأعفاه ، ثم ولاه الجوالي[٨] مع حسبة القاهرة والبيمارستان ، ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدّين جنكلي ، فعزل من الجميع في أواخر دولة الصالح ولزم بيته .

(١) في الأصل : « ووافق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) زيادة من (س) ، (ق) .
(٦) في الأصل : « بغضب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .
(٧) قوله : « فلما كانت » حتى ههنا ليس في (خ) .
(٨) في (خ) : « تولاّه » . والجوالي سيأتي بيانها في التقليد الذي كتبه المصنِّف لصاحب الترجمة .

فلَمّا كان في أيام الكامل تولّى نظر البيمارستان والحسبة بالقاهرة ، ثم إن علاء الدّين بن الأطروش نازعه في وظائفه هذه مرات ، وتولاّها ، ثم تعاد عليه ، ثم إن الأمير سيف الدّين صرغتمش اعتمد عليه في الأوقاف بمصر والشام ، وكان يدخل به كل قليل إلى السلطان الملك الناصر حسن ، ويخرج من عنده بتشريف ، وزادت عظمته ووجاهته ، وبالغ في إكرامه وتقديمه على الناس كلهم .

ولما أمسك صرغتمش قُبض عليه ، وضُرب وعُصر ، وأخذ منه شيء قليل ، وأخرجوه إلى قوص ، فتوجه إليها ، وأقام بها سنة وأكثر ، ثم رُسم بعوده إلى القاهرة ، فأقام بها في بيته بطالاً إلى أن توفي .

وكان شكلاً تامّاً غليظاً ، عليه مهابة وله عبسة ، وهو مع أصحابه الذين نعرفهم من ألطف ما يكون ، وما رأيت أكثر رياسة منه ، ومع ذلك طاهر اللسان ، لا يذكر أحداً إلا بخير ، ويعامل صديقه وعدوه بمعاملة واحدة . يملك نفسه ولا تظهر عليه كراهة لأحد ، وصدره على طعامه متسع ، وكان لأهل الشام نِعْمَ الذخيرة ، انتفعوا به كثيراً .

وقلت لَمّا بلغتني وفاته بالقاهرة في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى :

مالنا في سوءِ عَيشٍ عَمَّنا فيه الشَّقاءُ[1]
وعلى الدُّنيا ظلامٌ أترى ماتَ الضِّياءُ

وكان الشيخ شهاب الدّين أحمد بن أيبك الدمياطي قد خرَّج له أربعين حديثاً عن أشياخه الذين سمع منهم في صغره ، وحدَّث بها في داره برأس حارة زويلة بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وكنت فيمن سمعها عليه ، وكتبت أنا عليها تقريظاً نظماً ونثراً ، من جملة ذلك :

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

كريمٌ سادَ بالأفضال حتّى غَدا في مَجدِهِ بادي السَّناء
لهُ ذِكرٌ يطبِّقُ كُلَّ أرضٍ فَيَملأُ جَوَّها طيبُ الثَّناء
فَما تَخفى عُلاهُ على بَصيرٍ وإن تَخفى فذو حَسدٍ مرائي
«وهَبني قلتُ هذا الصُّبحَ ليل أيَعْمى العالِمونَ عنِ الضِّياء»[1]

ولما كنت بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة كتبت له عن السلطان الملك الصالح إسماعيل ـ رحمه الله تعالى ـ توقيعاً بنظر الجوالي بالقاهرة ومصر والوجهين قبليّاً وبحريّاً ، ونسخته :

الحمد لله الذي جمّل أيامنا الشريفة بضيائها ، وكَمَّل دولتنا القاهرة[2] بمحاسن أوليائها ، وجعل نعمنا الغامرة تكاثر الغمام بآلائها ، وضَوّا ممالكنا العامرة بمَن يجمّل النظر فيما يتولاّه من نواحيها وأرجائها .

نحمده على نعمه التي لا تزال تجول وتجود ، وتروم اختصاصنا بالمزيد من كرمها وترود ، وتؤم حرمنا بأفضالها فتصول بنصول النصر على الأسود وتسود ، وترد على حمانا الرحب فتجود بوافر أحسابها[3] على أهل التهائم والنجود .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترغم من الكفار معاطسهم ، وتجذّ[4] بحدّها منابت بهتانهم ومغارسهم ، وتحسم بحسامها أبطال باطلهم وفوارسهم ، وتهدم بإقامة منار الإسلام معابد ضلالهم وكنائسهم .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أعرض عن متاع الدنيا ، ورغب فيما أعدّ الله له في الآخرة من المقام المحمود والدرجة العليا ، وشُغل بذكر الله تعالى في اليقظة وقلبه في الرؤيا ، وقام في نصرة الحق يسعى فشكر الله مقاماً وسعياً .

(١) البيت الأخير للمتنبي ، ديوانه : ١/١٠ .
(٢) (خ) : « الباهرة » .
(٣) (س) : « إحسانها » .
(٤) أي : تستأصل .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه خير سبيل وفازوا لما اتَّبعوه بالفخر المعظم والمجد الأثيل ، ونصروا الدين الحنيف بطعن الأسمر المثقف ، وضرب الأبيض الثقيل ، وعزَّ وجود مِثْلِهم لما ضرب مثلهم في التوراة والإنجيل ، صلاة لا يبلغ العددُ أمدها ، ولا يُنفِذ الزمنُ مُدَدها ، ما تبسَّم ثغر صباح عن لعس ظلام ، وتنسم روض أرض عن نفس شيخ أو ريح[1] خزام ، وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد

فإن المناصب تعلو بمن يلي أمرها ، وتشرف على غيرها بمن يعظِّم الناسُ لأجله قدرها ، وتفوق بمَن يُطلع في ليالي[2] التمام والكمال بدرها ، وتكبُر بمَن إذا تحدث فيها أجرى بالأموال والأمواه بحرها ، وتفخَرُ بمن إذا تولى نظرها جمع نفعها ومنع ضرها ، ونظر الجوالي التي[3] في الوظائف الدينية عدادها[4] ، وإلى القُرَب السَّنيَّة معاجها ومعادها ، وإلى الشرع الشريف ميلها[5] واستنادها ، وبسيفنا الذي تجرده مهابتنا انتصارها واعتضادها ، لأنه استخراج مالٍ قد تقرَّر شرعاً ، وأخصب في الحل[6] مرعىً ، ودرَّ بالبركات ضرعاً ، واتسع به الإسلام صدراً لَمّا ضاق به الكفر ذرعاً ، وقرَّت به عيون الدين ، وكيف لا تقر العين إذا أخذت من[7] عدوها وهو لا يستطيع منعاً ، لا يدخل الحول على ذمّي إلا جاء إليه من يطلب الجالية ، وأحاط به الذُّلّ الذي

---

(١) (خ) ، (ق) : « أو أريج » .
(٢) (خ) : « ليل » .
(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « .. الجوالي من الوظائف التي .. » .
(٤) (س) : « عددها » .
(٥) في الأصل : « مثلها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) (خ) : « المحل » .
(٧) في (س) ، (ق) : « .. لا تقر إذا أخذت العين من .. » .

يقول معه ﴿ ما أَغْنَى عَنِّي مالِيَه ﴾[١] ، وتجددت له حـال[٢] حـالكـة وحـالـة الإسلام حالية ، على أن أهل الذمة في الذلّة ماهرون ، وتمام المصيبة أنهم يعطون الجزية عن يـدٍ وهم صاغرون[٣] .

وكان المجلس العـالي القضـائي الضيـائي أبـو المحـاسن يـوسف مِمَّن جمَّـل الـدول ، وأسعفته الأيام بمراده حتى كأنها له من جملة الخول ، وفخر زمـانـه بوجود مثلـه ، وشهـد حتى حسّاده بوفـور فضلـه ، وأجرى الله تعـالى نهر دُرْبتـه فكان غير آسن ، وبهر حُسْن أوصافه حتى صدق من قال : إن يوسف أبو المحـاسن ، ورفع الله خبَرَه فـانتصب تمييزاً ، ومضت له مدة في الشام والسعدُ يقول : هذا في مصر يكون عزيزاً ، وخُطب إلى الديار المصرية فوردها وحلَّ بها فحلَّ الأمور تصرفاً وعَقَدها ، وولي المنـاصب العليّـة ، وبـاشر الوظائف السنيَّة ، أحسن نظره في الأوقاف [وأجرى أمورها على أجمل الأوصاف][٤] ، ونظر في أموال الأيتـام فنما[٥] حـاصلهم وربـا ، وأجمل المعـاملـة لهم فما انتهى لهم سبب إلا أتبع سبباً ، وتولّى نظر البيمارستان المنصوري فغَمَرَه بحسن النظر وعَمَره ، وأثَّر فيـه بنياناً لألأ الضيـاء[٦] شمسـه وقمره ، وزاد أوقـافـه ريعـاً وملكاً ، ونظم درَّ تـدبيره الجميل سلكاً ، وباشر الحسبة الشريفة ، فكانت بمعارفـه أليق وأشبـه ، وأصبح قـدرهـا بولايتـه أنبل وأنبه ، وروّع أصحاب الغش بمهابته ، وما لكل محتسب عند الناس[٧] حسبـه ، إلى غير ذلك من نظر الأهراء[٨] التي ملأها حبّاً ، وصبَّ الله البركات فيهـا بنيتـه الطـاهرة صبّاً ، ونظر دار القنود التي حلَّت بحديثه فيها ، وتميز ارتفاعهـا جُملاً تُعْجِز واصفيهـا .

(١) سورة الحاقة : ٦٩/٢٨ .

(٢) (خ) ، (س) : « حاله » .

(٣) في التنزيل : ﴿ حَتَّى يُعْطوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وهُم صاغِرونَ ﴾ [التَّوبة : ٩/٢٩] .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « فيمن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق « بالضياء » .

(٧) في الأصل : « الله » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٨) (خ) : « الأوقاف والأهراء » .

هـذا إلى صـدر رحيب ، وخلـق مـالـه مُشـاكل ولا ضريب ، وثنـاء هـو[١] في الـذكر أبو الطيب ، ووجـه إلى القلـوب حبيب ، فكأنـه كعبـة قصّـاد ، ومنزل روّاد ، ومنهـل ورّاد ، وحِلبة جود سَبَق فيها حاتمـاً هـذا الجواد . قـد تورّع عن المنـاصب الـدنيويـة ، وعرضت عليه أيامنا الشريفة وأيامَ والـدنـا الشهيـد فلم يكن لـه فيهـا رغبـة ولا نيَّـة ، وندبناه لنظر دولتنا الشريفـة ، ورقينـاه[٢] ذُرا شرفـاتهـا المنيفـة ، فجعل نجوم أموالهـا أهِلّة ، وأمطر سحائبها المستهلّة ، وأعرض عنها فما بـاشرهـا إلا تحلّـة[٣] ، ولوى جيـده عنها واستعفى ، ورنّق الإهمال في ناظره حتى أغفى ، فأجبنا قصـده وأعفينـاه ، وعلمنـا تورّعه فآثرنا راحته إلا بمـا استثنينـاه ، وخبـأنـا لـه عنـدنـا مـا ينـاسب مراده ويوافق اجتهـاده ، ويعـاضـد اعتماده ، علمـاً بإعراضـه عن[٤] العرض الأدنى ، وزهـداً فيا وِزْرُه يبقى وحطامه يفنى .

فلذلك رُسِمَ بـالأمر الشريف العـالي المولويّ السلطـاني الملكي الصـالحيّ العمادي أن يفوّض إليـه نظر الجوالي بمصر والقاهرة المحروستين والوجه القبلي والوجه البحري مضافـاً إلى مابيده .

فليبـاشر مـا فُـوّض إليـه مبـاشرة عهـدت من حسن اعتماده ، وشُهـدت من وافر اجتهاده ، وهو بحمد الله غنيٌّ عن الوصايا التي تشير إليها أنامل الأقلام ، وتخفق بها من قعقعـة الطروس أعلام ، فمـا نعلّم عوانـه[٥] فيهـا خِمرَة ، ولا نُطلِع في أفق هـذا التوقيـع نجماً ، ولو شـاء[٦] أطلع شمس الصواب وبَـدْره ، ولكن تقـوى الله تعـالى مـلاك الأمـور

(١) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، ق .
(٢) في الأصل : « ووفيناه » ، وأثبتنا في س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) التَّحلّة : ما يُكفّر به .
(٤) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « خوانه » ، وأثبتنـا مـا في (س) ، (خ) ، (ق) . وهو من أمثـالهم ، وقـد سلف في غير موضع .
(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ولو شاء هو .. » .

المهمّة ، والوصايا[١] التي إذا راعاها الإنسان لم يكن أمره عليه غُمَّة ، فليجعلها لعينه نصباً ولقربه من الله قُربى .

والله تعالى يُديم صونه ، ويجدِّد في كل حال عونه .

والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

١٩٧٧ ـ يوسف بن أبي البيان*

رشيد الدين مقابل الاستيفاء بصفد .

كان شيخاً قديم الهجرة ، وكان يهوديّاً أولاً ، وخدم عند أرجواش ، ثم عند التلاوي ، وأسلم اختياراً من غيره إكراه ، لأنه كان يجتمع بالشيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، والشيخ صدر الدين بن الوكيل .

وكان شيخاً وادعاً لا شرَّ فيه ، يحتمل الأذى ولا يكافي عليه ، قال : قال لي يوماً الشيخ تقي الدِّين بن تيميَّة : يا رشيد ، قال ابن حزم : أول كذبة كذبها بنو إسرائيل أنهم زعموا أنهم دخلوا إلى مصر في زمن يوسف الصديق ، وهم اثنان وسبعون نفساً ، وخرجوا منها مع موسى لَمّا فروا من فرعون ست مئة ألف ، قال : وكنت إذ ذاك يهودياً ، فقلت له : يا سيدي هذا ابن حزم كان نبياً ؟ فقال : لا . قلت : ولا كان من الصحابة ؟ قال : لا . قال[٢] : ولا من آل بيت النبي[٣] ؟ قال : لا . قلت : هذا ابن حزم ما كان يعرف اثنين واثنين أربعة ؟ فقال : لأي شيء ؟ قلت : ما يعلم مولانا أن رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتاً ، وإذا وضعت في الأول عدداً واحداً وفي الثاني

(١) (س) ، (خ) ، (ق) : « والأمور » .

* الدُّرر : ٤٨٣/٤ .

(٢) (خ) : « قلت » .

(٣) (خ) ، (ق) ، (س) : « النبوة » .

اثنين وفي الثالث أربعة وفي الرابع ثمانية وهلمَّ جرّاً ، هكذا تضاعف العدد في كل بيت فبلغ[١] العدد أخيراً ثمانية عشر ألفاً ستّ مرّات ، وأربع مئة وستة وأربعين ألفاً ، خمس مرات ، وسبع مئة وأربعة وأربعين ألفاً أربع مرات ، وثلاثة وسبعين ألفاً ثلاث مرات ، وسبع مئة وتسعة آلاف مرتين ، وخمس مئة واحداً وخمسين ألفاً وست ئمة وخمسة عشر عدداً ، ومع ذلك فبنو إسرائيل إنما عدّوا[٢] الرجال ، وأما النساء والصبيان والأشياخ الذين[٣] هرموا فلم يذكرونهم . فقلت له : إنا يا مولى[٤] رشيد الدين : قوم يخرجون في عدة ألف ألف نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون ، على ماذا حملوا زادهم ؟ وأيّ ماءٍ إذا نزلوا عليه كفاهم[٥] ، هذا بعيد من العادة . فلم يحر جواباً . فقلت له : أنا أتبرع لك بالجواب ، وهو أنهم كان معهم موسى صلوات الله عليه ، وبيده العصا التي يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وعناية الله تعالى بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون إليه من كل شيء ، وعلى الجملة فالذي استبعده ابن حزم لا ينكر ، لأن هذا عدد كثير على ما يزعمونه .

وكان هذا رشيد الدين يحفظ كثيراً من (ديوان العفيف التلمساني) ، وأظنه رآه واجتمع به ، وكان بيني وبينه صحبة ومودة .

ولما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بصفد في ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وكان قد عدّى الثمانين . حكى لي قال : رأيت في النوم كأنني قد أكلت اثنين وثمانين مثقالاً من الدرياق ، والأطباء يقولون : إن كل مثقال لسنة ، فلعلّي أعيش هذا العدد ، فعدّى الثمانين ، وربما تجاوز عدد المثاقيل ، وكان شيخاً طوالاً ، ولم يتزوج عمره .

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « فيبلغ » .
(٢) في الأصل : « عدوا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .
(٣) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (ق) ، (خ) : « يقوم بكفايتهم » .

ولما توفي رحمه الله تعالى أخبرني بوفاته القاضي جمال الدين عبد الله الكاتب ، وهو ابن أخت المتوفى ، وهو إذ ذاك شابّ يانع غض الشبيبة ، فاشتغل خاطري عامة ذلك النهار بالقاضي رشيد الدين رحمه الله تعالى ، فلما نمتُ رأيتني في المنام وأنا كأني أنشد الحكيم الفخر الطبيب ابن أخت رشيد الدين أيضاً وهو إذ ذاك شابٌّ أيضاً :

النّاسُ إمّا قادِمٌ في مَهْدِهِ ... أو راحِلٌ في نَعْشِهِ يُتَحاشى
هذا لِزهرةِ هذه الدُّنيا أتى ... غَضّاً وهذا قد ذَوى وتَلاشى

فانتبهتُ وأنا أذكرها ، وأعجبني هذا المعنى ، ونظمت فيه في اليقظة ، فلم ألحق هذه الطبقة ، لكن فيه مقابلة أربعة بأربعة . وهو :

أرى أنَّ البريَّة وفد زَهرٍ ... وفعلَهُم تَطابَقَ بالتَّساوي
فَهذا قَد أتى في المهدِ غَضّاً ... وهذا راحَ فوقَ النَّعشِ ذاوي

١٩٧٨ ـ يوسف بن حمّاد*

الشريف جمال الدين الحسيني المشهدي الإمامي ، شيخ الشيعة ومفتيهم .

حجَّ مرات ، وجاور بمكة[(١)] ، وله نظم .

مات في المعترك سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٩٧٩ ـ يوسف بن دانيال**

ابن منكلي بن صرفا ، القاضي الإمام الفاضل بدر الدين ابن القاضي ضياء الدين .

---

* الدُّرر : ٤/٤٥٢ .

(١) في (ق) ، (س) : « البيت » .

** الدُّرر : ٤/٤٥٢ .

تقدم ذكر والده في حرف الدال ، التركماني الكركي قاضي الشوبك .

كان فقيهاً فاضلاً ، قرأ على الشيخ تاج الدين ، وعلى ولده . وأقام بالكرك مدّة يُفتي ويُدرّس ، ثم ولي القضاء بالشوبك .

وكان حسن الشكل مليح الهيئة ، فيه كرم ومروّة ، وسمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن البخاري ، ومن والده وغيرهم . وحدَّث بدمشق والكرك والشوبك .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثاني شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

١٩٨٠ - يوسف بن داود بن عيسى*

ابن محمد بن أيوب ، الملك الأوحد نجم الدين أبو المحاسن ابن الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر ابن الملك المعظم شرف الدين ابن الملك العادل أبي بكر .

كان من أعيان أولاد الملوك وأكابرهم المشهورين بالفضل والديانة والجلالة والمكانة والتقدم في المجالس عند الملوك ، وكان يُحْسن إلى الضعفاء والمرضى ، يفرّق عليهم الأكحال والأدهان وغير ذلك بالقدس .

وتوفي سنة ثمانٍ وتسعين وست مئة بالقدس ، ودفن برباطه بالقدس[(١)] عند باب حطّه .

ومولده في سنة ثمان وعشرين وست مئة .

---

* العبر : ٥/٣٩٠ ، والبداية والنهاية : ١٤/٥ ، والشذرات : ٥/٤٤٣ .

(١) ليست في (س) .

١٩٨١ ـ يوسف بن رزق الله*

القاضي جمال الدين الموقع ، هو ابن أخت القاضي شرف الدين بن فضل [الله][١] وأخيه القاضي محيي الدين .

أظنه باشر الجيش مدة ، ثم إنه انتقل إلى كتابة الإنشاء ، ورُسِم له في وقت بكتابة الدرج في حماة عوضاً عن نجم الدين بن قرناص ، ولكن لم[٢] يمكّن من المباشرة . ثم إن الأمير سيف الدين تنكز جهَّزه إلى غزّة موقعاً ، فأقام بها مدة ، ثم إنه نقل إلى توقيع صفد ، وأقام بها مدة ، ثم إن تنكز نقم عليه[٣] وعزله ، وأقام بطّالاً ، عزله بعلاء الدين بن نصر الله ، ولَمّا أُمسك تنكز طلع القاضي جمال الدّين إلى مصر ، وعاد إلى الوظيفة بصفد .

ولم يزل بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة . وكان قد ثقل سمعه ، وأما باقي حواسه فإنه تمتع بها ، ولعله قارب التسعين ، وهمّته كما كان ابن ثلاثين سنة .

وكان فيه كرم ومروّة وعِشرة ، ودُفِنَ بصفد ومات له بدمشق ولدان[٤] كانا شابين مليحين ، صبر على مصيبتهما ، واحتسب .

وأنشدني من لفظه لنفسه في سنة أربعين وسبع مئة بدمشق :

بَدا لَنا ينفخ عُثْنونه ... وكبَّر العِمّة واللِّحيه
وعنفص الأنفِ لأفسو به ... فجئتُ افسو طلعت خريه[٥]

* الدُّرر : ٤/٤٥٣ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) (ق) ، (س) : « قرناص ولم » .

(٣) في (ق) ، (س) : « نقم عليه شيئاً وعزله » .

(٤) في الأصل و(س) : « ولدين » ، وعبارة (ق) ، (ط) : « ودَفَنَ بصفد وبدمشق ولدَيْن » .

(٥) العَفَص : الالتواء في الأنف . والتعنفص : الصّلف والخيلاء .

١٩٨٢ - يوسف بن سليمان*

ابن أبي الحسن بن إبراهيم ، الفقيه الأديب الشاعر الخطيب الصوفي الشافعي النابلسي .

نشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين اليماني ، وقرأ النحو على الشيخ نجم الدين القحفازي وغيره ، وحفظ (التنبيه) فيما أظن .

كان شاعراً قادراً على الارتجال ، ماهراً في[1] الإقامة على المعاني الجيدة والارتحال ، ينظم القطعة على ما يُطلب منه بديهاً ، ويجيد الإتيان بها والتَّصرُّف فيها .

وكان لذيذ المفاكهة ، جميل التخلف والمواجهة ، صحب الناس وعاشرهم وجاملهم بالودّ وكاشرهم ، وحاسنهم وما خاشنهم ، وشاجنهم وما شاحنهم ، وصافاهم وما نافاهم[2] ، فاشتمل الرؤساء على ودّه ، والتقطوا من منادمته جنيَّ وَرْده ، وكان كما قال الحريري[3] :

وعاشَرت كلّ جليس بما يُلائمُه لأروق الجليسا
فبين الرّواةِ أدير الكلا م وبينَ السُّقاة أدير الكؤوسا

وكان مليح النادرة ، سريع الجواب في البادرة ، وتنسّك في آخر عمره وحَسُن حاله في نهاية أمره ، وخطب فأشجى القلوب ، ونَدِّم على ما ندَّ من الذنوب .

ولم يزل على حاله أن خلا من مقامه المنبر ، وما ذكره صاحبُه إلاّ استعبر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثامن عشر[4] شهر ربيع الآخرين سنة خمسين وسبع مئة في طاعون دمشق ، انقطع يومين لا غير .

---

* فوات الوفيات : ٣٤٣/٤ ، والدُّرر : ٤٥٣/٤ .

(١) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ووافاهم وما جافاهم » .

(٣) في المقامة الطبيعية . وفيها : « فعند الرواة .. » .

(٤) (خ) : « عشري » .

وحج في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه حج في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، عقيب موت ولده سليمان ، فإنه حصل له ألم كبير بوفاته ، وما رأى لنفسه دواءً غير الحج .

وكان شاعراً يجيد المقاطيع لفظاً ومعنىً ، وله في ذلك بديهة مطاوعة ، وفكرة متسرعة ، وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله قد جدَّد رسوم البدرية[١] التي في أرض مَقْرى[٢] ، وعمّرها في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وقرَّر فيها خطبة يوم الجمعة ، وجعل هذا جمال الدين[٣] خطيباً بها ، فهو أوّل من خطب بها ، وكان أول يوم خطب به يوماً مشهوداً ، اجتمع له القضاة والعلماء ووجوه الناس والأعيان ، وعمل القاضي شهاب الدين ذلك النهار طعاماً كثيراً ، وخلع فيه الخلع السنيَّة ، وخطب جمال الدين المذكور خطبة جيِّدة فصيحة الألفاظ بليغة المعاني ، واستمرَّ إلى أن مات ـ رحمه الله ـ وهو يخطب من إنشائه .

وكتبت له توقيعاً بالخطابة ، ونسخته :

رُسِمَ بالأمر العالي لا زال يكسو المنابر جمالاً ، ويُكسب أقمار الوجوه من الخطباء كمالاً ، أن يُرتّب المجلس السامي جمال الدين في كذا ثقة ببلاغته التي يرف على مياهها ريحانُ القلوب ، وفصاحته التي يكاد لفظها لمن يذوق يذوب ، وبراعتِه التي إذا قال : « أيها الناس » فقد غزا الأسماع بجيش غير مغلوب ، وعظاته التي إذا فاه بها بكى الناسُ ليوسف بأجفانِ يعقوب ، وعبارته التي نسج منها ابن المنيِّر[٤] على خير أسلوب ،

---

(١) المدرسة البدرية قبالة الشبلية التي بجبل قاسيون . الدارس : ٣٦٥/١ .

(٢) قرية من نواحي دمشق اندثرت بكاملها . (معجم البلدان) ، وانظر فهارس ابن رافع : ٢٤٦/٢ .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « الصوفي » .

(٤) أحمد بن محمد بن منصور ابن المنير الإسكندراني ، له ديوان خطب (ت ٦٨٣ هـ) . فوات الوفيات : ١٤٩/١ .

ومقاصدِه التي قطفَ ابن نباتة زهره[١] من روضها المحبوب ، لأنه في هذا العصر بحمد الله تعالى أفضل[٢] مَنْ عَفَّ ومَن بَرَّ ، وأفصحُ خطيب لو كُلف مشتاق فوق ما في وسعه لسعى إليه المنبر[٣] .

فليباشر ذلك مباشرة يُعقد على فخرها الإجماع ، وتُشنَّف بدُرِّها الأسماع ، ويثق من إحسان هذه الدولة ببلوغ مناه ، وإزالة عناه ، وإزاحة ما يحجبُ غناه . فطالما خلت وظيفة كان يظنها له ملاذاً ، وشغر منصب استسقى منه[٤] رذاذاً ، ولاح رزق قلب[٥] وجهه في سمائه ، وهذه الولاية[٦] تقول : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾[٧] ، إلى أن لمع به[٨] شهاب تألق ، وأغدق وابل جوده الذي فاض وترقرق ، فرقاه خطيباً ، وهزَّ بلطفه المنبر غصناً رطيباً ، وضوَّع أرجاءه بأرجه حتى قيل إنه ضمّخ[٩] طيباً فليُجْرِ بعظاتهالزاجرة[١٠] سحب المدامع ، ويوقظ البصائر بإرشاده من كل ذي طرف هاجع ، ويُميل عِطف من يسمعه فإنه على غصن منبره بلبلِ حُلّته[١١] بلبلٌ ساجع . وليستدرج القلوب الطائرة إلى لقط حب التوبة ، ويستخرج خبايا الندم على مافات ،

---

(١) في (خ) : « زهرها » . وابن نباتة السعدي الفارقي صاحب ديوان الخطب المشهور ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) (خ) : « أضعف » .

(٣) يشير إلى قول البحتري :

فلو أنَّ مُشتاقاً تكلَّف غير ما ... في وُسعه لمشى إليك المنبر

(٤) في (س) ، (ق) ، (خ) : « استقى من وبله رذاذاً » .

(٥) في الأصل : « ولاح درق قلت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « الولادة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وفي (خ) : « الوظيفة » .

(٧) سورة يوسف : ٢٩/١٢ .

(٨) في الأصل : « بلغ به » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٩) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « إنه صم خطيباً وضمخ طيباً » .

(١٠) في الأصل : « الزاخرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(١١) في الأصل : « جلته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

فكم للنفوس من أوبة بعد عظيم الحوبة ، ويغسل درن الذنوب بذكر الممات فكم لصخر القساوة به من لين وذَوْبَة . وإذا وعظ فلا يعظ إلا نفسه التي يمحضها النصيحة ، وإذا ذكّر فليذكر في ذلك الجمع انفرادَه إذا سكن ضريحه ، فإن ذلك أوقعُ في نفسِ السامع ، وأجلبُ لسَحِّ الجفن الهامي بالدمع الهامع ، وليأخذ لذلك طيبه العاطر وزينته ، ويرقى درج منبره بوقاره الذي لا تُزعزع الرياح سكنيته ، وليبلِّغ السامعين بإفهام واقتصاد ، ويذكِّرهم بتقوى الله تعالى والموت والْمَعاد .

وليأت بأدب الخطيب على ما يعلمه . ويَحْذر من تقعير اللفظ الذي يكاد أن يُعْربه فيُعجمه[(١)] ، وتقوى الله تعالى جُنّة واقية ، وجَنة راقية ، وسنّة باقية ، فليلبس حلّة شعارها ويُعْلي[(٢)] منازه منارها ، والله يليِّن لمقاله جامد القلوب ، ويَمْنح[(٣)] بعظاته ما سود الصُّحف[(٤)] من الذنوب .

والخط الكريم أعلاه ، حجة بمقتضاه ، والله الموفق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكان القاضي محيي الدين بن فضل الله لما تولّى كتابة السر بعد شمس[(٥)] الدين بن الشهاب محمود قد رتّب جمال الدين المذكور في ديوان الإنشاء كاتب الغيبة على الموقعين ، وكان يحضر الديوان بكرةً وعصراً ، ويكتب اسم من تغيَّب ، ويؤخذ من كل من غاب من جامكيته ما يخص كل يوم ، ولازم الديوان مدة فتاقت[(٦)] نفسه ليكون من

(١) يشير إلى قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلّمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجمه

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٥٧/٤ .

(٢) في الأصل : « ويقل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ويسح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (خ) : « من الصحف » .

(٥) (خ) ، (ق) ، (س) : « القاضي شمس » .

(٦) (خ) ، (ق) ، (س) : « ولازم الديوان لذلك فتاقت » .

جماعة الجماعة في الموقعين ، وأخذ يرشّح نفسه لذلك وينجمع عن الناس ، وخلع ذلك الثوب الذي كان لبسه[١] ، فسلَّطوا عليه الفخر عثمان النصيبي الذي كان يدخل إلى تنكز ، ويُمسخر بالناس عنده ، فدخل يوماً إلى تنكز وقال : يا خوند هناك[٢] صبيّ وما أقدر أعمل شغلاً إلا به ، فقال : اطلبوه ، فطلب في الحال ، فأحضر ، وأخذ عثمان يُمسخر وينزل في قذاله ، فتألم جمال الدين المذكور لذلك ألماً عظيماً وكاد[٣] يسافر من دمشق ، وتيقظ له جماعة الشعراء في ذلك العصر ، ونظموا فيه مقاطيع كثيرة ، وجمعها زين الدين عمر بن الحسام[٤] الشاعر ، وعملها صورة مقامة ، وكتب بها نسخ كثيرة ، ومما نظم في هذه الواقعة[٥] :

يوسف الشاعر من نقصه ... يروم جهلاً رتبة الفاضل
تطلّب التوقيع في جلّق ... فجاءه التوقيع في الساحل[٦]

وأنشدني من لفظه لنفسه في فرس أدهم :

وأدهم اللون فات البرقَ وانتظرَهْ ... فغارت الريحُ حتّى غلَّبتْ أثَرَهْ
فواضِعٌ رجلَه حيثُ انتهت يده ... وواضعٌ يَدَه أنّى رَمى بَصَرَهْ
شَهمٌ تَراهُ يُحاكي السّهم مُنطلِقاً ... ومالَه غَرَض مُستَوقف خبرَهْ[٧]
يعقِّر الوحشَ في البيداء فارِسُه ... وينثني وادِعاً لم يستثِر غَبرَهْ[٨]
إذا توقَّل قطب الدين صهوتَه ... أبصَرْتَ لَيلاً بَهيماً حامِلاً قمَرَهْ

---

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « وانعزل » .
(٢) (ق) ، (خ) : « هُنا لي » .
(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٤) هو عمر بن آقوش ، سلفت ترجمته .
(٥) في الأصل : « الرقعة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٦) يكنون بذلك عن الصفع على القفا .
(٧) في الفوات : « سهم » .
(٨) هذا البيت ليس في الفوات .

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قــد مَضَتْ ليلــةُ الــوصــالِ بحــالِ　　قصّرت عن محصّــل الأزمــــانِ
أخبرتنــــا أنَّ الــزَّمـــانَ جميعـــاً　　قـــد تَقَضَّى في ليلـــةِ الهجرانِ (١)

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يعيبــونَ مَن أهــوى بكسرة جفنِــهِ　　وعنـدي لهذا العَيب قـد تمّ حُسْنُـهُ
فقلتُ وما قَصدي سِوى سيف جفنـهِ　　إذا دامَ فتكُ السيف يُكْسَر جفنـهُ (٢)

وأنشدني أيضاً ما قاله في بستان الصّاحب شمس الدّين :

ودولاب يحنُّ بجسٍّ عُـــــــــودٍ　　على وَتَرٍ يســـــــاسُ بغيرِ جَسّ (٣)
فلَمّــــا أنْ بَــــدَت منــــه نجـوم　　حَكَى فلكاً يـــدورُ بسعـــدِ شمسِ

وأنشدني من لفظه له في مليح ينظر في مرآةٍ :

سَقيــــاً لمرآةِ الحبيبِ فـــإنَّهـــا　　أمسَت لطلعَتِــهِ البهيّـــةِ مَطلَعـــا
واستقبلَت قمَرَ السَّماء بـــوجهِـــا　　فـــأرَتني القمرَيْنِ في وقتٍ معـــاً

وأنشدني من لفظه وكان الغَزّي يدَّعيها :

كأنَّ السَّحـــابَ الغرَّ لَمّـــا تَجَمَّعَت　　وقــد فرقت عنّـا الهمــوم بجَمْعِهـا
نيـاق ووجـه الأرض قعب وثلجهـا　　حليب ومرّ الريـح حـالب ضرعهـا

وأنشدني أيضاً ، والغزّي يدّعيها :

ونـوّار خشخـاش بكرنـا نـزوره　　وقـد دُهش الرائي لحسن صفـوفـه (٤)
تغنّى بـه الشُّحرورُ من فرطِ وجـده　　فنَقَّـط بـاليـاقـوتِ مـلء دفـوفـه

(١) (خ) : « عن الزمان » .
(٢) في الأصل : « سوى كسر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) ، والفوات .
(٣) (خ) والفوات : « حسّ » .
(٤) في الفوات : « صنوفه » .

وكنت قد سمعت له وأنا بصفد في حدود العشرين وسبع مئة :

كأنَّ ضوءَ البدرِ لما بَدا ونورهُ بينَ غصونِ الغصونْ
وجهُ الحبيبِ زارَ عُشّاقَهُ فاعترضَتْ من دونِهِ الكاشِحونْ

ونظم زين الدين عمر بن داود الصفدي أيضاً في ذلك قطعة ، وقد تقدمت في ترجمته فأعجبني نظم جمال الدين ، وقلت أنا فيه :

كأنما الأغصانُ لَمّا انثَنَت أمامَ بدرَ التَّمِّ في غَيهبِهْ
بِنْتُ مليكٍ خلفَ شِباكها تفرَّجت منهُ على موكبِه[1]

وقلت أيضاً :

وكأنَّما الأغصانُ تثنيها الصَّبا والبدرُ من خَلَلٍ يَلوحُ ويُحجبُ
حَسْناء قد عامَت وأرخَت شَعرَها في لجَّةٍ والموج فيهِ يلعبُ[2]

وقلت أيضاً :

وكأنَّما الأغصانُ في دوحِها يلوحُ لي منها سَنا البدرِ
ترسٌ من التِّبرِ غَدا لامِعاً يَقيسهُ أسودَ بالشّبرِ

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « مكوك الحايك » .

أيا مَن فاقَ في الآدابِ حتّى أقرَّ بفضلِهِ الجَمُّ الغفيرُ
وأحرَزَ في النّهى قصباتِ سبقٍ فدُونَ محلّهِ الفَلكُ الأثيرُ[3]
وأطلعَ في سَماءِ النَّظمِ زَهراً يَلوحُ فمَن زهيرٌ أو جريرُ

(١) في الفوات : « بنت مليح » .
(٢) في الفوات : « فيها » .
(٣) في الفوات : « في المنى » .

قطعت أولي النُّهى في البحثِ سَبقــاً ... فمـــالَـــكَ في منــــاظرة نَظيرُ[١]
إذا أغرَبَت في الإعراب وَجْهـــــــاً ... فكَم ثلجت بمـا تبـدي الصـدور[٢]
وإن قيــــلَ المعمَّى والْمُـــــورّى ... فـذهنـــكَ نـافـد فيــه بصيرٌ[٣]
وهـا أنـا قـد دعـوتـك للتَّحـاجي ... لأنَّــــــك في الحجى طَبٌّ خبيرٌ
فمـــا ســـاعٍ يُرى في غيرِ أرضٍ ... ولا هُـــو في السَّما ممَّـــا يطيرُ
تَراهُ مردّداً مـــــــا بين طردٍ ... وعكسٍ قصَّرت عنــــهُ الطُّيـــورُ
ويُلْطَم كلَّما وافى مَــــــــداهُ ... ويُسْحَبُ وهـــو مَغلـــولٌ أسيرُ
وتُنزع كلّ آونـــــةٍ حشـــــاهُ ... ويُلقى وهـــو للبلـــوى صبـــورُ
ويُرْشف بعـدَ ذلـــكَ منـــهُ ثغر ... ولا عَـــذْبٌ هنـــاكَ ولا نميرُ
إذا مـــا ســـارَ أثَّر في خطـــاهُ ... طرائـــق دونَهـــا الرّوضُ النَّظيرُ
يجرُّ إذا سعى ذَنبـــاً طـــويـــلاً ... ويَفْتُر حين يعلـــوهُ قصـــور[٤]
ويُسْمَـع منـه عنـد الجري صـوتٌ ... لـــهُ في صـــدرِهِ منـــهُ خَريرُ
قليـلَ الْمَكْثِ كَم قـد بـاتَ تُطْـوى ... لـــهُ من شُقَّـــة لَمّـــا يطيرُ[٥]
ويفترِشُ الحريرَ ويرتـــديـــه ... غطـــاء وهـو مـعَ هـــذا فقيرُ
وتَظهرُ في جـــوانِبــــه نجـــومٌ ... وفي أحشـــائِـــهِ فلـــكٌ يَـــدورُ
فـأوضـح مـا ذكرت فغيرُ خـافٍ ... على مجمـوعِ فضلِـــكَ مـــا أشيرُ
ودُمْ في نَعمـــةٍ وسعـــود جَـــدٌّ ... وعــزٌّ مــا سقى رَوضــاً غـديرُ[٦]

فكتب الجواب في أسرع وقتٍ :

---

(١) في الفوات : « أولي النهى والفضل بحثاً » .
(٢) في الفوات : « أعرب » .
(٣) (خ) والفوات : « ناقد » .
(٤) (ق) ، (خ) ، (س) : « يعروه » .
(٥) (ق) ، (خ) ، (س) والفوات : « يسير » .
(٦) في الأصل : « وسواد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) والفوات .

أوَجْهُــــــك لاحَ أم قمرٌ مُنيرُ | وذكرُكَ فـــاحَ أم نشرٌ عبيرُ[(١)]
طلعتَ طلوعَ شمسِ الصَّحوِ صُبحاً | على فرَسٍ حَكى فلَكاً يسيرُ
ويـــالله رَوْضـــاً ضمن طرسٍ | زهير في جـــوانبــــه جريرُ[(٢)]
رَميت بــه إليَّ فقلتُ هـــذا | شعـاع الشَّمسِ مـأخـذهُ عسيرُ
أراني رمـزَه الـوضـاح حسنـاً | ينبهني على أني حقيرُ
وإنِّي مُلْحَـق بـــأقــلُّ صنفٍ | إذا مـــا حقَّـــق الجمُّ الغَفيرُ
فَمُـــذْ صَحَّفتـــهُ فكري مَلُـولٌ | ومُـذ نشَّرتُــه بــاعي قَصيرُ [(٣)]
هـو المأسورُ بـالمـاسورِ لكن | لـــــهُ في أسرِهِ مرحٌ كثيرُ[(٤)]
نشيـطٌ أيِّـدٌ ويقـادُ طَـوعـاً | بخيـــطِ متنِــهِ واهٍ طريرُ[(٥)]
يُراع لأنَّ مهجتَـــــــهُ يَراعٌ | لـهُ في الجـوفِ من خـوفٍ صَغيرُ
يحـــــــورُ إلى يمينٍ من شمالٍ | ومـا يَغْنَى بـذا لكن يَخـورُ[(٦)]
غَــدا يَسعى بـأربعـةِ سراعٍ | وليسَ لمشيـــــهِ بهم نَظيرُ[(٧)]
يُخـــالِفُ بينَ رِجليــهِ فيجري | وترفعـــــهُ يـــداهُ فيستطيرُ
لـــــهُ نـــول يسير لكلِّ حيٍّ | وميت فيـــه إحســـانٌ كثيرُ[(٨)]
إذا أســدى إليـــهِ الخيرَ مُســدٍ | جَـزاهُ عليـه وهـوَ بـذا قَـديرُ
كـذاكَ صِفـاتـكَ الحُسنى ولكن | بـدأت تطـوّلاً وبنـا قصـورُ
ففخراً ثم ستراً ثم قَصراً | فـأينَ الثّمـدُ والبحرُ الغـزيرُ

(١) في الفوات : « أم نفح العبير » .
(٢) في الفوات : « روض » .
(٣) في الفوات : « مكوك » .
(٤) في الأصل : « هو المأمور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) ، والفوات .
(٥) في الفوات : « ويعاد » .
(٦) في الفوات : « يعيا » .
(٧) (ق) : « لمشبه » .
(٨) في (س) ، (ق) ، (خ) والفوات : « منه » .

وكتب هو يوماً متقاضياً :

إلى بـابـكَ العـالي تـوجهتُ مُـوقِنـاً   بسرعـةِ نيـلِ القصـدِ قبـلَ التَّـوجـهِ
وعـادتُنـا منـكَ النّجـاحُ لقـاصِـدٍ   نحــاكَ وأنتَ الجــاهُ للمتجــوِّهِ
ومن مَسَّ دَهْر مَن تــأوَّه مَن لـــهُ   ســواكَ وأنتَ الجبرُ للمتـــأوِّهِ
فـلاقـاهُ بـالحمـدِ امرؤٌ وهـو مطنب   لخلـقٍ ولستَ القصـــدُ للمتفــوِّهِ

واقترح علينا يوماً القاضي شهاب الـدين بن[1] فضل الله معـارضـة أحمـد بن حسن الموصلي في موشحه الذي أوله :

بـــاسِمٌ عن لآلٍ   نـــاسِمٌ عن عِطر   نـــافِرٌ كالغـزالِ   ســـافِرٌ كالبَـــدرِ

فكان الذي نظمه[2] ولم يلتزم قوافيه في الأغصان ولا الحشوات ، فقال :

زائرٌ بـــالخيـــالِ   زائــلٌ عن قربي   بـاهرٌ بـالجمـالِ   نـاهر[3] بـالعُجْبِ
أيّ   غصن   نضير   نـــزهـــة للنَّظَرْ
لحـــظُ عيني خفير   منـــهُ وَرْد الْخَفَرْ
يــــالــــهُ من غرير   في هـــــواهُ غَرَرْ
ساحرٌ بـالـدَّلالِ   سـاخرٌ بـالصَّبِّ   فـائـقٌ في الكمـالِ   لائـقٌ بـالحبِّ
بشَـذا المسـكِ فـاحْ   ثغرُ هـــذا الغـــزالْ
بـــاسِمٌ عنَ أقـــاحْ   أو فريـــد الـــلآلْ
ردّ نـــور الصَّبـــاح   كظـــلامِ الليـــالْ
ريقُـهُ حينَ جـال   في لمـاهُ العـذبِ   صِرتُ بين الـزّلالِ   والهـوى في كَرْبِ
ذو قـــوامٍ رطيبْ   منـــهُ تُجْنى الْحُرَقْ

---

(١) (ق) ، (خ) ، (س) : « أحمد بن » .
(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة » « نظمه هو » .
(٣) (ق) : « قاهر » .

رامَ ظلمَ القضيبِ فــاشتكى بــالــورقْ
فتثنّى الحبيب ورنــا بــالْحَــدقْ
مثل[١] بيضِ النّصالِ من سوادِ الهدب والعــوالي أمــال بــالقــوام الرّطبِ
لـــو رآهُ القســـوس[٢] حسّبتــه المسيــحْ
وهـــو يحيي النُّفـــوس بـــالكــلامِ الفصيــحْ
مـــاتبينُ الشُّمـــوس عنـدَ هـــذا المليــحْ
خـلِّ عنـكَ الغـزال يرتعي في الكثب ثم قــل للهــلال يحتجِب في الغرب
ثغره في بريـــــق إذ جـــلاه برِيـــق
كل حُرّ رقيـــــق للَماه الرّقيـــــق
خـــدّه والشقيـــق ذا الهـــذا شقيـــق
قـد بـدا فيـهِ خـال كسواد القلبِ إذ غـدا في اشتعـال[٣] فوقَ نـارِ الحبِّ
مـــالِصبّ صبـــا في هـــــواهُ نصيب
منـــه قَبْـل الصّبـــا قـــد عـــلاني الشّيب
يـــانسيمَ الصّبـــا جُــزْ بـــأرضِ الحبيب
واجتهِـدْ أن تنـالْ منـهُ طِيْب القُرْبِ ثم عُـدْ بـالنـوالِ من هـدايـا حِبّي
جـــائرٌ قـــد ظهَرْ عـــدلُـــه في القــوام
في الـــوجـــودِ اشتهر مثــل بَـــدرِ التّمام
فيـــه يحلـــو السّهر ويمرُّ المنـــــام
صدَّ تيهـاً وقـال وهـو يبغي حربي لحــظ عيني نبـــال قلتُ آه واقلبي

وكان الّذي قلته أنا :

(١) في الفوات : « سلّ » .

(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات : « لو رأته » .

(٣) في الأصل : « اشتغال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات .

جـامِـحٌ في الـدّلالِ جـانِـحٌ للهجرِ خـاطِرٌ في الجمـالِ عـاطِرٌ في النَّشرِ
غصنُ بـانٍ رَطيب قـد زَهـا بـالطَّرب
يَنثَني في كَثيبِ بـالصَّبـا عن كَثَب
مـالِقَلبي نَصيبٌ منـهُ غير النَّصَبْ
قَمرٌ في كمالِ فـوقَ غصن نضرِ طـالِعـاً لا يـزال في دَيـاجي الشَّعَرِ
كم جَـلا بـالسَّنـا فَرْقُـه لي الصَّبـاح
وحَـلا في الْجَنى مبسَمٌ عن أقـاح [1]
إن رَنـا وانْثَنى أو تَبَـدَّى ولاحَ
يـا حيـاءَ الغـزال وافتِضـاح السُّمْر واختِفـاء الهِـلال وكُسـوف البَـدر
خـالَـهُ كالرَّقيب للعِـذار الرَّقيم
وسـطَ نـار تُـذيب حـولَ روضٍ وَسيم
يَتَشكَّى اللَّهيب في النَّعيمِ [2] المقيم
ذاقَ بردَ الظِّـلال في لَهيب الْجَمرِ واهتَـدى في الضَّـلال ببروقِ الثَّغر
غصنُ بـانَ يَميس في رِيـاضِ الـزَّهَرْ
ريقُـهُ الْخَنـدَريس في زلالٍ ظَهَرْ
فيـهِ دَرٌّ نَفيس في عَقيـقٍ بَهَرْ
جَفنُه حينَ صـالَ في حَنـايـا صَـدري لـو كَفـاني النّبـال لاكتَفى بـالسِّحر
شَـقٌّ قَلب الشَّقيـق منـهُ خَـدٌّ أنيـق
والقـوامُ الرَّشيـق فيـهِ معنىً دَقيـق
كَم سَقـاني الرَّحيـق من فَمٍ كالعَقيـق
بَعـدَ ذاكَ الـزُّلالِ مـا حَـلا لي صبَري والقـوامُ الْمُمال قـامَ فيـهِ عُـذري

(١) (س) ، (خ) : « مبسمٌ كالإقاح » .
(٢) في الأصل : « النعيم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

١٩٨٣ - يوسف بن سيف الدولة*

أبي المعالي بن زمَّاخ - بالزّاي والميم المشدَّدة وبعد الألف خاءٌ مشدَّدة[١] - ابن بركة بن ثمامة بن أبي المعالي بن سيف الدَّولة بن حمدان التغلبي[٢] المصري المعروف بابن مهمندار العرب[٣] ، بدر الدِّين .

كان شيخاً متجنِّداً فاضلاً ، شاعراً مؤرِّخاً ، صنَّف تصانيف منها كتاب في الأنساب ، ومنها كتاب في البديع سمّاه (الآيات البيِّنات) .

أنشدني الشَّيخ العلاّمة أثير الدِّين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

وليلة مثل عين الظَّبي وهي معي ... قَطَعتُها آمِناً من يَقظةِ الرُّقَبا[٤]
أرْدَفتُها فوقَ دهمِ اللَّيلِ مُختَفِياً ... والصُّبحُ يُركِضُ خَلفي خَيلَهُ الشُّهبا[٥]
حتَّى دَهاني وعينُ الشَّمسِ فاتِرَة ... وقد جذبت بذيلِ اللَّيلِ ما انْجَذَبا
ما هِيْ بأوَّلِ عاداتِ الصَّباحِ مَعي ... ليلُ الشَّبابِ بصبحِ الشَّيبِ قد[٦] هَربا

وبه قال : أنشدني له :

أعلى الوَرى هِمَماً أوفاهُم ذِمَماً ... أسناهُم كَرَماً في كلِّ مُبْتَذلِ
ماضي العَزيمة وهَّاب الكريمةِ دفّـ ... ـاع العظيمةِ ، وثَّابٌ بلا فَشَلِ
مُعطي الألوف ومِطعام الضُّيوف ومِطـ ... ـعانُ الصُّفوف ومُردي الحادثِ الْجَلَلِ[٧]

---

* الفوات : ٣٤٩/٤ ، والدُّرر : ٤٥٥/٤ .

(١) كذا في الأصول ، وعبارة الفوات : « والخاء المعجمة بعد الألف » .

(٢) في الأصل : « الثعلبي » ، وهو تصحيف وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) المهمندار : هو الذي يتلقَّى الرُّسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة .

(٤) (ق) ، (س) : « وهو معي » .

(٥) (ق) ، (س) والفوات : « أردفته » .

(٦) (س) ، (ق) والفوات : « كم » .

(٧) في الأصل : « ومطعام الطعام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

بادي الوَسامَةِ، دفّاع الظّلامَةِ حمّـ ـالُ الغَرامَةِ ذُو عِلْمٍ وذو عَمَلِ
صافي السَّرائرِ، صوّامُ الهَواجرِ قَوّ امُ الدّياجِرِ والإصباحِ والأصلِ
تَأتي الوُفودُ إليهِ لا إلى أحدٍ ومَن رأى البحر لا يأتي إلى الوشلِ
الدّهر جِسمٌ وأعضاء جِسْمِه دولٌ وأنت وحدكَ فيهِ جوهر الدّول

وأنشدني الشَّيخ فتح الدِّين سيِّد النَّاس ، والشَّيخ أثير الدِّين كلاهما ، قال : أنشدنا لنفسه :

فَلا تَعْجَب لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِنِّي صِفاتك أذكرت حكمَ البَوادي[1]
وقد تُبْدي لكَ المرآةُ شَخصاً ويُسمِعُكَ الصَّدى ما قَد تُنادي

وأنشدني الشَّيخ أثير الدِّين قال : أنشدني له :

ما شيمةُ العرب العَرْباء شيمتكم ولا بهذا عُرفنَ الْخُرَّدُ الغيدُ
كانَت سُلَيمى ولُبْنى والرَّباب إذا أزْمَعْنَ هَجْراً أتتهُنَّ المواعيدُ[2]
ودارَ بينَهُما فَحوى مُعاتَبةٍ أرَقُّ ممَّا أراقَتْهُ العَناقيدُ
وآفَةُ الصَّبِّ مِثلي أن يبثَّ جوًى لِمَن يُحِبُّ ولا يُلوى له جيدُ[3]

ومن شعره :

إن كنتَ تَفْخَر أن تَفوهُ بوَصفِه حُسْناً ومثلكَ مَن يفوقُ قريضُهُ[4]
سَل عَن سَوادِ الشَّعرِ نَرجِسَ طرفِهِ يُخبرْكَ باللّيلِ الطّويلِ مَريضُهُ

ومنه :

---

(١) (س) ، (ق) والفوات : « أظهرت حكم » .
(٢) (س) ، (ق) والفوات : « الأناشيد » .
(٣) (ق) ، (س) ، والفوات : « ولا يُثنى » .
(٤) في (س) ، (ق) : « تعجز » .

ما إن عَجبتُ لِكَون نيلِكَ فاتَني لِسَوادِ لَحْظي وهو بَحْرٌ مُزْبِدُ[١]
لكنَّني مُتَعَجِّبٌ كيفَ اختَفى بينَ الأيادي البيضِ حظٌّ أَسود

ومنه :

كُنّا إذا جِئنا لِمن قبلَكُم أنصفَ في التَّرحيبِ قبلَ القيامْ[٢]
واليوم صِرْنا حينَ نأتيكُم تَقْنَعُ مِنكُم بلطيفِ الكَلامْ
لا غيَّرَ اللهُ بِكُم خيفَةً مِن أن يَجيءَ مَن لا يردُّ السَّلامْ

وأنشدني الشَّيخ قطب الدِّين عبد الكريم إجازة ، قال : أنشدني لنفسه :

مسائل دورٍ شَيْبُ رأسي وهَجْرُها فكُلٌّ على كلٍّ لَهُ سببٌ يُنبي[٣]
فأحلِفُ لولا الهجرُ ما شابَ مفرقي وتُقسِم لولا الشَّيب ما كرهتْ قربي

قلتُ : كنت قد سمعت أنا الشَّيخ العلاّمة تقيّ الدِّين أحمد بن تيميَّة ينشد هذين البيتين ، ويترنَّم بها ، فأعجباني ، ونظمتُ المعنى مختصراً وقلتُ :

مسألةُ الدّور بِنا عَجبتُ مِن وُجودِها
صدَّت لشيبٍ قَد بَدا والشَّيبُ من صُدودِها

ولَمّا خاض السُّلطان الملك الظّاهر بيبرس الفرات ؛ ورمى بنفسه وبالجيوش فيه ، قال القاضي محيي الدين بن عبد الظّاهر - رحمه الله تعالى[٤] - :

تجمّع جيش الشِّركِ من كلِّ وجهةٍ وظنّوا بأنّا ما نُطيقُ لهم غلبا[٥]

(١) (س) : « لفرط نيلك » . وفي الأصل و (ط) : « مثلك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) (س) ، (ط) : « بعد القيام » .
(٣) الدور : هو توقُّف أحد الأمرين على الآخر .
(٤) الأبيات في الوافي : ١٠/٣٣٣ ، والفوات : ١/٢٣٨ ، في ترجمة الظاهر بيبرس .
(٥) (س) ، (ق) ، والوافي والفوات : « كل فرقة » . وفي الأصل : « بهم غلبا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وجاؤوا إلى شاطي الفُرات وما دَروا … بأنَّ جيادَ الخيلِ تقطعُها وَثْبا
وجاءَت جُنودُ اللهِ في العُدَدِ الَّتي … تُميسُ بها الأبطالُ يومَ الوَغى عُجْبا[1]
فَعُمنا بِسَدٍّ من حَديدِ سِباحةً … إليهِ فَما اسطاعَ العدوّ لهُ نَقْبا[2]

ولَمّا سمع ابن مهمندار العرب ذلك ؛ قال : أنشدني الشَّيخ أثير الدِّين ، قال : أنشدني لنفسه[3] :

لو عايَنَتْ عَيناكَ يومَ نِزالنا … والخيلُ تَطفَحُ في العَجاجِ الأكدَرِ
وسَنا الأسنَّةِ والضِّياءُ من الظُّبي … كَشفاً لأعيُننا قتامَ العِثيرِ[4]
وقد اطلخمَّ الأمر واحتدَم الوَغى … ووهى الجبانُ وساءَ ظنُّ المجتري[5]
لرأيتَ سدّاً من حَديدٍ مائراً … فوقَ الفراتِ وفوقَهُ نارٌ تري
ورأيتَ سيلَ الخيلِ قد سدَّ الرُّبا … ومن الفَوارِسِ أبحُراً في أبْحُرِ[6]
ظَفرتْ وقد منعَ الفوارسُ مدَّها … تَجري ولولا خيلُنا لم تطفرِ
حتّى سَبقنا أسهُماً طاشَت لنا … منهُم إلينا بالخيولِ الضُّمَّرِ[7]
لم يَفتَحوا للرَّمي منهم أعيُناً … حتّى كُحِلنَ بكلِّ لَدنٍ أسمَرِ
فَتسابَقوا هَرَباً ولكن ردَّهُم … دونَ الهزيمَةِ رمحُ كلِّ غَضَنْفَرِ
مَلؤوا الفَضاءَ فَعَنْ قَليلٍ لم نَدع … فوقَ البَسيطَةِ منهُم مِن مُخبرِ
سَدَّت عَلينا طُرقَنا قَتلاهُم … حتّى جَنَحْنا للمكانِ الأوعَرِ

(١) في الفوات : « لها » .

(٢) في (س) ، (ق) : « إليهم » . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وما اسْطاعوا لَهُ نَقباً ﴾ [الكهف : ٩٧/١٨] .

(٣) (ق) ، (ط) : « أنشدني له » ، والأبيات في الوافي : ٣٣٤/١٠ ، والفوات : ٢٣٩/١ في ترجمة الظاهر .

(٤) العثير : التراب ، والبيت ليس في الوافي .

(٥) اطلخم : اطرخم ، اسودّ وادلهمّ .

(٦) في الوافي والفوات : « قد بلغ الزبى » .

(٧) في الأصل : « منها المنايا والخيول الضمّر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات .

مـــا كانَ أجرى خيلَنـــــا في إثرِهِم لـــــوأنَّهـــــــا برؤوسِهِم لم تَعثرِ
مِن كلِّ أشهب خـاضَ في بحرِ الـدِّمـا حتّى بَـــدا لعُيــونِنـــــا كالأشْقَرِ
كم قَـد قَلَعْنــا صخرةً مِن صَرخَـــةٍ ولكُم مَـلأنــا مَحْجَراً من مَحْجَرِ[1]
وجَرى دِمـــاؤهُم على وَجـــهِ الثَّرى حتّى جَرَت منهـا مَجـاري الأنهُرِ[2]
والظَّـــاهِرِ السُّلطـــان في آثـــارِهِم يُـــــذري الرّؤوس بكلِّ عَضبٍ أبتَرِ
ذهبَ العَجــاج معَ النَّجيـع بصَقْلِــهِ فكأنَّـــــه في غِمْـــــدِهِ لم يُشهَرِ[3]
إن شئتَ تَمْـدَحــهُ فَقِفْ بـإزائــهِ مِثلي غَـــــداةَ الرّوعِ وانظُم وانثرِ

قلتُ : هذه الأبيات الأخيرة الأربع ليست من رواية الشَّيخ أثير الدِّين .

وكتب ناصر الدِّين ابن النقيب إلى بدر الدِّين بن مهمندار العرب :

أيـوسُفُ بـدر الـدِّينِ والْحُسْنُ كلّـهُ ليوسف يُعْـزى أو إلى البَـدْرِ يُنْسَبُ[4]
أتيتَ أخيراً غير أنّـــــــك أوّل تعـــدّ من الآحـــاد شعراً وتُحْسَبُ
وأحسن مـــا في شِعركَ الْحُرِّ أنّـــه بــهِ ليسَ تستجـــدي ولا تتكسَّبُ

وتوفي بدر الدِّين ـ رحمه الله ـ في حدود السّبع مئة[5] .

ومولده سنة اثنتين وستّ مئة .

ومن شعره العذب ، ونظمه الَّذي كأنَّه في الصّقال عَضْب ، قوله :

عَسى اللَّيـالي وفي قـولي عسى خـدَعٌ تردُّ لي من زَمـاني بعضَ مـا ذَهبـا
بـانـوا بـأبهى من الـدُّنيـا وزينتهـا عنـدي وأكرم مطلـوب إذا طلبـا

---

(١) في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات : « فلقنا » .
(٢) في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات : « وجرت » .
(٣) في الوافي والفوات : « ذهب الغبار » .
(٤) في الفوات : « إذ إلى » .
(٥) وفي الفوات أنه توفي بعد الثانين وست مئة .

كالغُصْنِ مُنثَنِيّاً كالظَّبي مُلْتَفِتاً كالشَّمسِ مُبْتَسِماً كالبَدْرِ مُنْتَقِبا
كَم بِتُّ أرشفُ ثَغراً حَشْوَهُ درر وكلَّما زدتُ لَثْماً زادَني لَهبا[1]

منها في المديح :

مَنْ حاتِمٌ وعطايا جودِهِ جَمَلٌ وجودُ ذا جُمَلٌ تترى ولا عَجَبا
لكن هُوَ الحظّ ذكر الغَيث سارَ وما هَمى لجيناً على عافٍ ولا ذَهَبا[2]
وسارَ جَدواهُ في الدُّنيا وساكِنها فأدبَرَ الفقرُ عنهُم مُمعِناً هَرَبا
فاضْمُم يَدَيكَ على مالٍ حَبَاكَ بهِ تَعوّدَ البَذلَ، لوقيَّدتَه وثَبا
وارفقْ بِنَفسِكَ لا تعديكَ راحتُهُ فتغرق النّاس من بعضِ الّذي وهبا[3]

١٩٨٤ ـ يوسف بن شاذي*

ابن داود بن شيركوه بن محمّد بن شيركوه بن شاذي ، الأمير صلاح الدّين ابن الملك الأوحد ابن الملك الزّاهر ابن الملك المجاهد ، تقدَّم ذكر والده الأوحد في مكانه من حرف الشِّين .

كان الأمير صلاح الدّين من أحسن النّاس صورة ، وهو أمرد ، وعمل الإمرة من أحسن ما يكون . وكان ذهنه في العمائر وغيرها ذهناً جيداً صحيحاً ، ليس في دمشق أحسن من بستانه ، ولا من العمارة الّتي رتَّبها فيه . وكان الأمير سيف الدّين تنكز قد مال إليه ، وأحبَّه ، وكان يطلع إلى بستانه ، ويأكل ضيافته فيه ، وكانت تكون شيئاً عظيماً .

---

(١) في (س) ، (ق) ، (ط) : « برد » .
(٢) في الأصل : « العيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « وافق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .
* تاريخ أبي الفداء : ١٣٣/٤ ، والدرر : ٤٥٦/٤ .

ولَمّا أمسك السُّلطان تنكز وأمسك بعده الأميرُ سيف الدِّين بشتاك الأميرين[(١)] سيف الدِّين ألجيبغا ، وسيف الدِّين طيبغا حاجي وأودعها الاعتقال بقلعة دمشق لاختصاصها بتنكز[(٢)] داخَلَ الأميرَ صلاح الدِّين الرُّعبُ والفزع ، فانقطع في بستانه بالمرض جمعة .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ في صفر سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان قد لبس خلعة الإمرة في يوم الخميس عاشر شهر رجب الفرد سنة ثماني عشرة وسبع مئة لأنَّه كان قد توجَّه إلى مصر بتقدمة حسنة مليحة ، فَرُسِمَ له بالإمرة .

١٩٨٥ ـ يوسف بن عبد الله*

ابن محمّد بن عطاء بن حسن بدر الدِّين أبو المحاسن العدل ابن قاضي القضاة شمس الدِّين الأذرعي الحنفي الصّالحي .

كان فقيهاً فاضلاً مهيباً . سمع من ابن الزّبيدي ، وجمال الدِّين بن الحصيري . وحدَّث عنه ابن الخبّاز .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

ومولده سنة تسع عشرة وستّ مئة .

١٩٨٦ ـ يوسف بن أبي عبد الله**

ابن يوسف بن سعد جلال الدِّين أبو المحاسن النّابلسيّ الدِّمشقي الشّافعي .

---

(١) (ق) ، (س) : « للأميرين » .

(٢) البداية والنهاية : ١٤/١٨٨ .

* الشذرات : ٥/٤٣٧ .

** الدُّرر : ٤/٤٨٣ .

كان قاضياً مفتياً ، سمع من خالد الحافظ[(١)] ـ وكان عمّه ـ ومن مجد الدّين الإسفراييني ، والمرسي ، وشيخ الشُّيوخ وطائفة .

وأمّ بالشّاميّة ، وأعاد بها ، وعرف بجودة النّقل ، وولي قضاء بعلبك ، وكان حميد الأحكام .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود عشر وسبع مئة .

ومولده قبل الأربعين وستّ مئة .

١٩٨٧ ـ يوسف بن عبد الرحمن*

ابن يوسف بن علي بن عبد الملك بن أبي الزّهر ، الشّيخ الإمام العالم العلاّمة الحافظ الفريد الرّحلة ، إمام[(٢)] المحدّثين جمال الدّين أبو الحجّاج المزّي بن الزّكي القضاعي الكلبي ، الحلبيّ المولد ، خاتمة الحفّاظ ، ناقد[(٣)] الأسانيد والألفاظ .

طلب الحديث في أوّل سنة خمس وسبعين وستّ مئة ، وهَلُمَّ جَرّا إلى آخر وقتٍ ، لا يفتر عن الطّلب والاجتهاد والرّواية والتّسميع .

سمع من أصحاب ابن طبرزد ، والكندي ، وابن الحرستاني ، وحنبل ، ثمّ ابن ملاعب الرّهاوي ، وابن البنا ، ثمّ ابن أبي لقمة ، وابن البن ، وابن مكرّم ، والقزويني ، ثمّ ابن اللّتي ، وابن صبّاح ، وابن الزّبيدي . وأعلى ما سمع بإجازةٍ عن ابن كليب[(٤)] ،

---

(١) الزين خالد بن يوسف بن سعد (ت ٦٦٣ هـ) ، الشذرات : ٣١٣/٥ .

* البداية والنهاية : ١٩١/١٤ ، والفوات : ٣٥٣/٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٥٠/١ ، والدُّرر : ٤٥٧/٤ ، والشذرات : ١٣٦/٦ .
ووقع في الأصل : « يونس بن عبد الرحمن ... » ، وهو سهو من الناسخ .

(٢) (خ) : « الإمام ، إمام ... » .

(٣) في الفوات : « نافذ » .

(٤) عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن كليب الحراني (ت ٥٩٦ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢١ .

وابن بوش[١] ، والْجَمّال[٢] ، وخليل بن بدر[٣] ، والبوصيري[٤] ، وأمثالهم ، ثمّ المؤيّد الطّوسيّ ، وزاهر الثّقفي[٥] ، وعبد المعزّ الهرويّ[٦] . وسمع الكتب الأمّهات المسندة ، والكتب الستة ، و (المعجم الكبير) ، و (تاريخ الخطيب)[٧] ، و (النّسب) للزّبير[٨] ، و (السّيرة) و (الموطأ) من طُرق ، و (الزّهد)[٩] ، و (المستخرج على مُسْلم)[١٠] ، و (الحلية)[١١] و (السُّنن) للبيهقي ، و (دلائل النُّبوّة) ، وأشياء يطول ذكرها . ومن الأجزاء ألوفاً . ومشيخته نحو الألف .

وسمع أبا العبّاس بن سلامة[١٢] ، وابن أبي عُمَر ، وابن علّان ، والشّيخ محيي الدّين النّوويّ ، والزّواوي ، والكمال عبد الرَّحيم ، والعزّ الحرّاني ، وابن الدّرجي ، والقاسم الإربلي ، وابن الصَّابوني ، والرّشيد العامري ، ومحمّد بن القوّاس[١٣] ، والفخر بن البخاري ، وزينب[١٤] ، وابن شيبان[١٥] ، ومحمّد بن محمّد بن مناقب ، وإسماعيل بن

(١) في الأصل : « يونس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وهو : يحي بن أسعد بن يحي (ت ٥٩٣ هـ) ، السير : ٢٤٣/٢١ .

(٢) مسعود بن أبي منصور بن محمد الأصبهاني (ت ٥٩٥ هـ) ، السير : ٢٦٨/٢١ .

(٣) خليل بن بدر بن ثابت الراراني (ت ٥٩٦ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢١ .

(٤) هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري (ت ٥٩٨ هـ) ، السير : ٣٩٠/٢١ .

(٥) زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي الأصبهاني (ت ٦٠٧ هـ) ، السير : ٤٩٣/٢١ .

(٦) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي (ت ٦١٨ هـ) ، السير : ١١٤/٢٢ .

(٧) أحمد بن علي ، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) . وكتابه تاريخ بغداد .

(٨) ابن بكار (ت ٢٥٦ هـ) واسم كتابه : (جمهرة نسب قريش) .

(٩) للإمام أحمد بن حنبل .

(١٠) لأبي عوانة ، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦ هـ) ، الكشف : ١٦٧١/٢ .

(١١) حلية الأولياء في الحديث ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) .

(١٢) أحمد بن أبي الخير سلامة (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣١٩/٥ .

(١٣) محمد بن عبد المنعم بن عمر (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤١/٥ .

(١٤) زينب بنت مكي (ت ٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٨/٥ .

(١٥) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥١/٥ .

العسقلاني ، والمجد بن الخليلي ، والعماد بن الشّيرازي ، والمحيي بن عصرون ، وأبا بكر بن الأنماطي ، والصّفي خليلاً ، وغازياً الحلاوي ، والقطب بن القَسْطلاني[(١)] وطبقتهم ، والدّمياطي شرف الدّين ، والفاروثي ، واليونيني ، وابن بلبان ، والشّريشي ، وابن دقيق العيد ، والظّاهري[(٢)] ، والتّقي الإسعرديّ ، وطبقتهم . وتنازل إلى طبقة سعد الدّين الحارثي[(٣)] ، وابن نفيس[(٤)] ، وابن تيميّة .

ولم يتهيّأ له السّماع من ابن عبد الدّائم ، ولا الكرماني ، ولا ابن أبي اليسر ، ونحوهم . ولا أجازوا له ، مع إمكان أن تكون له إجازة المرسي ، والمنذري ، وخطيب مردا ، واليلداني ، وتلك الحلبة .

وحفظ القرآن ، وعُنِيَ باللُّغة ، فبرع فيها ، وأتقن النّحو والتّصريف .

وكان[(٥)] شيخنا الْحُجَّة جمال الدّين أبو الحجّاج شيخَ الزَّمان وحافظ العصر ، وناقد الأوان ، لوعاصره ابن ماكولا كان له[(٦)] مشروباً ومأكولاً ، وجعل هذا الأمر إليه موكولاً ، أو الحاكم[(٧)] لقال : لأمْرَهُ دائم النُّفوذ ، وكان إلى حرمه [يعود وعليه][(٨)] يعول وبه يعود[(٩)] ، أو ابن نقطة ؛ لأغرقته بحاره الزّخّارة ، ورأى خطّه[(١٠)] المستقيم خارجاً

(١) في الأصل : « العسقلاني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) ، وهو محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٦٨٦ هـ) . الأعلام : ٢٨٦ .

(٢) أحمد بن محمّد ، جمال الدين ، سلفت ترجمته .

(٣) سعد الدين مسعود الحارثي (ت ٧١١ هـ) . البداية والنهاية : ٦٤/١٤ .

(٤) علي بن مسعود ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) في (ق) ، (خ) ، (س) : « كان » بلا واو .

(٦) (خ) : « كان له في الوقت » .

(٧) محمد بن محمد بن أحمد ، الحاكم النيسابوري (ت ٣٧٨ هـ) . السير : ٣٧٠/١٦ .

(٨) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٩) في الأصل : « النفوذ .. يعود » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(١٠) (خ) : « ورأس الخط » .

عن دائرته ، وبَذْرُه لا يدخل معه في هذه الدّارة ، أو ابن عساكر لعلم أنّه ليس من أبطاله ، ولا عدَّه الطَّلبة من أتباعه ولا رجاله .

أتقن أسماء الرِّجال ، وحرَّر صيغها(١) ، وتجاوز الغاية ، ومن أوّل ما خطا بلغها ، وكان أمره في ذلك عجباً عاجباً(٢) ، وإذا أمَّ مقصداً في ذلك لم يجد له دونه حاجباً ، كأنَّما عناه السّراج الورّاق بقوله :

أينَ إمامٌ في الحديثِ مِثْلُهُ تَضْرِبُ آباطاً إليهِ الإبلُ
ذادَ عَنِ السُّنَّةِ كلَّ مُفْتَرٍ بهِ جُلِيَ الدُّجا وحُلَّ الْمُشْكِلُ
وكانَ في عِلْمِ الرِّجالِ أوْحَداً بحيثُ قالَ العلمُ: هذا الرَّجُلُ
أتقنَهُم معرفةً يقولُ ذا مُسْتَعمَلٌ وقولُ ذاكَ مُهْمَلُ (٣)

وأمّا اللُّغة ؛ فأبو عبيدة يكون عَبْدَه ، والأصمعي أصمّ عيُّه(٤) من يسمع كلامه بعده .

وأمّا النَّحو ؛ فليس لأبي علي معه حجَّة(٥) ، ولا لابن خالويه عنده قولٌ يتوجَّه .

وأمّا التَّصريف فما ابن جنِّي عنده ابن آدم ، ولا المازني من رجاله إن صادفه ، أو صادم .

ولم يزل على حاله إلى أن خلت منه الرُّبوع ، وجرت الجفون عليه دماً بعد الدُّموع .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

(١) (خ) :« وحرر أشكالها وصيغها » .
(٢) (خ) : « عجباً أراه عاجباً » .
(٣) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه الذي نشره الدكتور وليد قصاب في عجمان ١٩٩١ م .
(٤) (خ) : « عنه » .
(٥) يشير إلى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، وهو كتاب في علل القراءات .

ومولده بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستّ مئة .

ودفن بمقابر الصُّوفيَّة .

وكان فيه حياءٌ وسكون ، وحلم واحتمال ، وقناعة واطِّراح تكلُّف ، وترك التَّجمُّل والتَّودُّد إلى النّاس ، مع الانجماع عنهم ، وعدم الكلام إلاّ أن[1] يُسأل فيُجيب ويُجيد ، وكلَّما طالت مجالسة الطَّالب له ظهر فضله ، لا يتكثَّر بفضائله ، ولا يغتاب أحداً . وكان يصعد إلى الصَّالحيَّة ماشياً ، لا يركب بغلاً ولا حماراً ، وهو في عشر التّسعين ، ويستحمّ بالماء البارد في الشَّيخوخة ، إلاَّ أنَّه كان قد امتحن بأمر المَطالب[2] ، وتتبَّعها ، فعثر به جماعة من الشَّياطين ، وأكلوا معه ، فكان لا يزال في فقر لأجل ذلك .

وحجَّ ، وسمع بالحرمين والقدس ودمشق ومصر وحلب وحماة وحمص وبعلبك ، والإسكندريَّة وبُلبيس وقطيا ، وغير ذلك . وأوذيَ مرَّة ، واختفى مدَّة من أجل سماع (تاريخ) الخطيب . وأوذي مرَّة أخرى لأجل قراءة شيء من كتاب (أفعال العباد)[3] ممّا يتأوّله الفضلاء المخالفون ، وحبس .

ولَمّا توفِّي ابن أبي الفتح حصل له من جهاته حلقة الخضر والحديث بالنّاصريَّة ، فأضاءت بذلك حاله ، واتَّسع رزقه ، ثمَّ إنَّه ولي دار الحديث الأشرفيَّة بعد ابن الشُّريشي سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، التزم بمذهب الشّافعي ، وأشهد عليه بذلك ، وذكر الدّرس بالأشرفيَّة في ثالث عشري الحجّة من السَّنة المذكورة[4] . وقال الشَّيخ تقيّ الدِّين بن تيميَّة : لم يلِ هذه المدرسة من حين بنائها إلى[5] الآن ، أحقّ بشرط

(١) (خ) : « إلى أن » ، وفي الفوات : « إلاّ أنّه » .

(٢) جمع مطلب ، وهو الكنز ، والمطالبي من يتتبع نبش الكنوز .

(٣) للبخاري . انظر : الكشف ١٣٣/١ .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٨٩/١٤ .

(٥) (خ) والفوات : « وإلى » .

الواقف منه ، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصّلاح ومحيي الدّين النّواوي[١] وغيرهما ، لأنّ الواقف قال : فإن اجتمع من فيه الرّواية ، ومن فيه الدّراية قدّم من فيه الرّواية .

وأخبرني من لفظه شيخنا الذّهبي ، ونقلته من خطّه ، قال : ما رأيتُ أحداً في هذا الشّأن أحفظ من الإمام أبي الحجّاج المزّي ، وسمعته يقول في شيخنا أبي محمّد الدّمياطي[٢] إنّه ما رأى أحفظ منه ، وكان الدمياطي يقول : إنّه ما رأى شيخاً[٣] أحفظ من زكيّ الدّين عبد العظيم ، وما رأى الزّكيّ أحفظ من أبي الحسن علي ابن المفضّل[٤] ، ولا رأى ابن المفضّل أحفظ من الحافظ عبد الغني[٥] ، ولا رأى عبد الغني أحفظ من أبي موسى المديني[٦] ؛ إلاّ أن يكون الحافظ أبا القاسم بن عساكر ، فقد رآه ، ولم يسمع منه ، ولا رأى ابن عساكر والمديني ؛ أحفظ من أبي القاسم إسماعيل بن محمّد التّيمي[٧] ، ولا رأى إسماعيل أحفظ من أبي الفضل محمّد بن طاهر المقدسي[٨] ، ولا رأى ابن طاهر أحفظ من أبي نصر ابن ماكولا[٩] ، ولا رأى ابن ماكولا أحفظ من أبي بكر الخطيب[١٠] ، ولا رأى الخطيب أحفظ من أبي نعيم[١١] وأبي حازم العبدوي[١٢] ،

(١) (خ) : « الغوري » .
(٢) شرف الدّين ، عبد المؤمن بن خلف .
(٣) في الأصل : « شيخنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) .
(٤) علي بن المفضل بن علي (ت ٦١١ هـ) . السير : ٦٦/٢٢ .
(٥) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) . السير : ٤٤٣/٢١ .
(٦) محمد بن عمر بن أحمد (ت ٥٨١ هـ) . السير : ١٥٢/٢١ .
(٧) الملقب بـ (قوّام السُّنة) (ت ٥٣٥ هـ) . السير : ٨٠/٢٠ .
(٨) محمد بن طاهر بن علي (ت ٥٠٧ هـ) . السير : ٣٦١/١٩ .
(٩) علي بن هبة الله بن علي (ت ٤٨٧ هـ) . السير : ٥٦٩/١٨ .
(١٠) سلفت الإشارة إليه في هذه الترجمة .
(١١) سلفت الإشارة إليه في هذه الترجمة . وهو صاحب الحلية .
(١٢) في الأصل : « العبدري » ، وأثبتنا ما في (ق) . وفي الإعلام : ٧٥ ، والسير : ٣٣٣/١٧ : « العبدوي » ، وهو عمر بن أحمد بن إبراهيم الهذلي المسعودي (ت ٤١٧ هـ) .

ولا رأيا أحفظ من الدّارقطني وأبي عبد الله بن منده[١]، ومعهما الحاكم . وكان ابن مندة يقول : ما رأيت أحفظ من أبي إسحاق بن حمزة الأصفهاني[٢] . وقال ابن حمزة : ما رأيت أحفظ من أبي جعفر أحمد بن يحي بن زهير التُّسْتَري[٣] وقال : ما رأيت أحفظ من أبي زُرْعة الرّازي[٤] . وأمّا الدّارقطني فما رأى مثل نفسه ، وكان[٥] الحاكم يقول : ما رأيت أحفظ من أبي علي النّيسابوري[٦] ومن أبي بكر الجعابي[٧] ، وما رأى الثّلاثة أحفظ من أبي العبّاس بن عقدة[٨] ، ولا رأى ابن عُقدة ، ولا رأى أبو[٩] علي النَّيسابوري مثل النّسائي ، ولا رأى النَّسائي مثل إسحاق بن راهويه ، ولا رأى أبو زرعة أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة ، وقد[١٠] رأى أبو علي النَّيسابوري مثل ابن خزيمة[١١] ، ولا رأى ابن خزيمة مثل أبي عبد الله البخاري ، ولا رأى البخاري ـ فيما ذكر ـ مثل علي بن المديني ، ولا رأى أيضاً أبو زرعة والبخاري وأبو حاتم وأبو داود مثل أحمد بن حنبل ، ولا مثل يحي بن معين ، وابن راهويه ، ولا رأى أحمد ورفاقه مثل يحي بن سعيد القطّان[١٢] ، ولا رأى هو مثل شعبة وسُفيان

(١) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق (ت ٤٧٠ هـ) . السير : ٣٤٩/١٨ .
(٢) إبراهيم بن محمد بن حمزة (ت ٣٥٣ هـ) . الوافي : ١١٧/٦ ، والسير : ٨٣/١٦ .
(٣) (ت ٣١٠ هـ) . السير : ٣٦٢/١٤ .
(٤) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فرّوخ (ت ٢٦٤ هـ) . السير : ٦٥/١٣ .
(٥) (ق) : « بلى وكان » ، وفي (خ) : « بل وكان » .
(٦) الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري (ت ٣٤٩ هـ) . العبر : ٢٨١/٢ .
(٧) محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمي (ت ٣٥٥ هـ) . السير : ٨٨/١٦ .
(٨) أحمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٢ هـ) . السير : ٣٤٠/١٥ .
(٩) في الأصل : « ابن أبو » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) ، (ق) .
(١٠) كذا في الأصول .
(١١) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت ٣١١ هـ) . السير : ٣٦٥/١٤ .
(١٢) (ت ١٩٨ هـ) . السير : ١٧٥/٩ .

ومالك[١] ، ولا رؤوا مثل أيّوب السَّختياني[٢] ، نعم ، ولا رأى مالك مثل الزُّهري[٣] ، ولا رأى[٤] مثل ابن المسيّب ، ولا رأى ابن المسيّب[٥] أحفظ من أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا رأى أيوب مثل ابن سيرين ، ولا رأى مثل أبي هريرة ، نعم ، ولا رأى الثَّوري مثل منصور ، ولا رأى منصور مثل إبراهيم[٦] ، ولا رأى إبراهيم مثل علقمة[٧] ، ولا رأى علقمة كابن مسعود ، فيما زعم .

وقال شيخنا الذَّهبي : لم يسألني ابن دقيق العيد إلاّ[٨] عنه . وقال الذَّهبي أيضاً : وكان قد اغترَّ في شبيبته ، وصحب عفيف الدِّين التّلمساني ؛ فلَمّا تبيَّن له ضلاله هجره وتبرّأ منه . وقال الذَّهبي : وكان يترخَّص في الأداء من غير أصول ، ويُصْلِح كثيراً من حفظه ، ويسامح في دمج القارئ ولغط السّامعين ، ويتوسَّع ، وكأنَّه يرى العمدة على إجازة الْمُسْمِع للجماعة ، وله في ذلك مذاهب عجيبة ، وكان يتمثَّل بقول ابن مندة : يكفيك من الحديث شمُّه .

وصنَّف كتاب (تهذيب الكمال) في أربعة عشر مجلداً . كسف[٩] به الكتب

---

(١) شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) . السير : ٢٠٢/٧ .
وسفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ) . السير : ٢٢٩/٧ .
ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) . السير : ٤٣/٨ .

(٢) في الأصل و (ق) و (س) و (خ) : « السجستاني » تصحيف . وقد توفي سنة (١٣١ هـ) . السير : ١٥/٦ .

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله (ت ١٢٤ هـ) . السير : ٣٢٦/٥ .

(٤) في الأصل : « أرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ) . السير : ٢١٧/٤ .

(٦) منصور بن المعتمر (ت ١٣٢ هـ) . السير : ٤٠٢/٥ .
وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ت ٩٥ هـ) . الوافي : ٤٢/٦ .

(٧) علقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ) . السير : ٥٣/٤ .

(٨) (خ) : « قطّ إلاّ » .

(٩) (خ) والفوات : « كشف » . والكتاب طبع في مؤسسة الرسالة .

المتقدّمة في هذا الشأن ، وسارت به الرُّكبان ، واشتهر في حياته ، وصنَّف كتاب (الأطراف) للكتب السِّتّة[١] في ستّة أسفار ، وخرَّج لجماعة .

قال الذَّهبي : وما علمته خرَّج لنفسه لا عوالي ولا موافقات ولا معجماً ، وكلّ وقت ألومه في ذلك فيسكت ، وقد حدَّث بكتابه (التَّهذيب) خمس مرّات ، وحدَّث بـ (الصحيحين) مرّات ، وبـ (المسند) و (معجم الطّبراني) وبـ (دلائل النُّبوَّة) وبكتب جمّة ، وحدَّث بسائر أجزائه العالية وبكثير من النّازلة .

وقال الذهبي أيضاً : أعلى ما عنده مطلقاً (الغيلانيّات) و (جزء ابن عرفة) وابن الفرات[٢] بإجازة .

وسمع منه الذهبي سنة أربع وتسعين ، وأخذ عنه (صحيح البخاري) غير مرة . واستملى منه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وقاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، ومحب الدين وأولاده ، وشمس الدين السروجي ، وابن الدمياطي وابن عبد الهادي وابنا السفاقسي[٣] ، والشيخ تقي الدين بن رافع ، وسبط التنيسي ، وخلائق . وتخرّج به جماعة كشيخنا علم الدين البرزالي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والشيخ عماد الدين بن كثير ، وابن عبد الهادي ، وابن العطار ، وابن الفخر ، وابن الجعبري ، وغيرهم .

وقال شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في حقه : ووجدت بدمشق الإمام المقدم[٤] ، والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدم ، أبا الحجاج المزي بحر هذا العلم الزاخر ، القائل من رآه : كم ترك الأوائل للأواخر[٥] !، أحفظ الناس

(١) الكشف : ١١٦/١ . وفي الأعلام : ٢٣٧/٨ : « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » . والكتاب مطبوع .

(٢) أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي (ت ٢٥٨ هـ) . الكشف : ٥٨٥ .

(٣) إبراهيم ومحمد ابنا الحسن بن عبد السلام ، وقد سلفت ترجمتها .

(٤) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات .

(٥) (خ) : « كم ترك الأوّل للآخر » .

للتراجم ، وأعلم الناس بالرواة من أعارب وأعاجم ، لا يخص بمعرفته مصراً دون مصر ، ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر ، معتمداً آثار السلف الصالح ، مجتهداً فيما نيط به في حفظ السّنة من النصائح[(١)] ، معرضاً عن الدنيا وأشباهها ، مقبلاً على طريقه التي أربى بها على أربابها ، لا يبالي ما ناله من الأزل ، ولا يخلط جدّه بشيء من الهزل ، وكان بما يضعه بصيراً ، وبتحقيق ما يأتيه جديراً[(٢)] ، وهو في اللغة إمام ، وله بالقريض إلمام ، وكنت أحرص على فوائده لأُحرز منها ما أحرز ، وأستفيد من حديثه الذي إذا طال لا يملل[(٣)] ، وإن أوجز وددت أنّه لم يوجز[(٤)] ، وهو الذي حداني على رؤية الشيخ تقي الدين بن تيمية ا.هـ .

قلت : وكان معتدل القامة ، مشرباً حمرة ، قويّ التركيب ، متع بذهنه وبحواسه ، ولم أر بعد الشيخ فتح الدين بن سيّد الدين من يحكم ترقيق الأجزاء وترميمها مثل الشيخ جمال الدين ، ولم يستعر مني شيئاً فأعاده إلا وقد نبّه فيه على نكتة كنت محتاجاً إليها حتى في إجازة الشيخ فتح الدين بن سيد الناس لي . وفيه قلت[(٥)] :

دِرتُ على أشياخ عصري فيا ... فخري بما نلتُ ويا عزّي
وذقتُ طعم الكلّ في علمهم ... فلم [أجد] أحلى من المزي[(٦)]

وسمعتُ (صحيح مسلم) على البندينجي ، وهو حاضر بقراءة ابن طغريل ، وعدّة

---

(١) في الفوات : « المصالح » .
(٢) (خ) : « خبيراً » .
(٣) (خ) ، (ق) والفوات : « إن طال لم يملل » .
(٤) فيه إشارة إلى قول ابن الرومي :
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ودّ المحدّث أنها لم توجز
أنظر الخصائص : ٣٠/١ .
(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « قلت أنا » .
(٦) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

نسخ حاضرة صحيحة ، يقابل بها فيردّ[١] الشيخ جمال الدين ـ رحمه الله ـ على ابن طغريل اللفظ ، فيقول ابن طغريل : ما في النسخة إلا ما قرأت ، فيقول من في يده بعض تلك النسخ الصحيحة : هو عندي ، كما قال الشيخ ، أو هو[٢] مظفّر عليه أو مضبّب[٣] أو في الحاشية تصحيح[٤] ذلك ، ولمّا تكرّر ذلك ، قلت أنا له : ما النسخة الصحيحة إلا أنت .

وقرأت عليه من لفظي (ديوان خطب ابن نُباتة) و (الأربعين النوويّة) ، وسمعت عليه من الأجزاء كثيراً ، وسمع هو شيئاً من شعري بدار الحديث ، وقرأت عليه كتاب (الشّمائل) للترمذي بعد ما كتبته بخطي ، ولم أر في أشياخي بعد شيخنا أثير الدين في العربية مثله خصوصاً في التصريف واللغة ، إلا أنه مع إتقانه لأسماء الرجال وله فيها هذا المصنف العظيم ، لم يكن يعتني بتراجم العالم من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والقرّاء والأطباء والأدباء والشعراء ، ولا له فيها مشاركة البتّة ، وإنّما كان يعتني برجال الحديث لا غير ، ولقد[٥] سألته مرة عن القالي بالقاف ، والفالي بالفاء ، فقال : لا أعرف إلا الفالي بالفاء فعلمت أنه ليس له عناية بغير رواة الحديث ، وإلا فأبو علي القالي بالقاف مشهور بين صغار الأدباء ، ولكن عندي من الشيخ جمال الدين فوائد وقواعد في أسماء رجال الحديث ، لم آخذها إلا عنه ، ولا وجدتها في كتاب ، وكان أسماء الرجال الذين يجيء ذكرهم في سماعاته وطرقه يجيد الكلام في طبقاتهم وأحوالهم وقوتهم وضعفهم ولينهم ، وكان في ذلك بحراً لا يشقّ ثبجه[٦] وعجاجاً لا ينحط قتامه .

(١) في الأصل : « فردّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) المظفر : هو ما أصابه أثر حكّ ، وأصله الحكّ أو الخدش بالأظفار . والتضبيب : الإخفاء . إشارة توضع على المكتوب الغلط .

(٤) في الأصل : « يصحح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) طمست في الأصل ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وفي (خ) : « وقد » .

(٦) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

ولما كان في سنة خمس وسبع مئة . تكلّم الشافعية وغيرهم مع الشيخ تقي الدين بن تيمية وبحثوا معه في القصر الأبلق ، وبحث معه صفي الدين الهندي ثم كمال الدين بن الزملكاني ، وخرجوا ، وانفصلت القضية ، فلما كان بعد ذلك في يوم الاثنين ثاني عشري شهر رجب الفرد قرأ الشيخ جمال الدين المزّي فصلاً في الردّ على الجهمية من كتاب (أفعال العباد) تصنيف البخاري ، وكانت قراءته لذلك تحت قبّة النسر في المجلس المعقود لقراءة الصحيح ، فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا : نحن المقصودون بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي ، فطلبه ، وحبسه ، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فتألم لذلك ، وأخرجه من الحبس بنفسه ، وخرج إلى القصر الأبلق ، واجتمع هو وقاضي القضاة هناك م وردّ عن المزّي ، وأثنى عليه ، وغضب قاضي القضاة ، وأعاد المزّي إلى الحبس بالقوصيّة ، فبقي أيّاماً ، ثمّ أُفرج عنه ، ونادى الأفرم في دمشق أنّه أي من تكلّم في العقائد حلّ ماله ودمه[١] .

وكنت قد كتبت أنا له توقيعاً بمشيخة دار الحديث النورية عوضاً عن الشيخ علم الدين البرزالي ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك في المحرم سنة أربعين وسبع مئة ، ونسخته :

رسم بالأمر العالي ، لا زالت أوامره المطاعة تزيد العلم الشريف جمالاً ، وتزينه بمن يفيده كمالاً ، أن يرتب المجلس السامي[٢] الشيخي الجمالي في كذا ثقة بأنّه الثقة ، والعالم الذي لغيره المقت وله المقة ، والمحدّث الذي متى[٣] فاه بما عنده بادر كل أحدٍ بالقبول[٤] وصدقه ، والحبر الذي إذا تكلم نسخ[٥] كلام من تقدّم بأقواله المحققة ،

---

(١) فصّل في هذا ابن كثير : ٣٧/١٤ .
(٢) (خ) : « العالي » .
(٣) (خ) : « إذا » .
(٤) في الأصل : « بالقول » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) (خ) : « نسي » .

والحافظ الذي اجتحف[١] سيله ابن نقطة فأغرقه ، والناقد الذي كدر على ابن معين صفوه ورنّقه[٢] ، والمصنّف الذي شيب من ابن أبي شيبة مفرقه ، والمسند الذي لو عاصره عبد الرزاق[٣] حرمه الرحلة إليه مما رزقه ، والمتأخر الذي لا يعرف بعد الدارقطني مثله ، وربما تقدمه في فنّه المحرر وسبقه .

فليباشر ما فوض إليه مباشرة يتضوّع من نشر السنة بها النشر[٤] ، ويكون للحديث الشريف حفظ يدوم إلى الحشر ، مجتهداً في البيان للطلبة ، والإعانة لهم على سلوك المعرفة ، فمحجّتها بالغموض منتقبة ، لأن تهذيب كماله ليس للبدر في تمامه كما له ، وأطرافه سار في الأطراف ، فما ينكره علماء الحديث ولا رجاله ، وإتقانه للأسماء إتقان تزأر في غابة أسوده وأشباله ، ومحلّه من الحفظ محل يعزّ على صاحب (الاستيعاب) مناله[٥] ، وإعرابه لو عاصره أبو البقاء لم يظفر بلبابه[٦] ، وتصريفه لو عاينه ابن جني ما دخل سُوقه على تصنيفه (الملوكي)[٧] برفع حجابه ، ولغته[٨] لو سمعها ابن الأعرابي[٩] ما نقل شيئاً عن أعرابه .

ولينزّل الطلبة منزل البنين في الحنوّ عليهم عند الهفوة ، ولا يكن فيه قسوة المعلمين

---

(١) في الأصل : « احتجف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ)، (ق) . واجتحفه : جرفه .

(٢) في الأصل : « وريّقه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . ورنّقه : كدّره .

(٣) عبد الرزاق بن همّام الصنعاني . له : الجامع الكبير في الحديث . قال عنه الذهبي : وهو خزانة علم . (ت ٢١١ هـ) . السير : ٥٦٣/٩ . وكتابه « المصنف » مطبوع . وكذلك مصنف ابن أبي شيبة . وفي الكلام تورية .

(٤) في الأصل : « البشر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) (خ) : « مثاله » . و (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر ، مطبوع .

(٦) هو اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) . الكشف : ١٥٤٣/٢ .

(٧) الملوكي مقدمة في التصريف لابن جني .

(٨) طمست في الأصل ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٩) محمد بن زياد (ت ٢٣١ هـ) ، له كتاب النوادر . الكشف : ١٩٨٠/٢ .

على من في ذهنه فترة ، ولم يكن من الفهم في الذروة ، وليَجْلُ عليهم حسن وجه الإقبال ، وإذا كان المؤمنون إخوة فيوسف أحسن الإخوة[١] ، حتى يوضح لهم ما أبهم من الأسانيد المظلمة ، والأسماء التي هي لتساوي صورها[٢] مبهمة ، والألفاظ التي هي لولا القرائن موهمة .

ولينبّه على الصحيح إذا ورد ، والحسن إذا أضاء وجهه لمن انتقد ، والضعيف إذا اعتلّ متنه ولم يصحّ له سند ، والموضوع الذي لا يعرفه إلا من امتاز برتبته وانفرد ، وليحرر لهم الألفاظ إذا رواها ، ويحقّق مخارجها الصحيحة[٣] الفصيحة التى فاخر بها هذا[٤] اللسان العربي وباهى ، ويحترز في أدائها ، **فقد قال صلى الله عليه وسلم : « نضّر الله امرأ سمع[٥] مقالتي فوعاها »** عاملاً في ذلك بشرط الواقف أثابه الله فيما يبدي ويعيد ، ولا يتعدّ ما قرّره ، فإنّ الله تعالى يرى عمله ، وقد استفاض في الواقف أنّه شهيد ، والوصايا كثيرة ، وعنه تصدر بالإفادة جميع وفودها ، ومن أفق فضائله تتألّق كواكب سعودها ، وتقوى الله عز وجل ملاك أمرها ، وسداد ثغرها ، فلا يتعرَّ منها منكبه ، ولا يتعدّ عنها مركبه ، والله تعالى يمدّ في أجله ، ويُبلّغ كلاًّ من الطلبة في بقائه غاية أمله .

والخطّ الكريم أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا ﴾ يوسف : ٨/١٢ . وفي كلامه تورية واضحة .

(٢) (خ) : « مظلمة » .

(٣) ليست في (خ) ، (ق) ، (س) .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (س) ، (خ) ، (ق) : نضّر الله من سمع » . وانظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٨٧/٢ .

١٩٨٨ ـ يوسف بن عبد الغالب*

ابن هلال الإسكندريّ العلاّف .

كان عاميّاً ، ولكن له النظم الحلو ، وروى عنه الفضلاء ، وكتبوا شعره .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في بلده سنة عشرين وسبع مئة .

ومن شعره ، وقيل إنه لابن الوحيد(١) :

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها ... لها وثباتٌ في الحشا وثباتُ
تـؤجج نـاراً وهي في العين جنّـةٌ ... وتعطيك طعم المرّ وهي نباتُ(٢)

ومنه :

كم قلت للحائك الظريف وفي ... يمينه طاقة يخلّصها(٣)
هل لك في ردّ مهجةٍ لفتى ... ليس له طاقة يخلّصها(٤)

١٩٨٩ ـ يوسف بن عبد المحمود**

ابن عبد السلام ، الشيخ الإمام العالم جمال الدين البتّي الحنبلي .

كان من فضلاء العراق ببغداد .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان إليه المرجع في القراءات والعربية .

---

* الدرر : ٢٦٢/٤ .

(١) محمد بن شريف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (س) ، (ق) والوافي ١٥١/٣ : « تؤجج ناراً في الحشا وهي جنّة » . وفي الوافي فقط : « وتبدي مرير الطعم وهي نبات » .

(٣) (ق) ، (س) : « وفي راحته » .

(٤) في (ق) ، (س) بعد هذين البيتين زيادة : « قلت : القافيتان واحدة » .

** الدرر : ٤٦٤/٤ ، وغاية النهاية : ٣٩٧/٢ ، والشذرات : ٧٤/٦ ، وذيول العبر : ١٤٨ .

١٩٩٠ - يوسف بن عمر بن الحسين*

الشيخ العدل المعمر بدر الدين الختني - بالخاء المعجمة وفتح التاء ثالثة الحروف وبعدها نون - المصري .

حضر في الرابعة على ابن رواج وتفرد به ، وسمع من صالح المدلجي ، والمرسي ، والبكري ، وابن اللّمطي ، وتفرّد بأشياء ، وله مشيخة ، روى منها عن نيّف وستين نفساً ، وأكثر الطلبة عنه .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - يوم الثلاثاء منتصف صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٩٩١ - يوسف بن محمد**

ابن مظفّر بن حماد ، جمال الدين الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها بالجامع الكبير .

حدّث (بجزء ابن الأنصاري) عن مؤمّل البالسي[١] ، والمقداد القيسي[٢] .

وكان على قدمٍ متين من العلم والعمل والتّعبد ونشر العلم .

وكان فقيهاً شافعيّ المذهب ، مشاركاً في الأصلين[٣] والنّحو ، أديباً شاعراً قدم القاهرة ، وحدّث بشيء من شعره ، وكتب عنه الفضلاء .

* الدرر : ٤/٤٦٦ ، والشذرات : ٦/٩٧ ، وذيول العبر : ١٦٧ ، والنجوم : ٩/٢٨٧ ، وفيه :« .. حسان » بدل حسين .

** تاريخ أبي الفداء : ٤/١٠٧ ، والدرر : ٤/٤٧٤ .

(١) في الأصل و (س) و (ق) : « النابلسي » ، سهو ، وأثبتنا ما في تاريخ أبي الفداء ، والدرر ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٢) المقداد بن هبة الله (ت ٦٨١ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) (ق) ، (س) : « الأصولين » .

أنشد شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدنا أبو المحاسن يوسف لنفسه :

وددت لو كان يهوى عاذلي ليرى حال المحبّ على الأشواق والفكر
يتلو الملام على سمعي فيكذبه قلبي بناءً على ما قد رأى بصري
يا فاضح الغصن من عطفيه في هيف ومخجل الظّبي من عينيه بالحور
إنّي ومدمعُ عيني سائلٌ أبداً حرمت جفني لذيذ النوم بالسهر
عسى توفي غريم الحبّ قبلته فيلتقي الحسن بين الغصن والقمر
وعلّ طيفك يسري نحو عاشقه إن استقرّت به تهويمة السّحر

وأنشدنا أيضاً له :

ولمّا أن قَضى أجلي بهجرٍ وسرت كليم وجدٍ لا محاله
بجانب خدّه آنست ناراً ولكنّي وجدتُ بها ضلالةْ

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في آخر نهار الأحد سابع ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة عن أربع وستين سنة[١] ، وتأسّف النّاس عليه ، رحمه الله تعالى .

١٩٩٢ ـ يوسف بن محمد*

الشيخ الإمام العالم صلاح الدين بن المغيزل الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها .

كان كهلاً ، مفنّناً في العلوم مناظراً ، له محفوظات وفضائل ، وحدث عن الشيخ شمس الدين بن قدامة[٢] .

(١) وفي الدرر نقلاً عن الكمال الأدفوي أنّ مولده في جمادى الآخرى سنة (٦٦٩ هـ) ، وموته في ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ .

* البداية والنهاية : ٩٥/١٤ ، والدرر : ٤٦٩/٤ ، وفيها : « يوسف بن محمد بن عبد اللطيف » .

(٢) عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

حكى لي شمس الدين بن النّصيبي[١] بحلب ، قال : بحث يوماً صلاح الدين بن المغيزل هو والشيخ صدر الدين بن الوكيل بحضور ابن البارزي قاضي حماة من بكرة إلى أن قال المؤذن للظهر : الله أكبر ، فقال القاضي شرف الدين : طوّل الله في عمريكما للمسلمين ، سروراً بها[٢] ، أو كما قال .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع عشرة وسبع مئة بحماة .

١٩٩٣ - يوسف بن محمد*

صلاح الدين ابن الملك الحافظ غياث الدين ابن الملك السعيد شاهنشاه ابن الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب .

سمع (جزء إسماعيل الصّفار) على إسماعيل العراقي حاضراً في الثالثة سنة ست وأربعين وست مئة .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في خامس عشري ذي القعدة سنة خمس وسبع مئة .

١٩٩٤ - يوسف بن محمد بن عثمان**

السيف ، الناسخ ، الدلاّل على الكتب بجسر اللبّادين بدمشق .

أصله من سرخس ، رأيته غير مرة ينادي على الكتب ، وينسخ ، وهو شيخ قد أنقى[٣] .

---

(١) كذا في الأصول والدرر . وأغلب الظن أنه تاج الدين بن النصيبي ، محمد بن أحمد بن محمد ، وكيل بيت المال ، وكاتب الدرج بحلب ، (ت ٧١٥ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « بهما سروراً بها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٤/٤٦٩ .

** الدرر : ٤/٤٧١ .

(٣) رجلٌ أنقى : دقيق القصب .

وكان رَزِيّ الحال . كتب كثيرا من الدواوين المتأخرة ، خصوصاً (ديوان ابن قزل المشدّ) و (ديوان ابن محاسن) الشوّاء .

وكان يقول : أنا قبّلت قُبلة بألف درهم ، يفتخر بذلك .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٩٩٥ ـ يوسف بن محمد بن منصور****

ابن عمران المحدث الفاضل أبو الفضل الهلالي الحوراني .

كتب (أحكام) الضياء[١] ، وقرأه على [ابن] الكمال[٢] ، وحفظ متوناً جمّة ، وقرأ الحديث على ابن عبد الدائم ، وصحب محموداً الزاهد الدمشقي[٣] ، وسمع بمصر من الرشيد العطار ، وكتب عنه الجماعة ، وكان يقرأ على كرسي بالجامع من حفظه[٤] ، وربّما قرأ في القرى ، فيهبونه .

وكان ديّناً قانعاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة عشر وسبع مئة .

١٩٩٦ ـ يوسف بن محمد بن يعقوب*****

ابن إبراهيم ، القاضي الإمام العالم شهاب الدين بن الصاحب محيي الدين بن النحاس الحلبي الحنفي .

---

* الدرر : ٤٧٥/٤ ، وفيه : « ابن عمر » ، وسيكرر المصنّف هذه الترجمة بألفاظ قريبة .

(١) الأحكام في الفقه الحنفي لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) . الكشف : ٢٢/١ .

(٢) في الأصل : « الكمال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر . وهو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٨٨ هـ) . العبر : ٣٥٩/٥ .

(٣) في الترجمة المكررة : « وصحب الشيخ محموداً الدشتي » .

(٤) في الدرر أنه أمّ بمسجد آدم بدمشق . وانظر ما يأتي في الترجمة المكررة .

** تالي وفيات الأعيان : ١٥٤ ، والبداية والنهاية : ٥/١٢ .

كان صدراً كبيراً ، خلف والده في تدريس المدرستين الريحانية والظاهرية ، وباشر في حياة والده نظر الخزانة ، وباشر بعد موته نظر الجامع مدة ، وكان معيّناً للمناصب الكبار .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٩٩٧ - يوسف بن محمد بن عبيد الله*

القاضي صلاح الدين كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة .

كان كاتباً مأموناً ، اعتمد عليه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ومن بعده . ولم يزل مقدّماً عند كاتبي السر واحداً بعد واحد إلى آخر أيام القاضي علاء الدين بن الأثير ، وكان يستكتبه في المهمّات ، وكان يلازم الديوان ، تطلع الشمس وتغرب عليه وهو في الديوان ، أقام كاتب درج مقدار خمس وخمسين سنة .

وكان ساكناً خيّراً ، ليس فيه شرّ البتّة ، محتملاً أذى رفاقه ، رأيتهم وهم يسبّونه في وجهه ، ولا يردّ عليهم ، خصوصاً القاضي قطب الدين بن المكرم ، كان يقول له : لعن الله والديك يا كلب يا ابن الكلب ، يا عبد النّحس يا ابن الأمة ، ولا يردّ عليه حرفاً . هذا وهو المقدّم على الجميع .

وكان أسمر اللون ، قطط[1] الشعر ، صغير الذقن .

ولّما حصل الفالج للقاضي علاء الدين بن الأثير ، طلبه السلطان الملك الناصر محمد ليكتب بين يديه شيئاً في السر على أن يجعله كاتب سر ، فلما أخذ الأمير سيف الدين ألجاي الدوادارية ، ودخل به في دهليز القصر ، أحدث في سراويله ، فأعفي من الدخول ، وكبرت سنّه ، وعورت عينه ، وانهدّت أركان قواه ، وهو ملازم الخدمة ،

---

* الدرر : ٤/٤٧٠ .

(١) شعر قط وقطط : جعد قصير .

فكنت أقول له : لو وفرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيراً ، وكان يقول : أخاف أنهم يقطعون معلومي . ولم يكن أحد يقدم على ذلك لِقدَم هجرته ، وثبوت قدمه في الخدمة ، ولكن كل ذلك من ضعف نفسه ، وكان يكتب خطاً رديئاً ضعيفاً .

ولم يزل على حاله حتى توفي - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان معلوم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قد رُسم به للقاضي شهاب الدين محمود ، ولم يزل عليه إلى أن خرج إلى دمشق كاتب السرّ ، فأعطى المعلوم للقاضي صلاح الدين بن عبيد الله ، ولما توفي رسم بالمعلوم للقاضي جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود[(١)] .

١٩٩٨ - يوسف بن محمد بن محمد*

ابن عبد الرحمن بن علوان ، القاضي الأصيل بهاء الدين بن القاضي محيي الدين[(٢)] الإسكندريّ الحلبي .

كان مشهوراً بقضاء سرمين وأعمالها ، وكان له هيئة حسنة ، وعنده كرم ، وله معروف وفيه رئاسة ومروءة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وروى[(٣)] لنا عن ابن قميرة وابن رواحة وابن خليل بحلب ودمشق والقاهرة وسرمين .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس عشري شهر رجب سنة سبع مئة .

ومولده في شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة بحلب .

وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بمقبرة الصوفية .

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) وبه انتهت النسخة (خ) .

(٢) انظر في ترجمته : الوافي : ١/١٨٣ .

(٣) (س) ، (ق) : « روى » .

١٩٩٩ - يوسف بن محمد بن منصور*

الشيخ الصالح المحدث الهلالي العامري الكفيري[(١)] الفرّا .

كان رجلاً صالحاً ، يقرأ الحديث على كرسي بالجامع الأموي ، ويصلّي بمسجد آدم عليه السلام ، وله كتب وأجزاء ، سمع بقراءته من ابن عبد الدائم ، وبمصر من الرشيد العطار ، وحدث عنهما ، وصحب الشيخ محموداً الدشتي[(٢)] ، وسمع بعض تصانيفه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب الفرد سنة عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وست مئة .

٢٠٠٠ - يوسف بن محمد بن أحمد**

ابن صالح بن صارم بن مخلوف ، القاضي نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الأنصاري الخزرجي المعروف بالفيّومي .

اجتمعتُ به بالديار المصرية ، وبصفد ، وبدمشق غير مرّة . أعرفه وهو شاهد العمائر في خدمة الأمير سيف الدين بكتمر الساقي بالديار المصرية ، ثم إنه ورد إلى صفد ، وكان في ديوان نائبها الأمير سيف الدين طشتمر الساقي . ثم توجه معه إلى حلب . ثم إنه عاد إلى مصر . واجتمعت فيها [به][(٣)] سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكتب هو إليّ لما قدمتُ القاهرة في هذه السنة :

---

* سلف أن ترجم له المصنف بألفاظ مغايرة .

(١) في الدرر : « الكفري » .

(٢) في الترجمة التي كررها من قبل « الدمشقي » ، والدَّشت : قريةٌ من قرى أصبهان . انظر : (معجم البلدان) .

** الدرر : ٤٧٥/٤ ، وفيه : « يوسف بن محمد بن منصور بن أحمد ... » .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) . وفي (س) : « به فيها » .

وجـــدنـــا أُنْسَ مـــولانـــا فلمـــا ... وجـــدنـــا الأنس لم تقنـع بـــذاكا
وهـــام الطرف مني في انتظـــار ... يروم من الصبـــابـــة أن يراكا
عجـــزت عن المـــزار فكنتَ ممن ... نـــواك بـــه كُفينـــا من نـــواكا[1]
ولا عتبٌ على شيـــخ ضعيفٍ ... إذا مـــا قـــام لم يملـــك حراكا
فعش لمسرّة الأحبـــاب إنّـــا ... إذا مـــا عشت عشنـــا في ذراكا

وكان قد كتب إليّ بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة أبياتاً جيدة ، ضاعت من يدي ، وكتبت أنا الجواب في وزنها [ورويّها][2] وهو :

أهـديت لي من نظمـك النـاضر ... زهر رُبـاً أفـديـه بـالنـاظر
نظمتـه شعراً فـألهى الـورى ... عن كلّ معنىً حسن نـــادر
فجـاء في لطف نسيم الصّبـا ... إذا سرى وهنـاً على حـاجر
يكاد من رقّـة ألفـاظـه ... يُشرب في كأس الطّـلا الـدائر[3]
من كلّ معنىً فـائـقٍ لم يـدر ... في فكر نظّـام ولا نـاثر[4]
من أين أبـدعت المعـاني التي ... فيـه ومـا مرّت على خـاطر
لو كان في عصرٍ مضى [ما] رأى الـ ... ـنـاس البكا في المنزل الـداثر[5]
فـلا روى العشـاق مـع وجـدهم ... نسيب مجنـون بني عـامر
ولا رأى النـاس غـزال الحمى ... يروق فيـه غـزل الحـاجري[6]
ولم يمثـل بسـوى لفظـه ... شـواهـد في (المثـل السـائر)
فـأنت أولى النـاس فينـا بـأن ... تُعرف بـالسّـاحر لا الشـاعر

(١) في الأصل : « عن المراء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .
(٣) قوله : « في » ليس في (ق) .
(٤) في الأصل : « يذر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .
(٥) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) . وبها يستقيم الوزن .
(٦) عيسى بن سنجر بن بهرام ، شاعر رقيق الألفاظ ، حسن المعاني ، (ت ٦٣٢ هـ) ، وديوانه مطبوع .

علـوت نـور الـدين في ذروة تسمـو على الـواقـع والطـائر
لأنّ مـا تنظمـه لم يكن لأول فينـا ولا آخر
شعر متى ابتـاعـه مفلسٌ بنفسـه لم يـكُ بـالخـاسر
تـالله قـد بـالغتَ في وصف مـا يقـلّ في البـاطن والظـاهر
لأنني في أدبي قـاصرٌ أسبـح في بحر النّهى الـزّاخر
وليس مـا أجمـع مستحسنـاً في أدب البـادي ولا الحـاضر
وربمـا يختـار مـولاي أن يكـون من دون الـورى جـابري
فـاسلم ودم مـا ابتسمت روضـة بكى لهـا جفن الحيـا المـاطر

وأنشدته يوماً لغزاً نظمته في « قصب السُّكر » ، وهو :

عجبت لمعسـول الرّضـاب مهفهف يحـاكي أنـابيب القنـا حـال نبتـه
تنـاقض معنـاه الغريب فبـولـه على الرأس راسٍ والشـوارب في استـه

وأنشدني هو من لفظه لنفسه فيه :

في حلب أبصرت أعجـوبـةً تُخرج أذكى النـاس من عقلـه
شخصاً رشيق القـدّ عـذب اللّمى لا تقـدر الرّوم على مثلـه
وهـو بـلا عقـل جريـح الحشـا والـدّود لا يشبـع من أكلـه
لا يبرح البـول على رأسـه والقيـد لا ينفـكّ عن[1] رجلـه
لـه عيـون وهـو أعمى وفي عينيـه أولادٌ على شكلـه
يـا من سما بين الـورى قـدرُه اكشف لنـا عنـه وعن أصلـه

وأنشدني من لفظه لنفسه في « الْعُصْفر » :

أشبّـه عصفراً في الروض يُـزهى وتشبيهي لهيئتـه مقـارب
ككنز فيـه بلّـور عليـه دنـانير ومهلكهـا عقـارب

(١) (ق) : « من » .

٢٠٠١ - يوسف بن محمد بن نصر*

ابن أبي القاسم الشيخ الفقيه جمال الدين المقرئ .

سمع من ابن علاّق والنجيب الحراني .

أجاز لي بخطه بالقاهرة ، في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وستين وست مئة[١] .

وتوفّي رحمه الله تعالى[٢] .

٢٠٠٢ - يوسف بن محمد بن سليمان**

ابن أبي العز بن وهيب بن عطاء ، الشيخ الفقيه الإمام الصدر الكبير جمال الدين أبو المحاسن ابن الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله ابن الشيخ قاضي القضاة صدر الدين[٣] ، الأذرعي الأصل الحنفي .

كان مدرساً بالعذراوية والإقبالية للطائفة الحنفية ، ثم إنه تركها في آخر عمره لولده صدر الدين علي[٤] ، وولي نظر الجامع الأموي ، وتوكّل لجماعة من الأمراء ، ودرس قديماً بمدارس الحنفية بالقدس .

وسمع بالقاهرة من الرّضي بن البرهان الواسطي ، وله إجازة من عثمان بن خطيب

---

* وفيات ابن رافع : ٢٠٦/١ ، وفيه : « ابن قاسم » .

(١) في الدرر : « ولد سنة ٦٦٤ هـ ، وبخط ابن رافع سنة ٥١ ، وبخط غيره سنة خمسين » .

(٢) في الوفيات والدرر : أنه مات في الخامس عشر من صفر سنة (٧٤٥ هـ) وقد أسنّ جداً .

** الدرر : ٤٦٩/٤ .

(٣) (ت ٦٧٦ هـ) . الدارس : ٣٦٣/١ .

(٤) (ت ٧٣٧ هـ) . الدرر : ١٤٣/٣ .

القرافـة ، وعبـد الله بن الخشوعي ، والعماد بن عبـد الهـادي ، والصـدر البكري ، وأبي طالب بن السروري ، وحدّث . وكان حسن الأخلاق ، وفيه مودّة وكرم .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر[1] صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

٢٠٠٣ ـ يوسف بن مظفر*

ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، الفقيه الإمام العالم جمال الدين المعري بن الوردي ، أخو القاضي الفاضل زين الدين عمر بن الوردي ، وقد تقدّم ذكره في حرف العين . وكان القاضي جمال الدين هذا هو الأكبر .

وكان فقيهاً جيداً ، قرأ (التنبيه) ، واشتغل (بالحاوي الصغير)[2] كثيراً . وكان ينقل من الرافعي[3] ، ومن (الروضة)[4] كثيراً . ذكر لي جماعة أنه كان فقيه النفس ، وكان جواد بما يملكه ، اشتغل على القاضي شرف الدين البارزي ، وتنقّل في القضاء بالبلاد الحلبية ، وربما أنه تعدى السبعين سنة ، وكان ضعيف العربية .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

٢٠٠٤ ـ يوسف بن موسى**

ابن محمد بن مسعود ، بهاء الدين بن الشيخ تاج الدين المراغي المعروف بابن الحيوان .

---

(١) ليست في الدرر .

* الدرر : ٤٧٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٧٢ .

(٢) للقزويني ، عبد الغفار بن عبد الكريم (ت ٦٦٥ هـ) . الكشف : ٦٢٥/١ .

(٣) يريد : المحرر في فروع الشافعية للرافعي ، عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣ هـ) . الكشف : ١٦١٢/٢ .

(٤) في الفروع للنووي ، يحيى بن شرف (٦٧٦ هـ) . الكشف ٩٢٩/١ .

** لم نقف على ترجمة له .

كان شاباً ذكياً فاضلاً ، وله شعر واشتغال ومحفوظ ، ولازم ابن الباجر بقي بعدما[1] تفقر ، وكان يعظم الباجر بقي ، وامتدحه بقصيدة .

قال البرزالي : وسمع على جماعة من شيوخنا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

٢٠٠٥ ـ يوسف بن موسى بن أحمد*

القاضي الرئيس الصدر صلاح الدين ابن القاضي قطب الدين ابن شيخ السلاميّة .

كان شاباً نشأ غصناً في رياض سعادة ، وطلع بدراً بين الكواكب الوقّادة ، قطف زهرة دنياه الغضّة ، وأمطرت السما عليه ذهباً وفضة ، وفاز بلذات ما كان غيره يراها في الأحلام ، ورأس على صغر سنّه على كل من في الشام . وكان تنكز يحبه ويكرمه ، ويوفر جانبه ويعظمه .

ولم يزل إلى أن ذوى غصنه اليانع ، وسقت قبره من العيون الغيوثُ الهوامع .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان قد تزوج ابنة الصاحب شمس الدين غبريال في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

٢٠٠٦ ـ يوسف بن أبي نصر**

ابن الشقاري ، الأمير[2] المسند عماد [3] الدين أبو الحجاج الدمشقي .

(١) (ق) : « بعدها » ، (س) : « بعده » . والباجربقي عبد الرحيم بن عبد المنعم بن عمر . (ت ٦٩٩ هـ) . سلفت ترجمته .

* البداية والنهاية : ١٥٢/١٤ ، والدرر : ٤٧٨/٤ .

** العبر : ٤٠٧/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٢) (ق) ، (س) : « الشيخ الأمير » .

(٣) في الأصل : « جمال » ، وأثبتنا ما في (ق) والعبر والشذرات .

سمع (الصحيح) من ابن الزبيدي ، وابن الصلاح ، والناصح بن الحنبلي ، والفخر الإربلي ، والرشيد بن الهادي(١) ، والسخاوي .

وولي إمرة الحاج مرات عديدة ، وأنفق في ذلك وفي وجوه البر أموالاً كثيرة .

وكان سليم الباطن وقف بالنيّرب تربة مليحة بقبّة ، وخانقاه ومسجداً ، ووقف على ذلك أماكن . وحدّث بالصحيح غير مرة ، وقرأ عليه شيخنا الذهبي (الصحيح) في عشرة أيام .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة عشر وست مئة .

٢٠٠٧ ـ يوسف بن هبة الله*

الإسرائيلي ، الشيخ جمال الدين بن الحلبي الطبيب الفاضل المعروف في القاهرة بالصفدي ، لأنه سكن صفد مدّة .

وله كلام جيد على آيات تدل على ذكائه واطلاعه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وتسعين وست مئة .

٢٠٠٨ ـ يوسف بن هلال**

ابن أبي البركات جمال الدين الحلبي الحنفي أبو الفضائل الطبيب الصفدي .

أخبرني العلامة أبو حيان من لفظه ، قال : كان المذكور فيه تعبّد واعتكاف في شهر رمضان بجامع الحاكم ، وكان يؤثر الفقراء ويطبّهم ويبرّهم بالشراب والطعام الذي

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن يحي القيسي (ت ٦٨٢ هـ) . الشذرات : ٥/١٨٦ .

* لم نقف على ترجمة له .

** لم نقف على ترجمة له . وانظر كلام المصنف في آخر الترجمة .

يواتيهم في مرضهم ، وأنشدنا لنفسه بالكاملية يوم الأحد تاسع المحرم سنة إحدى وثمانين وست مئة :

بكمال حسنك يا مخاطب ذاتي ... بلوائح أخفى من اللحظات
أنعم عليّ بترك ما هو عكس ما ... قد جلّ عن حصر وعن كلمات
يا قهوة مني إلي شربتها ... عندي إذا حظرت على الأموات
ارتجت الأرضون ثم تشققت ... عن كلّ ميت فيه كل حياة
هي روح سر السر فهي إذا بدت ... تستغرق الأرواح في الأوقات
من دونها موتٌ وفيها عيشةٌ ... فالرّوح أول نقدةٍ يا آتِ
ماذا أقول وما أصرّح واصفاً ... قد قلت في الحركات والسّكنات
فوصفت ظاهرها بما أظهرته ... والسر في سري ولا بصفات

قال شيخنا الذهبي : كان أديباً عالماً ، له أرجوزة في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة ثالث عشري المحرّم سنة ست وتسعين وست مئة .

قلتُ : الظاهر أنه هذا الذي تقدم آنفاً ، وإنما وَهِمَ أثير الدين في اسم أبيه .

٢٠٠٩ ـ يوسف بن يوسف*

ابن اسرائيل بن يوسف بن أبي الحسن الفقيه الفاضل بدر الدين ابن الشيخ المقرئ جمال الدين الصالحي الحنفي(١) .

---

* الدرر : ٤٨٢/٤ .

(١) (ت ٧٣٤ هـ) ، الدرر : ٤٤٩/٤ .

كان فقيهاً مشتغلاً بالفقه والأصول ، حسن المناظرة ، باشر إعادة المدرسة الظاهرية وغيرها .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، ورثاه العماد القطان بقصيدة .

٢٠١٠ ـ يوسف حَوْك*

النصراني الزغلي .

كان من أهل الكرك . أوّل ما عرفت من أمره أنه أمسكه والي الشقيف من بلاد صفد بزغل[١] ، وجهّزه إلى صفد ، وكان النّائب بها إذ ذاك الأمير سيف الدين أرقطاي في شهور سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، فدخل إليه ، وطلب الخلوة به ، فقال له : أحضر لي صائغاً خلوة ، فلما حضر قال له : قصّ من هذه النحاسة التي معك شيئاً ، فقصّ ذلك قدراً زنته[٢] أربعة خمسة دراهم ، ووضعها في البوتقة ، ولما ذابت ؛ ألقى عليها شيئاً مما معه مثل الذّرود ، فصارت فضة حجر ، ليس فيها ريبة ولا شبهة ، فقال النائب للصائغ : ما تقول في هذه ؟، فقال : هذه فضة حجر طلغم ليس فيها شيء ، فأطلعه إلى القلعة ، واعتقله بها . وبقي خائفاً من الأمير سيف الدين تنكز ، لا هو الذي يخرجه من الاعتقال ، ولا هو الذي يتمكّن منه ليعمل له الذي توهّمه فيه . ولم يزل يوسف معتقلاً بقلعة صفد إلى أن كتب ذلك قصّة وجهّزها في سنة ثلاثين وسبع مئة أو ما قبلها إلى تنكز ، وطلب فيها الحضور ، فأحضره تنكز من صفد ، ودخل إليه ، وعمل بين يديه كما عمل قدّام نائب صفد ، وكان تنكز سعيد الحركات والآراء ، فقال له : أحقّ ما عملت هذه الصنعة بين يدي مولانا السلطان ، فكتي مطالعة بصورة

---

* لم نقف على ذكر له .
(١) الزغل : تزييف النقود .
(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « يكون زنته » .

الحال ، وجهّزه تحت الترسيم إلى السلطان الملك الناصر ، فدخل إليه ، وعمل ذلك العمل أيضاً ، فطار عقل السلطان به ، وقال له : أنا أعمل الذهب أيضاً .

وبقي عند السلطان ينام في المرقد ، ويركب من خيل النّوبة ، وينزل إلى القاهرة ، وأوهم الناس ، وأخذ منهم الذهب ، ومن بكتمر الساقي ومن الخدّام شيئاً كثيراً من الذهب ، وصار يقول لهم : كلّ من أحضر لي خمس مئة دينار أخذها خمسة آلاف ، فطمع الناس ، وأعطوه ذهباً كثيراً ، وهو يأخذ الجميع ، ويدكه في الفحم ، ويحرّك به البوتقة ، ويفرّغ ذلك ذهباً أحمر لا مرية فيه :

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب ... أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة ... إلا من الفضة المعروفة النّسب

وبلغ في أمره أن كان السلطان يطلب له الخمر من الأقباط ، ويشربه قدّامه ، ويقول له : يا خوند ما أقدر على الزئبق ورائحته إلا بهذا ، وكان يحتمل له السلطان هذا مع كراهيته في الخمر ، وشرع يدافعه من وقت إلى وقت ،إلى أن قال له : هذا يريد حشيشة ما رأيتها إلاّ في جبال الكرك ، فجهزه تحت الترسيم على خيل البريد إلى الكرك ، ولو قدر هناك على الهروب هرب . لكنّ الترسيم[1] الذي عليه ، احتفظوا به ، وأحضروه .

ثم إنه هرب من القاهرة ، وتطلبه السلطان ، وأمسك أناساً ضمنوه[2] ، وقتلهم بالمقارع ، و بالغ في طلبه إلى أن أمسك في الصعيد ، وأحضر إلى السلطان في أواخر الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، فسلّمه إلى والي القاهرة ، فقتله من بعد صلاة الجمعة إلى المغرب ألف شيب[3] ، فأصبح وقد ورم جسده جميعه ، وسُمّر على جمل ، وطيف به ، وهلك .

(١) (ق) ، (س) : « التراسيم » .
(٢) في (ق) ، (س) زيادة : « كانوا ضمنوه » .
(٣) الشِّيب ، بالكسر : سير السوط .

والذي كان في ذهني منه أنّه كان قد ظفر من أحد ببعض شيء من إكسير ، فكان يعمل بين يدي أولياء الأمر منه قليلاً قليلاً ، والذي يتعيش به على الناس كله من الزغليات ، ولهذا كان لا يعمل إلا ثلاثة[١] دراهم أو أربعة .

٢٠١١ - يونس بن إبراهيم*

ابن عبد القوي بن قاسم بن داود ، فتح الدين الكناني العسقلاني أبو النون الدبابيسي ، مسند الديار المصرية[٢] .

قرأت عليه جميع القدر المسموع من كتاب (القناعة) لابن أبي الدنيا[٣] من أول الجزء الأول إلى قوله : « فكأنّما ملئت غنىً » ، وذهب عني ما كنت أجده بسماعه من الشيخ أبي الحسن بن أبي عبد الله بن المقير سنة اثنتين وأربعين وست مئة ، وجزءاً فيه ثلاثة أحاديث من رواية الشيخ أبي أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد الفرضي[٤] بسماعه من ابن المقير ، وجزءاً فيه الأسانيد[٥] الحسنة المختارة من رواية الشيخ أبي غالب شجاع بن فارس[٦] الذهلي الحافظ عن شيوخه بسماعه من ابن المقير ، وجزءاً فيه أحاديث منتقاة من أصول الشيخ الجليل أبي الرجاء محمد بن أحمد الجركاني[٧] ، وجزءاً فيه أحاديث عن مشايخ الإمام أبي طاهر السلفي ، وجزءاً فيه موعظة الأوزاعي للخليفة بإجازته من ابن المقير ، وجزءاً فيه خطب الإمام علي بن أبي طالب في وفاة

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « وزن ثلاثة » .

* الدرر : ٤/٤٨٤ ، الشذرات ٦/٩٢ ، وذيول العبر : ١٦١ .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « هو أحد الأشياخ الذين سمعت عليهم بالديار المصرية » .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١ هـ) . انظر : هدية العارفين : ٥/٤٤٢ .

(٤) (ت ٤٠٦ هـ) . السير : ١٧/٢١٢ .

(٥) (س) ، (ق) : « الأناشيد » .

(٦) في الأصل و (س) و (ق) : « فارس بن شجاع » ، وهو سهو ، (ت ٥٠٧ هـ) . انظر : السير : ١٩/٣٥٥ .

(٧) (ت ٥١٤ هـ) ، وهو منسوب إلى جركان ، قرية من قرى أصبهان . (معجم البلدان) .

أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بإجازته من ابن المقير ، وجزءاً فيه مجلس من مجالس القاضي أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني[(١)] عن شيوخه بإجازة المسمع من السبط .

وسمعت عليه بقراءة غيري أجزاء أُخَر كثيرة .

وكان قد سمع بإفادته عمه المحدث داود [و][(٢)] ابن أبي الحسن علي بن عبد الله[(٣)] بن المقير . وأجاز له ابن المقير ، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحباب ، وأسعد بن عبد الغني بن قادوس[(٤)] ، وحمزة بن عمر بن أوس[(٥)] ، وشعيب بن يحيى بن أحمد الزعفراني ، وظافر بن طاهر بن شحم المطية[(٦)] ، وأبو الحسن علي بن محمود الصابوني[(٧)] ، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الجوشني[(٨)] ، والفقيه بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن بنت الجميزي[(٩)] الشافعي ، وعبد الرحمن بن مكي بن الحاسب سبط السلفي[(١٠)] ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن النّقار ، وأبو الرضا علي بن زيد بن علي التّسارسي[(١١)] ، ومحمد بن أبي الحسن بن يحيى بن ياقوت ، ومحمد بن إبراهيم بن الحبّاب ، وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن عبد القوي ، ومنصور بن

---

(١) (ت ٥٠٢ هـ) . السير : ٢٦٠/١٩ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في السير : ١١٩/٢٣ « عبيد الله » . ووفاته سنة (٦٤٣ هـ) ، وأشار ثمة إلى سماع يونس عنه .

(٤) (ت ٦٣٩ هـ) . الشذرات : ٢٠٣/٥ .

(٥) (ت ٦٤١ هـ) . الشذرات : ٢١١/٥ .

(٦) في الأصل : « ظاهر بن ظاهر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وفي العبر : ١٧٢/٥ ، والشذرات ٢١٣/٥ « ابن سحم » ، ولم ترد فيهما لفظة : « المطية » ، ووفاته سنة (٦٤٢ هـ) .

(٧) (ت ٦٤٠ هـ) . السير : ٨٢/٢٣ .

(٨) (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠٠/٥ .

(٩) (ت ٦٤٩ هـ) . الشذرات : ٢٤٦/٥ .

(١٠) (ت ٦٥١ هـ) . السير : ٢٧٨/٢٣ ، ووقع في الأصل : « الحاجب » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والسير .

(١١) (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٩٢/٢٣ .

سند بن الدباغ[(١)] ، وأبو البركات هبة الله بن محمد المقدسي[(٢)] ، ويوسف بن عبد المعطي بن المخيّلي[(٣)] ، ويوسف بن محمود الساوي[(٤)] ، وأبو علي الحسن بن إبراهيم بن دينار ، وأبو بكر محمد بن الحسن السفاقسي[(٥)] ، وأبو الفضل المرجا بن أبي الحسن بن شقيرة ، ويعقوب بن محمد الهذباني ، ومنصور بن أبي القاسم الجهني ، وعبد العزيز بن عبد الوهاب بن عوف[(٦)] ، وعبد القوي بن عزون ، وابنه إسماعيل ، وأحمد بن يحيى بن صباح ، وعبد الحق بن عبد الله بن علاّق[(٧)] ، والحسن بن علي الفارسي[(٨)] ، وأبو طالب محمد بن علي [بن][(٩)] الخيمي ، ومحمد بن إبراهيم التلمساني[(١٠)] ، ويوسف بن عبد الكافي بن الكهف ، ومحمد بن محمود الأموي ، وزهير بن محمد المهلبي[(١١)] ، وعبد المنعم بن رضوان بن مناد . وله رواية عن غير هؤلاء .

وحدّث بالكثير ، وسمع منه أبو الحجاج المزي سنة ثلاثٍ وثمانين ، وأبو محمد البرزالي ، وسمع منه الحافظ أبو العلاء الفرضي .

وكان شيخاً أميّاً ساكناً ديّناً ، له جلد على إسماع الحديث ، وتفرّد بغالب شيوخه ، وعلا سنده ، وانتفع الناس به ، وازدحم الطلبة عليه ، وهو آخر من حدث بالقاهرة عن ابن المقيّر ، وعن خلق من أصحاب السلفي بالإجازة .

---

(١) (ق) ، (س) : « الدماغ » (ت ٦٤٦ هـ) . العبر : ١٩١/٥ .

(٢) (ت ٦٥٠ هـ) . العبر : ٢٠٦/٥ .

(٣) في الأصل : « المجتلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . (ت ٦٤٢ هـ) . السير : ١١٦/٢٣ .

(٤) توفي سنة (٦٤٧ هـ) . العبر : ١٩٥/٥ .

(٥) (ت ٦٥٤ هـ) . السير : ٢٣٨/٢٣ .

(٦) (ت ٦٤٧ هـ) . الشذرات : ٢٣٨/٥ .

(٧) في الأصل : « علان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٨) ويقال أيضاً : « الفاسي » ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٤/٥ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٠/١ .

(٩) زيادة من (س) ، (ق) .

(١٠) (ت ٦٥٦ هـ) . الشذرات ٢٨٣/٥ .

(١١) هو البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ) .

وأجاز لي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة ، وأذن في الكتابة عنه الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في مستهل جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة تقريباً بالقاهرة .

قلت أنا فيه :

إنّ الروايــة تحتــاج العلــوّ فمن ... يسمــع على صغرٍ يصعــد بتــأسيس
ولم يكن لي في الإسنــاد مرتبــة ... تعلـو وقـد حصلت لي بـالـدبـابيسي

٢٠١٢ ـ يونس بن إبراهيم*

ابن سليمان ، الشيخ الإمام الفاضل بدر الدين الصرخدي الحنفي خطيب صرخد[(١)] .

كان فاضلاً فقيهاً أديباً عارفاً بالنحو واللغة ، وأقام بالمدرسة العزية التي بالكجك[(٢)] بدمشق مدة منقطعاً عن الناس بنفس شريفة تقنع بالقليل . طُلب في أواخر عمره لخطابة صرخد ، فأجاب ، وفرح به أهله ، وذكر أنه سمع من الصريفيني[(٣)] .

وتوفي بصرخد في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وست مئة[(٤)] .

---

* بغية الوعاة : ٣٦٥/٢ .

(١) مدينة من أعمال حوران ، وتعرف اليوم بـ (صلخد) .

(٢) عبارة الدارس ٤٢٧/١ : « الكشك » ، وهو دربٌ في دمشق .

(٣) إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت ٦٤١ هـ) . الشذرات : ٢٠٩/٥ .

(٤) ومولده سنة (٦١٤ هـ) كما في البغية .

ومن شعره :

ظمئت إلى سلسال حسنك مقلة ... رويت محاجرها من العبرات
تشتاق روضاً من جمالك طالما ... سرحت به وجنت من الوجنات[(١)]
حجبوك عن عيني وما حجبوك عن ... قلبي ولا منعوك من خطراتي
هل ينقضي أمد البعاد ونلتقي ... بلوى المحصّب أو على عرفات
وتضمنا بعد البعاد منازل ... بالخيف أو بمنى على الجمرات
وأفيق من ولهي عليك وينقضي ... شوقي إليك وتنطفي جمراتي

٢٠١٣ ـ يونس بن أحمد*

ابن أبي الجن ، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .

كان كبير الأشراف بدمشق ، يدعى ناصر الدين .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وعشرين وسبع مئة[(٢)] .

سمع من خطيب مردا ، وروى عنه . وقصده الطلبة ، وسمعوا عليه لشرفه ونسبه .

وكان جيداً متودداً ، له شهرة بين الناس .

٢٠١٤ ـ يونس بن أحمد بن صلاح**

الشيخ الإمام المفتي شرف الدين أبو النون القرقشندي[(٣)] الشافعي .

---

(١) في الأصل : « الجنات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٤٨٥/٤ ، وتمام نسبه ثمة ، وذيول العبر : ١٤٤ ، والشذرات : ٧٤/٦ .

(٢) ومولده سنة (٦٤٥ هـ) ، كما في الدرر .

** الدرر : ٤٨٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٥/٩ .

(٣) نسبة إلى (قرقشندة) قرية بأسفل مصر . (معجم البلدان) وفي النجوم : « القلقشندي » . وهما واحد .

كان فقيـه مصر ، وسمع من عبـد الهـادي قطعـة من (المـوطـأ) ، وطلب السماع عليه ، فامتنع . وكان معيداً بزاوية الشافعي بجامع مصر .

وتوفي - رحمه الله تعـالى - في حـادي عشري شهر ربيع الآخر سنـة خمسٍ وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

وقـع في وقتٍ بينـه وبين الشمس المحـوجب نـزاعٌ في مسـألـة ، وانفصـلا من غير تراضٍ ، فجاء إليه المحوجب ثاني يوم ، واستغفر له ، وقال : رأيت الشـافعي في النومِ ، وقال : لا تنازعه فإنه ينقل مذهبي .

٢٠١٥ - يونس بن حمزة*

ابنِ عبـاس الإربلي ، الشيـخ الصـالـح الكبير المعمر أبـو محمـد العـدوي القطّـان ، السـاكن بالصالحية .

كان مشهـوراً بطـول العمر ، روى بـالإجـازة العـامـة عن داود بن معمر بن الفاخر[1] ، وكان يمكن أن يروي عمّن هو أقدم منه ، ولكن لم يقدم الطلبة على ذلـك ، لأنه ذكر أن مولده سنة ستّ وستّ مئة بإربل .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف ذي القعدة سنة ثماني عشرة وسبع مئـة ، وحضر جنازته خلق كثير .

٢٠١٦ - يونس بن عبد المجيد**

ابن علي بن داود الهذلي ، القاضي سراج الدين الأرمنتي .

كان من الفقهاء الفضلاء ، الأدباء الشعراء ، المحمودين السيرة في القضاء .

* الدرر : ٤/٤٨٦ .

(١) (ت ٦٢٤ هـ) . السير : ٢٢/٢٦٨ .

** الدرر : ٤/٤٨٦ ، والشذرات : ٦/٧٠ ، والطالع السعيد : ٧٢٩ .

سمع من الشيخ مجد الدين بن أبي الحسن بن علي بن وهب القشيري ، والحافظ أبي الحسين يحي بن علي العطار[١] ، وعمر بن موسى العامري ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

وحدث بقوص وغيرها ، واشتغل على مجد الدين القشيري ، وأجازه بالفتوى ، وورد مصر للاشتغال ، وأعاد بالمدرسة المعروفة بزين التجار ، كان هو والفقيه نجم الدين بن الرفعة معيدين بها ، قال نجم الدين بن الرفعة : كنت مرة في الإعادة ، فصار الطلبة يأتون إليّ ، ولا يجلسون إليه ، حتى وصلت الحلقة إليه ، فقام ، وأخذ سجادته على كتفه ، ونظر إليّ ، وقال : أروح إلى الجامع ، آخذاً دروساً في الأصول والنحو ، يعني أنك ما تدري هذا .

وكان حسن المحاضرة ، مليح المحاورة ، صنّف (المسائل المهمة في اختلاف الأئمة)[٢] ، وكتاب (الجمع والفرق)[٣] .

ولاّه قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعز القضاء بإخميم ، وعملها ، ثم أقره الشيخ تقي الدين مدة ، ونقله إلى البهنسا ، فأقام بها فوق عشرين سنة ، ثم ولاه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بلبيس والشرقية ، ونقله إلى قوص بعد كمال الدين السبكي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص من لسعة ثعبان في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بأرمنت سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

وكان لأبيه نظم وأدب .

(١) هو الرشيد العطار (ت ٦٦٢ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الكشف : ٢/١٦٧٠ .

(٣) الكشف : ١/ ٦٠١ .

قال كمال الدين الأدفوي : أنشدته ارتجالاً حين خرج من عند ابن جماعة :

سراج الـــدين سر في طيب عيشٍ قرير العين محمـــود الفعـــال
وقـــــد كملت مسرّتكم وتمّت وقيت النّقص من عين الكمـــال[(١)]

قال : ورأيت بخطه على كتاب :

الحـــال مني يـــافتى تغني عن الخبر المفيـــد
وبغير سكين ذبحـ ـت وأدرجـوني في الصعيـد[(٢)]

وكان كذلك لم يخرج من قوص ، وكان يروي (التنبيه) و (المهذّب)[(٣)] بالسند .

قال : وأنشدني لنفسه في شروط « الكفاءة » :

شرط الكفـاءة حرّرت في ستّـة ينبيـك عنهـا بيت شعر مفردُ
نسبٌ، ودِينٌ، صنعـة، حريـة، فقـد العيـوب، وفي اليسـار تردّدُ

قلتُ : الكفاءة عند الشافعي واجبة ، فلا يجوز لأحد من الأولياء أن يزوج[(٤)] المرأة من غير كفء إلا برضاها ورضا سائر الأولياء ، فإن رضوا بإسقاط الكفاءة ؛ صحّ النكاح ، خلافاً للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، حيث ذهب إلى أن الكفاءة شرط في الصحة ، وسبيل من سلك الطريق القطعي في بطلان مذهبه أن يقول : فقد تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنها ، وأبوها سيّد البشر .

والكفاءة سبعة أمور : وهي الدين ، والنسب ، والصنعة ، والحرية ، والتنقي من العيوب ، واليسار على أحد الوجهين ، وأن لا يكون الزوج مولىً للزوجة أو أهلها ، فموالي قريش ليسوا أكفّاء لقريش ، وفي وجه أنهم أكفاء لأن موالي القوم منهم .

(١) في الطالع : « من جهة الكمال » . وفيه : « فقال : أحسنت أحسنت » .
(٢) في الطالع : « فبغير » .
(٣) المهذب في الفروع للشيرازي ، إبراهيم بن محمد الشافعي (ت ٤٧٦ هـ) . الكشف : ١٩١٢/٢ .
(٤) في الأصل : « يتزوج » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وقال كمال الدين الأدفوي[١] : وأنشدني لنفسه في التعارض بين الاحتمالات ، وتقديم بعضها على بعض :

مجازٌ وإضمارٌ ونقل وبعده اشـ ـتراك، وقبل الكلّ رتبة تخصيص
متى ما يكن إثنان منها تعارضا فقدم ما قدمت واحظ بتلخيص[٢]

قال : وأنشدني له :

إنْ ترمك الأقدار في أزمةٍ أوجبها أجرامك السالفه[٣]
فافزع إلى ربك في كشفها ليس لها من دونه كاشفه[٤]

ومن شعره :

وشادن زار بعد يأسٍ كالغيث وافى على قنوط
وبات يجلو عليّ كأساً جاءت بحلّ الدم العبيط[٥]
ولم نثلّث إذا اختلسنا إلاّ بإثم بنا محيط
فقلت والليل في شبابٍ عاجله الصبح بالوخوط
مشمّر ذيله لسير تشمير ذي الرحلة النشيط
بالله يا صبح لاتزرنا والصبح حربٌ لقوم لوط

ومن شعره :

يا أهل ودّي وما أهلاً دعوتكمُ بالحقّ لكنها العادات والدرب
أبدعة ظهرت في الحب حادثة بالغدر أم رجعت عن دينها العرب

---

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « أيضاً » .
(٢) في الطالع : « تقدّم » .
(٣) أجرامك : ذنوبك .
(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ النجم : ٥٨/٥٣ .
(٥) في الأصل : « تحلُّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ومنه :

أيـــــــا ميُّ إنّ البينَ أعمى بصيرتي فلم أدر بعـد اليـوم رَشْـداً ولا غيّـا
وإنّي لأسقي حيّكم من مـــدامعي وأعجبُ من ذا ميت قد سقى الحيّا

وقلبه مواليا فقال :

لمـا بـدت بين أتراب لهـا من طيْ خودٌ طوت ثوب صبري بعد نشره طيْ
قلت[1] سقيتُ بدمعي حيّكم يا ميْ قالت : عجب ما رأينا ميت يسقي الحيْ

ومنه :

يـا صـاحبيّ ديـار عَلـوَهْ ظهرَ الهـوى الخـافي المـوّهْ
والصبّ يـوثقـه الجـوى وتخلّف الرفقـاء جفـوه
فقفـا وإلا فـالهـوى يستـوقف المشتـاق عنـوه
وسـلا على قـدريكمـا فـأعـزُّ مـا في الحبّ سلـوهْ
لا بـأس أن يشكـو المعا هـدَ ، أو يبثّ الـدار شجـوه[2]
يـا سطـوة البين المشـ ـتّ وهـل لغير البين سطـوه
خلّفتني أشكـو الصفـا شكـوى الخليـل خليـل صفـوه
بتـأوّهٍ أعيـا الصـدا لـو كان ينجـو من تـأوّه
بـأبي أُوَيْطَـانٌ تسقّيـ ـتُ الهـوى فيهنّ قهـوه
بلـواحـظ شهـدت سرا اهـا بقلبي ألف غـزوة
وأنـا المطيـع الحب إلاّ في تـأمّره بخلـوة
سـافرت في العليـاء حتى صرت شهـوة كلّ شهـوه
لا أستجيب لغير مـدح الشيـخ شمس الـدين دعـوه

(١) في الأصل : « فقلت لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « ويبث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

٢٠١٧ - يونس بن عيسى*

ابن جعفر بن محمد ، القاضي شرف الدين الهاشمي الأرمنتي .

كان من الفضلاء النبلاء ، قليل الكلام ، كثير الاحتشام ، واسع الصدر ، رئيساً ساكناً .

سمع من أبي العباس أحمد بن محمد[١] القرطبي ، واشتغل بالفقه على خال أمه الرضي الأرمنتي ، وعلى الشيخ جلال الدين الدشناوي .

وتولى الحكم بعدّة أماكن منها : دشنا ، وأدفو ، وأسنا ، وأسوان ، وقمولا وما معها من القرى ، ونقادة . وناب بقوص قريباً من ثلاثين سنة ، وأهلها راضون عنه .

وله معرفة بالفرائض والحساب والوراقة ، ودرس بالمدرسة العزية ظاهر قوص ، وأعاد بالمدرسة الشمسية مدة .

قال كمال الدين الأدفوي : وكان حلو الخلوة ، ينبسط[٢] ويتبسّم ، وفيه قعدد ، وعليه مهابة ، فقيه النّفس يتكلم على (الوسيط) كلاماً حسناً . ولمّا حج آخر حجة اجتمع بقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وتحدث معه ، فأعجبه سمته ، وأحسن إليه ، وأضافه ضيافة حسنة كبيرة ، وخطر له أن يولّيه الشرقية ، فذكرت له ، فقال : أنا في آخر العمر ، ما أخرج من وطني ، وأيضاً فأنا في قوص أيّ من ولي أقرّني على حالي ، والكدّ على غيري .

---

* الدرر : ٤/٤٨٨ ، والطالع السعيد : ٧٣٣ .

(١) في الأصل : « ابن أحمد » . سهو . وأحمد بن محمد القرطبي توفي سنة (٦٧٢ هـ) . انظر ترجمته في الطالع السعيد : ١١٢ .

(٢) في الأصل : « وينبسط » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وهو موافق لما في الطالع .

وقع من علوّ ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ساعة ، سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

☆ **اليونيني : الشيخ شرف الدين علي بن محمد . وقطب الدين موسى بن محمد .**

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، نهار الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (٩٧٣ هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل االصلاة والسلام ، بخط العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير ، الراجي عفو ربه القدير أبو بكر[١] بن عبد الرحمن بن أبي بكر العِوَاجي نزيل مكة المشرفة .

عفا الله عنه بمنّه وكرمه ، آمين ، آمين .

(١) كذا بالرفع على الحكاية .

فهرس المصادر والمراجع

أدب الصناع : تأليف د. محمود سالم ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٩٣ م .

الأعلام : للزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م ـ ط . رابعة .

الإعلام بوفيات الأعلام : للذهبي ، تح . رياض مراد وعبد الجبار زكار ـ دار الفكر ـ ١٩٩١ .

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : للطباخ الحلبي ـ علق عليه محمد كمال ـ دار القلم العربي ـ حلب ـ ١٩٨٨ .

إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى : لابن طولون ـ تح . أحمد دهمان ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٦٤ م .

الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ـ مصورة عن طبعة دار الكتب .

الأمالي : لأبي علي القالي ، دار الحكمة ـ لبنان .

إنباء الغمر بأنباء العمر : لابن حجر ـ تح . محمد أحمد دهمان ـ دمشق ـ ١٣٩٩ هـ .

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغدادي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ مصورة .

بدائع الزهور في وقائع الدهور : لابن إياس ، تح . محمد مصطفى ـ الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ـ ١٩٨٣ . ط . ثانية .

البداية والنهاية : لابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٣ م .

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : للشوكاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ مصورة .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ـ لبنان .

تاج العروس : للزبيدي ـ طبعة الكويت ـ والطبعة المصرية المصورة .

تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر .

تاريخ التراث العربي : د . فؤاد سزكين ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض . ١٩٨٣ م .

تالي وفيات الأعيان : للصقاعي ، تح . جاكلين سوبلة ـ المعهد الفرنسي ـ دمشق ـ ١٩٧٤ .

تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب : للصفدي ـ تح . إحسان خلوصي وزهير حميدان ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٩١ م .

تذكرة الحفاظ : للذهبي ـ تح . عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ حيدر أباد ـ ١٣٧٧ هـ .
تذكرة البنية في أيام المنصور وبنيه : لابن حبيب ـ تح . د . محمد محمد أمين ـ الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ .
التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : لمحمد قنديل البقلي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للثعالبي ـ تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ م .
الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : للسيوطي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
الجواهر المضية في طبقات الحنفية . تح . الحلو والطناحي ـ القاهرة .
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للسيوطي ـ تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ ١٣٨٧ هـ .
خريدة القصر : للأصفهاني محمد بن محمد : قسم شعراء مصر ـ تح . شوقي ضيف وآخرين ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥١ م .
الدارس في تاريخ المدارس : للنعيمي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٩٠ .
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : لزينب العاملي ـ مكتبة ابن قتيبة ـ الكويت ـ مصورة .
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : لابن حجر ـ دار الجيل ـ بيروت ـ مصورة .
ديوان ابن الرومي : تح . د . حسين نصار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ م .
ديوان ابن سناء الملك : تح . د . حسين نصار ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .
ديوان ابن نباتة : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
ديوان ابن الوردي : مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ـ ١٣٠٠ هـ .
ديوان أبي تمام : تح . محمد عبده عزام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط . رابعة .
ديوان أبي فراس الحمداني : دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٥٩ .
ديوان أبي نواس : تح . أحمد عبد المجيد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ديوان البحتري : تح . حسن كامل الصيرفي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ طبعة ثانية .
ديوان بشار بن برد : تح . محمد الطاهر بن عاشور ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٠ م .
ديوان جرير بشرح ابن حبيب : تح : د . نعمان طه ـ داد المعارف ـ مصر .
ديوان حسان بن ثابت : تح . د . سيد حنفي حسنين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

ديوان ذي الرمة : تح . د . عبد القدوس أبو صالح ـ مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ١٩٧٢ م .
ديوان الشاب الظريف : تح . شاكر هادي شكر ـ مكتبة النهضة وعالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٨٥ م .
ديوان الشافعي : تح . محمد عبد المنعم خفاجي ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .
ديوان الشريف الرضي : المطبعة الأدبية ـ بيروت ـ ١٣٠٩ هـ .
ديوان الشماخ : تح . صلاح الدين الهادي ـ دار المعارف ـ مصر .
ديوان صفي الدين الحلي : دار صادر ـ بيروت ـ .
ديوان العفيف التلمساني : مخطوط ـ الظاهرية برقم (٥٩١٧) .
ديوان الفرزدق : دار صادر ـ بيروت .
ديوان قيس بن الخطيم : تح . د . ناصر الدين الأسد ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٧ م .
ديوان لبيد بن ربيعة : تح . د . إحسان عباس ـ سلسلة التراث العربي ـ الكويت ـ ١٩٨٤ .
ديوان المتلمس الضبعي : تح . حسن كامل الصيرفي ـ معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .
ديوان المتنبي بشرح العكبري : تح . السقا ـ الأبياري ـ شلبي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ مصورة .
ديوان مجنون ليلى : جمع وتحقيق عبد الستار فراج ـ مكتبة مصر ـ القاهرة .
الذيل التام على دول الإسلام : للسخاوي : تح . حسن مروة ـ دار ابن العماد ـ بيروت ـ ١٩٩٢ م .
ذيل العبر : للحسيني ـ تح . محمد رشاد عبد المطلب ـ الكويت ـ ١٩٧٠ ، مع ذيل الذهبي .
ذيل العبر : للذهبي ـ تح . محمد رشاد عبد المطلب ـ الكويت ـ ١٩٧٠ ، مع ذيل الحسيني .
الذيل على العبر : لابن العراقي ـ تح . صالح مهدي عباس ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٩ م .
ذيول العبر = من ذيول العبر (ذيل العبر للذهبي ، وللحسيني) .
ذيل مرآة الزمان : لليونيني ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ١٩٩٢ م ـ طبعة مصورة .
السلوك لمعرفة دور الملوك : للمقريزي ـ تح . محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة ـ طبعة مصورة .
سير أعلام النبلاء للذهبي : تح . مجموعة بإشراف شعيب الأرناؤط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ ـ مصورة .
شرح أبيات المغني للبغدادي : تح . رباح والدقاق ـ دار المأمون ـ دمشق ـ ١٩٧٣ .
شرح حماسة أبي تمام للتبريزي : عالم الكتب ـ بيروت .
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : تح . أحمد أمين وعبد السلام هارون ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .
شرح ديوان لبيد = ديوان لبيد .
شرح المفضليات : للتبريزي : تح . علي البجاوي ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة .
صبح الأعشى في صناعة الإنشا : للقلقشندي ـ دار الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٢٢ . مصورة .

صحيح البخاري : طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ .
صحيح مسلم : تح . محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد : للأدفوي ـ تح . سعد محمد حسن وطه الحاجري ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ م .
طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة = عيون الأنباء .
طبقات الشافعية : للسبكي ـ تح . الطناجي ـ والحلو ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .
العامل الحالي والمرخص الغالي : للحلي ، تح . د . حسين نصار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨١ م .
العبر في خبر من غبر : للذهبي : تح . صلاح الدين المنجد ـ سلسلة التراث العربي ـ الكويت ـ ١٩٨٤ م .
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١ ـ ٤ : للعيني ـ تح . د . محمد محمد أمين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٧ .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة ـ تح . د . نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت .
غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري ـ تح . برجستراسر ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ مصورة .
الغيث المجسم في شرح لامية العجم : للصفدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٥ م .
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : لأبي عبيد البكري ـ تح . د . إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨١ م .
فقه اللغة وسر العربية : للثعالبي ـ تح . السقا والأبياري وشلبي ـ مط . البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .
فوات الوفيات . لابن شاكر الكتبي ـ تح . د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
القاموس المحيط : للفيروز أبادي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة ـ مكتبة المثنى ـ بغداد .
الكشف عن وجوه القراءات : لمكي بن أبي طالب ـ تح . محيي الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨١ .
الكليات : للكفوي : تح . د . عدنان درويش ومحمد المصري ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٨٢ .
لسان العرب : لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت .
لسان الميزان : لابن حجر ـ حيدر أباد ١٣٢٩ هـ .
مجمع الأمثال : للميداني ـ تح . محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السنة المحمدية ـ مصر ـ ١٩٥٥ م .
المختار من شعر ابن دانيال : للصفدي ـ تح . محمد الديلمي ـ مكتبة بسام ـ الموصل ـ ١٩٧٩ م .

مختارات من شعر الأندلس : د . شاكر الفحام ـ جامعة دمشق ـ ١٩٧٩ .
المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء ـ استانبول ـ ١٢٨٦ هـ ـ مصورة .
المذكر والمؤنث : لابن الأنباري ـ تح . طارق الجنابي ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ ١٩٨٦ .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لليافعي ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ ط . ثانية ـ ١٩٩٣ م .
مسند الإمام أحمد : المكتب الإسلامي ـ بيروت .
معجم البلدان : لياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٧ م .
مفتاح السعادة : لطاش كبري زادة ـ تح . كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .
المفضليات : للمفضل الضبي : تح . أحمد شاكر وعبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٤ م .
مقامات الحريري : للحريري ـ بيروت ـ مصورة .
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : لابن تغري بردي /ج ١ ـ ٧/ تح . مجموعة من الباحثين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
من ذيول العبر = ذيل العبر للذهبي ـ وذيل العبر للحسيني .
ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي ـ تح . علي البجاوي ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ م .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي ـ تح . د . إبراهيم علي طرخان ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ـ القاهرة .
النشر في القراءات العشر : لابن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بلا تاريخ .
نظم العقيان : للسيوطي ، تح . فيليب حتي ـ المطبعة السورية الأمريكية ـ نيويورك ـ ١٩٢٧ م .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري ـ تح . د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨ م .
نكت الهميان في نكت العميان : للصفدي ـ تح . أحمد زكي بك ـ مصر ـ ١٩٨٤ م .
النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير ـ تح . طاهر الزاوي والطناحي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ مصورة .
هدية العارفين : لإسماعيل باشا البغدادي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ مصورة .
الوافي بالوفيات : للصفدي ـ تح . مجموعة ـ النشرات الإسلامية ـ بيروت .
الوفيات : لابن رافع السلمي : تح . عبد الجبار زكار ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٨٥ م .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ـ تح د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٨ م .
ولاة دمشق في عهد المماليك : محمد أحمد دهمان ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٨١ م .